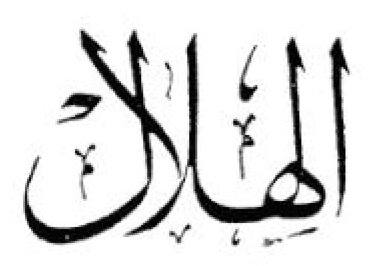


الجزء الاول من السنة الرابعة عشرة

١ اكتوبر (تشرين اول) سنه ١٩٠٥ و ٢ شعبان سنة ١٣٢٣



الحرب الروسية اليابانية

من ٥ فبراير سنة ١٩٠٤ — ١٤ اغسطس سنة ١٩٠٥

نشرنا في الهلال الحادي عشر من السنة الثانية عشرة الاسباب التي بعثت على انتشاب الحرب الروسية اليابانية وسبب رغبة انكلترا في نصرة اليابان ونحن ذاكرون في ما يلي نتيجة هذه الحرب على وجه الاختصار مع مآل معاهدة الصلح التي أبرمت بينهما خدمة للتاريخ

الحرب

بدأ العدوان بين الدولتين في ٥ فبراير سنة ١٩٠٤ وقد باشرته اليابان بعد ان ملت مماطلة الروس في اجابة طلباتها — وفي ٨ منه اطلق الروس اول قنبلة في سبيل ذلك العدوان فاخذ الناس من ذلك الحين يقدرون الفوز لاحدى الدولتين • وكان الرأي الغالب ان اليابان وان فازوا في اول الحرب فالروس هم الفائزون أخيراً لان اليابان باغتوهم بالحرب وهم على غير استعداد فضلاً عن بعد المسافة بين روسيا وساحة الحرب فلا ينقضي زمن حتى تحشد جيوشها الجرارة فتسحق اولئك الصفر سحقاً • وانه اذا قدر النصر لليابان

في الوقائع البحرية فالروس يغلبون في الوقائع البرية لان الجنود الروسية اقدر على الكرّ والفرّ وخصوصاً فرسانهم المعروفون بالقوزاق — ولكن النتائج كذبت هذا التقدير وجاءت نتيجة الحرب على غير ما توقعه الاكثرون • فقد فاز اليابان في اول الحرب وآخرها بحرًا وبرًّا حتى ادهشوا العالم بما اظهروه من السياسة في التدبير والبسالة في ساحة الوغى والمهارة في الحركات العسكرية والتسامي في العواطف البشرية الى ما لم يكن يخطر للناس مثله في أمة حديثه العهد في المدنية الحاضرة كانت منذ عهد قريب تعدّ من الامم البعيدة عن أسباب العمران وكان الشعب الياباني وسائر الشعوب المغولية معدودة من الشعوب المنحطة في درجات المدنية عن الشعوب القوقاسية فارتفع شأنها بعد هذه الحرب لما اظهرهُ اليابان من قوة العقل وسمو العواطف مما يندر مثالهُ في أرقى الشعوب القوقاسية

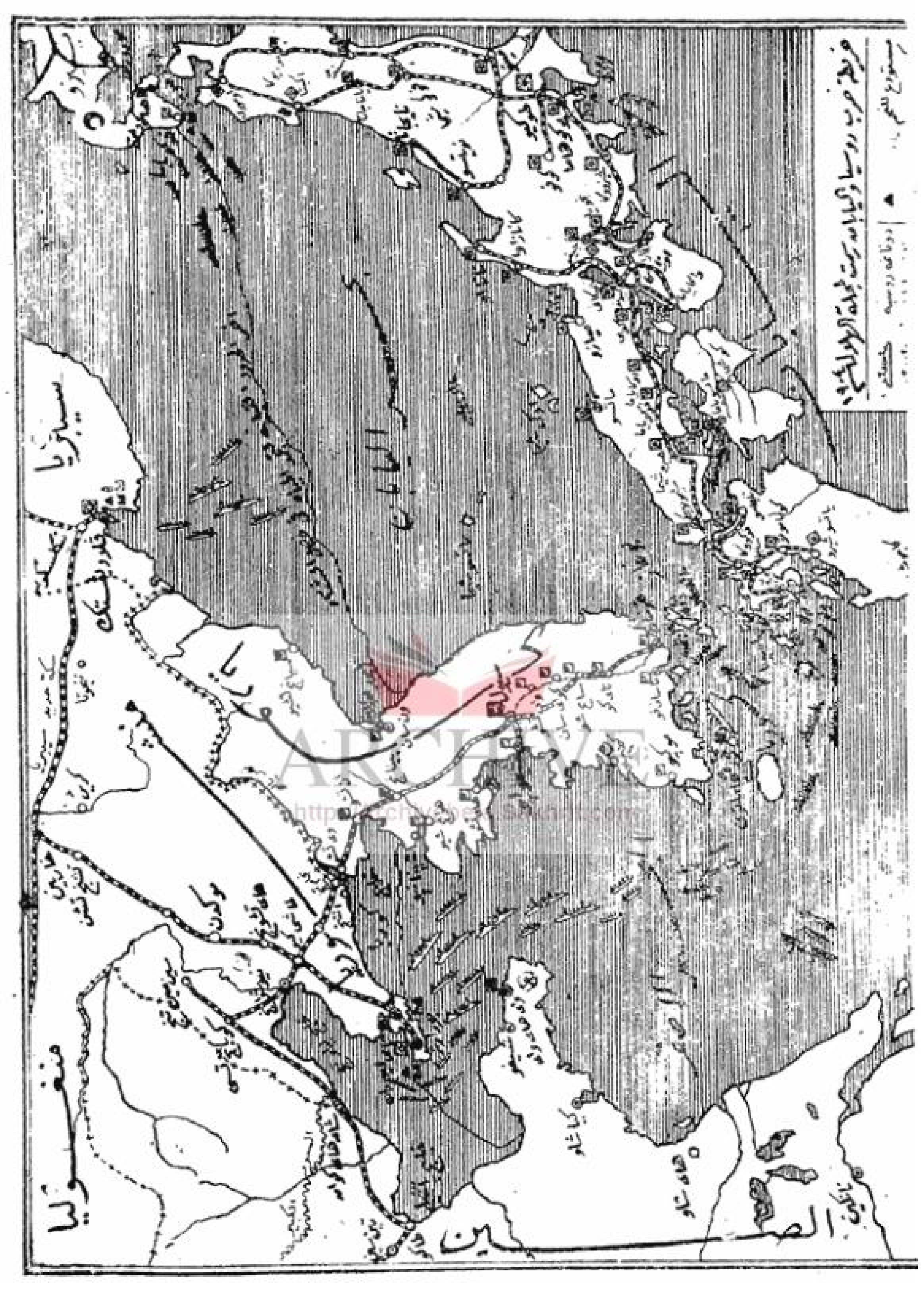
حالما أعلنت الحرب وقطعت العلائق الودية بين الدولتين حمل الاميرال طوغو الياباني باسطوله على بورت ارثر فاغرق الدارعتين سيزارفتش ورتفزان وتتابعت المناوشات البحرية وتوالت هجمات اليابان على بورت أرثر عبثاً وفي ابريل سنة ١٩٠٤ توجهت الانظار نحو البر فتعلقت الآمال بتحول النصر الى جانب الروس • فبدأت واقعة نهر اليالو في ٢٩ ابريل وانتهت في اول مايو فانتصر اليابانيون فيها انتصاراً باهراً تحت قيادة الجنرال كروكي • واليابانيون مع ذلك يعاودون الكرة على بورت ارثر بحراً وبرًّا ويخترقون خطوطها وقلاعها حتى توصلوا في ٧ اوغسطس سنة ١٩٠٤ الى خط الدفاع الداخلي من ذلك الحصن المنيع فطمعوا بفتحه وأخذوا يوالون الهجوم عليه من البر بقيادة الجنرال نوجي ببسالة شهدت لهم بها الاعداء وخصوصاً بين ١٩ و ٢٤ منه فاستولوا على تل ١٧٤ متراً وكادوا يظفرون فردهم الروس ردًّا عنيفاً بشجاعة الاسود وقد خسر اليابان ١٤,٠٠٠ رجل

وولد للقيصر في أثناء ذلك ولي العهد (في ١٢ اوغسطس) فتفاءل الروسيون بولادته خيراً ولا سيما بعد ان تراجع اليابانيون عن بورت ارثر بتلك الخسائر على انهم ما لبثوا ان خاب فألهم لما اصابهم في لياوينغ اذ زحف اليابانيون عليها بجيش جرار مؤلف من ثلاث فرق — بدأوا بالزحف في ٢٥ منه والتقى الجيشان هناك في ٢٨ منه وحدثت معارك هائلة انتهت في ٤ سبتمبر بتقهقر الروسيين تحت قيادة كروبتكين نحو شاهو وقد خسر الروس ٢٥,٠٠٠ بين قتيل وجريح وبلغت خسائر اليابان ٢٠,٠٠٠ فتعقبهم اليابان الى شاهو حالاً ولم يمهلوهم للراحة وحدثت هناك عدة معارك في ١٢ و١٣ و ١٤ سبتمبر

تقهقر فيها الروس شمالاً و بلغت خسائرهم عند شاهو ٦٨،٠٠٠ واما اليابان فقد كانت خسائرهم اقل من ذلك وهم يقولون انها لم تزد على ربع هذا العدد

فلما رأى القيصر ما انتاب جنده في منشوريا على غير ما كان يؤمله عزم على تجديد الهمة فامر أسطول البلطيك ان ينتقل الى البحر الياباني نجدة للجنود البرية . وتحدث الناس كثيراً في امر هذا الاسطول ومبلغ قوته او ضعفه وطال انتظارهم اقلاعه من بحر البلطيك فاقلع من ليبو أخيراً في منتصف سبتمبر المذكور بقيادة الاميرال روجفنسكي واصاب الاسطول في اثناء الطريق عرقلة لم تؤخره الا قليلاً ولبث الناس ينتظرون مايكون من ذلك الاسطول وقضوا زمناً يتحدثون في خطة مسيره وقوته وعدد سفنه واليابانيون في اثناء ذلك يعملون بهدو وتكتم وقد وجهوا عنايتهم على الخصوص نحو بورت ارثر وصمموا النية على فتحها قبل وصول الاسطول ولو مهما كلفهم ذلك من المال والرجال . فانقضت سنة ١٩٠٤ والروسيون ممتنعون في بورت ارثر بقيادة الجنرال ستوسل صابرون على ما أصابهم من الضنك والعذاب من الجوع والجراح وقد شهد اليابانيون انفسهم بما كان من بسالة ستوسل ورجاله في اثناء ذلك الحصار . وفي اول سنة ١٩٠٥ لم يرَ الروسيون بدًّا من التسليم فسلموا واجتمع القائدان ستوسل ونوجي وامضيا شروط التسليم ففرح اليابانيون بذلك الفتح والكنه كلفهم ألوفاً من الرجال ذهبوا قتلى تحت اسوار ذلك الحصن ولم يعلم عددهم الحقيقي الى الآن . اما الروس فعدد الذين سلموا انفسهم لليابان ٣٢،٢٠٧ من الاسرى و٥٤٦ مدفعاً ومقدار كبير من الذخيرة

فلما فرغ اليابان من فتح بورت ارثر حولوا أعنة خيولهم نحو البر وحشدوا جيوشهم وزحفوا على موكدن وفيها جنود الروس بقيادة الجنرال كروباتكين وكانت جنود اليابان فرقاً توالى وصولها لموكدن عدة ايام فرقة بعد فرقة فوصلت اولاً فرقة الجنرال كوامورا في ٢٣ فبراير وعسكرت في الشرق وتبعتها فرقة كوروكي في اليوم التالي وعسكرت شرقي القلب وفي ٢٧ منه وصلت فرقة نودزو واقامت في القلب وفي ٢٨ جاءت فرقة اوكو واستقرت غربي القلب وفي اول مارس تمّ معسكر اليابان بوصول فرقة الجنرال نوجي وعسكرت في الغرب . وحدثت هناك معارك يطول شرحها انتهت بدخول اليابانيين موكدن في ١٠ مارس . ثم تعقبوا الروسيين برًّا في ١٦ منه وهم ينسحبون من امامهم فاستولى اليابان على تي لنغ . وبلغت خسائر الروس في موكدن وما بعدها ١٥٠،٠٠٠ بل و٥٠٠ مدفع . فانتهت الوقائع البرية ولم يبق لليابانيين مطمع بما وراء ذلك ولا



يمنعهم الايغال في تلك الاصقاع الباردة فتحولت انظار الناس الى أسطول البلطيك وقد علموا انه آخر جهاد تجاهده روسيا في هذه الحرب فاما عليها واما لها

وصل الاسطول المذكور الى خليج قمران في ١٢ ابريل سنة ١٩٠٥ وهو من مستعمرات فرنسا فالقى مرساته هناك ولم يقلع الاَّ في ٢٦ منه بعد ان احتدم الجدال بين اليابان وفرنسا لانها خرقت حرمة الحياد بذلك حتى كاد الجدال يفضي الى العدوان لكن الامور سكنت بعد اقلاع الاسطول • فوصل بوغاز تسوشيما في ٢٧ منه وكان أسطول الاميرال طوغو في انتظاره فسحقه سحقاً لم يسبق له مثيل فتمَّ النصر لليابان ولم تبق حيلة بعد هذا غير تداخل الدول في امر الصلح فتصدى لذلك المستر روزفلت رئيس جمهورية اميركا في ٨ يونيو نخابر الدولتين بهذا الشأن وهو يعتقد ان القيصر والميكادو يوافقانه على حجب الدماء • وبعد المداولة قبل الاثنان وأرسل كل منهما وفداً ينوب عنه وعلى كل وفد مندوب خاص ومندوب القيصر الموسيو دي ويت ومندوب الميكادو البارون كومورا فاجتمعا في بورتسموث باميركا واخذت الجرائد تتكهن في ماذا عسى ان تكون مطاليب اليابان لعقد ذلك الصلح بعد ما كان من انتصارها براً وبحراً • واول شيء ظنوها تطلبه الغرامة الحربية وهي حق لها لانها انفقت في هذه الحرب حوالي ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فضلاً عما خسرته من الرجال • فالتأم المؤتمر في ٤ اغسطس الماضي ودارت المناقشة على الشروط وانتهت على خلاف ما كان يتوقعه الناس واليك خلاصة تلك الشروط :

(١) ان يكون لليابان السيطرة على كوريا

(٢) ان يخلي الروسيون منشوريا اخلاء تاماً ولا يكون لهم فيها حق من الحقوق

(٣) ان ترجع منشوريا الى حكومة الصين وهي تتولى شؤون ادارتها

(٤) ان يستولي اليابانيون على النصف الجنوبي من جزيرة سخالين

(٥) ان تتنازل روسيا عن حقوقها في شبه جزيرة لياوتنغ ومن جملتها بورت ارثر ودالني وجزائر اليوت وغيرها

(٦) ان تستولي اليابان على السكة الحديدية الممتدة في جنوبي منشوريا من بورت ارثر الى خربين

(٧) ان لا تستخدم روسيا حصتها من الخط المذكور الاَّ للاعمال التجارية

(٨) ان يكون لليابان حرية صيد الاسماك على شواطىء سيبيريا من فلاديفوستك نحو الشمال

(٩) ان تدفع روسيا لليابانيين ما انفقوه على الاسرى الروس في اثناء هذه الحرب

(١٠) ان تتنازل اليابان عن الغرامة الحربية

(١١) عدم تحديد قوة الروس البحرية في الشرق الاقصى

فترى من ذلك ان الروسيين فازوا في عقد الصلح اكثر من فوز اليابانيين في ساحة الحرب . على ان روسيا خسرت عدداً كبيراً من رجالها ومبالغ وافرة من الاموال فيقدرون خسارتها من الرجال بنحو ٣٠٠,٠٠٠ نفس بين قتيل وجريح و خسارة اليابان بنحو ١٧٥,٠٠٠ نفس واما الخسارة المالية فتقديرها ان الروس كانوا ينفقون على هذه الحرب نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ جنيه كل اسبوع غير ما خسروه من القلاع والذخائر والابنيه والسفن ونحوها وان خسارة اليابان نحو ثلثي هذه القيمة . على ان اليابان ربحت في مقابل ذلك مالا يقدّر بالمال — ربحت ثقة الناس وارتفع شأنها بين دول الارض فاصبحت معدودة من الدول العظمى في العالم المتمدن

اما روسيا فارباحها من عواقب هذه الحرب اعظم كثيرًا من خسائرها لانها ستنتقل الى طور جديد من الحكومة هو احسن انواع الحكومات وبعد ان كانت دولة استبدادية مطلقة وكلمة الملك فيها شريعة المملكة ستصير دولة دستورية تقيد القيصر اعماله بالشورى ويمنح رعاياه حق النظر في امور المملكة والسبب في ذلك ان الروسيين كانوا قبل هذه الحرب يئنون تحت اثقال الحكم المطلق ولا يجسرون على المجاهرة بطلب الاصلاح فلما فشل القيصر في هذه الحرب و رأى الروسيون ما لحق مملكتهم من الخسائر نهضوا يطلبون الاصلاح وكان القيصر عاقلاً وحكيماً فادرك ان اجابة صوت الشعب اقرب الى سلامته وسلامة مملكته وادعى الى ارتقائها في معارج المدنية فاجاب الداعين والمخابرات جارية في هذا الشان

اقوال الكبار

قال معاوية : نحن كالزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وكان يقول اني لآنف ان يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا يسعها جودي . وقال عبد الملك : افضل الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة وانصف عن قوة . وكتب الى الحجاج في اهل السواد ابق لهم لحوماً يعقدوا بها شحوماً وقال يزيد ابن المهلب : عجبت لمن يشتري العبيد بماله ولا يشتري الاحرار بمقاله استكثروا من الحمد بان الذنب قلَّ من ينجو منه

اسوج ونروج

ومن حوادث هذا القرن السياسية خروج نروج من سيطرة اسوج بعد ان كاد يتم القرن على خضوعها لها . والناظر الى هذين البلدين على الخارطة يخيل له انهما بلد واحد ويتبادر الى ذهنه انهما شعب واحد متشابه عقلاً وخلقاً وتربية والواقع خلاف ذلك . على ان اهل البلدين يرجعون بانسابهم الى قبيلة واحدة من قبائل الجرمان تعرف بالاسكنديناف نزلوا اسوج ونروج في القرون الاولى للتاريخ المسيحي واشتد ساعدهم في القرن الثامن وغزوا معظم شواطىء اوربا حتى بلغوا بلاد اليونان ونازلوا القسطنطينية مرتين فخافهم امبراطرتها فقربوهم منهم واغروهم على الانتظام في جنديتهم فتألف منهم الحرس الامبراطوري . وكانوا في اول امرهم يعبدون القوى الطبيعية وابطالاً رفعوهم الى مصاف الآلهة منهم أودين اله الحرب عندهم وكانوا ينقسمون الى صنفين الاشراف والعامة وكانوا في الحرب ينتخبون ملكاً . على انه كان لكل مملكة مجلس لسن الشرائع وفض المشاكل فيها ثم انضمت الممالك الصغيرة بعضها الى بعض فتألف منها ثلاث ممالك اسوج ونروج والدانيمارك ودخلت النصرانية بلادهم في القرنين العاشر والحادي عشر

ولنروج تاريخ مثل تاريخ اختيها السكندنافيتين اسوج والدنمارك واصبحت في القرون الاخيرة تابعة لاحداها فاتحدت باسوج مرة قبل هذه في القرن الرابع عشر ثم عادت الى الدنمارك في القرن السادس عشر ثم انتقلت الى اسوج في اوائل القرن الماضي بمعاهدة كيل التي عقدت في ١٤ يناير سنة ١٨١٤ وما زالت تابعة لها او ملحقة بها الى الشهر الماضي

وقد كان الحاق نروج باسوج في اوائل القرن الماضي من جملة الانقلابات السياسية التي حدثت في عصر بونابرت على اثر ما احدثه هذا الرجل العجيب من الفتوح التي ترتب عليها سقوط دول وقيام اخر فتناثرت التيجان وتقلبت الممالك واهتز العالم هزة انتفضت لها اعصابه وتبدلت احواله مما لم يحدث له شبيه في تاريخ العالم قديماً ولا حديثاً — ففي العصر البونابرتي كانت نروج تابعة للدنمارك . ولما نهض بونابرت لمحاربة انكلترا كان في جملة الذين تخلفوا عن نصرته مملكة اسوج فحنق لها ذلك . وكان في جملة قواده رجل اسمه برنادوتي اصله من مدينة برن وكان ابوه من اهل القضاء والمحاماة فنشأ لا يحب هذه المهنة وقد وفضل الجندية عليها فانخرط في سلك البحرية سنة ١٧٨٠ وهو في السادسة عشرة من عمره فلما حدثت الثورة الفرنساوية واختلط الحابل بالنابل وذهبت هيبة الاشراف وظهر

اصحاب المواهب وقبضوا على شؤون الدولة وساد القويّ بقوته كان لبرنادوتي نصيب من تلك السيادة لانه كان من كبار الرجال عقلاً وسجية وترقى سنة ١٧٩٢ الى رتبة اميرالاي وشهد مواقع كثيرة تحت علم نابوليون بونابرت فازداد رقياً . ولما جاء بونابرت لفتح مصر سنة ١٧٩٨ ظل برنادوتي في فرنسا فعينوه ناظرًا للحربية واخذ يعدّ الجند لمحاربة هولاندا وكان بونابرت ينظر اليه بعين الحذر ويخاف بطشه لما ظهر له من تعقله ودهائه فكان يحاول الوقوف في سبيل ترقيه ومع ذلك فانه ترقى على يده الى رتبة مارشال وتعين حاكمًا على هنوفر واشتهر على الخصوص في واقعة اوسترلتز فارتقى الى رتبة الامارة وسمي برنس بونتي كورفو . فلما نقم بونابرت على اسوج لتخلفها عن نصرته انفذ برنادوتي الى الدنمارك ومعه الاوامر بقهر اسوج . وكان برنادوتي قد اصبح يعدّ نفسه مناظرًا لبونابرت على منصب الامبراطورية فلم يعتدّ باوامره فظلّ في الدنمارك لا يحرك ساكنًا وبونابرت مشغول عنه بحملته على الروس . وكان على عرش اسوج يومئذ الملك كارلوس الثالث عشر من عائلة هولستين كوتورب وعمره فوق الستين وليس له ولد ذكر يرث الملك بعده ولم يكن للمملكة بدّ من تسمية ولي عهد يخلفه بعد موته فاخذوا يبحثون عن رجل يليق بهذا المنصب وكان اللائقون كثارًا ولكنهم كانوا يخشون القبول خوفًا من بأس نابوليون الا برنادوتي فانه اقدم على قبول تلك الولاية ببسالة وقوة فسُرّ الاسوجيون به لانهم كانوا معجبين ببسالته وتعقله وسداد رأيه . ولقيه نابوليون مرة بعد ذلك فقال له « اقسم لي انك لا تحارب فرنسا مطلقًا » فاجابه برنادوتي « ان قواي يا مولاي اصبحت منذ الآن ملكًا للبلد الذي توطنته » فقال نابوليون « حسنًا . . . ولكن آجالنا ليست في ايدينا »

ولما اتحدت الدول لمحاربة بونابرت كان برنادوتي اول من جند لمحاربته في لايبسك وغيرها وكثيرًا ما كان النصر موقوفًا على مهارته وبسالة جنده . وكان كارلوس ضعيفًا فاصبحت اسوج كلها في قبضة برنادوتي . ولما ابرمت معاهدة كيل سنة ١٨١٤ واضيفت نروج الى اسوج اتسعت آماله لسعة مملكته . وفي سنة ١٨١٨ توفي ملك اسوج فخلفه برنادوتي وهو مؤسس العائلة الحاكمة الآن وجدّ اوسكار الثاني ملك اسوج الحالي . ومما يستحق الذكر ان الذين ادركوا منصة الملك في العصر البونابرتي لم يبق الملك في نسل احد منهم غير برنادوتي هذا ولم يكن بونابرت الذي ولاه ذلك الملك وانما ناله بانتخاب الشعب

الحقت نروج باسوج والنروجيون ينكرون ذلك ثم اذعنوا بالقوة ولكنهم ظلوا على ما كانوا عليه قبلاً من طرز الحكومة وسائر المعاملات الادارية والسياسية . فالمملكتان مع

وحدة اهلها في الاصل تختلفان لغة وشريعة ونظاماً ولكل منهما لسان خاص وقوانين خاصة وبرلمان خاص وكذلك يقال في الجندية البرية والبحرية وفي الديانة والعادات والاخلاق وفي كل شيء . فالتجارة حرة في نروج ومقيدة في اسوج والنروجيون الصق الناس بالديموقراطية واكثرهم رغبة في الحرية والاسوجيون يفضلون الملكية وفيهم ميل الى الارستوقراطية . والنروجي غريب في اسوج لا يتأتى له الانتظام في منصب من مناصب حكومتها وكذلك الاسوجي في نروج . على ان المملكتين اتفقتا على الاذعان لملك واحد ومع اختصاص كل منهما بادارتها الداخلية فالامور الخارجية فيهما مفوّضة الى الملك وحده وهذا هو اصل السبب في ما حدث من الانفصال الاخير

وكانت نروج لما ألحقت باسوج ضعيفة خاملة فارتقت الآن بالثروة والرجال واتسعت تجارتها الخارجية وتعاظمت ارباحها وامتدت مطامع اهلها وأصبح عندها من البواخر التجارية أكثر مما عند اسوج وتمددت علاقاتها مع الدول الاخرى فأصبحت في حاجة الى الاستقلال في مخابرة تلك الدول رأساً . ولم يكن لها قناصل خاصة تنوب عنها هناك وانما كانت مخابراتها على يد قناصل اسوج ووزارتها الخارجية . فسعت نروج في تعيين قناصل خاصة باسمها فقرر مجلس نوابها سنة ١٨٩١ شدة الحاجة الى ذلك لترقية شؤون تجارتها وصناعتها وعرضوا قرارهم على أوسكار فابى عليهم ذلك ثم أعادوا الكرة غير مرة حتى عينوا سنة ١٩٠٣ لجنة مختلطة من النروجيين والاسوجيين برضا الدولتين للبحث في هذه المطالب وكادوا ينتهون الى حلّ مرضي ولكن حكومة أسوج اصرت على ان تكون قناصل نروج تحت سيطرة نظارة الخارجية الاسوجية . فاعادوا الكرة وبلغت المخابرات الى التهديد مع تغلب التسامح والمسالمة في الجانبين والنروجيون يستندون مطاليبهم الى اسباب قهرية غير عدوانية حتى عرضوا على الملك ان يعين أحد أولاده ملكاً عليهم . وقد انحلت المشكلة تقريباً الاّ الملك فلم يعينوهُ بعد

ولا ريب ان حلّ هذه العقدة مرجع الفضل فيه على الاكثر الى ملك أسوج اوسكار الثاني لانه من اهل التعقل والدراية وهو يعتقد ان النروجيين اصحاب حق في مطاليبهم وان انضمامهم الى مملكته غير طبيعي لاسباب تقدم ذكرها فاطاعهم وان كان لا يخاف بطشهم لان أسوج اقوى من نروج بالمال والرجال — واليك خلاصة قوتيهما بالمقابلة :

عددالاهالي	في اسوج	٥,٢٢١,٢٩١	وفي نروج	٢,٢٩٢,٥٣٥
دخل الحكومة	«	٩,٥٦٢,٥٠٠	«	٤,٨٣٧,١٤١
مقدار الصادرات	«	٢١,٦٠٦,٤٢١	«	١٠,٦٤٢,٤٣٩
عدد الجند	«	٤٥,٧٠٩٠	«	٢٧,٩٠٠

فترى من ذلك ان قوة اسوج ضعفا قوة نروج غير ان الجندية في نروج عمومية والزامية وعندها فضلاً عما تقدم ذكره نحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل تحت الطلب وليس لاسوج رديف من هذا النوع



اوسكار الثاني ملك اسوج

ويجدر بنا في هذا المقام ان نأتي على شيء من فضائل ملك اسوج وهو مشهور بيننا بما يأتيه من الخدم الجزيلة لآداب اللغة العربية وبما يعقده من المؤتمرات الشرقية في عاصمة مملكته وما يمنحه من الجوائز المنشطة لتأليف الكتب في المواضيع الشرقية اشهرها الجائزة التي دفعها لمؤلف تاريخ العرب قبل الاسلام منذ بضع عشرة سنة

ان هذا الملك في السابعة والسبعين من عمره الآن وهو ابن اوسكار الاول بن برنادوتي المتقدم ذكره وتولى الملك بعد وفاة اخيه شارل الخامس عشر في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٢

وتزوج سنة ١٨٥٧ بالملكة صوفيا ابنة دوق وطام نساو • وله اربعة اولاد (١ البرنس غوستاف المولود سنة ١٨٥٨ وهو ولي العهد (٢) البرنس اوسكار برنادوتي المولود سنة ١٨٥٩ (٣) البرنس كارل المولود سنة ١٨٦١ (٤) البرنس اوجين المولود سنة ١٨٦٥ ولعائلة ملك اسوج راتب من الحكومة مقداره ١,٣٢١,٠٠٠ كرون او ٧٢,٧٤٢ جنيهاً من اسوج و ٤٨٧,٦١٢ كرون او ٢٦,٨٥٠ جنيهاً من نروج في السنة وللملك فضلاً عن ذلك راتب خاص مقداره ١٦,٥٢٠ جنيهاً

وهو طويل القامة جميل الطلعة اقنى الانف ازرق العينين اشقر الشعر ذو وقار وهيبة يحب السياحة ويهوى الموسيقى وهو دكتور في الفلسفة وله قريحة شعرية وقادة وفيه ذوق خاص لاكتساب اللغات وقد احرز منها ثماني لغات يحسن التكلم بها مع فصاحة اللهجة وقوة العارضة ويعرف ذلك فيه كل من سمعه يلقي الخطب في الجمعيات العلمية او المجالس السياسية • وله قلم سيال في التأليف والتصنيف وقد ألف كتباً كثيرة في التاريخ أهمها تاريخ حرب أسوج من سنة ١٧١١ — ١٧١٣ ويعلَّم في المدارس • ومنها سيرة « غوستافوس ادولفوس الملك الاسد » وسيرة شارل الثاني « عشر كوكب الشمال » وقد نشرتا في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية • والملك اوسكار كثير الاهتمام في مطالعة اداب اللغة الجرمانية وقد ترجم من اشعار غوتي الشاعر الالماني الشهير عدة اناشيد احسنها ترجمة « تركوانوناسو » وقد نشرت سنة ١٨٦١ وترجم ايضاً رواية السيد الشهيرة وأشعاراً من منظومات هوراس وبيرون ومور وفيكتور هوكو • ونظم في الاسوجية بلسانه قصائد كثيرة من جملتها اناشيد سماها « مفكرات الاسطول الاسوجي » نشرت سنة ١٨٥٧ وفيها قصائد من احسن نظمه • وله ايضاً كثير من الاغاني الجميلة نظم اكثرها بمشاركة ايفار هاستروم الموسيقي الشهير رفيقه في صباه • وقد نشر كثير من كتاباته النثرية في المجلات الانكليزية باللغة الانكليزية • اما منظوماته الشعرية فلم ينشر منها شيء في هذه اللغة لسموّ النظم مع اختلاف اللغتين في اساليب المجاز والشاعرية بحيث يفقد الشعر رونقه بالنقل • وقد سئل اللورد تنسون شاعر المملكة مرة ان ينقل بعض اشعار أوسكار الى الانكليزية فاعترف ان ذلك فوق طاقته • وللملك ولع شديد بالموسيقى وكان قبل ولاية العرش كثيراً ما يؤلف الاجواق للانشاد في سبيل المشروعات الخيرية

وهو مع ذلك شجاع مقدام تشهد له بذلك وقائع عديدة أظهر فيها من البسالة وعلو الهمة ما لا يزال يحدث به الناس • وقد نال على بعضها وسامات الشرف من صباه اهمها

وسام منحته اياه « جمعية الانسانية الفرنساوية » سنة ١٨٦٢ وهو لايزال يومئذ البرنس اوسكار » اعترافاً ببسالة ابداها في ايقاف فرسين جامحين في نيس انقذ بايقافهما ثلاثة انفس كانوا على شفا القتل لولاه

وللملك اوسكار منزلة رفيعة في قلوب رعاياه الاسوجيين فهم يعدونه اباً رؤوفاً لما يبديه من التلطف في معاملتهم لانه لايحتجب عن احد منهم وقد خصص يوم الثلاثاء بعد الظهر من كل اسبوع لاستقبال من يريد المثول بين يديه من رعاياه في استوكهولم • فلا يمنع احداً من مقابلته على شرط ان يقيد اسمه بين اسماء طالبي المقابلة قبل يوم الاستقبال بثلاثة ايام في دفتر معدّ لذلك • فترى الناس في ذلك اليوم يفدون على قصر الملك زرافات ووحداناً وفيهم الاغنياء والفقراء من ارباب المناصب والفلاحين وغيرهم وقد يكون بينهم بعض الغرباء يتخللون الازدحام رغبة في الفرجة • فاذا اقبل الزائرون على الملك تلطف في مقابلتهم وبش لهم واكرم وفادتهم على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم • وليس في الاسر المالكة في اوربا اسرة تبتعد عن الزخارف والابهة ابتعاد ملك اسوج واسرته • ومع شدّة احترام الرعية له فانهم لا يهابون من مجلسه ولا يخافون غضبه لانه لايغضب ولا تهمه مظاهر الرسميات ولا يريد ان يحترمه رعاياه خوفاً منه وانما يريد ان يحبوه من اجل حسناته ومحبته لهم — فلله دره من ملك فيلسوف

ويتناقل الاسوجيون عن ملكهم نوادر لطيفة تدلّ على حسن خلقه وتمثل حقيقة سجاياه لا بأس من ايراد بعضها : ذكروا انه خرج مرة لزيارة بلد على بضعة عشر ميلاً من غوتنبرج وكان لم يذهب اليها من زمن طويل فتقاطر اهل البلد وغيرهم لمشاهدة الملك حتى غصت الطرق والدروب بالجماهير وبينما هو مارّ في بعض الشوارع سمع امرأة تقول بأعلى صوتها « افسحوا لي طريقاً لاتقدم وأرى الملك . . . هل تريدون ان امشي طول هذه المسافة واتلف ثوبي الاسود الجميل عبثاً ؟ . أروني الملك كيف يكون . . اين هو ؟ » ثم ان تلك الامرأة اخترقت الجماهير ودنت من الملك فرأته كهلاً طويل القامة عليه ثوب كحلي اللون فبش لها وخاطبها بلطف واشار الى نفسه قائلاً « هذا هو الملك » ثم أدار ظهره ليريها قفاه وجانبيه وهي تنظر اليه وتتأمله فلما فرغت من ذلك صاحت « الحمد لله قد رأيت الملك بعد هذا التعب فقد قضيت عدة ساعات في انتظار هذه الفرجة في هذا الازدحام وقد خرقوا ثوبي الاسود واتلفوه فهل احتمل هذه الخسارة ولا أرى الملك ؟ »

وذكروا انه كان مسافراً ذات ليلة في السكة الحديدية فوقف القطار عند بلد صغير

فشاهد بالقرب من المحطة بناء مزداناً بالانوار والازهار احتفالاً بمروره وقد رسموا على واجهة البناء هذه العبارة بالانوار الكهربائية «مرحباً بجلالتكم» فسأل عن هذا البناء فقيل له انه السجن فتبسم وقال «لقد بالغوا بالتلطف والترحاب»

وكان ماراً ذات يوم في مدينة غوتنبرج لافتتاح خط حديدي جديد فقابله مكاتب جريدة دنماركية وطلب اليه ان يعطيه نسخة من الخطاب الذي سيلقيه في ذلك الافتتاح ليرسله الى ادارة الجريدة تلغرافياً لانه اذا انتظره حتى يلقي الخطاب ثم ينقله ضاعت الفرصة لان الجريدة تظهر في الصباح التالي . فاعتذر الملك بانه لم يدون خطابه وانما كان عازماً أن يتلوه ارتجالاً فيئس المكاتب وقال «ولكن الناس يهمهم ظهور هذا الخطاب في الجرائد ويهمني انا ايضاً ان احصل عليه وأكون اول من نشره» فلم يكن من الملك الاَّ انه وسع للرجل بلطف وهو يقول «حسناً ... تفضل الى مركبتي لاملي عليك ما انا عازم على تلاوته في الاحتفال» فجلس المكاتب واستملى وفاز بما أراد

وزار يوماً احدى مدارس البنات تنشيطاً للعلم والادب فعرضت رئيسة المدرسة الصفوف بين يديه وكان في جملة ما عرضته صف من البنات الصغيرات فسألتهن المعلمة بعض الاسئلة التاريخية والملك حاضر وكان في جملة الاسئلة «من هو اعظم ملوك اسوج» فاجابت احداهن «غوستافس ادلفوس» وصاحت الاخرى «شارل الثاني عشر» وتقدمت الثالثة وقالت «اوسكار الثاني» ارادت ان تتملق للملك . فتقدم اوسكار نحو الفتاة وسألها بلطف «ما هي الاعمال التي تدل على عظمته ؟» فاغلق على الفتاة ولم تدر بماذا تجيب وغلب عليها الحياء فاحمر وجهها وتساقطت دموعها وقالت «لا اعرف» فربَّت الملك على كتفها وبش لها وهو يقول «لا تبكي لكونك لا تعرفين اعماله العظيمة فانا ايضاً لا اعرفها»

ينهض الملك اوسكار نحو الساعة الثامنة صباحاً ويبدأ الاعمال الرسمية في الساعة العاشرة فيحضر المقابلات او يستعرض الجنود ويترأس المجالس او غير ذلك الى منتصف الساعة الثالثة فيذهب للطعام مع الملكة وطعامه بسيط . ثم يجول في شوارع ستوكهولم يتفرج بمرأى الاسواق او يخرج بمركبته للنزهة في بعض المتنزهات خارج المدينة ويعود في منتصف الساعة الخامسة الى قصره ويدخل مكتبهُ الخصوصي فينظر في ما ورد عليه من الرسائل الخصوصية في مواضيع مختلفة واكثرها من اهل العلم من اربعة اقطار المسكونة فيجيب على المهم منها وخصوصاً ما يتعلق بمصلحة اسكنديناڤيا وبينه وبين بعض العلماء مخابرات متواصلة فالدكتور هدين الرحالة الكبير في اواسط آسيا لا تنقطع المخابرات بينهُ وبين الملك

يشجعه فيها على مواصلة العمل · ولما وصل ذلك الرحالة الى با كين بعد انقطاع اخباره مدة طويلة عن العالم المتمدن وجد عدة رسائل تنتظره هناك من الملك اوسكار · وكذلك كان شأنه مع اندريا الرحالة صاحب المنطاد

فاذا ازفت الساعة السادسة ذهب الملك للعشاء مع اخصائه من العائلة المالكة على مائدة بسيطة · وبعد العشاء اما ان يعود الى مكتبه للمطالعة والمخابرة او يجلس مع الملكة لسماع الموسيقى او تلاوة بعض الكتب الملذة من الاشعار ونحوها او يتلو بعض قصائده على امرأته اذا طلبت منه ذلك

ومع كل ما تقدم من شهرة هذا الملك باللطف والدعة والحب المتبادل بينه و بين رعيته فقد اخفق في ارضاء رعاياه النروجيين وقضى معظم سني حكمه وهو يبحث عما يرضيهم و يسكن ما في نفوسهم فبذل جهده واجهد فكرته واستنزف الوسائل على اختلاف وجهاتها فخاب سعيه لان النروجيين كانوا يشعرون باثقال يحملونها على اعناقهم لا فرج لهم منها بغير الاستقلال · وكانوا ينتقدون على الملك صرف عنايته الى استوكهولم عاصمة اسوج واهماله كريستيانيا عاصمة نروج فلا يقيم فيها مطلقاً وكانوا يعدّون ذلك احتقاراً لهم والحقيقة ان ستوكهولم اجمل من كريستيانيا واجمع لاسباب الاجتماع والانشراح · وهم من الجهة الاخرى كانوا ينتحلون الاسباب للخروج من سيطرته حتى تأتى لهم ذلك على ما تقدم

الانسان والوجود

مَن مِن الناس للوجود اساء	وهو في الغيب يستسرُّ خفاء
ايّ ذنب جنوا عليه فصاروا	منذ حلُّوا في مهدهم أشقياء
يا ابن حواء انت اعجوبة الكو	نِ وسرٌّ قد أعجز الحكماء
عدَماً كنت لست تدرك شيئاً	صرتَ شيئاً لكي تسامَ بلاء
كنتَ لاشيء من اصارك شيئاً	ذا حيوةٍ حتى تذوق فناء
ثم تغدو في اللانهاية عبدَ النا	رِ تلقى منْ العذاب جزاء
وقليلٌ من يستحق خلوداً	في نعيم يميز الاصفياء

...

يا وجوداً على الانام تجنى	كيف تجزي كاثم ابرياء

الكتاتيب ام مدرسة كلية

فتح احمد افندي حافظ عوض احد محرري المؤيد الأغر بحثاً تجاولت فيه اقلام الكتاب على صفحات المؤيد موضوعه « اي انفع لمصلحة القطر المصري الحاضرة الكتاتيب وهي المدارس الصغيرة تنشأ في القرى ام مدرسة كلية عالية » وقد رجح المؤيد القول افضلية الكتاتيب « لانها اعمّ نفعاً واكفل لنشر العلم بين العامة وهم جمهور الامة فالكتاتيب مشروع حيوي اساسي يجب ترميمه قبل كل جزء من اجزاء البناء ومتى تم الاساس يقام البناء فوقه » وهو رأيٌ جدير بالاعتبار لصدوره من اكبر جريدة اسلامية في العالم هي اول من نبه الاذهان الى انشاء المدارس الاهلية منذ بضع سنين واستحثّ الامة على الاستقلال بتعليم ابنائها ولذلك احببنا ان نقول كلمة في هذا الموضوع من قبيل البحث لاعتقادنا ان التعليم اساس كل عمل تعمله الامة مادياً كان او أدبياً وان اول شيء يجب ان يلتفت اليه زعماء الامة ومحبو تقدمها انما هو تعليم ابنائها وتثقيف عقولهم وتربيتهم ثم هم لا يحتاجون الى وصي يدبر شؤونهم او مرشد يرشدهم في طريقهم لانهم يسيرون ونورهم معهم كما بينا ذلك في مقالة « علموهم واتركوهم » في الهلال الاول من السنة السابعة · وقد اشرنا في مكان آخر (الهلال ٩ سنة ٨) بانشاء مدرسة كلية عليا فتكون اكبر مساعد للوصول الى هذه الغاية

فنغتنم هذه الفرصة للعود الى الموضوع لان البحث فيه من اهم الابحاث العمرانية الوطنية · ويسرّنا نهوض رجال الامة وكبرائها وأعيانها لبذل المال في تعليم ابنائها وانه لا ينقصهم الا النظر في احسن الوسائل المؤدية الى ذلك · فحالما رأوا ارجحية القول بانشاء الكتاتيب عمدوا الى بذل المال في انشائها في جهات عديدة من القطر · وهي اريحية وسخاءٌ يوجبان لهم الثناء · وانشاء المدارس مفيد في كل حال والكتاتيب ضرورية للقرى والبلاد ولكننا لا نراها الزم للامة المصرية من انشاء كلية عالية على النمط الذي أشرنا اليه في غير هذا المكان · وفي اعتقادنا اننا في حاجة الى مدرسة كلية عليا اكثر منا الى كتاتيب صغرى ولبيان ذلك نقدم الكلام بتمهيد في نوع التعليم الذي نحن في حاجة اليه ثم نأتي بالادلة على افضلية الكلية

اذا كان المراد بالتعليم مجرد تلقي العلوم والاداب كالنحو والحساب والتاريخ والجغرافية والهندسة والطب والفقه وغيرها ففي مصر مدارس كثيرة قلما ينقصها شيءٌ من العلوم التي

تعلم في اشهر مدارس اوربا — ولكن ذلك ليس كل المراد بالتعليم • اذ لا يكفي ان نعلم ابناءنا تلك المقتبسات العلمية لمجرد العلم بالشيء بل يجب ان نثقف عقولهم ونهذب نفوسهم • يجب ان نعلمهم معنى الوطن وكيف يتحدون وكيف يجتمعون وان نعوّدهم الاستقلال بالرأي ونعلمهم الحرية الشخصية حتى يمتاز المتعلم منهم عن غير المتعلم • لانك اذا مررت بقهوة او محل جعة او ملعب ورأيت الناس فيه افواجاً ما استطعت التمييز بين المتعلمين منهم وغير المتعلمين كأن المدارس عندهم ليست الا لتلقي العلوم فاذا فرغوا منها جاز لهم الجلوس في المنتديات العمومية ومعاقرة الخمرة ونحوها • وقد ترى الاستاذ وتلميذه جالسين معاً يعاقران ويتمازحان على قارعة الطريق • فمثل هذه المدارس قد تثقف العقول ولكنها لا تهذب النفوس ولا ترقي الاخلاق والمرء انما يعامل الناس بخلقه لا بعقله وعلى خلقه يتوقف مستقبله اكثر مما على ذكائه وحدة ذهنه • فكم من شبان كانوا نوابغ عصرهم بالذكاء وفاقوا اقرانهم في الدروس ونالوا الجوائز في الامتحان فلما دخلوا العالم تغير مستقبلهم فلم يستطيعوا الى الارتزاق سبيلا الا من بعض ابوابه الضيقة ويغلب ان يكون السبب في ذلك سوء اخلاقهم او فساد مبادئهم

الاعتماد على النفس والاقدام والثبات قال صاحب «سر تقدم الانكليز» ان سر تقدمهم وقد حرض امته (فرنسا) على الاقتداء بالانكليز فما اجدرنا ان نقتدي بهم ونحن في حاجة الى هذه الفضائل وغيرها مما تهذب به النفوس وترتقي الاذواق وكيف يتيسر ذلك وهو لا يوجد بين الاوراق ولا في المحابر او شقوق الاقلام الا اظلالاً خفيفة • وانما هي تتجسم ويتضح شكلها الكامل في «القدوة» وليست القدوة بالامر الضعيف بل هي من اكبر عوامل الادبيات وبها ترتقي الشعوب وتتهذب الافراد • ولا تكاد تفحص سيرة رجل عظيم او امرأة فاضلة فحصاً تحليلياً الا رأيت للقدوة عملا عظيماً في اسباب ارتقائهما — يكفيك دليلاً على ذلك فائدة التاريخ فانه انما يعلم رجال اليوم الاقتداء برجال الامس • ولو بحثت في سير الساسة وكبار القواد لرأيتهم كثيري العناية في مطالعة سير الذين سبقوهم من عظماء الرجال كذلك كان يفعل معاوية بن ابي سفيان وابو جعفر المنصور وبونابرت ومحمد علي باشا وغيرهم

والقدوة بالمطالعة ليست شيئاً بالنظر الى القدوة بالمعاشرة وخصوصاً معاشرة التلامذة اساتذتهم وهم ينظرون اليهم نظرهم الى مثال كامل فيقلدونهم بحركاتهم وسكناتهم

فاذا كان الاستاذ فاسد الاخلاق او ضعيف المبادىء ساقط الهمة فسدت اخلاق التلامذة وساءت حالهم بل ساءت حال الامة بجملتها . واذا كان من اصحاب الآداب الصحيحة والهمة العالية نشأ التلامذة على تلك السجايا وكانوا قدوة حسنة لذويهم وأصدقائهم فيعلو شأن الامة وترتقي آدابها وينبغ فيها الكتاب ورجال الاعمال . وقد يكون الاستاذ الواحد علة في انتشال الامة من حضيض الخمول الى اعلى مدارج الارتقاء بما يغرسه في تلامذته من المبادىء الصحيحه وبثه في نفوسهم من روح الحرية والاستقلال بالرأي والاقدام وعلو الهمة والاعتماد على النفس وحب الوطن ولا يكفي في تعليمهم ذلك مجرد القول بل لا بد من ان يبدأ الاستاذ بنفسه ليقتدوا به وقد لا يرى ذلك الاستاذ حاجة الى القاء تلك المبادىء شفاها وفي سيره عليها اعظم مؤثر واكبر معلم

لم يكن الاستاذ الاكبر الدكتور فانديك رحمه الله فرداً بعلمه الواسع فربما كان من طبقته في العلم في سوريا غير واحد ولعل بعضهم كان اوسع منه علماً في بعض الفروع ولكنه كان فرداً باخلاقه كان قدوة لتلامذته بحرية الضمير وعلو الهمة وحسن الخلق والاعتماد على النفس والثبات فغرس في الجيلين الاخيرين من اهل الشام همة ونشاطاً كانا من جملة ما بعثهم على النهضة العربية الاخيرة هناك فنبغ منهم الكتاب والمؤلفون وانشئت الجمعيات والمدارس والمستشفيات والجرائد وغيرها

ولا كان المغفور له السيد جمال الدين الافغاني فرداً في علمه وفضله وبين معاصريه وسابقيه نخبة من فطاحل العلماء يشار اليهم بالبنان ولكن الابصار كانت شاخصة اليه والقلوب حائمة حوله فكان تلامذته ومريدوه يقلدونه في كل حركة او عمل او قول فأحدث في مصر نشأة جديدة فتسابق شبانها الى الخطابة والكتابة وتكاتفوا على انشاء الجمعيات واكبوا على المطالعة ونحو ذلك بما كان ينفثه فيهم عن طريق القدوة وهم لا يشعرون

فمن تلامذة الافغاني نخبة زعماء هذه النهضة بمصر واشهرهم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقد بينا ذلك في الهلال الماضي . كما كان زعماء النهضة السورية اكثرهم من تلامذة فانديك او مريديه او اصدقائه

فنحن في حاجة الى معلمين اكثر من حاجتنا الى مدارس . وانتقاء المعلمين امر ذو بال قلما يقدّره الناس قدره وخصوصاً في المدارس التي تنشأ على نفقة الحكومات لان اختيار المعلمين انما يجري فيها بطريقة ميكانيكية على رسوم معلومة شأن سائر مشروعات الحكومات بخلاف المشروعات التي يتولى شؤونها افراد من نوابغ الامة يجدون لذة في العمل وخصوصاً

المدارس فان المعلم الذي يشتغل بالتعليم لمجرد رغبته في التعيش ولا يجد لذة في هذه الصناعة لايكتسب منه التلميذ غيرمبادي العلم . واما اذا تولى التدريس رجالٌ يجدون في التعليم لذة وقد تربوا وتثقفوا على الفضائل التي ذكرناها فانهم يكونون قدوة لتلامذتهم ويكون هؤلاء التلامذة قدوة لسائر افراد الامة

فما هي الوسيلة الى معلمين من هذه الطبقة يكونون واسطة لبث مبادىء الاعتماد على النفس والاقدام والثبات في التلامذة فضلاً عن العلم والادب ؟ هل يتيسر ذلك من زيادة المدارس الصغرى ام هو منوط بانشاء المدارس الكبرى مع انتقاء اساتذة توفرت فيهم الفضائل المشار اليها وقد تعلموا كيف يعلمون . فالامة المصرية في حاجة الى المدارس الصغرى في القرى والبلاد الصغيرة ولكنها احوج الى مدرسة كبرى يخرجُ منها اساتذة يعرفون حاجة البلاد ويفقهون معنى العلم والتربية ويميزون بين تعليم العلوم وترقية النفوس فيتولون التعليم بالمدارس الصغرى في اطراف البلاد ويبثون في الاهالي الروح التي اقتبسوها من تلك المدرسة العليا

واذا نظرنا الى الامم الكبرى التي سبقتنا في معارج المدنية رأيناها وجهت عنايتها الى انشاء المدارس الكبرى وهي لا تزال في اول ادوار تمدنها . فالانكليز بدأوا بانشاء هذه المدارس وهم لا يزالون في العصور المظلمة فان جامعتي اكسفورد وكمبردج تأسستا في القرن الثالث عشر للميلاد . ويقال نحو ذلك في اكثر ممالك أوروبا وهذه كلية غوردون انشأها الانكليز في الخرطوم قبل انشاء المدارس الصغرى في انحاء السودان

وقد رأينا اكثر الذين خاضوا في هذا البحث سوّوا بين المراد بلفظي « الجامعة والكلية » او دلوا بالواحدة على الاخرى وبينهما فرق كبير لان المراد بالكلية ما يريده الافرنج بلفظ College وهي مدرسة عليا لتعليم اللغات ومبادىء العلوم على الاجمال فالطالب يتناول منها خلاصة العلم الطبيعي والرياضيات والادبيات وغيرها مما تقتضيه روح العصر الحاضر من التثقيف والتهذيب ويتعلم كيف يتوسع في مطالعة تلك العلوم اذا اراد التفرغ لها في اثناء اعماله اليومية . واما الجامعة فيراد بها معنى University عند الافرنج وهي عبارة عدة مدارس كبرى تعلم كل منها فرعاً من فروع العلم والصناعة مطوّلاً ففيها مدرسة للقضاء واخرى للهندسة واخرى للطب واخرى للاهوت او الزراعة او غيرها . فهي مجموع كليات ففي جامعة اوكسفورد بضع وعشرون مدرسة اكثرها كلية وفي كمبردج نحو ذلك العدد

فلا خلاف في حاجتنا الى زيادة نشر العلم بالمدارس الصغرى والكبرى . واما البحث هل نبدأ بالصغرى ام بالكبرى والذي نراه تقديم المدارس الكبرى فننشئ مدرسة كلية على الشرط الذي ذكرناه وهي اضمن لترقية شؤون الامة والله الموفق في كل حال

راس البر

يا مسرح الغزلان والخرد	ومرسح الابيض والاسود
يا مجمع الحسن بانواعه	ولست غير العلم المفرد
يا صاحب البحرين يا واقفاً	بينهما كي ترجع المعتدي
من ثابت في حلمه هادئ	وثائر من حمقه مزبد
يتيه اعجاباً على صنوه	وخلة الاعجاب طبع الردي
ان رام ان يصعد من كبره	لهذه الانجم لم يصعد
على اخيه حقده ظاهر	وكل صافي القلب لم يحقد
هاج يريد البطش غدراً به	وبات فيه ضارب الموعد
حتى اذا اومأت عن إمرة	تصالحا بعد الرضا باليد
وضمّ كلٌّ صنوهُ ضمةً	كضمة الاصيد الاصيد
وبات كالهائم ذا صبوة	كصبوة الفرقد بالفرقد
ان جاد بالفضة هذا له	فذاك قبلاً جاد بالعسجد
وان يهب اجسامنا قوّة	بملحه فالعذب يروي الصدي
يا حاكماً اصبح من عدله	مساويَ السادة بالاعبد
ان السري ينعم في كوخه	عن قصره من عيشك الارغد
لأنت نادٍ لضروب الصفا	كم مصدر فيه وكم مورد
لا يشغل المرء به شاغل	وفي سوى الايناس لم يسهد
ولبسه المنسوج من رقة	فلم يكن غير الصبا يرتدي
يسير في ساحاته حافياً	كانه في رحب المسجد
وان يجيء ذاك الاصيل الذي	يشرحنا من وقته الاسعد
اذن ترى الجنسين في مشهدٍ	تجله في الشكل عن مشهد

صحة العائلة

هل نذبح لنأكل ؟ — كلا

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي

(الهلال) ذكرنا في اماكن كثيرة من الهلال اختلاف آراء الاطباء في الغذاء عما كانت عليه من قبل وانهم يشددون النكير على المآكل اللحمية وقد بحثوا في اضرارها واشاروا بالاقتصار على الاطعمة النباتية او بان تكون الاطعمة اكثرها من النبات . وقد عني بدرس هذا الموضوع على الخصوص حضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني وقد عرف القراء اهتمامه في الابحاث الصحية مما قرأوه بقلمه في الاهلة الماضية . فاحب ان يتحف قراء الهلال بخلاصة ما وصل اليه الباحثون في هذا الشأن ممن يقولون بالاقتصار على الاطعمة النباتية . والموضوع هام يستدعي الانتباه واعمال الفكر لانه يتعلق بصحة الانسان وهي أساس سعادته في حياته فنستلفت انظار القراء الى مطالعتها والنظر فيها قال لحضرته :

اقسام الموضوع

من مميزات التقدم العقلي في عصرنا الحاضر اللذة المتزايدة في درس الطبيعة ونواميسها وطرقها والميل الى نسبة قسم عظيم من الشرور الطبيعية والعقلية والادبية التي تنتاب الانسان المتمدن الى الاحوال الاصطناعية التي جاء بها التمدن الحاضر الذي مع منافعه العديدة وبركاته العظمى يعدُّ مزيجاً من الخير والشر كما يظهر من انحطاط الجنس البشري فيه طبيعياً وأدبياً . اما أسباب ذلك الانحطاط فهي ابتعاد الانسان عن العادات البسيطة التي فطر عليها واستبدالها بما يعود عليهِ بالضرر ولا سيما « اكل اللحوم » فنبحث في ذلك بحثاً ملخصاً عما كتبهُ الدكتور كالوك الاميركي الشهير وأساس كلامنا « ما هو طعام الانسان الطبيعي اللحوم او النباتات وهي محصولات الارض الطبيعية » وتوصلاً للحقيقة نقسم الكلام الى سبعة اقسام عظمى (١) الادلة التاريخية (٢) النظر الى طعام الانسان الطبيعي من وجه علمي (٣) الادلة الفسيولوجية (٤) الامراض الحادثة عن اكل اللحوم (٥) شهادة الاختبار في البشرية (٦) شهادات العلماء والعظماء (٧) الطعام والفلسفة الادبية

قال الدكتور كالوك « بعد درس هذا الموضوع درساً طويلاً اقدم للجمهور ملخص

حقايق وملاحظات جمعها بعد اختبار خمس وثلاثين سنة تقريباً اختباراً شخصياً ولا سيما في الخمس والعشرين سنة الاخيرة حيث كانت أحوالي أكثر موافقة لدرس عادات الطعام وعلاقاتها بالصحة والمرض » وبما انه يخاطب العموم والموضوع علمي فقد تجنب ما يتعب عقل القارىء من التطويل واقتصر على حقائق بسيطة مجردة عن زخارف الكلام مسلماً نفسه لقوة الحق البسيط لمعرفته معرفة تامة • ومع ان الجهاد في امر يخالف العادات الشائعة لا يخلو من المشقة والخطر فهو يشعر بان اقواله مبنية على أساس ثابت كما قال السيرجون هارشل «مع انه يخالف اختبار الانسان في كل مكان وزمان» وجعل الدكتور كالوك موضع بحثه « هل نذبح لنأكل ؟ » وأجاب على هذا السؤال جواباً سلبياً مستنداً بذلك على ما سيأتي من الادلة السبعة التي مرَّ ذكرها فنبحث في كل منها على حدة فنقول :

١ – الادلة التاريخية

ان الامتناع عن اكل اللحوم والاقتصار على اكل الخضر والبقول من التعاليم القديمة التي جرى عليها القسم الاعظم من العائلة البشرية • يشهد بذلك بقاء ملايين من البوذيين في الهند والصين واليابان لا يذوقون لحماً على الاطلاق منذ نيف وثلاثة الاف سنة ولا يزالون الى الآن • غير ان الاهتمام بالطعام قد ازداد كثيراً في عصرنا الحاضر ولم يعد النظر فيه محصوراً بالاطباء فقط ولا اقتصر البحث فيه على العلماء فقد تناوله الجمهور واختبره ألوف من البشر بتجارب عديدة كلفتهم أعز ما لديهم فتأكدوا صدق المثل الالماني القائل « الانسان ما يأكله » • وقد نبغ منذ بدء التاريخ جماعة يقولون بوجوب الاقتصار على اكل الخضر والبقول والاثمار ونحوها ويقبحون اكل اللحوم ويذكرون نتائجها الطبيعية والادبيـة حتى أصبح اكلة اللحوم لا يتجاوزون خمس او ربع اكلة النباتات والبقول

(العصر الذهبي) ذكر هسيود قبل المسيح بثمانية قرون العصر الذهبي الذي لم يكن فيه اكل اللحوم معروفاً فقال « ان الاطعمة الطبيعية حينئذ كانت سبباً لتمتع البشر باعظم حالات السعادة والهناء » وكما قال الشاعر « كانوا كالهة عائشين بالهـدو والراحة لا يعرفون اتعاب ايامنا ولا احزانها ولم تغير السنون اجسامهم »

(فلسفة فيثاغورس) وكذلك فيثاغورس في القرن الخامس قبل المسيح فانه كان اكثر دفاعاً عن الاطعمة الطبيعية ممن تقدمه واثباتاً لمعتقده في تأثيرها على اخلاق الانسان

واصلاح ادابه اختبر ذلك بالحيوان فأخذ دباً كبيراً مخيفاً وغذاه بالاطعمة النباتية مدة فصار حيواناً وديعاً • ويجد القارىء في ما قاله الشاعر اللاتيني أوفيد ايضاحاً جلياً لمقاصد فيثاغورس والادلة التي جاء بها حيث قال يخاطب الانسان « من اين لك هذه الشهوة للدم والاطعمة المحرمة ؟ تعلم مني اجتناب تلك الملذات المريعة وانتبه لوصاياي التي اكتسبتها بالاختبار • لما تأكل الحيوان المسكين تذكر انك تأكل عامل حقلك • ان العادات الباطلة تصير بالتدريج سجايا باطلة ثم تتحول الى رذائل • تأمل العجل المطروح تحت السكين وهو ينظر الى الجزار بقلب كئيب يلتمس حياته • ولا يألو الحمل الوديع جهداً قبل موته في بذل الوسائط الممكنة يستغيث بك وهو يقلد صراخ اولادك • دع ثيرانك للفلاحة حتى اذا ماتت تنسب موتها للطبيعة لا لك • دع الماعز تعطيك لبنها طعاماً وخذ من الضأن صوفها لتدفئة جانبيك في الايام الباردة • لا تتخذ شبكة او فخاً ولا تتفنن في طرق الهلاك • دع الطيور حرة مطلقة على الارض كما هي في الهواء ولا تخوف كلابك الظباء • لا تجعل مع الطعم صنارة للاسماك ولا تأخذ الحياة التي لا تقدر ان تعطيها • اقتل الحشرات المضرة التي تخطىء اذا ابقيتها — هذا هو الحق الوحيد المعطى لك : غذ الحياة بطعام نباتي واحترس ان تذوق الدم النجس »

(مدينة سقراط الصحية) قال افلاطون في محاورته المدعوة (الجمهورية) التي كتبها في القرن الرابع قبل المسيح بلسان سقراط « ان المدينة الصحية هي التي يغتذي اهلها بالاثمار والبقول والحبوب فقط ولا يأكلون لحماً • لان أناساً بمدينة غير التي ذكرت لا يكتفون بطريقة المعيشة المذكورة فهم يحتاجون الى الموائد والاثاث والاطعمة فضلاً عن قطعان الخنازير وكثير من الماشية للطعام فتضيق تلك المدينة باهلها فيضطرون للتعدي على املاك مجاوريهم ويقابلهم أولئك بالمثل اذا كثرت احتياجاتهم وجدُّوا في اكتساب الغنى الذي لا حدّ له وحينئذ لا بد من اشهار الحرب وهناك الخراب والدمار »

فكأن سقراط ينسب الحروب والامراض وكل البلايا والمحن والشرور التي تصيب الانسان لاكله اللحوم • واذا دقق الباحث نظره في الاصحاح التاسع من سفر التكوين من الكتاب المقدس يجد مبدأ سقراط ممثلاً فيه اذ يبين ان الاعدام لمجرد اللذة ومسرة الفطرة الفاسدة غير الطبيعية يأتي بمصائب عديدة متنوعة • وليس ازدياد الامراض والاوجاع وكثرة الحروب وسفك الدماء وكل اهوال المذابح البشرية الا نتيجة التعدي على حياة الآخرين لطعامنا

(سنكا الفيلسوف) قال سنكا الذي عاصر الرسول بولس ومات سنة ٦٥ بعد المسيح من ظلم نيرون « ان النباتات طعام كاف للمعدة التي تطرح اليها الاطعمة الثمينة » فما نطق به ذلك الفيلسوف الحكيم يناسب ايامنا الحاضرة كما ناسب العصر الذي قيل فيه • لم يكن حينئذ حاجة الى الوف الاطباء ولا للآلات الجراحية العديدة او لاصناف العقاقير الطبية التي لا يحصي عددها ولا للقناطير المقنطرة من الاموال التي تطلبها مصلحة الصحة اما الآن فالاطعمة العديدة المؤلفة من اللحوم تحدث امراضاً متنوعة • اعتبر الحيوانات الكثيرة العدد التي تبتلعها المعدة ولا تعجب اذا تنوعت الامراض • عدّ الطهاة فيزول اعجابك حالا بكثرة امراض الجسم البشري

(خطاب بلوطارخس ضد اكل اللحوم) كان بلوطارخس من اعظم المجاهدين في سبيل الدفاع عن الاطعمة النباتية وقد كتب في اكل اللحوم كتاباً نلخص عنه ما يأتي : « خف سوء الهضم بعد اكل اللحوم لانها تلبك المعدة • اولى لك ان لا تعوّد نفسك اكل اللحوم على الاطلاق لان الارض ملآنة بما يلزم لغذائك وملذاتك • كلّ انواع الحيوانات السفلى باجناسها تقتات بنوع من الطعام مناسب لطبيعتها فبعضها يأكل الاعشاب والبعض الاخر الجذور او الاثمار فلا يتعدى واحد منها على غذاء الاخر اما الانسان فلكثرة مطامعه يتخذ الكل له طعاماً ولا يشبع الا بعد ان يختبر كل شيء ويذوق كل شيء كأنه يبحث عن انسب طعام لطبيعته فهو الوحيد بين الحيوانات في ذلك — يأكل لحماً ليس من قبل الحاجة والاضطرار بل لانه يجد نفسه حرّاً باختيار ما يريد من الاعشاب والاثمار التي لا ينفد قسم كبير منها بل من قبيل التلذذ والتنعم ولكنه يسعى وراء طعام دنس غير مناسب لطبيعته • يذبح المخلوقات الحية فهو اكثر قساوة وشراسة من اعظم وحوش البرية المفترسة • الدم واللحم يغذيان الحدأة والذئب والحية ولكنهما للانسان طعام زائد • تسألونني على اي اساس استند فيثاغورس باجتنابه اكل اللحوم اما انا فاسألكم باندهال وتعجب — كيف كان احساس الانسان الاول الذي دنس فمه بالدم المتجمد وسمح لشفتيه بان تمسا لحوم الحيوانات بعد قتلها وقد عرض على مائدته اجسادها المائتة واتخذ منها لنفسه طعاماً يومياً • كيف قدرت عيناه ان ترى اعضاءها المتناثرة المفككة كيف استطاع ان يحتمل روائحها الكريهة • ما اقسى الانسان الذي تشتهي نفسهُ لحوم الثيران الصارخة بين يديه والذي يطيع شرائع وقوانين مختلفة لكيفية طبخها • كان الاجدر بمن وضع هذا المثال الوحشي ان يعدم من بين الاحياء • لماذا تفتري على الارض

فتدعي انها غير قادرة على اعالتك وتقاوم ارادة الالهة سيرس وتلعن عطايا باخوس الحلوة الناضجة كأن ليس منها كفاية . تدعو الاسد والنمر والافعى حيوانات مفترسة وانت تقفو آثارها بكل انواع القساوة والظلم . هي تقتل لتحيا اما انت فالقتل لك لذة باطلة واثم لا يغفر . لماذا لا تقتل الاسد والذئب دفاعاً عن نفسك وتأكلهما بل تتركهما وشأنهما وتصطاد الحيوانات الاليفة الوديعة وتقتلها ولا نصير لها ولا عندها وسلاح تستعمله للدفاع عن انفسها ولم توجدها الطبيعة الا لجمالها . يالتعاسة الانسان وعظم شره وشراسته . ما ارعب منظر موائد الاغنياء يزخرفها الجزارون والطهاة والفضلات التي تبقى بعد اكل الطعام اكثر مما أكل . يقول بعضهم ان الطبيعة خوّلت الانسان السلطة على الحيوانات ولكن قولهم مردود لان الانسان ليس بالطبع من اكلة اللحوم اذ يظهر من تركيب اعضائه انه لا يشابه الحيوانات التي تقتات باللحوم فليس لهُ مناسر ولا مخالب وليس لمعدته قوة عظيمة للهضم ولا في دمه حرارة تساعدهُ على مضغ المواد اللحمية الخشنة القاسية وهضمها بل بالعكس تدل نعومة اسنانه وصغر فمه وليونة لسانه وترتيب اعضاء الهضم فيه بان الطبيعة تحظر عليه اكل اللحوم . ان كنت مع ما تقدم لا تزال تعتقد بانك خلقت لطعام كهذا فاقتل انت لنفسك ما تريده بسلاحك الطبيعي من دون ان تستعين بسكين الجزار وافعل كما يفعل الذئب والاسد والدب . اقتل الثور بمخالبك والخنزير باسنانك والحمل والارنب بالوثوب عليهما ثم اجلس وكل على مهل . وان كنت تريد انتظار حياتها منها لنا كلها ولا يسرك ان تمزق قلب فريستك او سفك دمها فاسالك امام الطبيعة لماذا تاكل الحيوانات التي لها حياة بها تحس وتشعر بل اعظم من ذلك انك لا تاكلها كما تاخذها من المجزرة بل تسلقها وتحمرها وتحولها بالنار والتوابل الى تراكيب مختلفة فتغير الحيوان الذي قتلته وتخفي شكله بالوف من الاعشاب والتوابل لتغش ذوقك الطبيعي ليقبل طعاماً غير طبيعي »

وبورفيريوس اليوناني فيلسوف القرنين الثالث والرابع بعد المسيح يقدف جهاراً بتاثير الاطعمة في صفات الانسان قال « ايقدر آكل اللحوم ان يقول بان الوصول الى طعام لذيذ من اللحوم اسهل منه الى طعام نباتي خفيف او انه اقل اغراء للتمتع بالملذات والشهوات ؟ . كلا . فاذا لم يكن باستطاعة احد من الاطباء او ذوي العقول والادراك ان يجب بالايجاب فلماذا اذاً نضر انفسنا بطعام خشن ولماذا لم نطرح كل اثقال الشهوات واشراكها . ان السكيرين والقتلة والظالمين والسارقين ليسو ممن يقتاتون بالاطعمة النباتية

بل من اكلة اللحوم . لوازم الحياة قليلة والوصول اليها سهل بدون التعدي على العدالة والحرية والسلام »

✻ المسيحيون القدماء ✻ ان ترتوليانوس في القرن الثاني واكليمندوس الاسكندري الذي توفي في القرن الثالث وغيرهما عدد ليس بقليل من ابناء الكنيسة دافعوا بغيرة وقادة عن الطعام البسيط الطبيعي الذي لا يقتضي سفك دم . قال اكليمندوس « الا توجد انواع كثيرة من الاطعمة يمكن الحصول عليها بالراحة والهناء كالخضر والجذور والزيتون والاعشاب واللبن والجبن والاثمار وكل انواع الاطعمة الناشفة ؟ » وقال كريسوستم الانطاكي في القسم الاخير من القرن الرابع « ان اكل اللحوم غير طبيعي ومن مصدر شيطاني أدخله النغول الذين لفساد طبيعتهم لم يكونوا يسرون بالغذاء النقي الذي لا عيب فيه بل كانوا دائماً متعطشين لسفك الدم ولذلك فهو مفسد كالوثنيين وذبائحهم وولائمهم واعيادهم النجسة اذ يصير الانسان به شريكاً للابالسة »

✻ بوذا مصلح للطعام ✻ كتب ياباني بوذي منذ سنتين في تعاليم البوذيين من حيثية الامتناع عن اكل اللحوم قال « كتب بوذا قبل العصر المسيحي بسنين كثيرة ضد الذبائح الحيوانية التي كان يقدمها اتباع الديانة البرهمية وعلّم بقداسة الحياة على اساس الاعتقاد بان الله يسكن في كل مخلوق حي ذي شعور وجاء في احد الكتب البوذية المقدسة ما نصه « يا اولاد بوذا لا تاكلوا طعاماً من اللحوم مهما كان جنسه لان اكله يقتل الحنو الديني وكل المخلوقات الحية متى نظرتكم تاكلون لحماً تبتعد عنكم وتنظر اليكم باحتقار » ولهذه الاسباب لا يؤذن للبوذية قطعياً ان ياكلوا لحماً . اما الاطعمة النباتية فيدعونها « شوزن مونو » ومعناه حرفياً الطعام الذي ينمي الحياة الروحية ولذلك فالذين يسعون بشوق عظيم للاستنارة الروحية يجب ان يمتنعوا عن اكل انواع اللحوم ورب سائل يقول لماذا لا يقدر من يأكل لحماً ان يصل للاستنارة الروحية او يحصل على الغرض الذي يسعى لاجله البوذيون فجواباً لذلك يقولون ان احكم الاكتشافات والاختبارات قد اثبتت بان اللحوم تقتل الاشواق الروحية وتهيج الافكار الشريرة وتقود للاثام والمعاصي فاذا كنا نأكل لحماً نكون بالضرورة قتلة بعض المخلوقات ونحن نعتقد بان سلب حياة تلك المخلوقات بدون شفقة لمن اعظم الخطايا . اما الاستنارة الروحية فهي حالة الابتعاد عن كل الخطايا والافكار الباطلة ومن هذا يظهر وجوب اجتناب اكل اللحوم لمن يشاء الوصول الى ذلك النور الالهي . هذه هي الاسباب التي يقدمها المعلمون البوذيون لعدم اكل اللحوم والالتجاء

الى الخضر والبقول · كانت بلاد اليابان تقتات بالخضر والاثمار فجاءها بعض الفقراء الصينيين فاستوطنوا فيها ثم اخذوا يصطادون الحيوانات البرية ويقتلون الطيور الاليفة ويأكلونها فاضطر اليابانيون المتعبدون لبوذا نظرًا لما رأوا من اعمالهم الوحشية ان لا يساكنوهم ودعوهم «ايتا» اي اناس مملوؤن اقذارًا او النسل القذر · ولم يكن يسمح لهم بالتزوج من الوطنيين او بمخالطتهم بشيء · اذاع البوذيون تعاليم بوذا من ٢,٥٠٠ سنة وهم الآن يعدون بالملايين ويقطنون الهند وبرما وسيام والعجم والصين واليابان فلا ينقص عددهم عن اربعمائة مليون · وجاء في بعض التعاليم البوذية بشأن اكل اللحوم ما يأتي مترجمًا عن اللسان الهندي القديم منقولاً عن كتاب طبع في الهند الشرقية موضوعة الاديان الشرقية «الطاهي الحاذق من لا يستعمل ادوات مطبخه للحوم · على الانسان ان يقتات بمحصولات الارض · لا تقتل بقرة · لا تقتل شاةً او عنزًا · لا تقتل طيرًا او انسانًا · دافع عن الحيوانات · ايها المطهرات الحافظ الاطعمة النباتية · المملكة النباتية تعول الانسان الحكيم · نار جهنم والتوبة معدان حقًا للذين لملذاتهم وشهواتهم يؤلمون الحيوان الاعجم» قال الجنرال بيشما قائد الكوروس للامبراطور بودهشتير «ان عدم الذبح هو اعظم فضيلة ونقشف وحق ذهبي منه تنمو جرثومة الدين» وترى كهنة بوذا جائلين على الدوام في الصين والهند وبعض المدن الشرقية يذيعون الكتب ضد اكل اللحوم ويعلمون الناس المحافظة على الرأفة بالحيوانات»

الاقتصار على الخضار ظهر مما تقدم ان الاقتصار على اكل الخضر ليس حديث العهد وقد حرَّم صلاَّح القوم وعظماؤهم في كل العصور اكل اللحوم فكيف لا نعجب الآن اذ نرى مع وجودنا في عصر المعرفة والعلم عصر الشفقة والرأفة عصر الاتفاق والاتحاد لمعاملة الحيوانات بالرفق العصر الذي به ادرك الانسان المتمدن اكثر مما ادركه بالعصور السالفة اقله بالاقتناع ان لم يكن بالعمل لمنع المجازر وذبح الحيوان الاعجم الذي لا نصير له وانتشار اكل اللحوم في كل مكان وزمان ولا سيما بين الذين يدعون انفسهم متمدنين متهذبين واتقياء متعبدين · لا شك باننا جميعًا ولدنا بذوق بسيط فيحتاج الولد الى مدة طويلة ليتعلم اكل اللحوم وابتلاع الحيوانات اذ يصعب اماتة الغريزيات الطبيعية وكثيرًا ما تبقى الى حين البلوغ · ولكنه يتعلم بسهولة اكل النباتات والبقول لانه يشعر كثيرًا بالشفقة على الحيوان · حدث قسيس انكليزي قال انه زار بيت فلاح في الارياف كان قد زاره قبلاً ولما رآه الاولاد ركضوا جميعهم لاخفاء الفراخ صارخين باعلى اصواتهم

« اركضوا اركضوا ها قد جاء الرجل الذي اكل اباكم »

المشاهير والعظماء المدافعون عن اكل الخضر من جملة المدافعين عن اكل الخضر مشاهير الشعراء والاطباء فان عدداً منهم ليس بقليل دافع في القرنين الاخيرين بغيرة وقادة وقال بوجوب الاقتصار على اكل الخضر - فشلي وكراي وبوب وطمسن وملتن ولامارتين ومئات مثلهم كانوا في مقدمتهم . قال ملتن يصف الطعام المناسب للشعراء « دعهم يعيشون كما عاش فيثاغورس بكل بساطة لتكن الاعشاب طعاماً لهم بدون سفك دم ويشرق شرابهم باقداح من الزان ولتكن خمورهم الهادئة الباردة من الينبوع البلوري . لتنتهي صبوتهم بطهارة باخلاق نقية غير ملطخة بالاثام » وقال السير هنري طمسن وهو اعظم من كتب في الطعام « لا يوجد شيء مغذ كنتاج المملكة النباتية فان فيها الغذاء لأقوى معدة لا يمكن وجوده في اللحوم فالفاصولية اسهل هضماً من كمية مثلها من اللحوم ويرى الآكل نفسه خفيفاً بعد الطعام النباتي واقل تعباً مما لو اكل لحماً . كل عناصر الطعام موجودة في المملكة النباتية ويمكن الحصول عليها مباشرة واكل الخضر دائماً تراه لطيفاً بسيطاً يتخلص منه كما هو ضروري لنمو الجسم وتغذيته وتوليد الحرارة والقوة على شرط انتقاء ما احتوى منها على العناصر اللازمة الجوهرية » ان السر بنيامين رتشردسن من اشهر اطباء الانكليز صار قبل وفاته بسنين عديدة من اكلة النباتات وكذلك الدكتور ال طبيب عالم انكليزي والاستاذ نيوتن من كلية لزن المشهور بعلومه كان رئيس جمعية النباتيين في انكلترا . ورتشارد واكنر العالم الموسيقي كان في سنية الاخيرة من النباتيين وبنيامين فرنكلن انضم اليهم وهو في السادسة عشرة من العمر قال « لما بلغت السادسة عشرة عثرت على كتاب لمستر ترايز يصف فيه اكل الخضر وبعد قراءته عزمت ان اسير بموجبه لكن اخي ورفاقه كانوا يهزأون بي كثيراً لامتناعي عن اكل اللحم فتعلمت طريقة شربون في تحضير الطعام ثم طلبت من اخي ان يعطيني كل اسبوع نصف ما كان ينفقه على طعامي وانا ادبر الطعام لنفسي فقبل وحينئذ وجدت اني قادر على توفير نصف تلك القيمة فاشتريت بها كتباً ثم استعملت الوقت الذي وفرته للدرس والمطالعة فنجحت كثيراً لان افكاري كانت رائقة فكنت افهم حالاً ما اقرأه لان رواق الفكر وسرعة الفهم امران يصحبان الاعتدال في الطعام » وهكذا كثيرون من العلماء الاعلام وشهيرات النساء الفاضلات كانوا من آكلي الخضر وجميعهم درسوا فلسفة الطعام درساً طويلاً مقروناً بالامتحان والتجربة وجاهروا بافضلية الطعام النباتي على الحيواني بغيرة وقادة وحرارة عظيمة

كاين في هذا الموضوع صار من أ كلة الخضر وهو الذي أسس الجمعية العاملة لاكل الخضر في منتصف القرن الماضي . وهذا علم مبادئه لمستر متكلفي الذي ذهب الى اميركا سنة ۱۸۱۷ واستوطن فيلادلفيا مع اكثر من اربعين من رفاقه وجعلوا النقطة الاولى المهمة في معتقداتهم الدينية الاقتصار على اكل الخضر . وفي ١٨٤٧ تأسست جمعية اكل الخضر في بريطانيا العظمى وبعدها بثلاث سنوات تأسست الجمعية الاميركية لذلك الغرض واطلع سلفستر كراهم على مبادئ تلك الجمعية من المستر متكلفي فنشر كتاباً سنة ۱۸۳۹ عنوانه « خطب في علم حياة الانسان » ضمنه الافصاح عن جلية مبادئ اكل الخضر والبقول وقد كان له تاثير عظيم . ثم تالفت حديثاً جمعيات كثيرة في المانيا وانكلترا وفرنسا وخلافها من البلدان الاوربية وبعض مدن اميركا واقيمت مدارس عديدة لنشر التعليم باكل الاطعمة النقية الطبيعية التي لا يحتاج فيها الى سفك دم . وهي آخذة بالتقدم والنمو بين كثيرين من العظماء في البلدان المتمدنة ثم انشئت جرائد كثيرة ومجلات عديدة بالانكليزية والافرنسية لهذا الغرض . والظاهر ان حركة عظيمة تزداد سنوياً فيما يختص بالطعام الطبيعي وقد اقيمت فنادق عديدة في لندن وبرلين ومدن اخرى اوربية واميركية لا تطعم فيها اللحوم على الاطلاق ويأكل فيها كثيرون من الناس يومياً

اصل الحياة

اكتشاف جديد

تقسم الكائنات على اختلاف اشكالها وطبائعها الى عالمين عالم الجماد وعالم الحياة ويقسم هذا الى مملكتي النبات والحيوان . على ان الكائنات مهما تنوعت اشكالها واختلف خصائصها ترجع في تحليلها الى المادة والقوة اي انها مركبة من بعض العناصر الكيماوية تنتقل من حال الى حال بالتحليل والتركيب بواسطة القوى الطبيعية (الحرارة والنور والكهربائية)

ولكن عالم الحياة يمتاز عن عالم الجماد باصل مستقل هو « الحياة » على ان بعض العلماء الطبيعيين وهم الماديون حاولوا ردّ هذا الاصل الى القوة — يريدون ان الحياة ظاهرة من ظواهر القوة فهي عندهم احدى القوى الطبيعية . واقوى ادلتهم على وحدة الحياة والقوى تحوّل احداها الى الاخرى حسب الظاهر . ويترتب على قول الماديين بتلك الوحدة ان الحي يتولد من غير الحي وقد اسندوا زعمهم هذا الى ما كان يظهر

لهم من تولد البكتيريا في بعض المستنقعات وتولد الديدان من نفسها في المواد الفاسدة • ولكن العلم اثبت فساد هذا القول وبرهن ان البكتيريا والديدان تتولدان من جراثيم او بيوض صغيرة كما تتولد سائر الاحياء الكبيرة وانها لا تتولد الاَّ من جراثيم حيوية وبالنتيجة ان الحي لا يتولد من غير الحي

واول من وجه الانظار الى فساد التولد الذاتي فرنسيسكو ريدي طبيب الغراندوق فرديناند الثاني في توسكانا وكان عضواً عاملاً في اكاذيمية سيمنتو اشتهر سنة ١٦٦٨ بابحاثه عن تولد الدود في اللحوم الفاسدة فكان الناس يزعمون ان الدود يتولد في اللحوم من تلقاء نفسه فما زال يبحث ويجرب حتى برهن انه يتولد من جراثيم حية يضعها الذباب في اللحوم الفاسدة فتعيش وتظهر دوداً وقد ضافره في رايه هذا اكثر معاصريه • فلما ظهر الميكروسكوب تمكنوا به من رؤية كثير من الجراثيم التي لم تكن تظهر للعين المجردة فأيدوا القول بفساد التولد الذاتي • ولكنهم من الجهة الثانيـة اكتشفوا احياء أخرى دقيقة للغاية هي البكتيريا فعادوا الى القول بالتولد الذاتي زعماً منهم بان هذه الاحياء تتولد من نفسها في المستنقعات الآلية وسموها لذلك Infusoria (النقاعية) ولم يكد يشيع امر هذه الاحياء حتى انقسم العلماء الى حزبين كبيرين احدهما يقول بالتولد الذاتي والآخر يقول بفساده • واشهر زعماء الحزب الاول بوفون ونيدمان واشهر زعماء الحزب الآخر الاب لازارو سبالانزاني فانه اثبت سنة ١٧٧٧ بالبراهين الحسية والادلة العملية ان تلك الاحياء لا تتولد الا من جراثيم حية • وظهر بعده شولز وشوان وأيدا رأيه وأوضحاه بين سنة ١٨٣٦ و ١٨٣٧ وجاء بعدهما هلمولتز سنة ١٨٤٣ وشرودر سنة ١٨٥٤ وزادا البحث ايضاحاً وتأييداً حتى رسخ في الاذهان ان التولد الذاتي مذهب فاسد ولكن في السنة التالية ظهر العلامة بوشيه مدير متحف التـاريخ الطبيعي في روان وقام لمقاومة ما ذهب اليه شولز وشوان وادعى صحة التولد الذاتي وبذل من الجهـد والبحث والعناية ما ليس بعده غاية وسمي مذهبه هذا هيتروجيني (التولد الذاتي) ولم يكد هـذا المذهب ينتشر ويذيع حتى ظهر العلامة باستور بابحاثه البكتـيريولوجية وافسده بالادلة القاطعة وقام تندل بانكلترا وكان من اكبر المنتصرين له

والانسجة الحية على اختلاف اشكالها ووظائفها مؤلفة من كريات دقيقة جداً فيها مادة جلاتينية شفافة لا لون لها تركيبها يشبه تركيب الزلال تسمى « البروتوبلاسم » ويراد بها مادة الحياة الاصلية وفيها يستقر مبدأ الحياة ولها سائر الخواص الحيوية من التغذية

والحركة والتناسل والدثور ومن تألفها بعضها مع بعض تتولد الانسجة الحية وعلى خواصها تتوقف الخواص الحيوية كما تتوقف خواص المركبات الجمادية على خصائص جواهرها

على ان هذه الكريات الحية قد توجد منفردة على هيئة حيوينات دقيقة . وأبسط انواعها يقال له مونيرا وهي كريات جلاتينية مؤلفة من غلاف فيه مادة زلالية شفافة ليس لها اعضاء منفردة ولها كل خصائص الحياة الرئيسية . فهي تمتص غذاءها من السوائل التي تسبح فيها وتتناسل بالانقسام . فالمونيرا ابسط انواع الحيوان وهي الدرجة الاولى في سلم الحياة وتنمو وتتكاثر في اعماق البحور العظمى وقد وصفها العلامة هكسلي سنة ١٨٦٨

وبعد الكريات تأتي الى الحويصلات النووية وهي كائنات حويصلية الشكل فيها البروتوبلاسم متنوعة ومضمومة في غلاف غشائي وفي وسطها نواة او هي نقطة سوداء ومن هذه الحويصلات تتألف الاجسام الحية العظمى وقد درسوا طبائع هذه الحويصلات درساً دقيقاً فوجدوا ان لكل حويصلة منها حياة مستقلة وانها تتناسل بالانفجار وذلك ان الحويصلة اذا بلغت وانقضى اجلها انفجر غشاؤها وخرج منه عدة حويصلات لكل منها خصائص الام وهي تتناول غذاءها من السوائل الجمادية فتحولها الى مواد حيوية تصلح لغذاء الاحياء العليا

ومن اجتماع هذه الحويصلات تتألف سائر انواع الحيوان والنبات . واصغر الاحياء التي تتألف منها احياء دقيقة جداً لا تشاهد الا بالميكروسكوب تتولد في المنقوعات الآلية قطرها لا يزيد على جزء من اربعين الفاً من القيراط ($\frac{1}{40000}$) وهي مع ذلك تتمتع بكل اعمال الحياة فتتحرك وترسل من جوانبها نتوات تلتقط بها الغذاء وتمتصه فتهضمه وتمثله . وهذه الاحياء الدقيقة كثيرة الوجود في الطبيعة لا يكاد يخلو مكان منها ويقال لها بكتيريا او ميكروب

وابسط انواع البكتيريا الاميبا وهي قطعة جلاتينية ذات نواة ولا غلاف لها تتحرك الى كل الجهات وترسل منها زوائد او نتوات تجتذب بها طعامها بحركة تموجية فتغتذي وتنمو وتتناسل بالانقسام وذلك ان الواحدة منها تتقلص من وسطها رويداً رويداً حتى تنقسم الى اثنتين ثم تنقسم كل من هاتين الى اثنتين وهكذا على التوالي

والبكتيريا على اختلاف انواعها لا يمكن الجزم في كونها حيواناً او نباتاً فالعلماء في اختلاف من هذا القبيل فقال بعضهم انها نبات وسموها بروتيستا وقال آخرون انها حيوان وسموها بروتوزوا والاكثر على انها بين بين .

وخلاصة القول ان غاية ما وصل اليه العلماء بابحاثهم في اصل الحياة حتى الآن انها مبدأ مستقلٌ احلَّ المادة في زمن لا نعرفه واحوال لا ندركها وانها لا يمكن توليدها الا بالتناسل من حي سابق • على ان بعض المشتغلين بالابحاث الطبيعية من اصحاب مذهب الارتقاء الطبيعي يميلون الى توحيد القوى والرجوع بالكائنات الى اصل واحد • فهم يتوقعون اكتشاف اصل الحياة في الجماد او تولد الحي من الجماد بدون تناسل واذهانهم متيقظة لما قد يعرض من الظواهر التي ترشدهم الى تأييد هذا المبدأ • وشدة رغبتهم في ذلك سهلت عليهم تصديق المستحيل فاصبحوا اذا رأوا الهباء ظنوه ميكروباً وتوهموا فيه اصل الحياة فتتناقله الجرائد وتبني عليه الآراء وتعلق عليه الشروح ثم يظهر فساده

وفي الدوائر العلمية اليوم حركة بحث وانتقاد لما نشرته الجرائد عن تولد الحي من غير الحي بواسطة الراديوم على يد المستر بورك احد الشبان المشتغلين بالابحاث العلمية • وتحرير الخبر ان الشاب المشار اليه اتى بسائل الجلاتين او مرق اللحم وغلاه على النار حتى تحقق خلوه من الجراثيم الحية على عادتهم في تعقيم السوائل في معامل البكتريولوجيا وحجبه عن الهواء واطلق عليه اشعة الراديوم مدة فتولد في السائل شيء يشبه البروتوبلاسم او البكتيريا فاستغرب هذه النتيجة فعمد الى تدقيق العمل فجعل المرق في انابيب سدَّها سدًّا محكماً وحماها في النار نصف ساعة الى فوق درجة الغليان بدرجات عديدة واستعان بالضغط حتى تحقق خلو الانابيب من الجراثيم الحية ثم عرض بعضها لتأثير الراديوم وترك البعض الآخر فظلت هذه على حالها واما التي تعرضت للراديوم فحدث فيها تغييرٌ لم يرَ العلماء مثله من قبل • وذلك انه ظهر على سطح المرق ذرات حيوية كالتي تتولد في المرق عند الاستنبات باضافة جراثيم البكتيريا اليه • فدهش المستر بورك لهذه الظواهر وعمد الى الميكروسكوب ففحص به تلك الذرات فرآها مؤلفة من بقع صغيرة جدًّا كالبكتيريا لكنها لا تشبه نوعاً من انواعها وهي دقيقة الحجم لا يزيد طول الواحدة منها على ١/٦٢٠٠٠ من القيراط

المستر بورك مكتشف الراديوب

فعرض المستر بورك ما شاهده على بعض الزملاء من اهل العلم فعمدوا الى تحقق وجود الحياة فيها لئلا تكون من قبيل ظواهر التبلور في الجماد فلم يجدوا فيها شيئاً من خصائص البلورات بل رأوا فيها كثيراً من دلائل الحياة

رأى المستر بورك ان تلك البقع تنمو نمو الاحياء فاذا بلغت اجلها انقسمت الى غير واحدة وقد صور كيفية ذلك الانقسام بالفوتوغراف على مبدإ الصور المتحركة . والانقسام على هذه الصورة ضرب من ضروب التناسل . وتحقق ايضاً انها تموت وتدثر مثل سائر الاحياء ونقل قسماً منها الى وعاء آخر فيه مرق معقم غير معرض لتأثير الراديوم فنمت فيه وانقسمت فكان الراديوم وسيلة لتوليد الحياة فاذا تولدت عاشت بدونه . وتختلف هذه الكائنات عن البكتيريا بانها تذوب في الماء الحار والبكتيريا لا تذوب . وتختلف عن البلورات الجامدة من اوجه كثيرة . فاشتبه على المستر بورك امرها فسماها « راديوب » لانها في اعتقاده احياء تولدت بفعل الراديوم

وقد تناول العلماء اقوال المستر بورك وطالعوا تجاربه بحذر — وفيهم من انكرها ومن اثبتها . وفي جملة الذين اثبتوها الدكتور بستيان وهو من القائلين بالتولد الذاتي وعنده ان موالاة التجارب تحقق هذا القول . على ان المسألة تحق النظر وتستدعي العناية وسنرى ما يأول اليه البحث وكل آت قريب



باب السؤال والاقتراح

الحباحب

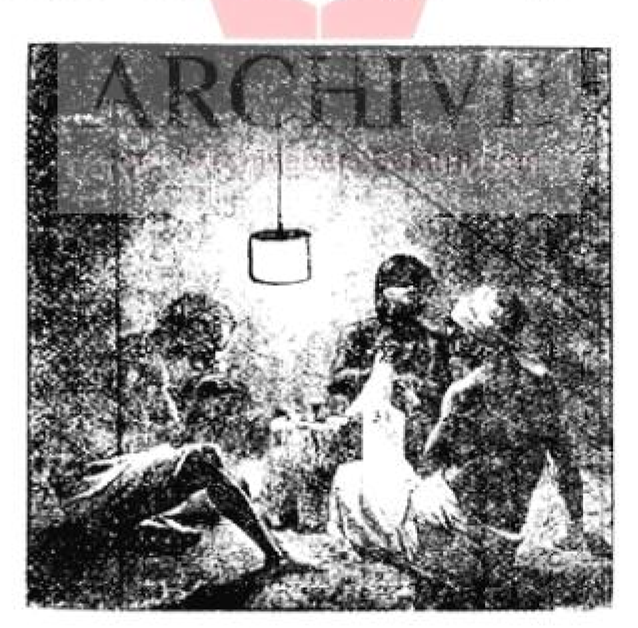
(محطة اجا منوفية) سليمان افندي علي ناظر زراعة كفر السواقي

كنت ماراً ذات ليلة ببعض الاماكن فرأيت شيئاً ينير نوراً لم اتعود رؤيته فتقدمت نحو النور فرأيته منبعثاً من دويبة كالفراشة لا حراك بها فاشعلت عوداً لا تحقق شكلها فاختفى النور ولما اطفأت العود عاد النور فوضعت الدويبة في جيبي فانارت الجيب وقد سألت

كثيرين عن هذا الحيوان فلم يرشدني احدٌ الى أمره وهو كثير في الغيطان عندنا . فهل هو معروف من قبل وما هو سبب نوره

﴿ الهلال ﴾ ان الحيوان المشار اليه يعرف باللغة العربية باسم « الحباحب » و يسميه العامة « سراج الليل » وقلما يختلف في شكله وحجمه عن الزيزان التي تألف الحقول وتتسلق الاشجار او الخنافس الاعتيادية ولكنه يمتاز عنها باشعة تنبعث من بؤرة في ذنبه لا تظهر الا في الليل . وقد درس هذه الدويبة الاستاذ ماكس فوتز فوجد للذكر منها بؤرتين في احد قسمي البطن الواحدة وراء الاخرى . كل منهما مؤلفة من طبقة عليا شفافة باهتة ينبعث منها النور وطبقة تحتها غير شفافة لا يعرفون لها فائدة

والحباحب انواع كثيرة تختلف شكلاً وحجماً و يختلف نورها ضعفاً وقوة واعظم انواع الحباحب واشدها نوراً دويبة في جزائر الهند الغربية باميركا الوسطى يسمونها « ذبابة المصباح » اشارة الى انها تنير كالمصباح . واهل تلك الجزائر في كوبا وجامايكا وسان دومينيكو يستخدمونها للاستصباح . ينبعث نورها من زائدتين بارزتين في أعلى الصدر



زنوج يخيطون بنور الحباحب

والسياح يستخدمون هذه الحشرة للاستنارة في السبل ليلاً . فيعلقون واحدة او اثنتين في مقدم احذيتهم فتضيء الطريق امامهم . وبعض السيدات المتأنقات بملابسهن يستخدمنها ليلاً للزينة في اثوابهن فيعلقنها في طيات الثياب او في الصدر وقد يغرسنها في شعورهن بين

الضفائر بالنيابة عن اكاليل المصاغ · وقد شهد الذين رأوها في شعور نساء كوبا انها تكسبهن جمالاً وحياة · ومن عادة بعض زنوج اواسط اميركا انهم اذا اجتمعوا للرقص الليلي الشائع بينهم نثروا بعض هذه الحباحب على اثوابهم المنسوجة من الياف بعض قشور الشجر · فاذا داروا في رقصهم اختلطت انوار الحباحب بعضها ببعض فيظهر الراقص كأنه في دوائر من اللهيب

و ينتفع اهل تلك البلاد بهذه الدويبة انتفاعاً مادياً فيستضيئون بها ليلاً كالاستضاءة بالمصابيح عندنا فيضعون واحدة او غير واحدة منها في قفص يعلقونهُ في سقف البيت و يقضون حوائجهم على نوره كالخياطة وغيرها كما ترى في الشكل

واما الاصل الفعال في هذه الانارة فهو الفصفور وقد وجدوا منهُ شيئاً في الاعضاء المنيرة · لكنهم لم يستطيعوا حتى الآن ان يعللوا ذلك به تعليلاً كافياً للاقناع ولعلهم يستطيعون ذلك في مستقبل الايام

الدبناميت

(القاهرة) حسن افندي صبحي في السكة الحديدية

و (بور سعيد) جرجي افندي عطاالله بالبوسطة المصرية

كثر تحدث الناس في هذه الاثناء بالديناميت وقوته بمناسبة نسف الباخرة شاتام في قناة السويس لانها غرقت هناك وفيها نحو مئة طن من الديناميت وهلعت قلوب آل بورسعيد خوفاً من عواقب النسف مع ان الباخرة على بعد ١٤ كيلو متراً منهم · فما هو الديناميت ومن اي شيء يتركب وما هي علة تلك القوة فيه

(الهلال) الديناميت لفظ يوناني الاصل معناهُ القوة · وهو يطلق على اقوى المواد المفرقعة · والمواد المشار اليها كثيرة واقدم ماعرف منها ملح البارود اوالنطرون (نترات البوتاس) اذا مزج بمسحوق الفحم · وتوصلوا بالتدريج في سلسلة تجارب يطول شرحها الى استحضار الحامض النتريك من النطرون بغليه مع زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) ووجدوا بعدئذ ان الحامض النتريك القوي اذا صب على مسحوق الفحم الناعم اشتعل المسحوق على درجة الحرارة الاعتيادية · ثم وجد بعض كيماويي فرنسا ان الحامض النتريك القوي اذا عولجت به احدى المواد النباتية كالسكر او النشاء او القطن على كيفية مخصوصة تولد من ذلك مادة شديدة التفرقع وهذا التركيب هو اصل سائر المواد المفرقعة

ولا بدَّ في المواد المذكورة من وجود عناصر رئيسية هي الاكسجين والنتروجين والكربون . والنتروجين ضعيف الالفة للاكسجين فيكون في المركب ميلٌ الى الانحلال باقل الاسباب فاذا انحلَّ اتحد الاكسجين بالكربون وبينهما أُلفة شديدة فيتولد من اتحادهما غاز الحامض الكربونيك ويفلت النتروجين غازًا فتتحول المادة المفرقعة من الجامد او السائل الى هذين الغازين فيتضاعف حجمها الوفًا من المرات مع ما تكتسبه من المرونة بتحوّلها الى الغازية فاذا حدث الانحلال في مكان ضيق يدفع الغاز جوانب ذلك المكان فيمزقها بقوة عجيبة و يفلت فيحدث من الافلات صوت مثل صوت البارود في المدافع او البنادق

والمواد المفرقعة نوعان امزجة ومركبات يطول بنا شرحها اشهرها البارود واقوى منه القطن البارودي واقوى منهما النتروجليسرين . فالبارود مزيج من النطرون والفحم والكبريت والقطن البارودي يستحضر بمعالجة القطن او الورق بالحامض النتريك الثقيل ثم يفرد الحامض النتريك بالغسل ويبقى القطن وقد اكتسب قوة التفرقع بدون تغيير ظاهر في تركيبه . واما النتروجليسرين فهو اهم المواد المفرقعة اول من اكتشفه سوبريرو سنة ١٨٤٦ ثم اقدم الناس على استحضاره واستخدامه . وهو يتولد من تاثير الحامض النتريك القوي على الجليسرين (السائل المعروف) بالاشتراك مع الحامض الكبريتيك القوي على حرارة قليلة و يمكن استحضاره بسرعة وسهولة بصب الجليسرين في مزيج قوي من الحامضين المذكورين ثم يحفظ المزيج في وعاء مبرَّد . فالمادة المولدة من ذلك المزيج يقال لها نتروجليسرين اي مركبة من الحامض النتريك والجليسرين وهي سائل كثيف يغلب ان يكون مصفر اللون ولكن النقي منه يكون صافيًا لا لون له . وهو يستخدم في الطب بجرعات صغيرة جدًّا لبعض امراض القلب و يستخدم في الصناعة على الخصوص لنسف الصخور وشق الجبال ونحو ذلك

واول من استخدم النتروجليسرين للنسف ونحوه الفريد نوبل سنة ١٨٦٣ واخذ من ذلك الحين يسعى في تقويته فوجد بالاختبار ان قوته تتضاعف اذا مزج ببعض المواد الجامدة التي لها قوة الامتصاص . فجرب مزجه بنوع من التراب الرملي معروف بالمانيا مع مادة قلوية وسمى المزيج « ديناميت » اشارة الى قوته — هذا اساس تركيب الديناميت . ثم تفننوا في اصطناعه على اسس هذا المبدا فتولد من ذلك مركبات تعرف باسم الديناميت وكلها مزيج من النتروجليسرين ومادة ماصة كالتراب الذي ذكرناه او فتات الحجارة او النشارة او الطباشير الرملي او غيره وتختلف قوة الديناميت باختلاف هذه المواد وتفاوت مقاديرها وطرق مزجها . ولكن الديناميت على الاجمال صنفان يعرفان بنمرو اول ونمرو ثاني

الاول يحتوي ٧٤ في المئة وزناً من النتروجليسرين والثاني فيه ٤٠ في المئة فقط

وقد تسمى المركبات من النتروجليسرين والمواد التي تقدم ذكرها باسماء اخرى منها الفولجريت والدوالين والرندروك والبركان وهركيل وغيرها

النوَر او النَجَر

(بفلو . نيويورك) يوسف افندي عطية

نرجو الافادة عن النوَر من أين أتوا وما هو وطنهم فاننا نرى منهم في أميركا جماعة يشبهون سكانها

(الهلال) وجاءنا سؤال بنحو هذا المعنى من حضرة محمد افندي مصطفى الحسيني في القاهرة (١) والجواب ان النوَر جيل من رعاع الناس دأبهم التطواف في الارض ومنهم جماعات كبيرة في أسيا وأوربا وافريقيا وعيشهم غالباً بالسرقة والتكدي وابصار البخت وصنع المناخل والغرابيل ولهم اسماء شتى حسب البلاد التي يقيمون بها فاسمهم في سوريا « نوَر » وفي مصر « نَجَر » وفي بلاد فارس وتركستان « زنجاري » وفي روسيا « زيجاني » وفي المانيا « زيجونَر » وفي اسبانيا « جيتانوس » وفي ايطاليا « زنجاني » والجيم فيها كلها تلفظ كافاً فارسية ويظهر ان كل هذه الاسماء تنوعات اصل واحد ربما كان « زنكالي » ويسمون أنفسهم به أحياناً وهو لفظ هندي قديم معناه « سود الهند » او السند وهم بالحقيقة سمر الوجوه

ولكن لهذا الجيل من الناس اسماً عمومياً يعرفون به بأوربا وهو « جبسي » وربما دعوا بهذا الاسم ظناً بأنهم مصريون بناء على دعواهم وسمرة الوانهم

ولكن جماعة كبيرة من علماء أوربا بحثوا في أصلهم ومقامهم والفوا فيهم كتباً عديدة احسنها ما ألفه جورج بورو المتوفى سنة ١٨٨١ فقد خالط النوَر وآخاهم ودرس لغتهم وسائر أحوالهم والف بضعة كتب فيهم منها كتاب اسمه « الزنكالي »

(١) سبق انا اجبنا على مثل هذا السؤال في السنة الرابعة من الهلال وبما ان السنة المذكورة نفدت طبعتها من عدة سنين رأينا ان نجيب عليه هنا ايضاً

نشره سنة ١٨٤١ وآخر اسمه « التوراة في اسبانيا » وقاموساً جامعاً للغة النور وغيرها .
ويؤخذ من ابحاث هذا العالم ان أصل هؤلاء القوم من شمالي بلاد الهند يتكلمون لغة واحدة تشبه في أصولها وتراكيبها لغة الهنود القديمة (السنسكريتية) بل هي اقدم منها وفيها كثير من الالفاظ الهندية القديمة وهم يسمونها ويسمون جنسهم « رُماني » ومعنى « رم » في لغتهم زوج ورُماني طائفة الازواج

وقد هاجر النوَر من الهند الى اوربا في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد وأقدم من ذكرهم من الكتاب راهب جرماني كتب مقالة في الالمانية عن سفر التكوين سنة ١١٢٢ م أورد ذكرهم فيها على سبيل العرض . وفي القرن الرابع عشر هاجر جماعة اخرى منهم فراراً من وجه تيمورلنك القائد التتري الشهير فأقام سوادهم في المجر وفي اماكن اخرى من جرمانيا وسويسرا وايطاليا ولم يظهروا في باريس الا سنة ١٤٢٧ فظهر منهم نحو ١٢٠ نورياً ادعوا انهم من مسيحيي المصريين وقد فروا من ظلم المسلمين ولعل هذا السبب في تسميتهم جبسيس (Gypsies) وقد ذكرهم أحد كتاب الفرنسيس اذ ذاك ومما قاله فيهم « ان آذانهم مثقوبة وقد علقوا فيها اقراطاً من فضة وشعرهم اسود جعدي ونساؤهم في غاية القذارة يتعاطين التنجيم وأبصار البخت » وكان الفرنساويون يسمونهم البوهيميين لان جماعة كبيرة منهم جاءت فرنسا عن طريق بوهيميا . ويدعي النوَر انهم سيقوا من مصر ليتيهوا في الارض انتقاماً منهم لانهم لم يحسنوا وفادة يوسف ومريم العذراء لما أتيا مصر . ويزعم البعض الآخر منهم انهم كانوا مسيحيين فكفروا بدينهم فحكم عليهم البابا ان يتيهوا في الارض تكفيراً عن ذنبهم . فاذنت لهم فرنسا ان يقيموا في بلادها فأقاموا مدة ثم رأت كسلهم وسوء تصرفهم فأصدرت احكاماً تأول الى اخراجهم من بلادها فاضطروا الى سكنى الغابات والبراري وبعضهم هاجر الى المانيا والمجر وآخرون هاجروا الى اسبانيا . ومنهم جماعة كبيرة في روسيا يتعاطون تجارة الخيل ومعالجة أوبئة الماشية ونوَر موسكو قد عدلوا عن المعيشة البدوية وأووا الى المنازل والقصور وركبوا المركبات لا فرق بينهم وبين الروسيين وقد امتازوا خاصة بمواهبهم في فن

الموسيقى واشتهرت نساؤهم بحسن الاصوات . أما نور الجرفيشون في اقذر الاحوال نساء ورجالا ولكنهم مع ذلك يميلون الى الموسيقى و بعضهم يتعاطى مهنة الحدادة والسنكرية ولكن معظمهم يتعاطون السرقة والتنجيم

أما في بلاد الانكليز فقد اقام النور في بادىء الرأي على حذر ثم توطنوا وطاب لهم المقام و وهبتهم الحكومة امتيازات خاصة بهم يتعاطى ذكورهم تجارة الخيول و بعضهم يشتغل بالسنكرية وأما نساؤهم فصناعتهن إبصار البخت و ربما كان نور انكلترا اجمل نور الارض وهم يقسمون هناك الى فرق يرأس كلاً منها رئيس ترجع اليه في احكامها وقد يكون ذلك الرئيس امرأة يسمونها الملكة وفي سنة ١٨٦٠ رأستهم ملكة اسمها استيرفاءا وقد خولتهم انكلترا حقوقاً ذات بال حتى ان ملكهم في ايدنبرج واسمه جورج سميث اعترض على لائحة وضعتها الحكومة الانكليزية سنة ١٨٩١ . وفي بلاد الانكليز جمعية ادبية للنوَر اسمها « جمعية التهذيب النوَري » تأسست سنة ١٨٨٨ وقد بلغ عدد اعضائها الى سنة ١٨٩١ سبعين عضواً ينشرون جريدة باسم الجمعية

وقد هاجر بعض النوَر الى اميركا واقاموا هناك في مكان خاص بهم على طرق من المعاش ارقى من سائر نوَر الارض وقد رأستهم ملكة منهم في اوهيو سنة ١٨٨١ اسمها متيلدا الثانية

اما ديانة النوَر فهم بالحقيقة لا يعرف لهم دين و يتظاهرون بديانة القوم الذين يقيمون بينهم ولكنهم يجرون بعض الطقوس الدينية لموتاهم فينقطعون عن الطعام والشراب والتدخين مدة اكراماً للميت ويحرقون كل ثيابه ويكسرون آنيته

وقد ترجمت التوراة الى لسانهم واسم الجلالة عندهم « ديوول » و يظن انه مشتق من « ديووس » وهي « دياس » باللغة السنسكريتية ومعناها اليوم و يحتفلون بزواجهم احتفالا غريباً لا محل لايراده هنا وهم كثيرو الغيرة على نسائهم و يفاخرون بعفتهن و بين النوَر علامات سرية يتعارفون بها فيما بينهم و بناء على ذلك زعم بعض كتاب الماسونية ان الجمعيــة الماسونية نشأت منهم ولكنه قول مبني على مجرد الحدس ولا دليل على صحته

أما اصل لفظ « نوري » فقد ذكر القاموس انه مشتق من النار التي زعموا انهم يعبدونها ولكننا نرى انها متخلفة عن « لوري » اسم قبيلة من الهنود هاجرت الى بلاد فارس على عهد يزدجرد واقامت هناك ومنها تفرق نوَر المشرق و بقي اسمهم محفوظاً مع بعض التحريف فان اسم الواحد منهم في سوريا « نوري » وجمعه نوَر . ولعلهم هم الذين كانوا قبيلة رحالة في بلاد فارس على عهد شاعر الفرس حافظ وكانوا يدعون « لولي » ويحبون الرقص والغناء

لفظ اليوبيل

(بربر) حسين افندي حلمي مترجم ١ جي اورطة بياده

ما معنى لفظ يوبيل هل هي منقولة عن Jubilee الانكليزية . وما هو الغرض الذي وضعت له هذه اللفظة

﴿ الهلال ﴾ ان اللفظين منقولان عن اصل عبراني هذا لفظة (יובל) (يوبال) وهو صيغة اسم الفاعل من (يبل) اي عزف او ضرب على القيثارة او العود وكان اليهود يعيدون عيدًا عمومياً كل خمسين سنة يضربون فيه على الآلات الموسيقية (راجع سفر اللاويين ص ٢٥ ع ٨ فاطلق هذا اللفظ على العيد نفسه واخذه النصارى عنهم ونقلوا اللفظ الى اليونانية او اللاتينية مع بعض التحريف وفي اخر القرن الثالث عشر للميلاد امر البابا بونيفاشيوس الثامن ان يحتفل المسيحيون باليوبيل كل مئة سنة ابتداء من سنة ١٣٠٠ وجعله اكلمندوس السادس مرة كل خمسين سنة وجعله اوربان السادس كل ٣٣ سنة واخيرا جعله سكستون الخامس كل ٢٥ سنة ثم صاروا يعيدون مثل هذه الاعياد للملوك احتفالاً بمرور جانب من اعمارهم ٢٥ او خمسين سنة ثم تفننوا فيه كما هو مشهور

كرة القدم (فوتبول)

(سنقافورا) السيد عوض بن جمعان سعيدان

من هو مخترع كرة القدم (فوتبول) اللعبة المشهورة عند الانكليز فان بعض الملقيين هنا يزعمهم انها من مخترعاتهم

(الهلال) ان مخترع هذه اللعبة غير معروف ولكن يظهر انها كانت شائعة عند اليونان منذ بضعة وعشرين قرناً وكانت تسمى عندهم ابسكيروس وكان عند الرومان لعبة مثلها اسمها هربستوم على انها كانت تختلف عندها عن اللعبة الشائقة عند الانكليز من بعض الوجوه • وذلك لا يمنع ان يكون مثلها عند اهل ملقاً اما نقلاً عن اليونان او ان يتصلوا اليها من عند انفسهم

احصاء الكنائس الارثوذكسية في العالم

نقلا عن مجلة الكلمة في نيويورك

١ الكنيسة القسطنطينية — فيها ثمانون مطراناً وخمسة وثلاثون أسقفاً يرأسهم بطريرك مركزه في القسطنطينية يلقب بالبطريرك المسكوني ورئيس اساقفة القسطنطينية رومية الجديدة •

٢ الكنيسة الاسكندرية — فيها ثلاثة مطارنة احدهم رئيس مدرسة ريزاريون الروحية في اثينا يرأسهم بطريرك مركزه الاسكندرية يلقب بابا وبطريرك اسكندرية وقاضي قضاة المسكونة

٣ الكنيسة الانطاكية — فيها اربعة عشر مطراناً يرأسهم بطريرك مركزه في دمشق الشام يلقب ببطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق

٤ الكنيسة الاوروشليمية — فيها اربعة مطارنة واحد عشر رئيس اساقفة يرأسهم بطريرك مركزه في مدينة اوروشليم يلقب ببطريرك اوروشليم وسائر فلسطين

٥ الكنيسة القبرصية — فيها ثلاثة مطارنة يرأسهم رئيس اساقفة مركزه في مدينة ليكوسية

٦ الكنيسة السينائية — هي كناية عن دير طورسينا في شبه جزيرة العرب يرأسه

رئيس اساقفة مستقل بادارة الدير والاماطيش المتعلقة به

٧ الكنيسة اليونانية — فيها واحد وثلاثون اسقفاً ورئيس اساقفة يرأسهم مجمع مقدس تحت رئاسة مطران اثينا

تنبيه — ان جميع هذه الكنائس السبع هي يونانية من حيث الاكليروس والشعب ماعدا الكنيسة الانطاكية التي جميع اكليروسها وشعبها في الوقت الحاضر من السوريين والكنيسة الاسكندرية التي نحو ثلث شعبها من السوريين والكنيسة الاوروشليمية التي كل شعبها تقريباً من السوريين

٨ الكنيسة الروسية — فيها ثلاثة مطارنة وخمسة عشر رئيس اساقفة (احدهم اي رئيس اساقفة بلاد القوقاس يسمى اكسرخوساً) وخمسة وتسعون اسقفاً يرأسهم مجمع مقدس في مدينة بطرسبرج تحت رئاسة احد المطارنة الثلاثة الاقدم سيامة . ويدخل تحت هذا العدد اولا اساقفة اميركا الشمالية الثلاثة ثانياً اسقف طوكيو وسائر بلاد اليابان وثالثاً اسقف باكين وسائر بلاد الصين

٩ الكنيسة الرومينية — فيها مطرانان يسميان ايضاً رئيسي اساقفة واثنا عشر اسقفاً يرأسهم مجمع مقدس في مدينة بوخارست تحت رئاسة مطرانها

١٠ الكنيسة السربية (السرب) — فيها مطران واحد يسمى ايضاً رئيس اساقفة واربعة اساقفة يرأسهم مجمع مقدس في مدينة بلغراد تحت رئاسة مطرانها

١١ كنيسة الجبل الاسود — فيها مطران واحد واسقف واحد ومركز المطران في مدينة تسيتين

١٢ كنيسة الرومينيين في المجر التابعة للنمسا فيها مطران واحد يسمى ايضاً رئيس اساقفة واسقفان ومركز المطران في مدينة سيبين

١٣ كنيسة السرب في المجر التابعة النمسا فيها مطران واحد يسمى ايضاً بطريركاً وستة اساقفة ومركز البطريرك في مدينة كارلوفتس

١٤ كنيسة الروسيين والرومينيين والسرب في ضلماطيه في النمسا فيها مطران واحد يسمى ايضاً رئيس اساقفة وثلاثة اساقفة ومركز المطران في مدينة تشرنوفتس

١٥ كنيسة السرب في بوسنه والهرسك فيها اربعة مطارنة اولهم مقيم في مدينة سارايف ويسمى ايضاً رئيس اساقفة واكسرخوساً

١٦ الكنيسة البلغارية فيها تسعة عشر مطراناً يرأسهم مطران يسمى اكسرخوساً

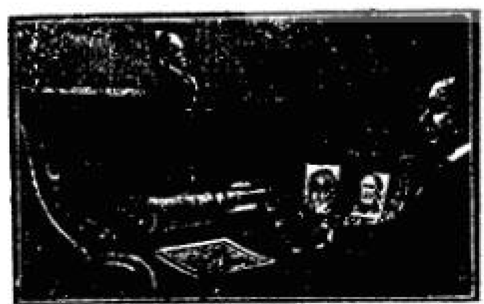
مركزه في القسطنطينية

فيكون في الوقت الحاضر مجموع الكنائس الارثوذكسية المستقلة بعضها عن بعض بالادارة الكنائسية والمتحدة بالايمان الواحد الارثوذكسي ست عشرة كنيسة فيها ثلاثماية وستون اسقفاً . اما عدد المسيحيين الارثوذكسيين في العالم كله فيناهز مئة مليون منهم ما ينيف على تسعين مليوناً من الامم السلافية (من روسيين وسرب وبلغار وروميين وكثيرين غيرهم) والباقون يونان وسوريون وأرمن والبانيون ويابان وصينيون وتتر ومغول وهنود آلاسكا وكلدان في بلاد العجم . اه

التصوير بالتلغراف

ذكرنا في مكان آخر من الهلال انهم يسعون في نقل الصور بالتلغراف كما ينقلون الاحرف والارقام وعلمنا انهم توفقوا الى اتمام هذا الاختراع فنقلوا رسوماً عديدة من بلد الى آخر وكان لنجاحهم رنة ودوي لان الناس كانوا يظنون هذا الاختراع بعيداً عن الامكان

واما الطريقة التي تنقل بها هذه الصور فعلى مبدأ التلغراف الاعتيادي مع بعض التغيير — وذلك ان في الآلة المرسلة انبوباً من السلينيوم يدور على محور متصل بسلك التلغراف وحول الانبوب اسطوانة من الزجاج وبينها



الآلة التي تنقل بها الصور بالتلغراف

وبين الانبوب فراغ . فالصورة المراد نقلها تكون مرسومة على ورق شفاف خاص بذلك فتلف على اسطوانة الزجاج لفاً محكماً . ثم يرسل النور الكهربائي على ذلك الورق بشكل حبل او قلم من النور بحيث ينفذ اسطوانة الزجاج ويقع على اسطوانة السلينيوم بشكل بقعة صغيرة او نقطة منيرة تنتقل بدوران انبوب السلينيوم حتى تمس كل اجزاء الانبوب وتختلف قوة نورها باختلاف اجزاء الصورة التي ينفذها النور قبل

وقد رأينا صديقنا المؤلف ينكر ضعف الامام علي في الرأي (صفحة ٦٩٤) ويرى ان تغلب الأئمة الثلاثة الاولين عليه ونيلهم الخلافة دونه اشبه بالانتخاب الطبيعي الذي لم يكن ينفع فيه سداد الراي • فاذا سلمنا معه بذلك فما قوله بما كان من مناهضته معاوية بعد الخلافة وقد اشار عليه ادهى دهاة المسلمين واعقلهم بالسكوت عنه ريثما تسكن الفتنة وترسخ قدمه في الخلافة ثم يناهضه فأبى وكان ذلك علة سقوطه ولم يتمالك ابن عمه عبد الله بن عباس نفسه عن ان يقول له « يا امير المؤمنين انت رجل شجاع لست صاحب راي في الحرب اما سمعت رسول الله (صلعم) يقول الحرب خدعة الخ » وامثال هذا كثيرة في سيرته • ولا يدفع ذلك بان عليا كان يأبى هذه الامور « لاستمساكه بالفضيلة وانه لا ينزع الى خدع السياسة » وقد رأيت قول النبي نفسه « الحرب خدعة »

ومما نلاحظه على هذا الكتاب الجليل خلوّه من الخرط الجغرافية الموضحة للوقائع الحربية في اثناء الفتح ولا سيما في هذا الجزء لانه ضمنه كثيراً من الشروح الجغرافية للبلاد التي فتحها المسلمون في زمن عثمان • على ان ذلك كله لا يقلل شيئاً من قدر الكتاب ولا من فضل مؤلفه فنثني على حضرته ونطلب اليه تعالى ان يأخذ بيده لاتمام هذا العمل الكبير ونحث القراء على اقتناء هذا الكتاب لانه فريد في بابه ومفعم بالفوائد التي لا يمكن الوقوف عليها الا بمراجعة المجلدات الضخمة فضلاً عما حواه من النظر الفلسفي والبحث الاجتماعي • وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثمانية غروش وأجرة البريد غرشان

مطبوعات جديدة

﴿ شرح قانون المحاكمات الجزائية الموقت ﴾ هو كتاب نفيس يدلُّ اسمه على موضوعه تأليف حضرة سليم بك باز القانوني السوري الشهير . صدره بمقدمة في تعريف اصول المحاكمة الجزائية والالماع الى فوائدها وصعوبة مسالكها ثم اتى على شرح مواد القانون المذكور مادة مادة بتفصيل وايضاح فاستغرق شرح المادة الاولى مثلاً نحو أربعين صفحة بقطع الهلال وحرفه . فقس على ذلك شرح سائر المواد على تفاوت اهميتها وهي ٤٨٧ مادة . ويقسم الكتاب على الاجمال الى ما يتعلق بضابطة العدلية ومأموريها وما يتعلق بالمحاكمات ويقسم كلاهما الى عدة فصول وأبواب

واقسام وفقرات باعتبار المواضيع وفروعها · فمن الفصول المتعلقة بالضابطة مثلاً فصل في القائمقام والمدير ومأمور التفتيش وآخر في حرس القرى والاحراش وآخر في المدعين العموميين وفصول في الجرائم المشهورة والمعاملات التحقيقية الخ · ومن فصول المحاكمات فصل في المحاكم التي ترى الدعوى المتعلقة بالجنحة وآخر في المحاكم التي ترى الدعوى المتعلقة بالقباحة وآخر بالجنايات · وفصول في صور الاتهام واصول محاكمة الجنايات وفي كيفية التنفيذ وأصول تمييز الاعلامات وفي الاحوال التي تستلزم نقض التحقيقات والاعلامات وفي اعادة محاكمة دعاوي الجنحة والجناية وبيان أمور متفرعة عن أصول المحاكمة وغير ذلك مما يطول بنا ايراده · ومما يحسن ذكره ويضاعف فائدة هذا الكتاب النفيس ان المؤلف ذيله بفهرس هجائي رتب مواده على احرف الهجاء ليستعين به المطالع او الباحث في سرعة الوقوف على ما يبحث عنه من المواد القانونية · فهو بهذا الفهرس اشبه بقاموس مطول لهذا القانون · وفي ذيل الكتاب قانون في صورة اجراء الاعلامات الحقوقية الصادرة بالحقوق الشخصية الناشئة عن الجرائم · وبالجملة ان الكتاب واف في بابه لان مؤلفه لم يغادر شاردة من شوارد قانون المحاكمات الجزائية الا قيدها وشرحها وفسرها فجاء كتاباً ضخماً صفحاته ١،٠١٦ صفحة بقطع الهلال وحرفه · وفي شهرة حضرة المؤلف في عالم القضاء ما يغني عن الاطناب فيجدر بالمحامين والقضاة اقتناؤه وهو مطابق كل المطابقة لقانون تحقيق الجنايات المصري ويطلب من مؤلفه في بيروت وثمن النسخة عشرون فرنكاً ما عدا اجرة البريد

﴿ شهيد الجلجلة ﴾ هي الحلقة الثانية من سلسلة روايات تاريخ النصرانية تأليف عزتلو عبد المسيح بك الانطاكي صاحب جريدة العمران · والحلقة المذكورة تتضمن تاريخ السيد المسيح في قالب رواية غرامية تشوق للمطالعة في زهاء خمسماية صفحة كبيرة · وقد أوعز الينا حضرة المؤلف أن نقرأ الرواية وننتقدها فتصفحناها على قدرما سمح لنا الوقت فرأيناها من خيرة الروايات التاريخية وقدتبين لنا أن حضرته مطبوع على الاجادة في هذا الفرع من فروع الاداب العربية وفي اعتقادنا أنه اذا ثابر على هذه الخطة وتوسع في مطالعة ما كتبه الافرنج في تاريخ النصرانية كان من

النابغين في هذا الموضوع . فعسى أن يتوفق الى اتمام هذا المشروع الجليل فيخدم اللغة العربية ويحيا به ذكره . والرواية تطلب من حضرته وثمنها ثلاثون غرشاً

ديوان الرافعي ظهر الجزء الثاني من ديوان مصطفى افندي صادق الرافعي الشاعر المطبوع . ولا خلاف في شاعرية هذا الشاب واقتداره على استنباط المعاني الشعرية وحسن سبكها وهو يتقدم في ذلك مع الزمان وزيادة الاختبار . ويظهر سيره على خطة الارتقاء من مقابلة هذا الجزء بالذي قبله . وفي صدر هذا الجزء مقالة ضافية في سرقة الشعر وتوارد الخواطر تليها كلمة لحضرة محمد افندي كامل الرافعي شارح الديوان المذكور يليها الديوان وقد قسمهُ الى ستة ابواب (١) التهذيب والحكمة (٢) النسائيات (٣) الوصف (٤) المدح (٥) الغزل والنسيب (٦) الاغراض والمقاطيع

ولا نرى تقريظاً لهُ خيراً من ايراد الامثلة مع صعوبة الاختيار بين هذه الاشعار فمن قوله في حلي النساء من مطلع قصيدة :

رأت الملاح على السماء كوا كباً ... فجعلنها فوق الصدور عقودا
ورأين نور الشمس يضحك في الضحى ... فلبسن منهُ أوجهاً وخدودا
ورأينها تبدو وتغرب لا تنى ... فجعلن ذاك تواصلاً وصدودا

ومن قصيدة يعارض بها غزل المتنبي في احدى قصائده :

تعالي وان لم تجملي فترفقي ... بحسبي انا ساعة الموت ذائقي
وان شئت ان ابقى وقد اهلك الهوى ... ذويه والاَّ فأمريني أَلحقِ
فديتكِ احيي او اميتي فانها ... حياة متى ماجدت بالوصل تخلقِ
وقد كنت لا ارضى بدنيا عريضة ... فلما دنا يومي رضيت بما بقي
وما حيلتي ان لم تكن لي حيلة ... وهل بعد ما ترمين لحظكِ اتقي

ومن قصيده في البحر والسماء قولهُ

اني ارى الشمس تحت البحر مطفأةً ... والماء ما زال ذا بأس على النار
كأنما هو كفٌّ الارض قد بسطت ... الى السماء فجادتها «بدينار»

ومن المعاني المبتكره قولهُ

ايك العصافير والدنيا عليَّ أسىً ... اما تروّح عني بعض احزاني
لي فيك عصفورة لو انها انطلقت ... رأيت كيف يعاد الميت الفاني
ماصوَّر الناس في الاملاك اجنحة ... الا غداة بدا منها الجناحان

فويح قلبيَ ما من مرة صدحت الاّ شعرت بقلبي بين آذاني

﴿ حضارة الاسلام في دار السلام ﴾ هو كتاب تاريخي عمراني تاليف جميل افندي المدوَّر ضمنه مآثر العرب ومفاخر الاسلام على ما بلغت اليهِ في ابان تمدنهم في دار السلام (بغداد) وجعل الكلام في ذلك بشكل رسائل على لسان امير من امراء الفرس قدم العراق في المئة الثانية للهجرة ونقلب في دولة البرامكة الى ان نكبهم الرشيد فوصف ما شاهده هناك من الحضارة والابهة والثروة ومجالس السياسة والادب باسلوب جميل ولغة متينة سهلة . وذيل صفحات الكتاب بالمآخذ التي اعتمد عليها من كتب العرب وعددها يزيد على بضعة وثمانين مؤلفاً في الادب واللغة والدين والشرع والجغرافيا والسير والاخبار والتاريخ وفيها كثير من الكتب الخطية التي يندر وجودها . وقد طبع هذا الكتاب المفيد للمرة الاولى في مطبعة المقتطف سنة ١٨٨٨ في نحو ٤٠٠ صفحة ثم اعيد طبعه بالامس في مطبعة المؤيد طبعاً متقناً خدمة للآداب العربية لان الكتاب مع سمو موضوعه وكثرة الفوائد العمرانية فيه و بلاغة اسلوبه لا يمل القارىء من قراءته ولا يتوقف في فهم عبارة من عباراته وهو يباع في ادارة المؤيد وثمن النسخة ٢٥ غرشاً مصرياً

﴿ جرائد جديدة ﴾ (١) الجمهور : جريدة سياسية ادبية تجارية تصدر في الاسكندرية مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي مصطفى الدرملي بدل اشتراكها مئة غرش في القطر المصري وثلاثون فرنكاً في الخارج (٢) مجلة البلاد : هي مجلة علمية زراعية طبية تاريخية تصدر في مصر مرة في الشهر لصاحبها بيومي افندي السيد بدل اشتراكها ثلاثون غرشاً في مصر وعشرة فرنكات في الخارج (٣) الفاروق : جريدة سياسية ادبية اجتماعية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي عزت بدل اشتراكها مئة غرش بمصر و ١٢٠ في الخارج (٤) المساعد : مجلة علمية مدرسية تصدر في الاسكندرية مرة في الاسبوع لمحررها عز الدين افندي صالح بدل اشتراكها عشرون غرشاً في السنة (٥) نور التجارة : مجلة تجارية بخلاصة الدروس التي القيت في نادي جمعية تعاون الكتاب بالاسكندرية تصدر مرة في الشهر لمحررها محمد افندي احمد موسى رئيس الجمعية المذكورة بدل اشتراكها عشرون غرشاً بمصر وستة فرنكات في الخارج (٦) مطامير لبنان : مجلة اصلاحية تصويرية انتقادية تصدر في مرسيليا مرة في الشهر لمحررها عقل افندي البشعلاني بدل اشتراكها عشرة فرنكات في السنة (٧) الكمال : جريدة سياسية ادبية تصدر في القاهرة باللغة الفارسية ثلاث مرات في الشهر لصاحبها

ميرزا حسين خان بدل اشتراكها ٢٥ فرنكاً في السنة وكانت قبلاً تصدر في تبريز (ايران) (٨) الخزان : ليس الخزان جريدة جديدة ولكنه احتجب عن قرائه حيناً ثم عاد الى الظهور بهمة جديدة لصاحبه نجيب افندي هاشم الصحافي المشهور وهو يصدر مرة في الاسبوع و بدل اشتراكه ٧٧ قرشاً بمصر وجنيه في الخارج (٩) الكون : جريدة علمية ادبية سياسية تصدر في مصر مرة في الاسبوع لصاحبها احمد افندي رفعت بدل اشتراكها ٤٠ قرشاً داخل القطر و ٨٠ في الممالك العثمانية (١٠) تونس : جريدة علمية سياسية تجارية تصدر في تونس مرة في الاسبوع لصاحبها صالح افندي بن محمود بدل اشتراكها سبعة فرنكات في تونس وتسعة في الخارج (١١) الكوكب : جريدة سياسية وطنية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لرئيس تحريرها محمود زكي بك بدل اشتراكها ٨٠ قرشاً في القطر المصري وليرة عثمانية خارج القطر (١٢) الهداية : مجلة علمية ادبية تاريخية تصدر مرتين في الشهر لصاحبها محمد افندي حسن الحسيني بدل اشتراكها ١٥ قرشاً في السنة (١٣) العروة الوثقى : مجلة اسلاميه تصدر بمصر مرة في الشهر مدير اشغالها « بشير بن فتح الله » يحررها نفر من جلة كتاب المسلمين بدل اشتراكها عشرون فرنكاً بمصر وجنيه في الخارج . فنتمنى لهذه الصحف الثبات والنجاح

تقسيمات منسي حضرة قسطندي افندي منسي الموسيقي الشرقي الشهير تقسيمات عديدة ضبطها بالنوط الافرنجي ضبطاً دقيقاً وطبعها بالحجر وقد بلغ عدد ما صدر منها الى الآن اربعة عشر تقسيماً مصرية عصرية وكلها على انغام عربية . آخرها تقسيم « دليل الحب » نغمه حجاز والتقاسيم المذكورة لا مثيل لها في اللغة العربية لان منسي افندي اول من عني بوضعها ونشرها وقد لاقى اقبالاً واستحساناً من اهل الذوق الموسيقي فراجت تقاسيمه رواجاً حسناً وثمن تقسيم « دليل الحب » اربعة فرنكات ويباع في مكتبة الهلال بمصر

وكلاء الهلال في القطر المصري

منقريوس افندي يوسف بالغربية والبحيرة . زكي افندي فهمي بالشرقية والمنوفية والمحافظات . جبرائيل افندي نخله بالدقهلية والوجه القبلي . الياس افندي ابو داود باسكندرية . ميخائيل افندي عيد بالقاهرة

فنرجو من مشتركينا الكرام اعتمادهم بالجهات المذكورة لقبض بدلات الاشتراك بموجب وصولات ممضاة منا ومنهم . والادارة غير مسؤولة عن اي دفعة قديمة او حديثة بلا وصل رسمي



الجزء الثاني من السنة الرابعة عشرة

١ نوفمبر (تشرين اول) سنه ١٩٠٥ و ٤ رمضان سنة ١٣٢٣



النمسا والمجر

والعلائق السياسية بينهما

ان نسبة المجر سكان هونكاريا الى مملكة النمسا كنسبة اهل نروج الى مملكة اسوج فان المجر دخلوا في حوزة النمسا كما دخل النروجيون في حوزة الاسوجيين . فلما رأوا النروجيين يخلعون نير الاسوجيين قاموا ينتحلون الاسباب لخلع نير النمسا . على ان سكان اسوج ونروج امة واحدة من اصل واحد واما المجر فبعيدون في اصلهم عن النمساويين بعداً كثيراً لانهم من الشعوب المغولية والنمساويون من الشعوب الآرية فيختلفون عنهم اصلاً وطبيعة ولغة ولم يخضعوا لهم الا قهراً . فلما تمدنوا وتعلموا ورأوا ما فعله النروجيون اخذوا يحاولون التملص من سيطرة النمساويين على ما تناقلته صحف الاخبار . وغرضنا بهذه المقالة بيان العلاقة السياسية بين الدولتين على ان نقدم الكلام بفذلكة في اصل هاتين الامتين وتاريخ تنازعهما السلطة ونختمه بوصف امبراطور النمسا صاحب السلطة عليهما الآن فنقول :

١ — سكان مملكة النمسا

ليس بين ممالك اوربا مملكة كالنمسا في تباين شعوبها واختلاف قبائلهم وكثرة اختلاطهم وتفاوت احوالهم و يضيق المقام عن النظر في كل شعب منهم على حدة · وليس بين هذه الشعوب من الوحدة الاَّ خضوعها لامبراطور جرماني ولذا تنبأَ العارفون بسياسة الدول انه سيأتي زمان تتجزأ فيه هذه السلطنة فتنضم كل قبيلة الى جيلها

وواسطة عقد هذه الامبراطورية دوقية اوستريا (النمسا) وهي الجزء الجنوبي من جرمانيا سكنها السلت ثم غلبهم عليها الرومان فأسسوا فيها مدائن كثيرة منها فينّا عاصمة النمسا اليوم ولما تداعت اركان السلطنة الرومانية طمحت الى اوستريا ابصار الغزاة فشنوا عليها الغارة ومنهم الفندال والقوط واللومبارديون ثم المغول وقبائل الهون · وكانت الحرب بين هؤلاء الغزاة سجالاً حتى قام شارلمان فنشر سلطته في البلاد ودعاها اوستريخ (œsterreich) اي المملكة الشرقية وظل هذا اسمها الى يومنا الحاضر · واما اسمها الشائع في العربية «النمسا» فماخوذ عن لفظ روسي نقله الاتراك عن الروس ونحن اخذناه عنهم · ومعنى ذلك ان الروسيين عند اول اختلاطهم بالجرمان لم يكونوا يفهمون كلامهم وكان الجرمانيون يعبرون عن رغائبهم بالاشارات فلقبوهم بالخرس · وفي اللغة الروسية (njimts) (نيمتس) الاخرس او الخرس وهو اسم الجرمانيين في اللغة الروسية حتى الآن · وعنهم اخذهُ الاتراك ولكنهم اطلقوه على النمساويين من الجنس الجرماني ونحن عنهم · ثم صارت بلاد النمسا دوقية سنة ١١٥٦ فارشدوقية سنة ١٤٥٣ وعظم شانها باضافة كثير من الولايات اليها

وافضت حكومتها في اواخر القرن الثالث عشر للميلاد الى عائلة هابسبرج وهي الاسرة الامبراطورية المالكة حتى اليوم ودخلت بوهميا وهنكاريا في حوزتها لكنهما بقيتا منفردتين لا يختلط اهلهما بسكان اوستريا

ولم يكن بين الفريقين من الربط سوى معاداتهما للاتراك وقد حاربوهم مئات من السنين · وفي اواخر القرن الخامس عشر ضمت النمسا اليها املاكاً كثيرة في شرقي بحر الادرياتيك ثم دخلت فنيسيا (البندقية) وميلان في حوزتها · ولما اقتسمت الدول الثلاث بولاندا اصاب اوستريا منها لقمة كبيرة ثم استولت على بوسنيا والهرسك

فتألفت الامبراطورية النمساوية في العصر الحاضر من امم شتى تتباين لغةً ومذهباً وغرضاً : منهم الجرمان او النمساويون سكان اوستريا وسالزبرج وستيريا وكارنثيا والتيرول

الشمالي · وامة السلاف والمورافيون في بوهيميا ومورافيا · والسلوفاك سكان شمالي هنكاريا والبولانديون والروسيون في غاليسيا · والسلاف في الجنوب و يعرفون بالكرواتيين · والسرب والرومان سكان ترانسلفانيا · والمجر سكان هنكاريا · والايطاليان سكان التيرول الجنوبي · فضلاً عن اليهود والنوّر المنتشرين في انحاء البلاد وهم كثيرون — فنقتصر في هذه العجالة على وصف الجرمان والمجر

الجرمان في النمسا قلنا ان سكان اوستريا من الجرمان وقد اختلطوا بالسلاف فغير ذلك شيئاً من اخلاقهم ولذا تراهم اميل الى اللهو والطرب وخفة الروح من الجرمان سكان الشمال ولعلّ لاعتدال الاقليم يداً كبيرة في هذا الفرق · وهم ارق عاطفة من الجرمان وأشد ميلاً الى الملذات · وعاصمة ملكهم فينّا وتعدُّ من اجمل مدن اوربا ففيها من البنايات الفخيمة والمتاحف والجنائن وحسن الذوق في اللباس والزينة والنقش ما تنشرح له الصدور

اما سكان التيرول فابسط حالاً من النمساويين واقلّ ارتقاء منهم واصدق نية ومذهبهم الكاثوليكية ومعظم اشغالهم في الفلاحة · وسكان جنوبيّ التيرول ايطاليان وهم ناجحون نامون وقد اخذوا يتقدمون جيرانهم من القبائل الجرمانية

اما ستيريا الشمالية وكارنثيا فاغلب سكانهما من الجرمان وكذلك مدنية تريستة و يكثر الجرمان في شمالي بوهيميا و يقلون في مورافيا وهم منتشرون في هنكاريا وترانسلفانيا وكرواتيا وعلى الحدود حيث اقاموا المتاجر والمصانع · و يظن ان ثلثي سكان بودا بست عاصمة هنكاريا منهم لكنهم آخذون بالاضمحلال شيئاً فشيئاً في هذه الولايات الأ في جنوبي هنكاريا

المجر في هنكاريا المجر جيل من البشر يختلف عن الاجيال الآرية اختلافاً عظيماً وهم من فروع الجنس التتري او المغولي سكان اواسط اسيا واعاليها وليس من التتر في اوروبا غير هؤلاء المجر والفنلانديين اهل فنلاندا · جاء المجر اوربا في القرن التاسع للميلاد واحتلوا بلاد داسيا وبانونيا وكانتا في حوزة الرومان · وكانت قبائل القوط والهون قد غزتهما نحو القرن الرابع والهون من الجنس المغولي ايضاً · ثم افل كوكب سعد الهون بعد وفاة ملكهم اتيلا فتعاقب على بلادهم دول كثيرة من القوط واللمباردبين والاوار لكن اقدامهم لم ترسخ فيها فنزحوا عنها او اضطروا الى مغادرتها والخضوع للغزاة

فجاء المجر وكانوا مرابطين بين مصبي الدنيبر والطونة (الدانوب) فانتشروا في البلاد

حتى بلغوا جرمانيا وفرنسا وايطاليا وكانوا اهل حرب وجلاد. واعتنقوا النصرانية على المذهب الكاثوليكي وسمى البابا سلفستر الثاني ملكهم اسطفان ملكاً رسولياً وعظم شأن هنكاريا في الاعصر الوسطى حتى استولت على كرواتيا وجزء من غاليسيا واختلطوا بقبائل الجرمان بعد ان خسروا كثيراً من ابطالهم في ساحات القتال . وفي القرن الرابع عشر أصبحت هنكاريا في مقدمة ممالك أوروبا بالسطوة والمنعة فغلبت مولدافيا و بلغاريا وقهرت بوسنيا وكان ملكها لويس ملكاً على بولاندا ايضاً

دخول المجر في سيطرة النمسا وفي القرن الخامس عشر اخذ الاتراك العثمانيون يناوئون المجر فردُّوهم واستولوا على بوهيميا وفينَّا . على ان كوكب سعدهم افل في القرن السادس عشر وضعفوا بعد ان أوقع بهم الاتراك في واقعة موهاكس واشتدَّ النزاع بشأن تولي حكومة هنكاريا فآل امرها الى امراء اسرة هابسبرج امبراطرة النمسا فصار الامبراطور ملكاً لهنكاريا ايضاً وهو كذلك الى يومنا هذا . وظلَّ سلاطين آل عثمان يتولون حكومة جزء كبير من هنكاريا الى سنة ١٦٨٧ ثم انفصلت مولدافيا والفلاخ عن هنكاريا ودخلت في حوزة الاتراك فكان سلاطينهم يعينون الامراء فيهما . وظلت هنكاريا النمساوية تدفع الجزية لسلاطين آل عثمان الى انقضاء القرن السابع عشر

وفي أواخر ذلك القرن قام يوحنا سوبيسكي ملك بولاندا على الاتراك واستخلص بودابست من ايديهم فخرجت هنكاريا وكرواتيا وسلافونيا عن طاعتهم وانضمت الى اوستريا وحاول امبراطرة النمسا اذلال الهنكاريين فترفعوا عن ان يتوَّجوا فيها ونقلوا تاج الملك اسطفانوس الى فينَّا وحلوا مجلس امة المجر واستلموا زمام الاحكام المطلقة واجبروهم على تعليم الجرمانية في مدارسهم . فثار ثائر المجر لكنهم حافظوا على ولاء النمسا ونصروهم على نابليون الاول . ولما خشي النمسويون بأس المجر اثاروا عليهم احقاد السلاف فقام في هنكاريا كثيرون من الابطال والزعماء اخصهم يوسف كوسوت الذي افاد بلادهُ وحرَّك عوامل الوطنية في صدور الامة فنشبت الحرب بين النمسا والمجر واظهر المجر بأساً شديداً لكنَّ تداخل الروس بالسلاح حوَّل النصر لجانب النمسويين فعاملوا المجر بالقسوة والعنف . ثم عادت الامور الى مجاريها واخذ الهنكاريون يتقدمون واطمأنت لهم اوستريا ومنحتهم من الحقوق فوق ما طلبوا . وفي سنة ١٨٦٧ سُنَّ النظام الحالي فتألفت الامبراطورية من مملكتين اوستريا وهنكاريا وعهد بحكومتيهما الى امبراطور النمسا على ان يكون امبراطوراً للنمسا وملكاً لهنكاريا ورفعت النمسا نير العبودية عن المجر فعادوا الى تعليم لغتهم في مدارسهم

واخذوا يتقدمون في سبيل النجاح والفلاح من ذلك الحين . واصبح المنكاريون بعد دخولهم في سيطرة النمسا يميلون الى الاتراك لانهم من اصل واحد ولذا بات موقف النمسا تجاه روسيا والدولة العلية حرجاً



جماعة من المجر

اداب المجر وطبائعهم وعاداتهم وكانت لغة المتعلمين من المجر اللاتينية اقتبسوها عن المرسلين الكاثوليك بينهم على انهم اخذوا في القرن الماضي يتعمقون في لغتهم فانتشرت انتشاراً عظيماً وارتقت ونبغ بينهم فريق من الكتبة اجلوا محاسنها واسسوا اكاديمية للعلوم وانتشرت بينهم الروايات والتواريخ والرحلات وكتب العلوم الطبيعية

والنبلاء واصحاب الالقاب كثيرون بينهم والسبب في ذلك انهم كانوا قديماً يمنحون هذه الالقاب لمن امتلك مقداراً معيناً من العقار وكان له حق الاقتراع في مجالسهم وكان هؤلاء كثيرين حتى قيل ان خمسة في المئة من الشعب كانت منهم على ان اكثرهم فقراء يتعاطون الفلاحة وغيرها من الحرف لكنهم يحافظون على تقاليدهم ويكثرون من ذكرى عظمتهم السالفة

ورجال العائلات الشريفة من المجر يمتازون بطول قاماتهم وبهاء منظرهم ورشاقة قدودهم وجمال طلعتهم . رؤوسهم بيضية الشكل وعيونهم سوداء وشعورهم كثة تسيل القوة من معاطفهم ونساؤهم جميلات يكثرن من الحلي والحلل والرجال يلبسون قبعات استراخان

والمعاطف الواسعة والجزم الطويلة

والفلاحون يملكون اراضيهم على الغالب وتصير بعد موتهم الى اولادهم فيقتسمونها بينهم وهذا من دواعي العجز عن استثمار موارد غنى البلاد لقلة ثروة الفلاحين لكنه من اكبر عوامل الاستقلال فيهم وهم مبذرون اذا اصابوا شيئاً من الدراهم اسرفوا في انفاقه فاذا عدموها عمدوا الى الاقتراض من اليهود . ونساؤهم يقمن بالاعمال البيتية وهن مكرمات محبوبات من رجالهن

وحب الضيافة خلق من اخلاق المجر وهم يحافظون على تقاليدهم وعاداتهم ولا يميلون الى عادات الاجانب بل يفاخرون الاقوام بتاريخ مجدهم واعمال امتهم وهذا هو السبب في اتحادهم وطول مناوأتهم للنمساويين . وهم اهل فلاحة وحرب وعنايتهم قليلة بالتجارة والبيع والشراء ولذا يكثر اليهود بينهم . وهم مولعون بالرقص والغناء والموسيقى ولا مشاحة في انهم متأخرون عن جيرانهم الاوروبيين

٢ — العلائق السياسية بين الامتين

تتألف من النمسا والمجر دولة واحدة تسمى دولة النمسا والمجر وتقسم الى امبراطورية النمسا ومملكة المجر او هنكاريا وقد تم تعاقدهما السياسي باتفاق نهائي ابرم بينهما سنة ١٨٦٧ خلاصته ان المملكتين مستقلتان باعمالها الخصوصية فلكل منهما دستور خاص تسير عليه في اجراآتها الادارية والقضائية وسائر شؤونها الداخلية وانما يجمعهما الخضوع لملك واحد وتشتركان في بعض الشؤون السياسية على ما سنبينه

فالملك السائد عليهما هو امبراطور النمسا ويسمى في اصطلاحهم « قيصر النمسا وملك المجر الرسولي » ويتوالى الملك في نسله الى اكبر انجاله ومن هذا الى اكبر انجاله وهلم جراً . فاذا لم يكن في النسل ذكور انتقل النسل الى الاناث على تلك الكيفية ويشترط في الامبراطور ان يكون من اتباع المذهب الكاثوليكي

والاعمال المشتركة بين المملكتين هي (١) المخابرات الخارجية (٢) الشؤون الحربية والبحرية (٣) الشؤون المالية المتعلقة بالمصالح المشتركة . فكل من هذه الاعمال تدبرها نظارة واحدة للبلدين . فالعلاقة السياسية مع الدول مشتركة . والوكلاء السياسيون ينوبون عنهما معاً ومعظم الجيش البري وكل القوة البحرية للمملكتين مشتركتان وكذلك من حيث المالية فانها مشتركة في اكثر الاحوال

اما القوانين والشرائع فما كان منها مشتركاً بين البلدين عهد النظر فيه الى مجالس

البرلمان فيهما . اما السيطرة على الاعمال الرسمية في النظارات الثلاث المشتركة فترجع الى مجالس يعبرون عنها بالنيابات وهما مجلسان كل منهما مؤلف من ستين عضواً ينتخبون من مجالس الامة في المملكتين : عشرون من مجلس اعيان النمسا وعشرون من مجلس اعيان المجر واربعون من كل من مجلسي العموم في الامتين . واعضاء هذين المجلسين يعينون في هذه العضوية لسنة واحدة ويجمعهم الامبراطور كل سنة في فينّا عاصمة النمسا او في بودابست عاصمة المجر . فيتداول المجلسان في ما يعرض عليهما من الشؤون المشتركة كل منهما على حدة ويتكاتبان بما اقرّا عليه ويتباحثان فاذا تكاتبا في مسألة ثلاث مرات ولم يتفقا على حلها اجتمعا وحكما فيها با كثرية الاصوات

وبين النمسا والمجر فضلاً عن العلائق السياسية الدائمة التي ذكرناها اتحاد تجاري يتجدد كل بضع سنين وبمقتضى هذا الاتحاد توحد الكمارك والنقود والاوزان والاقيسة والاوراق المالية . ويدخل في ذلك ضروب الاحتكار والعوائد على الملح والتبغ والكحوليات والسكر وغيرها . وقد بدأ هذا الاتحاد التجاري سنة ١٨٦٧ وتجدد سنة ١٨٧٨ ثم ١٨٨٧

وفي ما عدا ذلك فادارة كل من البلدين مستقلة عن الاخرى وكل منهما نظارات خاصة لادارة الشؤون الداخلية على اختلاف اوجهها . ومساحة مملكة النمسا وحدها ١١٥,٩٠٣ أميال وعدد سكانها ٢٦,١٥٠,٧٠٨ أنفس ومساحة مملكة المجر ١٢٥,٤٣٠ ميلاً وعدد سكانها ١٩,٢٥٤,٥٥٩ نفساً . فمساحة بلاد المجر اكبر من مساحة مملكة النمسا ولكن هذه اكثر سكاناً من تلك . وسكان فينّا اكثر من ضعفي سكن بودابست فاهل فينا ١,٦٧٤,٩٥٧ واهل بودابست ٧٣٢,٣٢٢ نفساً

والديانة السائدة في المملكتين المذهب الكاثوليكي فان اربعة اخماس النمساويين ونصف المجر من اتباعه وتمتاز المجر عن النمسا بكثرة اهل المذهب الانجيلي فان فيها منهم ٢,٤٤١,٠٠٠ نفس اما في النمسا فلا يزيد عددهم على ٥٠٠ نفس

٣ — فرنسيس يوسف امبراطور النمسا

هو ابن الارشيدوق فرنسيس كارل بن الامبراطور فرنسيس الاول ولد في ١٨ اوغسطس سنة ١٨٣٠ وتولى الملك سنة ١٨٤٨ وهو في الثامنة عشرة من عمره ثم توج ملكاً على هونكاريا سنة ١٨٦٧ فهو الآن في السادسة والسبعين من عمره والثامنة والخمسين من حكمه . تزوج ابنة مكسيميليان دوق بافاريا سنة ١٨٥٤ وهي امبراطورة النمسا

المتوفاة سنة ١٨٩٨ قتيلةً بيد شاب ايطالي هجم عليها وهي سائرة في اليخت بجنيفا وطعنها بمبرد مثلث في صدرها فاصاب قلبها (راجع الهلال الأول من السنة السابعة) وكانت من فواضل الملكات . وقد ولدت اربعة اولاد لم يبق منهم الا ابنتان هما الارشدوقة جيزلا والارشيدوقة مارية فاليرا والامبراطور ثلاثة اخوة كان احدهما مكسيميليان امبراطوراً على المكسيك وتوفي سنة ١٨٦٧ والثاني الارشيدوق كارل لدويج توفي سنة ١٨٩٦ عن عدة اولاد منهم فرنسيس فردينان المولود سنة ١٨٦٣ وهو ولي عهد النمسا الآن صارت اليه ولاية العهد بعد وفاة البرنس رودلف بن الامبراطور الحالي ولكن فرنسيس فردينان المشار اليه نحيف البنية حتى نهاه اطباؤُه عن الاقامة في فينا فضلاً عن ضعف رأيه والمشهور عند عارفيه انهُ لا يقوى على ادارة تلك المملكة بما فيها من العناصر المختلفة والاغراض المتضاربة ولم يخفَ عليه ذلك فاصبح يفضل العزلة والعيشة الهادئة بما اوتيه من اسباب الرخاء والرغد . والمنتظر ان يستقيل من ولاية العهد فينتقل هذا المنصب الى اخيه الارشدوق اوتو . ولو امكن لامرأة ان تتولى هذه المملكة لكانت الارشدوقة اليصابات ابنة ولي العهد السابق وحفيدة الامبراطور الحالي اولى الناس بهذا المنصب وحق الارث بالملك يجيز انتقاله الى الاناث

وعائلة هبسبورج من اقدم العائلات الحاكمة في العالم وقد مضى عليها وصولجان الحكم في ابنائها ٦٣٢ سنة ويندر ان يتفق ذلك لعائلة . اول ملوكها رودلف فون هبسبورج كان كونتاً جرمانياً فانتخب امبراطوراً على جرمانيا سنة ١٢٧٣ ومر على هذه الدولة زمن حكمت فيه على النمسا وهو نكاريا و بوهيميا واواسط المانيا وهولندا وايطاليا واسبانيا وتقلبت عليها احوال شتى . على ان توارث الحكم فيها لم يكن متواصلاً كل هذه المدة في سلالة الذكور فان هذه السلالة انقطعت سنة ١٧٤٠ بوفاة الامبراطور كارل السادس ولم يكن له الا ابنة اسمها مارية تريزا كانت قد تزوجت سنة ١٧٣٦ بالدوق فرنسيس لورين فلما توفي الامبراطور كارل افضى الملك الى ابنته وصار زوجها الدوق الامبراطور فرنسيس الأول و توالى الحكم في اعقابه (او اعقاب مارية تريزا) الى الآن ولذلك عرف هذا الفرع من عائلة هبسبورج باسم هبسبورج لورين

وللامبراطور الحالي راتب سنوي مقداره ٩٣٠,٠٠٠ جنيه يقبض نصفها من خزينة النمسا والنصف الآخر من خزينة المجر وله عدة قصور في فينا و بودابست وليس من الملوك المعاصرين اجلُّ مقاماً واقوى نفوذاً من هذا الامبراطور لشيخوخته و كبر نفسه وهو كثير

الميل الى الفنون الجميلة ويحب كل ماهو جميل في الطبيعة . وله ذكر حسن في الجندية فقد شهد وقائع كثيرة اظهر فيها بسالة وثباتاً وكثيراً ما كان يفضل الموت على التقهقر في ساحة القتال كما فعل في واقعة سلفرينو التي حارب فيها الجنود المتحدة من الفرنساويين والساردينيين سنة ١٨٥٩ وكان جند النمسا بقيادة الجنرال هيس وكان الامبراطور حاضراً . فقضي على النمساويين بالفرار لاسباب لا محل لها هنا فشقَّ ذلك عليه ففضل الموت على الفرار فوقف وعرَّض صدره لبطارية من مدافع الفرنساويين كانوا يطاردون النمساويين بقنابلها وظل واقفاً مدة حتى حملوه على الذهاب رغم ارادته . وهو مولع بالصيد وسائر الملاهي الرياضية ولكنه كثير الانعطاف الى رعاياه على اختلاف طبقاتهم رفيعهم ووضيعهم انعطاف الاب او الصديق ويتناقلون عن حنوه ولطفه قصصاً كثيرة اليك امثلة منها :

اتفق انه كان ماراً في بعض مزارعه فلقي رجلين يسرقان الحيوانات المرباة هناك للصيد على عادة ملوك اوربا فلما وقع نظرهما عليه سقطا عند قدميه واخذا يستعطفانه ويستغفرانه وانبأاه انهما كانا من جنده واقيلا من الخدمة وعائلتاهما كبيرتان لا يقويان على اعالتهما بسبب تقصير الزراعة فاضطرتهما الحاجة الى السرقة . فامرهما الامبراطور بالانصراف بعد ان سألهما عن اسميهما ومكان اقامتهما . فمضيا ومكثا زمناً يتوقعان القبض عليهما وعقابهما وبينما هما في ذلك اذ جاءهما كتابان وفيهما تعيينهما من حفظة الصيد فدهشا ثم علما ان الامبراطور انما عمد الى ذلك مكافأة على صدقهما ولانه وجد لهما آثاراً حسنة في خدمة العسكرية سنة ١٨٨٦

واتفق للامبراطور في بعض الايام الممطرة وهو سائر في مركبته الى شونبرون انه لقي في طريقه مركبة من مركبات المطافي، كانت مسوقة الى حريقة فغاصت عجلاتها في الوحل وعجزت خيلها عن جرّها فأوقف مركبته وامر رجاله فحلوا خيلها وشدوها الى تلك المركبة فاقتلعتها وجرتها الى محل الحريق . واما هو فانه ركب في بعض مركبات الاجرة حتى اتى شونبرون

ومن ادلة حنوه ورأفته انه لم يوقع على امر بالاعدام منذ عدة سنين ولما انتشرت الكولرا جعل همه ملافاة شرها وتعزية المصابين بزيارة المستشفيات وتخفيف آلام ابدانهم ونفوسهم بعبارات المحبة والحنو . ولما حدث الطوفان في هنكاريا اسرع بنفسه الى البلد المصاب لتحريض رجاله على انقاذ الغرقى وقد انقذ اناساً بيده . وهو كريم النفس لا تنقبض يده عن محتاج وكثيراً ما كان يبعث مؤونته في اثناء الحرب للجرحى اذا احتاجوا اليها ولا

سيما ما يعسر الحصول عليه من الخمور والمغذيات الخفيفة ونحوها و يقتصر هو في غذائه على طعام انفار الجند · ونظرًا لما يعتقده من حب رعيته فهو شديد الثقة بهم امين على حياته بينهم فيسير منفردًا ولا يركب مع الحرس الاَّ في الاحوال الرسمية و يقول الذين عاشروه ودرسوا احواله انهُ الانسان الوحيد الذي لا عدوَّ لهُ

ومما يتناقلونهُ من اخبار حداثته انهُ كان مشتغلاً في عيد ميلاده (اول السنة الخامسة من عمره) بلعبٍ صبيانية على جاري العادة عندهم بجعل يلهو بها في حديقة لكسنبورج وجدّه الامبراطور فرنسيس بجانبه · فوقعت عين الغلام على جندي من الحرس واقف وقفة التعظيم فالتفت الى جدّه بدهشة وقال « أليس هذا الحارس فقيرًا » فأجابهُ الامبراطور « وما الذي دلك على فقره » قال « لانه مضطر للقيام بواجباته » فأجابهُ الامبراطور وهو يبتسم « كل انسان ياحبيبي مضطر للقيام بواجباته سواءٌ كان فقيرًا أو اميرًا حتى ابناء الامبراطور ··· على ان هذا الرجل في الحقيقة فقيرٌ فخذ واعطه هذه الورقة المالية (بنك نوط) » فحمل الورقة واسرع الى الحارس ومدَّ يده وهو يقول « خذ ان جدّي ارسل هذه اليك » وكانت القوانين العسكرية صارمة عندهم لا تجيز للحارس ان يمدَّ يده أو يقبل مثل هذه العطية · فهزَّ الخفير رأسه يشير الى انه لا يقدر على اخذها · فغضب الغلام لفشله وعاد الى جدّه كانه يشكوه اليه فقال جدّهُ « خذها وضعها له في علبة الخرطوش » ولكن يد الغلام لم تكن تدرك العلبة لقصره فجاء جدّه وساعده على ادراكها واسقاط الورقة فيها · فسرَّ الغلام وقال « قد نجا هذا العسكري من الفقر » وذلك دليل على حنوّه منذ نعومة اظفاره

توفي جده وهو في الخامسة من عمره ولما بلغ السادسة اخذوا في تعليمه وتثقيفه ثم انضم اخوته اليه وكانت والدتهم (صوفيا) بافارية الاصل ولها عقل وتدبير فرأست امر تعليمهم بنفسها · ولابناء ملوك النمسا قوانين للتعليم وضعها الامبراطور يوسف الثاني في اواخر القرن الثامن عشر · ومن اقواله في التحريض على التعليم : « يقول العامي لابنهِ اذا تعلمتَ وبرعت خدمت وطنك وانتفعت بخدمته واذا لم تبرع فلا ضرر عليه منك وانما الضرر يعود على نفسك · ولكن هذا القول لا ينطبق على ابناء الملوك لانهم سيتولون امور الناس في الحالين فلا يصح ان يفرض عدم براعتهم بل يجب ان يبرعوا »

ويحكى عن عمه الامبراطور فردينان انه كان كثير التردد الى حدائق له واسعة في شونسبرون ولا سيما بعد ان اعتزل الملك فكان يقيم فيها معظم نهاره وكان وديعًا رفيقًا

ايضاً — ذكروا ان بعض سياح الانكليز دخل تلك الحدائق واحب التمشي فيها ولكنه خاف ان يضل في طريقه فلقي الامبراطور فردينان يخطر هناك بلباس بسيط فظنه من عامة الناس فتقدم نحوه وطلب اليه ان يسير بين يديه يدلهُ على مسالك الحديقة فأجابه الى طلبه ومشى امامه واراه احسن المناظر ولم يبد ادنى ملاحظة انه الامبراطور . فلما فرغا من الطواف مدّ الانكليزي يده الى جيبه فاستخرج فلورينين دفعها الى الامبراطور اجرة مشيه في خدمته فتناولها ضاحكاً ووضعها في جيبه وهو يقول « هذه أول مرة في حياتي كلها كسبت فيها فلورينين »

والمطلع على سرائر المجر يعلم يقيناً انهم لم يصبروا على سيطرة النمسا الى الآن الاّ احتراماً لشخص الامبراطور الحالي وقد احبوه قبل توليهِ الملك لما آنسوه من حسن أسلوبه ورقة طباعه ومعرفته لغتهم المجرية . وكان المجر ولا يزالون الى اليوم يحبون احياء لغتهم على ان يجعلوها هي لغة الحكومة الرسمية بدلاً من النمساوية او اللاتينية والامبراطرة لا يرون ذلك موافقاً لمصلحتهم لعلمهم ان بحياة اللغة تحيا الامة فكانوا يحتقرون لغة المجر ولم يتعلمها احدهم قبل الامبراطور الحالي فانهُ تعلمها في صباه واتقن التكلم بها . فاتفق سنة ١٨٤٧ وهو لا يزال ارشيدوقاً انه سار بمهمة رسمية لتثبيت حاكم بست بالنيابة عن الامبراطور وكان المجر يومئذ في اول ثورتهم على الحكومة النمساوية غيرةً على استقلالهم ووطنيتهم ولغتهم . فلما رأى الارشيدوق فرنسيس يوسف (الامبراطور الحالي) ذلك منهم القى فيهم خطاباً باللغة المجرية الخالصة فدهشوا ولم يتمالكوا عن الصياح من شدة الفرح حتى بحت اصواتهم واستلوا سيوفهم وشهروها على عادتهم في اظهار الاستحسان والسرور . وبعد ذلك ببضعة اشهر نضجت الثورة المجرية وهاج الشعب يطلب الخروج من طاعة النمساويين فنهض احد نوابهم وذكرهم بالارشيدوق الشاب الذي خاطبهم بالامس باللغة المجرية وان هذا الشاب سينتخب امبراطوراً للنمسا . فكان لكلامه وقع حسن وبعد بضعة اشهر انتخب الارشيدوق وصار امبراطوراً . ولم يكن الامبراطرة السابقون ينجون من ألسنة المجريين او اقلامهم اما الامبراطور الحالي فتلقوا خبر تتويجه بالسرور والارتياح

وذكروا لزواجه بالامبراطورة اليصابات حكاية لا بأس من ايرادها قالوا — : ان الامبراطور سافر سنة ١٨٥٣ الى ايشل ليعيد فيها عيد ميلاده مع عائلته فاحتفلت والدته هناك بليلة راقصة اكراماً لابنها الامبراطور واخيه لانهما كانا مولعين بالرقص . وكان

في جملة المقيمين في ايشل لويسا دوقة بافاريا وابنتاها هيلانة واليصابات فطلب الامبراطور من والدته ان تدعوهن للبالو فدعتهن فقبلت الدوقة الدعوة عنها وعن ابنتها هيلانة واعتذرت عن اليصابات بانها ليس عندها الثوب اللائق بتلك الليلة . فاجاب الامبراطور انه لا يقبل لها عذراً لان ابسط الملابس مع وردة تغرسها في شعرها يكفيان ليجعلاها سيدة ذلك الاحتفال . فلم تر الوالدة مندوحة عن اجابة طلب الامبراطور فجاءت اليصابات كما قال وكانت زينة الحاضرين وقد لحظ الناس افتتان الامبراطور بها لانه لم يرقص مع سواها طول تلك الليلة . وفي منتصف الليل قدموا الشاي واشتغل الناس به فاغتنم الامبراطور اشتغالهم ووقف مع فاتنته امام طاولة عليها كتاب صور (ألبم) فيه رسوم اصناف الرعايا في مملكة النمسا وعاداتهم على اختلاف الولايات . ففتح الامبراطور ذلك الكتاب وجعل يقلب صفحاته بين يدي اليصابات ويريها الصور المختلفة وهي تنظر فيها وخاطرها مشتغل في ماذا عسى ان يكون في نفس الامبراطور بشأنها . ثم سمعته يقول لها « هؤلاء كلهم رعاياي ... قولي كلمة واحدة فيكونون من رعاياك ايضاً » وبسط يده نحوها فمدت يدها وصافحته وكان ذلك جوابها الايجابي . فقال لها عند ذلك « ساقدم لك باقة الخطبة بعدئذ » وقد قام بوعده وخطبها وزوجها سنة ١٨٥٤

ومعيشة الامبراطور بسيطة وحياته كلها عمل ينهض باكراً نحو الساعة الخامسة صباحاً فيتناول طعاماً بسيطاً من القهوة والزبدة ثم يذهب الى عمله فيستقبل الوافدين عليه بين الساعة العاشرة والثانية عشرة ثم يسمع الموسيقى التي تعزف في ساحة القصر عند تبديل الحرس فيخلو بكتبة اسراره للنظر في بعض الشؤون او يرأس المجلس . ويتناول الغداء الساعة الثالثة بعد الظهر ويغلب ان يخرج بعد ذلك في مركبته للتنزه وكثيراً ما يزور مراسح التمثيل ثم يتناول عشاءه نحو الساعة العاشرة ويذهب الى فراشه . ومع كثرة اشغاله قلما يشكو التعب واذا تعب عمد الى الرياضة البدنية بالصيد فيقضي بضعة ايام في الاماكن المعدة لصيده

وهو يتكلم كل اللغات الشائعة في مملكته مع كثرة اصناف الناس هناك فضلاً عن الفرنساوية والانكليزية ويدل ذلك على نشاطه وقوته لان درس كل هذه اللغات لا يتم الا بالتعب والسهر . وقد ذكر بعض عشرائه انه شاهده يخطب على فرق الجند في بعض الاستعراضات فالقى خمس خطب على خمس فرق في خمس لغات وهي النمساوية والمجرية والبوهيمية والفلاخية والايطالية . وهو يحب الموسيقى وينشط اهلها ويدفع من

جيبه الخاص رواتب سنوية لاصحاب الاجواق الموسيقية و يجيز المصورين والشعراء والمؤلفين ويكرم العلماء والباحثين • وفي جملة المعدودين بين اصدقائه من رجال العلم وكنر وليست ومارخارت ومنكازي وغيرهم من علماء بلاده ومع تشيعه للمذهب الكاثوليكي فانه يكرم الوافدين عليه من سائر الملل النصارى والمسلمين واليهود وغيرهم

الخرس يتكلمون

ان هذه العبارة استعملت اولاً على سبيل المجاز ولم يخطر ببال سامعها ان الخرس سينطقون فعلاً ويتفاهمون بالكلام المؤلف من الحروف كما يفعل سائر الناس • على ان بعض اهل البحث اشار بتعليم الخرس النطق قبل القرن الماضي فلم يبالوا بقوله ولا حسبوا ذلك ممكناً حتى تحقق في اواخر القرن المذكور وظهرت نتائجه وانتشر في الاعوام الاخيرة في معظم مدن العالم المتمدن فنطق الخرس وتفاهموا وتكاتبوا والفوا الجمعيات وتعاطوا الاعمال التجارية والكتابية وخرجوا من ظلمات الجهالة الى نور العلم بما تيسر لهم من وسائل المطالعة للتعويض عما خسروه بالصمم من اسباب التهذيب والتربية بما يثقف العقول ويرقي الافكار

والخرس الحقيقي انما هو نتيجة الصمم ويغلب في هذه الاحوال ان يولد الطفل اصم فينشأ ابكم لا لعلة في أوتار الصوت أو نقص في اعضاء النطق ولكنهُ لم يسمع الكلام فلم ينطق بهِ وعلى هذا القياس يشبُّ الانسان وهو يتكلم لسان قومه لانهُ نشأ بينهم وسمع كلامهم فقلدهم • فالناشيء بين الفرنساويين يتكلم الفرنساوية أو بين العرب فالعربية وهكذا ومن ينشأ ولا يسمع كلاماً فلا ينطق بكلام • ويدخل في هذا الحكم ايضاً الذين يطرأ عليهم الصمم وهم اطفال فانهم ينشأون بكماً

والصمم من العاهات الثقيلة على بني الانسان • ولكن العادة ان يستعيذ الناس من العمى ويعدونه افظع العاهات لان الانسان يفقد به بصره فلا يرى طريقه ولا يعرف وجوه اهله واصدقائه ولا يتمتع بشيء من مناظر الطبيعة وعندنا ان الصمم افظع من العمى لان الاعمى يعتاض عما يخسره من المناظر بما يسمعه من الانغام أو الاصوات وبما يتلقنه عن طريق السمع من العلوم والآداب وهي ثمار العقول منذ آلاف من السنين ناهيك بما يثقف عقله من الاحاديث والاخبار • واما الاصم فانهُ يرى ولا يفهم ولا سبيل الى تعليمه او تفهيمه

فيشب جاهلاً ويغلب فيه النزق وحدة الطبع لضيق خلقه باحتباس عواطفه وعجزه عن تأدية ما في ضميره وامتناع التربية عنه

وللخرس الطبيعي او الصمم الخلقي منذ الولادة اسباب كثيرة اشهرها (١) التزوج بالاقارب الاقربين (٢) الانتقال بالوراثة (٣ ضعف بنية احد الابوين او كليهما (٤) الداء الخنازيري

والسبب الفيسيولوجي للصمم الخلقي تشوبه في بناء الاذن او نقص في بعض اعضائها او سدٌ يمنع وصول الامواج الصوتية الى العصب السمعي او ضغط على العصب المذكور يحول دون ايصال الاحساس الى الدماغ او نحو ذلك . اما الخرس الطارئ بعد الولادة فيكون على الغالب من بعض عواقب الامراض الثقيلة كالجدري او الحصبة او التيفوس او التشنج او الاستسقاء الدماغي او غيره من علل الدماغ والحمى القرمزية وغيرها . والجدري اكثرها اثراً في ذلك ولهذا السبب قلّت حوادث هذا الصمم بعد شيوع التلقيح بالجدري البقري . على ان الصمم الخلقي اكثر حدوثاً من الاكتسابي ونسبة ذلك في المئة نحو ستين من الخلقي الى اربعين من الاكتسابي . ووجدوا السبب الرئيسي للصمم الخلقي التزوج بين الاقارب اجيالاً متوالية وكلما تباعدت القرابة قلت حوادث الصمم في الاولاد وقد عني بعض اطباء الانكليز في درس هذا الداء من حيث هذا السبب فتوصل الى النتيجة الآتية في ٢٠٠ حادثة رتبها على حسب درجات القرابة بين الازواج وهي :

درجة القرابة بين الزوجين	حوادث الصمم الخلقي	الصمم الاكتسابي	الجملة
من ابوين هما ابناء عم	٨٠	٥	٨٥
« ابواهما ابناء عم	٦٠	٣	٦٣
« جداهما « «	٣١	١	٣٢
« ابوا جديهما «	٠٧	٠	٠٧
« قرابتهما أبعد من ذلك	١٣	٠	١٣

فترى مما تقدم ان اكثر حوادث الصمم تقع في ابناء الوالدين الاقربين وقد ذكروا عدة حوادث تؤيد هذه النتيجة . على ان التزاوج بين الاقارب مضرٌ بالنسل من كل وجه وقد درس الدكتور بمس الاميركاني ٨٣٣ حادثة زواج من هذا النوع فكانت نتيجة درسه ان اولاد هذه العائلات بلغ عددهم ٣,٩٤٢ ولداً منهم ٢,٨٠٨ اولاد سليمو البنية والباقون وهم ١,١٣٤ ولداً مصابون بالعلل او العاهات منهم ١٤٥ اصم و ٨٥ اعمى

و٣١٨ ابله و ٣٨ مجنوناً و ٦٠ مصروعاً و ٣٠٠ مصاب بالخنازيري و ٩٨ مشوه الخلقة · وقد مات منهم ٨٨٣ في سن الطفولية – الى ان قال « فابحاثي تخول لي الحق ان احكم حكماً صادقاً بان عشرة من الصم البكم وخمسة من العميان و١٥ في المئة من البله في بلادنا (اميركا) انما هم نتيجة الزواج بين الاقارب » وليس هنا محل الافاضة في اسباب هذا الداء ولكننا استحسنا الاشارة الى هذا السبب من اسبابه على سبيل الذكرى ولا يخلو ذكره من فائدة

والغرض من هذه المقالة البحث في تعليم الخرس وقد تنبه الناس الى ذلك من عهد غير بعيد واما القدماء فقد كانوا يظنون تعليمهم مستحيلاً لان اللغة في اعتقادهم لا يمكن الحصول عليها بغير طريق السمع وبناء على ذلك اصبح الخرس منفردين عن الهيئة الاجتماعية واصبح اكثرهم حملاً ثقيلاً على اهلهم حتى كثيراً ما كانوا يقتلونهم وهم اطفال فاذا بلغ الولد الثالثة من عمره ولم يكن يسمع ولا ينطق قتلوه · والخرس في شريعة يوستنيان الروماني لا يليقون بالاعمال المدنية

وكان الفرنساويون اذا ولد لاحدهم ولد اخرس عدُّوا ولادته شؤماً على اهله وكان رجال الدين في الاجيال الاولى للنصرانية يعدون الخرس عثرة في سبيل خلاص النفس لان الاخرس لا يقدر ان يسمع كلمة الله ولا يقرأها فلما بزغت انوار العلم في هذا العصر اصبح تعليم الخرس من الامور المسلمة

واول من حلَّ هذه العقدة وافسد القول باستحالة تعليم الخرس عالمٌ اسمه جروم كردان من اهل بافيا في القرن السادس عشر وقد علل امكان تعليمهم بقوله « ان الكتابة مرتبطة بالكلام والكلام مرتبط بالفكر ولكن الاحرف او الآراء يمكن نقلها من الفكر الى الكتابة بغير توسط النطق » فاخذ الناس من ذلك الحين يعتقدون امكان تعليم الخرس · وعاصره راهب اسباني اسمه بادرو دي بونسي اخذ عنه هذا القول وعمل به فكان اول من علَّم الخرس الكلام ولكنه لم يخلف كتاباً في كيفية التعليم · وجاء بعده بونت في اسبانيا ايضاً فالف كتاباً طبع في مدريد سنة ١٦٢٠ حوى قواعد ذلك الفن واخذ تعليم الخرس في الانتشار اولاً في ايطاليا وانكلترا ثم في سواها من مدن العالم

☙ طرق التعليم ☙ يرجع تعليم الخرس التفاهم الى طريقتين اساسيتين (١) الاشارات اليدوية (٢) الالفاظ والاولى اكثر انتشاراً في انكلترا واميركا والثانية اكثر شيوعاً في المانيا والنمسا ولغة الاشارات نوعان الاول الاشارات الطبيعية وهي التي يتفاهم بها الخرس على الاجمال فيدلون على الاشياء بتمثيل اشكالها او صورها او شيء يتعلق بها

وهي لغة عامة الخرس وتعلمها سهل والثاني الاشارات الاصطلاحية وهي عبارة عن التوسع بتلك الاشارات على قواعد معينة بحيث يمكن الدلالة بها على العواطف والفضائل وسائر الامور الرمزية التي لا صورة لها . وقد اتقنت هذه اللغة وشاعت في معظم المدارس الكبرى في اوربا واميركا وهو ما يعبرون عنه بلغة البنتوميم فقد اصبحوا يعبرون بها عن كل ما يخطر بالبال . غير ان التفاهم بها لا يتجاوز ما بين الخرس انفسهم او من يتعلمها من سائر الناس . على ان بعضهم اراد تعليم الخرس لغة يشتركون في التفاهم بها مع سائر الناس اي ارادوا تعليمهم لغة الناطقين فوضعوا للاحرف الهجائية علامات بالاصابع دلّوا فيها على الالف مثلاً بقبض



استاذ يعلم النطق لتلميذ اخرس

الاصابع كلها وعلى الباء بقبض الابهام فقط وهكذا الى الياء وقد اتت هذه الطريقة بنتائج حسنة وتفرع هجاء الخرس الى فرعين كبيرين تختلف صور الحروف في احدهما عن صورها

في الآخر احدهما شائع في مدارس انكلترا والآخر في سائر مدارس اوربا واميركا وهذه الطريقة لم تأت بالفائدة المطلوبة . على ان الخرس ما زالوا يستسهلون التفاهم بلغة الاشارات الطبيعية بعد ما ادخلوه فيها من الاصطلاحات اذ لا يعجزهم التعبير بها عن شيء من الامور الحسية او المعنوية

اما لغة الالفاظ التي يمكن التفاهم بها مع سائر الناس فيراد بها تعليم الخرس التفاهم بالنطق بملاحظة حركة شفاه مخاطبيهم وهم يتكلمون وتقليد تلك الحركة بشفاههم وألسنتهم وقد يتبادر الى الذهن استحالة ذلك عليهم ولكن الاختبار دلنا على امكانه وسمعنا الخرس يتفاهمون به وقد شاع تعليم الخرس النطق في سائر انحاء العالم فانشئت المدارس وبذلت في سبيله الاموال فجاء بالنتائج الحسنة والاميركان اكثر الامم سعياً في هذا السبيل واكثرهم بذلاً في نشره وكذلك الفرنساويون والالمان وهاك جدولاً لاحصاء مدارس الخرس في العالم لسنة ١٨٨٥ لتعليم لغة الاشارات أو لغة الالفاظ

اسم المملكة	عدد المدارس	عدد التلامذة	اسم المملكة	عدد المدارس	عدد التلامذة
فرنسا	٦٢	٣,٨٩٦	سويسرا	١١	٣٨٠
الولايات المتحدة	٥٥	٧,٠٥٥	بلجيكا	١٠	٨٦٤
انكلترا	٤٠	٢,٦٤٦	نروج	٧	٣٥٨
المانيا	٩٠	٥,٦١٤	اسبانيا	٧	٢٢٢
ايطاليا	٣٦	١,٤٨٩	روسيا	٤	٤٦٠
النمسا	١٧	١,١٢٩	سائر انحاء العالم	٢٧	٢,١٥٦
اسوج	١٧	٦٨٠		٣٨٣	٢٦,٩٥٩

ويؤخذ من احصاء آخر لسنة ١٩٠٢ ان عدد مدارس الخرس في العالم بلغ ٤٢٩ مدرسة

وقد نهض المتمدنون لتعليم الخرس النطق في اواخر القرن الماضي نهضة حسنة وفي عزمهم ادخال هذه الطريقة في مدارس الخرس على الاجمال فالتأمت الجمعيات وتألفت اللجان واهتم الناس في ذلك اهتماماً عظيماً فانتشرت هذه الطريقة حتى كادت تمحو لغة الاشارات وربما محتها بعد قليل لان مدارس الخرس التي عددها الآن ٤٢٩ مدرسة في كل العالم كما قدمنا اصبح ٢٦٩ منها لتعليم لغة الالفاظ . والفرنساويون اكثر الامم رغبة في هذا التحسين فان مدارس الخرس عندهم سبعون مدرسة حولوا ٦٤ منها لتعليم لغة الالفاظ

أما طريقة تعليم النطق للخرس فتختلف باختلاف الممالك والمدارس وهي في كل حال شاقة تحتاج الى مهارة ونظر لان الاخرس لا يقدر ان يتصور الاصوات فهو لا يستطيع تقليدها فكيف يمكن تعليمه النطق بها • ولكن النطق ترافقه حركات الشفتين واللسان والاخرس يبصر فيمكنه تقليد تلك الحركات • ويرافق خروج الاصوات من الفم نفسٌ يقدر الاخرس على الشعور به بيده ويرافقها ايضاً حركة الصدر والحلق والرأس والمناخير مما يستطيع الاخرس رؤيته ولا يعجزه تقليده • وعند التدقيق يظهر لنا ان كل حرف من حروف الهجاء تقريباً يرافقه من حركة الشفاه واللسان والصدر ما يميزه عن سواه • وتنمو قوة الملاحظة في الخرس عن طريق البصر كما تنمو قوة الملاحظة في العميان عن طريق السمع • فالاخرس النبيه لا يحتاج في تعليمه النطق الى جهد كثير لانه لا يلبث ان يميز احرف العلة عن سائر الحروف ثم يتدرج في التمييز بين هذه

ولابد في الخرس من ارتقاء حاستي اللمس والنظر للتعويض عما خسروه من حاسة السمع • ويجب تمرينهم على اخراج الاصوات من حناجرهم وتكييفها بالسنتهم وشفاههم فيعلمونهم اولاً الاصوات البسيطة كالنفخ مثلاً ويدلونهم عليه باطفاء الشمعة ويدربونهم على اخراج هذا الصوت باختلاف درجاته ثم يعلمونهم نفخ فقاقيع الصابون في الهواء ويبذلون الجهد في تعليمهم اولاً دقة الملاحظة وسرعة الانتباه لكل شيء • فيقف الاستاذ مثلاً ويخطو خطوتين ثم يدور نصف دورة ويجلس ويقوم وينحني والتلميذ يلاحظ حركاته ويقلدها • وينتقل من تحريك الجسم على الاجمال الى تحريك كل عضو على حدة كاليد والرأس والرجل ولا يزال المعلم يتدرج في تدريب التلميذ على تقليد حركاته من الكلية الى الجزئية حتى يصل الى حركات اعضاء الصوت وهي مركبة من تحريك الفم والشفتين والفكين واللسان • وبعد ان يكون الاخرس لا يستعمل فمه الا للاكل يعمد الى تدريبه على اخراج الصوت والمقاطع فيعوّد اللسان والشفتين على حركات لم تتعودها من قبل بين تقويس ومدّ ونشر وبسط مما لا ينتبه له الناطقون الاّ اذا وجهوا عنايتهم الى ملاحظته • واما حاسة اللمس فيقوونها في الخرس بتغميض عيونهم برباط او نحوه ثم يأتون ببعض الادوات كقلم رصاص مثلاً ويدفعونه الى احدهم فيجسه من كل جهاته كأنه يدرس شكله بلمسه ثم يأخذونه منه فيجعلونه بين بضعة اقلام اخر ويرفعون الرباط عن عينيه ويطلبون اليه استخراج ذلك القلم من بين سائر الاقلام

ويمرنونهم على اخراج الاصوات بالنفخ على درجات متفاوتة بنفخ فقاقيع الصابون

على اشكال مختلفة ويقضون في تمرينه على كل ذلك شهرين او ثلاثة الى ستة اشهر ثم يقدمون على تعليمه النطق فيبدأون باحرف العلة واولها حرف (a) وترى في الشكل صورة استاذ يعلم تلميذه اللفظ به فيفتح فاه ويلفظ الحرف ويحرض الغلام على تقليده ويضع يده على صدره ليلاحظ تنفسه فيخرج الصوت لاول مرة بين a و e فيضغط المعلم على صدره ويدربه حتى يخرج اللفظ صحيحاً ثم يتدرج في تعليمه سائر احرف العلة وينتقل منها الى الاحرف الشفوية فيعلمه نطق الباء مثلاً ثم الميم وحركة الشفاه فيهما ظاهرة للعيان وهكذا مما يطول شرحه

فتعليم الخرس الكلام شاع في البلاد المتمدنة منذ نحو ثلاثين عاماً ولكنهُ لم يدخل مصر الاَّ في العام الماضي على يد اديب اسمه الخواجه ادلبي اتقن هذا الفن في مدارس انكلترا ونال شهادتها فيه واتى هذا القطر وقد شاهدناه وقص علينا خبره وانه قادر على تعليم الخرس الكلام بالطرق الحديثة فحثثناهُ على انشاء مدرسة خصوصية لهذه الغاية خدمة للامة المصرية لما في ذلك من تخفيف مصيبة الخرس على اهاليهم فانشأ مدرسة في شارع محمد علي بالقاهرة من ضمن مدرسة كبرى لبعض المبشرين وهو يعلم الخرس القراءة والكتابة في اللغتين العربية والانكليزية • ويغلب في اعتقادنا ان هذه المدرسة سيكون له شأن في هذه البلاد وتنشأ على مثالها مدارس اخرى ويكون الفضل في انشائها الى مؤسس المدرسة المذكورة

الاميرال نلسن

وواقعة ترافلغار

احتفل الانكليز في ٢١ اكتوبر الماضي بتذكر مئة عام مرت على انتصارهم في واقعة ترافلغار البحرية بين عمارتهم بقيادة الاميرال نلس والعمارة المتحدة (من فرنسا واسبانيا) بقيادة الاميرال فلنوف في مثل هذا اليوم من القرن الماضي • فيجدر بنا والحالة هذه ان نأتي بفذلكة من ترجمة هذا القائد العظيم وخصوصاً ما يتعلق منها بتلك الواقعة الشهيرة

ولد نلسن في نورفورك بانكلترا سنة ١٧٥٧ وكان في حداثته نحيف البنية خفيف

الفضل وتلقى مبادىء العلم في نورويتش • وتوفيت والدته وهو في العاشرة من عمره وكان في حياة من شهد مأتمها خاله القبطان سكلين احد ضباط البحرية الانكليزية فسمعهُ نلسن يقص حوادث الملاحة وغرائبها فشعر من ساعته بميل الى سلك البحار ولكنهُ لم يكن يرجو مباشرة ذلك يومئذ لصغر سنه • وسمع بعد سنتين ان خاله تعين قبطاناً للدارعة ريزونابل فسعى في ان يسير معه فاجابه وهو لا يرجو نبوغه لما كان يراه من نحافته على انه ما ابث ان رآه يتقدم ويتقوى ثم اصيب بمرض خبيث فاعادوه الى بلده فشق ذلك عليه وكاد ييأس من الحياة ونفسه لا تزال كبيرة ومطامعه عظيمة فلما شفي كان قد بلغ التاسعة عشرة من عمره فكان اول شيء باشره انه ذهب الى نظارة البحرية وطلب اليهم ان يمتحنوه في الفنون البحرية فوجدوه ماهراً وفيه استعداد عظيم فادخلوه في سلك الملاحة العسكرية ومر عليه اهوال واحوال حتى كانت واقعة ابي قير التي حطم فيها العمارة الفرنساوية سنة ١٧٩٨ ونال لقب بارون وزيدت رواتبه مما يطول بنا شرحه ونقتصر هنا على ما كان من اعماله الحربية في واقعة ترافلغار اما سائر اعماله وآثاره فقد نشرناها مع ترجمة حياته في الجزء الرابع عشر من هلال السنة الخامسة



الاميرال نلسن

واقعة ترافلغار ترافلغارا او الطرف الاغر ؟) راس من البر في اسبانيا على شواطئها الجنوبية مما يقابل مراكش اشتهر بالواقعة التي نحن في صددها . وسببها ان نابوليون بونابرت بعد ان نال لقب امبراطور وقهر معظم دول اوربا لم يبق في نفسه الا قهر الانكليز وخصوصاً بعد ان حطموا عمارته في ابي قير فعزم على فتح بلادهم ولكنه خاف العاقبة وتربص ريثما يتمكن من تشتيت شمل العمارة الانكليزية . وكان الانكليز من الجهة الاخرى يعتقدون ان اسبانيا انحازت الى فرنسا سرًّا وعاهدت نابوليون على مناوأتهم فاخذوا يتحرشون بالسفن الاسبانية القادمة من اميركا الجنوبية و يقبضون عليها فبلغ ذلك الى الاسبان فاستشاطوا غيظاً واتحدوا مع الفرنساويين فعلاً بمحالفة مؤرخة في دسمبر سنة ١٨٠٤ فاصبح الاسطول الاسباني تحت تصرف نابوليون ورأى هذا الفاتح العظيم ان يسرع في اغتنام الفرصة لنيل بغيته لعلمه ان انكلترا اذا علمت بغرضه جمعت اساطيلها فلا يقوى هو عليها وخصوصاً اذا جاء نلسن باسطوله

وبينما كان الناس يتوقعون عبور نابليون خليج المانش لاكتساح انكلترا كان هو يسعى سرًّا في الاستعداد لمحاربة الاسطول الانكليزي جنوبي اسبانيا وقد أمر الاسطول الفرنساوي بقيادة الاميرال فيلنوف ان يبرح مينا طولون للاتحاد بالاسطول الاسباني بقيادة الاميرال كرافينا في كورونا فاتحدا وسار الاسطول المتحد الى قادس على شواطئ اسبانيا الجنوبية فوق رأس ترافلغار وقد عزموا على مهاجمة الاسطول الانكليزي . وكان الانكليز قد علموا بذلك فجمعوا اساطيلهم وجعلوها بقيادة الاميرال نلسن وكان قد تعود سحق الاساطيل الفرنساوية فخرج حتى أشرف على قادس في اواخر سبتمبر سنة ١٨٠٥ واسطوله مؤلف من ٣٣ دارعة واسطول فيلنوف في مثل ذلك . وادرك نلسن ان فيلنوف اذا علم ان قوة الاسطول الانكليزي تعادل قوة اسطوله لا يجسر على محاربته لانه كان حذوراً فاخرج ثماني دوارع من اسطوله بحيث لا تظهر للعدو . والظاهر ان هذه الخدعة جازت على فيلنوف لانه كان يعتقد ان الاسطول الانكليزي لا تزيد دوارعه على عشرين دارعة — ربما خدعهُ مخبروه . فخرج باسطوله المتحد من قادس في ٢٠ اكتوبر على ان يهاجم نلسن في عرض البحر وعلم نلسن بخروجه فظلَّ في مكانه ليبعد الفرنساويين عن البر وكان مطلعاً على حركاتهم بكل دقة فعلم في تلك الليلة انهم يقتربون من بحر ترافلغار . وطلع الفجر في ٢١ اكتوبر وفيلنوف في مياه ترافلغار فصمم نلسن على مهاجمته فرتب اسطوله في فرقتين فرقة شمالية تحت قيادته في الدارعة فيكتوري (النصر) وفرقة جنوبية بقيادة الاميرال

كولنوود في الرويال سوفرين وكانت الريح هادئة

فسار نلسن سيرًا بطيئًا حتى اطل على اسطول فيلنوف وكان هذا قد نظم اسطوله في خطين متواز بين دوارع الخط الثاني منه شاغلة الفراغ بين دوارع الخط الاول . وتقدم بالاسطول وهو على هذا الترتيب . وكان فيلنوف عالمًا بالحركات العسكرية ولكنه كان جبانًا وقد قيل « ما فاز باللذات الا الجسور »

ولما اقترب الاسطولان كان اول مافعله نلسن انه خاطب رجاله في سائر الدوارع بواسطة الاشارات بهذه العبارة « ان انكلترا تتوقع من كل رجل ان يقوم بواجباته » فصاح الانكليز عند ذلك صيحة الابتهاج حتى دوى البحر من صياحهم ويقال ان فيلنوف لما سمع ذلك الصياح قال لبعض خاصته « لقد وقعت الخسارة » ونحو الظهر تقدمت فرقة الاميرال كولنوود (الجنوبية) فبدأت القتال فاطلقت قنابلها على الدارعة سانتا انا فدوختها واخترقت دوارع الفرنساويين فاحاطت بعض دوارعهم بدارعة كولنوود (الرويال سوفرين) ومنعت عنها المدد وكادوا يفتكون بها واذا بالدارعة فيكتوري وعليها الاميرال نلسن قد انقضت على الاسطول الفرنساوي بنار شديدة واخترقته بعد الظهر بقليل فوقع الاضطراب في اسطول فيلنوف ثم هجمت سائر الدوارع الانكليزية واحتدم القتال في الجانبين . وكانت الدارعة فيكتوري مبعث الشجاعة والقوة لسائر الاسطول وعليها الاميرال الاكبر ولكنه أصيب بعد ساعة من الالتحام برصاصة ذهبت بحياته في تلك الليلة

على انه لم يمت قبل ان ترجح النصر للانكليز وقد تحقق الباحثون ان الرصاصة التي قتلت نلسن اتت من الدارعة ردوتابل صوبها عليه رجل رأى الوسامات تتلألأ على صدره وكان قد تعوَّد تغطيتها بردائه حتى لا يميزه العدو عن سائر الجند فأصابته الرصاصة في اسفل الكتف . فلما احس بالاصابة التف بردائه وغطى وجهه بمنديله وتجلد حتى لا يشعر رجاله باصابته فيفشلوا لكنه وقع فحملوه الى فراشه وعادوا الى القتال وانقضت الواقعة بعد ثلاث ساعات بانتصار الانكليز وموت الاميرال نلسن ولم يمت حتى تحقق ذهاب ثلثي الاسطول المتحد بين تحطيم واسر واخبروه وهو على آخر رمق بانتصار اسطوله فقال « شكرًا لله اني قد قضيت واجباتي » . اما الاميرال فيلنوف فلما تحقق فشله انتحر فرارًا من العار

وكافأت انكلترا عائلة نلسن مكافأة حسنة فمنحت اخاه لقب ارل وراتبًا مقداره ٦٠٠٠ جنيه في السنة واعطت كلاً من اخواته ١٠٠٠٠ جنيه مع ١٠٠,٠٠٠ جنيه اشترت لهن بها مقاطعة

صحة العائلة

هل نذبح لنا كل ؟ — كلا

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي بدمنهور

٣ طعام الانسان الطبيعي

هل يقول العلم ان من طبيعة الانسان اكل اللحوم : اساس البحث في هذا الموضوع ان طعام الانسان الطبيعي يطابق دائماً تركيب جسده وطرق الهضم العديدة ووظائف أخرى جسدية

ترتيب الحيوانات بالنظر الى طعامها : تقسم الحيوانات باعتبار طعامها الى اربعة اقسام كبرى (الاول) اكلة الاعشاب (الثاني) اكلة الاثمار (الثالث) اكلة اللحوم (الرابع) اكلة كل طعام • وينظر في هذا الترتيب الى رتب الحيوانات العليا على الخصوص ولو امكن اطلاقه على الطيور والاسماك وبعض الرتب الدنيا • فاذا شئنا وضع الانسان في صف من هذه الصفوف وجب علينا البحث في تركيب جسده وتوصلاً لذلك لابدّ من معرفة الصفات المميزة لاجناس الحيوانات العديدة التي تتفرع اليها اعضاء المملكة الحيوانية بالنسبة الى طعامها واليك الصفات التي تميز كلاً منها على حدة باعتبار الاعضاء :

الاسنان

(١) اسنان اكلة الاعشاب : للحيوانات التي تأكل الاعشاب كالثور والحمار والخروف ونحوها ٢٤ سناً وجدت لمضغ الطعام الخشن ١٢ في كل فك وثماني قواطع في الفك السفلي تقابلها صفيحة قرنية في الفك العلوي تنطبق عليها القواطع عند اطباق الفكين • وعوضاً عن ان تكون الاسنان مغطاة بالعاج كما في سائر الحيوانات فانها مؤلفة من صفائح بارزة من المينا تتخللها صفائح منخفضة من العاج ولذلك يكون سطح الضرس خشناً مناسباً لطحن المواد الصلبة التي تقتات بها • ومنها ماله طبقة واحدة من العاج كالقواضم وامامها طبقة من المينا فعند القضم ينبري العاج اكثر من المينا وتصير السن حادة كالازميل

(٢) اسنان اكلة اللحوم : للحيوانات التي تأكل اللحوم اربعة انياب اثنان على

جانبي كل فك تليها اسنان كالمنشار . فالتي تقتات باللحوم فقط تكون الانياب فيها طويلة كما في الاسد فان انيابه طويلة جداً ومتباعدة وكذلك في سائر حيوانات هذا الصنف الأ في الكلب فانها قصيرة نوعاً . اما في الدب وغيره من اكلة اللحوم التي تعيش بالاكثر على الخضار والاثمار فهي اقصر منها في الكلب

(٣) اسنان اكلة الاثمار : من حيوانات هذا الصف القردة كالشمبازي والاوران اوتان والغورلا وهي تقتات بالاثمار والحبوب والبقول فقط ولها ٣٢ سناً ١٦ في كل فك ٤ قواطع ونابان واربع طواحن صغيرة و٦ اضراس كبيرة او مضغيات . اما النابان فهما اكبر من باقي الاسنان ومفصولان عنها قليلاً

(٤) اسنان اكلة كل طعام : لحيوانات هذا الصف اسنان ذات تركيب خاص بها ومنها الخنزير فقواطعه بارزة في مقدم الفم وانيابه طويلة متجهة نحو الاعلى للقبض على الفريسة وتمزيقها حية أو ميتة وللحفر على الجذور وقلعها

(٥) اسنان الانسان : لاسنان الانسان صفتان تختصان به فنكه كاملان اي ان اسنانه متلاصقة ليس بينها فراغ وكلها متساوية في الارتفاع وعددها ٣٢ . في كل فك ٤ قواطع ونابان و٤ من ذوات الحدبتين و٦ اضراس الاخير منها ضرس الحكمة . ولدى مقارنتها بما مرّ من اسنان رتب الحيوانات نجدها تختلف عن اسنان اكلة الاعشاب واكلة اللحوم و يزداد الاختلاف لدى مقابلتها باسنان اكلة كل طعام ولكنها تشابه اسنان اكلة الاثمار مشابهة تامة بالشكل والعدد والترتيب

الاطراف

قسم هكسلي ذوات الثدي الى ثلاثة اقسام بالنظر الى اطرافها وهي ذوات الاظلاف وذوات المخالب وذوات الايدي . فذوات الاظلاف من اكلة الاعشاب أو اكلة كل طعام وذوات المخالب من اكلة اللحوم على الغالب . واما ذوات الايدي فمن اكلة الاثمار يستثنى منها بعض انواع القردة السفلى فانها تقتات بنوع من الحشرات اذا لم تجد طعاماً كافياً . وهنا نرى ما رأيناه سابقاً من ان الانسان من اكلة الاثمار والحبوب وان يديه لا تناسبان لتمزيق اللحوم اذ ليس لها مخالب ولا اظلاف اكلة الاعشاب او اكلة كل طعام

القناة الهضمية

ان القناة الهضمية قصيرة في اكلة اللحوم وطويلة في اكلة الاعشاب فطولها في

الصنف الاول يساوي ثلاثة اضعاف طول الجسم وفي الثاني كما في الخروف يساوي ثلاثين ضعفاً وفي القرد ١٢ ضعفاً وفي اكلة كل طعام عشرة اضعاف • اما في الانسان فطولها اثنا عشر ضعفاً كما في اكلة الاثمار • وهنا نرى ايضاً ان الانسان يشابه اكلة الاثمار • اجرى الاستاذ كنتر تجارب عديدة لمعرفة طول الامعاء الدقيقة في الانسان فوجدها تبلغ في فلاحي الروس الذين يقتاتون بالنباتات فقط من ٢٠ — ٢٧ قدماً وفي الالمان الذين يكثرون من اكل اللحوم من ١٧ — ١٩ قدماً وينسب الفرق بينهما الى تأثير نوع الطعام اجيالاً عديدة • فاذا قصرت امعاء الانسان باستعمال اللحم مع غيره من الاطعمة نحو مئة سنة قصراً محسوساً فمن الضروري ان يحدث تغيير عظيم في الحيوانات التي تأكل اللحوم فقط • وقال هكسلي ايضاً ان الحيوانات يمكن ترتيبها بالنظر الى صفات العضو الذي تغتذي بواسطته قبل الولادة الى ثلاثة اقسام (الاول) ذوات المشيمة وهي العضو الذي بواسطته يؤخذ الغذاء من الام قبل الولادة وفي هذا لا تخرج المشيمة من الام حين الولادة • ويدخل تحته ذوات الاظلاف كاكلة الاعشاب واكلة كل طعام (الثاني) هو القسم الذي تخرج المشيمة معه من الجسم حين الولادة وتكون بهيئة حلقة او منطقة ومنه اكلة اللحوم (الثالث) القسم الذي تخرج مشيمته من الجسم حين الولادة بهيئة قرص • ويدخل تحته القردة والانسان وغيرها من الحيوانات اكلة الاثمار • وهذا دليل آخر على المشابهة بين الانسان والرتب العليا من الحيوانات اكلة الاثمار وعلى البعد بينه وبين الاسد والكلب والخنزير من اكلة اللحوم

سائر الاعضاء

مواضع الثدي في اكلة اللحوم واكلة كل طعام واكلة الاعشاب على البطن ولكنه في القردة والانسان على الصدر بلا استثناء

القولون في اكلة اللحوم ناعم املس ليس له تقاطيع ولكنه في القردة والانسان واكلة الاعشاب ذو تقاطيع

اللسان في اكلة اللحوم خشن كالمبرد يشعر بخشونته جداً اذا لامس الجسم ولكنه املس في القردة والانسان

الجلد في اكلة اللحوم ليس له مسام لافراز العرق فالكلب والقط وما شابههما لا تعرق اما جلد القردة ففيه ملايين من تلك المسام وهي عديدة جداً في الانسان حتى انها لو فتحت جدرانها وصفت الواحدة بجانب الاخرى لبلغت مساحتها مسافة ١٢ الف قدم

مربع . الخنزير من اكلة كل شيء لا يعرق منه الاّ خرطومه اما الحصان والبقرة وغيرها من اكلة الاعشاب فجلدها يعرق كما في الانسان

الذنَب : ان لاكلة اللحوم والاعشاب ولاكلة كل طعام امتداداً من العمود الفقري يدعى الذنب . اما القردة (انواع الرتب العليا منها) والانسان فليس لها شيء من ذلك

القامة : ان اكلة اللحوم والاعشاب وكل شيء تدبُّ على اربع قوائم واعينها تنظر الى كل جهة . وكثير من رتب القردة العليا والانسان تمشي منتصبة والاعين تتجه الى الامام فقط ولها يدان ورجلان

الاظافر : اكلة اللحوم لها مخالب واكلة الاعشاب وكل طعام لها اظلاف اما القردة والانسان فلها اظافر مسطحة لا توجد في الحيوانات الاخرى

الغدد اللعابية : اكلة اللحوم لها غدد لعابية صغيرة تفرز لعاباً لا تأثير له على النشاء اما القردة والانسان فلها غدد لعابية كبيرة وتفرز لعاباً يحول نشاء الاطعمة الى سكر

ملاحظة : قد رأيت في ما تقدم ان للانسان اربعة انياب فوجود هذه الانياب لا يثبت كلياً ولا جزئياً انه من اكلة اللحوم ولو كان من اكلة كل طعام لشابهت اسنانه اسنان تلك الحيوانات تركيبا وترتيبا . لان اسنان اكلة اللحوم تصغر كلما نقصت كمية اللحوم المأكولة ولذلك تراها في الكلاب اقصر مما في الاسد . اما في القردة فالاضراس من ذوات الحدبتين تقابل انياب اكلة اللحوم وهي اكبر قليلاً مما في الانسان . ولكن القردة لا تاكل لحماً على الاطلاق بل هي تقتات بالاثمار والحبوب والبقول . وذوات الحدبتين في الانسان تقابل الانياب في اكلة اللحوم ولكنها اصغر مما في القردة وذلك دليل قاطع على ان الاثمار هي طعام الانسان . اما اللحوم والاثمار الخشنة والحبوب غير الناضجة فليست من طعامه ومما يؤكد لنا ان انياب الانسان لم تخلق لتقطيع لحوم الحيوانات وجود مثلها في الحيوانات التي لا تاكل غير الاعشاب كالجمل والوعل والحصان . والخلاصة ان تشريح جسم الانسان يثبت انهُ ليس من اكلة اللحوم وقد يمكننا الاتيان بادلة اخرى كثيرة من النظر الى تركيب جسده ولكننا اكتفينا بما تقدم على ان نسهب الكلام في البـاب الثالث اي الادلة الفيسيولوجية

تخميس لامية العجم

نظم جرجي افندي نخله سعد في بيروت

تركت صحبي بين الكأس والغزل يداعبون ذوات الاعين النجل
اما انا ولسان الحق يشهد لي اصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل

ولي فؤادٌ عن الفحشاء منقطع يهيجه ابداً نحو العلى طمع
فان تقهقرت لا ينتابني جزع مجدي اخيراً ومجدي اولاً شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

قضيت في غربتي قسماً من الزمن لم تعرف العين فيه لذة الوسن
بالله يا نفس جدي بي الى وطني فيم الاقامة بالزوراء لا سكني
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

ما بال دهري يقاويني ويضطهد كالخصم يدفعه العدوان والحسد
من مبلغ الدهر اني ليس لي سند ناءٍ عن الاهل صفر الكف منفرد
كالسيف عري متناه عن الخلل

لا يطفيء الوجد اعوالي على الدمن وليس يسعدني مالٌ بكف غني
ضاع الولاء وساءت حالة الزمن فلا صديقٌ اليه مشتكى حزني
ولا حبيب اليه منتهى جزلي

جارت عليَّ الليالي في تقلبها واوقعتني الرزايا تحت مخلبها
يا ذاهباً بالعلى في غير مذهبها اريد بسطة كف استعين بها
على قضاء حقوق للعلى قبلي

لا عيب لي من عيوب الفضل يمنعني منها ولا نوب الدنيا تروّعني
جاشت بي النفس تغريني وتدفعني والدهر يعكس آمالي ويقنعني
من الغنيمة بعد الكد بالقفل

لا يبلغ المجد يوماً غير طالبهِ فاستفرغ الجهد في ادراك غاربه
وان بليت بخطب لا تبال به حب السلامة يثني همَّ صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسل

سيان من أمن البؤسى ومن قلقا فالكون في ساكنيه مستقر شقا
وما نجاتك في تقديعك الفرقا فان جنحت اليه فاتخذ نفقا
في الارض او سلماً في الجو فاعتزل

في الناس طلاب مجد مهدوا السبلا لنيله فراوها مسلكاً سهلا
فان تقاصرت عنهم فاقطع الاملا ودع غمار العلى للمقدمين على
ركوبها واقتنع منهن بالبلل

لي مبدأ في حياتي لست انقضه ابني عليه طريقي او اقوضه
ان كان عيشي بلا عز فارفضه يرضى الذليل بخفض العيش يخفضه
والعز بين رسيم الاينق الذلل

فهيء الزاد وازج العيس حامله واصحب على طرق العلياء قافلة
وان وجدت بلاد الرزق ماحلة فادرأ بها في نحور البيد جافلة
معارضات مثاني اللجم بالجدل

لا تنس ما فعلت بالامس طارقة وان تناسيت فالاحوال ناطقة
فشمر الذيل لا تثنيك عائقة ان العلى حدثتني وهي صادقة
فيما تحدث ان العز في النقل

ماذا مكونك بين القوم ممتهنا كانما انت فيهم عابد وثنا
جاور سواهم اذا مارمت نيل غنى لو ان في شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

واحب شيء الى الانسان ما منعا فلا تلوموا المعنى بالذي صنعا
اني وقلبي ما ينفك منصدعا اهبت بالحظ لو ناديت مستمعا
والحظ عني بالجهال في شغل

ما حياتي بين قوم زاد جورهم على حقوقي ولم تبخس حقوقهم
اشكو الى الدهر ما عاينت بينهم لعله ان بدا فضلي ونقصهم
لعينه نام عنهم او تنبه لي

يا غادة المجد اضناني تجنبها ولم ازل طامعاً اني ساخطبها
مضى علي من الايام اطيبها اعالل النفس بالآمال ارقبها
ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

يا غادة المجد والاحوال مشكلة   ما نالني نظرة منها ولا صلة

انا الذي كتفي بالضيم مثقلة   لم ارض بالعيش والايام مقبلة

فكيف ارضى وقد ولت على عجل

ياغادةَ المجد لم تسمح بزورتها   أقسمتُ لن أتراخى عن محبتها

فلتقصرِ الغيد اني يوم رؤيتها   غالى بنفسي عرفاني بقيمتها

فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

لا يرفعُ المرءَ إلاّ صدق مخبره   بحيث يبقى أميناً من تأخره

وربما لم يفدْه حسن منظره   وعادة النصل ان يزهو بجوهره

وليس يعمل إلا في يدي بطل

بئس الحياة حياة العاقل الفطنِ   إذ انكر الترب فضل العارض الهتنِ

لقد بليت بقوم ضيعوا منني   ما كنت أوثر أن يمتدّ بي زمني

حتى أرى دولة الاوغاد والسفلِ

راعيت حرمة جيراني فما احترموا   قدري وكان جزائي انهم ظلموا

وازرتهم فاذا ما اشتدّ أزرهم   تقدمتني رجال كان شوطهمُ

وراء خطوي اذا أمشي على مهل

انا القتيلُ ولا اثمٌ ولا حرجُ   ولا شهود ولا دعوى ولا حججُ

ويحالهم أوردوني الخسف وابتهجوا   هذا جزاء امرئ اقرانه درجوا

من قبله فتمنى فسحة الاجل

لكن نفسي لم يعمل بها الرهبُ   ولم يؤثر بجسمي الهمّ والنصب

تصبو الى المجد افكاري فاضطرب   وان علاني من دوني فلا عجب

لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

خفف عليك ولا ترهب من الضرر   ولا تضع أمرها في موضع النظر

وان دهتك بخطب غير منتظر   فاصبر لها غير محتالٍ ولا ضجر

في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

وان صحبت اخا التمليق فانتبه   إذ لا طهارة حبٍ في تحببه

وقد أراني زماني في تقلبه   أعدى عدوك ادنى من وثقت به

فحاذر الناس واصحبهم على دخل

ترى به همةً تذكو مواقدها وان لجأتَ اليه فهو خامدها
فاستغنِ عنها وإلا أنت فاقدها فانما رجال الدنيا وواحدها

من لا يعوّلُ في الدنيا على رجل

للخير والشرّ في الاكوان أزمنةٌ لكن مواعيدها عنا مكتمةٌ
فلا تقلْ آية منها مقدمة وحسن ظنك بالايام معجزة

فظن شرًّا وكن منها على وجل

محبة الذات في صدر الفتى اختلجت فلا تسلْ عن شرور بعدها نتجت
وهي الطريق التي من حينما نهجت غاض الوفاء وفاض المكر وانفرجت

مسافة الخلف بين القول والعمل

يا مخلصًا لبني الغبراء ودهمْ اقصرْ فما ينفعُ الاخلاص والذمم
أزرى بميثاقك المعقود نكثهم وشان صدقك عند الناس كذبهم

وهل يطابق معوجٌ بمعتدل

يستعطفونك في أيام عسرهم وينكرونك في أيام يسرهم
ماذا ترى ترتجي من عهودهم ان كان ينجعُ شيءٌ في ثباتهم

على العهود فسبق السيف العذل

ان الحياة وان راقت بها الفكرُ حينًا فتكديرها لا شكّ منتظر
فقل لمن كان في الدنيا له وطرٌ يا واردًا سوء عيش كله كدر

انفقت عمرك في ايامك الاول

يا من تجاوز حدّ النكر مطلبه حتى يودّ لو ان النسر مركبه
كفى بجسمك تضنيه وتتعبه فيم اقتحامك لجّ البحر تركبه

وأنت يكفيك منه مصة الوشل

أراك تطلب فوق الرزق منتقلا تحت الدياجي ترودُ السهل والجبلا
قدك القناعة لا تختر لها بدلا ملك القناعة لا يخشى عليه ولا

يحتاج فيه الى الانصار والخول

قاسيت من حادثات الدهر اهولها مستعذبًا في سبيل العيش حنظلها
ولم تزل كل يوم زائدًا ولها ترجو البقاء بدار لا ثبات لها

فهل سمعت بظلٍّ غير منتقل

ان التعرض يرمي من اليه سعى ... في حيص بيص والانسان ما صنعا
فيافضولي مهلاً لا تكن جزعا ... ويا خبيراً على الامرار مطلعا
أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

وأنت يا سيداً تحني الرؤوس له ... يمشي ويسحب فوق الارض أذياله
لا تترك اللؤم يبني فيك منزله ... قد رشحوك لامر ان فطنت له
فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

الشعر المنثور

في اللغة العربية

الشعر عند العرب الكلام المقفى الموزون فان لم يكن كذلك لا يعدونه شعراً فكأنهم عرّفوا الشعر بلفظه لا بمعناه . واما الافرنج فيعرفونه بمعناه دون لفظه . فهو عندهم منظوم ومنثور والمنظوم قد يكون موزوناً غير مقفى أو مقفى غير موزون وانما العمدة عندهم على الخيال الشعري او المعاني الشعرية . ويمتاز الشعر الافرنجي باساليب الوصف والتوسع فيها مما يقلّ في الشعر العربي قديمه وحديثه . على ان بعض الشعراء المعاصرين قد اطلقوا قرائحهم من قيود الشعر القديم فتحدوا الافرنج في الشعر الوصفي على ما بيناه في مقالة « الشعر العصري » بهلال السنة الماضية ولكنهم لم يخرجوا في ذلك عن الشعر المنظوم . على ان بعضهم حاول تقليد الافرنج في شعرهم المنثور فعمد الى سبك الخيال الشعري بعبارات منثورة مما لم يتعوده العرب فلم يجدوا فيه طلاوة لبعده عن مألوفهم كما اصابهم عند نزوعهم الى الشعر الوصفي ولم يكن الوصافون يومئذ من الطبقة الاولى بين الشعراء فلم يروا له رنة في اذهانهم فلما نبغ المجيدون ونظموا القصائد الوصفية الرنانة استلذوه والفوه . وكذلك شأننا في الشعر المنثور فاننا لا نزال نستغرب به حتى ينبغ فينا من يجيد فيه فنتعوده ونستلذه

وبين شعرائنا العصريين من لا تعجزهم الاجادة في الشعر الوصفي ولكنهم يصرفون عنايتهم الى النظم لرواجه وقرب استثماره على انهم يتفاوتون في الاقتدار على ذلك واقدرهم عليه اكثرهم توسعاً في مطالعة الشعر الافرنجي ومخالطة شعراء الافرنج . ومن ادبائنا الذين توفقوا الى ذلك صديقنا امين افندي ريحاني مترجم شعر ابي العلاء الى الانكليزية

فانه نشأ في اميركا ودرس آداب اللغة الانكليزية وطالع احسن ما نظمه شعراؤها وهو مطبوع على الخيال الشعري فنظم في الانكليزية ما ادهش قراء هذه اللغة في العالم الجديد • وهو مولع باللغة العربية وآدابها فاحب ان يدخل فيها الشعر المنثور وهو من اقدر شعرائنا على ذلك فبعث الينا بقصيدة منثورة يصف بها غياب الشمس بلبنان في يوم من ايام الخريف عبر عنها بالحياة والموت ننشرها مثالاً لهذا النوع من شعر واليك هي قال :

الحياة والموت

او الخريف وغياب الشمس في لبنان

عادت أيام الامطار والعواصف والاعصار • أيام الانزواء في البيت حول النار • أيام جلود الصوف والموقد وما يصحبهما من القصص والاخبار • قد تصاعدت الرياح المعاجة الى قمة صنين • فاسمع صدى هبوبها في الاودية • اسمع حفيف الاوراق البالية التي تتقاذفها الاهواء • اسمع نقر الهواء على الزجاج وهبوبه فوق القرميد • وتنصت لدويه بين الاشجار وحول البيوت مما يشير الى حادث هائل حدث في الطبيعة

نعم اننا في الخريف ايها المارحون في ربيع الحياة نحن في المرحلة الاخيرة من السنة • وما العويل المخيف الذي يملأ الجبال والاودية والبحار الا بكاء الزمان حول فراش ابنته المشرفة على الموت • على ان السكينة — الزوابع — الانحلال — التحول — كل هذه حسنة في عين

البلبل الذي يغرد الآن في قفصه مسروراً

تعال معي ومتع نظرك بهذا المشهد الهائل الذي يدعو الى الصمت والتخشع والابتهال • انظر كيف ينتشر نبأ الموت بين الاشجار وفي خلال الصخور فيخرج من هذه اصوات كأنها طنين الاجراس ومن تلك الحان محزنة تحسبها خارجة من الف أرغن معاً • انظر الى أشجار الصنوبر والسنديان كيف تتشامخ كبراً وعتواً والعواصف تلوي رؤوسها • انظر كيف يتموج الزيتون وعلى أغصانه الرصاصية نثار فضي كالنجوم التي تظهر بين الغيوم السوداء في الليلة الليلاء • انظر كيف يلاعب الهواء أغصان الخرنوب والتوت فينفخ فيها روحاً حية فتهيج من لمسه فتمايل وتتساند كأنها تتداعب • انظر كيف يتوالى الحب والبغض • كيف تتضارب الاغصان وتتقاتل فتحجم تارة وتهجم أخرى وتقع وتقوم كأنها عسكر في ساحة القتال • انظر كيف تتناثر منها الاوراق ذات اليمين وذات

اليسار فتحملها رسل الرياح لتكلل بها السنة وهي في حال الاحتضار • ورقة بالية من شجرة مضطربة تحملها العواصف الى حيث لا نعلم — أهذه الحياة ؟ اهذا هو الموت ؟ ولكن — اسمع :

ان البلبل يغرّد في قفصه مسروراً

قد اشتد الظلام على الافاق وتلبدت الغيوم فوق صنين وفوق البحر المتوسط وهي تزحف مسرعة من مكان الى آخر وعلى اهدابها زبدٌ يكلل أمواج البحر اذا هاجتها الاعصار • فكأنها بحر من السحاب فوق بحر من الماء تظلل جبالاً تحوم حولها الاهواء واودية تتقصف فيها الاغصان • وسهولاً يغشى اخضرار أعشابها الغبار وكنائس مهجورة تصفر في كواها الرياح ومقابر لا يخيفها البرد ولا ترعبها الاعصار • وكهوفاً اختبأت فيها الوحوش • وانهراً تجرف الصخور والاشجار من قمم الجبال الى إعماق البحار ••• من سهول الحياة وجبالها الى اعماق الابدية • اهذه الحياة ؟ اهذا هو الموت ؟ ولكن — اسمع :

ان البلبل يغرد في قفصه مسروراً والظلمة لا تنتصر على النور

ها قد دكَّ جناح من حصون الغيوم المحاصرة الشمس • فظهرت اشعتها من خلال الضباب المتكاثف فوق المتوسط فوقعت اسلاك سحرها على زجاج النوافذ في الجبل وعند الأفق المقابل فتلالأت على الزجاج اكمة من الالماس لا مثيل له عند اغنى تجار الجوهر ولا عند اعظم امراء الهند • نعم قد مالت الشمس الى المغيب فتكوّن حولها من عجائب الاشكال والالوان ما يعجز عن وصفه البيان • على اننا سنحاول تصويرها بهذه القصبة الحقيرة مع ما نعتقده من عجزنا عن تصوير ما في الطبيعة من الهيبة والجمال • من الالوان والخيالات • من الاضطراب والسكينة • من الاسرار والعجائب • ولا ينتظرنَّ القارىء ان نرسم له شيئاً من سماء سوريا على صحيفة من القرطاس ولا ان نبهر نظره بالالوان الجميلة التي يستحيل اخراجها من هـذا السائل الاسود (الذي يسود الوجه والقلب احياناً) ولكن جلّ ما نستطيعه هو ان نشير اشارة الى جمال الطبيعة وغموضها • الى قوة الخالق وعظمته

يقال ان السياح يقصدون قمم جبال الالب من اربعة اقطار العالم لمشاهـدة غياب الشمس وراء الجبال • فما بالهم لا يجيئون الى لبنان فيشاهدون الشمس وهي تغتسل في البحر المتوسط كل مساء ولاسيما في الخريف ؟ • قد دنت من الماء الآن وطفقت تنشيء

حولها من الالوان المختلفة جبالاً وسهولاً • ومن الضباب جزراً وصخوراً • ومن الغيوم أودية وحقولاً • ألا تراها تنفث حبها في الغيوم فتشعلها اشعالاً فيخيل لك انها عرائس بثياب الوشي والطراز سابحات في بحيرات من الذهب المصهور او كانها براكين تقذف ناراً ودخاناً وهي سابحة في بحر هاديء من اللؤلؤ الذائب • او مدينة احرقها اهلها وفروا من وجه العدو المهاجم — من وجه الرياح والاعصار • الا ترى أثر الهاربين في الضباب الاسود وآثار المدينة في الغيوم الملتهبة وقد بدأ الرماد بالظهور على سطحها • وآثار القتال في البحيرات الحمراء حولها – وفي الياقوت الذائب على السهول الذهبية

ومن ساحة القتال الى مملكة الحب والجمال خطوة او خطوتان • ها قد تكوَّن تحت المدينة الملتهبة بحيرات صفراء وعلى وجهها النقي خيالات من الضباب الشفاف تظهر وتغيب وتكثر وتقلُّ تبعاً لما يظهر من قرص الشمس او يختفي • كل ما في العالم من العنبر وكل ما في السهول من الزعفران قد أذيب في تلك البحيرات لتغتسل فيها بنات النور والنار بنات الحب والمنى حول سيدتهنَّ الشمس • وفوق هذه البحيرات الراكدة بحرٌ مضطرب من سائل ورديّ يحول الى الوان ذهبية عند تلاطم الامواج • وعلى شاطىء هذا البحر مدينة قائمة في الفضاء مزدانة بالانوار والالوان • قد برز من بين ابنيتها وقصورها قباب المعابد والمنارات والابراج — مدينة تبتدىء عند الساحل الجميل وتنتهي بين صخور برشاء وسهول خضراء وجبال بيضاء • فهل هو خيال المدينة الابدية الكائنة وراء الشمس؟ المدينة التي تستمد الشمس من نورها فتظهر لنا خيالاتها والوانها منعكسة كما تظهر الالوان من النور المنعكس على الموشور • فالشمس هي الموشور العظيم • والالوان التي نراها الآن — اليست هي نتيجة انعكاس نور الله على الشمس فيظهر لنا العجائب ويخفيها قبل ان يفيق القلب من سكرة الابتهاج لينطق بالتسبيح ? ولكن ـ اسمع :

ان البلبل يسبح في قفصه مهللاً

قد اشرف النهار على الموت كما اشرف الخريف ولكن هذا يموت بين دويّ العواصف وعويل الرياح ودموع السماء وذاك يموت معانقاً الشمس وهي ساقطة بكل جمالها الى البحر للاغتسال على عادتها، فيغتسل النهار معها عرياناً ويغرق معها فرحاً مسروراً ويموت على صدرها موتة الغرام نشواناً — كانه ذاك الملك الذي ناداه الموت وهو مع محظيته على سرير الغرام فوثب من بين ذراعيها مرتعشاً ممتقعاً وتزيا بافخر ما عنده من الارجوان ولبس درعه البرّاق وخوذته المرصعة واستلّ سيفه وحمل ترسه وخرج توّاً الى سفينته فاضرم

فيها النار وسام شراعها الى الهواء فسارت في البحر ملتهبة والملاك الملاح على ظهرها والموت على وجهه • وهكذا النهار فانه يموت موتاً جميلاً • يموت موت اله من آلهة الرومان متوجاً بابدع التيجان المرصعة بافخر الحجارة ومكللاً باجمل الزهور التي تقدمها الارض الى ابن من ابناء اميرها الزمان — او بالحري تعيد اليه من الزهور والحجارة الكريمة ما اعطاها اياه من قبل • ففي تاجه المدهش من هذه الحجارة اجملها وابدعها : كزرقة الزمرد وحمرة الياقوت وبياض اللؤلؤ وصفرة الفيروز المائلة الى الاخضرار وبريق الماس والوان العقيق والمرجان وكلها تذوب وتمتزج حول رأسه امتزاجاً غريباً عجيباً • ناهيك بزهور الارض فانها تذوب لغرامه وتنشر طيب شذاها حول ضريحه • فهنالك سهول من الزعفران وآكام من الاقحوان • وهنا بساتين من الورد وجنائن من السوسن وهذا فراش من القرنفل وذاك وساد من الجلنار • كل هذه كونتها الشمس ونظمتها حول حبيبها المشرف على الموت • ونسجت منها الاكاليل والتيجان لتزين بها ضريحه • واذابتها لتغسل بها جبينه وذراعيه • نعم كل ما على وجه الارض من الزهور وكل ما في معادن الارض من الحجارة الكريمة وكل ما في اعماق البحار من اللؤلؤ والمرجان — كله اذيب الآن حول النهار المائت على صدر الشمس لتزيد موته مجداً • ولكن امن اجل الموت وجدت كل هذه الالوان ? امن اجل الموت وجد كل هذا الجمال ? امن اجل الموت تنشر الزهور على الافاق عبيرها وشذاها ? — لا • لا • فاسمع :

ان البلبل يسبح في قفصه متهللاً

ولكن اواه قد اكفهر جبين صنين واخذت الالوان في الاختفاء شيئاً فشيئاً كانها تذوب في المتوسط وتبدد طيب الزهور في الفضاء بين الغيوم السوداء • وسقطت المدن المتلألئة التي شيدتها الشمس على شواطئ البحور الذهبية وغاصت الجزائر الفضية في عمق البحر وتحولت البحيرات العنبرية الى اشباح سوداء • نعم — قد دفن النهار بعد ان مات نشواناً من الحب • دفن في ضريح من الماء مكفناً بكفن من الليل

الزوابع والامطار الحب والجمال النوم والظلام اهذه الحياة اهذا هو الموت ? ولكن — انظر : ها قد تجلت رسل الخلود في السماء حاملة مصابيحها لتنير ليل الحياة

وها قد خرج البلبل من قفصه وطار في الفضاء مغرداً مسروراً

الفريكة (لبنان) ٢ تشرين اول سنة ١٩٠٥ امين ريحاني



طبائع الزنابير

لم يغادر اهل هذا العصر بحثاً لم يطرقوهُ ويتوسعوا فيه واحسن ما يتوخونهُ في هذا السبيل ان الرجل منهم ينقطع لموضوع خاص يبحث فيهِ من كل جهاته ويحيط بكلياته وجزئياته عملاً بقاعدة تقسيم الاعمال وهي افضل الوسائل لاستيفاء البحث وكشف الحقائق ولو كان الموضوع صغيرًا في ظاهره فان الطبيعة مملوءة بالعجائب الدالة على حكمة ادراكها فوق طاقة البشر . ومن هذا القبيل البحث في طبائع الزنابير (الدبابير) فقد تفرغ لدرسها المستر بكهام وامرأته في مصيف لهما في الولايات المتحدة وألفا في ذلك كتاباً ذكرا فيه من طبائع هذه الحشرات ما لم يكن معروفاً من قبل . فوجدا في جملة ذلك ان الزنابير تميز بين الالوان فتعرف الازرق من الاحمر من الاخضر واوردا التجارب التي اثبتت لهما ذلك

ومما درساه من طبائع هذا الذباب مسألة معرفة الجهة وذلك ان الزنابير أو النحل اذا نقلت من قفيرها في صندوق مقفل الى مكان بعيد ثم اطلقت من الصندوق عرفت جهة القفير من تلقاء نفسها مما لا يستطيع مثله الانسان مع سمو عقله . فكان المشهور ان الزنبور انما يفعل ذلك بحاسة خصوصية فيه سموها حاسة معرفة الجهة . واما المستر بكهام فقد تحقق ان الزنبور انما يهتدي الى خليتهِ بقوة البصر كما يفعل الحمام في طيرانه من بلد الى آخر فانهُ يعرف طريقه بما يشاهده فيها من الاشكال البارزة كالجبال أو البحور أو الشجر أو غير ذلك على نحو ما يعمله الآدميون في معرفة الطرق . فالزنبور اذا اراد بناء قفير يقيم فيه فانهُ يعين اولاً نقطة البناء ثم يأخذ بالطواف حولها في حلقات بعضها أوسع من بعض لدرس ما يحيط بالمكان من الاشكال والعلامات البارزة ثم يأخذ في البناء فينقل الادوات اللازمة وفي اثناء نقلها يدرس الامكنة المحيطة ببيته وكلما التقط قشة او زهرة واراد الرجوع الى القفير دار حول مكان القشة عدة دورات كل دورة اوسع من سابقتها حتى يهتدي الى جهة القفير فيطير اليهِ . ولكي تحققوا ان الزنبور انما يهتدي الى قفيره بما يعرفه من العلامات المحدقة

به اطاروا زنبوراً واغتنموا غيابهِ عن القفير ونزعوا عنهُ غطاء من ورق الشجر كان يغشاه فلما عاد الزنبور لم يجد قفيره الاَّ بمشقة فلما اعادوا اليهِ الغطاء عرفه حالاً

وتناسل الزنابير غريب في بابه ايضاً فان الانثى قبل ان تلقي بيوضها تبتني نفقاً متصلاً بخلايتها تجعل في طرفهِ غرفة تختزن فيها بعض الهوام كالخنافس او الذباب او الفراش او الديدان او العناكب مما تقتات بهِ الزنابير ثم تلقي بيوضها على واحدة منها . ويختلف ذلك باختلاف جنس الزنبور فان بعض الزنابير تختار الخنافس والبعض الآخر تختار الديدان او العناكب اوغيرها . والغالب ان تأتي انثى الزنبور بتلك الحشرات الى ذلك النفق حية وتنفث فيها السمَّ من ابرتها فتشلّ فتلقي بيضها عليها وتخرج وتسدّ القفير سدّاً محكماً . وبعد يوم او يومين ينقف البيض عن ديدان تغتذي من جسم الحشرة التي هي عليها حتى ينقضي دورها الدودي وتصطنع الشرنقة ثم تصير فراشة فتطير وهي الزنبور



زنبور يلسع دودة

ولبعض الزنابير طريقة غريبة في لسع الحشرات المعدة لغذاء صغارها تدلّ على نباهة وفكرة . وذلك ان الزنبور المعروف بالاصطلاح العلمي باسم « اموفيل » يختار لغذاء صغاره دودة مثل دود القز مؤلفة من ١٣ قطعة او حلقة بينها اختناقات ولكل قطعة مركز عصبي خاص . فالزنبور يلسع هذه الدودة في كل حلقة على حدة ولا يستطيع ذلك الاَّ بعد جهاد عظيم . فانه ينقضّ على الدودة فتنقلب تحته وتتلوّى حتى تتملص منهُ فيعيد الهجوم ثانية وثالثة وفي المرة الخامسة يقبض على مؤخرها بأطرافه قبضاً متيناً ولا يبالي بدفاعها ثم يرفعها عن الارض ويرسل ابرته الى مؤخر بطنها ويلسعها بين الحلقة الثالثة والرابعة فتشلّ الدودة للحال وتعجز عن الدفاع فيمكث الزنبور حيناً لا يتحرك كأنه يلتمس الراحة بعد ذلك العراك ثم يستلّ ابرته ويلسعها بين الحلقتين الثالثة والثانية وبين الثانية والاولى ثم يطير حولها

ويعود اليها ويلسعها في ما بقي من الحلق فتشل شللاً تاماً وتبقى على الغالب حية حتى يفقف البيض وتأكلها صغار الزنبور

وذكر المستر بكهام غرائب أخرى للزنابير في كيفية سد الخليات للاحتفاظ بالبيوض قال يدخل الزنبور رأسه في فوهة القفير او الخلية ويجرف التراب من حولها ويدخله فيها ثم يخرج رأسه وينتقد ما قد جرى ويعيد الكرة حتى يرى الخلية قد امتلأت من التراب فيجرف اليها تراباً من الخارج ويمهدها حتى تمتلىء وتصير فوهتها بمساواة سطح الارض وعند ذلك يأتي بقطع يابسة من الاوساخ يضعها على الفوهة ويلتقط حصاة بمخلبيه يستخدمها كالمدقة يسحق بها تلك القطع بضربات سريعة ويطين بمسحوقها فوهة الخلية كما يفعل البناء في تطيين الفراغ بين الحجارة . ويدل ذلك على قوة في الزنبور غير السليقة واذا عددنا قتله الدودة من قبيل السليقة فاستخدامه الآلة للسحق والتطيين لا يخلو من نباهة وتعقل



تاريخ التمدن الاسلامي

صديقي الفاضل صاحب مجلة الهلال

كلما هممت بكتابة كلمة انتقاد على كتابك « التمدن الاسلامي » ثناني عن ذلك اني لا اجد فيه الا ما يوجب الثناء عليك والاطراء بجايل عملك والكتاب شاهد على ذلك بنفسه لنفسه لا يحتاج لاطراء مثلي

ما احسن التأليف اذا كان شاهداً لصاحبه بالفضل ناطقاً كل سطر منه بالحق والصواب وما أقصر قلم الكاتب يقرظ كتاباً شهوده منه وفيه وذاك هو تاريخ التمدن الاسلامي الذي اتحفت به عالم العلم فكان برهاناً على فضلك يغنيك عن الاطراء لكنه يوجب علينا الشكر لك والثناء على جميل عملك

— تثني عليك لانك ولجت باباً اوصد دون غيرك . ولانك وضعت تاريخاً لم يسبقك من علماء العربية احد اليه . ولانك عانيت وحدك ما يعانيه العدد الكبير من طلاب التاريخ

في البحث عن المدنية الاسلامية التي يوشك العلم بتفصيلها ان يستعدي على قاصديه ولا استعصاء مدنية بابل واشور مع انقطاعها عنا واتصال مدنيتنا بنا

لم يعن السلف بوضع تاريخ خاص بالاحوال الاجتماعية لكل عصر من عصور الاسلام مع ما انصرفت اليه هممهم من العلوم الكثيرة وما ابتكروه منها ولقد كان هذا النقص بادياً في تاريخ الاسلام حتى سددته بجدك وموالاة بحثك واستقصائك فصنفت لنا ذلك التاريخ فاحسنت التصنيف واحسنت الاختيار لما صنفت

ان المشتغل بالتأليف في علم قد تتوارد عليه الخواطر في شيء منه حتى يقف به الفكر في بعض مواضعه عند رأي ضعيف او نص واهٍ او خبر مقتضب ربما اختاره تخلصاً من ذهابه في شعابه وتقلبه في مناحيه وقد علمت ذلك فرغبت الي في اطلاق نظر الناقد على كتابك حسن ظن منك بضعفي فانعمت النظر في الاجزاء الاربعة التي صدرت من تاريخك لهذا العهد لعلي اجد من ذلك شيئاً أنبهك عليه امتثالاً لاشارتك وقياماً بحق الخدمة التي نشترك بها في التاريخ فلم أجد الا هنات لا تؤخذ عليك وان كان ينبغي عليّ بيانها لك (فمنها)

(١) اخذك ببعض الاحاديث الضعيفة معتمداً فيها على ما نقله المؤرخون وقلما يعتمد على ما ينقلون من الحديث بغير سند صحيح لتفشي الموضوعات في كتبهم لندرة من اشتغل منهم برواية الحديث على ان عذرك في هذا واضح وهو انك مؤرخ واكثر ما تعتمد على كتب المؤرخين والملوم من سبق في نقل الضعيف او الموضوع من الحديث

(٢) اجمالك في بعض المواضع التي تقتضي البسط واهمها عندي كلامك على العلوم التي اشتغل بها العرب في ابان مدنيتهم وما أخذوه منها عن غيرهم فقد كان بودي ان تتبسط في هذا الباب باكثر مما تكلمت عليه مبيناً ما كان لهم من اليد البيضاء في ترقي العلم وحل بعض مسائله التي اليهم مرجع حلها ولهم الفضل في السبق اليها على اسلوب مطول شاف كما فعل المؤرخ سديو عند كلامه على مدنية العرب على انك تفضله بانك تعزو الى ما تأخذ من كتب العرب وانه لا يعزو فانت ثقة في هذا اكثر منه ولو توسعت في هذا البحث لا سيما لو ذكرت احسن مؤلفاتهم في كل فن من فنون الرياضيات والفلكيات وجر الاثقال والطب والكيمياء فان ذكر مؤلفاتهم في هذه الفنون هو الذي يبين فضلهم وهي سهلة التناول اذ منها طائفة كبيرة في المكتبة المصرية وغيرها من المكاتب الشهيرة في الاستانة العلية واوربا وكلها مبسوط في الفهارس المطبوعة لهذه المكاتب وهذا العمل وان كان

كبيراً يشق عليك ويأخذ قسماً عظيماً من وقتك الا انه من الاهمية بالنسبة لتاريخك في المكانة التي لا تخفى على مثلك فعساك لا تضن على قراء تاريخك بمثل هـذا البحث في الاجزاء التالية اذا رأيتني مصيباً فيما أقول

(٣) اكثارك من جمع مثالب الامويين ودولتهم العربية لا سيما في الجزء الرابع من التاريخ حيث يرى القارىء ان القسم المختص منه ببني امية عار عن مآثر القوم الا فيما لا يشكرون عليه كانما هو خاص بمثالبهم فقط على ان اكثر ما جاء في هـذا الباب وان كانت التبعة في نقله على من سلف من نقلة المؤرخين لا عليك فهو ان صح كله فليس من العدل ان ننسى انّ الدولة بدوية لا تخلو من شائبة الغلظة وان الخلق الطبيعي في الانسان لا يؤاخذ عليه بقدر ما يؤاخذ على الخلق المكتسب فغلوّ بني امية بالعصبية العربية مثلاً انما هو خلق طبيعي فيهم متأصل في العرب بتأصلهم في البداوة ولم يستأصل الاسلام جذوره من نفوس القوم الا بعد اختلاطهم بالامم اختلاط مصاهرة ونسب • يضاف الى هـذا ان الدولة يومئذ كانت دولة فتح وتأسيس وتكاد الخشونة لا تنفك عن دول الفتح الا في ارقى عصور الاجتماع لهذا العهد بل انه ليس في الوجود دولة او شعب يتنزهان عن الشوائب ولكن جرت العادة ان امثال هذه الشوائب تأتي متفرقة في تاريخ الدول والشعوب الذي يتخلله كثير من المآثر المشكورة والاعمال الجليلة فلا تظهر في المظهر الذي تظهر به فيما لو انفردت شوائبها بكتاب مخصوص كما ظهر الامويون في تاريخ التمدن الاسلامي ولا يذهبن بك الظن الى اني بكلامي هذا أتشيع للامويين كلا فاني اعتقد ان دولتهم هي الدولة الاولى التي قضت على أمل المسلمين السياسي وتركتهم يتخبطون في ظلمات الظلم والتقهقر الى اليوم كما تشهد بهذا فصولي الكثيرة في اشهر مشاهير الاسلام وانما اريد تنبيهك الى انك بمغالاتك في التشهير بهم من جهة تعصبهم للعرب وسوء ادارتهم في الحكم لم تنصفهم من جهة كونهم قوماً ناشئين ودولة فاتحة ومهدت سبيل الظن في انك منحاز لغير العرب مع انك منهم ولذا اطريت الدولة العباسية لانها العجمية اكثر مما هي عربية وذهبت الى ان الفضل في رقيها العلمي والمدني راجع الى غير العرب على اني لا انكر عليك مشاركة غير العرب للعباسيين في تدعيم اسس الدولة ورفع بنيان المدنية الاسلامية لكن اليس من العدل أن نلتمس لهم العذر بان نقول ان الدولة الاموية دولة فتح كما سبقت الاشارة اليه فهي الى توسيع دائرة الملك وتأسيس بنيان الدولة احوج منها الى التشبث باسباب المدنية ولو انصرفت الى هذه الوجهة في ابان الفتح لما وسعها ذلك بل ولكانت خالفت طبيعة

الوجود المدني الذي لا يقبل الرقي الى افق الظهور الا بعد تأسيس بنيان الدولة والترقي التدريجي في سلم الحضارة فالرومانيون في اوائل دولتهم كانوا احط اخلاقاً وادنى لمرتبة السذاجة البدوية من الامويين في اوائل دولة العرب وانما بلغوا مبلغهم من الرقي والحضارة بعد ما استكمل لهم الفتح وتفرغوا للنظر في شؤون العمران وهكذا الأمويون من اوائل دولة العرب قاموا في ايام بداوتهم بوظيفة الفتح وتأسيس الدولة العربية ثم لما دال للعباسيين ذلك الملك واستراحوا من عناء الفتح بما تحمله من ذلك عنهم الامويون قاموا بوظيفة العلم وتوفروا على شؤون المدنية وضرورة اختلاط العرب بالاعاجم من روم وفرس ونبط وسريان وامتزاجهم معهم بالمصاهرة والنسب بما اجتمع عليه اكثرهم من وحدة الدين واللغة جعلت العباسيين ان يفضوا باغراضهم هذه الى العلماء من ذلك الخليط الذي جمعته وحدة اللغة ان لم تكن وحدة الدين فأدوا وظيفة المدنية كما ادى الامويون وظيفة الفتح وليس ثمة فضل لفريق دون آخر وانما الفضل للاسلام الذي جمعهم جميعاً على كلمة التعاون فقام كل فريق من الامويين والعباسيين بما عهد اليه بطبيعة الوجود

(٤) اعتمادك في الجزء الرابع على كتاب العهد المتعلق باهل الشام وما اشترطه عليهم عمر من الشروط التي تخالف ما عرف عنه من الرأفة باهل الذمة كما بسطت ذلك في كتابي اشهر مشاهير الاسلام واذ كنتُ في شك من صحة ذلك لما عاينته من البحث في سيرة ذلك الخليفة العظيم ورأيت معولكم في صحته على استشهاد بعض المؤرخين بشيء من عباراته ورواية بعضهم له عن عبد الرحمن بن غنم فقد دعاني ذلك الى التنقيب عن ذلك السند وراوي ذلك الحديث فاذا هو من مرويات البيهقي في غريب الحديث والغريب من الحديث في اصطلاح المحدثين ما روي من طرق عن صحابي واحد وهو ليس عندهم في المتانة التي تكون للمتواتر والصحيح واني لا آثم اذا قلت بعدم صحة هذا الحديث الذي اذا جاز لغيره ان يروى عن صحابي واحد ويسلم به المسلم فلا يعقل لمثل هذا الحديث الذي يتضمن عهداً من شعب كبير وله ان لا يسمع به الاصحابي واحد ولا يرويه الرواة وان تعددوا الا عن شخص واحد واظنك لا تخالفني بهذا الرأي وترى معي وهن هذا الخبر ما دامت هذه مكانته من الضعف على انه وان صح فقد احسنت في الاعتذار عن عمر وبيان السبب الداعي الى هذا العهد كل الاحسان

هذا كل ما اردت بيانه لك مما مر على نظري وظننت فيه شبهة الخطا في كتابك

الجليل ابديه اليك حسن ظن بك وثقة بخلوص نيتك وفوق كل ذي علم عليم

حلوان في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٠٥ رفيق العظم

﴿ الهلال ﴾ اشكرك ايها الصديق على حسن ظنك بي واثني على ما ابديته من ملاحظاتك على كتابي فقد طالما رغبت الى ارباب الاقلام من علمائنا ان ينعموا بمثل هذه الملاحظات في موضوع هو من الاهمية بمكان يقضي على كل كاتب ان يخوض فيه بمثل ما فعلت فانك نظرت في الكتاب نظر منصف عاقل وانتقدته انتقاد مؤرخ عالم وقلَّ من توخى ذلك بين الذين قرظوه من كتَّاب العربية ولا غرو فان الذين لهم ما لصاحب « اشهر مشاهير الاسلام » من سعة العلم في التمدن الاسلامي قليلون بينهم واقلُّ منهم من تعوَّد الاهتمام في مثل هذه الابحاث الهامة لمجرد خدمة الحقيقة والتماساً للمنفعة العامة . ولذلك فشكرك فرض على الناطقين بالعربية لاسيما وقد ندر بين قرائهم من لم يستفد من نفثات يراعك وثمار ابحاثك مما تجود به قريحتك الوقادة من الابحاث العمرانية على العموم وتاريخ الاسلام على الخصوص جزاك الله خيراً واكثر من امثالك

ثم اني اعتذر ذلك في كلمة اعلقها على انتقادك الثمين التماساً للحقيقة التي هي ضالتنا ولا غرض لنا في ابحاثنا سواها فاقول

(١) ان اعتمادي على المؤرخين دون المحدثين والمفسرين اعدُّه واجباً عليَّ وعلى كل مؤرخ ينظر في التاريخ من الوجهة العمرانية لا من الوجهة الدينية لما تعلمهُ من اختلاف اهل الدين في ابحاثهم وتناقضهم في آرائهم تبعاً لما توحيه اليهم اغراضهم وقد عهدتك ترى رأيي في ذلك كما صرحت في الجزء الرابع من كتابك اشهر مشاهير الاسلام عند كلامك عن الفتنة ومقتل عثمان اذ بينت ان المؤرخ لا يطلب منه الرجوع الى علماء الدين وانتقدت هؤلاء واجدت في بيان ما يعود من الضرر على الامة من ابحاثهم ومناقضاتهم (راجع الهلال الماضي صفحة ٥٦) فحسبي ان اقتدي بك وبفضلك

(٢) اما اختصاري الكلام في العلوم التي اشتغل بها العرب في ابان مدنيتهم وما اخذوه منها عن غيرهم فهو ما لم يكن منهُ بدٌّ للباحث في تاريخ التمدن الاسلامي فان التوسع بذلك وتفصيل الكلام في كل علم وذكر احسن المؤلفات في كل فن من الفنون الرياضية والطبيعية وغيرها انما هو من شأن تاريخ آداب اللغة العربية وليس من شأن تاريخ التمدن وقد قلتُ في تحديد موضوع الجزء الثالث من هذا التاريخ « انه يبحث في العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما احدثهُ الاسلام من التغيير

في القرائح والعقول وما نقل من اللغات الاجنبية من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك » وبعبارة اخرى ان المراد بهذا الجزء تأثير التمدن الاسلامي في آداب اللغة العربية لا « تاريخ آداب اللغة العربية » على انني لم أغفل الاشارة الى ذلك في عرض كلامي عن العلوم . فقد قلت صفحة ٧٢ بعد كلامي عن الفقهاء ومؤلفاتهم « وللفقه فروع وشروح يضيق المقام عنها هنا فنترك الكلام فيها وفي غيرها من فروع العلم الى تاريخ آداب اللغة العربية » وقلت صفحة ٨٠ في آخر كلامي عن علوم اللغة « ولكل منها تاريخ وشروح هي من شأن تاريخ آداب اللغة » وقلت صفحة ٩٨ في آخر فصل الجغرافية أو تقويم البلدان « ونترك التفصيل لتاريخ آداب اللغة العربية » وقلت نحو ذلك مراراً في اواخر الفصول . فاستيفاء الكلام في تاريخ العلوم ووصف المؤلفات والمؤلفين من شأن « تاريخ آداب اللغة العربية » وهو الكتاب الذي اخذت في تأليفه منذ بضع سنين وسأزفه الى القراء متى نجز وأرجو ان يكون وافياً بالغرض المقصود

(٣) اما مثالب الامويين فلا اراني مخطئاً في ايرادها بل ارى ايرادها واجباً عليَّ بالاعتماد على ثقات المؤرخين على الكيفية التي نحديتها في تاريخ التمدن فالقوم كانت لهم هذه المعائب ولابد من ذكرها خدمة للتاريخ . فهل يصح الاغضاء عنها لمجرد كوننا عرباً او ننتسب الى العرب ولان الدولة الاموية عربية ؟ وهل ينبغي ان التمس لتعصب الامويين للعرب واحتقار سائر الامم وارتكاب ما ارتكبوه في هذا السبيل عذراً بان دولتهم بدوية لا تخلو من شائبة الغلظة وان الخلق الطبيعي في الانسان لا يؤاخذ عليه بقدر ما يؤاخذ على الخلق المكتسب؟ فان الخلفاء الراشدين كانوا اعرق منهم في البداوة وكان مقامهم في قلب جزيرة العرب وهم اقرب سائر الخلفاء عهداً من عصر الجاهلية وكانوا مع ذلك مثالاً للحق والعدل والرفق كما تعلم . وكان يقتضي الامويين ان يكونوا ابعد منهم عن الخشونة والغلظة لاحتكاكهم بدولة الروم وقيامهم في دمشق بين العلماء والحكماء واطلاعهم على كثير من علوم القدماء . ولكن مؤسس دولتهم انما اسسها على حب التغلب والرجوع الى ما كان لهم من السيادة في عصر الجاهلية بقطع النظر عن وعورة المسالك المؤدية الى ذلك او وخامة الاسباب التي تمسكوا بها فجرَّهم ذلك الى ارتكاب امور آلت الى توجيه المطاعن عليهم كاصطناع الاحزاب وابتزاز الاموال واحتقار غير العرب والاستخفاف بالدين واهله والفتك والبطش ونحو ذلك . ولم انكر على هذه الدولة انها فاتحة وانها الدولة العربية الوحيدة بعد الراشدين . ولو كتبت تاريخ الدول الاسلامية او اخبار الفتح الاسلامي لبسطت الكلام في منزلة الامويين من

ذلك كما فعلت عند ايراد خلاصة تاريخهم في الجزء الاول من تاريخ التمدن (صفحة ٦٧) اذ ذكرت فضلهم في تعميم اللغة العربية في دواوين الممالك الاسلامية بعد ان كانت تكتب بلغات اهلها و يتولاها اناس من الوطنيين وقد كان تعميم اللغة على هذه الصورة من اكبر الاسباب في حفظ الجامعة الاسلامية · و بينت فضلهم في ضرب النقود الذهبية بالعربية وانشاء نقود اسلامية بعد ان كان المسلمون يتعاملون بالنقود الرومية او الفارسية وكذلك فضلهم في نقل الطراز من الرومية الى العربية

اما في الجزء الرابع فقد جاء ذكرهم في اثناء الكلام عن سياسة الدولة فبينت سياستهم في تأييد دولتهم بما فيها من اسباب الانتقاد ولم اذكر مثالبهم تعصباً لغير العرب معاذ الله ولكنني عملت بالواجب على المؤرخ المنصف فوفيت كل ذي حق حقهُ على ما بلغ اليه امكاني · فاطريت الدولة العباسية ليس لانها أعجمية اكثر مما هي عربية وذهبت الى ان الفضل في رقيها العلمي والمدني راجع الى غير العرب ليس لاني اتعصب لغير العرب ولكنني فعلت ذلك تعصباً للحقيقة لان فضل غير العرب على الدولة العباسية اثبت من ان يحتاج الى دليل · ثم ان ذلك لم يمنع انكاري على العباسيين سياستهم في تأييد دولتهم وما ارتكبوه في سبيل تأييدها من القتل على التهمة وسياسة التقديم والفتك بقوادهم والغدر بوزرائهم كما ان اعجابي بعمر بن الخطاب رجل الاسلام لم يمنع انتقادي رأيه في تحريم اختزان المال (صفحة ١٤ جزء ٢) لمخالفة ذلك للمبدأ الاسلامي الذي تقام عليه الدول شأن طالب الحقيقة الذي لا يخاف في الحق لوم لائم · على اني لا اقل عنك رغبة في تبرئة الامويين مما نسب اليهم وقد بحثت عما يخفف ذلك عنهم فلم أرَ في كتب التاريخ غير ما ذكرته من اعمالهم وهي تشهد لهم او عليهم ولم آتِ بشيء من عند نفسي

(٤) واما انكارك صحة عهد عمر اعتماداً على انهُ من غريب الحديث اذ لم يروه الا صحابي واحد وانهُ ليس عند اصحاب الحديث في المتانة التي تكون للمتواتر والصحيح — فانهُ يخالف القاعدة التي قدمتها من اعتمادي على اصحاب التاريخ دون سواهم وعهد عمر المشار اليه قد رجحتُ صحته بأدلة تاريخية ترجع الى القرن الاول للهجرة ونقلت نصهُ عن عالم من اكبر علماء المسلمين وايدتهُ بنص من الاحكام السلطانية للماوردي وغيره وطابقته على اخلاق عمر وسياسته في ذلك العصر فلا ارى مسوغاً لانكاره بتاتاً لمجرد كونه حديثاً غريباً لم يروه الا صحابي واحد · وكم من حديث غريب حاز تصديق الائمة وعدّ قائلهُ ثقة لان القرائن ساعدت على اثباته او التاريخ ايدهُ مثال ذلك في هذا الحديث فلا حرج

علينا بتصديقه طالما كانت القرائن والنصوص التاريخية ترجح صحته

هذا ما اردت تعليقه على انتقادك اللطيف ليس على سبيل الدفاع ولكنني اردت بسط اقوالي والاشتراك معك في البحث لعلنا نتوصل الى الحقيقة وعلى الله التوفيق





نقولا توما

ولد سنة ١٨٥٣ وتوفي سنة ١٩٠٠

يولد الانسان وفي فطرته جرثومة من كل خلق حسن او قبيح على تفاوت هذه الجراثيم في القوة والضعف فينشأ في احوال وبيئات تؤثر على تلك الطبائع تأثيرًا يختلف باختلاف تلك الاحوال من تربية وصحة ومرض واسفار ورياضة ومعاشرة فينتج عن اختلاف هذه المؤثرات واختلاف تلك الطبائع تفاوت الناس في مواهبهم ومطامعهم واخلاقهم ومناقبهم فيشب هذا مقدامًا نشيطًا وذاك خاملًا كسولًا وغيره ذكيًا وآخر بليدًا على انهم يتفقون تقريبًا في حب الشهرة الواسعة والتماس الصيت الحسن . ويزيد حب الشهرة فيهم —

وهو طلب العلى في اصطلاحهم — كما عظمت مطامعهم وعظم المطامع من كبر النفس فاذا كبرت نفس المرء كثرت مطامعه وتعبت نفسه في سبيلها على حد قول الشاعر الفيلسوف :

واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسام

على ان المطامع مهما كبرت تنتهي عند الشهرة فالشهرة وان كانت عند طلاب الحقيقة وهماً زائلاً لانها لا تسدُّ جوعاً ولا تدفع مرضاً فهي بالنظر الى الاجتماع البشري من اقوي دعائم العمران (١) وطلابها هم اعاظم الرجال في كل زمان ومكان . والاصل في عظمتهم على الغالب التماسهم حسن الاحدوثة وسعيهم في الحصول عليها باستحثاث مواهبهم واستنهاض قواهم على مايبلغ اليهِ امكانهم فيسير كل منهم في الطريق الذي يسهل عليهِ سلوكه والطرق المؤدية الى الشهرة او الى العلى عديدة فيمكن البلوغ اليها من طريق الثروة أو العلم أو السياسة أو الحرب أو الاحسان فيلذ لطالبها ان يمدح الناس جاههُ أو علمهُ أو شجاعتهُ او جمالهُ او غير ذلك مما لا يمكن حصرهُ . فالساعون في العلى من احد هذه الطرق بالجد والاجتهاد ومراعاة الضمير والحق والواجب هم خاصة رجال الاعمال وفيهم كبار القواد والعلماء ورجال السياسة والادارة والصناعة وغيرهم من كرام الانام

اما القناعة بمعناها المشهور فهي من الفضائل التي يندر ان يلجأ اليها الانسان الاَّ بعد ان يعجزهُ ادراك ما تتوق اليه نفسهُ من طلب الرفعة لضعف في قواه او اسباب تحول دون مناه فيقول اذ ذاك « كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً » وهي فضيلة تؤدي الى السعادة ولكنها غير طبيعية في الانسان ولا يلجأ اليها عن زهد حقيقي الاَّ نادرًا

على ان طلاب العلى اذا توفقوا الى المواهب المساعدة على النجاح كالذكاء والاقدام والثبات فانهم بالغون ما ارادوه على ما توجيه اليهم اميالهم الطبيعية او مقدرتهم الشخصية فيصل اليها بعضهم بطريق العلم ولآخر بطريق الحرب وغيره بطريق السياسة كفقدنا . وفقيدنا بالامس « نقولا توما » مثال من امثلة الاجتهاد في طلب العلى بالطرق المشروعة الواجبة

ولد في صور وقد نفدت ثروة والده ونشأ وهو يسمع ما كان لهم من سعة الرزق وكان فيه نشاط وهمة وذكاء فانصرفت افكارهُ الى انهاض عائلته والاخذ بيد والده الشيخ . وقبل ان يدرك السادسة من عمره اخذ في تلقي العلم ببعض المدارس الصغرى ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين فظهر ذكاؤه ونبغ بين اقرانه وسبق كثيرين منهم وكان من حداثته ميالاً الى

(١) راجع مقالة « حب الشهرة من دعائم العمران » في الهلال ٢ من السنة ١٣

القاء الخطب والاساتذة يلاحظون ذلك فيه و يبشرون والده ان ابنه سينبغ خطيباً

وكانه رأى من والده عجزاً عن القيام باجرة تعليمه (ريال مجيدي في الشهر) فعرض على الآباء اليسوعيين ان يعلم بعض صفوف المبتدئين في مقابل اجرة تعلمه فاجابوه • واتفق انه سمع بعض رفاقه من آل ابيلا يتباحثون في بعض المسائل النحوية فرغب في النحو والتوسع فيه فوق ما تدرسه تلك المدرسة فبث امره الى والده فاخذ يبحث عن المعلم وأجرة التعليم فوجد ان المعلم هو عم اولئك التلامذة الخواجه ميخائيل ابيلا فمضى اليه وقص رغبة ابنه عليه فتبرع الخواجه ابيلا بتعليمه مجاناً وصاحب الترجمة يومئذ في الثانية عشرة من عمره وقد كبر عليه ان يتعلم بدون اجرة او ما يقوم مقامها فجعل يخدم معلمه في جميع مصالحه جهد طاقته • وكان رحمه قوي الحافظة فتعلم النحو وبرع فيه ومال الى الشعر فدرس العروض • ولم تمض عليه سنة في هذه الدروس حتى عزل والده من وظيفته بالكمرك وزادت ماليته ضيقاً فتنغص الغلام فاستشار والده في الذهاب الى بيروت ليعمل عملاً يعينه فيه على المعاش فأبى الا ان يتم دروسه فادخله مدرسة المعلم بطرس البستاني في بيروت • واتفق ان اخته الست كتينا كانت مقيمة مع زوجها هناك ورأت في اخيها ذكاء ورغبة في العلم فرتبت له معلماً يعلمه الفرنساوية في بيتها وحاطته احسن حياطة وهو راغب في العمل فعلم بعد نصف سنة ان جريدة التقدم تحتاج الى محرر اومترجم فتقدم اليها فاستخدموه فيها براتب زهيد فكان ذلك اول اشتغاله بالصحافة وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره

واخذت مواهبه تظهر من ذلك الحين وعمد الى استحثاث رفاقه على تأسيس جمعية وطنية لم يتم له انشاؤها • وكان خاطره مع ذلك قلقاً على حال عائلته بعد ان اقيل والده من وظيفته فاغتنم قدوم والي سوريا لتمضية فصل الشتاء في بيروت ونظم قصيدة رفعها اليه فأمر له بجائزة على جاري العادة فرفضها فاستغرب الوالي ذلك منه واستقدمه وسأله عن سبب الرفض فقال • اني رفعت اليك مديحي التمس منك ان تستخدمني في بعض دوائر الحكومة للقيام بأود عائلتي • وقص عليه حديث والده فاعجب الوالي بنباهته فوظفه في قلم الاملاك والنفوس في قائمقامية صور والتقى هناك بزوج عمة له اسمه نقولا الزهار كان عالماً بالفقه فاحس بميل الى هذا العلم فدرسه عليه ثم اخذ يتبحر به لنفسه حتى كثيراً ما كانوا يستقضونه في بعض الشؤون • وكان من حداثته ميالاً الى الاعراب في كلامه فاذا تكلم تكلم فصيحاً معرباً وتعوّد ذلك حتى صار ملكة فيه الى آخر ايامه

قضى تلك الحداثة الضيقة ونفسه تطلب المزيد ومطامعه لا ترضى غير العلى والاحوال تقعده وتمنعه فاتفق استقالة الوالي الذي استخدمه ورأى مقاومة من رئيسه فذهب الى بيروت وقدم استعفاءه فاعفوه فطلبه المطران اغابيوس الرياشي ان يتولى التدريس في مدرسة عين القش بلبنان فاجاب ووجد في تلك المدرسة مكتبة حافلة بالكتب المنطقية والفلسفية والتاريخية فاستفاد من مطالعتها كثيراً ولكنه عاد الى مطامعه ورأى نفسه اكبر من ان تسعها تلك الحالة فاستعفى ونزح الى الاسكندرية في آخر سنة ١٨٧٤ واخذ يبحث عن عمل يرتزق به فتوفق الى وظيفة مترجم بمصلحة الملح وظل ملازماً التدريس في اوقات الفراغ فرأى في تلك المصلحة فساداً فانتقده فعزلوه فأتى القاهرة ونظم قصيدة رفعها الى رياض باشا ارفقها بكتاب ذكر فيه انه يستطيع عرض نظام مفيد لمصلحة الملح والوزير حرٌّ بقبوله او رفضه فاستحسن الوزير عزة نفسه واجاب طلبه فرفع عدة تقارير كان لها وقع حسن عند الحكومة وعملت بمقتضاها فاصدرت امرها باحتكار الملح سنة ١٨٧٩ واعتمدت على صاحب الترجمة في كثير من مهامها وارتقى في هذه المصلحة الى وظيفة مفتش في المديريات ولكن نفسه ما زالت تطلب المزيد فاستقال سنة ١٨٨٥

وكانت الصحافة العربية يومئذ لا تزال طفلة ولمطامع ذلك تأثير في دوائر الحكومة والنفس الكبيرة ترى في صناعة القلم باباً لسد مطامعها من سبيل الشهرة فضلاً عن لذة الكتابة فأخذ صاحب الترجمة يشتغل في تحرير جريدة مرآة الشرق . ثم سافر الى باريس للسياحة فلقي هناك المرحومين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ورحل منها الى لندن وعرف في رحلته هذه عدداً من رجال الفضل واطلع على حقيقة التمدن ورأى الدنيا كما هي فعاد الى مصر وقد عدل عن الصحافة الى المحاماة فلقي مشقة كبرى فاز في آخرها ونفسه لا تزال تميل الى القلم فاستخدمه في سبيل المحاماة فانشأ مجلة الاحكام المصرية وكان لها شأن حسن في عالم الصحافة على ان سعة اعماله في المحاماة أدّت الى ابقافها في عامها الثاني . وظلَّ مثابراً على تلك المهنة ونبغ فيها حتى عُدَّ من اكبر رجالها وامتاز عن معظم زملائه بفصاحة العبارة واعرابها فقد شهدناه في بعض مجالس القضاء يعرب الكلام ويلقيه فصيحاً بليغاً لا يتوقف ولا يتلجلج مع جرأة واستقلال فكر فلا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يبالي ان يقول للمخطيء اخطأت ولو كان قاضياً او اميراً فاضطغنت عليه صدور البعض حتى اذا سنحت لهم فرصة حاسبوه فيها على عمل لا يعدُّ في عرف المحامين ذنباً وان كان القانون لا يسوّغه ورافق ذلك قرائن اخرى آلت الى اخراجه من سلك المحامين وهو في ابان الحاجة الى

الراحة وكان الاطباء قد اشاروا عليه بها منذ اعوام وهو لا يستطيع ايقاف تيار اعماله بعد ان اتسعت اشغالهُ وحام اصحاب القضايا حولهُ . فلما حكم عليه بالراحة كان ذلك لازماً لصحته بعد ان انهكها الجهاد في طلب العلى . وكأن الراحة اتت بعد فوات الفرصة فذهب للاستشفاء في بعض مدن أوربا فقضى هناك في مدينة افيان في ٢٥ اوغسطس من هذا العام وحملت جثته الى مصر فوصلتها في ١١ اكتوبر فاحتفل علية القوم بدفنه احتفالاً كبيرًا واجلّوا التابين والرثاء الى يوم الاربعين من دفنهِ ومع ذلك فقد تليت على قبره الخطب والقصائد وبكاه الاهل والاصدقاء بكاءهم على اعز الاقرباء

قضى نقولا توما وقد نال ما كانت تتوق اليهِ نفسهُ من طلب العلى بالجد والاجتهاد فنال شهرة واسعة وثروة طائلة . ولم ينسَ ما كان فيهِ من الضيق في صباه فحمله ذلك على مشاركة اهل الضيق في شعورهم فاطلق يده في البذل لمساعدة اديب ناشيء يريد العمل والفقر يقعده عنه او عائلة خانها الدهر فيرتب لها ما تعيش بهِ تقبضهُ شهرًا فشهرًا . ولم يدخر وسعاً في معاضدة المشروعات الخيرية على اختلاف اغراضها . ولهُ مناقب يندر اجتماعها في رجل قد ضمن بعضها زميلنا خليل افندي المطران صاحب الجوائب المصرية في قصيدة رنانة نظمها في تابينهِ قال فيها :

بالامس كنت اليافع الفطن الذي — يشدو المعارف شدوهنَّ وينشدُ
بالامس طلاباً لغايات العلى — يدنو لهمتك المرام الابعد
بالامس مفتتح الصحافة حرة — طابت مراشفها وراق المورد
بالامس ذوّاداً عن الضعفاء لا — تالو جهاداً والحفائظ تجهد
بالامس كفأً في القضاء جريئة — تستعدل الميزان وهو مأوّد
بالامس وحياً خاطباً او كاتباً — فالسمع يطرب والنهى تسترشد
بالامس مقداماً لقومك حازماً — تبني لهم مغنى علىً وتوطد
بالامس بذال العوارف والندى — حتى ترى لك عند كل يدٍ يدُ
بالامس موفور المناء مباركا — في عيلة للمجد فيها مقصد
يرجو تعددك الورى بعديدها — وتقرّ عين الجود ان يتعددوا
بالامس كنت وكان ذلك كله — واليوم لا امسٌ غدوت ولا غد

وضمن بعضاً آخر رشيد افندي مصوبع في قصيدة طويلة قال منها :

اذا بليت يمينك في ثراها — فما زالت لها ناضراتِ

فكم ذي عيلة اجرت عليهِ من الارزاق مزنًا هاتنات
وكم من شاعرٍ قد غادرتهُ يحوكُ لنا القوافي الرائقات
وكم من كاتبٍ تركتهُ ينشي المقالات الحسانَ الضافياتِ
فكل اخي يراعٍ ما رثاها يعدُّ جحود تلك المكرماتِ
وتشتاقُ الجرائد منك ذكر المآ ثر والفعال الشائقاتِ
فكانت تُطرف الاسماع يومًا باخبار الندى والنافلاتِ
وتنبئنا بآخر عن دفاع خلبتَ بسحرهِ لُبَّ القضاة
وكم انقذت من ظلم بريئًا وكم شفقت حشاك على الجناة
وكم بذلت يداك على فتاة فصنت عن الخنى عرض الفتاة
ولم نقنع بجود يدٍ ولكن تزيدُ عليهِ جود التعزياتِ

اسكندر الجمال

ومن غرائب الاتفاق وفاة الشيخ الجليل المرحوم اسكندر الجمال في اثناء سبتمبر الماضي وهو في فلسطين مثل فقيدنا توما بمصر بالوجاهة وكرم الاخلاق والبذل والعطاء . جاءنا من وكيلنا في الناصرة نعيُ هذا الرجل وتعداد ما كان من تاثير موته على الناس ولو لم نعقد النية على اقفال باب التهاني والتعازي في الهلال منذ بضع سنوات لنشرنا تلك المقالة برمتها . على اننا أردنا التنويه بفضل هذا الرجل فقد كان وجيهاً في قومه نابغة بين اقرانهِ مثالاً بكرم الاخلاق جمع بين الوجاهة والمعرفة والفضل وتيسرت لهُ معاشرة جماعة من اعاظم الرجال من الامراء والوزراء وولاة الامور لا سيما يوم كان مقيماً في منزله « قصر البهجة » الشهير في عكا فقد كان مقصداً للعظماء من اهل السياحة يزورونهُ او يقيمون فيهِ وكان منزله اشبه بنادٍ يؤمه الناس على اختلاف طبقاتهم وهو يقابل الجميع ببشاشة ولطف وكان مغرماً بالمطالعة والمباحثات الادبية جريئاً في الانتصار للحق والاخذ بناصر الضعيف ولو كان خصمهُ من اكبر الوزراء او الامراء مما يندر مثالهُ في تلك البلاد في احوالها الحاضرة وكان مع ذلك كريماً في اعالة اهل الفاقة نشيطاً في قضاء مصالح القاصدين

واليك اسماءها باعتبار اماكن صدورها

في مصر : الاهرام • الجوائب المصرية • الظاهر • اللواء • مصر • المقطم • الممتاز • المؤيد • الوطن

في الاسكندرية : البصير • الشرق

المشروبات الروحية

﴿طنطا﴾ مسيحة افندي عوض بشركة سكة حديد الدلتا

لماذا يشرب الانسان كمية كبيرة من المشروبات الروحية وغيرها ولا يستطيع شرب مثل مقدارها من الماء القراح

﴿الهلال﴾ لان المعدة تمتص السوائل الكحولية باسرع مما تمتص الماء القراح ولان الانسان يشرب المشروبات الروحية بلذة وبين الكاس وتاليه فترة تكفي لامتصاصه

عمر الانسان مئة سنة

فاذا نقصت كان هو المسؤل عن نقصها بسوء تدبيره

قدم السير جيمس كريشتون برون للمؤتمر الصحي الملكي في انكلترا تقريراً بشأن الصحة العمومية : خلاصته • ان الرجل خلق ليعيش مئة سنة والمرأة اكثر من مئة لان معدل اعمار النساء اطول من معدل اعمار الرجال فيجب ان نطبع هذه الحقيقة في اذهان ابنائنا وهم اطفال ونعلمهم كيف يجتنبون الاسباب المفسدة لهذه القاعدة • ثم بسط تلك الاسباب من حيث مجموع الامة وذكر الوسائل التي ينبغي اتباعها في تربية الابناء من الطفولية فما بعدها

وقد تقدمه عالم آخر اسمه الاستاذ اوسلر ذهب الى ان الانسان يأخذ في التقهقر من سن الاربعين فاذا ادركها لم يبق للامة رجاء من منافعه لعجزه عن الاعمال العظمى على حد قول الشاعر العربي :

وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

اما السير كريشتون برون فقد ذهب الى فساد هذا القول وبرهن ان المراكز

العصبية العليا لا يتم نضجها ويتكامل نموُّها الا في سن الكهولة . فابن الستين لم تفتر فيه همة الشباب ولا نضبت منه ينابيع النشاط بل هي في حال من النضج تؤهله الى اعمال يعجز عنها الشبان وعودهم لا يزال غضاً . لكن المعيشة على الكيفية الشائعة في العالم المتمدن يهدم بناء تلك المراكز العصبية قبل اوانها فيذهب بما اذخرته الطبيعة لاطيب ادوار الحياة فيأتي الهرم عاجلاً وتذوي زهرة العمر قبل اوانها . فالسرّ في المعيشة مئة عام انما هو في استبقاء ذلك الذخر وحفظه الى حين الحاجة اليه كما بينا ذلك في مقالة « احفظ شبابك والكهولة تحفظ نفسها » في الهلال ۲ سنة ۸ لان الشباب ذخر الكهولة وزاد الشيخوخة وبحثنا في ذلك بالنظر الى الفرد وقلنا هناك ان المرجع في حفظ الشباب الى « العفاف والاعتدال » واما السير كريشتون فانه ينظر فيه باعتبار الامة او الشعب . فعنده ان الوسيلة للاحتفاظ بذخر الشيخوخة يقوم (۱) بتربية الاطفال وتغذيتهم على ابسط القواعد الصحية مع الانتباه الى الوسائل الهيجينية (۲) الابتعاد عن الرذائل وغيرها مما يأول الى الاسراف بالصحة وعن الاعمال العقلية المجهدة (۳) الاعتدال في التغذية

قال « لا يمكننا ان نزيد شيئاً على ما نولد فيه من الحالة الصحية ولكننا نقدر ان نقتصد في انفاقه ونحفظ بما اختص منه بالكهولة او الشيخوخة . ويبدأ الاحتفاظ بذلك من اول دور الطفولية فاذا عرفنا كيف نغذي اطفالنا وكيف نحتفظ بنظافة غذائهم من جراثيم الامراض منعنا عنهم جانباً من اسباب الشيخوخة المستعجلة . لان كل ما يمنع المرض يطيل الحياة . ولا يكفي الانتباه للصحة من حيث القوة البدنية بل ينبغي الالتفات الى القوة العقلية لان قسماً كبيراً من حوادث الشيخوخة العاجلة سببها الاجهاد العقلي وتحميل المجموع الدماغي الشوكي فوق طاقته . قال الدكتور مكلين هملتون ان الاميركان تنحط قواهم قبل انحطاط قوى الاوروبيين وخصوصاً بطريق العلل العصبية وهو ينسب ذلك الى مجاهدتهم العنيفة في احتشاد الاموال والمباراة في استنباط وسائل الاثراء يدفعهم الى ذلك حب الشهرة اعتداداً منهم بما تقوله الصحف فيجرهم ذلك الى اجهاد الاعصاب ولا يتخذون فترة يرتاحون فيها بل يعمدون الى انهاض قواهم بالمنبهات الروحية والمغذيات اللحمية وغيرها من اسباب الترف فيزدادون ضعفاً »

فاذا عرفنا ذلك اصبح بقاؤنا على القديم وتغاضينا عن حفظ صحتنا من قبيل الانتحار اذ لا فرق بين من يقتل نفسه دفعة واحدة بطلق ناري ومن يقتلها تدريجاً بالعوائد المضرة . وقد جاءنا التمدن الحديث بكثير من العادات الضارة في خلال ما اكسبنا اياه من اسباب

الارتقاء وعوامل العرفان • وقاعدة كريشتون لحفظ الصحة الى الشيخوخة اساسها تربية الاطفال تربية صحية بدناً وعقلاً بتغذيتهم تغذية بسيطة وابعادهم عما يشغل عقولهم او ينبههم الى البحث واعمال الفكرة وكثرة الاسئلة فينبغي للطفل ان يأكل ويستنشق الهواء النقي فقط • ومن اكبر العوامل المساعدة على هدم صحته اجهاد ذاكرته في الحفظ فالعادة المشهورة في تعليم الاولاد تقتضي تحميل الذاكرة محفوظات كثيرة وهي عادة مضرة وخصوصاً اذا كان الحفظ ساذجاً بدون فهم فانه يتعب الدماغ اكثر من الحفظ بعد التدبر والفهم • فاستخدام الذاكرة وحدها مضرٌّ اكثر من استخدامها مع قوة التعقل

ثم ذكر من ادوار الحياة بالنظر الى الصحة دور المدرسة وهو اهمها لان الولد اذا أتى المدرسة وكان نحيفاً زاد نحافة لاحتباسه عن الهواء المطلق مع عشرات من الرفاق ومجاهدته في مسابقتهم فضلاً عن ضعف التغذية في المدارس الداخلية فهذه كلها يجب ملاحظتها · واهمُّ من ذلك ان كل ولد يدخل المدرسة يجب البحث عن حالته الصحية قبل امتحانه في الدروس العلمية فيفرز الاعلاء على حدة ويعاملون بما يقتضيه الاستشفاء من تخفيف الاطعمة وترتيبها او معاطاة العقاقير سواء كان اولئك الاولاد من الاغنياء او الفقراء · وعلى المدرسة ملاحظة صحتهم ولو لم يهتم آباؤهم بذلك لفقرهم فان اهمالهم يعود على مجموع الامة بالضرر اذ يتكاثر الاعلاء فيها · فمن مصلحة الاغنياء الانتباه الى صحة الفقراء ويسهل ذلك عليهم اذا باشروه في المدارس لان المدارس في البلاد المتمدنة طريق لابدَّ من ان يمرَّ فيه كل فرد من افراد الامة فيجب على عقلائها ملاقاته في ذلك الطريق وملافاة ما يحمله من الخطر لرفاقه ثمَّ لأمته · والانتباه لصحة التلامذة في المدارس تغني الامة عن كثير من الاخطار وسخاء الاغنياء في تحسين احوال المدارس من هذا القبيل يعود عليهم وعلى اولادهم بالنفع اذ لو فرضنا انهم في غنى عن عناية المدرسة بصحة ابنائهم لاقتدارهم على تلك العناية بانفسهم فان عنايتها بصحة ابناء الفقراء تقلل عدد الاعلاء في الهيأة الاجتماعية وتمنع اسباب العدوى · على ان الجانب الاكبر من الاطفال لا يبقون احياء الى سن المدرسة وعدد الوفيات آخذ في الزيادة كل عام حتى في الممالك المتمدنة ففي بعض مقاطعات انكلترا الشمالية معدل وفيات الاطفال ثمانية اعشار المواليد اي ٨٠٠ وفاة في كل الف ولادة · فاهتمت الامة الانكليزية في ملافاة ذلك وألفت الجمعيات للنظر في اسباب هذا التقهقر الصحي · فما اجدرنا ان نقتدي بهم بعد ان نهضت الامة المصرية لانشاء الكتاتيب في انحاء القطر فليكن من جملة مساعيها في ترقية شؤون الامة الادبية والعلمية ملاحظة احوالها الصحية وفي ذلك مصلحة

للاغنياء وهم الذين بذلوا اموالهم لتعليم ابناء الفقراء فان قرنوا سعيهم بوقايتهم من الامراض ضاعفوا فضلهم بتخفيف مصائب الضعفاء ووقوا ابناءهم من وسائل العدوى · فليكن زمن المدرسة زمن تعليم وتمريض وكم من علة تسهل مداركتها في الطفولية فاذا اهملت كانت بلاءً كبيرًا على صاحبها واهلهِ وجيرانه

علاج جديد للسل

بمصل الدفتيريا

تحدثت الصحف في اثناء الشهر الغابر بما قاله الدكتور بهرنغ في مؤتمر السل من توفقهِ الى دواء اكتشفه اشفاء السل وانه يودُّ كتمانه حتى تتم تجاربه بشانهِ ونحن في انتظار تصريحه بماهيته وتركيبه · على اننا ننقل الى القراء خبرًا مدهشًا قصه علينا صديقنا عزيز بك ابو شعر عند عودته من سوريا بالامس اذ نجح اغنى المسلولين عن سواه وكان رحمة للناس كافة · قال انه لقي طبيبًا في عكا اسمه الدكتور دوكاكي اخبره انه عالج ثلاث حوادث سل بمصل الدفتيريا وسمى له اصحابها وكان احدهم مسلولاً في الدرجة الثالثة وقد شفوا جميعاً وقال الدكتور دوكاكي انهُ لم يعمد الى هذا العلاج من تلقاء نفسهِ ولكنهُ قرأ في بعض الصحف ان طبيبًا في جمهورية ارجنتين دعي لمعالجة غلام مصاب بالدفتيريا ووالدته مصابة بالسل فاخذ في معالجة الغلام بالمصل وغيره ونظرًا لضعف صحة والدته واضطرارها لمباشرة خدمته بنفسها خاف الطبيب ان تنتقل اليها عدوى الدفتيريا فنذهب بحياتها فارتأى ان يحقنها بمصل الدفتيريا على سبيل الاحتياط فحقنها فرأى بعد بضعة ايام تحسناً في صحتها على العموم فحقنها بالمصل ثانية وثالثة ولم يمضِ قليل حتى شفيت من السل شفاء تاماً · فلما قرأ الدكتور دوكاكي ذلك الخبر احبَّ ان يجرّبه في مرضاه فجربه في ثلاثة منهم فشفوا جميعاً — هذا ما قصه علينا صديقنا ننقلهُ الى جمهور القراء لعلَّ بعض الاطباء يستحسن تجربة هذا العلاج ولا ضرر من تجربته لان المصل لا يضرُّ في الصحة العمومية



مطبوعات جديدة

﴿ بابرنامة ﴾ بابر (نمر) فاتح مغوليّ من سلالة تيمورلنك . ولد في فرغانة سنة ١٤٨٢ وتوفي سنة ١٥٣٠ بعدان فتح الهند وأسس دولة مغولية توالى حكمها هناك الى سنة ١٨٥٧ وكان بابر في أول امره أميراً مثل سائر امراء المغول فجاء الازابكة الشيبانية واخرجوه من فرغانة سنة ١٥٠٤ فهاج غضبه وسعى في الانتقام منهم بفتح أفغانستان ففتح كابول وقندهار في سنتين فطمع في فتح الهند ولم يتم له ذلك الا سنة ١٥٢٥ فنزل باتراكه على بنجاب واحتل لاهور . وفي ٢٠ افريل من السنة التالية جرت الواقعة الشهيرة بينه و بين السلطان ابراهيم اللودي صاحب دهلي في سهل بانيبت فغلبه واحتل دهلي واكرا واخضع كل هندستان الشمالية من نهر الاندوس الى حدود البنغال وتوالى الحكم في نسله . وكان فضلاً عن بسالته ومهارته في الحرب كاتباً حسن الانشاء مع ذكاء ودهاء فكان يدون وقائعه في كتاب خاص كما يفعل ارقى ملوك أوربا سماه « بابرنامه » أي كتاب بابر وكان لهذا الكتاب شأن عند علماء التاريخ فنقلوه الى الانكليزية ولخصوه ونشروه وكان الاصل مكتوباً باللغة التركية الشاقطائية ولم يبق منه الا نسخ قليلة مبعثرة عند بعض ادباء الهند يخشى ضياعها حتى نشرتها لجنة انكليزية تشكلت لمثل هذا الغرض يقال لها « لجنة تذكار الياس ولكنس جيب » والياس المذكور كان من المستشرقين المولعين بالآداب التركية والفارسية والعربية منذ نعومة اظفاره وله فيها ابحاث فتوفي سنة ١٩٠١ وهو في الخامسة والاربعين من عمره فعظم مصابه على والدته فاوقفت مبلغاً من المال ينفق ريعه في تنشيط الابحاث التي كان ابنها مولعاً بها وتشكلت لجنة لادارة هذا العمل من نخبة العلماء المستشرقين وأخذوا في البحث عن الآثار الشرقية التي يحسن نشرها فتوفقوا الى عدة كتب مفيدة في التركية والفارسية والعربية نشروا منها حتى الآن كتابين أحدهما تاريخ طبرستان وقد ذكرناه قبلاً . والثاني كتاب بابرنامه الذي نحن في صدده طبعوه عن نسخة جميلة الخط سموها « نسخة حيدرأباد » لانها

وجدت عند اناس ينتسبون الى السيرسالارجنك السياسي الشهير من حيدراباد وقد طبعوها طبقاً للاصل الخطي شكلاً ووضعاً أي انهم نشروا الاصل الخطي بصورته الخطية . فجاء كتاباً صفحاته ٣٨٢ صفحة كبيرة مذيلاً بفهرس للاعلام التاريخية ٧٦ صفحة . وفهرس للاعلام الجغرافية ٢٥ صفحة فنثني على مؤسس هذا العمل وعلى القائمين باعبائه ونحث اغنياءنا على الاقتداء بهذه المآثر الجليلة فنحن أولى بنشر آداب اساننا من أهل الالسنة الاخرى وقد كفانا اعتماداً على سوانا في نشر مآثر أسلافنا

﴿ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية ﴾ هو كتاب مدرسي ألفه حضرة الياس افندي انطون ونشره منذ بضع سنين فراجت طبعته الاولى ونفدت نسخها في مدة قصيرة فاعاد طبعه بعد ان نقحه واعاد النظر فيه . وفي رواجه دليل على حسن نسقه فانه شامل كل ما يحتاج اليه طالب اللغة الانكليزية من احرف الهجاء الى المكاتبات التجارية في نيف وثلاثمائة صفحة فنحث طلاب هذه اللغة على اقتنائه وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش

﴿ بحر الآداب ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب المدرسي لمؤلفه الأخ بلاج مفتش اللغة العربية بمدارس الفرير بمصر . وهو عبارة عن منتخبات انشائية في مواضيع مختلفة مما يحتاج اليه تلامذة المدارس في اثناء معاناتهم صناعة الانشاء . وقد قسمه الى اربعة ابواب وخاتمة : الباب الاول في ذكر بعض الحقوق والواجبات والثاني في مواضيع تهذيبية والثالث في الرسائل والرابع في الحكايات المثلية والخاتمة نبذ من كتاب كليلة ودمنة . وقد عني حضرة المؤلف في اتقان هذا العمل بما عرف فيه من الجد والنشاط مع حسن الاختيار . والكتاب يطلب من مدرسة الفرير ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ستة غروش

﴿ القلوب المتحدة في الولايات المتحدة ﴾ هي رواية واقعية تتضمن ما جرى للشيخ اسبر يدون جحا البناني أحد وجهاء الجالية السورية في الولايات المتحدة والآنسة اليصابات فيلبس الاميركية من الاضطهاد والمشاق قبل زواجهما من سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٤ والرواية بقلم سليم افندي سركيس الكاتب الصحافي المعروف وقد نشرها

في مجلته تباعاً . وبين يدينا نسخة مطبوعة في مطبعة مرآة الغرب طبعاً متقناً ومزينة بالرسوم العديدة . وتمتاز هذه الرواية عن أمثالها من نوعها انها واقعية ليس للخيال فيها دخل . ومع ذلك فكأنها من ثمار الخيال لغرابة حوادثها وما تضمنته من العبرة لاهل الحب الصادق اذا اعترضهم ما يحول دون اجتماعهم . فنحث الادباء على مطالعتها وهي تطلب من ادارة مرآة الغرب في نيويورك وثمن النسخة ريال امركاني وربع غير اجرة البريد

﴿ حقوق المرأة في الاسلام ﴾ هو كتاب عمراني تأليف أحمد بك آجايف الكاتب الروسي وقد نقله الى العربية حضرة سليم افندي قبعين . ولقبعين افندي مزية على سائر أدبائنا بما تفرد به من معرفة اللغة الروسية مع رغبته في نقل ادابها الى لغتنا ونحن في حاجة الى ذلك لاننا قلما اطلعنا في نهضتنا الاخيرة على غير آداب اللغة الفرنساوية والانكليزية وقليل من الالمانية والايطالية وأقل من ذلك على آداب اللغة الروسية . وفي هذه اللغات كتب ذات شأن يحسن نقلها الى لساننا كما يفعل قبعين أفندي في نقل آداب الروس فقد ترجم عدة كتب من جملتها الكتاب الذي نحن في صدده وهو يبحث في حال المرأة قبل الاسلام في بلاد العرب والفرس وما كان من تأثير الاسلام في تحسين حالها . وقد عني حضرة المترجم في الرجوع الى النصوص العربية الاصلية التي اعتمد عليها المؤلف من كتب الحديث والفقه والسير والتاريخ والادب لايراد الشواهد العربية بعبارتها الاصلية . وهي خدمة نذكرها لحضرته مع الشكر فالكتاب جزيل الفائدة ويطلب من مكتبة الهلال وثمنهُ ستة غروش والبريد غرش

﴿ الندوة ﴾ هي مجلة علمية حكمية تاريخيـة تصدر في لكنهو (الهند) باللغة الاوردية (الهندستانية) مرة في الشهر . ويكفي في تعريف منزلتها من عالم الادب ان محررها الاستاذ شبلي النعماني وليس بين قراء الهلال من لم يعرف اسمه بما اطلعوا عليه من نفثات يراعه . والرجل اكبر الذين عرفناهم من علماء الهند وكتابهم وأوسعهم اطلاعاً في العلوم الاسلامية وآداب اللغة العربية . وهو عضو في الجمعية الاسيوية الملوكية وأستاذ في كلية عليكده الاسلامية وناظر العلوم والفنون بحيدرأباد الدكن (سابقاً) ومدير

سياسة ندوة العلماء . تثقف في أحسن مدارس الهند على اعظم أساتذتها ورحل الى أشهر المدائن الهندية وغيرها من الاقطار الشرقية في الحجاز والشام وفلسطين ومصر والاستانة واطلع على مافي خزائن الكتب هناك من المؤلفات الخطية وتفقد ما بلغ اليه الشرق الادنى من اسباب المدينة وعاد الى بلاده وأخذ في خدمة وطنه بالتعليم والتأليف فظهر فضله ونال من الحكومة الانكليزية لقب «شمس العلماء» وعين عضواً في الكلية البريطانية في اله أباد وعضواً في الجمعية الاسيوية الملوكية الانكليزية . وله عدة مؤلفات بعضها في العربية وبعضها في الاوردية والبعض الآخر في الانكليزية وغيرها بالفارسية . فالرجل الذي هذا مبلغ علمه وفضله يجدر بان يتسابق طلاب الادب الى مطالعة مجلته ولكنها للاسف مكتوبة بلغة لايفهمها أحد من أهل العربية فنرغب الي محررها العالم ان يجعلها مشتركة بين اللسانين لتعمَّ فائدتها أدباء الامتين لان ابحاثها عمرانية على العموم واسلامية على الخصوص

﴿ Mélange de choses vécues ou vues ﴾ هو كتاب بالفرنساوية الفه حضرة جبران افندي تويني من كبار وجهاء بيروت وقد ضمنه ما كابده بنفسه أو شاهده بعينه من الحوادث والوقائع في سوريا وأوروبا ويتخلل ذلك آراؤه في كثير من المسائل العمومية والخصوصية . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة اثنا عشر غرشاً وأجرة البريد غرش واحد

﴿ Voyage de léxilé Kaisan ﴾ هي رحلة في العالم الجديد لحضرة الشيخ الفرد اسعد دى خوري اللبناني المقيم في مريدا يوكاتان من بلاد المكسيك وقد كتب هذه الرحلة بالفرنساوية على لسان رجل سماه كيسان المنفي وصف بها الولايات المتحدة الاميركية ومدنها وحكومتها وسكانها وعاداتهم وأخلاقهم وما بلغوا اليه من درجات المدينة وغير ذلك والكتاب يطلب من حضرته في مريدايوكاتان بالمكسيك

﴿ مرور في ارض الفناء ونبأ من عالم البقاء ﴾ هو كتاب عمراني فلسفي لمؤلفه شكري افندي الخوري الكاتب الخفيف الروح احد كتاب الجالية السورية في البرازيل وله في الكتابة نسق خاص يدلُّ على ذكائه وخفة روحه وسلامة ذوقه

وخصوصاً في ما يكتبه بلغة العامة ينتقد به العادات والاخلاق كما فعل في كتابه « التحفة العامية » او يرشد العامة الى الفوائد الصحية كما في كتابه « طولة العمر » اما الكتاب الذي نحن في صدده فموضوعه بيان الفساد الذي يعتور الهيأة الاجتماعية على العموم والشرق على الخصوص وجعل الكلام في قالب رسالة من رجل ميت الى صديق له حي فوصف عالماً أرقى من هذا العالم ودينونة على مدخل عالم البقاء . ويتخلل ذلك انتقاد المجتمع الانساني على اسلوب فكاهي لذيذ والكتاب يطلب من المؤلف في سانباولو

(الاصمعيات) قصائد تفرد الاصمعي بروايتها ولم تنشر الا بالامس بعناية المستشرق وليم اهلورد الالماني في كتاب علق عليه شروحاً والحق به بعض القصائد اللغوية وذيله بفهارس على جاري عادتهم في نشر الكتب المهمة . وقد اهدانا صديقنا المستشرق الانكليزي الكبير الاستاذ مرجليوث نسخة منه فوجدناه يشتمل على اشعار لغوية فضلاً عن الاصمعيات المذكورة واكثرها جاهلي وهاك مثالاً من قصيدة للمتلمس

أحارثُ انا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمسّ دمٌ دما
امنتقلاً من نصر بهثة خلتني الا انني منهم وان كنت اينما
ألا انني منهم وعرضي عرضهم كذي الانف يحمي انفه ان يصلما
لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الانسان إلاّ ليعلما
وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوما
فلو غير اخوالي ارادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت الأ مثل قاطع كفه بكف له اخرى فاصبح اجذما
فلما استقاد الكف بالكف لم يجد له دركاً في ان تبينا فاحجما
فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لنابيه الشجاع لصمما
وقد كنت ارجو ان اكون لخلفكم زعيماً فما احرزت ان اتكلما

سلسلة روايات تاريخ الاسلام

ترجمات جديدة الى الفارسية

ذكرنا في غير هذا المقام ما كان من وقع رواياتنا التاريخية الاسلامية عند ادباء المسلمين من قراء العربية وغيرهم حتى عني جماعة من فضلائهم من اهل الالسنة الأُخرى في



الجزء الثالث من السنة الرابعة عشرة

١ دسمبر (كانون اول) سنه ١٩٠٥ و ٤ شوّال سنة ١٣٢٣



هنري ارفن Henry Irving

ولد سنة ١٨٣٨ وتوفي سنة ١٩٠٥

فقد الانكليز منذ بضعة اسابيع رجلاً من خيرة رجال المراسح عندهم بل هو ابرع الممثلين الانكليز في هذا العصر نعني به السير هنري ارفن الممثل الانكليزي الشهير . ومما دعانا الى ذكره ان في سيرته قدوة حسنة لاصحاب المواهب في الفنون الجميلة ولا سيما فن التمثيل الذي نحن في اشد الحاجة الى اتقانه . ونعرف اناساً بيننا قد لا يقلون عن هنري إرفن او سارة برنار من حيث استعدادهم الفطري لاتقان هذا الفن وانما يقعدهم عنه ضيق اليد او امتهان هذه الصناعة مع علمهم انها من الصنائع الشريفة ولكنهم يقولون « ان مقامها في بلادنا لا يزال وضيعاً » وقد فاتهم ان السبب في ذلك انما هو تقاعد اهل المواهب وذوي الاستعداد الخصوصي لهذا الفن عن العمل بهِ لاشتغالهم عنه باسباب التعيش واعتقادهم ان التمثيل من اضيق ابواب الرزق . وما هو كذلك ولا سيما الآن لما نراه من تزاحم الناس على ابواب المراسح مع ما نعلمه من قلة بضاعتنا في التمثيل من كل وجه . والفنون الجميلة لا يرتفع شأنها في الامة حتى يهتم بها اهل المواهب الخاصة . ولولا الذين نبغوا في اوروبا

واميركا من اهل الاستعداد الفطري لتأليف الروايات التمثيلية وتمثيلها او لو انهم قالوا مثل قولنا واشتغلوا بغير ما خلقوا له ما ارتفع شأن التمثيل عندهم . ومن اعظم اركان هذا الفن في انكلترا السير هنري ارفن

✻ سيرته ✻ ولد في كينتون من اعمال انكلترا سنة ١٨٣٨ ثم انتقل بهِ اهله الى لندن وتعلم مبادىء العلم في بعض المدارس الاعتيادية . ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره اضطر للتعيش بعرق جبينه فاستخدموه في بعض المحال التجارية نخدم ونفسه تتوق الى صناعة التمثيل . فترك الخدمة مع حاجته الى النقود وقلة بضاعته في التمثيل يومئذٍ ووجه عنايته الى المهنة التي فطر عليها وقد عنفهُ اهله على تهوسه في فنٍ لم يتعلمه ولا هو متفرغ لتعلمهِ بما تدعوه الحاجة اليه من الارتزاق بتعبه وعرض عليه بعضهم عملاً آخر براتب حسن فأبى. فلم يبق احد من اهلهِ وذويهِ الا لامهُ لتطلعه الى فنٍ بعيد الغور لا يستطاع اتقانهُ الا بالصبر والانفاق وخصوصاً في مدينة مثل لندن فيها نوابغ الممثلين المجيدين . اما فهو فلم يجهل ما يعترض سبيلهُ من العقبات الوعرة ولذلك فلما صمم على الاشتغال بهذه المهنة عزم على المجاهدة بسبيلها في القرى والبلاد بارياف انكلترا فاذا اتقن الصناعة ورأى في نفسه القدرة على مجاراة ممثلي لندن جاءها واشتغل فيها

فذهب الى بلد في سندرلاند سنة ١٨٥٦ مثل فيه رواية هي اول رواية ظهر فيها ارفن مظهر الممثل واخذ دور الاورليان في رواية ايشيليو فلم يستطع الاجادة وكان يتخلل كلامهُ ترترة لتأثرهِ من ذلك الموقف لأول مرة وهو عصبي المزاج سريع الانفعال. على ان ذلك لم يثبط عزيمته بل حملهُ على الثبات في اصلاح الخلل فعمل عمل ديموستين الخطيب اليوناني الشهير وتمثل بهِ في اصلاح نطقه وكلفه ذلك مشقة ونصباً حتى كثيراً ما كان يعرض نفسه للهزء في وسط المرسح لما يقع فيه من الخطأ اللفظي فضلاً عن التلجلج . ومما يروونه من هذا القبيل انهُ لما وقف للتمثيل للمرة الثانية غلب عليهِ الاضطراب حتى انساه ما كان قد حفظه من دوره ولم يخطر لهُ الا عبارة تذكرها من رواية أخرى تخالف المعنى المقصود كل المخالفة فسردها فاستغرب الحضور خلطه واخذوا يصفرون له و يطلبون سكوته على جاري عادتهم في مثل هذه الحال . ولم يكن هذا ولا غيره ليثني عزمه عما عقد النية عليهِ لاقتناعه انه خلق لهذا الفن وليس ما يظهر من النقص الا اعراضاً تزول بالمزاولة

فقضى في هذا الجهاد عشر سنوات يتنقل من بلد الى آخر يقاسي الفقر والاضطهاد حتى كثيراً ما كان يقضي نهاره وليس معه شلن واحد وربما لم يكسب في ليلته بضعة شلينات

وكثيرًا ما كان يذكر ذلك بعد نجاحه واثرائه واتساع شهرته . ومما رواه عن نفسه انه قضي عليه في بعض تطوافه للتمثيل في فصل الشتاء ان يمثل في مرسح حقير فيه غرفة للبس معرضة لمجرى الهواء . فكان إرفن ورفاقه يبدلون ثيابهم هناك وهم يرتعدون من الزمهرير وفي اليوم التالي جاءتهم تذكرة مع رسول يحمل صرّة عليها اسم هنري ارفن ففتحها واذا فيها بدلتان من الثياب فتناولهما ولم يعرف المرسل ولكنهُ اثنى عليه وفرقهما في رفاقه — بمثل هذا العزم وهذا الثبات فاز هذا الرجل ببغيته واشتهر امره بين معارفه حتى اصبح مثلاً في ذلك

ومما قالهُ بعضهم في امتداح صدق عزيمته واقدامهِ « لو جعل هنري ارتزاقه من تربية الخنازير لنشأت خنازيره اكبر حجماً من سائر الخنازير » وكان في اثناء تمثيله في الارياف يتردد حيناً بعد حين الى لندن يجرب نفسهُ ويعرض بضاعته فلا يرى اقبالاً فيعود الى الارياف . وكانت فاتحة نجاحه في لندن انهُ مثل في منشستر رواية اعجب بها الناس وتحدثوا بمهارته في التمثيل فبعث اليه صاحب مرسح سان جيمس في لندن وعقد معه اتفاقاً على التمثيل في مرسحه . فجاء لندن سنة ١٨٦٦ واخذ نجمه في الظهور من ذلك الحين حتى بلغ ما بلغ اليه من الشهرة الواسعة والمرتبة الرفيعة على ما هو مشهور . وليس غرضنا الآن تفصيل ترجمة الرجل وانما اتينا بامثلة من اجتهاده وثباته في تربية الموهبة التي طبع عليها لاتقان صناعة التمثيل ليكون قدوة لنا في هذا السبيل وتمهيداً لما سنقولهُ في التمثيل العربي

التمثيل العربي

— اصل التمثيل وتاريخه

التمثيل فنٌّ قديم قلما خلت منه امة من الامم التي تمدنت قديمًا وهو شرقي المنشأ ظهر في الهند والصين واليابان من اقدم ازمانها وظهر ايضاً في اليونان والرومان وعنهما اخذ اهل العصور الوسطى فالعصور الحديثة حتى بلغ ما بلغ اليهِ الآن . وكان القدماء يستخدمون التمثيل لمقاصد دينية فيمثل بها الكهنة بعض اعمال الالهة او طقوس الصلاة او نحو ذلك مما يراد بهِ الارهاب واخضاع الشعوب بالايهام وقلما كانوا يريدون بهِ التربية او العبرة كما يراد بالتمثيل في هذا العهد . ليس اشدّ تأثيرًا على عواطف رجلٍ تريد ان تعظه او تربيه من ان تمثل لهُ الامثلة تمثيلاً فيراها رأي العين فيرسخ في ذهنه من صور الاشباح والحوادث ما لا تقاس

به صور الالفاظ مكتوبة او مقولة — اذا اردت ان تنصح غلامك او صديقك لتردعه عن غواية او ترشده الى هداية فأول ما تتوخاه أن يكون كلامك مقنعاً مؤيداً بالادلة والشواهد وسواء اديت هذه النصيحة شفاهاً او ارسلتها مكتوبة فانما يكون تاثيرها على نسبة ما حوته من قوة الحجة ووضوح العبارة ولا يبقى من اثرها في الذهن الا ما استطاعت المخيلة تصوره والذاكرة اذخاره والغالب ان لا يبقى الا ظلٌّ خفيف · اما اذا مثلت له النصح تمثيلاً فأريته عواقب الغواية او محاسن الهداية على المرسح رأي العين فانها ترسخ في ذهنه وتبقى زمناً يختلف باختلاف قوة الممثلين واستعداد المشاهدين

وقد تقدم ان التمثيل اصله من الشرق مثل سائر عوامل المدنية القديمة فالصينيون والهنود استخدموا التمثيل في عباداتهم قبل التمدن اليوناني باجيال والهنود ينسبون اختراع التمثيل الى اصل ديني ويقولون ان برهما اوحى به الى حكيم اسمه بهاراتا ومعنى هذه اللفظة «مثّل» وكانوا يستخدمون التمثيل في الطقوس الدينية كاهل الصين وغيرهم · واما اليونان فهم اول من جعل التمثيل فناً وقسموه الى التراجيديا والكوميديا · واول كوميديا اظهرها اليونان على المراسح مثلها سوزاريون ودولون على دكة او صقالة سنة ٥٦٢ قبل الميلاد · واول تراجيديا مثلوها سنة ٥٥٦ ق م وكانوا يمثلون اولاً بلا غناء ثم ادخلوا الغناء والموسيقى والملابس واقتبسه الرومان عنهم سنة ٣٦٤ ق م واشهر مؤلفي الروايات التمثيلية من القدماء اشيلوس وصوفوكلس وبوريبيدس وارستوفانس وسينكا وغيرهم ولما نهضت اوربا النهضة الأخيرة كان في جملة ما عملت على احيائه واصلاحه من عوامل التمدن «التمثيل» فتفننوا فيه واتقنوه ونبغ بينهم جماعة كبيرة من الممثلين ومؤلفي الروايات التمثيلية وقد ترجمت خيرة هذه الروايات الى اللغة العربية وهي تمثل على مراسحنا

٢ - التمثيل العربي قبل هذه النهضة

المشهور ان العرب لم يشتغلوا بصناعة التمثيل في جاهليتهم ولا اسلامهم · اما قبل الاسلام فلم نر ذكراً لما يشبه المراد بالتمثيل عند الافرنج الا اذا اعتبرنا ما كانوا يجرونه في الكعبة وحولها من الطواف والرقص ونحو ذلك من قبيل التمثيل · اما بعد الاسلام فالتمثيل من جملة الفنون الادبية التي لم يلتفتوا اليها فاهملوه كما اهملوا ترجمة الياذة هوميروس وغيرها من آداب اليونان الشعرية والدينية والتاريخية ولا سيما التصوير والنحت · وربما دعاهم الى هذا الاهمال ما في التمثيل من المشابهة للتصوير او النحت وفيهم من يذهب الى تحريمه · الا ما كان من قبيل التمثيل الديني كما يفعل الشيعة بتمثيل مقتل الحسين برواية تبتدىء يوم خروجه

من مكة وتنتهي ساعة قتله وهو الفصل الاخير من الرواية ويسمونه « روز قتل » اي يوم القتل . فهذا الفصل يمثلونه في يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وام ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من اول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه ويفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها شارات الحداد فيقوم شيخ فيقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون ويندبون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة تحفظ بها للاستشفاء عند ما يعز الشفاء وتنفد حيل الاطباء

وقد وصف ذلك الاحتفال العلامة موريه في كتاب له اسمه الرحلة الثانية الى فارس وهي حفلة عاشوراء شهدها بنفسه في اصفهان سنة ١٨١١ م قال :

« وفي يوم عاشوراء بعث الشاه الى السفير يدعوه لحضور الاحتفال « يوم القتل » فسرنا معه فاجلسونا في خيمة خاصة بنا بالقرب من خيمة جلالته بحيث نشرف على الساحة الكبيرة فرأينا عند مدخلها جماعة من القاجارية وهم من قبيلة العائلة المالكة وقوفاً حفاة على شكل دائرة في وسطها رجل يرنم لهم وهم يوقعون انغامه بالقرع على صدورهم وفي بعض جوانب الساحة مكان مثلوا به كربلاء وبالقرب منه خيمتان تمثلان معسكر الحسين الذي كان يقيم فيه مع عائلته . وفي وسط الساحة مرسح من الخشب مغطى بالسجاد لتمثيل الرواية عليه . ولم يبدأوا بالاحتفال حتى جاء الشاه وجلس في خيمته فبدأوا بالتمثيل فجاء رجل ضخم عاري الجسم الا الحقوين يحمل قناة طولها ٣٠ قدماً مرتكزة في منطقة من جلد حول خصره وفي اعلاها راية عريضة مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية . ثم جاء رجل آخر في مثل ذلك تماماً وجاء بعده رجل اضخم منهما واكثر عرياً يحمل قربة ماء رمزاً عما قاساه الحسين من العطش في ذلك اليوم . ثم جاؤا بتابوت عظيم يسمونه « قبر الحسين » يحمله ثمانية رجال على اكتافهم وعليه الشيلان الثمينة وفي صدره اكليل اهليلجي الشكل مكسو بالحجارة الكريمة وفوقه كوكب من الالماس يتلألأ كالشمس وفي جوانب التابوت كثير من الحلي والمجوهرات . وفي ما خلا ذلك فهو مكسو بالشيلان الكشميرية الملوكية وعلى قمته عمامة يريدون بها عمامة الحسين والى كل من جانبي التابوت رجلان يحملان علمين تتدلى منهما الشيلان الثمينة ينتهي العلم من أعلاه بشكل كف مفتوحة رمزاً عن يد الحسين . ثم جاؤا باربعة افراس مسرجة في

اثمن ما يكون وعلى جباهها صفائح من الذهب مرصعة بالالماس تنعكس عنها الاشعة حتى تبهر الناظرين . وعلى ظهورها شيلان كشميرية وخز مزركش بالذهب تتدلى الى جانبها وفوق السروج ادوات تدل على مقتل الحسين • فلما اجتمع هؤلاء في الساحة وقفوا صفاً واحداً على حدة ثم جاء جماعة عراة لولا شملات صغيرة تغطي بعض اجسامهم وعليهم ملامح البداوة والخشونة وقد تلطخت اجسامهم بالدماء وهم ينشدون أنشودة بدوية ويراد بهم اصحاب الحسين واهله الذين قتلوا معه ثم جاؤوا بجواد ابيض عليه جروح عديدة يمثل الجواد الذي قتل الحسين فوقه • ثم جاء خمسون رجلاً في يد كل منهم قطعتان من الخشب يضرب احداهما بالاخرى • فاصطفوا صفاً واحداً امام الشاه ثم مشوا مشية منتظمة على توقيع رجل منهم وهم يصفقون • ثم بدأوا بتمثيل المعركة وكيفية قتل الحسين ورفاقه وفي نهاية هذا الفصل رأينا الحسين طريحاً على الارض وقد وثب رجال يزيد ليقتلوه فسمعنا اصوات الندب والنواح من سائر انحاء الساحة وشاهدنا الدموع تتساقط من اعين الناس حتى لم يبق احد لم يبك وثار بعضهم على القتلة الذين مثلوا رجال يزيد فلم يكد يقتل الحسين حتى فرّ هؤلاء وتعقبهم الناس يرمونهم بالحجارة ونظراً لما في ذلك العمل من الخطر على ممثلي هذا الجند فهم يجعلون ممثليه من أسرى الروسيين حتى اذا قتل احد منهم لا يأسفون عليه

« وانتهى هذا الفصل باحراق كربلاء وهي اعشاش اقاموها في بعض جوانب الساحة ثم ظهر قبر الحسين مغشى بالالوان السوداء وفوقها جلد نمر محشو يريدون به أسداً يقولون انه حرس جثته بعد موته

« وافظع ما شاهدناه في هذا الموقف جثث اصحاب الحسين ملقاة ورؤوسها بعيدة عنها وهو منظر مع كونه تمثيلياً فان النفس تنقبض منه كثيراً فالناظر الى تلك الجثث يرى الابدان مصفوفة والرؤوس بالقرب منها حتى يخال له انه يرى حقيقة والواقع ان رؤوس تلك الابدان وابدان تلك الرؤوس مدفونة في الارض وفي دفنها صناعة دقيقة تخفيها عن الرائي ومع ذلك فكثيراً ما تسبب عن هذا العمل خطر وخصوصاً في الصيف فمات من الممثلين جماعة • ثم اختتم التمثيل بخطبة لفظها احد المشائخ في مدح الحسين ورثائه » (انتهى)

ولا نعرف في الاسلام تمثيلاً غير هذا الاّ ما قد يدخل في التمثيل الديني مما يجريه بعض اصحاب الطرق كالرفاعية وغيرهم • واما التمثيل على الكيفية المعروفة الآن فلم يكن في

التمدن الاسلامي شيء منهُ وانما هو من جملة ما اقتبسناه من عوامل التمدن الحديث

٣ ــ التمثيل العربي الآن

لما افاق الشرق من غفلته (ونريد بالشرق مصر والشام على الخصوص) كان في جملة ما نقله اهله من عوامل التمدن الحديث فن التمثيل . والسوريون اسبق الشرقيين الى ذلك لما توفر لهم من اسباب الاختلاط بالافرنج واتقان لغاتهم والرحلة الى بلادهم ومشاهدة مراسحهم ومطالعة مؤلفاتهم . واول من ادخل التمثيل الى اللغة العربية المرحوم مارون النقاش من اهل بيروت المتوفى سنة ١٨٥٥ فقد كان من اهل التجارة الواسعة ومحبي الادب والعلم سافر الى باريس واطلع على آداب اهلها وتردَّد الى مراسحهم ودهش بالتمثيل فاحب ان يدخله الى اللغة العربية فألف عدة روايات تصنيفاً وترجمة اولها رواية البخيل لا تزال الى هذا اليوم من خيرة ما في العربية من الروايات التمثيلية . ولم يقتصر على كتابة هذه الروايات ولكنه الف جوقاً لتمثيلها انتظم في عقده جماعة من خيرة ادبا سوريا وادبائه رغبة في ترقية الفن لا يلتمسون على ذلك اجراً وانما يتفاخرون باتقانه ولا يرون فيه حطة ولا ضعة كما يتوهم بعض المشارقة الآن . فنجح الممثلون لانهم كانوا يشتغلون رغبة في الفن واجادوا وكانت اجادتهم باعثاً على رغبة سواهم في هذه الصناعة فتسابق ادباء بيروت في اوائل هذه النهضة الى اتقان التمثيل في المراسح الخصوصية بالمدارس الكبرى او في المراسح العمومية واشهرها مرسح سوريا ولا يزال هذا المرسح باقياً الى الآن . ومن قدماء المشتغلين بالتمثيل في سوريا بعد النقاش سعدالله البستاني فانه مثل في بيروت رواية انتظم في عقد ممثليها جماعة من نوابغ الشبان يومئذ ومنهم الآن غير واحد من العلماء واهل الوجاهة

وكان من ثمار تلك النهضة التمثيلية نبوغ نخبة من الممثلين في بيروت واكثرهم يشتغل في هذه الصناعة لمجرد الرغبة فيها مدفوعاً باستعداده الفطري لاتقانها . ومن جملة النابغين المرحوم سليم النقاش ابن اخي مارون مؤسس هذا الفن بالعربية ومعهُ جماعة اشهرهم المرحوم اديب اسحق فترجما عدة روايات تمثيلية وألفا جوقاً مثل مراراً في مرسح سوريا وغيره

وفي اثناء ذلك تولى عرش الاريكة الخديوية المغفور لهُ اسماعيل باشا (سنة ١٨٦٣) ونشط اهل الادب بما سهلهُ لهم من اسباب الرزق في خدمة الحكومة وغيرها فرغب ادباء سوريا في الرحلة الى هذا القطر السعيد . واتفق الفراغ من حفر قناة السويس في عهد هذا الخديوي الكبير سنة ١٨٦٩ فاحتفل بافتتاحها احتفالاً دعا اليه ملوك العالم المتمدن فاجابوا

الدعوة ومن لم يحضر انتدب من يقوم مقامه . و بذل اسماعيل مصارى جهده في اكرام اضيافه فكان من جملة ما اعدّه لهم من اسباب الراحة والرفاه انهُ انشأ الاوبرا الخديوية في القاهرة ولا تزال احسن مراسح مصر حتى الآن . و يروى عن بناء هذه الاوبرا ما يعدُّ من معجزات اسماعيل — ذلك انه لم ينتبه لوجوب بنائها الاَّ بعد ان كادت تفوت الفرصة فحالما انتبه استقدم المهندسين والمقاولين وامرهم ببناء مرسح على مثال اجمل مراسح باريس واطلق ايديهم في الانفاق فلم تمض خمسة اشهر حتى تمَّ بناء الاوبرا المذكورة بما فيها من الستائر المنقوشة والملابس المختلفة والقاعات المفروشة واستقدم لها الممثلين من الافرنج واول رواية مثلوها فيها رواية عايدة باللغة الفرنساوية

وتحدث الناس يومئذٍ بعظمة اسماعيل وفخامة مرسحه ورغبته في الادب واهله فقدم مصر جماعة من ادباء السوريين وكتابهم وشعرائهم . ومن جملتهم المرحومان سليم النقاش واديب اسحق وجوقها فنزلوا الاسكندرية سنة ١٨٦٧ ومثلوا فيها عدة روايات بمرسح زيزينيا – فسليم النقاش اول من مثل الروايات العربية في القطر المصري وعمُّه مارون اول من مثلها في سوريا — على انه لم يتوفق الى التمثيل في الاوبرا . واول من توفق الى ذلك في جوق عربي منتظم سليمان افندي القرداحي وقد نال التفات الخديوي اسماعيل واستحسانه فاجاد واكتسب اموالاً طائلة فاصبح فن التمثيل من الفنون المرغوب فيها واحبَّهُ ادباء المصريين ولكنهم قلَّما اشتغلوا به للارتزاق . على ان بعضهم استخدمهُ في المدارس او المراسح باجواق تتالف من التلامذة . واول من فعل ذلك منهم المرحوم السيد عبد الله نديم فانه الف جوقًا من تلامذة المدرسة التي سعى في انشائها بالاسكندرية ومثل معهم روايتين هما « الوطن » و « العرب » في مرسح زيزينيا بحضرة المغفور لهُ الخديوي السابق فكان لها في نفسه من حسن الوقع ما حمله ان يدفع من جيبه الخاص مئة جنيه مساعدة للجمعية الخيرية القائمة باعباء تلك المدرسة

ثم كانت الحوادث العرابية سنة ١٨٨٢ واضطربت احوال مصر وتشتت اهلها ونزالتها فلما عادت الاحوال الى مجاريها كان اشهر الاجواق المشتغلة يومئذ جوق القرداحي ثم تالف جوق المرحوم يوسف الخياط وكان اكثر تمثيلها في الاوبرا الخديوية . ثم اقفلت ابواب هذه الاوبرا عن غير الاجواق الافرنجية الاَّ في احوال خصوصية . لان الحكومة تعدُّ هذا المرسح الفخيم من جملة اسباب الراحة واللهو للوافدين على مصر من السياح الافرنج ترغيبًا لهم في الوفود لما يرجى لاهل القطر من الانتفاع بانفاقهم فهي تستقدم الاجواق الافرنجية وتنفق

عليها من صندوقها . وقلما فعلت ذلك مع الاجواق العربية فكان هذا من جملة ما ابعد هذه الاجواق عن التمثيل في الاوبرا لما يقتضيه ذلك من النفقة الكبيرة على الانوار وغيرها فاضطر اصحابها الى التمثيل في مراسح اخرى

وقدم القاهرة منذ بضع عشرة سنة المرحوم ابو خليل القباني من دمشق ومعه اسكندر افندي فرح فاشتغل جوق القباني بضع سنوات وكان يمثل في مرسح افرنجي يسمى بوليتياما. ثم استقل فرح افندي بجوقه ولكنهُ اضطر لانشاء المرسح الخاص بهِ في شارع عبد العزيز ولم يكن في الامكان اتقانه كما ينبغي دفعة واحدة لما يقتضيه ذلك من النفقة الطائلة والارتزاق من التمثيل يومئذ يختلف عما كان عليه في عهد النقاش والقرداحي والخياط. لان هذه الاجواق كانت قائمة بالخديوي وبعض الامراء والوجهاء ولا يهمها ارضاء سواهم لان كسبها منهم ولم يكن للعامة سبيل لحضور التمثيل في الاوبرا الاَّ قليلاً . اما اجواق القباني وفرح وغيرهما فكان اعتمادها في الارتزاق على الجمهور ولابدَّ لها من ارضائهم. فانتقلت صناعة التمثيل من خدمة الخاصة الى خدمة العامة والوجه الاخير اقرب الى مقتضيات الارتقاء الطبيعي. فاضطر اصحاب هذه الاجواق الى تمثيل الروايات التي تستلفت انتباه العامة وتسترعي اسماعهم فوجدوا الجمهور يميلون على الخصوص الى الصوت المطرب والنكت المضحكة فوجهوا عنايتهم الى انتقاء اطرب المنشدين وتمثيل الروايات المضحكة اوتذييل الرواية بفصل مضحك . ثم اخذت هذه الاجواق ترتقي تدريجاً بارتقاء اذواق المشاهدين ولم يبق رائجاً منها في القاهرة الا جوق اسكندر افندي فرح وساعده الاقوى في ارضاء الجمهور الشيخ سلامه حجازي المطرب الشهير فارتقى الجوق والمرسح والحضور معاً

اخبرنا فرح افندي صاحب الجوق المذكور في عرض حديث دار بيننا وبينهُ منذ بضعة اعوام بشأن التمثيل واذواق المتفرجين من العامة انه قاسى عذاباً شديداً في اول اشتغاله بهذا الفن بينهم لانهم كانوا لا ينصتون الا لما يطربهم او يضحكهم فقد يكون الجوق مشتغلاً بتمثيل فصل محزن يقتضي البكاء فيضحكون او يقتضي العبرة فلا يعتبرون . ولا يستلفت انتباههم الا السماع فاذا فرغ المنشد من انشاده اشتغلوا بالاحاديث بينهم او ناموا على كراسيهم — قال ولم تمض بضع سنين حتى الفت اذواقهم ما في التمثيل من العبرة والموعظة وصاروا لا يستنكفون من الاصغاء الى التمثيل. وهم آخذون في هذا السبيل الى الآن — ولعل هذا هو السبب في صيرورة الغناء شرطاً من شروط التمثيل عندنا

وما زال الشيخ سلامه حجازي عاملاً في جوق اسكندر فرح الى العام الماضي

فانفصل عنه ولحقه الجوق كله فانشأ فرح افندي جوقاً جديداً فاستبشرنا بذلك الانقسام لاننا توسمنا فيه مايعبر عنه علماء العمران بناموس الارتقاء وهو التفرّع الحادث عن النمو الطبيعي • وصرنا نتوقع ان تأول المنافسة بين هذين الجوقين الكبيرين الى ترقية فن التمثيل العربي على الاجمال اذ يبذل كل منهما جهده في الاتقان والابداع فعسى ان تحقق امانينا بارتقاء هذا الفن الجميل

ولا بد لنا من كلمة بشأن تأليف الروايات التمثيلية عندنا فنقول على العموم ان اكثر الروايات المذكورة منقول عن الافرنجية • وكان مؤلف الرواية في اول هذه النهضة هو ممثلها او مدير تمثيلها كما رأيت في ما فعله النقاش وغيره ثم صار المؤلف غير الممثلين • واشهر من عني في تعريب الروايات التمثيلية المرحوم الشيخ نجيب الحداد واشهر ما يمثل على المراسح المصرية من تأليفه او تعريبه حتى جرى كثير من اشعارها واناشيدها على الالسنة مجرى الامثال • واشتغل كثيرون غيره في تعريب الروايات وعدد المعربين يزداد يوماً فيوماً وتعريبهم يتفاوت دقة واتقاناً بتفاوت اذواقهم ومواهبهم في الشعر والانشاد • على انهم صرفوا عنايتهم على العموم الى الانشاء المرسل السهل واهملوا ما كان الاولون يتوخونه من التسجيع • ولكنهم قلما التفتوا الى تأليف الروايات من عند انفسهم يمثلون بها حوادث عربية شرقية مما لا يستطيع ادباء الافرنج ادراك تفاصيله او لا يحسنون تمثيله لبعده عن مألوفهم • واتقن ما نعرفه من الروايات التمثيلية المؤلفة في اللغة العربية رواية المروأة والوفاء للمرحوم الشيخ خليل اليازجي وهي الرواية الشعرية الوحيدة في اللغة العربية وقد شهدنا تمثيلها في بيروت مراراً

وكأن هذه الروايات أُلفت او ترجمت بايعاز اصحاب الاجواق لتلائم اذواق المتفرجين فان اكثرها كثير الغناء او الانشاد • ولكن بعضهم بالغوا في هذا السبيل حتى استخدموا الغناء في غير مكانه مما يمجه الذوق مثل انشادهم ما يدور من المباحثات السياسية بين الملك ووزرائه حتى عبارات التوبيخ فانهم ينشدونها كما ينشدون شعراً يتغزل به عاشق بمعشوقه • فقد شهدنا بعض الممثلين يختصمون ويتبادلون عبارات التهديد والوعيد بالغناء ! الا تشمئز النفس من ذلك لبعده عن المألوف ؟ والممثل انما يمثل ما وقع او ما يمكن وقوعه والا فلا فائدة من تمثيله ولا عبرة في مشاهدته • وقد ساعد على اشتراط الغناء في التمثيل ان بعض الروايات التي نقلها النقاش الاول الى العربية كانت في الاصل الافرنجي من الروايات الغنائية المعروفة عندهم بالاوبرا فاقتدى غيره بذلك في سائر الروايات ولكن تلك

روايات غنائية محضة غير الروايات التمثيلية الاعتيادية

فالتمثيل العربي الآن في دور النمو ولا يبلغ اشده حتى يشتغل فيه من يلتمس هذه المهنة حباً فيها لاستعداده الفطري لاتقانها مع اعتباره انها مهنة شريفة والكسب منها مضمون بشرط الاتقان مع ملاحظة ما تقدم من مراعاة اصول الصناعة والمجاري الطبيعية وذوق السامعين . وفي مصر الآن اجواق عديدة منتشرة في مدنها الكبرى وقد آن للشعب ان ينتقل من حضور التمثيل لمجرد سماع الغناء الى حضوره للفائدة التهذيبية وهي المقصودة بالتمثيل في الاصل

الكلاب واستخدامها في الحروب

الكلاب اشهر الحيوانات الاليفة بالنباهة والامانة ومن انفعها للانسان — قال البارون كوفيه العالم الشهير في عرض كلامه عن دخول الكلاب في خدمة الانسان « ان اخضاع هذا الحيوان واستئلافه اعظم انتصار توفق اليه الانسان في اول عمرانه » والكلب من اقدم الحيوانات معاشرة للانسان واوسعها انتشاراً على وجه البسيطة واكثرها فروعاً وتباينات فهو اليف الانسان قبل زمن التاريخ بادهار طويلة . ولم يستطع علماء الحيوان ادراك اصله قبل استئلافه وان كان بعضهم يظنه من ابناء الذئاب وآخرون يذهبون الى انه من بنات اوى وظن آخرون انه متسلسل عن اصل انقرض قبل التاريخ . وقد عني الانسان بتربية الكلاب وتوليدها وانتخاب انواعها حتى تكاثرت تنوعاتها وفروعها واكتسبت من عشرة الانسان كثيراً من عاداته واخلاقه كالحب والبغض والغضب والحسد والغيرة والحزن والحياء والاتعاظ او لعلها تولدت فيه بتوالي التربية وتأثير البيئة وقد شبهه بعضهم بالانسان حتى بالتدين وان الانسان الهه

والكلاب انواع كثيرة تناهز ١٨٩ نوعاً او تنوعاً او تبايناً على الاصطلاح العلمي ترجع الى ستة مجاميع كبرى باعتبار اشكال آذانها مما لا يدخل في بحثنا الآن وانما غرضنا النظر في الكلاب واستخدامها في الحروب

والحروب من بقايا الاخلاق الوحشية التي لم يقوَ العلم ولا التمدن على ازالتها حتى الآن والظاهر انها فطرية في طبيعة العمران مثل سائر الشرور الضرورية كانها سم ينفع في بعض الاحوال . على ان الانسان لم يغفل عن ويلات الحرب ومصائبها فلما لم يرَ

سبيلاً الى ازالة الحرب اشتغل في تخفيف ويلاتها . ومن افظع ويلات الحرب بقاء جريح في ساحة القتال حتى يموت بين جثث رفاقه الموتى لعجزه عن النهوض بسبب كسر في رجله او لعلة اخرى ولم يتمكن الباحثون عن الجرحى الى العثور على مكانه لضعف صوته او اختفائه وراء صخر او وقوعه في جب او غابة . وفي جنود القسم الطبي جماعة مخصصون للتفتيش عن الجرحى بعد الفراغ من القتال ويغلب ان يكون ذلك في آخر النهار فيحملون المصابيح ويطوفون بين القتلى يتفرسون ويتسمعون وقد انهكهم جهاد النهار فاذا رأوا جثة تتحرك او سمعوا نداء او أنيناً حملوا صاحبه على حمالات معدة لذلك واسرعوا في معالجته . ولكن كثيرين من الجرحى لا تسمع اصواتهم لعلة اصابتهم في اثناء المعركة في اعضاء الصوت او لضعف استولى عليهم من نزيف شديد او لاختفائهم في واد سقطوا فيه او نحو ذلك — فهؤلاء يذهبون ضياعاً وتدوّن اسماؤهم في قائمة الضائعين الاّ اذا استخدمت الكلاب في البحث عنهم فانها تهتدي اليهم وتدل عليهم

واستخدام الكلاب في انقاذ البشر من مثل هذه الاخطار كان معروفاً من قبل واشهر من عني في استخدامها لهذه الغاية دير القديس برنارد فان كلابه مشهورة في انقاذ الذين يقرسهم البرد الزمهرير في جبال الالب . اما استخدامها في الحروب فهو قديم جداً يتصل باقدم ازمنة التاريخ فاليونان استخدموها في حصار طروادة والفرس اصطحبوها في فتح مصر . وذكر بلوطارخس ان جيسلاوس ملك اسبارطة استخدم الكلاب في حربه مع الثيبيين اثناء حصار منتينيا وان فليب المكدوني كان يحرس معسكره فرقة من الكلاب . وذكر مؤرخو الدولة الرومانية ان قبائل التيوتون كانت تستخدم الكلاب في الحرب وتجعل على ابدانها دروعاً وفي اعناقها اطواقاً مصفحة بحسك الحديد . وكان للغاليين كلاب حربية خاف الرومانيون فتكها ذكروا ان بتوبيوس ملك الغاليين ارسل الى معسكر الرومانيين سفيراً يحتج على تقدمهم في بلاد الغال وكان السفير المشار اليه طويل القامة في عنقه طوق وفي معصميه اساور من الذهب ومعه كاهن من كهنة الدرويد ينشد اناشيد القبيلة تحف به فرقة من الكلاب الكبيرة تسير سيراً منتظماً كانها من فرق الجند . فما لبث الرومانيون ان اقتبسوا تدريب الكلاب على الحراسة في القلاع او على الاسوار وظل ذلك جارياً في المملكة الرومانية الى الاجيال الوسطى . وكانوا يستخدمون الكلاب في الهجوم على فرق الفرسان فيجعلون حول رقابها اطواقاً يغشاها حسك الحديد ومناجل بارزة منها الى الجانبين تصيب قوائم الخيل في اثناء المعركة فتعرقلها او تجفلها فتشوش النظام على فرسانها . وكثيراً

ما كانوا يجعلون على درع الكلاب شعلاً متقدة و يرسلونها الى معسكر الاعداء لاحراقه

وكذلك في عهد التمدن الحديث فان كولمبوس استخدم الكلاب في محاربة هنود اميركا عند اول افتتاحها وكان جنده مؤلفاً من ٢٠٠ جندي ماش و ٢٠ فارساً و ٢٠ كلباً وكان للكلاب نفع جزيل في تلك الحروب حتى امر ملك الاسبان ان تصرف لها الجواري مثل سائر الجند . وفي الحرب بين فرنسا واسبانيا سنة ١٥٢٢ بعث هنري الثامن ملك انكلترا يومئذ الى ابن اخيه شارل الخامس ملك اسبانيا مدداً عسكرياً من ٤٠٠,٠٠٠ مقاتل و٤,٠٠٠ كلب حربي . وذكروا ان نابوليون بونابرت قبل واقعة ابي قير ببضعة ايام كتب الى مرمون ان يجمع كلاب الاسكندرية و يربطها خارج الحصون عن بعد لكي تنبه الحامية بنباحها اذا داهمهم العدو ليلاً . وفي واقعة اوسترليتس الشهيرة سنة ١٨٠٥ بين فرنسا والجنود المتحدة من الروس والنمساويين انقذ الكلب « موستاش » العلم الفرنساوي من النمساويين فوسمه المارشال لان يومئذ بوسام الشرف . واتخذ الفرنساويون عدداً من الكلاب في اثناء حروبهم في جزائر الغرب لحراسة المعسكر تعلموا ذلك من قبائل البربر هناك . وكان الاتراك العثمانيون يستخدمون الكلاب للاستكشاف في القرن السابع عشر ثم استخدموها في القرن الماضي بحروبهم مع اليونان . والروسيون استخدموا الكلاب في حربهم العثمانية سنة ١٨٧٧ وفي حربهم النمساوية سنة ١٨٨٢ والهولنديون اليوم يستعينون بالكلاب على الحراسة في جاوى وغيرها وقس على ذلك

على ان الكلاب لا تستخدم للقتال الآن الاّ نادراً وانما يدربونها على الخفارة أو التجسس دفعاً لمباغتة الاعداء أو لحراسة الامتعة أو لحمل الرسائل . فالبلجيكيون يستخدمون الكلاب في مصلحة الكمارك على حدود فرنسا كما تستخدم خفر السواحل (الوردانية)

اما استخدامها في القسم الطبي من الجيش فهو حديث و يرجع اصله الى الاقتداء بكلاب دير القديس برنارد في جبال الألب . فتشكلت سنة ١٨٩٣ في ألمانيا جمعية صحية موضوعها تدريب الكلاب على البحث عن الجرحى واعانتهم في حمل العلاجات المستعجلة اليهم في ساحة الحرب فألحق الالمان بكل بلك من بلكات جندهم كلبين ونشروا التعليمات اللازمة لاستخدامها وفائدتها على الخصوص لمساعدة الخفراء في المراكز البعيدة لنقل الاخبار الى قلب الجيش ثم دربوها على اكتشاف الجرحى

وفي سنة ١٨٩٩ اجرت جمعية تدريب الكلاب لخدمة الجيش الالماني تجارب رسمية في كوبلنز واليك ما ذكره احد المشاهدين قال « اتوا باربعة من هذه الكلاب في الليل

بعد ان اعدُّوا ٢٠٠ جندي فرقوهم في الشعاب والاودية قرب كوبلنز يمثلون بهم جرحى الحرب واستقدموا ٥٠٠ جندي من حملة الالواح التي ينقل عليها المرضى اخرجوهم ومعهم المشاعل والمصابيح كما لو كانوا خارجين من ساحة القتال يفتشون عن الجرحى



كلب وجد جريحاً في غابة فصعد الى اقرب مرتفع لاستنجاد الجيش بالنباح

واطلقوا الكلاب للتفتيش فذهب اثنان الى اليمين واثنان الى اليسار ولم يمضِ يسير زمن حتى اكتشفوا كل الذين كانوا مختبئين في تلك المسالك الوعرة بين التلال والاشجار الغضة بدون مشعال ولا مصباح » وكان لخبر هذه التجربة رنة ودويٌّ في انحاء أوربا واشتهرت جمعية تدريب الكلاب المشار اليها ولما انتشبت الحرب بين روسيا واليابان اخيراً بعث اليها المتحاربون يشترون من كلابها لهذا الغرض فنفد ما كان عندها

اما في ايطاليا فتربية الكلاب لهذا الغرض يهتم بها الجيش نفسهُ فيدربون الكلاب على الطريقة الالمانية المتقدم ذكرها وقد اجروا عدة تجارب تحققوا فيها نجاحهم ومن جملة ذلك تجربة جعلوا فيها على اعناق الكلاب اطواقاً علقوا فيها مصابيح تجمع النور وتعكسه نحو

الامام مثل مصابيح البيسيكل ونحوها فضلاً عن صناديق صغيرة فيها بعض المنبهات أو العقاقير المنعشة يستخدمها الجريح موقتاً ريثما يدركه الطبيب . وجعلوا هذه التجربة في ارض وعرة مساحتها ٦٠٠ متر مربع فرقوا فيها عشرة عساكر مثلوا بهم الجرحى خبأوهم بين الادغال والصخور ووراء الجدران وجذوع الاشجار وفي الخنادق ونحوها . ثم اطلقوا اربعة كلاب فاخذت في البحث والتنقيب فلم تغادر ثقباً ولا حفرة الاَّ فتشت فيه وكانوا قد دربوا اثنين منها على العود الى المعسكر حالما يجدان الجريح واثنان دربوهما على البقاء عند الجريح ينبحان حتى يأتي اصحاب الحمالات لحمله . وكانوا يظنون الطريقة الاولى انفع في النهار والثانية في الليل . فارتأى القبطان شوتولا احد ضباط الجيش ان يجمع بين الطريقتين فيعلم الكلاب اذا عثرت على جريح ان تسرع الى اقرب مكان مطروق وتأخذ في النباح حتى يأتي الجند لاغاثته كما ترى في الشكل . ومن النتائج التي ظهرت بهذه التجارب ان كلباً عثر على جريحين متجاورين فاخذ يعدو من الواحد الى الآخر وينبح نباحاً شديداً وقد تحقق الايطاليان ان طريقة شوتولا احسن ما وصلوا اليه من طرق تدريب الكلاب لانقاذ الجرحى

اما الانكليز فلم يعنوا في تدريب الكلاب لخدمة الجيش في القسم الطبي ولا في الخفر ولكن بعض افرادهم اهتموا في هذا الموضوع ودرسوه واكثرهم عناية في ذلك الماجور ريتشاردسن من ضباط المشاة فانهُ اعلم الانكليز فيه وقد وجه عنايتهُ على الخصوص الى تدريب الكلاب في القسم الطبي ورفع بذلك تقريراً للحكومة الانكليزية

واما روسيا فقد كانت في حاجة الى هذه الخدمة في اثناء حربها الاخيرة مع اليابان فاستحضرت ثلاثة كلاب من المانيا باشارة الامبراطورة الكسندرة وارسلتها الى كورو باتكن في ساحة الحرب لاستخدامها في القسم الطبي . فجربها فأتت بالنتائج الحسنة رغم ما عرقل سعيها من الثلوج والامطار والضباب فضلاً عن الظلام . فان تلك الكلاب اكتشفت الجرحى وعادت الى المستشفى فرافقها حملة الالواح واتوا بالجرحى . ومن اغرب ما وقفوا عليه من نتيجة تلك التجارب ان الكلاب كانت تميز بين الجريح الروسي والياباني فلا تنتبه الاَّ على جرحى الروس واذا عثرت بالجريح الياباني فلا تكترث بهِ ولا يهمها شأنه

واما فرنسا فجندبتها لم تهتم باستخدام الكلاب لهذا الغرض بعد ولكن بعض افرادها يشتغلون بذلك وقد يصطحب بعض الضباط كلاباً مدربة لكنهم يفعلون ذلك من عند انفسهم بغير علم الحكومة وهكذا الحال في بلاد النمسا . اما سويسرا فان احد ضباطها درس

تدريب الكلاب للجندية في المانيا وربى عدداً منها لنفسه ولم تستخدمها الحكومة بعد

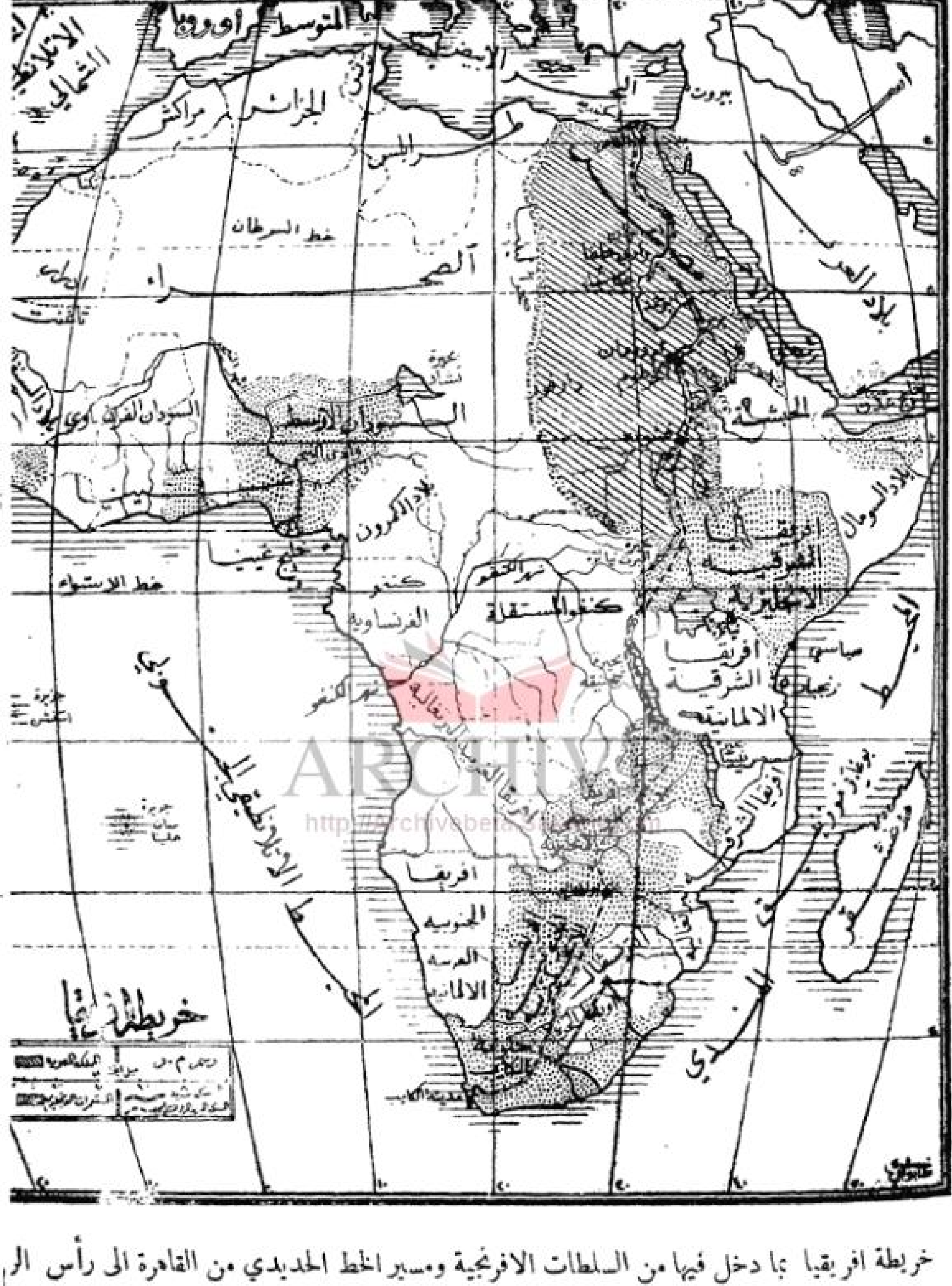
فاستخدام الكلاب في اكتشاف الجرحى او الخفارة على هذا النمط لا يزال حديثاً ولم تعتمده رسمياً في الجندية الا بعض الدول ولكنه سيشيع في سائرها عن قريب لما ظهر من نتائجه الحسنة

السكة الحديدية الافريقية

بين القاهرة ورأس الرجاء الصالح

شرعت انكلترا في مد هذا الخط الحديدي منذ بضعة اعوام على اثر حربها في جنوبي افريقيا وهو مشروع عظيم الاهمية للعالم على الاجمال ولافريقيا على الخصوص وللقطرين المصري والسوداني على الاخص . فان النهضة المالية التي نراها في هذا القطر ونعجب منها ليست شيئاً بالنظر لما نتوقعه من الثروة الطائلة التي نرجو الوصول اليها متى تمت السكة الحديدية الافريقية الموصلة بين طرفي افريقيا . والسودان التي نشكو من سعتها وقلة الرجال فيها حتى غدت اراضيها في جزيرة سنار الخصبة تباع بما يقرب من « البلاش » ستباع بالقراريط وتنهض مثل نهضة مصر وكلاهما من وادي النيل . والخرطوم التي لا يتجاوز عدد سكانها الآن عشرة آلاف نفس لا يمضي زمن قصير بعد اتمام ذلك الخط حتى يعدُّ اهلها بمئات الالوف وتصير مركزاً تجارياً مهماً يلتقي فيها التجار يحملهم اليها البخار من سواكن والكونغو ورأس الرجاء والقاهرة وما بينها من الممالك والاقطار مما يعدُّ الآن من البلاد الخربة . ناهيك بما يرجى انشاؤُه من المدن الجديدة عند مواقف القطر وملتقى الخطوط مما لا يكون في الحسبان . فاذا افتخر القرن التاسع عشر باكتشافاته واختراعاته على سائر القرون التي تقدمته فالقرن العشرون سيفتخر باحياء قارة افريقيا واستثمار اراضيها واستخراج ذهبها والماسها وسائر معادنها . فالناس لذلك في شوق شديد الى معرفة ما تمَّ انشاؤُه من هذا الخط ومتى يرجى الفراغ منه وهذا هو موضوع كلامنا في هذه العجالة فنقول :

(افريقيا) هي من اعظم قارات الارض مساحتها نحو ربع مساحة الارض كلها يحدها من الشمال البحر الابيض المتوسط ومن الشرق البحر الاحمر والمحيط الهندي ومن الغرب والجنوب الاوقيانوس الاتلانتيكي . وهي اكثر بقاع الارض غموضاً وخصوصاً



خريطة افريقيا بما دخل فيها من السلطات الافرنجية ومسير الخط الحديدي من القاهرة الى رأس الر

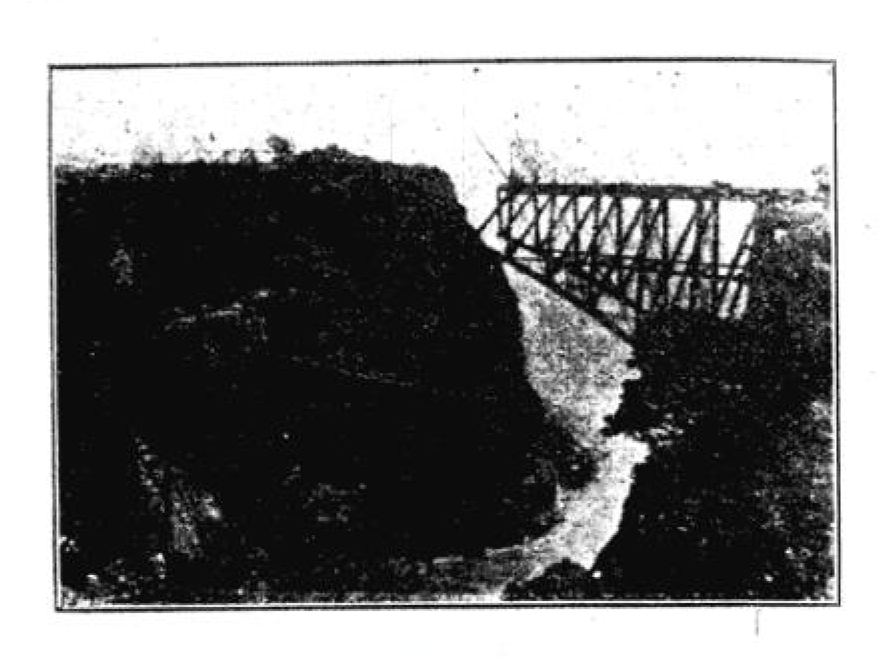
في اواسطها وقلما تمكن المتمدنون من ارتيادها ودرسها · على ان دول اوربا ما برحت منذ اول نهضتهم للاستعمار يحومون حولها كأنها فريسة يحفزون للثوب عليها ليختطفوا ما تصل اليه مخالبهم منها · واكثر ما تملكوه من اراضيها انما هو على الشواطئ· شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً · وقد ذكرنا في الخريطة اسم كل دولة على املاكها وميزنا املاك انكلترا بتسويدها بالنقط وميزنا المملكة المصرية بخطوط متوازية

(الخط الحديدي) سيمتد هذا الخط من القاهرة في الشمال الى مدينة الكاب (رأس الرجاء الصالح في الجنوب وربما بلغ طوله نحو خمسة آلاف ميل منها نحو ٢٫٠٠٠ كانت ممدودة قبل الشروع في انشائه ففي الشمال خط مصر والسودان من القاهرة الى الخرطوم · وفي الجنوب خط رأس الرجاء الصالح الممتد من مدينة الكاب الى بولاوايو وقد دللنا على الاقسام الحديدية التي تمّ انشاؤها بخطوط مزدوجة متقطعة وعلى الاقسام المشروع فيها بخط مفرد متقطع

فاذا نظرت الى الخارطة رأيت الخط المشار اليه سيمرُّ معظمه في املاك انكلترا وفي مملكة مصر الأ بقعة بين خط الاستواء في الشمال وافريقيا الجنوبية الانكليزية في الجنوب قسمها الشرقي لالمانيا والغربي هو مملكة الكونغو المستقلة يفصل بينهما بحيرة تنجنيقة وخطٌ وهميٌ من طرف البحيرة الشمالي الى حدود اوغندا في خط الاستواء · وكان مشروع انكلترا ان يمر الخط الحديدي هناك غربي تلك البحيرة في املاك الكونغو المستقلة

اما الخط الممدود من الشمال فسيمرُّ من الخرطوم الى فشوده فافريقيا الشرقية الانكليزية فبحيرة البرتا فاوغندا الى مملكة ولاية الكونغو المستقلة المتقدم ذكرها · وبعد مروره بجانب بحيرة تنجنيقة يدخل في افريقيا الجنوبية الانكليزية

والعمل جار الآن في مدّ هذا الخط بهمة شديدة رغم ما يعترض انشاءها من الجبال الشاهقة والاودية المنفرجة فقطعوا افريقيا الانكليزية الجنوبية وبعض افريقيا الانكليزية الوسطى وتوغلوا في روديسيا بعد ان قطعوا نهر زمبيزي عند نقطة منهُ تعرف بشلالات فيكتوريا وهي عبارة عن مجرى ذلك النهر بين جبلين شاهقين اضطروا ان يوصلوا بينهما بجسر هائل الارتفاع يقال انه اعلى جسر في العالم ترى رسمهُ في الصفحة المقابلة وهو في اثناء بنائه · ولولا توفقهم الى مناجم للفحم والنحاس في ذلك الجوار لكان بناؤُه من اكثر الاعمال نفقة ولكنهم نظراً لما تيسر لهم من اكتشاف تلك المعادن كانت نفقاته قليلة جداً حتى قالوا انهُ لم يبنَ جسرٌ بمتانته وقوته بمثل نفقته



جسر زمبيزي الحديدي عند شلالات فكتوريا

جسر زمبيزي هو اعلى جسر في العالم علوه ٤٢٠ قدماً تمّ بناؤه في اربعة اشهر وهي اقصر مدة تم بها مثل هذا البناء من اقدم تاريخ العمارة حتى الآن . وقد رسم هذا الجسر وتولى ادارة بنائه السير شارلس متكالف المستشار الهندسي لسكة حديد روديسيا ومعهُ مهندس آخر . طول هذا الجسر ٦٥٠ قدماً في اوسع مساحته منها ٥٠٠ قدم طول البناء المركزي من الجانب الواحد الى الجانب الآخر وثخانة الجسر عند مركزه تسعون قدماً . وعرض سطحه حيث ينصب الخط الحديدي ٣٧ قدماً وستة قراريط وعرضه عند القاعدة ٥٠ قدماً . وهو مصنوع من الفولاذ مغشى بدهان اسمر . وكانت العناية مبذولة في بادىء الرأي للبحث عن نقطة صخرية متينة يرتكز عليها ذلك الثقل الهائل فتوفقوا الى هذه الامنية بسهولة كلية وساروا في العمل بسرعة وتوفيق عجيبين وتفاءلوا بهذه السهولة تفاؤلاً حسناً وتوقعوا ان يكون العمل موفقاً والمشروع ناجحاً . وجاءت الهندسة مضبوطة غاية الضبط فاخذوا في بناء الجسر على الجانبين معاً فلما التقى الطرفان فوق الماء جاء التقاؤهما محكماً غاية الاحكام . ومما اتخذوه من الاحتياطات لمنع العراقيل في اثناء العمل انهم نصبوا في اثناء العمل شبكة هائلة ممتدة اسفل الجسر حتى اذا سقط احد العملة او آلة من آلات العمل تتلقاها الشبكة فلا تصل الى النهر فتضيع

على ان الاشتغال في بناء الجسر لم يقف في طريق العمل الاصلي لمد الخطوط

الحديدية بل ظلوا عاملين على مدها فتجاوزوا بها شلالات فيكتوريا شمالاً الى كالامو وسيصلون الى بروكن هل قريباً وهي واقعة عند اول بحيرة تنجنيقة في الجنوب وتبعد ١,٩٨٧ ميلاً عن مدينة الكاب شمالاً · وبين كالامو و بروكن هل نحو ٢٦٠ ميلاً لا صعوبة فيها الاَّ في بناء جسر آخر طوله ١,٧٠٠ قدم لا بد من انشائه فوق نهر كافو

جهة امتداد الخط قال السير متكالفي المشار اليه في عرض حديث دار بينه وبين بعض المكاتبين ان هذا المشروع سيفضي قبل الفراغ من بنائه الى شعبتين كبيرتين تفترقان عند بروكن هل تسير احداهما شمالاً في افريقيا الشرقية الالمانية ومنها في اوغندة فخط الاستواء حتى تلتقي بسكة الخرطوم — وهو الخط الانكليزي · والثانية تذهب من بروكن هل شمالاً غربياً حتى تمرّ في مملكة الكونغو المستقلة الى بحيرة تشاد ومنها في املاك فرنسا الى شمالي افريقيا وربما تنتهي في جزائر الغرب او ما يجاورها — وهو الخط الفرنساوي

وقد جرت المناقشة في احسن طريق لمسير الخط الافريقي الانكليزي بعد خروجه من بروكن هل ورأي المستر رود ان يقف الخط الحديدي هناك ويستعاض عنه بالسفر في بحيرة تنجيقة الى آخرها ثم ينشأ خط آخر من هناك الى الخرطوم · واما السير شارلس متكالفي فيفضل استمرار الخط الحديدي بجانب البحيرة المذكورة على موازاتها ولكنهم يخافون ان لا تسمح المانيا بمرور ذلك الخط في اراضيها او ربما سمحت بعد النفقة والمشقة

ثم ان الشروع بالخط الحديدي الافريقي قد نبَّه الاذهان الى خطوط اخرى فرعية تمتد من شواطىء افريقيا الى اواسطها بحيث يهون استثمار تلك البقاع الخصبة وترقية اهلها واستخراج معادنها وخيراتها

قال قيس بن الخطيم

وما بعض الاقامة في ديار   يهان بها الفتى الاَّ بلاء
وبعض خلائق الاقوام داء   كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء ان يعطى مناه   ويأبى الله الاَّ ما يشاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص   وقد ينمي على الجود الثراء
غني النفس ما عمرت غني   وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مالٌ   ولا مزرٍ بصاحبه السخاء

صحة العائلة

هل نذبح لنا كل ؟ — كلا

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي بدمنهور

٣ الادلة الفسيولوجية

ان وظيفة عضو من أعضاء الجسم او بالحري قوته تتوقف على تركيبه التشريحي ونجد لدى البحث في كيفية تركيب جسم الانسان ومقارنته باجسام باقي الحيوانات ان الادلة الفسيولوجية توافق ما قدمناه من الادلة التاريخية والطبيعية والعلمية الحقة عن طعام الانسان وأنيابه لذلك نبحث في الوظائف بحثاً فسيولوجياً ناظرين الى الموضوع من ثلاثة أوجه : (الاول) المضم وهو يحتوي على انتخاب الطعام والمضغ أوالمضم اللعابي والمضم المعدي والمعوي (الثاني) المفرزات (الثالث) بعض السموم

— المضم

ان اختيار الطعام أول اعمال التغذية وهو يتعلق بنوع مادة الغذاء فاكلة النبات مثلاً تتناول طعامها بسهولة كما تعده لها الطبيعة في السهول الخصبة والغابات . واكلة اللحوم تحتاج الى القوة لافتراس الحيوانات الضعيفة (وهي تفضل اكلة النباتات على غيرها) ثم تمزقها بمخالبها وأسنانها وتأكلها . اما اكلة الاثمار فتستخدم اليد لانتخاب طعامها مما تعثر عليه من اثمار الاشجار اما الانسان فقد شذ وحده عن هذا القانون الطبيعي

(المضغ) اما المضغ فيختلف باختلاف اصناف الحيوانات ففي اكلة الاعشاب كالثور مثلاً يتحرك الفكان بكل سهولة الى ثلاث جهات عمودية وجانبية والى الامام والخلف فتتمكن الطواحن الكبيرة من تحويل القضبان وأغصان الاشجار والقش التي تقتات بها الى كتلة كالعجين . اما أكلة اللحوم فلا تحرك فكيها الا الى جهة واحدة فهما يفتحان ويقفلان كالمقص وتتناول طعامها بسطوح قواطعها التي كالمنشار بعد ان تمزق فريستها بمخالبها وانيابها الى قطع صغيرة لكنها لا تمضغه ولا تطحنه بل تجزئه وتقذف به الى المعدة وهناك

تفعل عليه العصير الذي خص الخالق هذا الصنف به • اما حركة فكَّي اكلة الاثمار فهي كما في اكلة الاعشاب وانما تختلف عنها بكونها اقل عرضاً والمخالب والاسنان تجزيء مواد الطعام وتطحنها وتحولها الى مادة لينة لدنة • وأعضاء المضغ وحركة الفكين في الانسان مشابهة لما في الحيوانات العليا كالقردة والاوران اوتانج والشمبانزي والغورلاّ • وهو كاكلة الاعشاب يتناول السوائل مصاً اما اكلة اللحوم فتتناولها لعقاً

(اللعاب) اكلة الاعشاب تفرز كمية كبيرة من اللعاب تنفع خصوصاً لنقع المواد التي تغتذي بها • اما اكلة اللحوم كالكلب مثلاً فالغدد اللعابية فيها صغيرة جدًّا وكمية اللعاب التي تفرز قليلة لا تفي بالغرض المراد منها اي هضم النشاء كما في اكلة الاثمار • اما اكلة الاثمار فالغدد اللعابية فيها كبيرة كما في اكلة الاعشاب وقادرة على افراز اللعاب الذي يحول النشاء بسرعة الى مادة سكرية

(الهضم المعدي) معدة اكلة الاعشاب مركبة من اربعة اقسام وعمل الهضم فيها بطيء لان طول القناة الهضمية في هذا الصنف من ٢٠ — ٣٠ مرة طول الجسم اما معدة اكلة اللحوم فبسيطة والقناة الهضمية قصيرة ولذلك فالمواد التي تغتذي بها تكون سريعة الذوبان بالعصير المعدي الخاص بها • هذا فضلاً عن ان العصير المذكور في اكلة اللحوم مضاد للفساد • لان لحوم ذوات الثدي والطيور والاسماك اذا تعرضت للحرارة والرطوبة تفسد حالاً وتنحلُّ وتتولد منها مركبات سامة كريهة الرائحة غير ان العصير المعدي في اكلة اللحوم يمنع هذا الفساد اذا حدث في أثناء الهضم المعدي • ولكن ذلك الفساد يحدث بعد الهضم المعدي والطعام لا يزال في القولون قبل ان يخرج من الجسم كما يظهر من رائحة الغائط الكريهة • اما معدة اكلة الاثمار فمع انها اقل تعقيداً من معدة اكلة الاعشاب فهي أبسط من معدة اكلة اللحوم لانها خلقت لطعام يطلب وقتاً أطول لاستخلاص عناصره المغذية والعصير المعدي فيها اضعف مما في اكلة اللحوم وغير قادر على مضادة الفساد ولذلك فهو أقل مناسبة لهضم اللحوم التي يطرأ عليها الفساد في المعدة ولا سيما اذا كانت الكمية كبيرة وقد ابتدأ الفساد فيها قبل تناولها • والمعدة والعصير المعدي في اكلة الاثمار يهضمان الاطعمة التي تناسبها طبعاً • فالطعام النشائي يهضم جيداً في المعدة التي عصيرها المعدي ضعيف غير حامض لان الحموضة تعيق عمل اللعاب الهضمي • وهذا لا يطلق على النشاء بعد طبخه فقط بل على المواد الاخرى النشائية الموجودة في الاثمار كالتفاح والموز ونحوها

(المضم المعوي) القناة الهضمية في اكلة الاعشاب طويلة ومركبة على كيفية تبطىء سير حركة محتويات الامعاء فيها لايجاد وقت كاف للهضم التام ولامتصاص العناصر المغذية الموجودة في المواد الخشنة التي تقتات تلك الحيوانات بها • اما قناة اكلة اللحوم فقصيرة لا تتجاوز ٣ او ٤ مرات طول الجسم ولينة ناعمة تسهل حركة الطعام السهل الذوبان والانحلال فيها الى اقصى غايته • اما قناة اكلة الاثمار والانسان فمع انها اربعة اضعاف طول قناة اكلة اللحوم فهي اقصر من نصف قناة اكلة الاعشاب وتوخر حركة المواد المهضومة الى ابلغ ما يمكن • والقولون هو كما في اكلة الاعشاب • وهذه الحقيقة وحدها كافية لتمنع اكلة الاثمار عن اكل اللحوم لأن العصير المعوي فيها اضعف لمقاومة الفساد وقتل الجراثيم فبقاء المواد السهلة الذوبان والفساد كاللحوم خطر يأتي باضرار عظيمة

٢ — المفرزات

ان كبد اكلة اللحوم بالنسبة الى حجم صاحبها اكبر منها في بقية الحيوانات وتقسم الى خمسة فصوص ظاهرة واضحة اكثر مما بأكلة الاعشاب والاثمار ولذلك فكمية الصفراء التي تفرزها اكثر مما تفرزه اكلة الاعشاب والاثمار وهذه الكثرة ناتجة عن اكل اللحوم على ما بينه بوشار وغيره بالامتحانات الجراحية بجمع الصفراء المفرزة خارج الجسم وقياس كميتها بكل تدقيق بعد ان غذوا الحيوانات التي ارادوا الامتحان بها باطعمة مختلفة فوجدوا ان التي غذوها باللحوم كان افراز الصفراء فيها يزداد بنسبة خمسين في المائة او اكثر • ومن هذا يظهر ان اكل اللحوم يتطلب من الكبد نشاطاً عظيماً اكثر مما تتطلبه باقي الاطعمة • وهذه الزيادة في العمل قد أُعدَّ لها في اكلة اللحوم عضوٌ كبير اكمل تركيباً لافراز الصفراء • وبما ان هذا العضو ليس كذلك في الانسان فهو لم يخلق ليقتات باطعمة كاللحوم تحتاج الى كبد كبيرة لعمل عظيم • قال لاندو واسترلبنغ ان كمية حامض اليوريك التي تفرزها الكلى يومياً هي ٠،٥٠ ٣٢ قمحة اذا كان الطعام لحماً ومن ٣ قمحات الى ١٠ اذا كان مادة اخرى • واذا علمنا ان حامض اليوريك ينتج عن التغذية الناقصة وعن تحميل الجسم من المواد النيتروجينية فوق حاجته وانه اذا اخذ مع بقية السموم التي ترافقه دائماً كان اقوى العوامل المعروفة لاعتلال الجسم قلَّت اهمية الارقام التي نستشهد بها • ومتى زاد الطعام اللحمي زادت كمية حامض اليوريك في البول من ٣ — ١٠ مرات عما لو كان الطعام بسيطاً طبيعياً ووجبت العناية بالاكل والالتفات المعظم الى احواله

الجلد يفرز العرق في الانسان واكلة الاعشاب بكل سهولة كما قدمنا • اما اكلة كل

شيء. فلا يفرز العرق منها الا خرطومها كالخنزير واكلة اللحوم لا تفرزه الا اخماص اقدامها فقط . وهنا نرى من ادخال المواد السائلة الى القناة المضمية ان الانسان يختلف كثيراً عن أكلة اللحوم

٣ ــ سموم أخرى

الحامض السكسيناميك والكرياتين والكرياتينين وسموم غيرها تتكاثر في جسم الانسان بتكاثر الحامض اليوريك من أكل اللحوم . وازدياد السموم في البول دليل على ازديادها في الجسم فلا نحتاج اذاً الى دليل على تكاثر المواد السامة في من يقتات باللحوم اكثر في من يقتات بالنبات . لا سيما وقد بين بوشار ان غائط اكلة النبات الممزوج باللحم سمه نحو ضعفي سم غائط اكلة اللحوم فقط ورائحة غائط اكلة اللحوم كريهة جداً بالنسبة الى رائحة غائط اكلة الاعشاب . والرائحة الكريهة التي تتميز بها اكلة اللحوم تحدث عن امتصاص المواد السامة الموجودة في قولون تلك الحيوانات . ولذلك ندر ان تأكل اكلة اللحوم احد ابناء نوعها فالاسد لا يفترس اسداً حياً ولا يأكل اسداً ميتاً وكذلك الفهد وغيرهما. والكلب يقبض على الهرة ويقتلها ولكنه لا يأكلها فهذه الحيوانات تفضل افتراس حيوانات اخرى لا تأكل اللحوم . والخلاصة من كل ما مر ان الانسان بأكله اللحوم يملأ جسده بالمواد الميتة بسبب الانحلال وبسموم اخرى كثيرة تجعل له الصفات المضرة الكريهة التي لاكلة اللحوم والتي تأباها حتى الوحوش المفترسة

✱ النبات يجمع القوة ويخزنها والحيوان ينفقها ✱ الفرق الاساسي بين النبات والحيوان ان الاول قادر بتأثير النور والمبدإ الحي في التركيب ان يجمع القوة ويخزنها بتحويل الماء والتراب والهواء من المواد غير الالية اي مركبات آلية كالنشاء والدهن والسكر والالبيومن والالياف . وهذه المواد التي تنتج عن النمو النباتي هي مستودع القوة لانها تتحد مع الاوكسجين تحت حالات خصوصية وتولد حرارة تتحول الى قوى ميكانيكية تستخدم في الاعمال كما يستخدم البخار في جر القطار او تشغيل معمل او تسيير مركب . اما الحيوانات فليس لها قوة على اختزان القوة بتحويل العناصر الاصلية الى تراكيب آلية بل تأخذ القوة التي اختزنها النبات وتغيرها بالهضم والتمثيل الى مواد تشابهها تتحول بعدئذ الى حرارة وقوة في الجسم الانساني . وكل القوة تقريباً التي يستخدمها الانسان في العالم لتدفئة البيوت والفنادق ونحوها مأخوذة من المملكة النباتية الينبوع الطبيعي للفحم الحجري والزيوت المعدنية

وغيرها . ونور الشمس الذي خزن القوة في الاشجار منذ الوف من السنين هو الذي يظهر ثانية مشرقاً بالزيوت والكهرباء . لمواد الطعام علاقة بالجسم البشري مثل علاقة النار بالآلات الدافعة وهي ينبوع كل حرارة وقوة تصدران عنها انما يختلف الجسم البشري عن الآلات الاخرى بدقة العمل وتعدد السبل التي تستخدم فيها تلك القوة . فهو اكثر اقتصاداً في استخدام القوة المخزونة لان اتقن الآلات الميكانيكية تنفق سدس القوة الموجودة في الفحم اما الجسم الانساني فينفق خمس ما يوجد من القوة في مواد الطعام والاربعة الاخماس الباقية تحول الى حرارة . لما تحترق الوقود بالآلات الميكانيكية ينتج عن الاحتراق غاز يفلت على شكل دخان ومواد جامدة تبقى بشكل رماد وكذلك الجسم فان نتيجة الاحتراق او تأكسد الطعام فيه غازات تذهب عن طريق الجلد والرئتين ومواد جامدة تذوب بالماء فتخرجها الاعضاء المفرزة

فيظهر مما مرَّ ان المواد الحيوانية ليست بالحقيقة طعاماً بل هي آلات لتناول الطعام وما اغتذاء حيوان بحيوان آخر الا كاتلاف آلة بآلة اخرى . قد يمكن ان يركب بعض الآلة من مواد قابلة الاحتراق حتى اذا نفد الوقود تؤخذ الحرارة منها كما تؤخذ منه ولكن وقوداً كهذا يكلف كثيرا فضلاً عن ضعفه لانه يحتوي مواد لا تحترق واخرى محروقة . فلما يأكل الحيوان حيواناً آخر يعرض نفسه لكل هذه الاثقال لان اللحوم كالاطعمة النباتية فيها مواد لا نفع منها وكميات من مواد سامة نتجت عن العوامل التي تنفق القوة كالدماغ والعضلات والقلب والغدد وبالاجمال كما يعمل عملاً حيوياً ينتج سموماً او مواد افرازية . على ان في النبات ينبوعاً نقياً للقوى المخزونة اما الحيوان فهو عبارة عن النبات بعد ان استعمل اولاً بالتأكسد والانحلال ودخل في التركيب متحداً بمواد سامة نتجت عن الاعمال الحيوانية فالنبات اذاً يبني والحيوان يخرب . في اجسام الحيوانات حتى الصحيحة منها كمية كبيرة او صغيرة من الانسجة المائتة وهي نفاية المواد تخرج عن طريق الكلى والكبد والجلد وغيرها ويستحيل تناول اللحوم خالصة من هذه السموم الا اذا غسلت غسلاً جيداً غير ان الغسل الطويل يخرج المواد المائتة التي لا نفع لها ويخلف مادة غروية قاسية مركبة من الالياف التي كانت حية قبل موت الحيوان لانها لا تذوب في الماء . ومواد الطعام التي تدخل الجسم تخزن في العضلات والكبد وغيرها بحالة لا تقبل الذوبان ولولا ذلك لكان الحيوان يذوب في الماء كما يذوب السكر ولا يأمن النزول فيه . وليست خلاصة اللحم الا محلول المواد المائتة والسموم المتروكة في الجسم بعد موت الحيوان

✵ حياة الخلايا بعد الموت ✵ لما يقتل الحيوان بقطع بلعومة او باطلاق رصاصة في دماغه لايموت حالاً موتاً كلياً بل يفقد الشعور وتتوقف دقات قلبه وتنتهي شخصيته او حياته ولكن انسجته تبقى حية بضع ساعات في ذوات الدم الحار وعدة ايام في ذوات الدم البارد كالافعي ونحوها . وفي الوقت الذي يمرّ بين الموت الظاهري والموت الحقيقي الذي هو موت الخلايا والانسجة يتناول الحيوان الحي مواد الطعام الذائبة التي تجاور الخلايا والانسجة وهي مواد لا تنفع لها تخرج من الجسم في اثناء الحياة بواسطة الكلى والرئتين وغيرها واما الآن فتبقى حيث هي . ومعدل حدوث هذه المواد في اثناء الحياة عظيم جداً حتى انها قد تميت بضع دقائق فيما اذا سدت المنافذ التي تخرج منها كما لو توقف التنفس بالغرق او الاختناق. فالموت هنا لم يحدث من عدم وجود الهواء بل من تجمع المواد السامة في الجسم فيتوقف نشاط الخلايا الحية . وتجمع هذه السموم بعد الموت يقتل الانسجة التي كانت تغسل مدة الحياة بجرى من الدم وتغذى به فضلاً عن ارساله المواد الداثرة الى الكبد لترسل الى الكلى والرئتين والجلد لافرازها . ولما تتوقف دقات القلب بتوقف العمل المذكور وتتجمع السموم بسرعة حتى يصير السائل الحيوي مشبعاً بها فيقتل كل ذي حياة . والشرايين لاتزال تنقبض بعد الموت حتى يطرد الدم الموجود فيها الى الانسجة فالاوردة ولا يبقى في الجسم الا الدم الوريدي والمفرزات السامة مع الانسجة التي تتالف منها مما لم ينحل بعد

✵ خلاصة اللحم ✵ اشتهرت خلاصة اللحم منذ زمان طويل بانها منبهة فاستعملتها الجنود البريطانية عوضاً عن الهوسكي وغيره من الاشربة الروحية . و ينسب ذلك التنبيه الى سموم الانسجة او المواد البرازية الموجودة فيها . وقد برهن الدكتور هاي ان حامض اليوريك ونحوه من السموم التي هي اهم محتويات عصارات اللحوم منبهات بالمعنى المتعارف وتحدث عند تعاطيها انتعاشاً وانبساطاً خادعاً كما يفعل الكحول وعمله وان ظهر منبهاً فهو في الحقيقة يضعف القوى . ومن هذا تتبين خاصة اللحوم المنبهة التي سببت رواج اكلها . ومن الامور المشهورة ان شهوة الطعام تستمال بالمنبهات مهما يكن نوعها وذلك الميل برهان عظيم على عدم لزوم استعمالها فان المنبهات لا تعطي قوة بل ترغم الاعصاب على العمل الى درجة غير طبيعية فتنفق من القوة المخزونة فيها . نقل بافي احد فسيولوجي الانكليز في كتاب له عن الاطعمة ما قاله رجونسن عن اسفاره في جنوبي الحبشة برهاناً على تنبيه لحم الحيوانات الى التخدير مثل سائر المسكرات ولا سيما اذا اكل نيئاً قال « ان الذين حضروا ولائمهم ولائم اهل تلك البلاد) رأوا نتائج هذا الطعام المسكر وانذهلوا لكثرة الكمية

التي تؤكل اذا كان اللحم نيئاً بالنسبة اليه مطبوخاً » فخلاصة اللحم لا تعد طعاماً أبداً ولا تحتوي الا المفرزات السامة التي توجد دائماً في اللحم النيء وقال ليبك ان خلاصة اللحم ونحوها من المستحضرات ليست سوى منبهات كالشاي والقهوة

﴿ حالات المادة في الاجسام الحية ﴾ توجد المادة في الاحياء على ثلاث حالات (١) المادة الحية (٢) الطعام او المادة المغذية (٣) النفاية او العناصر السامة المائتة . فالمادة الحية هي القسم العامل النشيط في الجسم والمغذية هي المواد المحضرة التي تناولها الجسم ولم يتمثلها بعد . واما النفاية فنتيجة العمل الحيوي وهي سموم وجودها يقاوم العمل الذي احدثها . وكمية النفاية في الحيوان الصحيح تعادل كمية المواد المغذية المأخوذة اما في الحيوان العليل المصاب بالروماتزم مثلاً او غيره من الامراض المزمنة فتزيد كمية النفاية على المواد المغذية وهذه الزيادة تؤثر على النشاط الحيوي فيحدث مرضاً من اعراضه الشعور بالتعب . والعضلة المتعبة هي العضلة المسمومة لان النفاية زاد تجمعها فسممت العضلة بها وشلت عن العمل وهكذا الحال في الدماغ . اما في النبات فكمية النفاية قليلة بالنسبة الى المواد المغذية التي ندعوها طعاماً وهذا ينسب الى ما ذكرناه قبلاً من ان الحيوان آلة لاستعمال القوة والنشاط بهيئة مواد غذائية يكون قد أذخرها النبات قبلاً

(اكل اللحوم ينتج الحامض اليوريك) لما يأكل الحيوان طعاماً نباتياً يكتسب قسماً من المواد الغذائية بدون ان يزيد في النفاية أو المواد المائتة . اما اذا اكل اللحم فيضيف النفاية الى جسمه فضلاً عن الغذاء ويستحيل على حيوان اكل حيوان آخر من دون ان يزيد النفاية في انسجته . ولهذا السبب على الاقل يمنع الاطباء مرضاهم المصابين بالحمى عن اكل اللحوم . ولا يوكل طعام من اللحم الا وتزاد النفاية الى ما فوق النسبة الطبيعية . وقد بين الدكتور هاي ان الانسان باكله اللحم بالطريقة الاعتيادية مع اطعمة أخرى يخزن يومياً قمحتين او ثلاث قمحات من حامض اليوريك وهي نصف الكمية التي تفرز اعتيادياً بطعام نباتي طبيعي وتكون النتيجة الاكيدة من ذلك التجمع بلاء الجسم عاجلاً او آجلاً بمرض عضال يضعفه فيموت قبل الاوان . وفي الصبوة تفوق المواد المغذية النفاية لان ذلك الزمن زمن بناء الجسم ونموه اما في الشيخوخه فيوجد دائماً نقص في افراز النفاية فتتجمع ومن عواقب هذا التجمع حؤول الشرايين وغيرها مما هو معروف من الامراض الخاصة بالشيخوخه التي تسبب العجز والانحطاط

جسم الحيوان معمل سموم

ان ابحاث ليبك ولمان وكود برنار وخصوصاً بريجر وكوتيير وغيرهم من الباحثين في الكيميا الفسيولوجيـة قد اضافت الى هذا الموضوع حقائق مهمة في فن الطعام ولا سيما فيما يتعلق باللحوم . وكانت نتيجة هـذه الابحاث انهم اظهروا بدروسهم وتجاربهم الكثيرة حقيقة لا ينازعهم فيها منازع وهي « ان جسم الحيوان معمل سموم » . اكتشف العلماء ثاني اكسيد الكربون واليوريا وسموماً اخرى غيرها منذ زمان ودرسوا طرق افرازها درساً جيداً ولكن فسيولوجيي الجيل الحاضر عرفوا جلياً ان السموم المذكورة لا تعد سامة او مضرة بالنسبة الى المواد السامة التي اكتشفوها حديثاً في انسجة الحيوانات فقد اكتشف برون سيكار في نَفَس الانسان وغيره من الحيوانات سماً يميت الحيوانات السفلى باصغر الجرعات . وقد اثبت هذه الحقيقة عياناً في معمله الكيماوي في باريس من سنين قليلة وكذلك بيَّن بوشار ان في بول الانسان والحيوانات السفلى ستة انواع من السموم القتالة غير اليوريا وحامض اليوريك احدها يميت باقل الجرعات بتشنجات قوية جداً وآخر يميت بهبوط الحرارة وآخر بارتفاعها وآخر بكل هدو وسكينة . وهذه السموم قليلة المقدار جداً لا تظهر بالوسائط التي يحلل بها البول اعتيادياً بل يظهر مفعولها فوراً اذا حقن ارنب او حيوان آخر بكمية قليلة جداً من البول

✻ درس سموم الانسجة ✻ يعتبر البول ـ كما بين بوشار وغيره ـ خلاصة انسجة تحتوي على الفضلات الناتجة عن عمل الجسم الحيوي . والكلى لا توجد السموم بل تفصل ما يوجد في الدم مذاباً فيه وما جاء به من الانسجة التي يغسلها بمروره في الدورة الدموية العمومية . اتخذ بوشار هذه الحقيقة وبنى عليها طريقة اكتشاف عمل السموم في الجسم وطرق اخراجها منه قال « يوزن الانسان او الحيوان المراد درسه جيداً و يجمع بوله مدة ٢٤ ساعة و يكال جيداً ويجعل قلوياً و يرشح ثم يحضر ارنب حي و يوزن جيداً و يحقن كمية من البول المذكور في احد اوردة اذنه حتى يموت ثم تدرس الاعراض التي تحدث بكل امعان حسب ظهورها وتعرف كمية البول التي اخذت فاحدثت الموت وحينئذ تدل الاعراض على طبيعة السم الموجود في البول و بعبارة اخرى في انسجة الانسان او الحيوان »

✻ اللحوم تزيد سمية البول ✻ و بالطريقة المذكورة اكتشفت حقائق كثيرة مفيدة بمعرفة سمية البول والانسجة وان تكن لم تعمل الآن في معامل كيماوية خصوصية لا كتشافات فسيولوجية . قال بوشار في بحثه لمعرفة سمية البول وخصائص السموم الموجودة

فيه « ان اكل اللحوم يزيد سمية البول اي ان كمية البول اللازمة لقتل ارنب ذي وزن معلوم تزيد بطعام حيواني اكثر من ٥٠ في المائة » وقال غيره بعد الامتحان « ان من يقتات باللحوم فقط تزيد السمية في بوله الى اربعة اضعاف كميتها الطبيعية وان آلام العليل بالسل والحمى التيفويدية والدفتيريا والحمى القرمزية والكوليرا وغيرها من الامراض الوبائية المنتقلة هي من حرب تصليها الجراثيم على الجسم فتنتج مواد سامة واعراضاً خصوصية دالة على نوع المرض

❊ السموم الحادثة في الانسجة عن مرض حاد ❊ عرف من المكتشفات الحديثة ان في كل الامراض الوبائية التي تصاحبها امراض البنية سموماً خاصة ناتجة عن عمل الميكروب الخاص الذي سببه المرض فاذا اخرجت هذه السموم من الجسم بسرعة يتقدم المريض الى الصحة واذا قصرت الكلى عن اتمام وظيفتها بافراز تلك السموم فلا يرجى الشفاء ففي بدء الاصابة بالنمونيا مثلاً تخف سمية البول كثيراً لعجز الكلى عن اخراج الكمية التي يجب اخراجها من سم هذا المرض الخصوصي او ما يخرج اعتيادياً من الانسجة ولكن متى زال الخطر وتقدم المريض للصحة تزداد سمية البول (لمدة قصيرة) خمسة اضعاف ما كانت عليه في مدة المرض . اما السموم التي تحدث في الانسجة السقيمة فقد ظهر انها تحدث في بعض الاحيان عن مواد اقل سمية حدثت طبيعياً بالانسجة . اكتشف كرفت حديثاً ان اقوى المواد السمية التي توجد في البول مدة الاصابة بالحمى القرمزية والدفتيريا تحدث عن الكرياتين مادة اقل فعلاً من السموم التي احدثتها وهذه المادة توجد طبيعياً في الانسجة وتوجد دائماً في لحوم الحيوانات . وبين كاب (مكتشف آخر) ان السم الذي يوجد في الجسم مدة الكوليرا يحدث عن الكوانيدين وهي مادة سامة قليلاً جداً توجد في الجسم طبيعياً

❊ التسمم بخلاصة اللحم في الدفتيريا والحمى القرمزية ونحوهما ❊ ينتج مما مر ان تناول اللحوم في الدفتيريا والحمى القرمزية هو بمثابة اخذ جرعة كبيرة من السم لان هذه المواد تحتوي دائماً على الكرياتين والكوانيدين اللذين يتحولان الى اعظم السموم المميتة بفعل الجراثيم الخاصة الموجودة بتلك الامراض

❊ السموم التي تتكون في القناة الهضمية ❊ بين باستور وتلامذته ان ثلاثين او اربعين نوعاً على الاقل من الميكروبات مستقرة في القناة الهضمية وتحدث سموماً خاصة بكل نوع منها متى ناسبتها الظروف وقد وجد بامتحانها خارج الجسم ان ما كان منها اعظم

خطرًا واكثر سماً للانسان ينمو بسرعة عجيبة في خلاصة اللحم ونحوها من المستحضرات وهذا هو سبب الرائحة الكريهة المنبعثة عن انسجة الحيوانات متى فسدت خلافاً للنبات . قابل بين فساد تفاحة أو رغيف من الخبز بفساد عصفور أو سمكة أو قطعة لحم ترَ الفرق باجلى وضوح و يحصل ذلك داخل الجسم ايضاً . ويتأكد حصوله من رائحة غائط اكلة اللحوم فطعام اللحم يجعل الغائط كريهاً الى درجة عظيمة لابد ان يكون ينبوعاً خصباً يملأ الانسجة بالسموم بامتصاص المواد السامة المميتة ومما يؤيد ذلك و يدل على تسمم الانسجة ان رائحة اكلة اللحوم تصير كريهة كرائحة غائطها حتى ان اكلة الخضر متى اقتاتت باللحوم تكتسب تلك الرائحة الكريهة

(السموم الناتجة عن فساد الاطعمة اللحمية) ان الفساد الذي يعتري الطعام قبل دخوله الجسم كما يحدث في الجبن القديم واللحوم ينبوع آخر يملأ الانسجة بالبتومايين السام وقد بين سكرى ترومانا بتجارب عديدة ان الفساد يبتدي في الحيوان بعد موته باربع وعشرين ساعة اذا وضع ضمن صندوق من الجليد . اما اذا تعرض للهواء تحت درجة الحرارة الاعتيادية فيبتدىء الفساد فيه بعد الموت بست او ثماني ساعات او حالما تموت الانسجة تماماً — يؤيد ذلك اللون الذي تتلون به اللحوم الفاسدة وهي معروضة للبيع في الاسواق . في اميركا لحم يعرف « بلحم الميلاد » يحفظ ثلاثة اشهر قبل عرضه للبيع فما اكثر عدد البتومايينات الموجودة فيه ! . وبين بريكر ان كبد البطلينوس وغيره من الاسماك الصدفية تحتوي على سموم تدعى ميتلوتوكسين تسبب مرضاً حاداً خطراً وبعض الناس لا يقدرون ان يذوقوها من دون الشعور حالاً باضرار خطرة . وقد تقدم ان أنسجة بعض الحيوانات تحتوي على سموم غير هذه سببها امراض كانت بها قبل الموت كالسل ونحوه . فليتأمل اكلة اللحوم

(اكل اللحوم يضعف مقاومة الجسم للامراض) بناء على ما تقدم قد سأل البعض « كيف يحيا الانسان ولا سيما اكلة اللحوم ؟ » والجواب ان الطبيعة قد هيأت في الانسان وسائل كثيرة للوقاية من شر الميكروبات ونتائجها السامة فالجسم يقي نفسه بواسطة قوة خصوصية في بعض خلاياه . فكريات الدم البيضاء بواسطة خاصة فيها تدعى فاغوتيسوتين تقبض على الجراثيم السامة في الدم وتبتلعها وهذه الخاصية توجد باقسام عديدة من الجسم . وعلى قوة هذه الخلايا نتكل في وقاية انفسنا من هجمات ملايين الميكروبات المستقرة في القناة الهضمية . وقد عرف اخيراً ان لمصل الدم قوة شديدة على قتل الميكروبات . ثم

ان الكبد تقتل كثيراً من السموم الميكروبية ولا سيما ما تكون منها داخل الجسم — تلك احدى وظائفها العظمى • وبين بوشار وغيره ان الحيوان اذا فقد عمل كبده يحتاج من الاستركنين والنيكوتين لاماتته الى نصف ما تحتاج اليه كبد عاملة • وهذه الخاصة في الكبد تتوقف على الكليكوجين او النشاء الكبدي الموجود في خلاياه فمتى فقد هذا النشاء فقدت القوة الواقية • ولذلك اذا اخذ سمٌّ او علاج قوي والمعدة فارغة كان اقوى فعلاً مما لو اخذ بعد الاكل حيث يحتاج الى ضعفي تلك الجرعة لتؤثر ما اثرته اولاً • غير ان نشاء الخلايا الذي يميت السموم ومصل الدم وخاصية الكبد كلها محدودة فان خلايا الدم ونحوها تهلك بعض الجراثيم ولكن عدداً عظيماً من هذه يتغلب عليها وقد ثبت ان عصارات اللحوم والسموم الحادثة في لحم فاسد تشل كريات الدم البيضاء وغيرها مما توقف عليه وقاية الجسم فتعجز عن اهم وظائفها ولا تعود تقتل الجراثيم والسموم الناتجة عنها

(نتائج خلاصة اللحم السامة) قد تبين بطرق كثيرة علمية ان خلاصة اللحم او بالحرى نفاية المواد التي تؤلف ما يدعى خلاصة اللحم هي سامة وما سيأتي أدلة دامغة بانها سامة وتنتج اضراراً لا حدَّ لها متى ادخلت الى اعضاء الجسم الرئيسية

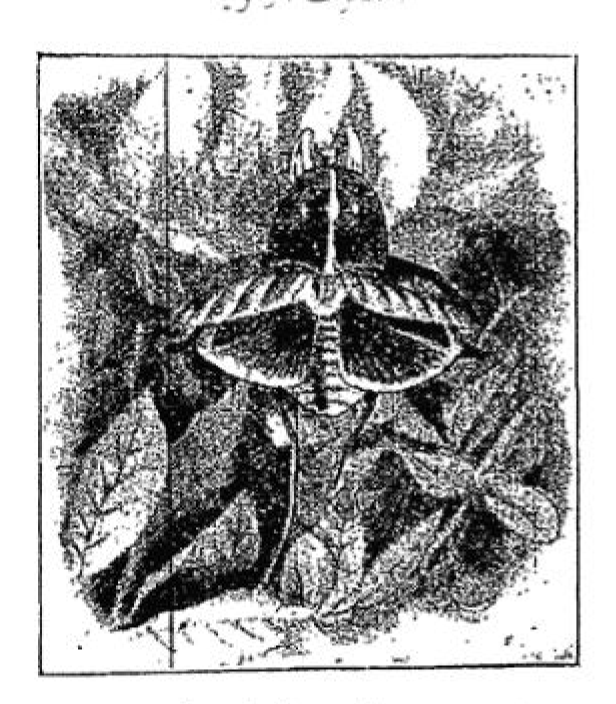
(خلاصة اللحم للعضلات) فصل الفسيولوجيون عضلة من فخذ ضفدعة عن العظم ووصلوها ببطرية واطلقوا عليها المجرى الكهربائي فانقبضت وحملت حملاً خفيفاً وباستمرار هذا العمل مدة تعبت العضلة فلم تعد تنقبض من تأثير المجرى • وقد نتج عن ذلك تجمع نفاية المواد المائتة التي تقدم ذكرها لانه لو غسلت العضلة المذكورة بمحلول ملحي لعادت حالاً الى العمل • ثم أخذوا عضلة أخرى ووضعوا فوقها محلولاً ثقيلاً من خلاصة اللحم فتوقفت عن الانقباض حالاً كأنها منهوكة من العمل مع انها لم تشتغل مطلقاً وما ذلك الاَّ لان خلاصة اللحم هي محلول السموم التي تكونت بالعمل في العضلات وقد شلت العضلة فلم تعد قادرة على الانقباض

(خلاصة اللحم سم للدماغ) وجد هورسلي وغيره انه اذا اخذ قسم من جمجمة قرد وكشف الدماغ وارسل اليه مجرى كهربائي تنقبض العضلات البعيدة في الاطراف واذا صبَّ محلول من خلاصة اللحم في الدماغ المذكور يفقد قوة الانقباض حالا وهذا يدل على تأثير السموم ونفاية المواد الموجودة في خلاصة اللحم وتكون حالة الدماغ حينئذ كحالته بعد عمل عقلي طويل شاق

(عصير اللحم يقتل الارنب) اذا حقن وريد أرنب بعصير اللحم مات حالا (والكمية اللازمة لاماتة ارنب ذي وزن معلوم هي أقل من الكمية اللازمة من البول لاماتته) • وقد أجريت امتحانات كثيرة قوبل بها عمل عصير اللحم وعصير مأخوذ من عضلة كلب لمعرفة كمية السموم الموجودة فيها فوجد بالطبع ان انسجة حيوان يقتات باللحوم تحتوى كمية من سموم الانسجة اكبر مما تحويه انسجة حيوان آخر يقتات بالنباتات لان الاول الذى يقتات باللحوم يضيف الى السموم الموجودة بجسمه السموم التي تكونت في الحيوان الذى اكله • والخلاصة ان كل تلك الامتحانات اثبتت بان سم عصير الانسجة المأخوذ من الكلب ضعفا سم العصير المأخوذ من لحم القردة • وانه يلزم من عصير لحم البقر لقتل حيوان ذى وزن معلوم ضعفا ما يلزم من عصير لحم الكلب



الحشرات الزهرية



(ش ١) الجندب المصلى بشكل زهرة

توفق بعض الباحثين في طبائع الحيوان الى اكتشاف حشرة من قبيل الجنادب اسمها العلمي Phasmomantis Carolina تقتات بالذباب ونحوه وتحتال في اقتناص فريستها حيلة غريبة — وذلك ان لها يدين مستطيلتين تثنيهما ثني السجود ومنها اسمها عند الافرنج « الجندب المصلي » وكذلك يسميها اهل الترانسفال · و يسميها غيرهم فرس الشيطان وهو الاسم اللائق بها اذ ليس فيها من ظواهر الصلاة الاَّ السجود · وفي ما خلا ذلك فهي دويبة مفترسة ولها قدرة علي الاحتيال بما يدهش العقل ومدار حيلتها اقتدارها على التظاهر بأي لون أرادته فتقف على الزهرة الحمراء وتتلون بلونها حتى تظنها جزءا منها واذا وقفت على الورق الاخضر تلونت باللون الاخضر واذا كانت الزهرة من عدة ألوان تلونت بها جميعاً · وقد تقف على الغصن بين الاوراق فتتكيف بما يشبه الزهرة بتلها وسبلها واسديتها فتخفي يديها وتدخل رأسها بين الاوراق وتبسط اجنحتها للخارج حتى تشبه الزهرة مشابهة كلية فتخدع الناس فضلاً عن الحشرات والذباب · فتقع الذبابة عليها أو بجانبها طمعاً بامتصاص الزهرة فتثب هي عليها وتلتقطها بيديها بين ثنيتي السجود ! كما ترى في الشكل الثاني



(ش ٢) الجندب المصلي وفريسته في قبضته

ومن غريب طبائع هذه الجنادب انها تمكث على الاغصان او بين الاوراق ساعات او اياماً وهي متشكلة بشكل الزهرة لاتبدي حركة تدلُّ على الحياة الحيوانية كأنها تجعل نفسها

جزءًا من النبات التي تقف عليه وتتحرك معه بحركة الريح كما تتحرك الزهور لو كانت في مكانها بحيث يستحيل على غير المتأمل ان يميزها عن زهور النبات · ومنها نباينات عديدة تختلف طبائعها باختلاف الاقاليم اشهرها ما وجدوه اخيرًا في سنغافوره و بورنيو من جزائر المحيط واسمه عندهم Derop'atys وهوالذي نبههم الى هذه الطبائع في هذا النوع من الحشرات

اليتيمة

وسبب نظمها ومصير ناظمها

هي قصيدة جاهلية ذاع خبرها وتناقل الناس بعض ابياتها فطلب الينا بعض الاصدقاء نشرها مع ذكر السبب الذي دعا الى نظمها فنقول :

ذكروا في سبب نظمها ان فتاة من بنات امير من أمراء نجد بارعة في الجمال اسمها دعد كانت شاعرة بليغة وفيها انفة فخطبها الى ابيها جماعة كبيرة من كبار الامراء وهي تأبى الزواج الأ برجل اشعر منها فاستحث الشعراء قرائحهم ونظموا القصائد فلم يعجبها شيء مما نظموه وشاع خبرها في انحاء جزيرة العرب وتحدث الناس بها · وكان في تهامة شاعرٌ بليغ حدثته نفسه ان ينظم قصيدة في سبيل تلك الشاعرة الفتانة فنظم القصيدة التي نحن في صددها وركب ناقته وشخص الى نجد فالتقى في طريقه بشاعر شاخص اليها لنفس ذلك السبب وقد نظم قصيدة في دعد ايضاً فلما اجتمعا باح التهامي لصاحبه بغرضه وقرأ له قصيدتهُ — فرأى هذا ان قصيدة التهامي اعلى طبقة من قصيدته وانه اذا جاء بها الى دعد اجابته الى خطبتها فوسوس له الشيطان ان يقتل صاحبه وينتحل قصيدته فقتله وحمل القصيدة حتى اتى نجد ونزل على ذلك الامير واخبره بما حمله على المجيء فدعا الامير ابنته فجلست بحيث تسمع وترى وأخذ الشاعر ينشد القصيدة بصوت عالٍ على جاري عادتهم فادركت دعد من لهجته انه ليس تهامياً ولكنها سمعت في اثناء انشاده ابياتاً تدل على ان ناظمها من تهامة فنامت بذباهتها وفراستها ان الرجل قتل صاحب القصيدة وانتحل قصيدته فصاحت بابيها « اقتلوا هذا انه قاتل بعلي » فقبضوا عليه واستنطقوه فاعترف بجريمته فقتلوهُ وهذا نص القصيدة كما وصلت الينا :

هل بالطلول لسائل ردُّ ... ام هل لها بتكلم عهدُ
درس الجديدُ جديدَ معهدها ... فكأنما هي ريطةٌ جرد (١)
من طول ما تبكي الغيوم على ... عرصاتها ويقهقه الرعدُ
فتلثُّ (٢) سارية وغادية ... ويكرُّ نحسٌ بعده سعدُ
تلقى شآمية يمانية ... لهما بمورد تربها سردُ
فكست بواطنهما ظواهرها ... نوراً كأنَّ زهاءها بردُ
يبدي فيسدى نسجها درب ... واهي العرى ويعزه عقدُ
فوقفت أسألها وليس بها ... الا المهى ونقانقٌ ربدُ (٣)
فتناثرت دررُ الشؤون (٤) على ... خدّي كما يتناثر العقدُ
لهفي على دعد وما خلقت ... الاّ لطول تلهفي دعدُ
بيضاء قد لبس الاديم أديـ ... ـم الحسن فهو لجلدها جلدُ
ويزين فوديها (٥) اذا حسرت ... ضافي الغدائر فاحم جعدُ
فالوجه مثل الصبح مبيضٌّ ... والشعرُ مثل الليل مسودُّ
ضدان لما استجمعا حسنا ... والضدُّ يظهر حسنه الضدُّ
وجبينها سلط (٦) وحاجبها ... شخت (٧) الخط ازج ممتد
فكأنها وسنا اذا نظرت ... او مدنف لمَّا يفق بعدُ
بفتور عين ما بها رمدٌ ... وبها تداوى الاعين الرمدُ
وتريك عرنيناً به شممٌ ... أقنى وخدّاً لونهُ وردٌ
وتجيل مسواك الاراك على ... رتل (٨) كأن رضابه شهدُ
والجيدُ منها جيدُ جؤذرة ... تعطو اذا ما طاله المرد (٩)
وامتد من اغصانها قصبٌ ... فعم زهته مرافقٌ ورد
والمعصمان فما يرى لهما ... من نعمة وبضاضة زندُ
ولها بنان لو اردت له ... عقداً بكفك امكن العقدُ
وكأنما سقيت ترائبها ... والنحر ماء الورد والخدُّ

(١) الريطة الثوب والجرد الخلق (٢) تلث تلح (٣) النقانق ذكر النعام الربد المخطط بالسواد (٤) الشؤون العيون والمحاجر والاماق (٥) الفود فوق الصدغ (٦) السلط الواضح (٧) الشخت الدقيق (٨) الرتل الفم (٩) المرد شجر عال تعطو تطيل عنقها

وبصدرها حقان خلتهما كافورتين علاهما ندُ
والبطنُ مطوي كما طويتْ بيض الرياض يزينها الملدُ
وبخصرها هيف يزينه فاذا تنوء يكاد ينقدُ
....
والتف فخذاها وفوقهما كفل يجاذب خصرها نهد (١)
فقيامها مثنىً اذا نهضت من ثقله وقعودها فردُ
والساق خرعبةٌ (٢) مفعمة سلط فطوق الحجل مستدُ
والكعب ادرم لا يبين له حجم وليس لراسه حدُّ (٣)
ومشت على قدمين خصرتا بلطافة فتكامل القدُّ
ما شانها طول ولا قصر فقيامها وقعودها قصدُ
قد قلت لما ان كلفت بها واقتادني من حبها الجهد
ان لم يكن وصل لديك لنا يشفي الصبابة فليكن وعدُ
قد كان اورق وصلكم زمناً فذوى الوصال واورق الصد
لله اشواق اذا نزحت دارٌ بنا ونبا بكم بعدُ
ان تتهمي فتهامةٌ وطني او تنجدي ان الهوى نجدُ
وزعمتِ انكِ تضمرين لنا ودًّا فهلاً ينفع الودُّ
واذا المحبُّ شكى الصدود ولم يعطف عليه فقتلهُ عمدُ
ونخصها بالودّ وهي على ما لا نحب وهكذا الوجدُ
افلم تري طمرين بينهما رجلٌ الحّ بهزله جدُّ
فالسيف يقطعُ وهو ذو صدإٍ والنصلُ يفري الهام لا الغمد
لا تنفعنَّ السيف حليتهُ يوم الجلادِ اذا نبا الحدُّ
ولقد علمتِ بانني رجلٌ في الصالحات أروح أو أغدُو
بردٌ على الادنى ومرحمة وعلى المكارهِ باسلٌ جلدُ
متجلببٌ ثوب العفاف وقد وصل الحبيب وساعد السعدُ
منع المطامع ان تثلمني اني لمعولها صفا صلدُ

(١) النهد العالي (٢) الخرعبة الناعمة المفعمة الملانة ٣ الادرم المستوي

فاظل حرًّا من مذلتها　　والحرُّ حين يطيعها عبدُ
هيهات يأبى ذاك لي سلف　　خمدوا ولم يخمد لهم مجد
والجد كندة والبنون هم　　فذكا البنون وانجب الجدُّ
فلئن قفوت جميل فعلهم　　بذميم فعلي انني وغد
اجمل اذا حاولت في طلب　　والجد يغني عنك لا الجد
واذا صبرت لجهد نازلة　　فكانه ما مسك الجهد
ليكن لديك لسائل فرج　　ان لم يكن فليحسن الرد
وطريدُ ليلٍ ساقه سغبٌ　　وهنًا اليَّ وقادهُ بردُ
اوسعتُ جهد بشاشةٍ وقرىً　　وعلى الكريم مضيفهُ جهدُ
فتصرَّم المشتى ومربعهُ　　رحبٌ لديَّ وعيشهُ رغدُ
ياليت شعري بعد ذلكمُ　　ومحارُ كل مؤمّلٍ لحدُ
اصريع كلمٍ ام صريع ضنى　　أردى فليس من الردى بدُّ

الحرائق التي سطرها التاريخ

تفنن الكتاب العصريون في المواضيع العلمية والتاريخية ولم يدعوا لنا مجالاً للبحث وكفونا موؤونة التنقيب ولكنهم اغفلوا اشياء من جملتها الحرائق العظيمة التي سطرتها التواريخ ومنها نعلم كم من الاموال والخزائن والكنوز الثمينة ذهبت فريسة النار الآكلة وكم انفقت الدول من الاموال الطائلة لاكتشاف آلة نستظهر بها على هذا العدو القدير. وقد قسمتُ الموضوع الى قسمين الاول في الحرائق التي حدثت قبل الميلاد والثاني في الحرائق التي حدثت بعده الى سنة ١٨٨٠

١ — الحرائق قبل الميلاد

(١) ان اقدم حريقة سطرها التاريخ حريقة ترواددة التي حدثت سنة ١٢٧٠ ق. م وقد وصفها فرجيل شاعر اللاتيني بقوله « اندلع لسان لهيبها في الساعة التي فيها ذرَّ النوم رماده في عيون البشر فاطبقوها وغلبت عليهم سنة الكرى » وسببها كما يرويه تاريخ الميثولوجيا انه لما غضب ابن اشيس جمع رجاله وتقلد سلاحه وقصد ان يفدي روحه وارواح الذين معه بشهامة تخلدها تواريخ المستقبل ثم تقدمت الرجال الى ساحة القتال

وقد احيا فيهم حب المروءة والشجاعة نظرهم الى القتلى وجثث الموتى من رفقائهم الذين قضوا ضحية الوطنية وشعروا عندئذ بقوة جديدة سرت في عروقهم وهجموا على المدينة فاخذ المحاصرون فيها ما امكنهم حمله ونجوا بانفسهم من خطر القتل بعد حصار ثمانية عشر شهراً والقوا النار في منازلهم كي لا يمسهم الاعداء بسوء

(٢) لما حاصر نبوخذ نصر اورشليم سنة ٥٨٨ ق . م . وكان الهيكل الذي بناه سليمان الحكيم ملجأ تصدّ به غارات الاعداء فدخل الاهالي وجثوا على ركبهم وهم يقرعون صدورهم ويطلبون من الحق سبحانه وتعالى ابعاد هذا الملك الظالم عنهم ولكن المدينة لم تقو على المحاصرين فافتتحوها ودخلت الجنود تعيث فيها وفي مقدمتهم ملكهم فاوقد النار في الهيكل العظيم الذي طبقت شهرته الخافقين ولما رأى الاعداء لهيب النار احرقوا قصر الملك و بيوت باقي الشعب

(٣) ان اراستراتس الذي اعماه حب الشهرة جعل الشر نصب عينيه ليخلد صيته لانه كان يردد دائماً قوله « بما اني لم استطع ان اكتسب الشهرة بالافعال الحميدة فلا بد من ادراكها بالافعال الذميمة » وكان يزور هيكل الالهة ديانا حتى عرف مداخله واختبر اساساته فوجده مبنياً من الخشب الصلد وكان الناس ليلة مولد الاسكندر اي سنة ٣٥٦ ق . م . في فرح يبشر بعضهم بعضاً بولادة وارث العرش المكدوني اذ سمعوا فرقعة عظيمة اهتزت لها بنايات المدينة ورأوا النيران تتقد بشدة والهيكل المعدود من عجائب الدنيا السبع قد ذهب فريسة لها وبحث الاهالي عن الجاني فقبضوا عليه وقتلوه

(٤) لما طارد الاسكندر دارا ملك الفرس وقهره سنة ٣٣٠ ق . م اولم وليمة شهدها قواد الجند وثايس اليونانية التي رافقت الاسكندر في غزواته فلما لعبت الخمرة في رؤوسهم صاحت ثايس بصوت عالٍ امام الاسكندر قائلة « امرٌ سروراً عظيماً اذا كنا نختم هذا العيد الشريف باحراق قصر ارتحشتا الذي أحرق أثينا وانا أول من يضع النار فيه ليقال ان النساء اللواتي رافقن الاسكندر ثأرن من الفرس » . فلما انهت كلامها استحسن الملك اقتراحها ومشى في مقدمة الجمع حتى وصلوا الى القصر واوقدوا فيه النار

(٥) ان الامبراطور تسان شي هوانغ تي الفاتح الصيني العظيم دعى يوماً وزراءه الى ليلة توفرت فيها اسباب المسرات سنة ٢١٣ ق م تصدر فيها جلالته ثم قامت الخطباء تطنب في وصف ذاته المقدسة بكلام ملؤه التمليق وفي الختام نهض العالم المحقق شان لي بي وانتقد اطراءهم فاستشاط الملك غيظاً وامر باحراق جميع الكتب الموجودة في بلاده

فظلت النار تلتهم تلك المؤلفات شهوراً عديدة

٢ — الحرائق بعد الميلاد الى سنة ١٨٨٠

(١) حريقة رومة على عهد طيباريوس سنة ٣٦م وقد قدروا ما التهمته النيران بمئة مليون ريال روماني

(٢) على عهد نيرون سنة ٦٤م ظلت النار تضطرم في رومية ثمانية ايام فاهلكت خلقاً كثيراً

(٣) اعيد بناء هيكل اورشليم على عهد هيرودس ولكنه احرق ثانية على عهد تيطس سنة ٧٠ م

(٤) انشئت مكتبة الاسكندرية على عهد بطليموس فلما استولى قيصر على الاسكندرية احرق مكتبة سرابيون وكان نقل اليها ٢٦ الف مجلد من مكتبة برغامس التي اهداها انطونيوس الى كليوباتره واحرقت ثانية لما استولى العرب عليها سنة ٦٤٢

(٥) فشا الطاعون سنة ١٥٧٠ في موسكو وفتك باهلها فتكاً ذريعاً فقدرت الوفيات بخمسة وعشرين الف شخص وفي السنة التالية اي سنة ١٥٧١ أحرق المدينة قوم من البرابرة اتوا من جنوبي البلاد

(٦) بقيت السنة اللهيب مندلعة خمسة ايام في قصر العدل في باريس سنة ١٦١٨ وكانت الخسارة فادحة على الامة الافرنسية

(٧) اضطرمت النار في لندن في اليوم الحادي عشر من شهر سبتمبر سنة ١٦٦٦ وظلت الى السابع عشر فسقط في اثنائها سور لندن والجمرك ومخازن كثيرة وادارة البورصة فاتلفت فيها اموال طائلة وتهدم تسعون كنيسة وهلك خلق كثير قدروا عددهم بثلاثة عشر الف ومائتين رجل

(٨) احرقت مدينة موسكو سنة ١٨١٢ لما دخلتها الجنود الافرنسية بقيادة الامبراطور نابليون الاول فدمرت بيوتاً كثيرة واهلكت خلقاً كثيراً

(٩) حريقة كاتدرائية روان في ١٤ ايلول سنة ١٨٢٢

(١٠) شبت النار في ١٥ مارس سنة ١٨٢٥ في مدينة سالن على مئة فرسخ من باريس وقد قدروا خسارة أثاث البيوت بمليونين وثمانئة وثمانين الفاً وخمسمائة فرنك واما الخسارة العمومية فتقدر بثمانية ملايين فرنك

(١١) اضطرمت النار في قصر البارلمان الانكليزي سنة ١٨٣٤ واتصلت بكنيسة وستمنستر ولم يخلصوا مكتبة البارلمان من النار الا بعد الجهد الكثير

(١٢) اتقدت النار في كاتدرائية شارتره سنة ١٨٣٦ واتلفت ٤٠٠ صورة من رسوم اشهر المصورين فبلغ مجموع الخسارة ٢,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

(١٣) احترق القسم الاكبر من سور لندن سنة ١٨٤١

(١٤) وفي سنة ١٨٤٢ سببت حريقة همبورغ خسارة مليوني جنيه من البن وخمسة ملايين جنيه من السكر و١,٥٥٥ بالة قطن و ٨٠٠ كيس رز و ٦٠٠,٠٠٠ جنيه ثمن زيت و ١٠,٠٠٠ كيل حنطة و ٢,٠٠٠ برميل قطران و ٨,٨٠٠ برميل خمر و ٣,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ثمن تنباك و ٣,٠٠٠ قطعة جوخ

(١٥) وفي سنة ١٨٤٩ شبت النار في بارلمان منتريال فاحرقت ١٨,٠٠٠ مجلد من الكتب الثمينة

(١٦) سنة ١٨٦١ شبت النار في قرية كلاريس على ١٣٠ كيلومتراً من برن فاحترقت اموال طائلة

(١٧) اتقدت النار في كنيسة سانتياغو سنة ١٨٦٤ فهلك فيها ٣٠٠ نفس

(١٨) احترق ملجأ السفن الافرنسية في بوردو سنة ١٨٦٩ واحدث ضرراً عظيماً

(١٩) اضطرمت النار في القسطنطينية عاصمة البلاد العثمانية الساعة الثانية بعد الظهر في شارع والدة جلشا سنة ١٨٧٠ ومات ٥٥٠ شخصاً تحت الرماد وقد اصدرت الحكومة اعلاناً يستحث ذوي الاموال الطائلة ان يمدوا ايديهم لاعانة المنكوبين

(٢٠) شبت النار سنة ١٨٧٠ في ستراسبورج في المكتبة الشهيرة التي ذاع صيتها في الخافقين فاحرقت الملايين من المجلدات الخطية ثم امتدت الى كنيستها الجديدة الكبيرة التي تفوق بقية الكنائس بالذخائر والصور اليدوية الشهيرة واتصلت بدار المصنوعات الكبيرة فغادرتها رماداً

(٢١) اضطرمت النار سنة ١٨٧١ في احد شوارع باريس فوصفها الكاتب الفرنساوي كاميل في التان بما معناه «شبت النار في ٢٤ مايو فاظلمت الدنيا وحجبت السماء بحجاب من الدخان ابتدأ الحريق في قصر اللاجيون دونار واتصل بقصر الاوتلري ثم بقصر الملك فالتياترو فحلة البوليس وما زالت النار تنتقل من قصر الى آخر حتى حملت فرنسا خسارة جسيمة»

(٢٢) ارتفع صراخ أهل شيكاغو سنة ١٨٧١ منبئاً باضطرام النار في مدينتهم وظل الحريق متواصلاً عشرة أيام فاحرقت المشاهد العلمية وعددها ١,٢٠٠ ولكن المولى

سبحانه ادركهم بسحاب مدرار جرت فيه الانهار وطافت المياه فاطفأت النار ولكنها اهلكت ٥٠٠ شخص ودمرت ٢٠٠٠٠ بيت

(٢٣) عقبت هذه حريقة بوستن سنة ١٨٧٢ فالتهمت ٩٥٠ بيتاً و ٢٨٠ محلاً تجارياً و ٢١ بنكاً وبورصة المدينة وكاتدرائيتها ومعمل الزجاج و ٢٧ ادارة جريدة وقدروا هذه الخسائر بمليارين من الفرنكات

هذا ما عثرت عليه في هذا الموضوع وسأتبعه بذكر الحرائق من سنة ١٨٨٠ الى الآن ان شاء الله

زحلة : لبنان) خليل هاشم

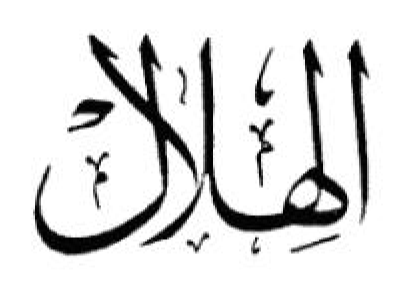
قاموس الاسلام

اقتراح من كبير عالم

جاءنا من صاحب السعادة ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية كتاب بعث بهِ الينا على اثر مطالعته الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي ضمنهُ اقتراحاً يشهد بسعة اطلاعهِ على آداب اللغة العربية ويدل على شعوره بموضع النقص فيها مع شدة رغبته في سد ذلك النقص مما يندر بين رجال السياسة عندنا لانقطاعهم في الغالب للاشغال الادارية ونحوها — فقال بعد ان وصف تاريخ التمدن وصف عالم باحث ما نصهُ :

« واني اسألك باسم العلم الذي انت من اكبر انصاره ان تضع على هذا النمط قاموساً تاريخياً لمن اشتهر في دول الاسلام على شكل دائرة المعارف لكن قاصر على اسماء الاشخاص وتكون بذلك قد كلّلت عملك بما يخلد ذكرك وليس هذا بكبير على همتك .. »

فنشكر لسعادة المقترح حسن ظنهِ بنا واعتقاده فينا القدرة على مثل هذا العمل الكبير مع اعترافنا بالعجز عن ذلك . على ان اقتراحه نشطنا وهوّن علينا المشقة التي كانت تقعدنا عنه ولا يخفى على سعادته اننا شعرنا بافتقار اللغة العربية الى هذا القاموس منذ عشرة اعوام واخذنا في اعداد المآخذ اللازمة مع ما يشغلنا عن مباشرته من انشاء الهلال وغيره . ولم يكن غرضنا الاقتصار على اعلام المشاهير من المسلمين وانما اردنا تعميم الكتاب فندخل فيهِ تاريخ الاسلام والمسلمين والآداب الاسلامية . ولبثنا نتوقع الفرصة للشروع في كتابته فبلغنا في اثناء ذلك ان مؤتمر المستشرقين المنعقد سنة ١٨٩٧ يهتم في مثل هذا المشروع وان الاستاذ



الجزء الرابع من السنة الرابعة عشرة

١ يناير (كانون الثاني) سنه ١٩٠٦ و ٦ ذو القعدة سنة ١٣٢٣



أشهر الحوادث وأعظم الرجال

مذكرات الدكتور فان ديك

من سنة ١٨٣٩ — ١٨٥١

او تاريخ تأسيس النهضة الادبية الاخيرة في بيروت ولبنان

أطلعنا صديقنا المستر ادوار فان ديك على مذكرات وجدها بين اوراق والده استاذنا المرحوم الدكتور فان ديك مكتوبة بالانكليزية بخط يده دوّن فيها تاريخ اعماله واعمال المرسلين الاميركان منذ خروجه من اميركا سنة ١٨٤٠ وسنة قبلها الى توطيد دعائم الطائفة الانجيلية في سوريا سنة ١٨٥١ مع بيان ما كانت عليه بيروت ولبنان وسائر سوريا وفلسطين في ذاك العصر من الاحوال العمرانية والسياسية والادبية ويتخلل ذلك خروج ابراهيم باشا من سوريا واسباب الفتن بين النصارى والدروز وانشاء المدارس التعليمية في بيروت ولبنان وذكر جماعة كبيرة من مؤسسي هذه النهضة وقد كشف الغطاء عن كثير من الاسباب الغامضة مما شاهده بعينه ولم يدوّن في كتاب حتى الآن . فاستأذنا المستر ادوار في نشر هذه المفكرات فأذن لنا وهاك ترجمتها — قال رحمه الله :

(تمهيد) كان للمرسلين الاميركان في سوريا سنة ١٨٣٩ مركزان احدهما في بيروت والآخر في القدس . وكان منهم في القدس مرسلان المستر هوايتن والمستر لانو وفي بيروت اربعة عالي سميث ووليم طمسن وهبرد والست تلدن . وكان المستر برد قد

ترك خدمة التبشير قبل ذلك والدكتور دودج مات والخواجه هوايتن المذكور سافر الى اميركا وترك المستر لانو وحده في القدس • والدكتور عالي سميث سافر الى المانيا لاصطناع الحروف العربية الجديدة ولم ينجح في ذلك ولكنه حظي اخيراً بالخواجه هومن هناك وكان طباعاً للمرسلين في ازمير فحفر له الابهات على القاعدة التي رسمها عالي سميث وضرب الامهات وسكب الحروف بحجم الجنس الاول (بنط ٢٤) اما الجنس الثاني وما بعده فاصطنعت بعد ذلك • ولهذا السبب كان عالي سميث سنة ١٨٣٩ باميركا وكان المستر هبرد يتولى مدرسة الصبيان في الطبقة السفلى من منزل المرسلين يومئذ (محل مدرسة البنات الآن) والست تلدن تساعده • فلم يكن في سوريا تلك السنة الا اربعة مبشرين لانو في القدس وطمسن وهبرد والست تلدن في بيروت • وجاءهم في خريف ١٨٣٩ المستر بيدل وامرأته ومستر شرمن وامرأته وهذا الاخر سار مع امرأته الى القدس

وفي اواخر سنة ١٨٣٩ مرضت الست هبرد وتوفيت في اوائل سنة ١٨٤٠ فبرح زوجها بيروت وسار لتبديل الهواء في الاستانة وخلى داره (مدرسة الصبيان) للخواجه بيدل والست تلدن — تلك حالة المرسلين في اوائل سنة ١٨٤٠ وكانت الست بدجر تعلم في مدرسة للبنات وتوقفت اشغال المطبعة هذه السنة

(من بوسطن الى بيروت) في ١٢ يناير سنة ١٨٤٠ سافر من بوسطن باميركا جماعة من المرسلين قاصدين سوريا وهم هوايتن وامرأته (راجعين) والمستر ولكت وامرأته والمستر كايز وامرأته والمستر لياندر طمسن وامرأته وكرنيليوس فان ديك (انا) بدون امرأة ومعهم من الرفقاء اوسكانيان وامرأته كانا قاصدين الاستانة والخواجه الكسندر قاصداً ازمير — سافر هؤلاء الاثنا عشر شخصاً في مركب صغير محموله ٢٠٠ طن وكانوا مزدحمين فيه ازدحام السردين في العلب وكان قبطانه لطيفاً اديبا • وقبل سفري كنت في بلدي فجاءني الطلب بالحضور الى بوسطن لاجتمع برفاقي الباقين ونسافر معاً الى الشرق فحدث انواه احرقت الباخرة لكسنتون على شواطيء نيويورك فتأخرتُ عن السفر ولم اصل بوسطن الا بعد الاجل المضروب لسفر ذلك المركب وكانت السكك الحديدية قليلة جداً ولكن البرد الشديد جمد مياه البحر فاوقفت المركب عن السفر في مينا بوسطن الى يوم وصولي • ولم تكن هذه السفينة من سفن الركاب لان قاعتها الكبرى لا تزيد مساحتها على مقدار حصيرة مصرية فنزعوا الحاجز بين القاعة والعنبر ونصبوا الواحاً بنوا بها خمسة مخادع صغيرة سكنت فيها العائلات المذكورة • اما انا وسائر اهل المركب فكنا نبيت على ظهر السفينة

بجانب السلالم ومائدتنا الواح تنصب في مكان ضيق على درابزون السلالم فآل ذلك بالطبع الى حجز الهواء عن المخادع • وكانت هذه السفينة قد سافرت في العام الماضي الى الهند الغربية وأتت منها باحمال من البن فبقي بعض ما تناثر منه في قاعها فابتل بالمياه المترشحة وفسد وتصاعدت عنه رائحة كريهة • وكان ذلك الشتاء قارساً واتفق ان رجلاً اسمه شابمن كان مكلفاً باعداد ما يحتاج اليه المرسلون من ادوات السفر من اميركا فكان من نصيبي انه اعطاني ملاءة اقصر مني وارق من خمار النساء لا تغطى بها في اثناء الطريق ولولا فروة كانت معي لدققت من البرد • على اني كنت لا ازال في عنفوان الشباب فلم يؤثر فيّ البرد اما صواحبنا النساء فقد قاسين عذاباً اليماً من البرد القارس والرائحة الكريهة وكانت الريح تهبُّ من الغرب فساعدتنا على المسير ولكن الانواء اعجزت القبطان عن رصد ارتفاع الشمس في الطريق من بوسطن الى جبل طارق الا مرة واحدة • وكانت الريح تقع على القلع وتنحدر منه الى قاع السفينة فتحمل ما هنالك من الابخرة الفاسدة الى مخادع رفيقاتنا فتأمل حالهن وهن على المائدة وكم يكون طعامهن لذيذاً شهياً ؟

رست سفينتنا في مليو (باليونان) فاصطحبنا رئيس المينا ليرشدنا في الطريق الى ازمير واضطررنا للالتجاء الى مينا تينس من شدة النوء حتى وصلنا ازمير بعد سفر خمسة واربعين يوماً من بوسطن فانزلونا في بيت الخواجات تمبل وركز (وهو الذي ترجم التوراة بعد ذلك الى اللغة التركية) ولقينا هناك المستر سمعان كلهون وكيل الجمعية الاميركانية لنشر التوراة وصار بعد ذلك من مشاهير المرسلين في سوريا • وكانت المواصلة بين ازمير وسوريا يومئذ بباخرة نمساوية تسافر مرة في الشهر بين يافا والاستانة عن طريق ازمير • فالرسائل المحمولة من سوريا تنقل بها الى ازمير وتبقى هنا حتى يسافر مركب شراعي الى بوسطن (لان السفن البخارية لم تكن تقطع الاتلانتيكي بعد) فالكتاب المرسل من بيروت الى بوسطن لا يأتي جوابه في اقل من ستة اشهر

في شهر مارس سنة ١٨٤٠ ركبنا هذه الباخرة النمساوية الى بيروت فمرّت بلارنكا (قبرص) ونزلنا فيها لزيارة المرسلين هناك وهما المستر لاد ويوسف طمسن وكانت قبرص تابعة لمرسلي سوريا ثم فصلت عنها • والتقينا في لارنكا بالمستر هبرد راجعاً من الاستانة • وفي ٢ ابريل القت الباخرة مرساتها امام بيروت فجاء لمقابلتنا الخواجات وليم طمسن وبيدل ولكن لم يؤذن لها بالطلوع الينا بسبب الكورنتينا لان سوريا كانت في حوزة الدولة المصرية وقد حجرت على واردات تركيا في بيروت وحجرت الدولة العثمانية على واردات

سوريا في ازمير اي كانت المجاملة متبادلة بين الدولتين ! ومع نظافة جوازنا فانهم انزلونا الى الكرنتينا بامتعتنا — وما امتعتي غير صندوق كتب وصندوق ثياب — فحبسونا هناك ١٤ يوماً في غرفة تداعت جدرانها وتشقق سقفها وكان مطر ذلك الربيع غزيراً فطال تمتعنا بالدالف . وكان في جملة رفقائنا مرسل اسوجي اسمه فيلدستيد يشتغل بترجمة التوراة الى التركية

✻ بيروت سنة ١٨٤٠ ✻ وفي اليوم الخامس عشر اطلق سراحنا فدخلنا بيروت فنزل بعضنا عند وليم طمسن والبعض الآخر في بيت بيدل وكان طمسن مقيماً يومئذ في البيت الذي هو الآن دير الارمن (وراء القشلاق) وكان ملكاً للاسقف يعقوب آغا ابكاريوس (والد اسكندر و يوحنا ابكار يوس) اما بيدل فكان مقيماً في الطبقة العليا من منزل المرسلين (مدرسة البنات الآن) وكانت مدرسة الصبيان في الطبقة السفلى والمطبعة في قبو ببيت الصوصة الذي هو الآن مقام راهبات مار يوسف (عڤور) وكانت المطبعة معطلة وفوق هذا القبو منزل عالي سميث وكان الياس فواز وامرأته الاولى مقيمين فيهِ لحراسته في اثناء غياب عالي سميث باميركا لاصطناع الحروف . فانزلوني في حجرة المكتبة من هذا البيت ريثما يقرّ الرأي على المكان الذي سأرسل اليه

كان من التجار في بيروت عند وصولي اليها (سنة ١٨٤٠) الخواجات بلاك اخوان وهيلد وطسن وكبي صراف المرسلين في بيروت . ومن القناصل قنصل الانكليز نفن مور وقنصل اميركا جسبر شاسود ولهذا الاخير بيت مشرف على المينا كان المرسلون يقيمون فيهِ صلاة انكليزية كل أحد قبل الظهر . وقنصل النمسا لورلا . وكان في بيروت صيدلي واحد ايطالي اسمه كرولا ومخزن تجاري في سوق القطن للبيع بالمفرق لرجل مالطي اسمه فابري

وكانت البلاد يومئذ بيد ابراهيم باشا وحكمدار عسكر بيروت سليمان باشا الفرنساوي وحاكم بيروت الملكي محمود بك . وكانوا يقفلون ابواب المدينة بعد الغروب كل يوم الاّ في ايام الجمعة فتقفل الظهر واهل المدينة يقيمون جميعاً داخل السور ولم يكن خارج السور يومئذ الاّ بيت فتيحة في المصيطبة و بيت الصوصة و بيت بيهم و بيت يعقوب آغا ابكار يوس (قرب مطبعة الاميركان الآن) و بناية المرسلين الاميركان و بعض البيوت لحلّ الحرير

وفي ابريل من تلك السنة ورد الى بيروت من القدس الموسيو لانو لحضور الاجتماع السنوي لجماعة المرسلين . فتقرر في هذه الجلسة ان المرسلين الذين قدموا حديثاً وانا منهم لا تعيَّن مراكزهم للعمل الاّ بعد استكشاف سوريا الشمالية الى حلب . فلما انحلت الجلسة

رجع الخواجه هوايتن الى مقره في القدس وسار لانو الى اميركا لزيارة


الدكتور فان ديك سنة ١٨٥٠

﴿ علاقة بعض السوريين بالمرسلين ﴾ تعين وليم طمسن و بيدل وانا للذهاب الى حلب للاستكشاف · وقبل ان اتكلم عن هذه الرحلة اقول كلمتين عن اناس كان لهم علاقة بالمرسلين — كانت القرعة العسكرية في عهد الدولة المصريه شديدة الوطأة على المسلمين وعلى الدروز ايضاً لانهم كانوا ينتظمون في الجندية · وكانت العادة الجارية في التجنيد ان الحكومة اذا احتاجت الى جند امرت باقفال ابواب المدينة بغتة والقاء القبض على من فيها من الدروز فضلاً عن المسلمين ثم تنتقي منهم اصحاب السن الموافق للجندية وتطلق الباقين · فكان المسلمون او الدروز يسعون في النجاة من الجندية بالالتجاء الى الحماية الاجنبية أو الخدمة في بعض القنصليات وكانت الدول الاجنبية تحميهم ولهذا السبب كان اكثر خدم القناصل من المسلمين · واما الدروز فكانوا يُطلبون للجندية حتى دروز رأس بيروت فانهم لم يكونوا ينجون منها ولذلك كانوا يتقربون من المرسلين الاميركان باظهار النصرانية فتنصر بعضهم وتعمدوا ولا غرض لهم من ذلك الا التخلص من الجندية · هذا هو السبب الرئيسي لتنصر دروز رأس بيروت وكانوا يسمون انفسهم متنصرة والحقيقة غير ذلك · على ان بعض اولادهم لا زالون على النصرانية الى اليوم و بنى لهم المرسلون مدرسة في بستان بيت الوتوات لتعليم اولادهم كان معلمهم فيها يوسف العازر الارثوذكسي · ودخل كثيرون في عضوية الكنيسة واشتركوا بمناولة القربان المقدس ولم يكن في بيروت نظامٌ للكنيسة الانجيلية الوطنية بعد فكان بعض اولاد المتنصرين يوخذون الى عائلات المرسلين يقيمون بينهم و يربون في منازلهم وبعضهم يوضعون في المدارس الانجيلية الداخلية

وكان من المساعدين السوريين للمرسلين في اعمالهم التبشيرية والتعليمية يومئذ الياس فوَّاز البيروتي وطنوس الحداد من كفرشيما وكانا قد اعتنقا المذهب الانجيلي في اثناء الثورة اليونانية وقاسيا بسبب ذلك اضطهاداً عظيماً · وكان من اعوان المرسلين ايضاً طنوس الشويري يبيع الكتب وديمتري فيليبيدس امين مؤونة المدرسة وكانت مائدة المدرسة اذ ذاك حيث مطبعة الاميركان الآن · اما الاسقف يعقوب اغا ابكاريوس والاسقف كرابيت فلم يكن لهما علاقة خدمة بالمرسلين · على ان الاسقف كرابيت كان يتقاضى من المرسلين

نقوداً عن اجرة قراءة مسودات ترسل اليه من الاستانة او ازمير (بالتركية او الارمنية) وكان الدكتور وليم طمسن يعظ بالعربية كل احد بعد الظهر في جماعة المساعدين الذين تقدم ذكرهم ولا يزيد عددهم عن ١٢ نفساً هم اعضاء الطائفة الانجيلية في ذلك الحين

(السفر الى حلب ثم الى القدس) اما السفر الى حلب فاستغرق ابريل ومايو بطريق البر قرب الشاطيء فلما وصلنا الى مينا طرابلس زرنا الشيخ الاعمى ابا يوسف وفي السويدية او فوقها بتياس اضافنا المستر يوحنا باركر قنصل الانكليز في حلب سابقاً وكان قد تقاعد ووجه عنايته الى غرس اشجار الفاكهة في بتياس وانتقلنا من بتياس الى انطاكية ودفنة (رأس العين) ومنها الى حلب بطريق اطلال مار سمعان العمودي فاستقبلنا في حلب المستر جون سكوت (وهو الذي ابتاع سراي الميرحيدر في شملان وجعلها معملاً للحرير وهي الآن في ملك موسى فريج) وكان سكوت وقتئذٍ وكيلاً عن الصيرفي كلبي المقدم ذكره فاجمع رأينا على انشاء محطة انجيلية هناك بعد استتباب الاحوال . ثم رجعنا الى بيروت بطريق حماه وكان في عزمنا الذهاب بطريق حمص الى الشام ومنها الى بيروت ولكننا سمعنا ونحن في حماه ان اللبنانيين تمردوا على ابراهيم باشا فاصبحت الطريق جنوبي حماه غير امينة الا حيث كان للحكومة المصرية نفوذ وقد ذهب نفوذها في اثناء الثورة فاختل النظام وانتشر اهل الدعارة واللصوص يقتلون وينهبون فاصطحبنا دليلاً نصيرياً من حماه وسافرنا الى قلعة الحصن ودير مار جرجس الحميري فوصلنا الى طرابلس سالمين . وكانت الطريق بينها و بين بيروت خطرة فركبنا البحر فوصلنا بيروت في اواخر مايو

ثم ان قيام اللبنانيين على ابراهيم باشا ورغبة اللورد بالمرستون في حفظ الدولة العثمانية جعل سوريا في اضطراب والدولة المصرية تبذل جهدها في حشد الجنود للدفاع . وكان الامير بشير شهاب امير جبل لبنان نصيراً للمصريين ودوارع الدول الاوربية تتردد الى مياه بيروت فرسخ في الاذهان ان الحرب على قاب قوسين وان السواحل لا تلبث ان تكون في خطر وان جبل لبنان لا يحمي الاجانب وخصوصاً المرسلين . فرأى المرسلون القدس آمن ملجإ في ذلك الحين فاستحسن المستر بيدل والمستر كايز والمستر لياندر طمسن ومس تلدن ان يلجأوا موقتاً الى القدس . فلما ذهبوا اليها اصبحت اكثرية المرسلين هناك فدعيت الى اللحاق بهم بوظيفة طبيب لهم اما وليم طمسن وولكوت فبقوا في بيروت وتعطلت مدرسة الصبيان وتفرقت تلامذتها ومنهم المعلم مخائيل عرمان احد كبار التلامذة فارسلوه الى القدس ليعلم العربية للمرسلين . وكان المرسلون في ذلك العهد يقاسون عذاباً شديداً

في التفتيش عن معلمين يليقون لتعليم اللغة العربية وكان في دير المخلص راهب اسمه دانيال مشهور بمعرفة هذه اللغة فانفذ المرسلون اثنين من تلامذة مدرستهم النبهاء الى دير المخلص واسترضوا الراهب دانيال بالمال الكثير ليعلمهما العربية ففعل وهما مخائيل عرمان المذكور ورجل آخر نسيت اسمه

القدس سنة ١٨٤٠ اقلعنا من بيروت في سفينة شراعية وبعد سفر خمسة ايام وصلنا الى يافا فاستقبلنا المستر مراد هروتين قنصل اميركا ولم يكن اهل تلك الجهات في سوريا يعلمون بالثورة التي اتقدت في الجهات الاخرى ولذلك كان المسير فيها امينا ونحن يومئذ في أواسط الصيف . فسرت مع الرفاق ليلاً فوصلنا القدس في الرابع من يوليو وهو يوم عيد الحرية عند الاميركان . وكان المستر شرمن احد المرسلين ساكنا في بيت لانو والمستر هوايتن بالقرب منه وقد ذهب للاصطياف في دير المصلبي . وكان المستر بيدل والمستر كايز والمعلمة مس تلدن ساكنين على جبل صهيون والمستر لياندر طمسن وامرأته كانا ساكنين مع المستر شرمن . وامرأته و يوم وصولنا القدس تناولنا اول طعام بمنزل شرمن . ونحن على المائدة استوقف ابصارنا شبح ظهرت اولا قبعته من شق الباب ثم ظهر تحتها امرأة قصيرة علمنا بعد ذلك انها المس هريت ليفرمور التي ذكرها الشاعر الاميركاني هويتير في قصيدة الثلج وسماها الحاجة وكانت مقيمة في القدس تنتظر رجوع المسيح وكان هناك ايضاً فضلاء عمن تقدم ذكرهم المستر نقولايسن المبشر لليهود مرسلاً من جمعية المرسلين الانكليز وهو الماني الجنس تخرج من مدرسة ليدن وقد سيم قسيساً في المدرسة الانجيليكانية وكان قد شرع في بناء كنيسة لا تزال الى الآن باسم كنيسة يسوع ولكن الحكومة اوقفته عن العمل وطلبت منه اذناً سلطانياً فرماناً) قبل البناء فطال الانتظار للحصول على ذلك الاذن

وكان للمرسلين الاميركان على جبل صهيون مقبرة قرب جامع داود لم يؤذن لهم بتسويرها لقربها من الجامع فتحصل سفير اميركا في الاستانة الكومودور بورتر على كتاب من الباب العالي يقول فيه « ان هذه المقبرة ان لم تكن قريبة من الجامع لا بأس من تسويرها » . فارسل الكتاب المذكور الى المستر لانو رأساً في مغلف وزيري كبير فكل من رأى المغلف المذكور ظنه فرماناً فشاع في انحاء المدينة ان المستر لانو جاءه فرمان من السلطان يؤذن بتسوير المقبرة فلم يقل هو شيئاً وحفظ الكتاب بين أوراقه وشرع في بناء السور فلم يعترضه احد وقد اتمه ولا يزال قائماً الى اليوم

وكانت اعمال المرسلين هناك قاصرة على الوعظ والصلاة ايام الآحاد يقوم بذلك المستر هوايتن في مكتبه ولا يحضر الوعظ الا ستة اشخاص . وكان لهم مدرسة للاحد في بيت لحم ولكن المستر هوايتن كان رقيق الجانب سهل المعاشرة فكان الناس يحبونه ويحترمونه . وكان في القدس قبل وصولي اليها بعض المرسلين لليهود وقد سافروا وتركوا منزلهم وصيدلية صغيرة فيها بعض العقاقير وكان المنزل قرب بيت المستر نيقولايسن على سفح جبل صهيون فاقمت فيه اتعلم اللغة العربية على يد المعلم مخايل عرمان وازور الناس واطببهم وكلهم يقيمون داخل اسوار المدينة

✻ خروج ابراهيم باشا والامير بشير من سوريا ✻ وفي سبتمبر من تلك السنة قدم الاسطول الانكليزي الى سواحل سوريا واستولت الجنود التركية على بيروت بمساعدة شرذمة من الجنود الانكليزية واطلاق بعض القنابل ثم استولوا على عكا وهزمت الجنود المصرية من السواحل وسلم الامير بشير للانكليز فارسلوه الى مالطا ثم ارسل الى بروصة ومات فيها . وفي نوفمبر استولى الخوف على اهل القدس اذ بلغهم ان ابراهيم باشا زاحف بجيشه شرقي الاردن وانه قطع ذلك النهر واحرق اريحا . فتبادر الى الاذهان انه لا يلبث ان يصل الى القدس فيكتسحها و يسير منها الى يافا فمصر . فاقفلوا ابواب القدس واوصد الناس حوانيتهم واخفوا اموالهم في المدافن وبعثت الحكومة حالاً تستقدم الجنود الذين في يافا وغزة لحماية بيت المقدس . ولكن يظهر ان احراقه اريحا كان خدعة حربية تصرف الاذهان عنه بتخويف جند يافا فيستنجدوا جند غزه فيخلو له الطريق براً الى مصر فمرَّ بالكرك ومنها جنوبي البحر الميت الى مصر . اما بيروت ففي اثناء حربها نزل المرسلان الاميركانيان اللذان كانا فيها الى دارعة اميركانية حملتهما الى قبرص . ولم يمس بنايات المرسلين سوء من القنابل لانهم اخبروا البحارة الانكليزية بموقعها الاَّ ما كان منها وراء القشلاق فانه تعطل قليلاً وقد وجدوا من القنابل نحو ٤٠ قنبلة في حديقة المدرسة ظلت زماناً طويلاً مصفوفة هناك يراها الناس . ولما استتب الامن عاد وليم طمسن الى بيروت وظل الذين في القدس بمكانهم ولكن ذلك الصيف كان شديداً فلم ينج من الحمى الاَّ اثنان المستر هوايتن وانا وكانت الحمى وافدة اصيب بها معظم الرهبان اللاتينيين حتى طبيبهم وصيدليهم فاخذت على عاتقي معالجة مرضاهم نحو ثلاثة اشهر بذل الاسقف والرهبان جهدهم في اثنائها بترغيبي في المذهب اللاتيني فلم ينجحوا . . . على ان ما اصابنا من المرض لم يمت احدٌ امنها ولكننا كرهنا الاقامة هناك وهذا ما دعا المستر يدل الى قوله « ان اجمل مناظر القدس ان تراها وانت

ماتنفث اليها بعد خروجك منها » وكان للمستر هوابتن مساعد وطني اسمه طنوس كرم من صفد ولكن لبعض الاسباب السياسية وعلاقاته مع الحكومة كان يعوّل على رجل ارمني اسمه هوهانس اخو مراد هروتين المتقدم ذكره ورجع المستر بيدل الى بيروت في نوفمبر برًّا وترك عائلته في القدس . وبلغنا في اثناء ذلك ان باخرة فرنساوية تصل يافا في نوفمبر او ديسمبر فركبت انا والمستر نيقولايسن على خيل من القدس الى يافا تحت المطر الغزير التاماً لادراك تلك الباخرة والطرق يومئذ وعرة يعدُّ السفر من القدس الى يافا في يوم واحد سريعاً جدًّا . وقضينا في يافا اسبوعاً ننتظر الباخرة فلم تأت فعدنا الى القدس مخافة ان يحجر علينا في يافا بسبب القلاقل السياسية فلا يعود يتيسر لنا الخروج منها . مكثت في القدس الى فبراير من السنة التالية ثم سافرت الى بيروت برًّا بطريق يافا حيث التقيت بالمستر جون سكوت وكان في انتظار الباخرة منذ ١٤ يوماً فلما ابطأت اتفقنا على السفر برًّا الى بيروت ولم تكن الطرق وعرة كثيرًا ولكن القرى والبلاد في طريقنا كانت قد خلت من اهلها واحتلتها بعض الجنود التركية فقضينا الاحد في عكا وركبنا الى نهر القاسمية فوجدنا الخان مهجورًا فبتنا فيه واستأنفنا المسير في الصباح التالي فوصلنا صيدا قبل الظهر وركبنا منها توًّا الى بيروت فلما وصلنا خان خلدة علمنا ان بيروت محاطة بنطاق صحي عند الحرش لان لبنان مصاب بمرض ظنوه الطاعون فاضطررنا ان ندخل بيروت من رمل الاوزاعي

التعليم في بيروت فوجدنا المستر هبرد قد عاد من الاستانة والمستر وليم طمسن والمستر ولكوت قد فتحا المدرسة فعاد التلامذة اليها وعددهم ١٢ الى ١٤ فقط والتعليم كله يومئذ بواسطة اللغة الانكليزية ولذلك كان التلامذ يتقنون هذه اللغة واشهر النابغين منهم ثلاثة اخوة ارمن من بيت ورتبات وهم يوحنا ويعقوب وكركور . واسكندر ابكاريوس واخوه يوحنا وهما ارمنيان ايضاً . وثلاثة اخوة من بيت الشدودي كاثوليك وهم ناصيف وبشاره واسعد . وعبدالله الوتوات الدرزي ونادرعقل الارثوذكسي وجبورجردي؟ وجاءت بيروت يومئذ فصيلة من الجند الانكليزي من فرقة المهندسين ومعهم ضباطهم يطوفون البلاد للرسم والفرجة وكل ضابط يحتاج الى مترجم وعارفو اللغة الانكليزية يومئذ قليلون لان اللغة الايطالية كانت الى ذلك الحين اكثر اللغات الافرنجية شيوعاً في سوريا فكان اولئك الضباط يسمعون تلامذتنا يتكلمون الانكليزية جيدًا فياخذونهم منا بدون استئذان فآل ذلك الى اقفال المدرسة وتقرر ان يفتح سواها في لبنان في وقت آخر .

فارسلوا المستر هبرد الى اميركا لجمع النقود اللازمة لانشاء هذه المدرسة لما يقتضي ذلك من نفقات البناء وغيره وكان المستر هبرد يشكو المرض من زمن طويل فوصل مالطة ومات فيها في يونيو سنة ١٨٤١ وذهبت مهمته ضياعاً

وفي مارس ١٨٤١ رجع عالي سميث من اميركا وفي ابريل من تلك السنة تبعه المستر جورج هرتر ومعه الحروف الجديدة للمطبعة وهي لاتزال في قبو بيت الصوصة وعالي سميث يقيم فوقها وعمال المطبعة من السوريين يومئذ فضل الله عازر وفارس التويني وموسى عطا

✻ البستاني والخازن ✻ وفي شتاء سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ كانت المدرسة لا تزال عاملة لجاءها شابان مارونيان من تلامذة البطريركية المارونية في عين ورقة يطلبان اعتناق المذهب الانجيلي والاشتغال وهما الشيخ يوسف الخازن بن الشيخ انطون الخازن من غسطة وبطرس البستاني من الدبية وكان هذا الاخير تلميذاً في المدرسة المذكورة ثم استاذاً فيها يعرف العربية وعلومها جيداً وله المام بالسريانية وكان قد تعلمها وترشح للكهنوت فاستخدمه المرسلون معلماً في مدرستهم حالاً واما الشيخ يوسف الخازن فدخل تلميذاً ومعلماً معاً . وعلاقة البستاني بالمرسلين في مدرسة عبيه ثم مع الدكتور عالي سميث مشهورة ولما اقامت الولايات المتحدة قنصلية وعمية لها في بيروت تعين البستاني ترجماناً فيها (وظل في هذا المنصب حتى توفي)

اما الشيخ يوسف الخازن فانقطعت علاقته بالمرسلين بغتة رغم ارادته بالكيفية الآتية : — كان الاكليروس الماروني في ذلك العصر قوياً ومستبداً فلما اعتنق هذان الشابان المذهب الانجيلي اضطرا ان يلازما المرسلين خوفاً من الخطف او القتل فاتفق ان الخواجا هبرد والخواجا وليم طمسن وهما يحبان الابحاث الجيولوجية ان سمعا عن اسماك محجرة في مغارة جعيته بكسروان فسألا الشيخ يوسف عنها فعرض نفسه ان يكون دليلهما اليها فساروا ولم يبلغوا المكان المقصود حتى اجتمع عليهم جماعة من الاكليروس الماروني اوسعوا السائحين ضرباً واختطفوا الشيخ يوسف منهما

✻ الحكومة والمشائخ الدروز ✻ وفي اثناء سيادة الحكومة المصرية على سوريا وقبلها كان مشائخ الدروز يتمردون على الامير بشير او على الحكومة المصرية فيأول ذلك الى وقائع حربية اشهرها واقعة عين السمقانية قرب دير القمر وفيها هُزم الشيخ بشير جنبلاط وهُدمت قرية المختارة ثم قُبض على الشيخ بشير المذكور وسيق اسيراً الى عكا وهناك

شنقه عبد الله باشا في السجن . وشخص اخوه نعمان بك الى القسطنطينية واخوه الثاني سعيد بك جنبلاط ادخل في الجيش المصري والاخ الاصغر اسماعيل كان صغيراً ولا خوف منه . اما مشائخ ابي نكد والتلاحقة والعمادية وغيرهم فصدر الامر بنفيهم الى سنار جنوبي الخرطوم وانعم الامير بشير على آل حماده في بعقلين بلقب المشيخ. وهذه اول مشيختهم . فلما سلم الامير المذكور الانكليز واستولى الاتراك على سوريا تعين الامير بشير قاسم الشهابي الملقب ابو طحين مكانه فالمناصب الذين كانوا قد نفوا الى سنار اعيدوا ورجع آل جنبلاط الى منازلهم في المختارة وآل ابي نكد الى دير القمر . وكان الامير بشير السابق قدهدم منازلهم فاخذوا في ترميمها جهد طاقتهم . وخطر للدروز في ذلك الحين ان يعقدوا مع الانكليز عهداً لحمايتهم ومقاومة نفوذ فرنسا عند الموارنة وتنبأ النبهاء منهم ان المستقبل سيكون لاهل العلم والتهذيب فاهتموا في انشاء المدارس لاولادهم واكثرهم عناية في ذلك بيت القاضي في دير القمر وهم ثلاثة اخوة الشيخ محمد والشيخ قاسم والشيخ عبد اللطيف فآل ذلك الى زيادة علائقهم بالمرسلين الاميركان لانهم كانوا افضل من يمكن الالتجاء اليهم في امر التعليم

اسعد الخياط لما جاء المستر هوبتن الى سوريا اقام اولاً في بيروت مدة وضم الى عائلته غلاماً سوريا اسمه اسعد الخياط وعلمه اللغة الانكليزية فلما شب الغلام سافر الى بغداد فمر وهو هناك ببعض امراء الفرس يلتمسون انكلترا وهم في حاجة الى مترجم فاخذوا الشاب اسعد معهم ولما وصل الى انكلترا اغتنم وجوده فيها للسعي في سبيل مصلحته وكان متقرباً من وجيه انكليزي اسمه السير كان اردلي سميث فاظهر اسعد غيرة شديدة على تعليم ابناء سوريا فارسله السير كان اليها وكيلاً دينياً وسياسياً معاً لتقوية علائق المودة بين الانكليز والدروز والطائفة الارثوذكسية . فكان من نتائج سعيه ان جماعة من شبان الطائفة الارثوذكسية ارسلوا الى انكلترا لتلقي العلم فيها اذكر منهم اثنين هما انطانيوس الاميوني وعبدالله عازار وغيرهما ممن لا اذكرهم . وكان الكولونيل روز يومئذٍ قنصلاً جنرالا للدولة الانكليزية في بيروت وصار بعدئذ اللورد ستراثنيرن وارسل سفيراً الى الاستانة) فلما كان قنصلاً ارسل اسماعيل جنبلاط الاصغر المتقدم ذكره الى انكلترا ولم يمض زمن يسير حتى اصيب عبدالله عازار واسماعيل جنبلاط بالخبل فاعيدا الى سوريا فشفي عبدالله بعض الشفا . اما اسماعيل فمات مجنوناً . واما الاميوني فبقي في انكلترا واستخدم معلماً زمناً طويلاً ولم يعد الى سوريا — وعلى كل حال فلم يصب البلاد السورية خيرٌ من هذه المساعي كلها (لها بقية)

الامتيازات الاجنبية

اصلها وتاريخها

قسم الجغرافيون الكرة الارضية الى نصفين شرقي ويشمل قارات اسيا وافريقيا وأوروبا وغربي هو قارة اميركا • ولكن اصحاب التاريخ والسياسة جعلوا البحر المتوسط وسطاً وما الى الشرق منه سموه شرقاً وما الى الغرب غرباً فيدخل في الغرب ممالك اوروبا وأميركا وبعض ممالك افريقيا • ويعبر بعض كتابنا المعاصرين بالشرق عن المملكة العثمانية خاصة وبالغرب عن أوروبا وقد يريدون بالشرقيين المتكلمين بالعربية وبالغربيين المتكلمين باللغات الاوروبية • ولكن مهما اختلفت التقاسيم لاخلاف في ان مصر وسوريا من بلاد المشرق وأوروبا من بلاد المغرب

ومن غرائب الحكمة في الخليقة ان الله سبحانه وتعالى جعل لاهل الشرق اخلاقاً وأذواقاً تختلف عما لاهل الغرب وتتباعد عنها بنسبة تباعد المساكن بينهم

اما المواصلات بين هذين الفريقين فتتصل الى ما قبل الميلاد باجيال وكان المباشر فيها اهل المشرق وفي مقدمتهم الفينيقيون الذين جابوا البلاد واخترقوا الاصقاع الى اقاصي المغرب في طلب الاتجار والاستعمار وكان اهل المغرب اذذاك في ظلمات من الجهل والهمجية • ويقال ان عالماً مصرياً اسمه سيكروفوس قدم بلاد اليونان مع جماعة من اهل وطنه في القرن السادس عشر قبل الميلاد وعلم اهلها الديانة والتمدن وأسس مدينة اثينا وقدمها بعد ذلك بنصف قرن عالم فينيقي اسمه قدموس وعلم اهلها الكتابة ولا تزال اسماء الحروف اليونانية واسماء بعض آلهتهم اثراً شاهداً لذلك • وفي القرن الخامس ق•م• حمل الفرس على اليونان غير انهم لم يلبثوا ان عادوا على اعقابهم ثم ظهر الاسكندر الاعظم في المغرب وكر على المشرق ففتح معظم ممالكه واستولى على مملكة فارس واستقر في مدينة بابل ولكن المنية عاجلته فخلفه قواده ومنهم دولة البطالسة في مصر والسلوقيون في سوريا • وبقي الاختلاط بعد ذلك زماناً طويلاً في عهد الرومان حتى اندرست دولة الروم في المشرق وقامت دول الاسلام بعظمتها وسؤددها ونشأت في اثناء ذلك دول اوروبا الحديثة ونشطت من عقال الهمجية • ثم كادت المواصلات تنقطع بعد ظهور الاسلام لانغماس الفريقين في الاعمال الحربية والدفاع كل منهما عن بلاده لما استحكم بينهما من العداوة الجنسية والدينية الى ان كانت الحروب الصليبية في اواخر القرن الحادي

عشر بعد الميلاد اذ زحف اهلها اوروبا بمئات الالوف وكروا على سوريا وفلسطين لافتتاح بيت المقدس واستخراجه من دولة المسلمين ففتحوه بعد عناء شديد وبقي في حوزتهم زهاء قرن من الزمن بالغوا اثناءه في الاختلاط بالشرقيين والحروب قائمة بينهم وبين دول الاسلام حتى ظهر السلطان صلاح الدين الايوبي فاخرج البيت من ايديهم فعادوا الى بلادهم ولم تقم لهم قائمة في المشرق من ذلك الحين الا في ما توخوه من الاتجار او زيارة البيت

على انهم لم يكونوا يجوبون تلك الاصقاع الا وهم في خوف شديد على حياتهم واموالهم وقلما كانوا يجسرون على المرور او الاقامة هناك الا بمعاهدات تجارية بين ملوك اوربا وحكام المشرق حتى ظهرت الدولة العثمانية ودوخت البلاد ومدت سلطانها في الشرق والغرب ودرست بقية دولة الرومان وكان من نفوذها على ملوك اوروبا ما هو مشهور لكن سلاطينها كانوا يوسعون لاهل المغرب سبل الوصول الى المشرق ويصدرون المهدنامات والاوامر في تسهيل الاتجار فيه وزيارة بيت المقدس فلم يكن اهل اوروبا يستطيعون ذلك الا بالمعاهدات المشار اليها صادرة من الجناب السلطاني تسهيلاً لمرورهم وصيانة لحياتهم واموالهم وكانت تلك المعاهدات او الامتيازات تصدر لكلٍّ من دول اوروبا على حدة تبعاً لما تقتضيه المجاري السياسية بينها وبين الدولة العلية

واقدم ما اتصل بنا من تلك المعاهدات معاهدة البندقية من السلطان محمد الفاتح صدرت سنة ١٤٥٤ وهي السنة التالية لفتح القسطنطينية تسهيلاً للتجارة لان البندقية اقدم الممالك الحديثة في توسيع التجارة • ويليها معاهدة فرنسا سنة ١٥٣٥ بين السلطان سليمان الكبير وفرنسيس الاول وهي بالحقيقة اول معاهدة عامة اعطيت لدولة لان معاهدة البندقية ليست بالشيء العام وانما هي تتعلق ببعض الحالات التجارية واما معاهدة فرنسا فانها كانت عامة • وبقي رعايا سائر دول اوروبا زمناً لا يستطيعون الاتجار او سلك البحار الا تحت الراية الفرنساوية • وتلي معاهدة فرنسا معاهدة انكلترا كتبت في سبتمبر سنة ١٦٧٥ من السلطان محمد الرابع لشارلس الثاني ملك انكلترا • وتليها معاهدة النمسا كتبت في ١٧ يوليو سنة ١٧١٨ من السلطان احمد الثالث لشارلس السادس ملك النمسا وتليها معاهدة اخرى لفرنسا كتبت في ٢٨ مايو سنة ١٧٤٠ من السلطان محمود الاول الى لويس الخامس عشر ملك فرنسا وهي مؤلفة من ٧٥ مادة وتليها معاهدة

الدنمارك سنة ١٧٥٧ (١) • ثم معاهدة اسبانيا التجارية سنة ١٧٨٢ • ثم معاهدة الروسية سنة ١٧٨٣ • وتليها معاهدة اميركا التجارية من السلطان محمود الثاني سنة ١٨٣٠ ثم معاهدة بروسيا سنة ١٨٤٠ • ثم معاهدت ايطاليا سنة ١٨٦١ • ثم هولانده سنة ١٨٦٢ وهكذا

والمراد من هذا المعاهدات او الامتيازات تسهيل الاتجار والاقامة لرعايا تلك الدول في بلاد الدولة العلية لانهم لم يكونوا يجسرون على ذلك بدونها وهاك مثالاً من معاهدة فرنسا سنة ١٧٤٠ :

من مآل تلك المعاهدة • الترخيص للفرنساويين بزيارة بيت المقدس والاتجار تحت حماية الدولة والكف عن استعبادهم واعفاؤهم من الضرائب والخراج وبعض عوائد الجمارك واحالة الفصل بين المتخاصمين منهم الى القناصل والسفراء ليحكموا عليهم بمقتضى شرائع بلادهم ومساعدتهم بحراً في حال النوء وترك امر توزيع تركاتهم او ما شاكل للقناصل والتصريح لجماعة الجزويت والكبوشيين بمعاطاة فروضهم الدينية في كنائسهم والاذن لهم باصطناع الخمر او استجلابه لمشروبهم وعدم وقوع الحجز او السجن على تراجمة السفراء واعفاء ١٥ شخصاً من خدمة كل سفير من العوائد على اختلاف انواعها والترخيص لاي سفير بتعيين العدد الذي يريده من الانكشارية لحماية بيته ومنع اي كان من اهل القضاء او العسكرية من الدخول الى بيوت الفرنساويين بغير اذن السفير • الى غير ذلك مما ينطوي تحت هذا المعنى

فيستفاد من مآل هذه المعاهدات انها انما منحت للدول الاجنبية رفقاً برعاياهن واستجلاباً لراحتهم واطلاقاً لحريتهم ولكنها اصبحت مع توالي الزمن واستفحال امر تلك الدول عثرة في طريق عمال الدولة العثمانية واغلالاً لايديهم وقد توسع السفراء والقناصل في استخدامها حتى صاروا يضعون حمايتهم على من شاؤوا من رعايا الدولة بحجة كونهم من تراجمتهم او قواستهم او عملائهم او غير ذلك • ولما كانت مصر اكثر ازدحاماً بالاجانب من سائر ولايات الدولة كانت الامتيازات الاجنبية اكثر توسعاً ونفوذاً فيها مما في سواها فشق ذلك على الباب العالي فاصدر منشورات عرفت بالنظامات القنصلية صدر اولها في ٩ اوغسطس سنة ١٨٦٣ وثانيها سنه ١٨٦٥ والمراد بهما تعيين عدد التراجمة والقواسة لكل سفير او قنصل او وكيل قنصل وتحديد امتيازات كل منهم وحدوده حتى لا يتعداها • واصدر منشوراً ثالثاً سنة ١٨٦٧ بالتصريح للاجانب في امتلاك العقارات

(١) صدر لفرنسا بين هذه المعاهدة ومعاهدة ١٥٣٥ بضع عشر معاهدة اغضينا عنها لقلة اهميتها

الثابتة ولم يكن يؤذن لهم بذلك قبل هذا التاريخ • واصدر منشوراً رابعاً سنة ١٨٦٩ يتكفل بتحديد امتيازات القناصل في ما يتعلق بوارداتهم عن طريق الجمارك من الاصناف التجارية وغيرها ولما رأى الباب العالي رعايا الدولة يدخلون في خدمة القناصل والسفراء بكثرة احتماء وطمعاً بامتيازاتهم امر بمنشورٍ عالٍ انه لا يجوز لاي كان من رعايا الدولة الانتماء الى احدى الدول الاجنبية الاَّ ببراءة من الباب العالي

واصدر ايضاً في تلك السنة منشوراً عاماً لوكلاء الدول كافة يتعلق بالامتيازات الممنوحة لهم ولدولهم سابقاً اراد به ايقاف تلك الدول عند حدها خصوصاً بما يتعلق بالامور القضائية والمرافعات بين الاجانب ورعايا الدولة العلية • وكان في جملة امتيازاتهم ما يعبرون عنه بكلمة (EXTERITORIALITÉ) والمراد بها اعتبار منازل الاجانب في بلاد الدولة كانها خارج المملكة العثمانية فاذا دخل مامور عثماني بيت احد الاجانب يفقد صفته الرسمية و يصير كاحد الناس اي كانه في اعتبارهم دخل بيت ذلك الرجل في وطنه باوروبا فلا تسري عليه احكام الدولة وقد كان ذلك شاملاً كل اجنبي على الاطلاق ولكنه حصر الآن في من هم من اصحاب الوظائف الاجنبية الرسمية كالقناصل وتراجمتهم ومن هم حائزون على براءة رسمية سلطانية وظيفتهم المشار اليها

وظلت الحال سائرة كذلك في سائر ايالات الدولة العلية ولكنها كانت تختلف باختلاف نوع العلاقة بين الايالة والدولة فلم تكن الامتيازات في سوريا مثلاً كما هي في بلغاريا والصرب بعد الحروب الاخيرة ولا كما هي في الجزائر او تونس او بلاد اليونان فان رومانيا والصرب قد تحررتا من هذه الامتيازات وليس كذلك بلغاريا فانها لا تزال مقيدة بها على مقتضى معاهدة برلين واما البوسنا والهرسك وقبرص فانها خرجت من حكم الامتيازات بعد الاحتلال

والامتيازات على معظم تمكنها الآن في ايالات الشام واسيا الصغرى وبلاد العرب وغيرها • اما مصر فقد تسلط العنصر الاجنبي فيها بنوع خاص منذ تبوء العائلة المحمدية العلوية اكثر مما في سائر ولايات الدولة وخصوصاً بعد تولية الخديوي اسماعيل باشا فكانت القضايا القائمة بين وطني واجنبي تنظر في القنصلاتو اذا كان المدعى عليه اجنبياً وفي المجالس القضائية المصرية اذا كان وطنياً وفي الحالة الثانية يشهد المرافعة ترجمان او مندوب يعينه القنصل التابع لهُ المدعي واما في الحالة الاولى فلا يحضر في القنصلاتو من يدافع عن الوطني

ويراقب محاكمته فكان ذلك مظنة لوقوع الاجحاف في الوطنيين و باعثاً على اهتمام الحكومة بملافاة هذا الامر وما قد ينجم عنه من اهتضام الحقوق . فجعل الخديوي اسماعيل باشا يسعي في طريقة تتكفل بملافاة الامر . وكان ذلك في وزارة المرحوم نو بار باشا فارتأى انشاء مجالس قضائية مختلطة ينتخب قضاتها من الاجانب برأي دولهم يقضون في القضايا التي يكون فيها الخصمان من دولتين متباينتين فتدخل في ذلك القضايا القائمة بين الوطني والاجنبي . فشخص نوبار باشا بامر الخديوي الى اوروبا وزار عواصمها وبذل قصارى جهده في مخاطبة الدول في الامر ولم يعد حتى تكلل سعيه بالنجاح وتأسست المجالس القضائية المختلطة على مثل ما هي عليه الآن اول سنة ١٨٧٦ وهي تتشكل من قضاة تابعين للدول الاجنبية العظمى

وللحكومة المصرية منشورات ولوائح خصوصية بشأن الاجانب ومعاملتهم وحقوقهم وواجباتهم منها لائحة اصدرها سعيد باشا في ١٥ اوغسطس سنة ١٨٥٧ لضبط الاهالي الاجانب بمملكة مصر قسمها الى سبعة ابواب الاول في ترتيب الخدمة والثاني في ما يلزم اجراؤه في توارد الاجانب الى القطر المصري والثالث في ما يختص اقامة الاجانب والرابع في كيفية شروط المحلات التي تدير امورها الاجانب والخامس يختص بضبط الحارات والاسواق والمنتزهات والسادس في التحقيقات الابتدائية وتوقيع الحكم والسابع في كيفية تاجير المنازل والعنابر والمخازن للاجانب . ومنها منشور صدر في ٣ يناير سنة ١٨٨٣ على اثر الاحتلال الانكليزي موجه من نظارة الخارجية الى القناصل الجنرالية هذا نصه :

« قد طلبت جهات الحكومة من نظارة الخارجيـة الالتفات لضرورة معرفة اسماء الاشخاص الاجانب المقيمين بجهات القطر المصري بغاية الدقة واوضحت انه مع تكرار الطلب منها مباشرة لحضرات ارباب وظائف القنصلاتات بقصد الحصول على كشوفة باسماء الاشخاص التابعين لهم ما امكنها لغاية الآن الحصول على ذلك ولا ارى لزوماً لان اوضح لحضرتكم اهمية الحصول على هذه الكشوفة خصوصاً فيما يختص بمجازات مرتكبي الجنايات والجنح التي يمكن حصولها لا سيما ان معرفة اسماء وتبعية الاشخاص الاجانب الموجودين بكافة جهات القطر المصري تسهل في الواقع لجهات الحكومة المحلية بتسليم الجانين الى حكوماتهم بدون حصول تاخير مثل ما هو جار في اغلب الاوقات بسبب المناقشة في مسائل التبعية الجاري حدوثها عند ما يقتضي الحال لمحاكمة الجاني بدون عاقة ولا توقيف

ولأملي انه من المؤكد لحضرتكم ايضاً اهمية هذا الطلب ارجو التنبيه على جميع حضرات القناصل وماموري الاشغال التابعين لحضرتكم باعطاء الكشوفة المطلوبة باسماء التابعين لهم في اقرب وقت لجهات الحكومة المحلية الموجودين بها وان ظهر لاحدى جهات الحكومة لزوم ابداء مناقضات بخصوص بعض الاسماء المندرجة بتلك الكشوفة فيمكن مناظرة الاوراق المتعلقة بالشخص المناقش في انتماه في الوقت الممكن فيه اجراء التحريات اللازمة فيما يماثل ذلك و بهذه الواسطة لا يتأتى لنا مطلقاً ان نرى اشخاصاً متهمين في جنايات وجنح طال عليهم السجن بمجرد التهم ولا نرى ايضاً حصول الافراج عنهم بضمانة المدة غير محدودة لحين حسم مسئلة الانتماء التي يترتب عليها معرفة المجلس الذي يحال عليه قضاياهم هذا وانتهز الفرصة لان اوضح لحضرتكم بهذا المنشور التوقيف الحاصل من بعض ارباب الوظائف بالقنصلاتات في انقيادهم لنص لائحة الضبط والربط المنوه بها اعمال التحقيق الابتدائي الذي هو السبب الوحيد المبني عليه توسط جهة الحكومة المحلية عند وقوع جناية اوجنحة من احد الاجانب بالقطر المصري وانني لمتحقق بانكم تؤكدون على المامورين التابعين لحضرتكم بالانقياد لنص اللائحة المشار اليها بغاية الدقة وارجو من حضرتكم قبول مزيد احتراماتي »[1]

وصدر بعد هذا منشورات عديدة الى القناصل او الى المدراء منها واحد بتاريخ ٢ يوليو سنة ١٨٨٣ وآخر في ٢ سبتمبر سنة ٨٣ وآخر في ٤ مارس سنة ٨٧ وآخر في ٢١ نوفمبر سنة ٨٨ صادر من الداخلية الى مديرية الغربية وتحوى هذا الاخير الاجراءات التي يجب اتخاذها لاثبات جنسيات من يدعي الانتماء الى بعض الدول الاجنبية و يظهر انها قصدت اليونانيين على الخصوص فاختصت الكلام بهم في الفقرة الثانية من المنشور وهاك نصها :

« ثانياً بناء على هذه القاعدة يلزم المديرية ان تكلف جميع اليونانيين والاشخاص الحمايات القاطنين ببلادها بان يثبتوا لديها انتماءهم فان حصل وتم لها ذلك فبها والا فلا اجبار ولكنها تعتبرهم بصفة رعايا الحكومة المحلية وكلما يقع لهم او عليهم امر ما لدى المديرية وسائر حكامها يعاملونهم مثل رعايا الحكومة بدون ادنى تردد وهذه هي القاعدة الثانية فلزم تحريره لسعادتكم لاتباع الاجراء كما ذكر »

(١) قاموس الادارة والقضاء

امتيازات العربان بمصر

اصلها ومصيرها

وفي مصر ايضاً فضلاً عن الامتيازات الاجنبية التي تحميها الدول العظمى امتيازات محلية اختصت الحكومة المصرية بها طائفة العربان النازلين في ضواحي القطر المصري بخيامهم وانعامهم وقد اختصتهم الحكومة بامتيازات لم يتمتع بها احداً من اهل القطر ترغيباً لهم في تعمير تلك البقاع فاعفتهم من العسكرية والعونة وغير ذلك وقلما افادهم ذلك أو افاد البلاد على ان بعض رجال الحكومة كانوا يبخسون العربان بعض هـذه الحقوق لاسباب محلية وهم يرفعون شكواهم الى ولاة الامر فاصـدر المغفور له الخديوي السابق امراً عالياً مؤرخاً في ٣ مارس سنة ١٨٨٢ يجدد لهم حقوقهم بتلك الامتيازات ومن جملتها الاعفاء من العسكرية واشغال العونة وغير ذلك وهاك نصه :

(نحن خديو مصر) انه مراعاة للامتيازات الممنوحة للعربان من القدم رغبة في توطنهم وتشويقاً لهم في رفاهية معيشتهم ولانهم مكلفون بخفر الحواجز والتخوم والجبال والجهات الخالية من السكان مع استعدادهم لخدمة البلاد والحكومة في اوقات الملمات وبعد الاطلاع على الامر الصادر بتاريخ ٣ دسمبر سنة ٨١ وبناء على ما عرض لطرفنا من ناظر داخلية حكومتنا بموافقة رأي مجلس نظارنا وقرار مجلس النواب نأمر بما هو آت

(م) ١ تبقى الامتيازات الممنوحة للعربان على حالتها بان يعافوا من القرعة العسكرية ومن اشغال العونة

(م) ٢ سكان العزب والكفور والبلاد من العربان يدفعون بدلية العونة اسوة ارباب العزب على مقتضى اللائحة التي ستصدر عنها

(م) ٣ يجري عمل التمييز والتعداد على كافة قبائل عربان القطر المصري سواء كانت في الارض السوداء او البراري

(م) ٤ يكلف مشايخ قبائل العربان باجراء العمل المنوه عنه في المادة السابعة

(م) ٥ على كل من ناظر الداخلية والجهادية والاشغال العمومية تنفيذ امرنا هذا المسطر بهذا صورة الامر العالي الصادر بتاريخ ٢٢ ربيع الآخر سنة ٩٩ قد وردت لهنا بافادة من رئاسة مجلس النظار في هذا التاريخ نمرة ٤١ عن بقاء الامتيازات الممنوحة للعربان على حالتها بان يعافوا من القرعة العسكرية ومن اشغال العونة وان سكان العزب

والكفور والبلاد من العربان يدفعون بدلية العونة اسوة ارباب العزب على مقتضى اللائحة التي ستصدر عنها وان يجري عمل التمييز والتعداد على كافة قبائل عربان القطر سواء كانت في الارض السوداء او البراري فلاجل المعلومية بما نص فيه وبمراعاة الاجراء بمقتضاه لزم تحريره »

وفي ٢١ مايو سنة ١٨٨٥ صدر امر عال بشأن واجبات عمد العربان هذا نصه

(نحن خديو مصر) حيث ان القواعد المتبعة من القديم في شان اشقياء العربان تقضي باخذ رهاين من اقارب الشخص المطلوب لحين ضبطه فبناء على ما عرضه علينا ناظر الداخلية بموافقة رأي مجلس النظار بعد اخذ رأي مجلس شورى القوانين امرنا بما هو آت

(م) ١ مشايخ وعمد قبائل العربان مكلفون بضبط من يكون تابعاً اليهم ممن يتصفون بالشقاوة وتسليمه للمديرية التابع اليها وهم مكلفون ايضاً بتبليغ المديرية بسوء سلوك من يكون غير معلوم لديها من العربان

(م) ٢ عند عدم تيسر ضبط احد من الاشخاص المذكورين انفاً يجب على شيخ قبيلته ان يستحضر احد اولاد المطلوب ضبطه او اعز اقاربه ويرسله الى المديرية رهنية لحين ضبط المطلوب وتسليمه لها

(م) ٣ تعطى المساعدات اللازمة من قبل الحكومة لشيخ القبيلة التابع لها الشخص المطلوب ويلزم بالمساعدة من يرى لزوم المساعدة منه للحصول على الشخص المراد ضبطه

(م) ٤ تبقى الرهائن المنصوص عنها بالمادة الثانية بالمديريات حتى يجري ضبط الشخص المرهون من اجله وحضوره للمديرية

(م) ٥ على ناظر الداخلية والحقانية تنفيذ امرنا هذا » (١)

على ان الاحوال المصرية الحاضرة تقتضي الغاء الامتيازات على الاطلاق لانها من بقايا عصور الاختلال واكبر الشواهد على ضعف الثقة بحزم الحكومة وعدلها فبعد ما بلغت اليه مصر من النظام والامن وسيادة العدل لم يبق باعث على امتياز احد النازلين فيها على سواه من اهلها او غير اهلها • ولم تغفل الحكومة عن ذلك بل هي تغتنم الفرص لاخراج هذا الامر من حيز القوة الى حيز الفعل • فالامتيازات الاجنبية فقد مهدت لها السبيل تمهيداً اولياً ولا تلبث ان تبدأ بالبناء وليس هو بالامر السهل عليها لاشتراك دول

(١) قاموس الادارة والقضاء

الارض في مقاومتها الا انكلترا — ولكنها فائزة بذلك ولو بعد حين . واما امتيازات العربان فلان الحكومة لا تحتاج فيها الى مخابرات دولية ولا مراعاة حقوق قنصلية فقدا قرت على الغاء بعضها بقرار من مجلس النظار في اواسط دسمبر الماضي على لائحة وضعتها نظارة الداخلية سمتها لائحة العربان وهي تتعلق بتعيين عمد الاعراب ومشائخهم وتأديبهم بقرارات من لجنة تؤلف لهذا الغرض من المدير ومفتش الداخلية وبعض عمد العربان كما هو جار في تأليف لجان العمد والمشائخ لاهل القطر وفيها تعديل كثير من امتيازاتهم ولا يلبثون ان يرضخوا لما يرضخ له المصريون بلا ميزة ولا رعاية كما سيكون شأن الاجانب المقيمين في هذه الديار فان بقاء امتيازاتهم بعد ما بلغت اليه مصر من العمارة والرقي يخالف سنن العمران الطبيعية



باب المراسلات

الشعر الموزون غير المقفى

في اللغة العربية

حضرة منشيء مجلة الهلال

ان مقالتكم « الشعر المنثور في اللغة العربية » قد فتحت ولا ريب باباً واسعاً في الشعر يستطيع ان يلجه كثيرون من شعرائنا الذين سئمت نفوسهم متابعة طرق العرب في النظم ورغبوا في ان يلقوا عن عاتقهم تلك القيود الثقيلة . غير اني لا أرى من سبب يمنع شعراء العربية من ان يحذوا حذو الافرنج وينظموا شعراً موزوناً لا قافية له كما كان ينظم شعرا الجاهلية قبل امرىء القيس فان هذا ربما يسهل طرق النظم ويأتي به سهلاً بسيطاً دون تكلف ولا تعقيد لان الشاعر لا يحتاج ان يجهد قريحته ليأتي بشعر مقفى موزون ومن اطلع على شعر ملتن وشكسبير مثلاً يرى معظمه من هذا النوع . ولا جرم ان ذلك كان من اعظم الاسباب التي ساعدت الاول منهما ان ينظم اثنى عشر كتاباً في « الجنة الضائعة » والثاني ان ينسج رواياته كلها نظماً . فما ضر شعراءنا يا ترى او يتبعون هذه الطريقة فيتسنى للشاعر حينئذ ان يطلق عنان فكرته لايجاد المعاني وسبكها

في قالب عربي قريب المأخذ سهل المنال وهذا لا شك يكون اقرب الى الذوق وأوقع في النفس من الشعر المنثور فهل تمنعون ذلك ام تجيزونه فان كنتم تجيزونه فاني اعمد اليه وانسج على منواله لاني قد عقدت النية ان انقل الى قراء العربية بعض روايات شكسبير مما اظن انها لم تنقل الى هذا اللسان بعد

اسمحوا لي ايضاً ان اقدم لكم فكراً آخر في هـذا المقام . وهو لماذا لا يستعمل كتابنا العلامات الافرنجية الدالة على الوقف والسؤال والتعجب وما اشبه افلا يساعد ذلك القراء على فهم المعاني وعلى الخصوص لمن كان مبتدئاً في تعلم هذه اللغة وعلى الضعيف منهم . ان المعلمين يقاسون عذاباً شديداً مع التلامذة لعدم وجود هذه العلامات ولو لم يكن من ورائها كبير نفع لما استخدمها كتبة الافرنج وحلوا بها كل ما يخطه يراعهم من نظم او نثر فكفى بذلك برهاناً على شدة لزومها لنا . ويا ليت كتبتنا يستعملون هذه العلامات وخصوصاً في كتب القراءة لان ذلك يخفف من الام التلميذ فيتعلم القراءة الصحيحة في مدة يسيرة ويكيف بصوته على ما تقتضيه المعاني لا كما يشاء هو وهـذا ما اتقدم به الآن على سبيل الاستفهام لا على سبيل الجزم بصحته فان رأيتم ما يخالف ذلك فتكرموا به عليّ فأكون لكم من الشاكرين

وهذا مثال ممـا أشرت اليه من النظم الموزون غير المقفى وهو من قول كاسيوس يخاطب به كاسكا مأخوذاً من المنظر الخامس والمشهد الاول من رواية يوليوس قيصر

ساغمد هذا السيف في صدر كاسيوس (كاسيُس)

وانقذ نفسي من مظالم قيصر

فانت ايا من تمنحيني قوة

اصدت بها بطش القوي المظفر

الا فانصري المظلوم واحمي سبيله

لانك انت الحقُّ والنور والهدى

فلا رجلٌ او قوة بشرية

اقول ولا (صرح) منيع ولا سجن

ولا سمهري او حسام مهند

يقاوم فعل الحق رب الخليقة

سئمتُ زمان الظلم والبغي والخنا

وعفت ملذات الحياة الكريهة

ولم يبق غير الموت امر يريحني

لاخاص من هذا العذاب المبرّح

(عكا · سوريا) بولس شحاده

✻ الهلال ✻ لا نرى مانعاً من التفنن في اساليب النظم بالشعر العربي لانهُ توسعٌ يعدُّ من قبيل الارتقاء لا سيما وان النظم الموزون غير المقفى كان في اخوات اللغة العربية منذ القدم لان السريان القدماء كانوا ينظمون نظماً موزوناً لا يلتزمون فيه قافية وفيهم جماعة من فطاحل شعرائهم كافرام السرياني واسحق الانطاكي · وكذلك العبران وهؤلاء لم يكونوا يشترطون القافية ولا الوزن· وفي التوراة امثلة كثيرة من هذا النظم ولذلك فلما سمعوا آيات القرآن بما فيها من التصور الشعري الديني مع التزام القافية واغفال الوزن قالوا هذا شعر بالقياس على الشعر في لسانهم · ولا يبعد ان العرب كانوا ينظمون الشعر بوزن بلا قافية او بقافية بلا وزن كما كان يفعل اخوانهم السريان او العبران ولكن ليس بين يدينا شاهد صريح يؤيد ذلك · على اننا لا نرى ما يمنع اقدام ادبائنا على خوض هذا الباب بل نحن نستحثهم على ذلك ليكون الشعر الموزون غير المقفى من جملة ثمار هذه النهضة · وذلك بالطبع راجع الرأي شعرائنا المصريين واكثر المجيدين منهم في مصر وفيهم من نفاخر به عصر البحتري او المتنبي فاذا اجمعوا على شيء اقتدى بهم شعراء سائر الامصار

اما العلامات الافرنجية الدالة على الوقف والاستفهام والتعجب ونحو ذلك فانها من متممات جمال اللغة العربية بل هي اصبحت من الضروريات ولذلك اخذ الكتاب في استخدامها تدريجاً ولا يمضي زمن حتى تستخدم كلها الاَّ ما يخالف اسلوب الانشاء العربي والزمان كفيل ببقاء الانسب سنة الله في خلقه

ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي الى التركية

حضرة صاحب الهلال

قد عزمت على ترجمة كتابكم تاريخ التمدن الاسلامي الى لغتنا التركية فان تفضلتم عليَّ بالاجازة ارجو ان تكتبوا لي خطاباً في ذلك لاكون على بينة من الامر

بطرسبورج (روسيا) موسى جاد الله يكييف في سفارة تركيا

✻ الهلال ✻ لا نرى مانعاً من نقل هذا الكتاب الى اللغة التركية وقد اجبنا حضرتكم على صفحات الهلال اعلاناً بذلك مخافة ان يباشر احد سواكم ترجمته فعسى ان لا يمضي طويل زمن حتى يظهر مطبوعاً باللغة التركية

صحة العائلة

هل نذبح لنا كل؟ ـ كلا.

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي

٤ ـ الامراض الحادثة عن اكل اللحوم

تنفق الحكومات المتمدنة اموالاً طائلة لمنع الامراض وتنقية مياه الشرب من الجراثيم المضرة ومنع دخان الفحم في المعامل والروائح المتصاعدة عن المواد النباتية والحيوانية المنحلة وغيرها لئلا تفسد الهواء ثم تتفقد معامل الاشربة الروحية وما يحضر فيها من آفات الانسانية وتفحصه لترى هل هو في القوة المعينة رسمياً • ولكنها قلما تلتفت الى اللحوم التي يتخذها الانسان طعاماً وضررها اضعاف اضرار ما سبق ذكره • تعزل الابرص عن الناس وتحظر عليه مخالطتهم فيمر زيد بجانبه ولا يجسر ان يدنو منه ولكن لحوم الحيوانات الميتة تؤكل بدون سؤال عن صحة الحيوان قبل موته • تتخذ الاحتياطات العظيمة لايقاف سير الجدري وغيره من الامراض الوافدة ولكنها قلما تهتم بمنع ذبح الحيوانات المريضة واكل لحومها مع انها اعظم واسطة لانتقال الامراض • قال الاستاذ جامكي الطبيب الانكليزي • ان الامراض قد شاعت كثيراً بين الحيوانات حتى اصبح خمس اللحوم التي تباع في الاسواق لحوم حيوانات عليلة • • قد تفحص الحيوانات في المدن الاوروبية وغيرها قبل ذبحها وبعده ولكنه فحص سطحي لا يعتد به كما يتبين من تقارير مصالح الصحة من ان اللحوم التي ترمى ليست الا جزءاً صغيراً لا يذكر بالنسبة الى ما يباع ويؤكل يباع في اسواق لندن اكثر من اربعماية طن من اللحم يومياً ولكن تقارير اطباء الصحة تدل على وجود الف طن فقط من اللحم المريض سنوياً فتامل • وقس على ذلك مدناً اخرى كثيرة • وقد نغني المعترض عما يقال في البلاد الاجنبية فنحول انظاره الى مدينتي الاسكندرية ومصر وغيرهما من مدن القطر الكبرى والصغرى فليفحص ابقارها واغنامها

وما يذبح فيها فحصاً دقيقاً ثم يحكم لنفسه . لم يكن الرومان يأكلون اللحوم الا بعد فحصها جيداً وكذلك اليهود فانهم منذ ايام موسى يفحصون الحيوانات قبل ذبحها وبعده ولا يزال المتعبدون بينهم يلاحظون ذلك بكل دقة ويرفضون قطعياً اكل اللحوم التي لم يفحصها المنوط بهم فحص الحيوانات . قال احدهم في شيكاغو باميركا انه كثيراً ما كان يرفض ١٩ حيواناً من ٢٠ تعرض عليه لفحصها واللحوم التي رفضت كانت تباع لغير اليهود وتوكل . اليرقان والحمى والسل وغيرها تظهر في أجسام الحيوانات فيحكم بعدم صلاحيتها طعاماً ولكن هناك امراضاً كثيرة غامضة لا يمكن معرفتها ومنها مالم يتوصل اليه الفحص الكيماوي او الميكروسكوبي . ارتبط الانسان بالحيوان فصار ذا علاقة به واتخذه طعاماً فكان ذلك اعظم واسطة لانتشار الامراض في كليهما لان اكثر الحيوانات الاهلية اصبحت عرضة لاخطار الامراض التي تعتري الانسان وباتحاده معها في حالات المعيشة الاصطناعية التي تعرضت لها بعلفها واعدادها للذبح وجدت أنسب الفرص للمبادلة في الامراض فينقل الانسان المرض الى الحيوانات السفلى وهي ترجعها اليه او تجيئه بمرض آخر لا يقل عنه خطراً . وقد تكون العلاقة بينهما — كما في الدودة الوحيدة — قوية جداً لدرجة يصبح الاتحاد بها ضرورياً لدوام المرض وكل واحد يعمل بدوره لتربية جسم الدودة وتكملة تاريخ حياتها . فلو امتنع الانسان عن اكل الحيوانات لما اعتراه هذا المرض بل توقفت اوجاعه واوجاع شريكه الحيوان

تقسم الامراض الحادثة عن اكل اللحوم الى ثلاثة اقسام (١) الامراض التي تنتقل مباشرة كالناجمة عن الحيوانات الحلمية او عن جراثيم خصوصية (٢) الامراض الحادثة عن اللحوم والاسماك التي دخلها الفساد (٣) الامراض الحادثة عن لحوم حيوانات سليمة واليك بعضها بالاختصار :

(الدودة الوحيدة) هذه الدودة انواع عديدة بعضها ينمو في جسم الانسان والبعض الآخر في اجسام الحيوانات السفلى فما وجد منها في جسم الانسان ينتقل اليه بواسطة اكل اللحوم التي يوجد فيها على ما قرر الاطباء وهي تسكن في المعاء الدقيق وتنمو نمواً سريعاً لانها ذات قطع عديدة تتعلق كل واحدة منها بجدار الغشاء المخاطي وتلقي على الدوام الوفاً من بويضات صغيرة يخرج عدد عظيم منها مع البراز الى مجاري المياه ونحوها فتبتلعها الحيوانات وتصير في اجسامها أجنة تدخل الى الاوعية الدموية وتنتشر في الجسم حتى تصل الى العضلات فتستقر فيها وتنمو ولما يؤكل اللحم يهضم العصير المعدي

جدار كيس الجنين فيفلت ويمر الى الأمعاء فيتشبث بالغشاء المخاطي وينمو بسرعة ويحدث عن وجوده في القناة الهضمية كل الاعراض المزعجة المعلومة • قال بعضهم ان الدودة الوحيدة تدخل جسم الانسان بالاكثر من اكل اللحم النيء ولكن قد تبين بان عشر الاصابات بها فقط حدث عن اكل لحم الخنزير فقولهم اذاً ليس حقيقياً • اذا اصيب الانسان بالدودة الوحيدة ونمت فيه يخرج مع برازه الوف من بويضاتها الى المياه ولما تشرب الحيوانات تلك المياه تصاب بها ثم تنقلها الى الانسان متى اكل لحومها لان كل بيضة تصير دودة كاملة في جسم آخر فلا عجب اذا كثر انتشار هذا المرض في زمان كثر فيه ابتلاع اللحوم بانواعها • وقد وجد الاستاذ كوك من كليـة متشيغان الزراعية ان الدودة المذكورة توجد في السمك فظهر بذلك فساد الاعتقاد القديم وظهر ان السمك اكثر تعرضاً من باقي الحيوانات للعدوى بها ولا سيما ماوجد منه في الانهار التي تصب فيها مياه المدن لان تلك المياه تحمل كمية وافرة من بويضات واجنة الدودة واصلها من براز الانسان • فحص الاطباء الاميركان اسماك ميناء نيويورك فوجدوا فيها اكثر من اربعين نوعاً من الدودة الوحيدة وقد شاع هذا المرض في اميركا شيوعاً عظيماً حتى اختص اطباء عديدون لمعالجته فيكتبون على اماكن عياداتهم « انا اقتل الدودة الوحيدة » او « عيادة لاخراج الدودة الوحيدة مع الضمانة باخراج رأسها ايضاً » ونحو ذلك ومن معدل سير العدوى بها قد لايمضي وقت طويل كما قال احد الاطباء حتى تصبح سكان البلدان المتمدنة مثل كلاب ايسلاندا لكل واحد دودته

❊ التريخينا ❊ اكتشفت هذه الدودة في المانيا منذ نحو نصف قرن ووجدت اعراضها تشابه اعراض التهاب الدماغ والحبل الشوكي والروماتيزم العضلي وغيرها من الامراض . وتنتقل عدواها باكل لحوم الخنازير والمقانق وظهر حديثاً بانها توجد في الاسماك والطيور . توجد في لحم الحيوان ضمن اكياس فمتى اكل اللحم يذيب العصير المعدي اكياس الدودة فتنفلت وتفرخ عدداً عظيماً من صغار الدود يدخل الاوعية الدموية ثم يحملها الدم الى العضلات حيث فتستوطن فيها ضمن محافظ فتبقى كامنة بضع سنين فلا يحدث عنهـا الا آلام عصبية عضلية اما اذا كانت الاصابة شديدة فيحدث اسهال وقيء ينتجان عن التهيج الحاصل من اندفاع ملايين من الدود في جدار الامعاء ويشعر الانسان مدة سيرها في جسمه بحمى وآلام عصبية شديدة وربما حدث شلل أو تشنج واعراض تشابه الروماتيزم ونحوه . منعت بعض مدن أوربا

ادخال اللحم الاميركي المقدد من دون اذن مصلحة الصحة وفحص اللحوم فحصاً ميكرسكوبياً . فاذا كان هذا المرض لا يمكن ازالته ولا يمكن اخراج الدودة متى دخلت الجسم فكم تكون الاضرار عظيمة وكم يجب على الحكومة ان تهتم بامره . وما اجهل الانسان الذي مع معرفته بان عشر اللحوم التي يأكلها غير صالح للاكل لا يرعوي عن غيه بل يتفانى باكل اللحوم . التريخينا اسلم عاقبة اذا أُكلت بعد طبخها من ابتلاعها حيَّة ولكن الابتعاد عن طعام كهذا أولى من اكله . يأكل الفار جثث الموتى من المتدافن فيعدي بالتريخينا وبعد موته يأكله الخنزير فينتقل المرض اليه ثم يأكل الانسان الخنزير ويأخذ جزاء قساوته العدوى منه وهكذا يأكل الآكل غيره وينتقل المرض من واحد الى آخر

✻ السل ✻ يرجح انتقال السل بلبن حيوان مسلول اكثر مما باكل لحمه ولكن ظهر جلياً بان اصابات عديدة حدثت من اكل لحوم حيوانات مسلولة . فالبقر والغنم والخنازير والطيور وغيرها من المواشي عرضة لمرض السل والوف من الحيوانات المسلولة تذبح وتؤكل سنوياً في المدن الكبيرة ولا سيما في القرى وكثيرًا ما اصيب آكلوها بالسل . واغلب انواعه الحادثة في ظروف كهذه تكون في الحلق والمعدة والامعاء وقد ثبت بالاختبار ان جراثيم المرض لا تموت بالتمليح والتدخين ونحوهما مما يستعمل اعتيادياً لحفظ اللحوم

✻ الحمى التيفويدية ✻ لم يقم دليل صريح حتى الآن على ان الحمى التيفويدية تنتقل باكل لحوم الحيوانات ذات الدم الحار لكنه عرف حديثاً ان البطلينوس (الاسماك الصدفية) هو الواسطة لانتقال المرض غالباً وقد تبرهن ذلك جلياً بانتشار الحمى المذكورة مرارًا في فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة وقد اظهر الفحص البكتيريولوجي ان جراثيم الحمى التيفويدية اذا وضعت بمياه فيها هذا الحيوان يأكلها حالاً وتبقى حيَّة نشيطة في قناته الهضمية ومعدته بضعة أسابيع . فكان الاولى بالانسان ان لا يأكل حيواناً قذرًا كهذا لكنه وا أسفاه لفساد شهوته قد انحط انحطاطاً عظيماً بامر معيشته وتمسك بعادات دنيئة للغاية مقلداً افذر الحيوانات حتى صار يتلذذ باكل افذر حيوان يجده في البحر — والبر قال احد الشعراء لا شك بان اول انسان كسر صدفة البطلينوس المطلية بالطين وخاطر بالقاء لحمها اللزج في فيه كان سقف حلقه مغطى بالنحاس أو الفولاذ » وقال الدكتور سيكرس من بونس ايرس سنة ١٨٩٥ «ان المرض الناتج عن اكل البطلينوس شائع جدًا بين سكان بلاد الفوجو حتى صار يخشى انقراض نسلهم » . وذكر غيره حوادث

حمى تيفوبدية كثيرة في نابولي ودبلين وغيرهما نتجت عن اكل الحيوانات المذكورة والمرجح ان هذه العادة الوحشية لم تبتديء الاَّ على اثر مجاعة عظيمة ندر فيها الطعام . قالت البرتش مدكال جورنال « منذ حقق الاطباء حدوث الحمى عن البطلينوس في السنين الاخيرة نقص اكل هذا الحيوان في انكلترا الى ثلث ما كان عليه اولاً حتى اضطر المتاجرون به ان يطلبوا من الحكومة تعيين مفتشين لفحصه » . ان جراثيم المرض المطبوخة قد لا تنقل الحمى ولكنها ليست طعاماً لذيذاً لا يمكن الاستغناء عنه . أليس الاولى بالانسان ان يترك هذا الحيوان يتمرغ بطين البحار في قعر الاوقيانوس ياكل جراثيم الامراض التي أتت بها المياه عاملاً لتنقية الاقذار كمفتش صحي بدون ان يكلفه ادنى نفقة ؟

☆ كوليرا الخنازير ☆ شوهد نوع من المرض يشبه كوليرا الخنازير يعدي الانسان ينتج عن استعمال شحم خنزير مريض . حقاً ان مشاركة الانسان والحيوان واكل الاول الثاني اسباب تقود طبيعياً لازدياد المرض في كليهما ولا توجد واسطة لاضعاف الجنس البشري أو لانقراضه كالواسطة التي اخترعتها الامم المتمدنة « اكل اللحم » اذ اصبح الانسان والحيوان عرضة دائماً للامراض متشابهة و باشتراكهما تسري الامراض من الواحد الى الآخر بالملاصقة أو العدوى وابتلاع الجثث الميتة في الانسان الذي يسعى باحوال معيشته الاصطناعية وراء الامراض القتالة كالسل والحمى التيفوبدية ونحوهما وبعد ان ينقلها الى الحيوانات التي يسكنها بجانبه يقوم فيذبحها و ياكل لحومها السقيمة

☆ نخر الاسنان ☆ ان سرعة انتشار نخر الاسنان وامراضها من اسباب انحطاط النسل وبرهان جليّ على نقص في البنية واساس كل حوول في الجسم — تلك حقيقة اثبتها البرهان فلا ينكرها الاَّ المكابر . والياف اللحوم التي تبقى بين الاسنان تفسد سريعاً وتولد جراثيم تنخر الاسنان فتتلفها وتسقط ثم تولد في المعدة والامعاء سموماً تمتص الى الدم فتضر بالجسم كله كما يأتي

☆ سموم قتالة ☆ بيَّن احد مشاهير كيماويي الالمان منذ سنين ان فساد المواد الحيوانية تصحبه دائماً سموم قتالة تعرف بالبتومايين والتوكسين واكثرها يميت ولو باصغر الجرعات . قيل ان بعض البرابرة يسممون سهامهم بوضع رؤوسها في الجثث الفاسدة . وتلامذة المدارس يخافونها كثيراً في اثناء التشريح وكذلك الجزارون يقاسون

الآلام المبرحة لجراح تصيبهم خطاء من آلات قطعوا بها اللحوم الميتة · وكثيراً ما يحفظ اللحم بنحو ثلاثة اشهر قبل عرضه للبيع ليصير رخصاً كما يحدث في اميركا أم العجائب بما يسمونه « لحم الميلاد » فليس حفظ اللحم بتلك الحال الا ليفسد حيث تفقد الانسجة العضلية مرونتها الطبيعية · وهكذا الطيور والارانب ونحوها ترسل للبيع قبل تنظيفها فيعتريها الفساد حالاً و يتقدم فيها باسرع مما لو كانت منظفة كما يظهر من رائحتها الكريهة وتلون بعضها باللون الاخضر المعلوم و بعضهم يتركونها بعد قتلها معلقة في الهواء حتى تقع رؤوسها عنها من شدة الفساد فيها ثم يأكلونها فلحوم كهذه يسهل اكلها وتنفتت قطعاً تحت الاسنان ولكن العاقل لا يحكم بلذتها ونفعها · ان الاسماك والبطلينوس تفسد بعد موتها باكثر سهولة من باقي الحيوانات ولذلك يكثر التسمم بها اكثر مما بغيرها وقد لا يشفى المصاب بها مهما برع الطبيب وتعددت العقاقير الفعالة · فهل من عجب اذا كانت المعدة التي تجعل مدفناً لاجسام الحيوانات الفاسدة المائتة منذ زمان ومعطاً للجراثيم النجسة المكروهة تصبح مركزاً للامراض والاسقام المعدية التي لا تحصى · اذا بقي الجسم البشري بغرفة مغلقة ليلة واحدة فسد هواؤها فصار من الضروري تطهيرها بادخال هواء نقي اليها ومع معرفة الانسان بذلك فهو يدخل الى بيته جثث الثيران والخنازير والحيوانات مهما كانت فاسدة فيحتفظ بها ثم يقدمها على مائدته طعاماً يلتهمه بكل مرور بعد ان يجتهد عبثاً بتغطية روائحها الكريهة بالبهارات والتوابل يغش ذوقه الطبيعي غير ملتفت الى فعل البتومايين والتوكسين السام الذي يكفي جزء واحد من ماية وستين منها لقتل ارنب · و يدعي بكل عظمة مثل كل محب للجيف بان الجراثيم السامة تموت مدة الطبخ فلا يعود لها تأثير ولكن هذا القول فاسد بالطبع · نعم ان الطبخ يقتل الجراثيم التي تنتج السموم اذا كانت درجة حرارته عالية لمدة معلومة ولكنه لا يقتل نفس السموم التي تولدت عنها · شاع التسمم باللحوم والاسماك المكبوسة اكثر مما بغيرها لانها تفسد بسرعة عظيمة وتولد سموماً قتالة بعد فتح علبها بساعات قليلة وقد ذكرت الجرائد حوادث كثيرة من هذا النوع تبحث عن اكل لحوم واسماك مكبوسة في علب من الصفيح فاغنتنا عن ذكر الشواهد العديدة · فليحذر محبو تلك اللحوم والاسماك واذا كان لابد من اكلها فالاولى لم اذا فتحوا علبة واكلوا بعضها ان لا يأكلوا سائرها · وقد اكثر الباحثون انه يتولد عن تلك اللحوم سموم كثيرة تميت حالاً لا يشعر بوجودها الا بعد فوات الفرصة حيث لا يوجد دليل يخبر بوجودها ولا بسميتها او يحذر الآكل لان رائحتها لا تتغير وطعمها يبقى كما كان

﴿ البول ﴾ اثبت الفسيولوجيون ان اكل اللحوم يزيد كمية البول وقال الكيماوي الالماني كهمان بان تلك الزيادة تحدث عن زيادة المواد السامة ولاسيما اليوريا التي اضطرت الكلى لافرازها اضطرارًا لان الكمية المفرزة منها في مدة ٢٤ ساعة بعد اكل الاطعمة النباتية هي ٣٤٦٫٥ قمحة ولكنها تزيد بعد اكل اللحوم الى ٨١٩٫٢ قمحة وبعد طعام من اللحوم الى ٥٠٠ قمحة وكذلك كمية حامض اليوريك فانها تزداد في ٢٤ ساعة من ١٠٫٧ قمحة الى ٢٢٫٢٤ قمحة وبما ان البول هو خلاصة الانسجة فظهور زيادة المواد السامة فيه برهان على امتلاء الجسم منها باللحوم الماكولة

﴿ النقرس او داء الملوك ﴾ ان تجمع نفاية المواد في الجسم بسبب الكسل او كثرة الاكل لمن اعظم اسباب المرض فلما يدخل لحم احد الحيوانات وما فيه من السموم والانسجة العديمة النفع الى جسم حيوان آخر تظهر نفس النتائج الحادثة عن عدم الرياضة ولذلك فاجتماع الجلوس الطويل مع المواظبة على اكل اللحوم سببٌ قوي للمرض . ان داء الملوك المعروف الذي نسب سابقًا لكثرة استعمال الاشربة الروحية في بلاد الانكليز قد ظهر مؤخرًا انه حادث عن كثرة اكل روستو (مقلي) لحم البقر حيث يشبع الدم بنفاية المواد الماخوذة من الحيوانات المائتة مع ما يكون منها داخل جسم الاكل فيتجمع حامض اليوريك وغيره من المواد في المفاصل وتظهر اعراض النقرس او داء المفاصل . قال الدكتور هايج وغيره من الذين درسوا فعل اللحوم ان داء النقرس والروماتزم والام الراس العصبية والصرع ومرض برَيت وبعض انواع الجنون وحوول خلايا الاعصاب وغيرها كلها امراض ناتجة عن اكل اللحوم

﴿ العجز والانحطاط ومرض برَيت ﴾ ان اكثار اهل المدن من اكل اللحوم أوجد جماعة من البشر اشباه العجزة صفر البشرة منحطي القوى ضئيلي الاجسام يتوالى عليهم الارق وآلام العصبية فتدركهم الشيخوخة قبل الاوان فيذهبون فريسة الروماتزم والصرع والملانخوليا وداء السكتة ونحوها لامتلاء أجسامهم بسموم اللحوم القتالة وقد قال الدكتور هايج وغيره من الاطباء بان مرض برَيت يزداد في البلدان المتمدنة زيادة فاحشة وهو اكثر شيوعاً مما يظن . ولما مات قيصر الروس اسكندر بهذا المرض حولت الجرائد الانظار اليه فالتجأ كثيرون ممن كانوا يظنون انفسهم اصحاء الى الاطباء لاستقصاء احوال صحتهم . قال احد اطباء باريس فحصت كثيرين من الروسيين فوجدت اربعة في المائة ممن ظنوا انفسهم اصحاء مصابين بمرض بريت ويستدل عليه بوجود الزلال في البول .

وقال الدكتور سايليه طبيب افرنسي في طعام المصابين بهذا المرض « الاولى بهم ان يمتنعوا عن استعمال مغلي اللحوم وكل عصاراتها وخلاصاتها لانها ليست الا محلول البتومايين القتال » وقال غيره ان الوفاة من المرضى بالحمى ماتوا لاكلهم مغلي اللحوم وخلاصاتها لانها والسموم المتولدة عنها في المعدة مهلكة لا محالة . ان الكرياتين والكرياتينين هما اكثر المواد وجوداً في الانسجة ومنهما في الاعصاب ثلاثة اواق او ثلث في المائة علاوة عن حامض اليوريك ومواد اخرى سامة كما بين بوشار فاذا ادخلت هذه السموم الى الجسم الانساني اضعفته كثيراً لانها تزيد ما فيه من السموم مما تكون في اجسام الحيوانات التي اكلها

✻ الفساد في المعدة والامعاء ✻ قلنا قبلاً ان المواد الحيوانية تفسد في المعدة والامعاء فتضر بالجسم كثيراً لولا قوة في العصير المعدي تضاد الفساد ولكن العصير المذكور يخسر قوته في بعض الامراض كتمدد المعدة وسرطانها والحميات فتغلب السموم على الجسم وتقتله ولذلك يمنع الاطباء من اصيب بتلك الامراض عن اكل اللحوم . الكبد والكلى يخرجان من الجسم بعض السموم المتولدة ولكنهما قد يضعفان لكثرة العمل فتظهر اعراض الحمى فيشاهد في البول رواسب حمراء او قرنفلية اللون ويكمد لون الجلد وبياض العين وتنتاب الجسم الامراض العصبية المؤلمة . وقال بوشار ان السم في مبرزات اكلة اللحوم ضعفا السم في مبرزات اكلة الاعشاب وبرهن ذلك بالتجربة على الحيوانات كالارانب ونحوها بالحقن تحت الجلد بمحلوليهما ثم اظهرت التجارب ايضاً ان الانسان اذا اكل طعاماً مركباً من اللحوم والنباتات صار برازه ساماً ضعفي سمه لو كان الطعام نباتياً فقط . وكذلك تبين ان انسجة اكلة اللحوم تحتوي على ضعفي المواد السامة الموجودة في اكلة النباتات وان عصير لحم الكلب فيه من المواد السامة ضعفي ما في عصير لحم البقر لان الحيوانات التي جربت بها تلك التجارب لم يقتض لاماتتها من عصير لحم الكلب الا نصف ما لزم من عصير لحم البقر . ويظهر من كل هذه الحقائق ان انسجة اكلة اللحوم مشبعة بالمواد البرازية كما يستدل من روائحها الكريهة فضلاً عن روائح برازها وبولها فتتضاعف بذلك سميتها غير ان الاطعمة النباتية تفعل بالعكس فانها تزيد نظافة الجسم لعظم مضادتها للفساد ولا سيما الاثمار وبالاخص غير الناضج منها فان فيه قوة عظيمة لمقاومة فعل الميكروب وان طعاماً من العنب والتفاح والخوخ ونحوها من الاثمار انسبها لذلك الغرض . اذا توقف عمل الكلى مات الشخص بعد ٤٨ ساعة لتجمع السموم التي كانت تخرجها الكلى وكذلك اذا

طلي الجسم بطلاء فتوقف عن افراز المواد السامة فانها تجمع فيه وتميته • اما توقف عمل الرئتين فيميت بدقائق قليلة ليس مباشرة بمنع الاوكسيجين عن الجسم بل بتجمع المواد السامة الموجودة في الجسم والنفس اذا ضعفت الرئتان عن اخراجها وتتضح درجة التسمم مما لاحظه الدكتور بريزانشر قال • ان احسن اصناف الشاي وخلاصات اللحوم جاءت بنتائج سامة جداً في اكلة اللحوم بعد استئصال الغدة الدرقية بخلاف ذلك في الجرذان والارنب اللذين هما من اكلة الحبوب والخضر • ومن ذلك يتبين ان من وظائف الغدة المذكورة قتل السموم التي تدخل الجسم او تتولد فيه • وأشار الدكتور طمسن بعد الاختبار سنين عديدة بوجوب منع اللحوم عن المرضى بالغدة المذكورة اذا كانت قواهم ضعيفة

(الاستعداد للمرض والعجز عن مقاومته) ان قسماً كبيراً من الامراض المزمنة والحادة تولد جراثيم خصوصية او سموماً حدثت من تلك الجراثيم • وكل الامراض الولفدة حادة كانت او مزمنة كالسل والجدري والحمى القرمزية والدفتيريا والكوليرا والحمى التيفويدية والطاعون تتولد عن ميكروب خصوصي • وقد ظهر جلياً بانها لا تقدر ان تؤثر في الجسم السليم لانه يتغلب عليها الا اذا تعدى النواميس الطبيعية بوسائط عديدة من أهمها اكل اللحوم فحينئذ تقع فريسة بين مخالب اعداء الصحة والحياة • لان اللحوم تضعف الانسجة فتفقد قوتها على قتل جراثيم الامراض او رد غاراتها • لا يراد بذلك ان الاطعمة النباتية تقي من الامراض التي ذكرت ولكن قد تأكد انها تخفف فعلها • فالجسم السليم يميت كل مكروب يدنو منه فضلاً عن ان الجلد السليم لا يقدر المكروب ان يدخله واذا دخله فالأغشية المخاطية للانف والبلعوم والرئتين والمعدة والامعاء تقتل تلك الجراثيم وخلايا الدم وكرياته والطحال تساعدها لو كان المكروب وحده اصل تلك البلايا ولكن قد مرّ معنا ان الامراض تحدث أيضاً عن سموم ولدتها تلك المكروبات في الجسم فجاءته بالامراض بعد امتصاصها وعنها تنتج الحرارة العالية في الحمى التيفويدية ونحوها • والسموم التي تتولد عن اكل اللحوم متى كثرت في الجسم تضعف قواه فيعجز عن مقاومة المرض وتجعل فيه ميلاً لقبول الامراض الكثيرة وتزيد في تولد سموم أخرى جديدة من نوعها وكلها تضعف الجسم يوماً فيوماً غير ان الاطعمة الطبيعية ولا سيما الاثمار وعصاراتها تقاوم المرض مقاومة عظيمة حتى قيل باستحالة الاصابة بالكوليرا لمن يقتاتون قانونياً بالنباتات والاثمار ويجتنبون اللحوم • وقال الدكتور كوخ إن حامض

الليمون بكميات صغيرة يقتل مكروب الكوليرا

يستشهد الاطباء بالهنود في مقاومة الامراض فانهم معرضون للكوليرا على الدوام لضعف الصحة في بلادهم وكثرة مناسبة الظروف للعدوى بها ولكنهم يقاومونها مقاومة لا توجد في بلاد أخرى فمع انها لا تنقطع من بينهم يندران تصير وباء اذا اعتني بالمريض كما يجب لان ثلثي اهل الهند براهمة تمنعهم ديانتهم منعاً تاماً عن اكل اللحوم • وقد شهد كثيرون انهم بامتناعهم عن اكل اللحوم بعدت عنهم الملاريا التي طالما هددت حياتهم • قال رئيس احدى مدارس المرسلين في سواحل ليبريا « بعد ان واقتصرنا على اكل الاطعمة النباتية نجا المعلمون والتلامذة من الحمى التي كانت تعتريهم غالباً وتمكن المعلمون من التوغل في داخلية البلاد للعمل بين الوطنيين مع انهم لم يكونوا يتجاسرون على ذلك قبلاً لانتشار الحمى المميتة بتلك الارجاء • زار الدكتور كالوك مكاناً في انديانا تكثر فيه الحميات فاخبره رجل بانه امتنع وعائلته عن اكل اللحوم قطعياً فاقتصروا على الاطعمة النباتية واقاموا في تلك البلاد اكثر من ثلاث سنوات فلم يصب احد من عائلته بالحمى وقد لاقت عائلات كثيرة بجواره الاهوال العظيمة • اذا كان الطعام لحماً اخذت المواد الاليومينية الموجودة في اللحم الحامض الهيدروكلوريك من عصير المعدة واتحدت معه اتحاداً كيماوياً فيضعف العصير عن هضم اللحم ولذلك فالزيادة من اللحم وان كانت تزيد في افراز الحامض الهيدروكلوريك فانها تفسد عمله وتقاوم فعله المضاد للفساد وهكذا يحدث في السل والكوليرا والسرطان وغيرها وقال جراح افرنسي بافريقيا مؤخراً ان الجنود الافرنسية اكثر عرضة للحمى التيفويدية بمائة ضعف من جنود العرب الوطنيين لان الاخيرين يقتاتون باطعمة بسيطة اقتصادية لا يدخلها لحم الخنزير وندر انهم يأكلون لحماً واثبت نانكي ان الوفاً من الذين تعطلت اكبادهم بالتدخين وشرب الشاي والقهوة واكل التوابل والاكثار من الاطعمة الدهنية وعادات أخرى بطالة مع عدم الرياضة يموتون سنوياً بالتسمم باللحم بمرض بريت وغيرهم بالروماتزم بعد مقاساتهم الآلام المرة وآخرون بداء المفاصل والآلام العصبية المختلفة بالتسمم المزمن باللحوم • قال القبطان سندرسن بعد اختبار ١٤ سنة بين الوحوش البرية في الهند « شاهدت عدداً عظيماً من الفيله والجاموس وغيرهما من اكلة النباتات أصيبت بجراح عديدة من رصاص الصيادين او من الوحوش الضارية وسلمت رغم ألوف من الذباب كانت تجتمع على قروحها وندران تنجو الاسد والنمر وغيرهما من اكلة الحيوانات من الموت ولو كانت جراحها خفيفة

الدسبيسيا — ان سبب منع اللحوم في الحميات وجود كمية قليلة جداً من الحامض الهيدروكلوريك او فقده على الاطلاق لان وجود الحامض المذكور ضروري لهضم اللحم ومضادة الفساد فاللحوم حينما تؤكل يكون الفساد قد تمكن فيها كما ظهر سابقاً ففي الهيبوبيسيا (احدى حالات الدسبيسيا شائعة جداً) قد لا يوجد حامض الهيدروكلوريك وان وجد فبكمية قليلة جداً لا تكفي لمقاومة عمل اللحم الفاسد . وهكذا في زكام المعدة وتمددها ونحو ذلك مما يحدث للمصابين بالدسبيسيا لا يمكن هضم اللحوم لكثرة السموم التي توجد فيها . غير ان كثيرين لسوء الحظ لا يفهمون هذا فيبتلعون كميات من اللحوم باشكال مختلفة ولكنهم لا يقدرون على هضمها فتفسد بالضرورة في المعدة والقولون وتولد امراضاً جديدة فضلاً عن الامراض الاولى

السرطان — قال فارنيل ورو « ان اكل لحوم الخنازير عامل عظيم للاصابة بالسرطان و يندر ان يصيب اليهود المتعبدين السالكين بموجب شريعة موسى في الاطعمة . وان حالة الدم الناتجة عن استعمال طعام غير صحي مهما كان نوعه ولا سيما لحوم الحيوانات العليلة هي تربة خصبة لنمو مكروب السرطان . وقد ظهر من التلقيح بصديده انه ينتقل من مكان الى آخر في جسم المصاب به ولا يؤثر بآخر غير مصاب وذلك يدل على ان جسم المصاب فيه الحالات المناسبة لانتشار المرض » قال الدكتور جاميسون « ازداد السرطان كثيراً في الخمسين سنة الاخيرة لازدياد اكل اللحوم واخصها لحوم البقر » وقال الدكتور برني يو « من جملة اضرار اكل اللحوم تولد الميل لانتشار السرطان وهي ايضاً سبب للاكزيما وامراض اخرى جلدية » واثبت ذلك الدكتور ترسك من ملاحظاته في الحيوان فانه لم يجد اثراً للسرطان بين ٣٠٠ من القردة مع كثرة وجوده في الانسان وغيره من اكلة اللحوم وقال طبيب آخر اختبر احوال العرب الذين يأكلون قليلاً من اللحوم ولا يذوقون لحم الخنزير انه لم يجد بينهم ولا حادثة من السرطان وكذلك قال آخرون مارسوا صناعتهم بين هنود المكسيك القدماء الذين لا يأكلون شيئاً غير الحبوب . وقال الدكتور روجر وليم في مجلة اللانست بتاريخ ٢٠ اغسطوس ١٨٩٨ ما ملخصه « لدينا ادلة كثيرة على ان اكل اللحوم الشائع في عصرنا الحاضر مضر جداً وقد ظهر من الاحصاء ان اكل اللحوم يزداد منذ سنين زيادة عظيمة حتى صار يصيب الشخص الواحد ماية وواحد وثلاثين رطلاً في السنة اي ضعفي ما كان يصيبه منذ خمسين سنة اذ كانت احوال المعيشة توافق المآكل اللذيذة الفاخرة ولكن لما اخذ الانسان المصاب بضعف انسجته ان

يأكل كميات كبيرة من الاطعمة المنبهة حدث تهييج قوي في أقسام جسمه الصحيحة القوية انتج السرطان وساعد على ذلك قلة الرياضة ونقص الغذاء النباتي . مات بالسرطان سنة ١٨٤٠ نحو ٢٫٧٩٠ نفساً بنسبة ١ — ٥٫٦٤٦ من السكان و ١ — ١٢٩ من الوفيات او ١٧٧ بالمليون . وفي سنة ١٨٩٦ بلغت الوفيات به ٢٣٫٥٢١ اي بنسبة ١ — ١٫٣٠٦ من السكان و ١ — ٢٢ بالنسبة الى الوفيات و٧٦٤ بالمليون ولذلك بلغ معدل الوفيات بالسرطان اربع مرات ونصف ما كان عليه منذ نصف قرن . وقال الدكتور سمث « كان معدل ما اكل من اللحم سنة ١٨٨٢ نحو ١١٠ ارطال لكل شخص اما الآن فهو بموجب تعديل الدكتور وليمس ١٣١ رطلاً اي بزيادة ٢١ رطلاً لكل شخص . ومع ان معدل الحياة في ايرلندا اعظم مما بانكلترا وعدد الاشخاص المعرضين للسرطان خصوصاً لسبب الشيخوخة اكثر فمعدل الموت بالسرطان فيها اقل مما بانكلترا وذلك لان ما ياكله الايرلندي باسبوع من اللحم اقل مما ياكله الانكليزي بيوم واحد . وليس انتشار اكل اللحوم مقتصراً على انكلترا فقط بل يتناول فرنسا وغيرها ولا سيما في المدن فانه اكثر مما في الارياف . كان معدل ما يؤكل من اللحم في فرنسا سنة ١٧٨٠ اقل من ٤٠ رطلاً للشخص الواحد فصار سنة ١٨٦٠ اي بعد ثمانين سنة ٦٢ رطلاً بزيادة خمسين في المائة وبعد ٢٣ سنة بلغت الزيادة ثلاثة اضعافها فصارت سنة ١٨٨٣ مائة وثمانين رطلاً وقد كانت الزيادة في انتشار السرطان واحدة في اماكن كثيرة وفي الذكور اكثر مما في الاناث لان الرجل ياكل من اللحوم اكثر مما تاكل المرأة . لا يصاب الانسان بالسرطان لاكله لحوم الحيوانات مباشرة ولكن اللحوم تفسد الدم وتشبع الانسجة بالسموم الحادثة فيها فتضعف قوتها وتنقص مقاومتها للامراض فيصبح الجسم فريسة للسرطان وكل الامراض التي تضعفه وقال الدكتور هايج « ان الاصابة بالسرطان تحدث بالتهييج الموضعي المزمن الذي يحدث عن وجود اليورات في الانسجة وقد اثبت ان تجمع اليورات يحدث عن اكل اللحم اكثر مما عن طعام آخر

اللحوم والجراحة قال باكه في كتابه « الجراحة العملية » ان زيادة معدل الوفيات على اثر العمليات الجراحية في المدن الكبيرة عنه في الارياف ينسب الى اكثار سكان تلك المدن من اكل اللحوم . واشار ديونيس جراح افرنسي منذ نحو مائتي سنة بالفصادة قبل مباشرة العمليات المهمة لاعتقاده ان دم اهالي باريس قد فسد من كثرة انواع الاطعمة المخترعة حديثاً ولان قوة الجسم على مقاومة المرض قد نقصت باكل اللحوم حيث امتلأت الانسجة بالمواد البرازية . وقال بوشار « الانسب ان تطهر الامعاء قبل العمليات الجراحية »

وقال لوقاس شامبيونيار « ان كثرة اليوريا عند النقاهة من العملية الجراحية غير مستحسنة وان اللحم مضرّ في تطهير الامعاء لان جزءًا منها يبقى في القولون مدة فيفسد فضلاً عن انه يزيد كمية اليوريا ثلاثة او اربعة اضعاف كميتها الطبيعية » وقال لورد برنسون « ان آكل اللحم الذي يموت تحت التخدير انما يميته البنومايين والتوكسين الموجود في جسده لان المخدر لا يؤثر الا بانقاص القوة المقاومة وافراز السموم » فكل هذه الحقائق تظهر اسباب منع اكل اللحوم وغيرها مما يزيد في المواد البرازية في الجسم و يولد البنومايين في القناة الهضمية اثناء العمليات الجراحية البطنية لان البنومايين تتولد في السوائل الموجودة داخل تجويف البربتون وهذه مع ما يتولد من البنومايين والتوكسين في الامعاء تمتص تفرزها الكلى . منع الدكتور كالوك اعطاء اللحم ومستحضراته في المستشفيات الموكولة لعنايته والى ذلك ينسب نجاحه في العمليات الجراحية الكبرى — اجرى ١٦٥ عملية فتح البطن لاستئصال اعضاء مريضة في داخله فنجحت كلها ونجحت ٢٣٢ عملية لم يحدث فيها صديد من ٢٣٣ عملية كبري . ومن ٣٦١ عملية لاستئصال زوائد مريضة من الداخل نجح ٣٥٨ غير انه لم ينسب الفضل بنجاحه لزيادة معرفته بل لمنعه العليل عن اكل اللحم قبل العملية و بعدها بضعة ايام

(الصرع او داء النقطة) استلفت الدكتور وارز طبيب احدى مستشفيات المجاذيب الانظار لتأثير اللحوم في المصابين بالصرع فبين جلياً بان اللحوم تزيد شقاء المصاب وقد تكون سبباً للمرض . وقال الدكتور هايج ان نوبات الصرع تحدث عن زيادة حامض اليوريك في الدم وض.ره في الدورة الدموية وان الامتناع عن اكل اللحوم وشرب الشاي وغيره من الاشربة المنبهة والتي تحتوي على العناصر السامة المشابهة لما يوجد في الدم لمن اعظم الاسباب لايقاف نوبات الصرع . وقال الدكتور ماك جوجان طبيب المجاذيب في احد مستشفيات اميركا « وجدت بالامتحان ان عدد نوبات الصرع الحادثة بوقت معين تحت ظروف معينة كان ينقص الى نصفه باكل الاطعمة النباتية والامتناع عن اللحوم » وقال الدكتور بلكلي « ان اللحوم تسبب امراضاً جلدية كالاكزيما وخلافها »

والخلاصة من كل ما مر ان البكتيريولوجيين تأكدوا جيداً بان عصير اللحوم اخصب مرعى لجراثيم الامراض وان باشلس التيفويد والكوليرا ومكروبات الامراض الاخرى العديدة تنمو بكثرة في مغلي اللحوم ولكنها لا تنمو بعصارات الاثمار والحبوب والنباتات لان الحوامض النباتية تميتها . ولذلك فالاطعمة النباتية ولا سيما الاثمار ذات نفع

عظيم في الامراض الوافدة والحميات والاولى استعمال عصيرها عوضاً عن اللحوم ومستحضراتها السامة المضرة كما رايت مفصلاً

سر الزواج

بحث طبيعي اجتماعي

اذا جمعت في ذهنك كل سنن العمران رأيت لسنة الزواج المقام الاول بين تلك السنن وان الزواج نفسه اساس العمران فاذا تزعزع هذا الاساس تهدمت دعائم العمران واصبح الانسان بلا هيئة اجتماعية وبالتالي بلا نظام ولا سياسة وعاد الجنس البشري الى البهيمية

وما اصح ان يلقب الزواج بسرّ لان هذا الامر المعنوي ذو قوة فائقة في تأييد الشرائع العمرانية وتمشية الناس عليها فجميع الملل النصرانية اتفقت على تسميته بالسر وسائر الملل الاخرى تفهم فيه نفس معنى السر وانما كانوا يصفونه بأوصاف أخرى لان تلك الاوصاف تردّ بحكم العقل الى معنى السر ايضاً • ومؤدى هذه اللفظة في هذا المقام هو القوة الخفية التي يرتبط بها الزوجان ارتباطاً متيناً ويتحدان بها حتى يصيرا جسداً واحداً • ولا قبل لك على ادراك هذه القوة او مفاعيلها بالحواس الظاهرة ولا تستطيع فهم ماهيتها ولكنك تدرك بالوجدان ان الزوجين لايستطيعان الانفصال ولا طاقة لهما به • ولو كانت سنة الزواج من اوضاع البشر لما كانت لها هذه القوة وبالتالي لم تكن سرًّا

فالزواج سرّ لايستطيع قاضٍ أو وليّ امرٍ او كاهن مستبد ان يحله كما انه لايتوقف على عقده وانما يترتب على تجاذب روحي الزوجين وما هو الا اتحاد بين النفوس كالاتحاد الكيمي بين عناصر الهيولى • وما زواج زيد وهند الا كاتحاد الاوكسيجين بالهيدروجين بحيث يصيران مادة واحدة هي الماء • ولم يصب من قال ان امتزاج جميل بحسناء كامتزاج الصهباء بالماء لان فصل الممتزجين أسهل جدًّا من حل المتحدين ولان المزج لايغير طبيعة الممزوجين كما يغير الاتحاد طبيعة المتحدين ويوحدهما • فترى ان الاتحاد الذي غير طبيعتي الاوكسيجين والهيدروجين وهما غازان لا طعم لهما ولا لون ولا رائحة الاول يساعد على الاحراق والآخر قابل الاحتراق — الى ماء وهو سائل لا لون له ولا طعم ولا

رائحة ولا يحرق او يحترق — هو سرّ كيمي عجيب لا يدرك كيفيته عقل ولا يستطيع تصور حالته وجدان . وترى ايضاً ان المزج ليس الا تداخل دقائق المواد بعضها ببعض بحيث لا يغير شيئاً من طبيعتها فالصهباء في الماء تبقى صهباء والماء يبقى معها ماء وانما قد اختلط هذا بذاك من غير اتحاد

ولكي يكون الزواج سرّاً يجب ان يكون اتحاداً بالمعنى الذي سبق شرحه لا مزجاً كما تقدم في معنى المزج . ولا بد للاتحاد من واسطة تتم بها فلا يكفي ان يقترب العنصران احدهما من الآخر لان اقترابهما ليس الا مزجاً فقط ففي الهواء يختلط الاوكسيجين بالهيدروجين ومع ذلك لا يتحدان فواسطة الاتحاد بينهما هي الحرارة فاذا حمي الهيدروجين كثيراً وكان الاوكسيجين ملابساً له اتحد به . وكذلك لا يتحد الزوجان الا بحرارة الحب وبلا هذه الحرارة يكون زواجهما مزجاً لا اتحاداً . وحاصل ما تقدم ان الزواج بلا حب لا يكون سرّاً حقيقياً اي ليست فيه قوة الاتحاد ولله درّ نقولا افندي رزق الله حيث قال :

وكل زواج بغير الهوى كبيت يشاد بلا قاعدة

من او ماذا ينشئ الحب بين القرينين ? ذلك امر لا قبل لاحد بالجواب عليه جواباً لا سؤال بعده سوى ان الله وضع هذه السنة ونوع بواعث الحب بين الاثنين تنوع البشر في اخلاقهم وامزجتهم فيد الخالق هي التي تنشئ هذه القوة ولذلك اعتبر هذا السر مقدساً

قلنا ان الزواج الحقيقي هو اتحاد وان الاتحاد يوحد ايضاً طبائع الزوجين كأن يجعلهما شخصاً واحداً فما يريده الواحد يريده الآخر وما يفعله الواحد يقصد به خير الاثنين معاً بل هو أعظم من ذلك ان هذا الاتحاد يجعلهما متكافئين يكتفي كلٌّ منهما بالآخر وينتفي من كل منهما كل مطمع بآخر غيرهما . ومعنى ذلك ان الزواج الحقيقي يستلزم العفاف والامانة التامة والرضا الكامل . فاذا جنح احد الزوجين عن محجة الاتحاد المشار اليه واتصل بآخر غير زوجه انحل ذلك الاتحاد واصبح الزواج مزيجاً فقط وفي المزيج تتخالف طبائع العناصر الممتزجة كما تقدم بيانه ومتى تخالفت طبائع الزوجين سهل عليك ان تدرك نتيجة امتزاجهما الوخيمة — نتيجة ذلك الامتزاج على اختلافهما في المقاصد والافعال خراب هائل لذلك البيت — فقد السرّ فزال الاساس فتقوضت أعمدة البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً — خصام متواصل . كدر دائم . عيش متنغص — قام البغض مقام الحب . ابتغي الشر بدل الخير . ساد القلق دون الاطمئنان

انشأ الخوف في مكان الأمن اضمحل الغنى وترعرع الفقر • أفلت شمس السعادة وهجم ليل التعاسة • وردَّ على صدر الهنا عجز الشقاء • ومحي ويل الاخرة راحة الاولة — هي نتائج انحلال الاتحاد بالخيانة والرجاسة

فليس كل ذكر وأنثى تحت سقف واحد بزوجين ولا كل عقد نكاح او اكليل قران يعد زواجاً • فكثيرون من الناس الذين نخالهم ازواجاً ليسو ازواجاً حقيقين لان زواجهم ليس اتحاداً بل مزيجاً وليس عقـد القاضي او اكليل الكاهن الأ ليقيدهما وهما متدافعين لاجاذبيـة بينهما و يربطهما وهما متضادان لا الفة بينهما • وان قلت لي ما ذنب الكاهن او القاضي الشرعي ما دام الزوجان قد تراضيا امامه واتفقا على الزواج ثم اختلفا اقول لاذنب لعاقد الزواج وقد لا يكون الذنب لأحد بل للأقدار لان الزواج معاهدة على امر مستقبل وليس المستقبل للانسان • ولكن لا بد من وجوه للملامة فان الزوجين او اولياء امرهما ملومون لعدم التبصر في وجه التناسب بين الزوجين بحيث يضمن دوام اتحادهما على تمادي المستقبل واليك اسباب انفصام ذلك الاتحاد

اولاً : عدم التناسب في السن : يمرح الشاب في ساحة العزوبة بين القصف واللهو عامياً عن مقتضيات المستقبل ضارباً صفحاً عن فضائل الزواج مطلقاً لعنفوان الشبيبة مضيعاً جناها في بحار الفساد فلا يكاد يدرك سن الكهولة الا وقد أدرك الحاجة الى الزواج واكل الاصابع ندماً على الماضي فيهتم بانتقاء عروس يزين بها بيته ويحلي بها ما عطله فساده • واذ تكون فيه بقية من مطامع الشبيبة يتخير فتاة في غضاضة الشباب ومنتهى نضارة الجمال كهل في الخمسين من العمر يتزوج حسناء في العشرين مغترة بابهة مظاهره وزهو مخبره وعما قليل يبيض شيب الشيخوخة ناصيتهُ فتنظر اليه زوجته وهي في شرخ شبابها نظرة الولد الى الوالد فيكبر عليها ان تكون زوجة له ويعز عليها ان يحسبها الناس وهي عن يمينه آنسة وهي لاترى نفسها الا عقيلة — أفلا تحرق قلبها الحسرة وتشرق مقلتاها بالعبرة ؟ أو لاتحول ذلك الاتحاد الى امتزاج ؟ او لايصوّر لها الوهم انها معـذورة بالعدول عن محجة الامانة ؟ اولا تتنغص اذ ترى اترابها يتمتعن بشبيبة ازواجهن وتحترق بلهيب شيبة رجلها ؟ —

هذه هي النتيجة الغالبة في مثل تلك الحال وبالاستقراء نجد ان اللواتي يكبحن جماح اميالهن ويعصمهن حسن التربية عن فساد الهوى لا يتجاوزن العشرة بالمئة فمن يلام على هذه الشرور ؟ الولدان اولاً والزوج ثانياً والزوجة ثالثاً وهذه قلما تلام اذ يندر

ان يعميها الهوى في مثل هذه الحال وقلما ترغب في مثل هذا الزواج الاَّ انصياعاً لنصائح ابويها واقتضاء لمصلحتها لا تلبية لداعي الحب

بيت يضم كهلاً وذات خدر في مقتبل العمر واطفالاً يكفلهم الدهر وعشيقاً يزين لهُ الهوى جميل المذر — ألا تحسبهُ دار شقاء تصيب سهم الآلام فيها كل مقيم تحت ذلك السقف ؟

ثانياً : ان يكون الزواج لمطمع في مال او جاه او نحوها فانه يغلب أن لايكون مؤسساً على قاعدة الحب فيخلو من الاتحاد الزوجي . فقد شوهد كثيرًا ان يسعى بعض الشبان في القران بفتاةٍ طمعاً بميراثها او بما يمنحها ابواها من الدوطة حتى اذا صارت حليلته رأت ان لها كل الحق بالبذرقة في سبيل تبرجها واتقان جمالها وروحها ودلالها وهي ترى انها اذا انفقت فمن مالها وهو يرى اذ ذاك انه لم ينتفع بالمال كما انتظر ولا يلبث ان لايرى لذلك المال عيناً او اثرًا . ومتى زال السبب الذي لاجله عقد الزواج زال رباطه ايضاً وانحل عقده فهو يطلق لنفسه الهوى قصد النكاية وهي تنتحل فساده عذرًا لها على فسادها من باب مجازاة المثل بالمثل

ولعمر الحق ان الشاب الذي لا تضبط يده في ابان شبابه نفقة قرانه ولا يمهد في ايام عزوبته سبيلاً الى حسن مستقبله أنظنه اهلاً لان يتمتع بفتاة ذات كمال ومالٍ ؟ وهل نحسبه يريد بزواجهِ ذات الدوطة ان يسير على سنن الزواج الحقيقي ؟ ان من يقصد هذا القصد نادر فحتى مَ يغتر الفتيات والى مَ يغترون بظاهرة الشبان ؟ والى مَ يتعامون عن المبادئ والفضائل و يعبأون باعراض الابهة والجاه الباطل

ثالثاً : عدم التناسب في الاخلاق والعادات — ليس كل زواج دعى اليه الغرام يكون صالحاً لانه كثيرًا ما يكون ذلك الغرام ثورة وقتية تخمد سريعاً اذ يولع العروسان احدهما بالآخر انفعالاً بجمالها الخارجي ومظاهرها العرضية فيعميان عن الجمال الداخلي وعن محاسن الاخلاق الباطنة حتى اذا جمعهما الزواج وخمدت تلك الثورة ليعود الحب الى درجة اعتدالهِ ظهر التباين بينهما في الاخلاق والعادات فينقلب ذلك الحب الى كره وتنفصم عرى الاتحاد . واذ ذاك يسهل لكل من الزوجين ان يجيز لنفسه كل منكر الاَّ من يعصمهُ ادب النفس و ينزهه العفاف . وكون كل من الزوجين ذا مبادئ حسنة لا ينفي تباينهما في الاخلاق ولذلك لا ينجوان من المنافرة اذا نجيا من الفساد والخيانة وكفى ان تكون المنافرة بينهما سبباً لشقائهما . فلذلك يحظر ان يكون الزواج مؤسساً على قاعدة الغرام فقط لان

هذه القاعدة قد تكون واهنة احياناً كما تقدم فيجب ان تقوى باسنادات اخرى كأن يلتفت في عقد الزواج الى حسن مصلحة الزوجين ايضاً . فعليهما ان يترويا في حبهما و يريا وجوه المناسبة بينهما فقلما يبارك زواجهما اذا اختلفا في اسلوب التربية او درجة الجاه او مزية العلم او مقدار الغنى او حالة المزاج والطبع الى غير ذلك من احوال الناس العامة . فالعالمة اذا تزوّجت الجاهل احتقرته والغنية اذا تزوّجت الفقير سادته والوجيهة اذا تزوّجت بالوضيع شمخت عليه وكذلك العكس ولا يخفى مافي هذه الاحوال من النكد للزوجين

رابعاً : سوء التربية — اذا لم يكن لانتفاء الامانة بين الزوجين احد الاسباب السابقة فسوء تربية احدهما كافٍ لذلك . اذا اطلق العنان للفتاة وهي في بيت ابيها واطاعت اوامر هواها وذاقت الحلو والمرّ في عشرة الشبان وغيرهم وخبرت الظاهر والخفي فهل يؤمن فسادها وهي ربة بيت ذات امر ونهي وقول وفعل ؟ الارجح كلاً — واذا لم يكبح جماح الشاب وهو في ابان ترعرعهِ وفي قمة عنفوانهِ بل تطوح في مجال هواه وتمادى في سبيل الغواية حتى تملك فيه الفساد فاذا صار زوجاً فهل تظنه يدوم مخلص النية ؟ هيهات . فاذا كان الامر كذلك فكم هو واجب ان ينظر في انتخاب العروسين الى المبادي، وان يُراجع تاريخ التربية جيدًا ؟ بل كم هو واجب ان تبذل كل العناية في تهذيب الشبان والشابات لكي يجنوا ثمار التهذيب وهم ازواج في مقام مربين ومربيات . تلك هي اسباب الخيانة بين الزوجين ونقيضها يكفل الامانة بينهما فما على المقبل على الزواج الآن ان يتدبر هذه الاقوال و يزنها بميزان عقلهِ وعلمهِ عساه ان يوجب على نفسهِ التروي قبل الاقدام الى هذا الامر الخطير لئلاّ تطيش سهمه فيندم ولات ساعة مندم (متزوج)

مات ثم عاش

قال وكيل جريدة ثمرات الفنون في صيدا ما نصهُ :

« نطرفكم بحديث ليس غريباً في بابه ولكنه كثير الوقوع والناس في غفلة عنه وذلك ان رجلاً اسمه عمر الزعتري اعتراه مرض اقعده في الفراش ردحاً من الزمن ففي ليلة السبت الماضي لم يشعر به اهلوه الا والحياة قد فارقته فبقي جثة لا حراك بها ونظراً لحدوث هذا الحادث في الليل تربصوا الى الصباح لتدارك مايلزم من التجهيز والدفن حتى اذا أرادوا غسله في الساعة ٣ واذا بصاحبنا قام يطلب حليباً كأنه تجالد مع الموت تسع ساعات ولكنه ظفر عليه فركض آيباً الى الدنيا »

الافلاس واسبابه

من خطبة القاها نجيب افندي شوشاني في منتدى الكلية الاميركية ببيروت

ان اخلاف المديون القيام بمواثيقه يعدُّ في كل حال فعـلاً منكرًا جسيماً اذ يكون قد خدع دائنيه بعد الانتظار وعثرات الآمال ليست بسهلة وسلبهم اموالهم وهم في مضاجعهم مطمئنون والمـال بمقام الروح او اعز منها — و يزداد هـذا الفعل جسامةً عند ما يكون المديون تاجرًا لان علاقات التـاجر اوسع نطاقًا واخطر شأنًا من عـلاقات كل فرد سواه ولذلك فان اخلافه القيام بمواثيقه مهما يكن سـببه ونوعه يلحق من طبيعته الضرر بكثيرين وقد يسبب العجز لدائنيه انفسهم ولدائنيهم معهم الى آخر ما يتصل به سلك هذه الديون

ولمـا كان ركن التجارة قائماً في الخصوص على الثقة الشخصية المتبادلة بين التجّار وكان ارتكاب التاجر المديون لهذا الفعل يعتبر شرًا من اخلاف في القول رأى المشترعون وجوب التحقيق عن اسبابه والنظر فيما اذا كان واقعاً بحكم القـدر أو آتياً عن تقصير أو احتيال . وقد قسم المشترعون هـذا الفعل في اكثر الممالك من حيث الاعتبارات المتقدمة الى اربعة انواع (١) الافلاس على اطلاقه (٢) الافلاس التقصيري (٣) الافلاس الاحتيالي — اما الرابع فهو المعروف بالتصفية النظامية ولم يدخل بعد نظاماتنا التجارية فاضرب صفحاً عنه

ولا بأس من ان اعرف الافلاس تعريفاً لفظياً متحاشياً في كل حال ملل السامعين . فالافلاس لغةً مصدر افلس . نقول افلس الرجل اي صار ذا فلوس بعد ان كان ذا دراهم «ومعلوم ان الدرهم هو القطعة المضروبة من الفضة والفلس من نحاس» ونقول افلس الرجل اي صار بحيث يقال ليس معه فلس وفلّس القاضي فلانا اذا حكم بافلاسه ونادى عليه وشهره بين الناس فانه صار مفلساً

فالنوع الاول — أي الافلاس على اطلاقه — ينطبق بغض الطرف عن التصفية النظامية على كل حالات الافلاس اذا نُظر فيه فقط الى الصوالح الخاصة وثبت ان المفلس صاحب ذمة وقد اضطرته خسارته ونكباته الى الوقوع في الافلاس وهذا لا يعاقب القانون عليه بالسجن . و ينطبق النوع الثاني اي الافلاس التقصيري . على التاجر الذي ارتكب تفريطًا او تقصيرًا في تجارته ويعاقبه القانون بعقوبات الجنحة ويكون سجنه من شهر الى سنتين . واما الثالث اي الافلاس الاحتيالي فيتناول التاجر الذي ارتكب في اعماله الغش والاحتيال و يعاقبه القانون بعقوبات الجناية ويحكم بتشهيره وسجنه في الاشغال الشاقة

والحديد في رجليه من ثلاث سنوات الى خمس عشرة سنة

وقد بيَّن القانون في مواضعه احوال هذه الانواع من الافلاسات وقضى بنفس العقوبات على المشاركين للمفلس في الاحتيال واسقط المفلسين من حقوقهم المدنية وحكم بتوقيفهم في السجن حال اعلان افلاسهم و بحجرهم وتعيين وكلاء لهم ومنعهم من التصرف بشيء من موجوداتهم وعلى الجملة اعتبرهم وهم مفلسون امواتاً بصورة احياء · وقد سنَّ المشترعون في كل عصر ومصر بحق المفلسين نظامات وشرائع وان اختلفت شكلاً الاَّ انها ترمي باجمعها الى غرضين طبيعيين هما الانتصاف للدائن ومعاقبة المفلس · وكان المتقدمون من المشترعين لا يفرقون بين المديون المفلس التاجر وغير التاجر بل كانت الاحكام تنفذ عندهم على المديونين المفلسين بالسواء فكان الحاكم يعزّر المديون المفلس مع قضائه عليه بالسجن فيوبخه في مجلسه بحضور جمع كبير من الخلق و يصب على رأسه من الفاظ الاهانات مالا تحتمله الصخور ويحكم بضربه وتشهيره فيعلق على صدره لوح مكتوب عليه الحكم الصادر عليه ويطاف به في الاسواق والشوارع ماشياً على قدميه او راكباً على حمار اعلاناً للناس عن حاله · ولا يزال التشهير يحكم به الى اليوم مع بعض تعديل فيه على ما سبقت الاشارة اليه وكان الحاكم ايام الاتجار بالرقيق يحكم ببيع المديون المفلس ويوزع ثمنه على ارباب دينه ولا يبقى له في كل حال الا الثياب التي عليه

اما الرومان ففضلاً عن ان شريعتهم كانت تخولهم حق استعباد المديون المفلس فقد اجازت للدائنين قتله وتقطيع بدنه إرباً إرباً واقتسامها فيما بينهم تشفياً وانتقاماً وكان اكتفاء الدائنين باستعباد مديونهم يتصرفون به بيعاً وشراءً يعتبر عندهم عمل رحمة ورأفة غير انهم افرطوا كثيراً باستعمال هذه السلطة فثارت بسببها الفتن الاهلية واضطر المشترعون الى تعديل النظامات وتلطيفها تدريجاً

وسرت شرائع الرومان في معاملة المفلسين الى غالب الشعوب المعاصرة لهم والمتخلفة عنهم واكثر من اهتم في ذلك الطليان فانهم قرروا قواعد الافلاس وحسنوها تحسيناً بيناً وأول ما بدىء باجراء المعاملات الافلاسية على ما نراه اليوم كتأليف وكلاء للافلاس (اي سنديك) وبيع موجودات المفلس لصالح مجموع الديون وغير هذا من الاصول الافلاسية فقد بدىء به في المدن الايطالية كجنوى وفلورنسه وميلان وفينيسيا وسواها ومنذ ذلك العهد حصل التفريق بين المديون التاجر وغير التاجر وبين من يفلس قضاءً و يفلس تقصيراً او احتيالاً

وقد لبث المفلسون عند اكثر الشعوب يعاقبون بقسوة وصرامة فكان يحكم بالاعدام على المحتالين منهم وبعقوبات السرقة واللصوصية على غير المحتالين وكان ملوك انكلترا وفرنسا على الخصوص اشدّ الحكام هولاً على هذه الفئة من المجرمين وبلغ من خطارة ذلك لديهم ان اهتم الملك هنري الثاني نفسه بمحاكمتهم غير مكتفٍ بالمجالس العادية فألف سنة ١٥٨٢ مجلساً ملكياً من خاصة مستشاريه فوض اليه الحكم باشد المجازاة على من يرتكب في عصره الافلاس • ولا تزال الامة الصينية تحكم حتى اليوم بالشنق على المفلسين المحتالين وعلى مستخدميهم معهم اذا لم يخبروا الحكومة بعجز المحل في حينه • وقد مرّ اكثر من ست مئة سنة ولم تقع عندهم افلاسات احتيالية

تبين مما تقدم بوجه الايجاز والاجمال ماهو الافلاس نظاماً وكون النظامات كانت ولا تزال تقضي على مرتكبيه بالعقوبات الشديدة • فلنبحث الآن في الاسباب التي توصل التاجر الى ارتكاب هذا الفعل وما هي الاضرار التي تنجم عنه للبلاد • ولما كان الافلاس الذي يثبت انه مسبب عن الخسائر والنكبات على ما سبقت الاشارة اليه لا يحتاج الى مزيد بيان فانني اقتصر في الكلام على الاسباب الموصلة التجار عندنا الى الافلاسين التقصيري والاحتيالي وما يجلبانه من المضار وهما الغرض الاهم من بحثنا الحاضر

(١) فاول تلك الاسباب « عدم كفاية رأس المال » وهذا ولا ريب مدرجة لافلاس التاجر في كل حال • لان التاجر بدون رأس مال كاف كالطائر المنتوف الجناحين اذا تمكن من الاسفاف قليلاً لا يلبث ان يسقط الى الحضيض • وان هي الا تجارة مفلس من قبل ان يتاجر يبدأ بوفاء الدين بالدين وينتهي بتمزيق صوفته

كناقبةٍ لحلي مستعار لاذنيها فشانهما الثقوب
فأدت حلي جارتها اليها وقد بقيت باذنيها ندوب

والغريب ان الكثيرين منا قد تجاوزوا هذا الحد فنصبوا انفسهم تجاراً وهم لايملكون من رؤوس الاموال شيئاً فاغتر بهم الكثيرون وتوغلوا معهم في المعاملات وكانت عاقبة ذلك وخيمة على الفريقين • على اننا ما دمنا لا نفهم روح تأليف الشركات او اذا استطعنا تأليف شركة سرق احدنا الآخر فرؤوس الاموال تظل عندنا قليلة بل بحكم العدم

(٢) ومن هذه الاسباب « عدم خبرة التاجر » كان يأخذ في الاشتغال بالحرير وهو لا يعرف من هذه التجارة الا مقدار ما يستطيع الجمل غزل الحرير او ان يمد يده الى غير تجارته التي خبرها طويلا وذاق حلوها ومرّها كان يكون صيدليا مثلا فيتجر

بالبطيخ او يكون تاجر بطيخ فيريد الاشتغال بالعقاقير وكنا نعرف حكاية الغراب والحجل اذ اضاع ذاك مشيته الاصلية وبقي لايدري كيف ينقل رجليه فاختلت ميزانيته

(٣) ومن ذلك « نقص الذمة والشرف في التاجر » وهذا لعمر الحق جريمة لا تغتفر ونقيصة يحزنني القول بكونها سرت كالعدوى بين البعض من تجارنا فضعفت الثقة بهم وقد زالت الامنية التجارية عنهم · ومن البين الواضح الذي لا يحتاج الى برهان كون الذمة والشرف في المعاملات التجارية من اهم اركان التجارة ومما لا قوام لها بدونه فوجب والحالة هذه على كل تاجر ان يحرص عليهما اشد الحرص ويصونهما نقيين سالمين من كل دنس · ولعمري هل يوجد شيء اعذب على قلب التاجر الشريف من ان يكون معروفاً بالصدق في المعاملات وان يملك لنفسه راحة الضمير ؟ بل هل يوجد احط شأناً واسفل رتبة من التاجر الناقص الذمة والشرف ؟

(٤) ومن تلك الاسباب « تطاول التاجر الى ما يفوق طور مقدرته » ومثله في ذلك مثل الضفدع التي ارادت محاكاة الجاموس فانشقت انتفاخاً · وهذه الخلة مستحكمة لسوء الحظ في الكثيرين من تجارنا فانك تجد الواحد منهم يتطاول الى الاشغال الكبيرة المتشعبة الاطراف وهو عارف من نفسه العجز عن النهوض بفرع واحد منها قاصداً بذلك مجاراة غيره من التجار طيشاً وحمقاً طامعاً بنيل الثروة دفعةً واحدة وقد برح عن باله ان صعود السلم يكون درجة درجة وان الهبوط بقدر الصعود وطالما شاهدنا من امثال هؤلاء التجار من حلّق دقيقة في أفق التجارة فعجز عن الثبات وسقط شرّ سقطة

(٥) ومن ذلك « الاسراف والبذخ » وهما امران طالما سببا الافلاس عندنا فان التاجر الذي يكون ربحه خمسين الفاً مثلاً في السنة ينفق الثمانين والتسعين الفاً جزافاً في سبيل زيادة التأنق بمآكله ومشاربه وملابسه وسائر ملذاته مع انه لو تدبر الامر وعقل لاقتنع بانفاق ما دون ارباحه واطراح هذه الفضوليات مكاناً قصياً ومعلوم ان من القواعد الاقتصادية الاساسية المتبعة بين الشعوب المستنيرة الراقية ان على المرء ان ينفق اقل من دخله ويدّخر في كل يوم منه وهذا المبدأ القويم هو الذي جعل الشعب الفرنساوي على الخصوص ان يكون شعباً غنياً · وقد يهزأ الكثيرون منا بالتاجر المقتصد فخير لكل التجار في اعتقادي ان يكونوا بخلاء (والبخل مذمة) ولا يبدّدون اموالهم واموال الناس معهم في الاسراف والبذخ قال الشاعر

لا تلم المرءَ على بخلهِ · ولمهُ ان جادَ على بذله

لا لوم في البخل على عاقل   يكرمُ ما يكرَمُ من اجلهِ

وقول الآخر

لحفظُ المال خيرٌ من عطاه   وسعي في البلاد بغير زادِ
واصلاح القليل يزيدُ فيه   ولا يبقى الكثير مع الفساد

فانفقوا من طيبات ما كسبتم ولا تبذّروا تبذيراً ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

(٦) ومن هذه الاسباب « القمار والبورص » وما اجتمع الداآن الاَّ ليقتلا · على ان واحداً منهما كاف لتقويض اركان اكبر محل تجاري وشهداء هذين الداءين اكثر من ان يدخلوا تحت احصاء واكبر عبرة لمن يعتبر ولا يغرنكم ما ترونه في بعض الاحيان من اثراء البعض عن هذين الطريقين فان ذلك ظلٌّ زائل وفاتحة شرّ لأسوء العواقب · ولست في حاجة الآن الى الوقوف طويلاً ازاء هذين السببين لتبيان ما يحدث عنهما من الخطوب الهائلة والمصائب الفادحة فان المشاهد المحزنة الفظيعة التي يمثلها لنا في كل يوم اشخاص حقيقيون معروفون تدوي باعمالهم البلاد لافصح من كل بيان وفي اعتقادي ان التاجر العاكف على لعب القمار والمولع بالاشتغال في البورص هو في حالة الافلاس المستمر لان تجارته معرضة في كل ساعة للتلف والضياع وتعسٌ هو التاجر الذي تستحكم فيه احدى هاتين الخلتين فان تجارته ولا ريب صائرة الى الخسران وعاقبة سعيه مشؤومة عليه · · ·

(٧) وهنالك اسباب اخر كثيرة كاهمال التاجر تجارته وتسليم زمام اشغاله لاناس جاهلين خائنين واتخاذه من المستخدمين ارخصهم راتباً (واقلهم بركة) وتقطيره على مستخدميه الى درجة تزهق الارواح ورؤية جماعة التجار تجاراً مثلهم يفلسون في كل يوم ويبقون على ما يشتهونه من كرامة الجانب ورخاء العيش بل قد يكونون فقراء فيصبحون اغنياء وقد ربحوا من افلاساتهم هذه اكثر ممـا كانوا يأملون ان يربحوه لو استمروا سحابة العمر يتجرون ويشقون وينظر المفلس المختلس الى فعله هذا نظر مجد الملك حيث قال :

هي شدةٌ يأتي الرخاء عقيبها   وأسىً يبشر بالسرور العاجل
واذا نظرت فان بؤساً زائلاً   للمرء خيرٌ من نعيم زائل

وعلى الجملة قد صار الافلاس اليوم وياللاسف ضرباً من التجارة الرابحة وقد تفاقم هذا الداء واستفحل امره فاصبح من الزم الواجبات محاربته واستئصال شأفته · — رُوي ان اسكافاً رأى جيرانه من التجار يفلسون ويؤدي الواحد منهم مئة خمسين فانخرط معهم واقفل دكانه ورفع راية افلاسه فجاءه احد زبائنه وكان قد اودعه حذاء ليصلحه فوجد

الحال على ما وصفنا وبعد قرعه الباب مراراً اطل عليه الاسكاف من فوق وسأله عما يريد — فقال : الحذاء — فاجابه انتظر ريثما يُعين السنديك وترى كيف نصفي الطابق فقال اي طابق ياهذا واي شغل لي بالسنديك هات الحذاء بدون رتق قال لا اقدر يا افندي فقد اعلنت افلاسي رسمياً ولكن اكراماً لخاطرك خذ هذه الفردة من الحذاء وهي مقدار ما ستصيبه من الطابق اي خمسين في المئة اسوة بسائر الغرماء وسأتحمل مسئولية ذلك تجاه السنديك

(٨) ومن ذلك مجاراة وكلاء الافلاس (اي السنديك) للمفلس (ولا اخصص) ومعاونتهم له على ابتلاع حقوق الدائنين جرًّا لمغنم يلتقطونه من وراء ما يفعلون وهؤلاء هم الذين اقامهم القانون مؤتمنين على حقوق الدائنين ونصبهم وكلاء للدفاع عنها والاحتفاظ بها فخانوا الامانة وفرّطوا في واجبات الوكالة المقدسة فانك لاتكاد تسمع ان زيداً من الناس اوشك ان يعلن افلاسه حتى ترى الكثيرين من اخوانه التجار قد اطبقوا على باب المحكمة يتسابقون وراء تعيينهم وكلاء افلاسه وقد تذرّعوا الى ذلك بانواع الذرائع المختلفة وكلهم يتظاهر بانه رجل الصدق والنشاط ولكن شتان بين القول والعمل فان احدهم لا يكاد يتم تعيينه حتى ترى منه العجب ولا تسمع في آخر الامر بعد تطاول الزمان الاَّ ان ذلك الافلاس قد اعطت مئته خمسة او عشرة ومع هذه القلة تظل تلك الارقام حبرًا على ورق

(٩) ومثل ذلك قل عن البعض من اخواننا المحامين (ولا اخصص) فانهم بدلاً من الانتصار لارباب الديون اي للحق حسبما توجبه عليهم مهنة المحاماة تجدهم يميلون مع وساوس النفس والاطماع الاشعبية فياخذون بيد المفلس المحتال سالكين من الغواية كل سبيل يساعدهم على ذلك ماعلمناه من اعوجاج وكلاء الافلاس وقد ذهب الحق بين هذين الفريقين ضياعاً ودارت الدائرة على ربّ الدين المسكين في كل حال . وقل مثل ذلك عن كل من يساعد المفلس على الاختلاس والاحتيال باية طريقة كانت وشريك السارق سارق

(١٠) ومن اهم هذه الاسباب وهو الاخير الذي أقف عنده الآن « ضعف ارباب الديون على الخصوص وجبن الاهلين على العموم » اقول ذلك لان ارباب الديون عندنا لا تأخذهم الحماسة في ملاحقة المفلس الاَّ امام نسائهم واطفالهم وقت يدخلون المساء بيوتهم بحيث لا تتجاوز حماستهم جدران البيوت ولا تتعدى الفاظهم آذان النساء والاطفال وقد يخاف الواحد منهم ان يرفع صوته بالشكوى مطالبةً بحقوقه او ان ينفق غرشاً من جيبه لرفع هذه الشكوى بل يذعنون لاعتساف المفلسين والسنديك وهم اذلاء صاغرون اما الاهلون فانهم يرون تجارتهم بائرة وثروة البلاد ضائعة بسبب هذه الافلاسات

فلا يبدون ولا يعيدون واذا تظلموا من ذلك فانما يتظلمون همساً في داخلهم ولا تتجاوز شكواهم اعماق صدورهم • فعلامَ هذا الضعف والجبن ولماذا هذا الاحجام عن المطالبة بالحقوق وملاحقة كل مفلس مختلس وقد منحتنا نظاماتنا حقوقاً كافية وافية ؟ والذي اراه ان ارباب الديون وسائر الاهلين لو انهم يقاومون المفلس حق المقاومة لما اجترأ تاجر على تعمد ارتكاب الافلاس • ومما يزيدك اسفاً انهم فوق ذلك يستمرون على تكريم المفلس بل يضاعفون له التكريم والتعظيم عند ما يخرج من هذا العراك ظافراً غانماً بدلاً من ان يحتقروه ويرذلوه وينبذوه نبذ النواة تاديباً له وعبرة لسواه • على انك اذا عكست الآية تراهم يحتقرون التاجر الذي باع ما لديه ليفي دينه ضاحكين من عمله هذا وينعتونه « بالمسكين الغشيم » ومن المضحكات المبكيات ان المفلس نفسه مع علمه بما فعل تاخذه من جرّاء ذلك الكبرياء والخيلاء كأنه لم يأتِ شيئاً فرياً ويرسخ في نفسه الاعتقاد بانه مابرح شريفاً يجب على الناس اكرامه • اه

الخطوط الحديدية في اسيا العثمانية

نسمع بمشروعات الدولة العثمانية لانشاء الخطوط الحديدية في الشام والعراق وآسيا الصغرى وجزيرة العرب ولا نلتفت الى اهمية ذلك لاننا لم نتعود خروج مثل هذه المشروعات من حيز القول الى حيز العمل نظراً لما كان يتخللها على الغالب من اسباب الفساد لمطامع بعض القائمين بها • واما هذه المرة فالقرائن والشواهد تدل على جدّية هذا العمل وانه نافذ قريباً وسيغير وجه الشرق الادنى سياسياً ومدنياً وزراعيا • وسيعود على الدولة العثمانية بالنفع الكبير لانه سيربط العالم الاسلامي بالقطر الحديدية من الشرق والغرب والشمال ويسهل اجتماعهم في قلب جزيرة العرب مصدر الاسلام وحج المسلمين ومستقرّ بقايا النبي • ومما يحسن الالتفات اليه والاعتبار به ان جانباً كبيراً من الاموال المجموعة لسكة حديد الحجاز تبرع به المسلمون من اهل الثروة وغيرهم على اختلاف الاصقاع من اقصى الشرق الى اقصى الغرب من الصين والهند وجاوى وجزائر المحيط وبلاد فارس وتركستان والعراق والشام ومصر الى طرابلس الغرب والجزائر ومراكش • ولا يكاد يبقى بلد اسلامي لم يتبرع اهله بمال لانشاء هذا الخط فضلاً عما خصصته الدولة العلية من مصادر الاموال المتنوعة كما يظهر من خلاصة تقرير اللجنة المولجة بهذا العمل عن دخل هذا

المشروع ونفقات الخط الى اواسط العام الماضي (راجع الهلال ٣ سنة ١٣)



الخطوط الحديدية في اسيا العثمانية

والخط الحجازي المشار اليه مؤلف من خط اصلي ممتد من دمشق الى مكة وخطوط فرعية سيأتي ذكرها — فالتقرير المشار اليه اعلاه هو عن اتمام ٤٦٥ كيلو متراً من الخط الاصلي تمتد من دمشق الى معان و ٩٧ كيلو متراً من شعبة حيفا فمجموع ذلك ٥٦٢ كيلو متراً انجزت بجميع لوازمها وصارت صالحة للنقل وتمت تسوية ٥٠ كيلو متراً من التراب وأوصيت معامل أوربا على اربعة جسور حديدية اتساع كل منها ١٥٠ متراً وتجز حفر ٧٠ متراً من النفق الواقع هناك • وقد بلغت نفقات هذه الاعمال كلها (بعد حسم نفقات

خارجية لاعلاقة لها بالسكة الحديدية) ١٠٧،٧٦٦،٥٠٣ قروش عثمانية منها ١٠،٧٨٩،١٠٠ قرش دفعت ثمن القضبان والعوارض الحديدية التي اوصي بها لما بعد معان . فاذا اخرجت من مجموع النفقات كان الباقي ٩٤،٩٧٧،٤٠٣ قروش وهي مجموع النفقة على انشاء ٥٦٢ كيلومتراً فيلحق الكيلومتر الواحد نحو ١،٦٩٠ ليرة عثمانية

ويؤخذ من التلغرافات التي يرسلها ناظم باشا والي سوريا عن الخط الحديدي المذكور مما يشاهده بنفسه ويتفقده حيناً بعد آخر ان العمل جار في هذا المشروع بنشاط وهمة ادهشا اهل أوربا وغيرهم ممن كانوا يظنون هذا العمل من اشباه المستحيل ولا لوم عليهم اذا توهموا ذلك فينا لاننا لم نعودهم الثبات في المشروعات الكبرى فعسى ان يتغير ظنهم بنا بما نبرهن به ثباتنا ونشاطنا . ويقدرون مبلغ نفقات هذا الخط الى آخره بنحو ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك وعدد الحجاج الى مكة في العام بنحو ٢٠٠،٠٠٠ نفس ولا ريب ان عدد الحجاج سيتضاعف بتسهيل اسباب النقل وسرعة الوصول وذهاب الاخطار التي تهدد صحة الحجاج وحياتهم واموالهم الآن

وكان المظنون ان هذا الخط اذا تمَّ انما ينحصر نفعه في السفر من الشام الى مكة ولكنك اذا تأملت الخارطة تبين لك انهُ اعمّ من ذلك كثيراً لكثرة المشروعات الحديدية التي بوشر بها في اعالي سوريا وآسيا الصغرى والجزيرة والعراق بحيث اصبح السفر بالسكة الحديدية الحجازية ميسوراً للحجاج المسلمين القادمين من الشرق الاقصى ومن اعالي اسيا ومن اوربا بطريق البحر الاسود والبحر المتوسط وغيرهما

فالخطوط المشروع فيها بآسيا العثمانية الآن عديدة ترجع الى خطين رئيسيين وعدة خطوط فرعية . فالخطان الرئيسيان احدهما جنوبي وهو خط الحجاز وما يمتد منهُ الى اعالي سوريا حتى يلتقي بالخط الآخر عند بريجك في ما بين النهرين . واكثر امتداد الخط الحجازي من الشمال الى الجنوب . والثاني شمالي يمتد من جوار الاستانة في الشمال الغربي الى خليج العجم في الجنوب الشرقي واكثر امتداد هذا الخط من الغرب الى الشرق ولكل منهما فروع

فالخط الاول او الحجازي يبدأ من دمشق ويسير جنوباً الى المزاريب فعمان فمعان فالقلعة فالمدينة فمكة . ويمتد من دمشق شمالاً الى رياك فحما فحلب الى بريجك حيث تلتقي بالخط الشمالي وقد تمَّ من الخط الحجازي معظم المسافة من حماه الى معان . ومن فروعه ومايتبعهُ ويتعلق بهِ خط من بيروت الى دمشق تمَّ انشاؤهُ منذ بضع عشرة سنة . وخط

من حيفا الى دمشق وآخر من عكا الى حيفا وآخر من يافا الى القدس وقد تم انشاء معظمها . وهناك فرع من معان الى العقبة عند خليج العقبة لم يتم بعد . ويتبع هذا الخط خط قصير من عدن الى داخل اليمن وآخر من جدة الى مكة . ويقدرون طول الخط الحجازي من دمشق الى مكة بنحو ١,٧٠٠ كيلومتر وقد تم منه نحو ٦٠٠ كيلو متر والمظنون اذا ظل العمل سائرًا على نحو ما هو عليه الآن انه يتم سنة ١٩١٢ وتكون اهميته عمرانية دينية

اما الخط الآخر الشمالي فانه عظيم الاهمية من الوجهة العمرانية السياسية لانه يوصل البوسفور مفتاح البحر الاسود وفاتحة حدود اوربا بخليج فارس طريق الهند وسائر الشرق الاقصى . فيبدأ من الشمال الغربي باسكي دار تجاه الاستانة الى اسكي شهر ومنها في آسيا الصغرى شرقًا الى قرمان فادنة فكلس الى بريجك ومنها الى حران فرأس العين فنصيبين فالموصل . ثم ينحدر الخط جنوبًا شرقيًا الى تكريت فبغداد فالبصرة الى خليج فارس . وفروع هذا الخط اكثر من فروع ذاك واطول مسافة واعظم اهمية وهي : (١) فرع من اسكي شهر شرقًا الى انقرة (٢) فرع من قواحصار تحت اسكي شهر يسير غربًا الى ازمير ومن هناك يدور ويعود شرقًا فيمر بايدين ويتفرع فروعًا عديدة مرسومة في الخارطة (٣) فرع من ادنة جنوبًا الى مرسين (٤) فرع يذهب شمالًا الى مرعش (٥) فرع يسير من نصيبين شمالًا غربيًا الى خربوط (٦) فرع من اسفل تكريت شرقًا الى خانقين (٧) فرع آخر من هذه النقطة غربًا الى هيت والعمل جار الآن في بناء هذه الخطوط ولم يتم منها الا اجزاء في شمالي آسيا الصغرى وغربيها

فاذا تمت هذه الخطوط ورافقها ما يقتضيه هذا العصر من اسباب العمران نهضت هذه البلاد نهضة لا مثيل لها وتدفقت الثروة من انهرها وجداولها تدفقًا ولا سيما العراق وما بين النهرين فقد حقق الباحثون انهما اخصب من وادي النيل تربة واكبر مساحة واوسط مركزًا للتجارة . والتاريخ اكبر شاهد على ذلك فلو رجعنا الى حالهما في عهد التمدن الاسلامي اراينا هما اخصب بقاع الارض فقد كانت جباية السواد وحده نحو ثلث جباية المملكة الاسلامية في ابان اتساعها بل هو كثير الجباية من ايام الفرس وارضه لا تزال هي هي وانما تحتاج الى العمل فتحيا وتدر ذهبًا وفضة . وينهض وادي الفرات نهضة مالية لا تعد نهضة وادي النيل في جانبها شيئًا مذكورًا

وبتمام هذه الخطوط تعمر الشام عمرانًا باهرًا لانها تصير بؤرة الحج الاسلامي بعد مكة

اذ يمر بها الحجاج القادمون من الهند والصين وجزائر المحيط وغيرها بطريق خليج فارس والحجاج القادمون من تركستان والقوقاس وقرمان وسواحل البحر الاسود عن طريق البوسفور والقادمون من البحر المتوسط بطريق بيروت او حيفا · فالآمال واسعة بين يدينا نطلب الى الله تحقيقها · وليس على الله امر عسير

المجلس الملي القبطي

تحدثت جرائدنا في هذه الاثناء بنهضة الامة القبطية لطلب الاصلاح الادبي والعلمي والعمراني · ومدار هذا الاصلاح واساسه تجديد انتخاب المجلس الملي فاذا تألف هذا المجلس من اعضاء ذوي كفاءة ونشاط وتدبير اصبح الاصلاح امراً مقضياً لاشك فيه · فتعاونت الطائفة على هذا العمل وانحدت جرائدها على التحريض واستنهاض الهمم لتجديد ذلك الانتخاب ووافقهم غبطة البطريرك على ذلك ودعا الطائفة الى العمل فاجتمع في دار البطريركية بالقاهرة في ٢٢ دسمبر الماضي نحو خمسمائة من اعيان هذه الطائفة وفي مقدمتهم صاحب السعادة بطرس باشا غالي فالقى البطريرك خطبة اعرب بها عن سروره بهذا الاتفاق على السعي في الاصلاح ثم توزعت اوراق الاقتراع لانتخاب اعضاء المجلس الملي فوقعت اكثرية الاصوات على الوجهاء الآتية اسماؤهم :

باسيلي باشا تادرس · مقار بك عبد الشهيد · امين بك غالي · يوسف بك سليمان · خليل بك ابراهيم · مينا بك ابراهيم · مرقص بك سميكة · جرجس بك حنين · مرقص افندي فهمي · مرقص افندي حنا · ساويرس بك ميخائيل · اسكندر بك عبد الملك · بسطورس بك صليب · ويصا افندي واصف · ابراهيم بك منصور · ميخائيل بك شاروبيم · واصف بك غالي · نخله بك المطيعي · رفله بك تاوضروس · واصف بك سميكة · سليم افندي باراتي · الياس بك عوض · فرج بك ابراهيم · جرجس بك انطون

على ان هذه النهضة هي الرابعة من نهضات الطائفة القبطية في هذا العصر لأنها نهضت في سبيل الاصلاح الطائفي العصري قبل هذه المرة ثلاث نهضات اخر تستحق الذكر في تاريخها يجمعها تاريخ انشاء المجلس الملي واليك هو :



الانبا كيرلس الرابع موجد النهضة القبطية الاخيرة

لا يخفى ان الطائفة القبطية قديمة العهد عظيمة الشأن وقد رافقت الحوادث المصرية من ايام الفراعنة الى هذا اليوم وتقلبت على اطوار متفاوتة ومتباينة ليس هذا محل ذكرها وانما نقول ان تاريخ نهضتها الحديثة يبتدئ من تولية بطريركها المرحوم الانبا كيرلس الرابع وهو اول من انشأ مدرسة قبطية في القطر المصري وقد بنى دار البطريركية وانشأ لها مطبعة وغير ذلك من اسباب الاصلاح وقاسى في سبيل ذلك مشقات جسيمة فلما توفاه الله سنة ١٨٦١ (١) خلفه الانبا ديمتريوس في اواخر ولاية المغفور له محمد سعيد باشا ثم تولى الخديوي اسمعيل باشا فانعم على الطائفة القبطية بجانب عظيم من الاطيان الزراعية وغيرها فضمت الى اوقاف الطائفة للانتفاع بها

والاوقاف القبطية قسمان اوقاف الاديرة في الجهات واوقاف الكنائس في القاهرة وكانت اوقاف الاديرة تحت ادارة رؤسائها واوقاف الكنائس تحت ادارة البطريرك رأساً الا في المسائل ذات الشأن فانه كان يعقد للنظر فيها مجلساً موقتاً مؤلفاً من بعض اعيان الطائفة

فلما توفي الانبا ديمتريوس استدعت الطائفة الانبا مرقس مطران البحيرة وكان مقره في الاسكندرية ليقوم في البطريركية بمنزلة وكيل ريثما يتقرر انتخاب البطريرك الجديد

(١) راجع ترجمة حياته في السنة الاولى من الهلال

وكانت احوال الاوقاف والمدارس التي انشأها كيرلس وسائر شؤون الطائفة قد تداعت الى الخمول والانحطاط فاحس بذلك بعض اعيان الطائفة وهم نفر قليلون فالتأموا في منزل احدهم وألفوا جمعية دعوها جمعية الاصلاح وتعاهدوا على السعي والمواظبة في كل ما يأول الى اصلاح الطائفة وتدبير شؤون اوقافها بحيث ينفق ريعها على الفقراء منها وبثوا بمنشورات سرية الى المطران المشار اليه والنظار الذين كانوا يتولون امور الاوقاف يعلنونهم بعزمهم ويحثونهم على الاصلاح بما يشبه التهديد . فرأى المطران بعد مشورة اعيان الطائفة ان يؤلف مجلساً منتظماً لادارة اوقاف الطائفة ومدارسها وكنائسها ومطبعتها المتقدم ذكرها فانتخبوا ١٢ عضواً و ١٢ نائباً برئاسة الانبا مرقس وكان ذلك في ٩ طوبه سنة ١٥٩٠ قبطية الموافق ١٦ يناير سنة ١٨٧٤ وهو اول مجلس عقد للملة القبطية بطريقة منتظمة وسنوا له قانوناً وطلبوا مصادقة الخديوي اسماعيل باشا فصادق على ذلك وفي ٢٣ بابه سنة ١٥٩١ الموافق اول نوفمبر سنة ١٨٧٤ تولى غبطة البطريرك الحالي وصدق على المجلس وثبته . ثم حصل بينه وبين اعضائه خلاف انتهى بتوسط الحكومة وتعهد غبطة البطريرك بالاتحاد مع المجلس وتنشيطه فانشئت المدرسة الاكليركية لتعليم الرهبان بعد تولية البطريرك ببضعة اشهر ولكنها لم تدم

ثم سعى بعض ذوي الشقاق بين المجلس ورئيسه بالدسائس حتى تفاقم الخصام بينهما فبعثت جمعية الاصلاح المتقدم ذكرها منشورات سرية تحض الفئتين على الثبات والاتحاد وبعث اسماعيل باشا المفتش رحمه الله تذكرة غير رسمية الى البطريرك يحثه على الاتفاق مع المجلس والثبات في العمل فاذعن وكان اذعانه موقتاً

وبعد انقضاء الحادثة العرابية نهضت الطائفة نهضة ثانية سنة ١٨٨٣ وجددت انتخاب المجلس وعرضت انتخابها على غبطة البطريرك فرفضه فاقتضت الحال توسط الحكومة الخديوية فعينت مندوباً من قبلها يحضر اعادة الانتخاب فاعادوه وانشاوا اللائحة الحالية وتقرر كل ذلك رسمياً

ثم عاد الفريقان الى الشقاق فاهملت شؤون الطائفة حتى سنة ١٨٩١ فنهضت نهضة ثالثة واجتمع بعض وجهائها وبعض اعضاء المجلس وساروا معاً الى غبطة البطريرك يطلبون اليه تجديد الانتخاب فرفض ذلك رفضاً باتاً ثم عقد المجمع الاكليركي المؤلف من اسقافة القطر وقسسه وقرروا رفض مجلس الملة والغاءه وشخصوا الى الاسكندرية وكان الخديوي السابق رحمه الله هناك فتكاتب اعضاء الطائفة في سائر جهات القطر

تلغرافياً وبعثوا الى المعية السنية يطلبون تأييد المجلس فسعى الخديوي السابق بما طبع عليه من اللطف والايناس حتى اخمد الثورة من الجانبين ولكن ذلك الاخماد كان ظاهرياً فلم تطل مدة الوفاق حتى عاد الفريقان الى الخصام وقد علمنا يومئذ ان بعض كبار الطائفة القبطية كانوا يبذلون الجهد لنزع الخلاف عبثاً حتى عرض ذلك بعضهم رسمياً الى الحكومة السنية فاذنت باعادة الانتخاب وبعثت مندوباً يحضر فتح الانتخاب وصدقت عليه الحكومة وانتخب غبطة البطريرك رئيساً لذلك المجلس فلم يقبل فصدر الامر العالي برفع يد غبطته من رئاسة المجلس وكل ما يتعلق بادارة اشغال البطريركية وان ينتخبوا وكيلاً يقوم بالرئاسة مقامه

فاخذ المجلس يسعى في ذلك وفي اثناء سعيه كانت المخابرات جارية بين البطريرك وسعادة بطرس باشا غالي (بالنيابة عن المجلس) توصلاً الى وفاق مرضي للفريقين فعرض بطرس باشا على البطريرك المواد الآتية (١) ان اطيان اديرة الرهبان تقدم حساباتها لغبطته وما يفيض من نقودها يحفظ في اماكنه (٢) ان المسائل المختصة بالاكليروس يكون نظرها بالاتحاد مع المجلس الروحي (٣) ان المسائل المختصة بالاحوال الشخصية تنظر منها المواد المختصة بالشريعة بالاتحاد مع المجلس الروحي اما الاحوال المتعلقة بالمجالس الحسبية فتنظر بالمجلس (٤) ان ديوان البطريركية يكون بيد غبطة البطريرك لا اختصاص للمجلس فيه (٥) ان حجج ومستندات الاوقاف بعد تسجيلها تحفظ بمحلات اوقافها (٦) ان امتعة الكنائس والاديرة تحرر بها كشوف للتسجيل وتبقى في محلاتها كما هي (٧) ان رئاسة المجلس تكون لغبطة البطريرك او من يوكله بمعرفته من الاكليروس (٨) ان اعضاء المجلس المنتخبين الآن يبدل غير الموافق منهم (٩) بعد التعديل يكون ثلث المجلس من المنتخبين بالمجلس الروحي والثلثان من الشعب • وقد اجاب البطريرك عليها بالقبول لكن المجلس لم يرض بها تماماً فعلق عليهـا شروحاً لم تصادف قبولاً لدى غبطة البطريرك فانتخب المجلس حضرة الانبا اثناسيوس اسقف كرسي صنبو في مديرية اسيوط وكيلاً للبطركخانة ورئيساً للمجلس في ٢٧ اوغسطس سنة ١٨٩٢ وبعثوا يستقدمونه بامر الجناب العالي فعظم ذلك على غبطة البطريرك وكان في الاسكندرية فبعث الرسائل البرقية الى الاساقفة الذين هم في الطريق بين صنبو ومصر ان يبلغوا اسقف صنبو اثناء مروره في القطار الحديدي ان هذا التعيين ضد ارادة البطريرك واذا اصر على النزول يكون محروماً او ان يحرموه وبعث الى البطركخانة في القاهرة ان يقفلوا ابوابها ويمنعوا

الاسقف المشار اليه من الدخول اليها لانه محروم فبلغ اسقف بني سويف الحرم البطريركي لاسقف صنبو على المحطة واقفلت البطريركية ابوابها فبعث المجلس لجنة تطلب ممن هم داخلها ان يفتحوها وبعثت الحكومة مندوباً من قبلها ومن المحافظة وكرروا الطلب بفتحها فلم يطعهم احد ولكنهم اجابوهم من داخل انهم لا يفتحون البطريركية الآ بامر من غبطة البطريرك فكثر القيل والقال في القاهرة وشق ذلك على حكومة الجناب العالي لانها اعتبرت هذه الاجرآت عصياناً لاوامرها وكان الانبا يوانس مطران الاسكندرية مشتركاً مع غبطة البطريرك في جميع ذلك وقيل انه هو الذي حرضه على الامر فاجتمع المجلس الملي في ٣١ اوغسطس سنة ١٨٩٢ واقر بالاتحاد مع المجلس الروحي على ابعاد غبطة البطريرك الي دير البرموس ببرية شهات غربي بمديرية البحيرة ومطران الاسكندرية الى دير الانبا بولا بالجبل الشرقي دفعاً لاسباب الخصام والتمسوا من الحكومة الخديوية تنفيذ قرارهم فاصدرت بذلك امراً عالياً في اول سبتمبر فتوجه كل منهما الى ديره ولم يحصل ما يخل بالراحة العمومية وفتحت ابواب البطريركية واستلم الانبا اثناسيوس مهام مصلحته فيها وفي المجلس وهدأت الاحوال

اقام غبطة البطريرك في ديره بضعة اشهر وعقلاء الطائفة يسعون في الوفق باسترضاء الحكومة فكتب المجلس الملي الى الجناب العالي يلتمس العفو عن غبطته ويطلب عودته لتولي ادارة البطريركية الروحية فاجاب سموه التماسهم بعد ان قدم الانبا اثناسيوس استعفاءه ٠ فعاد غبطته الى القاهرة فوصلها في ٤ فبراير سنه ١٨٩٣ ومعه في القطار مندوب من قبل الحكومة السنية وجماعة من وجهاء الطائفة واستقبله الكهنة بالبخور والشموع والازهار وساروا بين يديه بهذا الاحتفال في شارع كلوت بك الى الكنيسة الكبرى

ثم حدث خلاف بين غبطته واعضاء المجلس في تحديد سلطة كل منهما وتداخلت الحكومة في شأنه وبعد جدال طويل توسط في حله سعادة بطرس باشا غالي وخلاصة الحل ان غبطة البطريرك يقر على وجود المجلس الملي لكنه يطلب حله وتجديد انتخابه ٠ فالطائفة لم تقبل على انهم تراضوا اخيراً بتوسط الحكومة على ان يعين اربعة من اعيان الطائفة او اعضاء المجلس لادارة أمور البطريركية مع غبطة البطريرك ريثما يعاد انتخاب المجلس وكان ذلك بامر عال في ١٤ يونيو سنة ١٨٩٣ فنفذ هذا الامر — حتى نهضت الطائفة نهضتها الرابعة بالامس وجددت انتخاب المجلس الملي للدورة التي تقدمت ٠ والظاهر ان هذه النهضة مبنية على تعقل واخلاص اكثر من سائر النهضات الماضية ولذلك فنرجو ان

تبق اثارها وان يدوم الوفاق فيها · والمطلعون على دخائل هذه الاختلافات يعتقدون ان منشأها من بعض الذين يريدون بقاء القديم على قدمه لان تغييره يقف في سبيل معائشهم فكانوا يوغرون صدر غبطة البطريرك على طالبي الاصلاح ويحسنون له مقاومتهم وهو سليم الطوية طاهر السريرة فينخدع لمشوراتهم · فنرجو ان يكون قد عرف الناصحين من ابنائه المخلصين في خدمة المصلحة العامة فتنجو هذه الطائفة الناهضة مما يعيق نهوضها او يؤخر ارتقاءها

النهضة المالية في مصر

يتحدث الناس عن زيادة الثروة بمصر في الاعوام الاخيرة وما كان من ارتفاع اسعار الاطيان واراضي البناء ارتفاعاً فاحشاً · ومنهم من يحسب هذا الارتفاع قريب الزوال لانه غير مؤسس على سبب ثابت ومنهم من يبرهن على طول بقائه وان النهضة المالية بمصر لاتزال في اوائلها وسيستمر الصعود اعواماً · وقد اطلعنا في مذكرة المستشار المالي عن ميزانية ١٩٠٦ على ملاحظة في هذا الشأن ونظراً لاهمية هذا الرجل في العالم المالي وسعة اطلاعه على احوال مصر المالية رأينا ان ننقل قوله قال :

« وهنا مع علمي بما يترتب من المسؤولية على ابداء رأي لا يخلو من الصفة الرسمية أريد ان انبه افكار الذين ينظرون الى القطر المصري نظرهم الى بلاد العجائب لاستثمار المال والمضاربة فأقول :

« ان الزيادة الفجائية في الثروة وفي الحركة التجارية في هذه البلاد رافقتها امور هي ملازمة لها في غالب الاحيان · فالميل الى حسن الظن بالمستقبل ظاهر هنا جلياً وكثيراً ما صعدت قيمة الاملاك والاوراق المالية في خلال السنتين الاخيرتين الى درجة يبعد معها ان يكون الايراد المنتظر منها ذا قيمة مناسبة · ويخشى ان تكون هذه الاسعار المجسمة مبنية في الغالب على مجرد المضاربة وقد سهل استثمارها بكثرة ورود الاموال المعدة للتسليف في البلاد على اثر انشاء بنوك جديدة او شركات مالية او عقارية او زيادة كبيرة في رأس مال المحلات القديمة · وحب المضاربة منتشر بين الاهالي والفرص تسهل لهم اسبابها

« فهذه الحالة تتضمن من طبيعتها العوامل الجوهرية لرد الفعل وهي متوقفة قبل كل شيء على بقاء ثمن القطن في الدرجة المرتفعة التي كان فيها مدة الثلاث السنوات الاخيرة وهو ارتفاع ناشيء عن اسباب تكاد تكون كلها اتفاقية

الغناء . وقلما رأيناهم يبالون بالتمثيل من حيث هو حتى تبادر الى اعتقادنا ان الشرقيين لا يفقهون معنى التمثيل باعتبار الغرض الاصلي المراد منه' وانهم انما يتوافدون الى المراسح لسماع الغناء . فبعد ما شاهدناه من تمثيل هذا الجوق الجديد تبين لنا ان معظم الذنب في ما مضى للاجواق وليس للشعب وانك اذا اتقنت التمثيل حتى يسترعي السمع ويستلفت الانتباه آنست من الحضور اصغاء . وقرأت في وجوههم اهتماماً بما يرونه' فتدق قلوبهم هلعاً مما يتوقعونه' وتذرف دموعهم تأثراً مما يشاهدونه كأنهم يرون حادثة حقيقية . وقد اتفق لنا ذلك على الخصوص في حضور تمثيل رواية « العواطف الشريفة » فقد كانت عواطفنا مشاركة للممثلين في تمثيلهم حتى انسينا موقفنا وشق علينا تقسيم الرواية الى فصول اذ لا صبر لنا على الفترات بينها . فقضينا تمثيل الرواية ونحن نفرح لفوز او نبكي لفشل او نضطرب لتوقع مصيبة ولم يخطر الغناء لنا ولا لسوانا من الحضور الا ما جاء من طبيعة التمثيل في موقف يقتضيه فكان وقعه في النفوس عظيماً . فنهنئ اسكندر افندي فرح لما توفق اليه من الرقي في فن التمثيل عندنا — ولا نقول ان جوقه' بلغ الكمال المطلوب ولكنه' يبشرنا بمستقبل حسن فنرجو ان يحقق امانينا بمواصلة الاتقان وهو يعلم ما يجب الاستفادة من اساتذتنا في تمثيل نعني الروايات الافرنجية . وقد اصاب رصيفنا صاحب مجلة سركيس اذ اشار على ممثلي الروايات العربية ان يحضروا تمثيل الاجواق الافرنجية في الاوبرا ويراقبوا حركات الممثلين وينظروا فيها نظر المنتقد المستفيد فان ذلك خير ما يفيدهم في اتقان هذا الفن الجميل

الفقر المدقع في اعظم مدائن الارض

لندن اعظم مدائن العالم واكثرها سكاناً واوفرها ثروة وفيها المعامل والشركات والجمعيات والكليات والجامعات والمتاحف والمعارض وسائر اسباب المدنية من العلم والتجارة والصناعة . فهل يخطر بالبال ان بين سكان هذه المدينة العظيمة اناساً لا يميزون القمح من الشعير ولا يعرفون اذا كانت البطاطس (وهي طعامهم اليومي) جذراً او ثمراً او فطراً وانهم من الفقر والقذارة حتى لا يميز الناظر اليهم بين لون اجسامهم العارية ولون التراب الذي يقعدون عليه . فقد اخبرنا بعض المبشرين الذين يترددون الى منازل فقراء لندن لتعليمهم او اعالتهم او تبشيرهم ان بعضهم يقيمون في اكواخ او سراديب تحت الارض لا يرون النور الا

بصيصاً وما اثاثهم الا بساط بالٍ يتوسدونهُ ليلاً و يقعدون عليه نهاراً · واغرب من ذلك ما قرأناه من اخبار البريد الاخير عن تكاثر البطالين الذين لا يجدون عملاً يعملون بهِ للقيام بأود الحياة حتى اصبحت الحكومة الانكليزية تعدُّ مسألة البطالين من المسائل الهامة واخذت تبحث في الطرق المؤدية الى ملافاة اخطارها

في لندن الآن نحو مليون من العمَّال لا يجدون عملاً يرتزقون بهِ وهم نحو سدس سكانها · فاذا اضيف اليهم من يلحق بهم من النساء والاولاد بلغ عدد المعوزين نحو نصف سكان تلك العاصمة العظيمة — يقلُّ عددهم في الصيف و يكثر في الشتاء — وهم في كل حال عالة على الحكومة والاهالي يجتمعون الوفاً ومئات يطوفون الشوارع وهم يتضورون جوعاً فتسعى الملاجئ والجمعيات الخيرية في سد جوعهم بطعام يفرقونه فيهم صباحاً ومساء او ايوائهم في بعض المساكن اتقاء البرد · واختلف الاقتصاديون والعقلاء في اسباب هذا الضيق فقال بعضهم ان سببه اطلاق قيود التجارة في انكلترا ومسابقة الاجانب فيها · وقال غيرهم بل السبب استئثار افراد من اهل الثروة باخصب بقاع انكلترا واستقلالهم بزراعتها واستغلالها وهم لا يصلحونها ليزداد ريعها ولا يبيعونها اجزاء صغيرة لمن يستطيع اصلاحها من العامة — فلا تتحسن الحالة الا بمعالجة السبب الاصلي

و ينقسم البطالون في لندن الآن الى طبقتين (١) اناس يحبون العمل ولا يجدون اليهِ سبيلاً (٢) اناس كسالى لا يحبون العمل · فهؤلاء لا يخلو منهم بلدٌ وقد يجدون العمل ولا يعملون الأمضطرين · اما تكاثر اهل الطبقة الاولى فهو دليل على الضيق الحقيقي وقد بحث كتَّاب الانكليز في معالجة هذا الضيق فاشار بعضهم بالمهاجرة الى المستعمرات وحجتهم في ذلك ان سكان انكلترا ٤٣ مليوناً نصفهم يتعيشون بالاستخدام برواتب تختلف من ١٨ الى ٥٠ شليناً في الاسبوع فاذا طرأ على البلاد طارئ من قحط او حرب اسرع الخراب اليهم · واذا اعتبرنا سكان انكلترا بالنظر الى مساحتها وجدنا الميل المربع يلحقهُ ٣٥٠ نفساً · واما لندن فيلحق الميل ١٠,٠٠٠ نفس ولا يقلُّ الازدحام في المدن الاخرى عن ذلك · اما المستعمرات فكندا مساحتها ٣,٥٠٠,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٥,٥٠٠,٠٠٠ نفس واوستراليا مساحتها ثلاثة ملايين ميل مربع وسكانها اقل من اربعة ملايين نفس · والذين يذهبون الى ان سبب الضيق اطلاق قيود التجارة يرون العلاج في تقييدها — قالوا : اذا عتبرنا عدد البطالين مليون نفس فقط وقدَّرنا ان كلاً منهم يكتسب جنيهاً واحداً في الاسبوع كانت خسارة البلاد ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة · ثم ان هؤلاء البطالين

وعائلاتهم — ولا يقل عدد الجميع عن ٣,٥٠٠,٠٠٠ نفس — يحتاجون الى طعام وكساء ومأوى فلو تيسر لهم ذلك وقدّرنا نفقات احدهم في هذا السبيل خمسة شلينات في الاسبوع لبلغت نفقاتهم جميعاً نحو ٤٩ مليون جنيه في العام · فيكون مجموع الخسارة على الامة نحو ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه كل سنة · فاذا توالى ذلك عدة اعوام آل الى الخراب العام · فتقييد التجارة بحيث تحول بعض الارباح الى العمال الوطنيين لا بدَّ منه · وذهب آخرون في معالجة هذا الضيق مذاهب أخرى لا محلَّ لها هنا · والبطالون الآن يتجمهرون الوفاً في الاسواق يطوفون ويستعطفون والحكومة تهتم في البحث عن افضل الوسائل المؤدية الى ملافاة الخطب على احسن سبيل

الصحة والحياة البسيطة

قال احد كبار الاطباء «لو اجمع الناس على الحياة البسيطة في الاكل والشرب لمات اكثر الاطباء جوعاً لان معظم الامراض التي يرتزقون بها : الامراض العصبية : واهم اسبابها التأنق بالاطعمة المغذية والاكثار من الوان اللحوم ومطبوخاتها » فلم يبق شك ان افضل طرق الحياة لحفظ الصحة أقربها من المعيشة الفطرية في الاكل والشرب والنوم · اي كما كان الانسان في أول ادوار تمدنه قبل انشاء المدن والتفنن باساليب الطبخ اذ كان طعامهُ الخضر او الحبوب او الفاكهة وقليلاً من اللحوم وشرابهُ الماء القراح قبل اصطناع الاشربة الروحية التي اصبحت تعدُّ بالالوف ولا يخلو احدها من الضرر · ويوم كان يقيم في بيت من طبقة واحدة وحوله خلاء هواؤُه مطلق نظيف قبل انشاء المدن وبناء القصور من عدة طبقات وتزاحم الناس في المساكن والاسواق · واذا نظرت في تواريخ الامم واسباب انقراضها رأيت البداوة تلد الامة وتربيها والمدنية تضعفها والترف يميتها

الحب ميكروب — اختلف الناس في تحديد الحب او كشف ماهيته على ان تعريفهم يختلف باختلاف مهنهم وامزجتهم فالشاعر يرى في الحب غير ما يراه الفيلسوف والفيلسوف ينظر فيه غير نظر الطبيب او الكيماوي · اما الاطباء فقد ذهب بعضهم الى ان الحب ضربٌ من المرض ينتقل بالعدوى بواسطة الميكروب فيصاب به الناس كما يصابون بالانفلونزا وتختلف العدوى قوة ومدة باختلاف الاسباب والاستعداد وباختلاف

الاشخاص فبعضهم لا يؤثر عليه الميكروب الاَّ بالتعرض للعدوى مرارًا والبعض الآخر يصاب بالحب من اول نظرة . وقد يرى الشاب فتاة مرارًا فلا يتحرك قلبهُ فيراها مرة أخرى فيشعر انهُ وقع في الشراك لاستعداد خصوصي هيأ سبب العدوى في هذه المرة

مطبوعات جديدة

المقتبس — مجلة ادبية علمية اجتماعية تصدر في القاهرة مرة في كل شهر عربي لمنشئها محمد افندي كرد علي بدل اشتراكها خمسون غرشًا في القطر المصري و ١٣ فرنكًا في الخارج . وليس بين قراء الهلال وغيره من المجلات العربية من لا يعرف اسم منشىء المقتبس ومقالاتهُ فيها ناطقة بعلمهِ وفضلهِ وسعة اطلاعه على آداب الشرق الاسلامي وآثاره وعلومه فضلاً عن المامه بالعلوم العصرية وبآداب الامم الافرنجية . فهو كاتب اسلامي عصري جمع بين العلوم الاسلامية والآداب العصرية وقلَّ بين منشئي المجلات العربية من اخواننا المسلمين من جمع بين هاتين الحسنتين . فضلاً عما نعرفه فيه من سلامة الذوق وحرية الفكر واعتدال اللهجة ولذلك نحن نرجو لمجلته رواجاً حسناً وخصوصاً لان آداب اللغة العربية لا تزال في افتقار الى المجلات الادبية الاجتماعية . والقراء كثيرون وعددهم يتضاعف كل يوم وانما نحن في حاجة الى من يخاطبهم بما يحرك خواطرهم ويحبب المطالعة اليهم او يبحث معهم في ما يحتاجون اليهِ في حالتهم الحاضرة . والمقتبس على ما قرأناه في عدده الأول يفي بهذا الغرض على احسن ما يرام . ناهيك بما نرجوه على يده من التأليف بين العناصر الشرقية المختلفة ولا يتأتى ذلك الاَّ بالابتعاد عن المباحثات الدينية فان الخوض فيها يقود الى المطاعنات فيثير الضغائن ويأول الى الشقاق . فعسى ان يثبت رصيفنا صاحب المقتبس في الخطة التي رسمها لمجلته على ان يزيدها من اسباب الائتلاف وفقه الله الى ما اراد

الروايات الشهرية — هي مجلة روائية تصدر بالقاهرة مرة في الشهر لصاحبها يعقوب افندي جمال والجزء منها رواية كاملة . وكانت تصدر قبلاً بقطع صغير وورق اعتيادي فجعل قياسها من اول سنتها الثانية كبيرًا وبالغ في اتقانها فاصبحت صفحات الرواية

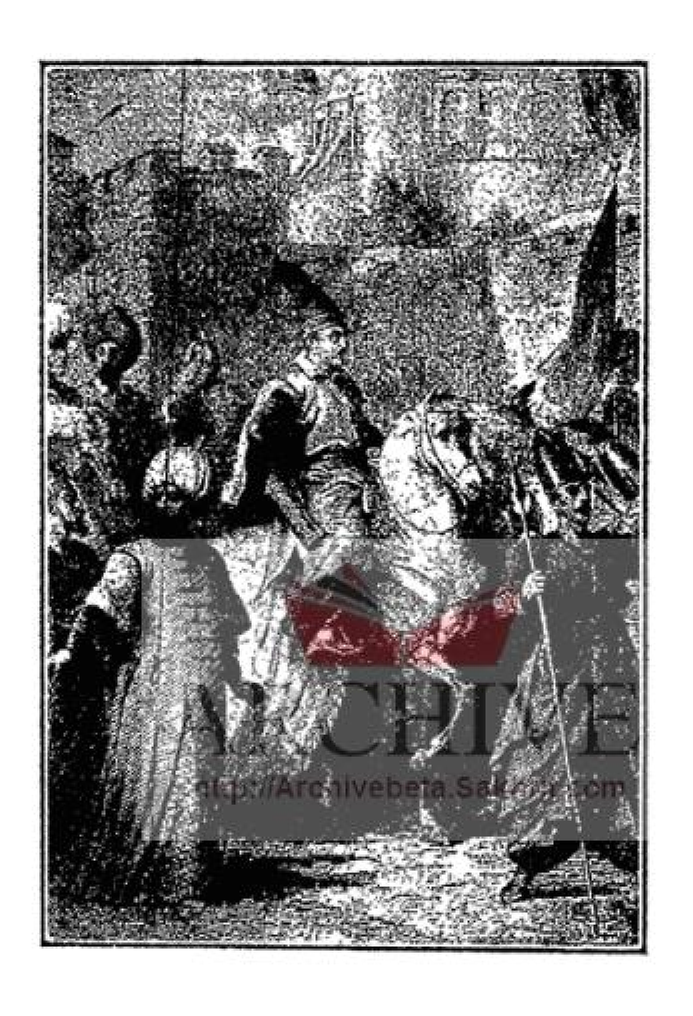
الواحدة نحو ٢٠٠ صفحة مطبوعة طبعاً متقناً على ورق جميل يصدر منها عشر روايات في العام . بدل اشتراكها خمسون غرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في الخارج . والروايات المذكورة يختارها جمال افندي من احسن ما ألفه كتاب الافرنج وابعدها عما يخجل العذراء ويكلف من يترجمها له من الكتاب الادباء . والرواية الاولى التي صدرت من السنة الثانية تأليف بول دبكرمون الكاتب الفرنساوي ونقلها الى العربية وديع افندي الحريري وسماها « هذا جناه ابي علي » فنحث الادباء على مطالعة الروايات الشهرية لانها جمعت بين اللذة والفكاهة والفائدة

(الاثر النفيس) هو كتاب تاريخي يتضمن تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة ابنه الكسيس تأليف عزتلو وهبي بك مدير مدرسة الاقباط الكبرى وناظر المدارس القبطية واستخرج حضرته من هذا التاريخ رواية شخصت في الاوبرا الخديوية منذ عشرين عاماً بمحفل حافل . وقد طبع الكتاب الآن ونشر في ١٦٠ صفحة مصدرة بمقدمات في التاريخ العام وخلاصة تاريخ مصر من قديم الزمان الى الآن فضلاً عن تاريخ بطرس الاكبر وابنه الكسيس والكتاب يطلب من حضرة المؤلف ومن سائر المكاتب

(الطرائف) هي جريدة اسبوعية عمومية تصدر بمصر لصاحبها ومنشئها رشيد افندي مصوبع بدل اشتراكها ثمانون غرشاً في القطر المصري وجنيه في الخارج . وكانت قد صدرت منذ عامين ثم احتجبت لشخوص منشئها الى سوريا لاشغال خصوصية . ثم عاد الى اصدارها بهمة جديدة وعزم صادق وسينشر فيها مقالات ادبية اجتماعية ونخباً مما تجود به قريحته الشعرية فنرجو لها الثبات وطول البقاء

(الحكومة) هي جريدة سياسية اشتراكية اخبارية ادارية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومدير سياستها عزيز افندي فهمي المصري بدل اشتراكها خمسون غرشاً داخل القطر و ١٥ فرنكاً في الخارج فنرجو لها النجاح

(الزمان) هي جريدة سياسية تجارية اخبارية ادبية تصدر في بونس ايرس بارجنتين (اميركا الجنوبية) مرة في الاسبوع لصاحبها مخائيل افندي السمرا ومديرها نجيب افندي السمرا ورئيس تحريرها الشيخ شامل عبدالملك قيمة اشتراكها ثمانية ريالات في جمهورية ارجنتين و ٢٢ فرنكاً في الخارج وفيها مقالات بالاسبانية فضلاً عن العربية وفقها الله الى خدمة هذه اللغة في ذلك البلد البعيد



فتح القسطنطينية

السلطان محمد الفاتح داخلاً القسطنطينية بموكبه يوم الفتح




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الجزء الخامس من السنة الرابعة عشرة

١ فبراير (شباط) سنه ١٩٠٦ و٧ ذي الحجة سنة ١٣٢٣



الدولة العثمانية

تشكلت في القاهرة لجنة من اكابر العثمانيين برئاسة صاحب العطوفة محمد عارف بك افندي احد اعضاء شورى الدولة احتفلت في ٢٦ يناير الماضي بعيد استقلال الدولة العثمانية . وقد تاسست هذه الدولة سنة ١٢٩٩ اي منذ ٦٠٧ سنين ميلادية (او ٦٢٥ هجرية) . فبمناسبة هذا الاحتفال وهو اول احتفال لهذا العيد راينا ان نأتي على فذلكة في تأسيس تلك الدولة ولمحة فلسفية من تاريخها فنقول :

تأسيس الدولة العثمانية

لتاريخ الدولة العثمانية ثلاثة ادوار تمتاز في كل منها عما في الآخرين (١) دور الامارة (٢) دور السلطنة (٣) دور الخلافة

فالاول دور تاسيسها وكانت لاتزال فيه امارةً وصاحبها يقال له الامير . والامراء العثمانيون ثلاثة عثمان الاول واورخان ومراد الاول حكموا من سنة ٦٩٩ — ٧٩١ هـ والدور الثاني صارت الدولة فيه سلطنة وصار يسمى صاحبها السلطان واول السلاطين بايزيد الاول وآخرهم بايزيد الثاني ومدتها من سنة ٧٩١ — ٩١٨ هـ والدور الثالث اتخذ

العثمانيون فيه لقب الخلافة وصاروا يعرفون بالخلفاء فضلاً عن السلاطين . واول خلفائهم السلطان سليم الاول تولى السلطنة سنة ٩١٨ ﻫ وتسمى خليفة بعد فتح مصر سنة ٩٢٣ﻫ ولا تزال الخلافة فيهم الى الآن وبلغ عدد الملوك العثمانيين الى اليوم ٣٤ ملكاً منهم ٣ امراء و ٥ سلاطين و ٢٦ خليفة

انشأ العثمانيون دولتهم بعصبيتهم كما انشأها السلاجقة قبلهم خلافاً لسائر الدول التركية الاسلامية فان منشئيها على الغالب من المماليك او القواد ولا عصبية لهم كالدولة الطولونية بمصر والغزنوية في افغانستان والهند . ومثل دول الاتابكة خلفاء السلجوقيين في سائر انحاء المملكة الاسلامية ودول المماليك في مصر والشام — اما الدولة العثمانية فقد قامت بتاسيسها قبيلةٌ ذات عصبية عليها اميرٌ منها يقال لها قبيلة «غوز» او غوزية واسم اميرها الاول سليمان شاه فاسس الدولة حفيده عثمان ونصراؤه اهل قبيلته كما اسس دولة السلاجقة سلجوق بن بكاك بعصبيته

كان سليمان شاه وقبيلته يقيمون في بادية خراسان حتى اذا نهض المغول بقيادة جنكزخان في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد واواخر السادس للهجرة لاكتساح العالم الاسلامي — ولاقى اهل البلاد ما لاقوه من الفتك والقتل — نزح سليمان شاه وقبيلته غرباً يلتمسون مضرباً اميناً ومرعى خصباً وما زالوا يضربون في الارض حتى اتوا ارمينية فاقاموا فيها بضع سنين ريثما رجع المغول عن بلادهم فهموا بالعود اليها وبينما هم يقطعون الفرات سقط اميرهم سليمان بجواده في النهر ومات فبنوا له قبراً لا يزال يعرف بقبر التركى الى اليوم

وكانت عادة الاتراك البادية اذا مات اميرهم ان تتفرق قبيلته في اولاده وكان لسليمان المذكور اربعة اولاد فانقسمت القبيلة بينهم وعادوا الى بلادهم الا احدهم ارطغرل فانه عزم على المسير برجاله نحو الغرب فساقته التقادير الى آسيا الصغرى وهي يومئذ في حوزة بقية دولة السلاجقة . وكانت هذه الدولة قد نشأت في اوائل القرن الخامس للهجرة وانقسمت الى خمسة فروع احدها السلاجقة العظام وهم اصل هذه الدولة (٢) سلاجقة كرمان (٣) سلاجقة سوريا (٤) سلاجقة العراق وكردستان (٥) سلاجقة الروم او آسيا الصغرى . وكان السلاجقة في ايام سلطتهم يولون الاعمال والولايات قواداً من مماليكهم يسمونهم الاتابكة فاخذ الاتابكة يستقلون بولاياتهم شيئاً فشيئاً حتى اقتسموا المملكة السلجوقية بينهم (راجع تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الرابع) . فلم ينقض القرن السادس للهجرة حتي ذهبت سلطة السلاجقة من سائر المملكة الاسلامية الا الفرع الرومي في آسيا الصغرى

فانهُ ظلَّ قائماً الى آخر القرن السابع · على ان مملكتهم هناك تفرعت الى ثمانية فروع او مقاطعات يحكم كلاً منها عائلة سلجوقية صغيرة

فوصل ارطغرل برجاله وماشيته واثقاله الى آسيا الصغرى في اواخر القرن السابع للهجرة وهذا حالها · حتى اذا اقبل على قونية تراءى لهُ غبارٌ في عرض الافق فصعد الى مرتفع اطلَّ منهُ على سهل قد انتشبت فيهِ حرب بين طائفتين لم يعرفها فتحركت فيهِ الاريحية لنصرة اضعفها فنصرها بمن كان معهُ من الرجال فانتصرت وانهزمت الطائفة الاخرى · ولما انقضت المعركة علم انهُ نصر علاء الدين السلجوقي امير قونية على شرذمة من المغول فسرَّهُ ذلك لانه نصر ابن جنسه على عدوها · وعرف علاء الدين فضلهُ فاقطعهُ ارضاً من امارته يقيم فيها هو وقبيلتهُ كما كان يقطع سائر رجاله وانصاره

وقضى ارطغرل باقي حياتهِ تابعاً لعلاء الدين حتى اذا توفي ارطغرل خلفهُ ابنهُ « عثمان » فورث اباه في اقطاعه · وكان عثمان شجاعاً كبير النفس فلما مات علاء الدين عن غير عقب واقتسم امراؤه المملكة استقلَّ عثمان باقطاعه سنة ١٢٩٩ للميلاد ٦٩٩ هـ) وهو اول استقلالهِ ثم اخذ في تاسيس دولته فاغتنم اختلاف امراء علاء الدين فيما بينهم وغلبهم على ما في ايديهم

وكانت معيشة ارطغرل واهله ورجاله في غاية البساطة شأن اهل البادية في تربية الماشية يقيمون في الجبال صيفاً ويسرحون في السهول شتاء · وكان في طريقهم من المكان الواحد الى الآخر حصنٌ في حوزة الروم فعقد ارطغرل مع حامية ذلك الحصن عهداً محافظة على حياتهم وراحتهم في ذهابهم وايابهم على ان يقدم لهم ارطغرل عدداً معيناً من الماشية كل سنة تحمله النساء والاولاد · وقد طلبت الحامية ذلك خوفاً من رجال الاتراك وبطشهم · وما زالت هذه المعاهدة مرعية حتى توفي ارطغرل وعلاء الدين وتولى عثمان فاستنكف هذا من اداء تلك الاتاوة وعزم على مهاجمة الحصن فتنكر وتنكر معه جماعة من رجاله في لباس النساء ودخلوا القلعة واستولوا عليها · فكان ذلك داعياً الى تراخي العلائق الودية بينه وبين الروم وهم اذ ذاك لا يزالون تحت سلطة امبراطوري القسطنطينية

ثم حدثته نفسه بطلب العلى فاخذ يسعى في الفتح فوجه التفاته الى مدينة نيقية وكانت حصينة ولعلمه انها ستطول امتناعها حاصرها وحول اعنة فتوحاته الى اماكن اخرى تخافه الامبراطور وبعث يستنجد احد الامراء المغول على ان يزوجه ابنته مكافأة لنجدته · اما عثمان فلم يبال بذلك ولكنه واصل الفتوحات فبعث ابنه أورخان ففتح بروصة وكانت من المدن الشهيرة اذ ذاك وفتح قلاعاً عديدة وهو لا يزال مشدداً الحصار على نيقية · واما بروصة

فلم يصل خبر فتحها اليه الا قبيل وفاته فسر لما أوتيه أورخان من الفتح • ولما أحس بقرب الاجل استقدمه فاجتمع به في صغود وهناك اوصاه قائلاً « ها اني مفارق هذا العالم غير آسف لاني تارك من يخلفني فكن ياولداه عادلاً رأوفاً واتبع في احكامك شريعة الرسول » وأمره أن يتخذ بروصة عاصمة له وان يدفنه فيها لكي يرافقه ذلك النصر الى القبر • فكانت بروصة اول العواصم العثمانية وهي واقعة في شمالي اسيا الصغرى وغربيها بقرب شاطيء بحر مرمرا • فتوفي السلطان عثمان مؤسس الدولة العلية العثمانية سنة ١٣٢٦م (٧٢٦ هـ) بعد ان حكم ٢٧ سنة



السلطان عثمان الغازي مؤسس الدولة العثمانية

ذلك هو عثمان بن ارطغرل مؤسس الدولة العثمانية وكان حسن الصورة حالك الشعر كثيراً حتى لقبوه بالاسود (قارا) لشدة سواد شعره وهو من القاب الافتخار عندهم الى الآن • وكان طويل الذراعين حتى تبلغ يده أسفل الركبة بسيط اللباس مقتصراً منه على القفطان والرداء والكمة الحمراء تحيط بها العمامة البيضاء على كيفية تدعى « التاج الخراساني » وكان شجاعاً حتى جعلوه في المنزلة الاولى بين قواد المسلمين كافة وكان حازماً مقداماً متصفاً بسائر الاوصاف اللازمة في تأسيس الممالك

وخلف عثمان ابنه اورخان وكان محباً للفتح فعمل على توسيع دائرة تلك الامارة وضرب النقود وتليت الخطبة باسمه وعدل عن طريقة سائر الاتراك في تقسيم الملك بعد وفاة الوالد واتحد مع اخيه علاء الدين فولاه الوزارة فنظم له الحكومة • وقسم تلك المملكة

الصغيرة الى ولايات ولّى على كل منها حاكماً سماه « باشا » وهي منحوتة من لفظين فارسيين معناهما « قدم الملك » على عادة الفرس القدماء من تسميته الوزراء ورجال الدولة بالايدي والاعين والارجل

ولم يكن في الدولة جندٌ تحت السلاح وانما كانوا مثل قبائل البادية اذا دعوا للحرب لبوا وفي غير الحرب يستقل كل منهم بمهام نفسه • فعمد علاء الدين الى تنظيم جيش ثابت فنظم الفرق وقسمها الى مئات وعشرات على كل منها قائد فلاقى مشقة كبيرة في تدريبهم لغلبة البداوة على طباعهم ولم يستطع اخضاعهم اخضاعاً عسكرياً • فاشار عليه قارا خليل وهو من المقدمين في دولته ان يؤلف جنداً من أناس لا عصبية لهم ولا وطن فيكونون آلة في قبضته وكانت الحروب قد ادخلت في حوزتهم عدداً كبيراً من الاسرى وفيهم صبيان النصارى فاشار عليه ان يربي اولئك الصبيان تربية اسلامية عثمانية فيكونون صنيعته لا يعرفون اباً غيره ففعل ذلك وهؤلاء هم الانكشارية المشهورون في تاريخ الدولة العثمانية • ولعله فعل ذلك اقتداء بما فعله الملك الظاهر بيبرس بعد ان نهب قارا بين دمشق وحمص سنة ٦٦٤ هـ اذ اسر اهلها فقتل كبارهم واتخذ صبيانهم مماليك فتربوا بين الاتراك في الديار المصرية ثم صاروا جنوداً

وتولى بعد اورخان مراد الاول سنة ٧٦١ هـ فاستعان بالانكشارية على اخضاع سائر اسيا الصغرى وجعلها امارة واحدة تحت سيطرته ثم قطع الدردنيل الى شاطىء اوربا وزحف بجنده حتى فتح ادرنة وجعلها قصبة فتوحه وهي عاصمة العثمانيين الثانية فخاف قيصر القسطنطينية وارتعدت جبال البلقان لتلك الجسارة واتحدت اماراته على الاتراك ولم يغنهم ذلك شيئاً ففتح مراد كثيراً من تلك البلاد وتوفي سنة ٧٩٢ هـ وخلفه بايزيد الاول ودخلت الدولة في دورها الثاني وبايزيد اول من سمى نفسه سلطاناً

وفي ايامه ظهر تيمورلنك القائد المغولي العظيم وكان قد حمل على العالم كما حمل جنكزخان قبله فجاء من وراء النهر حتى فتح بلاد فارس بعد حروب كثيرة سفكت فيها دماء غزيرة ولم تمض بضع سنوات حتى دوخ خراسان وجرجان ومازندران وسجستان وافغانستان وفارس واذربيجان وكردستان ثم جاء العراق فاستولى على بغداد وحول اعنة خيوله شرقاً نحو الهند فغزا قشمير ودهلي وتحول غرباً الى اسيا الصغرى على عهد الدولة العثمانية بسلطنة بايزيد المذكور فحاربه واسره • ومات بايزيد في الاسر فاضطربت الدولة بعد موته وكان سلطانها قد امتد من الاورنتس الى الدانوب وانقسمت على نفسها وكادت

تذهب شتاتاً كما ذهب كثير من الممالك التركية قبلها بانقسام المملكة بين القواد او الاولاد فاختلف اولاد بايزيد على الملك وفاز احدهم محمد چلبي بذلك وثبتت دولته

وتوالى السلاطين بعده وهم يفتحون شمالاً وغرباً ويحاربون ملوك الافرنج وقوادهم حتى فتحوا القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وقضوا على بقية دولة الروم · ولفتح القسطنطينية شأن كبير في تاريخ الاسلام لانها مابرحت ممتنعة على المسلمين من صدر الاسلام وهم يتشوقون الى فتحها او يحاولونه ويرتدون عنها حتى تأتى ذلك لمحمد الفاتح العثماني فدخلها في ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ نحو الساعة الثامنة من باب رومانوس راكباً على جواده ووزراؤه وقواده محدقون به وعلى وجوههم علامات العز والنصر فمروا في شوارع المدينة وهم ينظرون الى قصورها وقبابها حتى وصلوا الى آتميدان وفيه كنيسة ايا صوفيا فوقع نظر السلطان على عمود يمثل ثلاث حيات ملتفة بعضها على بعض فدنا من ذلك العمود وضرب فك احدى الحيات بصولجانه لاعتقاده ان الحيات رصد على القسطنطينية · ثم تحول نحو كنيسة ايا صوفيا وترجل ودخل من بابها الاكبر فاعجب بما فيها من فخامة البناء وزخرفه وبينما هو يتأمل فيها راى احد رجاله يحاول كسر بعض بلاطها فانتهره وضربه بصولجانه ليكف عن ذلك

ثم امر فانزلت الصلبان والصور حتى اصبحت الجدران عارية واوعز ان يؤذن المؤذن للصلاة فاصبحت تلك الكنيسة من ذلك الحين جامعاً لايزال يعرف بجامع ايا صوفيا حتى الآن · وسار السلطان من الكنيسة الى سراي الامبراطور

وفي اليوم التالي جاء السلطان اثنان من الانكشارية يحملان جثة الامبراطور باليولوغوس آخر اباطرة الكرسي القسطنطيني وقد وجداها بين القتلى وعرفاها من رسم النسر المزركش بالقصب على النعال فامر السلطان بدفنها بالاكرام · وكان في جملة من اسره العثمانيون في ذلك اليوم الغراندوق لوكاس نوكوريوس رئيس وزراء المملكة فطلب اليه السلطان ان يسلم اليه خزائن القسطنطينية فجاءه بها وطرحها عند قدميه فقال له السلطان لماذا لم تستخدموا هذه الاموال في الدفاع عن مملكتكم فقال « لانها كانت محفوظة لكم بقضاء من الله »

واصبحت القسطنطينية عاصمة المملكة العثمانية من ذلك الحين ثم توسع العثمانيون بالفتوح وتوجهت مطامعهم الى فتح اوربا وهي الامنية التي سفكت الدماء وخابت الآمال في سبيلها من صدر الاسلام فحمل العثمانيون على ممالك اوربا وغيرها بانكشاريتهم

شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً حتى غرسوا اعلامهم في قلعة اورنتو بايطاليا ٠ وحمل السلطان سليم الاول على الشرق والجنوب فعمل في اثناء مدة حكمه القصيرة (ثماني سنوات) ما يعجز عنه غيره في قرن فقهر ملك الفرس وافتتح كردستان وديار بكر وسوريا ومصر وبلاد العرب والحرمين الشريفين وظفر في القاهرة ببقية الخلفاء العباسيين فبايعوه على الخلافة فدخلت الدولة العثمانية في دورها الثالث وهو اهم ادوارها لاتساع سلطانها وانتظام شؤونها



السلطان سليمان القانوني

وخلف سليماً ابنه سليمان وهو اطول السلاطين العثمانيين ملكاً واوسعهم سلطاناً وقد بلغت الدولة العثمانية في ايامه قمة مجدها كما بلغت الدولة العباسية في عصر المأمون ٠ وفتح فتوحاً كبرى منها امارة بلغاريا في الشمال واكتسح بلاد المجر في معركة يرتعد التاريخ من ذكرها ٠ وامعن في اوربا فتحاً وقهراً حتى وطئت حوافر خيوله ارباض فيننا عاصمة النمسا فحاصرها سنة ١٥٢٩ ولم يفتحها ولكنه اخذ الجزية منها ٠ وللسلطان سليمان فضل عظيم على هذه الدولة بما سنّه من القوانين وفتحه من البلاد وما عقده من المعاهدات الدولية مع معاصريه من ملوك اوربا وكلهم من العظماء مثل شارلكان وفردينان وفرنسيس الاول وليو

العشائر والبصابات وكورتس وغيرهم وامتدت السلطنة العثمانية في ايامهِ من بودابست على نهر الطونة (الدانوب) شمالاً الى مدينة اصوان في اعالي الصعيد جنوباً ومن الفرات شرقاً الى بوغاز جبل طارق غرباً ولذلك سموه سليمان الكبير



السلطان محمود الثاني

فبلغت الدولة في ايامهِ ارقى درجاتها واخذت بعده بالانحدار لتقاعد سلاطينها عن الذهاب الى الحرب بانفسهم وانغماسهم في الترف والرخاء والقاء مقاليد الدولة الى وزرائهم وقوادهم . وما زالت تتقهقر بعده الى اواخر القرن الثامن عشر ثم تجدد نظامها على عهد السلطان محمود الثاني في اوائل القرن التاسع عشر حتى يوافق روح التمدن الحديث وكان الجند الانكشارية قد استفحل امرهم واعيا السلاطين اخضاعهم فأتى السلطان محمود على ابادتهم بدهاء وبسالة اقتداء بما فعلهُ عاملهُ محمد علي باشا في مصر بنكبة المماليك ونظم الجند الجديد مثلهُ . وهو اول سلطان عثماني لبس الطربوش واللباس الافرنجي على الزي المعروف وركب العربة الفايتون . وكان السلاطين قبلهُ يلبسون العمامة والجبة ويركبون الخيل فسارت الدولة من ايامهِ في خطة التمدن الحديث ولا تزال آخذة في هذا السبيل الى الآن

مميزات الدولة العثمانية

وتمتاز الدولة العثمانية عن سائر ما تقدمها من الدول الاسلامية العظمى بأمور كثيرة منها

(١) انها توفقت الى فتوح عظيمة لم يتوفق المسلمون من قبل الى مثلها ولا سيما

القسطنطينية وقد حاول الامويون والعباسيون فتحها مرارًا ولم يفلحوا . ولهذا الفتح شأن كبير في تاريخ التمدن الحديث لان كثيرًا من اسباب العلم كانت محصورة ضمن اسوار تلك المدينة فلما فتحت خرج منها جماعة كبيرة من العلماء وانتشروا في اوربا

(٢) ان العثمانيين اول من طمع بفتح اوربا من الدول الاسلامية غير بني امية عند فتح الاندلس . وقد ذهب الامويون وهم يتحرقون على فتح القسطنطينية بعد فتح الاندلس على امل ان تلتقي جيوشهم في اواسط اوربا . ولو توفقوا الى ذلك الفتح يومئذ لهان عليهم فتح اوربا لانها كانت في غاية الاختلال والضعف . واما في ايام العثمانيين فكان الافرنج قد افاقوا من غفلتهم بعد الحروب الصليبية وانشأوا الدول ونظموا الجنود واشتدت سواعدهم . ومع ذلك فقد تمكن العثمانيون بعد فتح تلك العاصمة من الايغال في اوربا حتى حاصروا عاصمة النمسا كما تقدم

(٣) انهم جمعوا بين السلطنة والخلافة والعثمانيون اول دولة غير عربية بويع لها بالخلافة ولم يتفق لاحد غيرها قبلها ولا طمع فيه احد من سلاطين المسلمين غير العرب مع ما بلغت اليه ضخامة دولهم . فالسلطان سليم لما فتح مصر سنة ٩٢٣ ه واخذها عنوة من السلاطين المماليك كان فيها المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين الذين انتقلوا من بغداد بعد ان فتحها هولاكو المغولي . فتنازل هذا الخليفة عن الخلافة للسلطان سليم وبايعه وسلم اليه الآثار النبوية وهي اللواء والسيف والبردة واعطاه مفاتيح الحرمين الشريفين فاجتمعت له السلطتان السياسية والدينية وسمي من يومئذ « الخليفة امير المؤمنين » وتوارث هذا اللقب السلاطين بعده

وفي اعتقادنا ان الجمع بين هاتين السلطتين في الدولة العثمانية سبب كبير في طول بقائها وحفظ كيانها لارتباط الدين بالسياسة في الدول الاسلامية [١] اعتبر ذلك في الدول التي قامت في اثناء التمدن الاسلامي من الفرس والاتراك والاكراد والديلم والعرب كالسلاجقة والبويهيين والايوبيين وغيرهم فما فيهن دولة بلغ من اتساع سلطانها وطول بقائها نصف ما بلغت اليه الدولة العثمانية ولا تواصل الحكم في اعقاب رجل واحد من رجالها كما تواصل في اعقاب مؤسسها عثمان — حتى الخلافات العربية فان اطولها مدة الخلافة العباسية لم يطل حكمها في الدين والسياسة معًا ثلاثة قرون وكانت بعد ذلك قاصرة على الحكم الديني . فالدولة العثمانية بهذا الاعتبار اطول دول الاسلام بقاء؟

(١) راجع تفصيل ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي

(٤) انها لمّت شعث العالم الاسلامي بعد ان تشتت شمله وكاد يذهب ضياعاً على أثر ما انتابه من هجمات الامم المحيطة به وخصوصاً المغول والافرنج . ظهرت هذه الدولة في اوائل القرن الثامن للهجرة ومصر في حوزة السلاطين المماليك يتنازعون السلطة ويتخاصمون على الكسب . والشام يحكمها بعض مماليكهم او بقايا السلاطين الايوبية حتى تكاد كل بلد منها تستقل بحكمها . والعراق وبلاد فارس وما بين النهرين في حوزة الايلخانية . وما وراء النهر وافغانستان في قبضة المغول . وبلاد الهند في ايدي سلاطين دهلي وسائر بلاد المشرق يتنازعها بقايا المغول او بقايا الاتابكة . وآسيا الصغرى كانت منقسمة الى ممالك صغيرة يتولى كل منها امير من بقايا السلاجقة كما تقدم وهم يتنازعون ويتخاصمون ولا يستقرون على حال . والدولة الناصرية في الاندلس قد انحصرت في غرناطة والدول المرينية والزيانية والحفصية تتنازع على شمالي افريقيا



جند الانكشارية

تلك كانت حال الممالك الاسلامية لما ظهرت الدولة العثمانية ولم يمض على ظهورها قرن وبعض القرن حتى جمعت معظم تلك الممالك تحت جناحها واعادت للاسلام عزّه وسطوته وافتتحت من بلاد اوربا ما لم يقو عليه غيرها من الدول الاسلامية . وقد ساعدها على القيام بهذا العمل جمعها بين الخلافة والسلطة فاصبح المسلمون في سائر انحاء العالم حتى في الهند والصين وجزائر المحيط يعدون السلطان العثماني خليفتهم يتبركون باسمه ويعظمون شأنه

داء الكلب

الدكتور جورج تور عضو في جمعية اميركا واكاذيمية نياغرا الطبيتين

نظراً لحوادث داء الكلب التي توالت على هذا القطر في العام الماضي رأيت ان اكتب الى مجلتكم الغراء فذلكة تاريخية عن هذا الداء الفظيع اقتصر بها على ما يهمُّ العموم معرفته عسى ان يكون منها فائدة للقراء الكرام فاقول :

١ — تاريخ ظهوره

ان الزمان الذي ظهر به هذا الداء اولاً غير معلوم • ويذهب البعض الى ان القدماء كانوا يذكرونه على طريق القصص الخرافية مع غرائب الحوادث الميثولوجية على انهم يؤكدون ان ارسطو عرفهُ ووصفه سنة ٣٢٢ قبل المسيح فقال « ان الكلاب تصاب بالكلب فتظهر فيها اعراض شبيهة باعراض الجنون وكل الحيوانات التي يعضها الكلب الكلب تصاب به وهو يقتل الحيوانات الا انه لا يميت الانسان »

اما استثناء ارسطو للانسان من خطر هذا الداء فكثير من المؤرخين يشكون بصحته وبصحة نسبته الى هذا الحكيم • ثم وصفه زينوفون وديموقراطس الفيلسوف فقال هذا « انهُ داء يحدث التهاباً في الاعصاب فينتج عنه تشنج في العضل » فجعله شبيهاً بمرض التتنوس اما ابقراط فالمرجح انه لم يكن عالماً بشيء من احواله • وفي ما عدا ذلك فقد ذكر هـذا الداء كثيرون من الشعراء والفـلاسفة والمؤرخين المتقدمين كفرجيل وهوراس وبلوتارخ نحو سنة ١٣٠ قبل المسيح • على ان كرنيليوس سلسس كتب اهم وصف له ووصف احسن طرق المعالجة التي يعول عليها حتى في هذه الايام — قال « اذا لم يعالج الجرح الناتج عن عضـة الكلب الكلب بسرعة وهمة واعتناء (بعد ان وصف الطريقة التي يعول عليها في المعالجة) فالمصاب تظهر فيه اعراض داء الكلب لا محالة ولا يبقى له امل بالشفاء » • وكذلك ديوسكريدس وجالينوس واوريباسيوس فانهم تحدثوا في وصف هذا الداء ومعالجته طريقة سلسس وتوسعوا بوصفه بما فتح لهم من ملاحظاتهم الشخصية • ويظن كثيرون من المؤرخين ان اهل الهند الاولين والمصريين القدماء والاسرائيليين كانوا يعرفون هذا الداء • اما العرب فقد نقلوا ما كان شائعاً من امره عند الامم المتقدمة فذكره فالرازي ذكراً ضعيفاً • اما ابن سينا فقد اضاف الى ملاحظاته الشخصية كل ما عرفه الاطباء قبله وكتب في داء الكلب واسبابه وعلاجه فصلاً طويلاً

وكذلك فعل علي بن العباس المجوسي صاحب كتاب كامل الصناعة الطبية المعروف بالملوكي فقد أفرد لهذا الداء فصلاً مهماً ذكر فيه طريقة المعالجة سنذكر ما نراه مناسباً منها فيما يلي

٢ — تاريخ علاجه

ونظراً لما لهذا الداء من شدة الوطأة على المصابين والرعب في الهيئة الاجتماعية قد عني جماعة من الاطباء في كل اقطار المعمور اعتناءً خاصاً بدرس اطواره وكشف حقيقته واستنباط العلاجات الشافية له عند ظهور اعراضه ولكنهم كانوا كتائه في ليل او راكض وراء سهيل • فمنهم من نفى حقيقة وجوده ونسبه الى الوهم ومنهم من خلطه بسواه من الامراض التشنجية كالتتنوس والهستيريا ومنهم من اتبع تعاليم الاقدمين وابقى القديم على قدمه حتى فتح الله على باستور فبنى علاجه على اساس ما قرره المتقدمون واستنبط طريقته المشهورة وهي انجع علاج عرف حتى الآن وهي اذا استعملت قبل ان تظهر اعراض الداء نجحت في اكثر الحوادث ولذلك اتخذتها حكومات الامم المتمدنة رسمياً وأنشأت المستشفيات المخصوصة لمعالجة المصابين بداء الكلب على طريقة باستور • فكفاه بذلك فخراً وبشفاء المصابين من بني الانسان اجراً

(تسميته) سمي هذا الداء بالكلب من قبيل تسمية المرض ببعض ظواهر اعراضه لان المصاب يطرأ عليه تهيج عصبي فيعض كل من صادفه بطريقه وقد يعض نفسه ويعوي عواء الكلاب فسمي هذا الداء بالكلب والمصاب به يدعى « كلبان » اما الافرنج فيسمون الداء الهيدروفوبيا اي الفزع من الماء لان المصاب يفزع من رؤية الماء فتشتد عليه الاعراض التهيجية حتى لا يستطيع ازدراد شيء لتشنج عضلات البلع وتشنج عضلات التنفس فيصوت المصاب اصواتاً شبيهة بنباح الكلاب

٣ — اسبابه

يغلب ظهور هذا الداء في الحيوانات ذات الانياب كالذئب والكلب والثعلب والضبع والهر وابن اوى والمظنون ان السبب المحرك لحدوثه فيها سمٌّ او ميكروب لم يزل مجهولاً على انه يعد من الامراض المعدية التلقيحية اي ان عدواه لا تنتقل من المصاب الى السليم الا بواسطة التطعيم او التلقيح ويتم ذلك ان يعض حيوان كلب حيواناً آخر او انساناً وقد ذهب فريق من الاطباء والعلماء الى انه يحدث احياناً من تلقاء نفسه اي انه يتولد في الحيوان وهو في حال الصحة بدون عدوى من عضة حيوان آخر كلب

ويذكرون لذلك اسباباً لا طائل تحتها ولا فائدة من ذكرها على اني اظن كما يظن الكثيرون ان هذا الداء لا يمكن ان يتولد من نفسه بل على الارجح ان الحيوان يلقح بالميكروب اوالسم الكامن في اقذار الارض او الطائر في الهواء فليتصق بقروح او خدوش في جسده اما مباشرة او بواسطة الذباب او البراغيث او غيرها من الحشرات فيمص هذا السم ويدخل الدورة الدموية فيتصل بالنخاع الشوكي والدماغ ويبقى كامناً في الجسم مدة غير محدودة تسمى مدة الاحتضان فتظهر بانقضائه اعراض المرض الخصوصية

اما زمن اللقاح او الاحتضان فيختلف طولاً باختلاف قوة السم الملقح به و باختلاف امزجة المصابين واعمارهم ومركز العضة في الجسم • وقد لوحظ ان زمن الاحتضان يكون قصيراً جدًّا اذا كان المصاب حديث السن او اذا كان عصبي المزاج او كانت العضة في محل من الجسد عارٍ من الكساء كالوجه او الرقبة • وبخلاف ذلك تكون مدة الاحتضان طويلة وهذا الزمن يختلف في المصابين من ثلاثة ايام الى ثلاثة اشهر ويندر ان يتجاوز ثمانية اشهر وزعم البعض ان العدوى تبقى كامنة في الجسم ثماني سنين وهذا على ما يظن اندر من النادر

والمادة التي تستعمل لاجل التلقيح او التطعيم هي المادة الحاملة لسم الداء وتوجد بكثرة في الدماغ وفي النخاع الشوكي وفي مفرزات غدد اللعاب ورفيقاتها التي تساعد على افرازه ولذلك استخدم الاطباء هذه المواد في تجاربهم على الحيوانات الاليفة كالارانب والكلاب والهرر وتحققوا منها طبائع هذا الميكروب • واهم هذه الطبائع ان الميكروب المشار اليه او سمه يحتلّ نقطاً رئيسية في الدماغ كاحتلاله الاجهزة العصبية التي تتسلط على عضلات المضغ والاجهزة التي تتسلط على عضلات التنفس وقد تحققوا بتجارب عديدة انه اذا لقح حيوان بمادة ماخوذة من الدماغ او النخاع الشوكي لحيوان كلب فانها تعديه فتظهر فيه اعراض حادة في وقت قصير • اما اذا عرّضوا هذه المادة للهواء حتى تجف ثم لقحوا الحيوان بها فتخف وطأة العدوى وتظهر على الحيوان اعراض ضعيفة وعلى هذه القاعدة بنى باستور ابحاثه وتجاربه وتوفق بها الى ايجاد طريقته المشهورة ومآلها تلقيح جسم الحيوان بسم الكلب حتى يتولد فيه قوة داخلية تقيه من ذلك لو عضه كلبٌ كلبٌ بعد التلقيح

٤ — الكلب في الحيوانات

ولما كانت العدوى تتصل بالانسان دائماً من عضة حيوان كلب كالهر أو الكلب او الفرس اوالثور او غيرها من الحيوانات الاليفة رأيت من المناسب ان اكتب شيئاً عن الكلب في الحيوانات لانها هي السبب الرئيسي ليحذر الانسان منها اذ يكون على بينة من اعراضها :

اذا اصيب حيوان بهذا الداء فبعد ان تنقضي مدة الاحتضان تظهر فيه اعراض الكلب على ثلاثة ادوار (اولاً) دور البحران والخمول ويسمى الملانخوليا ومدته من عشر ساعات الى ثلاثة ايام واعراضه ان الكلب او الهر المصاب تتغير طباعه وهيأته فيستولي عليه البحران و يصير قلقاً اي انه لا يربض في محلٍ مدة طويلة بل يكثر التنقل و يصير سريع الغضب الا انه يستولي عليه الخوف فينزع من اقل حركة او صوت وتحمر عيناه وتتجعد جبهته وتظهر الشراسة في وجهه و يتغير صوته ولو لوحظ الحيوان بامعان وهو يمشي لوجدت فخذاه ترتعشان ارتعاشاً خفيفاً وينحني مؤخر جسده قليلاً و ينقطع عن الاكل الاعتيادي و يرغب في التقام الاقذار فلا يأكل من طعامه الا قليلاً واذا اكل رايت الطعام يتناثر من فمه . وتراه يلحس الحجارة وسائر الاجسام الصلبة الباردة كالحديد واكثر الاوقات يلحس جسده وخصوصاً موضع الجرح المندمل . فاذا ظهرت هذه الاعراض كلها او بعضها في حيوان من الحيوانات الاليفة وجب الحذر منه و يستحسن حبسه او ربطه مدة ثلاثة ايام الى خمسة في مكان منفرد بحيث لا يستطيع ايصال الاذى الى احد . فاذا ظهرت عليه بعد ذلك اعراض الدور الثاني يجب قتله رمياً بالرصاص او بطريقة اخرى ليامن الانسان شرّه

ثانياً دور التهيج او الجنون ومدته لا تكون اطول من ثلاثة ايام ويندر ان تتجاوز اليوم الرابع فيكون الحيوان الكلب بهذه المدة في حالة الهياج والجنون فينبح و يعضّ كل من صادفهُ او يعض نفسهُ وتزداد هذه الاعراض فيه اذا رأى الماء ولا يمكنهُ ان يأكل او يشرب بل يطلب الفرار والركض تائهاً لا يقصد جهة معلومة . فيعدو بلا وعي . فاذا انتهت مدة الدور الثاني ضعف الحيوان ودخل في الدور الثالث وهو دور الشلل فتشلُّ فخذاه ومؤخر جسمه فلا يعود قادراً على الوقوف فيقع على الارض و يبح صوتهُ و يضيق تنفسهُ و يضعف القلب و يموت غالباً في اليوم السادس من ظهور اعراض المرض عليه و يندر ان يبقى حياً الى اليوم العاشر

البقية تاتي

عذراء قريش

الطبعة الثانية

نخبر الذين كتبوا الينا يطلبون رواية عذراء قريش واستمهلناهم ريثما نطبعها ثانية اننا قد فرغنا من طبعها بعد تنقيحها فليطلبوا منها ما شاؤوا

مذكرات الدكتور فان ديك

من سنة ١٨٣٩ — ١٨٥١

او تاريخ تأسيس النهضة الادبية الاخيرة في بيروت ولبنان (تابع ما قبله)



الدكتور فان ديك سنة ١٨٨١

✻ الدروز وانكلترا ✻ وفي افريل سنة ١٨٤١ جاء وفد من مشايخ الدروز الى منزل الدكتور وليم طمسن في بيروت فاستقدم الدكتور عالي سميث وتداولوا طويلاً فدعا الدكتور طمسن الوجهاء منهم للغداء معه وهم آل جنبلاط وآل نكد وآل عماد وآل تلحوق وآل عبد الملك والامير احمد ارسلان وبعض آل انقاضي والحَّ هؤلاء المشائخ في طلب المدارس . فكانت النتيجة من هذه الاجتماعات والمشورات ان يقضي الدكتور طمسن الصيف في عين عنوب وان الدكتور عالي سميث والمستر ولكوت وانا نقضيه في دير القمر ونفتح فيها مدرسة واتفق مجيء القس جيجر احد معلمي مدرسة يل في اميركا للسياحة فتعين للتعليم فيها موقتاً وكان التعليم في اللغة العربية لا يزال قاصراً . واستأجر المستر ولكوت قصر جرجس باز في دير القمر وفتح مدرسة يومية بمساعدة المستر جيجر لاولاد الدروز ولكن المستر جيجر مات عاجلاً في مصر

على ان هذه المساعي لاقت مقاومة شديدة من الاكليروس الماروني لانهم حرضوا الشعب على مقاومتنا بكل وسيلة ممكنة ولولا حماية المشايخ الدروز ورجالهم لم نستطع الاقامة في الدير ساعة واحدة وكان لنا بين الروم الكاثوليك في دير القمر صديق واحد هو الخواجه حنا الدوماني لان امرأته من اخوات الدكتور مخايل مشاقه الشهير. على ان ارسال الشيخ اسماعيل جنبلاط الى انكلترا اثبت للمارونيين وجود محالفة بين الانكليز والدروز وكان للدسائس الفرنساوية شان كبير يومئذ و بذل الاكليروس الماروني اقصى جهدهم في اثارة الحرب لابادة الدروز . ولما قامت الفتنة اجتمع مشايخ الدروز والاساقفة الموارنة في عيناب للمداولة في الشؤون الجارية وكان في جملة الحضور القس جوبات الذي صار بعدئذ اسقفاً في القدس وكان قد جاء الى عيناب لمخابرة الدروز بالنيابة عن القنصل الجنرال الكولونال روز وعرج في اثناء طريقه بعين عنوب لزيارة الدكتور طمسن فازداد الموارنة بذلك تمسكاً باعتقادهم وثباتاً في عزمهم على محاربة الدروز

الحرب الأولى بين الدروز والموارنة كان المستر بيدل قد ذهب الى حلب لانشاء مركز جديد للمرسلين هناك . وكان المستر كايز والمستر ليااندر طمسن في عاربا يدرسان العربية . ورأينا في سبتمبر سنة ١٨٤١ ان الحرب لابد منها فغادرنا دير القمر ونزلنا الى بيروت . وكان المستر ولكوت مقيماً في الطبقة العليا من بيت المرسلين والمستر كايز في السفلى والمستر طمسن في بيت قربطم وهو اليوم بيت فرج الله . واما عائلة المستر بيدل فكانت مقيمة في بيت يعقوب اغا ابكاريوس وراء بيت الدكتور طمسن . وبعد خروجنا من دير القمر بيومين انتشبت الحرب فيها وسببها الظاهر خصام بين درزي من بعقلين وماروني من الدير على اطلاق رصاصة وكانت النتيجة انهزام الموارنة وخروجهم من كل جبل الدروز واحرقت منازلهم فالتجأ كثيرون منهم ومن الطوائف الاخرى في بيروت الى بيوت المرسلين الاميركان وغيرهم . وكان في جملة المهاجرين الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ بشارة الخوري وبعد ان كان الشيخ اليازجي يرتزق بمعية الامير بشير احترف التعليم في مدارس الاميركان والتصحيح في مطبعتهم واما الشيخ بشاره الخوري من رشميا فانه فرّ من دير القمر حافياً مجروحاً فنزل في بيت المعلم طنوس الحداد واقام عنده وقد دعيتُ لمعالجة جراحه فوضعناه في احدى غرف المدرسة ولما شفي تعين مدرساً يعلم المرسلين الاميركان وبعض التلامذة من بقايا المدرسة القديمة

التبشير والتعليم في لبنان وفي اواخر سنة ١٨٤١ واوائل ١٨٤٢ اتى الدكتور

ديفورست وامرأته للتبشير ونزلوا عند عالي سميث . وفي ابريل سنة ١٨٤٢ اجتمع مجمع المبشرين في بيروت وقرروا انشاء مركز للتبشير في جبل لبنان وتعين المستر بيدل والدكتور ديفورست للنظر في ذلك وذهبوا للبحث عن مركز مناسب وكان كلاهما غيوراً في هذه المهمة . فرحلوا مراراً في الجبل وتفقدوا قراه لاختيار مكان مناسب . وفي مايو سنة ١٨٤٢ توفيت امرأة عالي سميث وهي الثانية بعد ان عهدت الى المستر ديفورست بابنها (وهو الآن استاذ في مدرسة ييل الكلية) فطلب عالي سميث بقاء ديفورست في بيروت فاجابوا طلبه اكراماً لشيخوخته فذهب ذلك بمساعيهم في انشاء المدرسة في الجبل موقتاً وحدث في اثناء ذلك اسباب صحية وغيرها حملت المستر ولكوت و بيدل على الاستعفاء فرجعا الى بلادهما . ثم جاءت الكتب من اللجنة الادارية من بوسطن تشكو من تجمع المبشرين في بيروت وتامرهم بالتفرق في انحاء سوريا ولبنان — فقد كان عالي سميث مدير اشغال المطبعة والمطبوعات ووليم طمسن ناظراً للمدرسة وجورج هرتز ناظر المطبعة والدكتور ديفورست لاعالة الدكتور عالي سميث في بيته وكان في بيروت ايضاً بيدل وليساندر وكايز وانا . فاجتمعنا في عيناب في اوغسطس سنة ١٨٤٢ وتفاوضنا في ارسال من يقيم في الجبل فسئل بيدل هل يقيم في لبنان صيفاً وشتاء فاجاب كلا ثم سئل كايز وليساندر طمسن فاجابا بالسلب ايضاً ثم سألوني فاجبتهم «نعم على شرط ان تعطوني ما يكفل ترميم مكان اسكن فيه » . فدفعوا الي خمسمئة غرش رممت بها بيتاً في عيتات اصلحت ابوابه ونوافذه وسقفه واقمت فيه وتقرر ان تكون عيتات مركزاً للمبشرين في الجبل وأنا اتولى امره . وتقرر ايضاً ان يأتيني وليم طمسن في الربيع القادم للنظر في ذلك . فقضيت ذلك الشتاء ودخلت في الربيع سنة ١٨٤٢ وترجمت في اثناء ذلك الشتاء الاول كتاب التعليم المسيحي بحرفيته ثم نقحه عالي سميث تنقيحاً قليلاً

(اسباب اختيار عبيه للتبشير) كانت عبيه قرية كبيرة عامرة وصحية وفيها اخلاط من الدروز والمارونيين والروم الارثوذكس وبعض الكاثوليك لانها كانت وسطاً بين بلاد الدروز وبلاد النصارى ويسهل اقتناء بيت فيها . فاشترينا ارضاً عليها بناء قديم اصلحناه وجعلناه مسكناً للمرسلين ثم صارت مدرسة هي مدرسة عبيه الشهيرة . فذهب وليم طمسن اليها وأقام صيف سنة ١٨٤٣ فيها ورجع في الخريف الى بيروت ونقلت انا من عيتات الى عبيه وكان الشتاء قارساً والبيت متخاخلاً فصبرت على ذلك الشتاء وفتحت مدرسة اعلم فيها الشبان وأعظ . وفي اجتماع المرسلين بربيع سنة ١٨٤٣

نقل المستر هوايتن من أورشليم ليشتغل معي في عبيه فاقام في بيت الشيخ احمد واقمت انا في بيت لام حسين أحرق في المعركة وأقام وليم طمسن في البيت الذي اشتريناه واصلحناه وبعد قليل اخذنا في بناء بيت آخر جعلنا صهريجه عقداً واتخذناه كنيسة وفتحنا مدارس صغيرة في بعض انحاء القرية

وفي سنة ١٨٤٤ قدم الدكتور اندرسن وهاوز من عمدة اللجنة في بوسطن الى بيروت لتفقد احوال المرسلين وفي اثناء مرورهما بازمير لقيا فيها الدكتور سمعان كلهون وكيلاً لجمعية نشر التوراة فخاطباهُ بالمجيء الى سوريا فاجاب وجاء معهما . فاقترحوا انشاء مدرسة داخلية برئاسة كلهون حالما يتعلم العربية وينقل عائلته الى بيروت . فقضى كلهون ذلك الصيف في بحمدون وبذل اقصى جهده في تعلم العربية وقد ساعدهُ على ذلك انه كان يعرف اليونانية ومع تقدمه في السن تمكن في سنتين من الوعظ في اللغة العربية . ومعلمه ابو سليم يوسف الحداد من طرابلس الشام

وفي سبتمبر سنة ١٨٤٤ كان المرسلون الانكليز التابعون للكنيسة الاسقفية الانكليز يفدون على فلسطين اسرابًا ومنعاً للمنافسة تقرر بين اللجنتين الانكليزية والاميركانية ان تختص اعمال الاسقفية بفلسطين واعمال الاميركان بسائر سوريا . ولذلك دعي المستر لانو للرجوع الى بيروت فاقام في بيت يعقوب آغا وقضى الصيف الثاني في عيناب . ونحو ذلك الوقت اتفق البروسيانيون والانكليز على انشاء اسقفية انجيلية في القدس واول اساقفتها الدكتور الكسندر . ولما توفي خلفه الدكتور جوبات وجعلوا حق هذا المنصب بالمناوبة بين البروسيان والانكليز

(حاصبيا سنة ١٨٤٤) وفي فبراير من هذه السنة قدم الى بيروت وفدٌ مؤلف من خمسين رجلاً ينوبون عن نحو مئة عائلة من الروم الارثوذكس في حاصبيا يطلبون انشاء مدارس تعليمية دينية انجيلية .. وكانت انجيليتهم قائمة باكل البيض في اثناء الصيام — فاجاب المرسلون طلبهم وارسلوا معهم بعض المعلمين من ابناء البلاد وهم ابو بشاره طنوس الحداد الكفرشيمي والياس فواز البيروتي والمعلم بطرس البستاني . وكان المرسلون الاميركان يترددون على حاصبيا ايضاً بالمناوبة بحيث لا تخلو هذه المدينة من واحد منهم . فسارت الاعمال بنجاح وسكينة حتى جاءت مسألة العماد فنهض الاكليروس للمقاومة والاضطهاد وفرضوا على الذين يبقون في الانجيلية ان يدفعوا ضرائب العسكرية وغيرها اكثر من سواهم واتهموهم بامور كثيرة وصادروهم بالاذى في املاكهم . وكان قنصل الانكليز يومئذ في

دمشق المستر وود فساعدهم كثيراً

﴿ الحرب الثانية بين الدروز والموارنة سنة ١٨٤٥ ﴾ وفي هذه السنة حدثت الحرب الثانية بين الدروز والموارنة وسببها غيرة اكليروس الموارنة من المرسلين الاميركان ودسائس فرنسا لمقاومة نفوذ انكلترا هناك . وكنت انا والدكتور وليم طمسن والمستر هوايتن مقيمين في عبيه وكاهون لا يزال في بحمدون . فحوصر الموارنة في عبيه داخل السرايات القديمة بحارة عبيه السفلى وهي من بناء آل تنوخ وكاد الموارنة يُذبحون عن آخرهم لولم نرسل نحن كتاباً الى قنصل انكلترا في بيروت الكولونيل روز بشأنهم فركب الى عبيه حالاً واخمد الثورة ونزلت امامه الموارنة الهاربين الى بيروت وقاية لهم في اثناء الطريق . وكان المستر لوري احد المرسلين يومئذ في بيروت فرأى دخان الحريق في عبيه فاسرع الى نجدتنا اما نحن فلم يمسنا ضرر ولكننا نجونا بالجهد



الدكتور فان ديك بلباسه الشرقي

ومما يحسن استطراده في هذا الموضع اني كنت الى ذلك الحين اقلد لباس اهل البلاد الذين قضي عليَّ الاقامة بينهم باقي العمر فكنت البس السراويل والطاقات والدامير المزركش بالقصب وهو زي الامراء واعيان لبنان في ذلك الحين . فاتفق يوم المعركة المشار اليها اني دعيت لمعالجة مريض بالحارة السفلى في عبيه وكنت مقيماً في العليا فركبت فرسي ونزلت وانا لا اعلم ببلوغ الثورة فما كدت اعود حتى سمعت اطلاق الرصاص ورأيت

الناس في هرج وحركة فسقت فرسي صعوداً التمس منزلي فرآني بعض الدروز ممن لا يعرفونني فظنوا من شكل لباسي وقيافتي وشقرة لوني ان من الامراء الشهابيين الموارنة فتصدى لي بضعة منهم قبض احدهم على لجام فرسي وهددني بالقتل ان لم انزل وأسلم لهم نفسي فاجفل الفرس في اثناء الجدال وانتصب على قائمتيه الخلفيتين ولجامه لا يزال في قبضة واحد منهم فلما رأيت اصرارهم اخرجت رجلي من الركاب ورفست ذلك الرجل فوقع واطلقت العنان للفرس فوصلت البيت وانا لا اصدق اني نجوت من الموت وصممت من ذلك الحين على تبديل الزي الوطني بالزي الافرنجي فابدلت السراويل والدامير بالسترة والبنطلون



عمر باشا

(عمر باشا) وكان لبنان الى ذلك الحين مستقلاً باحكامه الداخلية فلما حدثت هذه الثورة اغتنمت الحكومة العثمانية الفرصة للمداخلة في شؤونه . وظل الجبل في اضطراب كل ذلك الصيف لمحاولة الاتراك اخضاع الدروز واخراج السلطة من رؤسائهم (المناصب) فارسلت الحكومة عمر باشا ليحكم الجبل فقام في بيت الدين وحارب الدروز في عين السمقانية وقبض على جماعة من المشائخ وارسلهم الى بيروت . وكان شكيب افندي قد ارسل قبل ذلك حاكماً مدنياً وقد امر الاجانب ان يغادروا لبنان فاطاع المرسلون الاميركان امره مثل سائر الافرنج الا المستر بورطالس فانه لم يخرج بل بقي في معمله في بتاتر

فاضطررنا ان نرجع كلنا في اثناء ذلك الشتاء الى بيروت (خفاف نضاف) • واطن الترتيل دخل الكنيسة الانجيلية في ذلك الوقت وتعينت انا والمستر هوايتن لتأليف كتاب عربي للترتيل منظوماً فبدأ بالمزمور الاول الذي مطلعه « اصاب العبد لم يسلك » مجزوء الهجز مفاعيل

مطبعة الاميركان — وفي سنة ١٨٤٦ سافر عالي سميث الى اميركا ولم يبق في بيروت الاّ المستر هرتر في المطبعة والدكتور ديفورست وانا والدكتور طمسن وظل المستر كلهون في بحمدون • وكانت مطبعتنا الى هذا الوقت لم تعمل ما يستحق الذكر لقلة النقود وكنا قد طبعنا فيها كتاب ١٣ رسالة وكتاب كيث في البابوية • واما سائر الكتب فكانت تطبع في مالطة • ولكن نحو ذلك الوقت طبع فيها عالي سميث « الباب المفتوح في اعمال الروح » وكتاب هوايتن في تفسير الكتاب المقدس وكتاب التعليم المسيحي الذي اعددته في عبيات وكتاب المزامير وكتاب صغير لتعليم القراءة العربية وكتاب الشيخ ناصيف اليازجي « فصل الخطاب » وترجمة سياحة المسيحي وكتاب الترتيل الصغير وكتاب المعاني والبيان

وفي اثناء ذلك ارسلت لجنة المرسلين في ايرلندا مبشرين في جملتهم الدكتور بولدن والمستر بارنت واقاما في المصيطبة بالقرب من منزلي ثم نقلوا جميعاً في المستقبل وجعلوا مقرهم في دمشق ثم الحق بهما المستر ولسن والمستر بورتر • وهذا الاخير كان يهتم كثيراً بآثار سوريا وطبقات ارضها ودرس تاريخ بن عساكر ورحل الى حوران والجبل الشرقي وألف كتباً في الانكليزية عن تاريخ سوريا وجغرافيتها

وفي يناير من سنة ١٨٤٧ رجع عالي سميث من اميركا واقام في بيت الصوصة واخذ يهتم بترجمة التوراة اعداد الكتب اللاهوتية لذلك من سائر اللغات المتعلقة بالكتاب المقدس وفي هذه السنة ايضاً التحق المستر بنتن وامرأته وقد اقام هذان بعدئذٍ مدة في بحمدون • وسار المستر كلهون الى اميركا باجازة

مدرسة عبية والتعليم في اللغة العربية — وفي اجتماع المرسلين في ربيع هذه السنة قررنا اعادة فتح مدرسة عبيه وان يكون التعليم كله باللغة العربية وكان لا يزال الى ذلك الحين في اللغة الانكليزية واعددنا ترتيباً للتعليم لاربع سنوات وتعينت انا والمعلم بطرس البستاني للتعليم فيها وكان الصف الاول نحو ستة تلامذة او ثمانية وفي السنة الثانية نشأ الصف الثاني وفي الثالثة الثالث وهكذا وبقيت انا متولياً امر هذه المدرسة الى سنة ١٨٥١ ولكن البستاني نقل حالاً الى بيروت ليعمل مع الدكتور عالي سميث في ترجمة التوراة واقام المعلم مخائيل عرمان محله في عبية ولم يكن في العربية كتب مدرسية فاخذنا

ان نعد هذه الكتب بعد الظهر وفي الليل وندرس في الصباح وكانت هذه المدرسة للذكور فقط • اما الاناث فقد كان لهن مدرسة في بيروت والمعلمون فيها كانوا الدكتور عالي سميث والدكتور وليم طمسن والمستر هوايتن والمستر كايز والمستر بيدل والدكتور ديفورست واول من نبغ من تلميذات هذه المدرسة الست راحيل عطا التي صارت بعدئذ زوجة المعلم بطرس البستاني والست ماريا ابكاريوس شقيقة حنا ابكاريوس التي صارت بعدئذ مدام فليبذس والاختان كرايت وحنة ورتبات شقيقتا الدكتور ورتبات ورفقة وسعدى كركور والست لولو وصارت بعدئذ مدام مخائيل عرمان وابنتان من بيت الوتوات الدروز

(الجمعية السورية) وفي اثناء ذلك انشئت الجمعية السورية في بيروت بمساعي عالي سميث وطمسن ومن اعضائها انطانيوس الاميوني ومرعي مبارك ونوفل نوفل الطرابلسي وسليم نوفل ونعوم ثابت ترجمان قنصلاتو انكلترا وجرجس الجمال من وجهاء عكا صاحب قصر البهجة والشيخ ناصيف اليازجي وقنصل البروسيا شولتز وتشرشل بك الانكليزي والدكتور مخائيل مشاقة

(سنة ١٨٤٨) وفي هذه السنة ارسل المستر فورد والمستر بنتن الى حلب للاقامة فيها ومعهم الدكتور ورتبات وبدأت نهضة انجيلية في ذلك الحين بين الارمن في عينتاب وفي الموصل وارسل المستر فورد الى الموصل ليزورهم • وفيها اتم عالي سميث معدات ترجمة التوراة وكانت المطبعة قد تقدمت اعمالها فنقلت الى الطبقة السفلى من بيت المرسلين وجعلت الغرفة الكبيرة من الطبقة الثانية مكتباً ابتدأ فيه الدكتور سميث بترجمة التوراة وفيها ايضاً اتممت انا الترجمة بعده

(سنة ١٨٤٩) ارسل اثنان من المبشرين ولسن وفوت الى طرابلس الشام وفي هذه السنة ادخل ديفورست وامرأته سبع بنات الى عائلته وهو تاسيس لمدرسة داخلية للبنات وفيها نظمت المدرسة الانجيلية الوطنية والجنة التي سنت القانون هم وليم طمسن وبطرس البستاني وطنوس الحداد وانا • وفي سنة ١٨٥١ تعينت انا وطمسن لانشاء محطة صيدا للتبشير وحاصبيا تابعة لها وحنا ورتبات دخل في خدمة المبشرين واقام في حاصبيا عدة سنين

وسبب انتقالي من عبيه الى صيدا اني كنت علمت الصف الاول اربع سنوات حتى اتم دروسه وكان سمعان كلهون قد عاد من اجازته فتولى رئاستها عني وكان معاونه اولا المعلم مخائيل عرمان ثم المعلم رزوق البربارى وفي اثناء ذلك جمع الدكتور يوحنا ورتبات نقوداً انشأ كنيسة في حاصبيا وكثر انتشار الانجيلية في الجديدة وابل وصور وغيرها

صحة العائلة

هل نذبح لنا كل؟ — كلا

بقلم نعمة افندي ايليا الصدلي بدمنهور

٥ — الشهادات من التجارب البشرية

رأينا فيما مرّ ان العلم يثبت افضلية الاطعمة النباتية على اللحوم بأدلة جليَّة فلننظر الآن فيما تثبته التجارب البشرية لدى مقارنة الاطعمة الحيوانية بالنباتية الطبيعية التي تؤخذ من محصولات الارض فنقول :

القوة والنشاط والاحتمال — يدلنا علم الفسيولوجيا دلالة واضحة بان المملكة النباتية ينبوع كل قوة ونشاط في الحيوان وان القوة العضلية هي نتيجة تأكسد الكليكوجين (نشاء عضلي او سكر ينتج عن عناصر الطعام النشائية والسكرية) فلحوم الحيوانات تحتوي على كمية قليلة من الكليكوجين غير المستعمل ودهنها قد يكسب الجسم قوة . غير ان الفسيولوجيين اثبتوا بالبحث الدقيق ان الزيوت والادهان لا تعطي قوة عضلية الاّ بعد ان تتحوَّل الى كليكوجين او نشاء عضلي وان تناول محصولات المملكة النباتية هو اكثر سهولة واعظم تأثيرًا من تناول لحوم الحيوانات فضلاً عن انهم بيّنوا بالحجج الدامغة غلط القائلين ان هبر اللحوم يولد قوة . ومن النظر الى القائمة التي وضعها لاندوا وستريلغ وغيرهما من احدث ثقات الباحثين في الاطعمة يظهر ان اللحوم تحتوي جزءًا قليلاً من الغذاء الذي يوجد بكثرة في النباتات وهي :

يوجد في الرطل من لحم البقر	٥١٢	جزءًا من الطعام	المغذي
« « « البطاطا	٤٤٥	« «	«
« « « اللبن	٣٣٩	« «	«
« « « القمح	١,٩١٥	« «	«
« « « الارز	١,٩٤٤	« «	«

يوجد في الرطل	من	الحمص	١,٧١١	جزءًا من الطعام		المغذي
»	»	الخبز	١,٨٨	»	»	»
»	»	الكستنا (ابو فروة)	١,٦٩٦	»	»	»
»	»	الجوز	٢,٩٥٣	»	»	»
»	»	البندق	٣,٥٥٣	»	»	»
»	»	اللوز الحلو	٢,٨٥٣	»	»	»
»	»	جوز الكوكو	١,٧٣٨	»	»	»
»	»	الجوز المختمر	٢,٢٣٦	»	»	»

فهبر اللحم اذاً يحتوي على ربع ما في الحبوب والجوز من الغذاء وبعبارة اخرى ان هبر اللحم هو اقل من النبات غذاء و يولد من القوة $\frac{1}{2}$ الى $\frac{1}{4}$ ما يولده طعام نباتي . ثم ان الاطعمة اللحمية ليست دون الاطعمة النباتية في كمية العناصر الموجودة فيها التي تولد القوة بل دونها في الصفة ايضاً . فالمواد الالبيومنية التي تؤلف اكثر اللحوم تنفع لتعويض ما يتلف في الجسم من تلك المواد فقط ولذلك فهي دون الدهن النباتي بالنسبة الى القوة التي يولدها لان اوقية من اللحم مثلاً فيها ٣٢ جزءا من الطعام ولكن اوقية من الرز فيها ١٢١ جزءا ومن هذا ايضاً يتبين ان اللحم هو دون النبات في توليد القوة بل هو دون الحبوب التي فيها قسم كبير من النشاء وتعتبر طعاماً خفيفاً . فضلاً عن احتواء اللحم مواد سامة تتداخل مادياً باعظم حالات النشاط العقلي وتحدد قوى الآكل لاحتمال الاتعاب وهي العناصر البرازية ونفاية المواد التي يستخرج الجسم غذاءها منها او بالحري المواد المعروفة بالسموم الناتجة عن التعب نتجت عن العمل العضلي . وهذا يكفينا مؤونة زيادة البحث لاثبات ان آكل اللحوم انساناً كان او حيواناً باضافته السموم المولدة في جسم حيوان آخر الى ما هو متولد في جسمه يخزن فيه نفاية المواد او سموم الانسجة اكثر مما يخزنه آكل النباتات فيما لو تساوت سائر الاحوال . وتلك المواد اي السموم الناتجة عن التعب المتولدة في الجسم باستعماله قواه هي كثيرة وقد تمكن الفسيولوجيون من احداث اعراض التعب في حيوان لم يعمل عملاً بحقنه بدم حيوان آخر انهكه الشغل الشاق الطويل وهذه الحقيقة توضح ايضاحاً علمياً حقائق كثيرة دامغة لا جدال فيها طالما ذكرها العلماء والحكماء فيما يختص بمقارنة اكلة اللحوم باكلة النبات من حيثية احتمال الاتعاب والمشقات . الفيل من اقوى الحيوانات وهو يقتات بالنبات والوعل اسرع الحيوانات واقدرها على احتمال التعب يتخذ

طعامه من الطحلب الذي يغطي الاراضي المجلدة . الحصان والثور لا يستطيع الانسان ان يقدر قيمتهما يعيشان على النبات وهكذا الاوران اوتان والشمانزي والغورلا ملوك الغابات كلها لا تذبح لتأكل . قيل ان الغورلا يسبق الاسد والنمر في الركض وقد يقتل الصياد بقبضة يده ويقضم مسدسه كما يقضم عوداً رخصاً ومع انه يقتل الصياد فهو لا يأكله . هل يزيد الفارس قوة حصانه باطعامه لحماً مع طعامه الاعتيادي ؟ . الصيادون يطعمون كلابهم طعمة من الحبوب او ما يشابهها لان الكلاب التي تقتات باللحوم لا تقدر على المطاردة وليس لها قوة لاحتمال المشقات وهذا يبين ايضاً ان اكلة اللحوم نفسها تصير اقوى للعمل واقدر على احتمال الاتعاب لما تقتات بالاطعمة النباتية . زار الدكتور كالوك منذ سنين بعض القرى في انكلترا فوجد اكثر السكان يعيشون على النبات عن غير قصد لان اللحوم هنالك قليلة وغالية والحبوب والخضر كثيرة ورخيصة وقد اخبره طبيب هنالك ان الاهالي لا يذوقون اللحوم الا نادراً ولا تنتشر بينهم الامراض المزمنة على الاطلاق وهو انما يرتزق عندهم بفن التوليد

(النباتيون العظام) ان الامة اليابانية او بالحري ذلك الشعب العظيم النشيط الباسل بقي عصوراً عديدة لا يقتات الا بالرز ونحوه من الحبوب وكان مصارعو اليونان القدماء يأكلون الشعير فقط والاثمار وبعض الحبوب ولما تعلموا اكل اللحوم في العصور المتأخرة تخلقوا بالبلادة والكسل بعد ان ادهشوا العالم باعمالهم العظيمة قال فيهم ديوجين الفيلسوف « كانهم جبلوا من لحوم الخنازير والثيران » لما كان السبرطيون في اعالي ذرى مجدهم وعظمتهم في ايام ليرغس كانوا نباتيين وهكذا كان كورش الفارسي وسيكر من ملوك العائلة الثانية التي ملكت مصر كان طوله ٨ اقدام و ٧ قراريط وقال دوتس « ان اولئك الجبابرة الذين بنوا الاهرام كانوا يأكلون البصل والثوم والعدس » وقال دي لسبس فاتح قنال السويس « لولا مساعدة العرب والهنود الذين يقتاتون بالنباتات فقط لما امكن القيام بالاعمال العظيمة لفتح القنال » وقال احد عمال الافرنج في القنال المذكور « بالحقيقة ان الهندي يأكل الرز والعربي يأكل الشعير والعدس ولكن عمل الواحد منهما اكثر من عمل الانكليزي آكل اللحم وان الوطنيين اكلة النباتات والخضر كانوا اقل عرضة للامراض من الاوربيين اكلة اللحوم مع عناية الاخرين بانفسهم » وقال المؤرخ الشهير السير واكنسون « ان الطعام النباتي في الاماكن الحارة اكثر موافقة للصحة من اللحوم » ومن اعظم الادلة على قيمة الاطعمة النباتية في توليد القوة واحتمال الاتعاب ما نراه في

عصرنا الحاضر من الاعمال الشاقة التي يقوم بها الحمالون في الصين والاستانة وازميـر واثينا وريوجنيرو فانهم يحملون على اكتافهم احمالاً تبلغ اربعماية الى ستماية رطل مسافات طويلة • وقيل ايضاً ان اهالي الباكونغو مع نحافة اجسامهم يحملون على رؤوسهم نحو ستين الى ماية رطل ويمشون ٦٠ ميلاً يوميا على ستة ايام متوالية ولا يأكلون الا قليلاً من جذور المينوك وقليلاً من الحبوب • وظهر من سباقات عديدة سعياً على الاقدام او ركوباً على الدراجات ان آكل النبات اقدر على العمل من آكل اللحم • واعظمها سباق حدث مؤخراً بين برلين وڤينا مسافة ٣٦١ ميلاً كان فيه ١٣ من اكلة اللحوم واثنان نباتيان فوصل النباتيان اولاً ثم وصل واحد من اكلة اللحوم بعدهما باثنين وعشرين ساعة مع ان النباتيين لم يكونا قد تمرنا قبلاً على الجري • ولما بلغا آخر محطة كان الاول من اكلة اللحوم لا يزال بعيداً عنهما خمسين ميلاً وقد جرى مؤخراً سباق في المانيا كان المتسابقون ٢٢ رجلاً منهم ٨ نباتيون اي يعيشون على النبات فقط والباقون من اكلة اللحوم وكانت المسافة ٧٠ ميلاً يراد اجتيازها بمدة ١٤ ساعة فستة من النباتيين قطعوا المسافة كلها قبل نهاية الساعة الرابعة عشرة ثم وصل الاثنان الباقيان لانهما ضلا عن الطريق فخسرا خمسة اميال • وبعد وصول آخر نباتي بساعة ونصف وصل واحد من اكلة اللحوم متعباً للغاية والباقون خارت قواهم في الطريق فتوقفوا عن الجري • وقد كتبت جرائد الانكليز والالمان مطولاً في هذا الموضوع حتى ان أطباء الجيش الالماني استدعوا النباتيين المذكورين ليأخذوا عنهم عوائد معيشتهم وانواع طعامهم • ويوافق ذلك ما كتبه السياح عن قوة الهنود اكلة الرز واقتدارهم على احتمال التعب والجري فقد ذكروا انهم كثيراً ما يجرون مئات من الاميال اياماً متوالية وكذلك جامعو صمغ الكاوتشوك في اميركا الجنوبية فانهم يحملون نيفاً ومائة وخمسين رطلاً مسافات طويلة فوق الجبال وبين الاودية وهم لا يأكلون غير النبات • وهناك بلدان كثيرة لا يمكن نقل الاحمال فيها الا على ظهور الرجال فيحملون المسافر وأمتعته اميالاً كثيرة بساعات قليلة سيراً متوالياً لا يقفون للاستراحة وأولئك الحمالون لا يقتاتون الا بالاثمار والنبات ونحوها من محصولات الارض • حدث الدكتور هايج قال « اخبرني الدكتور ادوار طبيب انكليزي اختبر احوال الهنود كثيراً انه مع قدرته على الجري وتغلبه على الهندي الوطني في اليوم الاول يصبح في اليوم الثاني متعباً متوبساً لا يستطيع العمل الى بضعة ايام والهندي لا يشعر بتعب بل يوالي اعماله في اليوم الثاني وما بعده كانه لم يعمل عملاً قط » • وقد وجد بالاختبار في سباقات كيمبردج وبعض

الالعاب في اميركا ان النباتي اقدر على معاناة الاعمال الشاقة من آكل اللحوم وقال الدكتور هايج ايضاً « وجدت بالاختبار بنفسي اني بالاقتصار على اكل النباتات اصبحت اقدر على العمل ويندر شعوري بما يصدر عن العمل الشاق من التعب والانحطاط في الايام التالية » ايقدر حيوان من اكلة اللحوم ان يضارع الظبي في السرعة او الوعل في الخفة . قال احد نظار الزراعة في اليابان « كثيراً ما كان يصاحبني باسفاري الى الارياف بعض الوطنيين وهم مشاة امام الخيل طول المسافات التي أسيرها » .

(الطعام النباتي وطول الحياة) العمر لا يقاس بالسنين . قال احد فسيولوجي الافرنسيس « عمر الانسان عمر شرايينه » ان اهم تغيير يحدث في الشيخوخة تصلب الشرايين فتفقد مرونتها ويبطل عمل كثير من الشرايين الدقيقة وينقطع سير الدم الى العضلات والدماغ والقلب وغيرها من الاعضاء الرئيسية . ذلك كثيراً ايضاً في من لم يبلغوا الخمسين مع ان هارفي مكتشف الدورة الدموية قال انه شرّح جثة رجل انكليزي مات وعمره ١٥٢ سنة و ٩ اشهر ولم يجد اثراً للتصلب المذكور وقال انه لو لم يتغير طعامه النباتي قبل موته باشهر قليلة لعمر اكثر من ذلك . وهذا التغيير الذي يبتدئ في الشرايين ويمتد الى انسجة الجسم انما هو نتيجة استمرار عمل سموم الانسجة في كيفية التغذية . الجسم معمل سموم فاذا أخرجت السموم المذكورة حال تولدها لا تتقدم الشيخوخة . ففي الطفولية والصبوة يكون الدم نقياً والانسجة قوية وهما يحفظان طرق التغذية كاملة لا عيب فيها يدل على ذلك شفافة الجلد ونعومته اما في الشيخوخة فتقل شفافة الجسم لتجمع السموم في الانسجة حتى تصل اخيراً الى نقطة يؤثر التجمع المذكور على وظائف الجسم تأثيراً لا يمكن معه حفظ الحياة فتنطفئ نارها بدخان ورماد المواد الآلية والمفرزات الجسدية . وهذه الحقائق توضح أسباب طول حياة النباتيين بالنسبة الى اكلة اللحوم . يعمر الفيل من ١٠٠ — ١٥٠ سنة والحمار من ٤٠ — ٥٠ سنة ولا يعمر الكلب اكثر من ١٠ — ١٢ سنة فقط والقطة التي تأكل اللحوم تظهر عليها اعراض الشيخوخة باكراً جداً

(كيف يحيا الانسان مائة سنة) ان معدل حياة نحو ٤٢ سنة لكن علماء التشريح يقولون ان معدل العمر الطبيعي لا ينقص عن ١٠٠ — ١٥٠ فيكون اذاً قد نقص الى ثلث ما كان عليه قبلاً ولا بد لذلك من اسباب . حقق الباحثون ان اكل اللحوم هو العامل الاعظم في تقصير الحياة للسبب الذي قدمناه بازدياد كمية سموم الانسجة الموجودة في جسمه وبما ان الاعضاء المفرزة تعجز بتوالي العمل الشاق عن افراز السموم التي تتكون

في الجسم وما يدخل من اللحوم المأكولة فمن الضرورة يأتي يوم تشبع به الانسجة بالسموم فتعجز عن حفظ الدم نقياً فتنتهي حياتها قبلما تنتهي حياة انسجة انسان يقتات بطعام نباتي • ولايضاح ما تقدم نذكر بعض الذين عمروا ميئات من السنين وسبب تعميرهم — قد ثبت بالبحث والتحقيق ان فلاحي سكندنافيا وهنكاريا النباتيين من اعظم الامثلة على ذلك • ولد دراكنمبرك الدنماركي سنة ١٦٢٣ ومات ١٧٧٢ فعاش ١٤٩ سنة وجان كورن فلاح هنكاري عاش ١٧٢ وامرأته ١٦٤ وبتراتش هنكاري آخر عاش ١٨٧ وهنري رجنكن الانكليزي عاش ١٦٩ وماتت مؤخراً في اميركا الجنوبية امرأة لها من العمر ١٧٥ سنة وحنا افكهام عاش ١٤٤ سنة ولم يذق مسكراً ولم يأكل لحماً الا نادراً وانتوني سنس عاش ١١١ سنة لم يأكل فيها غير الجذور والحبوب وكورنادو الايطالي الشهير عاش اكثر من ١٠٠ سنة ولم يأكل لحماً منذ الاربعين • قال احد الاطباء شاهدت شخصاً في كاليفورنيا عمره ١٢٦ سنة بصحة جيدة يقدر ان يحمل ٦ بطيخات ويمشي مسافة ميلين • ورأيت هندياً في شيكاغو عمره ١٤٠ سنة يعمل اعمال الشبان • وقال هوفلاند الذي كتب مطولاً في اطالة الحياة • لنا امثلة عديدة في اطالة الحياة بين الذين يقتاتون منذ الصغر بالنبات ولم يذوقوا لحماً على الاطلاق •

وقال اللورد باكون في كتابه في الحياة والموت «ان الطعام الذي وضعه فيثاغورس (وقد مرّ ذكره في الهلال الاول من السنة الحالية) هو انسب الاطعمة لاطالة الحياة» والرهبان الترابيست (Trappist) الذين جعلوا الاطعمة النباتية قانوناً لرهبنتهم يموتون من الانحلال الطبيعي نتيجة الشيخوخة وطول العمر ويندران يموت واحد منهم قبل الثمانين او يبلى باحد الامراض • ومن هنود اميركا الجنوبية اناس يعيشون ١٢٠ سنة ويندر ان تظهر فيهم اعراض الشيخوخة مع ان هنود اميركا الشمالية الذين يقتاتون باللحوم من اصغر الناس عمراً • وقال العالم الالماني ليبك ان جسم آكل اللحوم ينحل باكثر سرعة من جسم آكل النباتات واستنتج ذلك من الفرق الواضح بين مبرزات النوعين • فان البول خلاصة الانسجة ويحتوي على السموم التي استخرجتها الكلى من الدم بعد نقلها من الانسجة • فلما تصير كمية السموم فيه ضعفي ما كانت قبلاً نستدل بالضرورة على ان كمية السموم في الجسم قد تضاعفت وهذه السموم هي اهم اسباب الشيخوخة وانحطاط الجسم سواء صار حدوثها عاجلاً او آجلاً وزيادتها في انسجة اكلة اللحوم كالكلب مثلاً هي التي تقرب الشيخوخة فان الكلب يبلغ عجز الشيخوخة في العاشرة من عمره والحمار آكل

النباتات يبقى قوياً الى السنة الخمسين • ولهذه الاسباب ايضاً ينقص عمر الانسان الذي يأكل اللحوم • سكان المدن يأكلون اللحوم اكثر مما يأكلون الخضر ولذلك ترى الوفيات بينهم ضعفي ما في القرى والجبال حيث يغلب اكل الخضر والنباتات • امتحن الغاص سيلادن انواع الاطعمة لمعرفة ما يساعده على البقاء طويلاً تحت الماء فوجد اللحوم والاشربة الروحية تستدعي زيادة انفاق الاوكسجين الموجود بآلة الغوص ولا يستطيع الغواص المكوث طويلاً تحت الماء و يستنتج من ذلك ايضاً ان اللحوم تقصر الحياة • لان السبب الحقيقي للموت هو نقص الاوكسجين فاذا وجدنا أكل اللحوم يدعو الى الاستكثار منه تأكد لنا انه يقصر الحياة

ﷺ النباتيون قبل الطوفان ﷺ ان الحقائق التي مرَّ ذكرها تسهّل علينا فهم النقص السريع بحياة الانسان بعد الطوفان عما كان عليه قبله يوم كان يقتات بالنباتات والجوز والاثمار والحبوب اتباعاً للامر الالهي • كان معدل الحياة الف سنة ولكنه لما ابتدأ الانسان يأكل اللحوم بعد الطوفان ابتدأ فيه الانحطاط السريع • عاش نوح ٩٥٠ سنة وسام ٦٠٦ وصالح ٤٣٣ وتارح ٢٠٥ ويوسف ١١٠ وفي ايام داود نقص معدل الحياة الى السبعين سنة ولم يزل آخذاً بالانحطاط حتى وصل في عصرنا الحاضر الى ٤٢ سنة اي الى جزء من عشرين من معدل الحياة اولاً كما ترى في هذا الجدول

نوح	عاش	٩٥٠ سنة
سام	«	٦٠٦ «
صالح	«	٤٣٣ «
تارح	«	٢٠٥ «
يوسف	«	١١٠ «
داود	«	٧٠ «
القرن التاسع عشر	«	٤٢ «

وهناك اسباب اخرى غير اللحوم تساعد على انقاص معدل الحياة ولكن اكل اللحوم هو العامل الاعظم في انقاصه لان تجمع السموم بالانسجة اهم اسباب ضعفها اذ تنحط قواها و يتطرّق اليها الفساد وتأخذ بالانحلال رويداً رويداً • اذاً فالذين يضيفون الى سموم اجسامهم سموم الحيوانات التي يأكلونها ينالون جزاء اعمالهم انحطاط القوى قبل اوانها حيث لا تنجع تراكيب الصيادلة وعقاقير الادوية في ملافاته ولو كان واصفوها اعاظم نطس الاطباء

فليحذر محبو اللحوم والجيف

✻ قلة الذين يعمرون مائة سنة لازدياد اكل اللحوم ✻ لخص احد الالمان من احصاآت الانفس في اوروبا حقائق تتعلق بمن يعمرون مائة سنة في العالم قال «بين خمسة وخمسين مليونًا من الالمان اكلة الخنازير ٧٨ شخصاً عمروا نيفاً ومائة سنة ولدى المقارنة بالاحصاآت القديمة ظهر ان عدد المعمرين اكثر من مائة سنة قد نقص في المانيا مدة الاربعين سنة الاخيرة لزيادة اكلهم اللحوم اكثر من ٦٠ في المائة . ووجدوا في ايرلاندا التي يبلغ عدد سكانها اربعة ملايين ٥٧٤ شخصاً بلغوا المائة . وفي بلغاريا التي عدد سكانها اقل من اربعة ملايين وجد ٣,٨٨٣ شخصاً تجاوزوا المائة لان الاهالي يعيشون على النبات وفي الصرب التي اكثر سكانها نباتيون وجد ٢٩٠ شخصاً بين ١٠٦ و ١١٥ ومائة وخمسة وعشرين بين ١١٥ و ١٢٥ وثمانية عشر بين ١٢٥ و ١٣٥ وثلاثة بين ١٣٥ و ١٤٥ وقد تقدم ان معدل عمر الفيل بين ١٠٠ و ١٥٠ سنة ولكن عدداً عظيماً من الفيلة عمر اكثر من ضعفي ذلك

بناء على ما مر من المقدمات الراهنة نستنتج ان الانسان لو عاش طبقاً للشرائع الطبيعية لأمكن ان يعمر ضعفي عمره الحالي وربما فاق المائتي سنة . احصى ايستون العالم الانكليزي عددا ممن عمروا كثيراً فقال ان ٤,٣١٧ ماتوا بين ١٠٠ و ١١٠ و ٢٧٧ ماتوا بين ١١٠ و ١٢٠ واربعة وثمانين بين ١٢٠ و ١٣٠ وستة وعشرين بين ١٣٠ و ١٤٠ وسبعة بين ١٤٠ و ١٥٠ وثلاثة بين ١٥٠ و ١٦٠ واثنين بين ١٦٠ و ١٧٠ وثلاثة بين ١٧٠ و ١٨٥ وكلهم كانوا بدون استثناء بسطاء في المعيشة والاخلاق والعادات ونباتيين اما اختياراً او كرهاً

✻ شركات ضمانة الحياة والنباتيون ✻ ان للشركات الانكليزية لضمانة الحياة شروطاً مع النباتيين غير شروطها مع خلافهم لانهم وجدوا بعد درس الحقائق في بلادهم درساً جيدا ان الاحوال تساعد النباتيين على اطالة حياتهم اكثر مما تساعد غيرهم . وهذه حالة مقررة تستدعي انتباه كل عاقل وسبب كاف وحده للامتناع عن اكل اللحوم فالنباتي بعيد عن العدوى بالدودة الوحيدة والتريخينا ونحوهما من الامراض التي تنتج عن الحيوانات اللحمية بتعرض آكل اللحوم للعدوى بها وقد ذكر في الهلال الرابع انه وجد بموجب الاحصاآت المأخوذة عن مدينة نيويورك ان ستة في المائة على الاقل من سكانها مصابون بالتريخينا وان النسبة المذكورة اخذة بالازدياد سريعاً لان عدداً عظيماً من الخنازير التي

تذبح هنالك مصابة بهذا المرض ولا يمكن اكل لحومها من غير العدوى به والنباتي بعيد ايضاً عن الروماتزم والنقرس والآلام العصبية وداء السكتة وكثير من الامراض العصبية التي تنتهي بالشيخوخة الباكرة ثم بالموت اذا لم تنتج سريعاً امراضاً أخرى قتالة

(اكل الخضر والنباتات في المدارس والمستشفيات) وقال جرّاح اميركي في نيويورك بعد اختبار خمس عشرة سنة في احد مستشفيات الاطفال « ان الطفل اذا أعطي وهو دون الخامسة من العمر مرق اللحم — اصبح اكثر عرضة للامراض وان صحة المقيمين داخل المستشفى تحسنت كثيراً بالانقطاع عن اكل اللحوم » . كان للدكتور كالوك علاقات طبية وعلمية بعدد عظيم من النباتيين وبمدارس كثيرة لم يكن يطعم فيها الا النباتات والحبوب فقط ولذلك قال « انه يصعب كثيراً الامتناع عن اكل اللحوم والاقتصار على مبادىء النباتيين ولكن تلك الصعوبة تزول سريعاً حينما تضعف الشهية للحوم فيقوم مقامها الميل الى النباتات وان الذين واظبوا على اكل النباتات تحسنت صحتهم تحسناً اجمالياً » . وقال رؤساء كلية بتل كريك واكادمية ساوث لنكستر وكلية والاوالا وغيرها في تقاريرهم السنوية ان صحة التلامذة تحسنت كثيراً لما صار طعامهم كله نباتياً وبعد ان كانت الامراض تنتشر بينهم فيتكلفون نفقات طائلة للاطباء والممرضات لم يبق لزوم لمثل ذلك حينما اقتصروا على الاطعمة النباتية لان الامراض لم تعد تقربهم قطعياً

(الجمعيات النباتية في اميركا) انشأ هـ . س كلوب في فيلادلفيا سنة ١٨٥٤ الجمعية النباتية الاميركية (وكان عضواً عاملاً في الحركة النباتية في انكلترا) وخدمها بلسانه وقلمه فاعاد مئات الى الطعام الطبيعي الحقيقي . ومن نصراء الاطعمة النباتية جمعية الشاكرس وهم كثيرون ورهبان الترابست وعدد من الاخوات الكرمليات وكلها تشهد بنفعها مادياً وأدبياً وروحياً . وضعت اساسات مستشفى باتل كريك في ٧ سبتمبر ١٨٦٦ على مبادىء النباتيين وفيه الآن الف نفس من المساعدين والممرضات والتلامذة وكلهم نباتيون وفيه من خمسمائة الى ستمائة مريض لا يعطى لهم لحم على الاطلاق ويخرج منهُ مئات كل سنة من المصلحين المتمسكين بالاطعمة النباتية وقد صار له ٢٥ فرعاً تراعى فيها المبادىء المذكورة تحتوي على خمسة وعشرين الف نباتي فضلاً عن ان عدد النباتيين يزداد يوماً فيوماً بازدياد المعرفة وانتشار المبادىء الصحية الصحيحة فكم من ألوف قطعوا حساباتهم مع الجزارين واصبح الامر ذا مكانة واعتبار لا يقدر على تحقيره معترض او مكابر

هل نحن اسعد حالاً من آبائنا

جائزة مجلة سركيس

سلكت مجلة سركيس طريقاً جديداً في الصحافة العربية لم يسبقها اليه احدٌ منا فوضعت جوائز مالية تستحث بها ارباب الاقلام والقرائح على الكتابة في مواضيع ادبية او عمرانية على ما تدعو اليه الحالة · وتختلف قيمة هذه الجوائز من جنيه الى عشرين جنيهاً او خمسين او اكثر يتبرع بها محبو الادب من اهل اليسار · فهم اصحاب الفضل في بذل المال ولكن لرصيفنا سركيس افندي فضلاً كبيراً في استحثاث اريحية اولئك الافاضل على البذل في سبيل الادب · والمتبرع بجائزة يختار موضوعاً يعرضه على الادباء فمن اجاد فيه نال الجائزة · وكان المظنون في بادىء الرأي ان الجوائز لا يطول عمرها اذ يملُّ اغنياؤنا دفع المال لانهم لم يتعودوا السخاء في هذا السبيل ولكن يظهر انهم اخذوا يتعودونهُ لان الثروة انطلقت من حوزة اهل الدالة والوساطة وتوزعت في رجال السعي والجد من الادباء والمتعلمين فكثر بين اغنيائنا الذين يلذُّهم العلم ويهمهم السعي في تنشيطه وانما كان ينقصهم من يستلفت انتباههم الى ذلك فجاءت مجلة سركيس في ابان الحاجة اليها · وقد بلغت الجوائز التي اعطتها حتى الآن خمس عشرة جائزة نقلت معظمها من ايدي الاغنياء الى جيوب الادباء ولا تزال دائبة في هذا السبيل — وهي خدمة ستذكر لها كلما ذكرت هذه النهضة في تاريخ الشرق الحديث

والجائزة التي نحن في صددها هي الخامسة عشرة وقيمتها عشرون جنيهاً تبرع بها اسعد افندي رستم نزيل الولايات المتحدة لمن يجيد في مقالة موضوعها « هل نحن اسعد حالاً من ابائنا في معيشتنا العائلية بعد دخول التمدن الحديث أي بعد انشاء المدارس وانتشار العلوم والعادات الافرنجية والمراد (نحن) سكان سوريا ومصر » فشكل سركيس افندي لجنة للنظر في المقالات التي وردت في هذا الموضوع والحكم لافضلها بالجائزة · فاجتمعت في ١٥ يناير الماضي وهي مؤلفة من الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وسليمان افندي البستاني صاحب الالياذة وداود افندي بركات رئيس تحرير الاهرام وأخنوخ افندي فانوس المحامي وصاحب الهلال · فنظرت هذه اللجنة في ما ورد من المقالات وعددها ٢٢ مقالة · واعتبرت شروط الجائزة من حيث عدد الصفحات المعينة للمقالة وميعاد قبول المقالات فاهملت نصف هذا العدد ثم اطلعت على ما بقي فاختارت منها

اربع مقالات نالت اثنتان منها ٤ اصوات وهما المرموز عن كاتبيهما « بابن سهل » و « نمرة ٣٠٠ » ونالت الاخريان ثلاثة اصوات وهما مقالة « بوذي عصري » و « سوري نمرة ٢ » فقررت الاكتفاء باعادة النظر في الاثنتين الاوليين فحكمت لمقالة « ابن سهل » لانها اجمع لشروط الجائزة واكثر استيفاء للموضوع ومآل موضوعها اننا اسعد حالاً من آبائنا . وبعد ان تقرر ذلك فتح الظرف الخاص بهذه المقالة فتبين ان صاحبها هو نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني ومحرر الرائد المصري سابقاً وبذلك انتهت مهمة اللجنة . فنهنئ حداد افندي لسبقه وتثني على اسعد افندي رستم لاريحيته وسخائه في خدمة الادب ونحث اهل السعة واليسار على البذل في هذا السبيل فان المال يبعث على مسابقة القرائح والاقلام والمسابقة من افضل وسائل الاتقان والارتقاء

ونظراً لاهمية هذا الموضوع لابناء هذا العصر رأينا ان نقول فيه كلمة لا تخلو من فائدة . وقبل الشروع في ذلك لا بدَّ لنا من الاشارة الى ملاحظات تتعلق بالمقالات التي وردت مما يهمُّ جمهور القراء معرفته فنقول :

(١) لاحظنا من مطالعة تلك المقالات ان أدباءنا بعد ان كانوا عند شروع مجلة سركيس بالجوائز يستنكفون من المسابقة في طلب الجائزة وربما عدُّوا ذلك حطة حتى لم يكن يزيد عدد المقالات في اكثر الجوائز على بضعة قليلة مع سهولة مواضيعها اصبح عددها في هذه الجائزة بضعاً وعشرين وبين كتابها جماعة من خيرة الادباء في مصر والشام والسودان وأميركا وفيهم الاطباء والمحامون والاساتذة والصحافيون وغيرهم

(٢) ان هذه المقالات على كثرتها قلَّ الضعيف الساقط فيها واكثرها تدلُّ على علم اصحابها وعنايتهم وسعة اطلاعهم

(٣) ان بينها اربع مقالات مكتوبة باقلام سيدات ولا تقلُّ علماً وبلاغة عن احسن مقالات الرجال وبعضها افضل من اكثر مقالاتهم

(٤) ان اكثر ما جاء به اولئك الكتاب من الادلة يصدق على العائلة السورية وندر فيهم من بحث في حال العائلة المصرية

(٥) ان الرأي الغالب في هذه المقالات ان آباءنا اسعد حالاً منا — على ان صدور الحكم لمقالة تقول اننا اسعد حالاً منهم لا يدلُّ على ان ذلك هو رأي اللجنة فاللجنة لم تنظر في هذه المقالات باعتبار ترجيح احد الرأيين وانما نظرت فيها من حيث سبك الادلة وتطبيقها وقوة البرهان فيها بقطع النظر عن موافقة رأي صاحبها لآراء بعض اعضائها او كلهم

على ان الحكم في احد الوجهين حكماً باتاً لا يتيسر في مثل هـذا الموضوع لاختلاف مسائله وتفاوت احكام الناس في اجزائه وانما يحكم فيه على الارجحية ولذلك فيحسن بنا ايراد خلاصة الاقوال في الوجهين فنأتي اولاً بأدلة القائلين اننا اسعد حالاً من آبائنا وهي ممثلة في مقالة نائل الجائزة واليك خلاصتها قال :

« ان السعادة تقوم بتمتع الانسان بما يتمناه كله او جله والناس مختلفون في نوع السعادة اختلافهم في الاميال والامزجة فما يكون سعادة لزيد قد يكون بؤساً لعمرو . ولا تتم السعادة الاَّ بشعور الانسان انه متمتع بحاجته التي لو لم يكن حاصلاً عليها لتمناها . ولا عبرة بقيمة ما يتمناه بحذ ذاته وانما العبرة بان يحصل عليه . وكما كثرت رغائب الانسان وامكنهُ التمتع بها زادت اسباب سعادته . والناس متفاوتون في اشتهاء الرغائب تفاوتهم في القناعة وان الرغائب او المتمنيات لا تنال مجاناً بل لا بد من الكد في تحصيلها وان الانسان يجد لذة في استكداد قواه للحصول عليها »

فجعل هذه المبادىء مقدمات جرى عليها في مقابلة سعادتنا بسعادة آبائنا وقسم الموضوع الى قسمين كبيرين مادي وادبي . وبدأ بالقسم المادي وهو المالي ونظر في احوالنا ومعائشنا بالنظر اليه . وقابلها باحوال آبائنا فذكر « ان موارد الثروة في عهد آبائنا كانت منحصرة على الغالب في العقارات من الاراضي الزراعية وغيرها وان الاحكام كانت في عهدهم استبدادية فكانت الثروة في ايدي افراد قلائل استولوا عليها في الغالب بغير الطرق القانونية وكان اكثر العامة اتباعاً لهم يشتغلون في الارض بالمحاصة . فلم تكن الثروة متوزعة بالنسبة الى جهاد الناس في العمل كما هي الحال الآن . وبعد ان كان نظام الاجتماع على عهدهم مؤلفاً من الاغنياء واتباعهم وحواشيهم تولدت طبقة ثالثة من جماعة المتوسطين هم اهم ادوات العمل العمراني ومعظم مصادر حركته فاصبح مجال الارتزاق واسعاً واصبح السعي في سبيل العمل مباحاً للناس على اختلاف طبقاتهم فتوزعت الثروة فيما بينهم على نسبة قواهم . وبما ان التمتع بالملذات متوقف على مقدار الكسب المالي صار ممكناً لكل انسان ان يتمتع بنسبة اجتهاده »

ثم تقدم الى بيان الفرق بين حالنا وحال آبائنا من حيث نمط المعيشة والسكنى والغذاء واللباس والملاهي بالنظر الى هذه المقدمات وخلاصة ذلك « ان حاجياتنا اكثر كثيراً من حاجياتهم فاسباب السعادة عندهم اقلُّ منها عندنا فنحن نتمتع باكثر مما كانوا يتمتعون به وبالتالي نحن اسعد حالاً منهم بحاجاتنا المادية »

ثم بحث في القسم الادبي فقسمهُ الى العشرة العائلية والصحة والمعرفة والحرية وبيَّن حال كل من هذه الاقسام في عهد آبائنا وما صارت اليهِ واظهر افضليتها في عهدنا « لان العائلة بعد ان كان الاب مستبداً فيها وسائر افرادها مقيدون بارادته اصبحت اليوم وكل من اعضائها حاصل على حقوقه فيها واصبحت صحتنا ابعد عن اخطار الامراض المعدية بما حدث من الاكتشافات الطبية مع ان ابدان آبائنا كانت اقوى من ابداننا » . وان انتشار العلم له دخل كبير في تهذيب الاخلاق وترقية الاذهان وتحلية المجالس العائلية وتسهيل السبل الى الارتزاق . وان الحرية الشخصية والقومية التي انتشرت في هذا العصر من اقوى اسباب السعادة لما فيها من اللذة ولانها اطلقت ايدي الناس وافكارهم للسعي في مجال هذه الحياة » وختم قولهُ بالحكم النهائي وهذا نصه :

« هذه اهم الرغائب التي يتوخاها افراد عائلة بسطناها لعهدنا ولعهد آبائنا ومما تقدم يستفاد انهم لم يمتازوا علينا بتمتع يستحق الاعتبار اما نحن فنمتاز عليهم بتمتعات كثيرة وبالتالي نعدُّ اسعد حالاً منهم . وحسبنا برهاناً على ذلك انهُ يندر ان يودَّ احد منا العودة الى اسلوب معيشة آبائنا . ولو كان السواد الاعظم يشعرون بان سعادتهم انقص من سعادة آبائهم لاتفقوا بحكم الطبع الى انتهاج نهج السابقين في نسق المعيشة » — انتهى كلام ابن سهيل

هذه خلاصة اقوال نائلي الجائزة في انا اسعد حالاً من آبائنا فلنأْتِ بمثال من ادلة القائلين ان آباءنا كانوا اسعد حالاً منا واليك خلاصة ماجاء في مقالة « بوذي عصري »[1] في هذا الشان ولم يرد ذكر العائلة المصرية في مقالة سواها — فبعد ان وصف ما كانت عليه عائلة آبائنا من البساطة والسكون قال :

« واي جناية اعظم على هذه العائلة المجموعة منذ القديم تحت ظل القناعة والمحبة والدين من ان يغزوها هذا التمدن بدعوى الارتقاء وباسم المساواة والحرية والاخاء فيسلب منها اعزَّ كنز لديها وهو القناعة واكبر تعزية لها وهي الدين ويفرّق بين الابن وابيه ويوقع الشقاق بين الزوج والزوجة ويفيض عليها من سيئاته مالا تستطيع ان تكفّر عن بعضه كل حسناته . فقد سهَّل بفضل العلم .... ! احتقار الوالدين وزادت الشكوك في الدين واطلقت الحرية فانطلقت الفتاة من خدرها المصون تجذب الفتى من حضن امه فيبذل عند اقدامها ماء الحياء وماء الحياة . وكثرت المطامع بكثرة المطالب وكثرة الانتحار وعمَّ السكر

(١) كتب الينا فؤاد افندي خليل سالم الصيدلي القانوني في المحلة الكبرى انه هو صاحب هذه المقالة وفوض الينا التنويه بذلك

والقمار وقلّ الزواج بزيادة اسباب الفساد فانتشرت الامراض الصدرية والامراض الزهرية — وهكذا زاد شقاء العائلة »

ثم اتى على تفصيل ذلك فقال :

« المرأة ولقد فتشت عن المراة عملاً بالمثل الافرنسي المشهور فرايتها تمثل الدور المهم من هذه الرواية . رايت هذه المخلوقة اللطيفة التي كانت على عهد آبائنا فتاة كلها حشمة وحياء وزوجة كلها عفة واباء واماً كلها عمل وعزاء قد استحالت بفضل التمدن الحديث الى فتاة طائشة وزوجة مسرفة وام مهملة

« ولو تأملت ان المتعلمات اكثرهن من الطبقة الوسطى التي تؤلف معظم الشعب الساعي وراء السترة في بلاد يصعب فيها تحصيل الارزاق ورايت المطالب التي يقتضيها هذا التعليم الداعي اليه التشبه بالاغنياء بتكليف النفس مالا تطيق ادركت ان السعادة مفقودة من هذه العائلات وان هذه القبور المكلسة بيضاء الظاهر وليس في باطنها غير الدود

« ولو وقف التشبه عند حد التعليم لما اكبرناه ولقلنا وقت الدرس اثمن من ان يضاع في طبخة تتقنها البنت على امها وقطبة تاخذها عن رفيقتها وملاحظة تسمعها من جارتها ولكن البنت تترك المدرسة والنفس كبيرة تانف العمل في المنزل فلا شغل لها الاّ مطالعة الروايات والتبرج استلفاتاً لخواطر الشبان ولكن المصيبة ان هؤلاء باتوا وهم يخافون مثل هذه الفتاة ويحسبون للزواج ونفقاته الف حساب وصارت القاعدة عندهم « اما الدوطة واما العزوبة » فيضطر الوالد ان يختار واحداً من شرّين اما ان تبقى ابنته عزبة في البيت واما ان يبيع ما فوقه وتحته ويرهن نفسه ويكردس الديون عليه ليقدم لها الدوطة ... هذي هي الفتاة التي كان يسعى الشبان وراءها صارت تسعى وراءهم والتي كان يشتريها العريس صارت تشتريه وتدفع السمسرة احياناً .... ولم يقتصر شر هذا التمدن على الطبقة الوسطى بل عمّ نساء الطبقة الدنيا والنساء من طبعهن الغيرة

« اما الطبقة العالية المؤلفة من وجهاء القوم واغنيائهم فلا يمكننا ان نعدّ اسراف المراة فيها سبباً من اسباب الشقاء لانها تنفق عن اقتدار . ولكن هنالك اسباباً لشقاء الاغنياء تقوم مقام الاسراف عند الاواسط والفقراء . هناك أمور كثيرة لايمكن شرحها ولا حصرها تأتيها سيدتي الغنية في عائلات كثيرة لم تقتبس من هذا التمدن سوى عادات واصطلاحات كثيراً ما كانت سبباً لشقاء العائلة . وسنذكر شيئاً منها في سياق الكلام هذا ما يقال بالاجمال عن المرأة المسيحية السورية

« واما المرأة عند كثيرين (لاحظ قولنا كثيرين) من الاقباط والمسلمين في مصر والشام فباقية على القديم وهي كما وصفها صاحب « المرأة الجديدة » « حيوان لطيف يوفيه صاحبه ما يكفيه من لوازمه تفضلاً منه على ان يتسلى به » محجوزة « ضمن قفص مقصوصة الجناح مطأطأة الراس مغمضة العينين » « لا تعرف من زوجها سوى انه طويل او قصير ابيض او اسود » .... فالرجل المصري بعد دخول التمدن الحديث رأى وسمع وعاشر وتشبه وتعلم وتمدن والمراة واقفة لا تتحرك تنظر اليه من وراء الحجاب فتستكبره وينظر اليها فيستصغرها والسعادة العائلية ضائعة بين الحالتين . ضائعة لان آباءنا كانت عقولهم واذواقهم تناسب عقول نسائهم واذواقهن فكانوا راضين عن الحالة قانعين بالمعيشة واما نحن فلا نقدر ان نقنع ولا نريد ان نغير الحالة . هنا نقطع الحديث عن المراة لنقول كلمتنا في الرجل

« (الرجل) وقبل ان ندخل في البحث عن هذا الرجل المتمدن احب ان اوجه الانظار الى طبقة هي بقية ذلك العهد القديم باقية على حالها خارجة عن منطقة الحصار واقفة على الحياد لم تتعرض بعد لهذا التمدن فلا نتعرض لها . والذي يجب ان يدرك السعادة العائلية فليخالط هذه الطبقة ويدرس كيف تأكل وكيف تتعامل وكيف تفكر وكيف تعيش — فليخالطها ولا ينظر اليها من شاهق القصور فيستصغر امرها — ان هذا الفلاح الفقير وذاك العامل الغبي لاسعد عيشاً من هذا المتعلم وذاك المتفرنج وذاك الغني

« ولنعد الى الرجل المتمدن — اقول المتمدن لانهم يصفونه كذلك ولا ادري ماذا يعنون بهذه الكلمة . فاذا كانوا يعنون بها الانسان العامل بسنة الله الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر فانا اتردد عن ان ادعوه كذلك في عصر كثر فيه التهتك والتبذل والفساد والخلاعة والمسكر والميسر والانتحار وحب الذات ... ولكن عفواً لقد غضب القلم حتى طاش عن الموضوع . ولعل هذا التمدن الحديث مع ما فيه من سيئات ومنكرات ادعى الى السعادة العائلية .. ولكن لا . ان العائلة التي لا يوجد فيها الدين والقناعة والمحبة لا توجد فيها السعادة . انا لا انكر وجود عائلات كثيرة بهذه الصفة ولكن من ينكر انها اقل مما كانت عليه ايام آبائنا ؟

« (الدين) اي عائلة يكون فيها المجرم او المقامر او السكير او المتهتك او الكهل العزب او الزوج الكهل وتكون سعيدة ؟ ان الدين يقاتل هذه المنكرات ولكن اين هو الدين ؟ اين هي تلك القوة السماوية التي تصغر اكبر المصائب وتردع عن اعظم الشرور ؟ لقد تلاشت او كادت تتلاشى بفضل هذا التمدن الحديث

« قال الهلال : ومن ادران هذا التمدن الشكوك في الدين وليس اتعب على قلب الانسان ولا اثقل من تلك الشكوك وخصوصاً على العامة فان تدينهم انما هو سبب تعزيتهم ومصدر سعادتهم فاذا فقدوه فقدوا السعادة برمتها • ولم يمر على الانسان عصر كثرت في الشكوك وتكاثر المعطلون مثل هذا العصر ولذلك كان اهله ابعد اهالي سائر المدنيات عن اسباب السعادة — والواقع ان الديانات وخصوصاً الالهية تقرب الانسان من السعادة ومن شك في الخلود والثواب والعقاب وفي عناية الخالق باحوال الخلق فقد اضاع اسباب سعادته

« وقال تولستوي الفيلسوف — لماذا هؤلاء القوم الفقراء سعداء وهم فقراء • انهم لا يتمتعون بالمعيشة الجيدة ومع ذلك فهم في راحة وهناء لا نعرفهما نحن الذين لدينا المال الكثير هو الدين • ان الكنيسة المباركة هي التي اعطت القوم راحتهم • انهم لا يبالون بالعري والجوع والفقر اذ يشعرون بتعزية الايمان القوي ونحن وحدنا نعيش بدون ديانة حقيقية • (مجلة سركيس)

• ولو كان الكفر يقف عند حد الكفر لهان ولكنه يدفع الانسان الى ارتكاب محرمات وفظائع يشجعه عليها تعليم ذلك الفيلسوف المدعي « كلوا واشربوا لانكم لاتعلمون متى تموتون » فينسيه قول ذلك الفيلسوف الخالد « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » فيمسي ويصبح وهو لا امل له بغير الدنيا • والدنيا كما وصفتها مجلة سركيس « كالبحر المالح كما ازداد الانسان منه شرباً ازداد عطشاً » فيندفع بكليته الى نيل مآرب اوجرّ مغنم اوقضاء شهوة فيغش ويمكر ويزور ويؤذي ويرتكب « السبعة وذمتها » ومبدأه « السياسة بلا قلب والغاية تبرر الواسطة » — ويقولون ان في التمدن قوة ادبية تقوم مقام الدين فتردعه عن المعاصي • ولكني اعلم بالاختبار ان هذه القوة ضعيفة في رجالنا لاسباب طبيعية واجتماعية لا محل لذكرها • وعلى فرض وجودها فهي لا تستطيع ان تفعل فعل الدين • وهي اذا استطاعت ان تكف عن الانسان شر الناس فلا تستطيع ان تعزيه وتخفف احزانه • وهي اذا حرمت عليه القتل فلا تحرم عليه الزنى واذا حرمت عليه السرقة فلا تحرم عليه الرياء والغش • فاذا علمت هذا ورأيت العائلات تشقى بسبب الافلاس والبورصة والخانات وبيوت القمار وبيوت الخلاعة وما نف انفيا فقل رحم الله آباءنا . . . ثم اقول كلمتي في الزواج بشيء من التفصيل • لان الزواج هو المحور الذي تدور عليه السعادة العائلية حيناً والشقاء احياناً

الزواج يقولون ان الزواج اليوم مع ما فيه من تبرج المرأة وبذخها وحريتها

افضل منه بالامس لانهُ مبني على حرية الانتخاب الشخصية والحب المتبادل بين الخطيبين وهو ما يضمن سعادة العائلة . ونحن لا نرد على هذا القول بسوى ما قالهُ الهلال وهو « نرى شبان هذا الزمان اصبحوا بعد تخييرهم في انتخاب الزوجة بعيدين عن الزواج على حد قول المثل ما حيَّرك الاَّ الذي خيرك . فاصبح الشاب اماَّ يخاف الاقدام على الزواج و يتهيَّب من ذكره لضيق ذات يده واماَّ انهُ يحار في اختيار زوجة تملأُ قلبه جمالاً او ادباً او مالاً أو نحو ذلك على مقتضى امياله واخلاقه فآل ذلك الى تقاعد الاكثرين عن الزواج واكثر المتزوجين انما تزوَّجوا بعد فوات سن الزواج ولا نرى راحة العائلة اضمن لهم مما كانت لآبائنا للاسباب الآتية . . . » ثم أتى الهلال على اسباب كثيرة يضيق المقام عن ذكرها

« على اننا لا ننكر ما كان يحصل من حوادث الشقاء الناتجة عن مثل تلك العادة الاستبدادية ولكنَّ ذلك لا يذكر بجنب الحوادث المؤلمة التي تمثل كل يوم على مرسح التمدن الحديث . فكم من مصدور أو مزهور يتزوَّج بعذراء طاهرة لم تذق بعد لذَّة الحياة فينغص عيشها بما يجلب عليها من فواصل اسقامه . ثم اذا ولدت فأولاداً ليعشوا بالعلة أو ليموتوا تاركين في قلب الأمّ العليلة حسرة . وكم من فتى بعد ان يفني قواه هنا وهنالك أو يتلوَّث بامراض سافلة يتزوَّج فيعقم . والذي يطلع على دخائل البيوت و يعرف رغبة الزوجات في البنين يدرك التعاسة العائلية الناتجة من وراء العقم . وكم من كهلٍ يتزوَّج بغادة هيفاء لو نظرتها حسبتها ابنته أو حفيدته فلا يلبث ان يخرج من حفلة الاكاليل حتى يصيح من قلب محروق : فياليت الشباب يعود يوماً لاخبره بما فعل المشيب

« وكم وكم من حوادث تحمرُّ لها وجوه وتصفر وجوه تحدث بين العائلات على اختلاف الطبقات فتكدر صفوها وتحرمها السعادة والهناء

« ولقد كثرت بفضل التمدن الحديث تلك الوسائط التي تسهّل على الشبان اتباع اميال النفس الامارة بالسوء فرأينا قليلاً من هؤلاء من لا يصاب بضربة قبل ان يتزوَّج . خذ مثلاً شبان الاسكندرية ومصر وبيروت وغيرها من مدن القطرين الكبيرة فانك قلما تجد جيب الواحد منهم خالياً من علبة حبوب أو زجاجة دواء يتعاطاه . . . . فهل من يقول بعد هذا انا اسعد حالاً من آبائنا في معيشتنا العائلية ؟؟

« كل خطوة نخطوها نحو التمدن انها خطوة نحو الشقاء . ان التمدن مقرُّه العقل والسعادة مقرُّها القلب . والعقل والقلب عدوَّان لا يقوى الواحد حتى يذلّ الآخر . فتقدم المدنية عبارة عن تسلط العقل على القلب ونقاص ظلّ السعادة . وهذا ما جعل

الشاعر العربي يقول : ما لذّة العيش الاّ للمجانين . » انتهى كلام بوذي عصري

ونأتي لاتمام الفائدة بخلاصة ما جاء في مقالة نمرة ۳۰۰ التي احرزت اربعة اصوات ويرى صاحبها اننا اتعس حالاً من آبائنا لكنهُ لا يجعل التبعة على التمدن الحديث وانما يجعلها على قرب عهدنا منهُ وعندهُ ان التمدن من اسباب السعادة الحقيقية . فبعد ان قابل بين حالنا وحال آبائنا قال :

« فيتحصل مما تقدم ان الحالة الثانية ليست خيرًا من الاولى بل هي شرٌّ منها لو كانت باقية ولكننا نحمد الله انها طريق انتقال . وتحقق ان الامة التي تعاني عناء هذا الانتقال المجهد تتمخض بأمة يرجى ان تجيء عالمة كيف تجمع الى العلم والفضل صحة الاجسام وسلامة العرض وتوفق بين متانة الاخلاق وخفض العيش ولا مراء في ان للمعرفة لذّة لا تفوقها لذّة ولتأدية الواجب سرورًا لا يضارعه سرور ولحسن استخدام الحرية الذاتية غبطة ما وراءها غبطة وليكون قراء هذه السطور على بينة من الامر الذي اجملنا الكلام فيه نصف لهم كيف تعيش امة راقية من امم الغرب وكيف هي بالغة تلك السعادة التي لا نزال على مراحل منها . ولتكن الامة الانكليزية ذلك المثال الذي نقدمه

« الانكليزي انسان متوسط الذكاء جليد الطبع ثابت العزم غير ميّال بفطرته الى التبحر في العلم ولكنهُ ميّال بها الى طلب المرافق والمنافع مستخدمًا لذلك ما يستنبطهُ غيره من اسرار المعارف . ومن اعظم اسباب صولته انانيته التي امتاز بها لانهُ لا يعدُّ الدنيا الاّ ميدان قتال فاذا جرى فيه الى شوطه فويل لمن يقف او يقع في طريقه لانهُ يبذل كل قواه للتغلب على الاول وزحزحته عن مكانه ولا يتردد لحظة دون المرور على الثاني بحوافر جواده بحجة ان المقاتل لا ينبغي لهُ ان يضيع وقتًا في الرثاء لصريعه لئلا يمكن اعداءه منه . فهو يجهد قبل كل امر ان يعلم ما عليه ليؤديه في وقته وما لهُ ليتقاضاه في حينه وعلى قدر اعماله يرتب قطَع نهاره ولا يضنُّ على نفسه بآونة للسرور ولا على جسمه بما يحتاج اليهِ من الرياضة . واذا كان ذا اهل وعيلة لم يتناسَ ما يدعوه اليهِ الواجب اليومي لهم من المعاشرة والاجتماع . فلهذا تجدهُ سعيدًا في اسرته لانه يؤدي كل عمل من اعماله في حينه وكذلك تكون امرأته وكذلك يربي اولاده

« فاساس سعادتهم الترتيب الذي يبنون عليهِ حركاتهم وسكناتهم في كل آن اذ انهم بهِ يحفظون صحتهم وبهِ يكتسبون رزقهم وبهِ يوفرون عرضهم وبهِ يذللون الصعاب التي تعترض سبلهم في الوجود

« ونحن الشرقيين الآن باقرار الجميع منا لم نزل على مسافة بعيدة من هذه الغاية وعليه يصح لنا القول ان الحالة الاولى التي كان عليها آباؤنا كانت افضل بذاتها لما كان فيها من اسباب الرضى والراحة واما الحالة الثانية وهي التي نحن عليها فافضل بنتيجتها لانها الطريق المفضية الى السعادة البيئية المنارة بالعلم المحلاة بالآداب القائمة بالصحة عن تدبير وبسلامة العرض عن محض عفة وبشرف الاخلاق عن تبصر وبرخاء المعيشة عن انتصار دائم في معترك الحياة . » انتهى كلام نمرة ٣٠٠

اما رأينا الخصوصي في هذا الموضوع فنرجيء الكلام فيه الى فرصة اخرى

شكري غانم

ناظم رواية عنترة في الفرنساوية

فُطر السوريُّ على الذكاء والنشاط واقام في بلاد متوسطة بين الشرق والغرب فجعل نفسهُ وسيلة لنقل التمدن بين الشرقيين والغربيين . فاذا كان التمدن في الشرق نقله الى الغرب او كان في الغرب نقله الى الشرق — اعتبر ذلك في تاريخ سوريا من اقدم اطوار التمدن . ففي العصور الشرقية القديمة اذ كان التمدن لا يزال في مهده بمصر واشور وبابل فالسوريون (الفينيقيون) هم الذين نقلوه الى الغرب فحملوا اليه احرف الهجاء قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً ثم نقلوا سائر علوم تلك الامم وآدابها في اثناء اسفارهم البعيدة في سبيل الاتجار . ثم قضت سنة العمران بنهوض الغرب ورقاد الشرق فنشأت دولة اليونان واشتغل اليونانيون في استنبات ما أخذوه من علوم الشرقيين واستثماره واقاموا عليه تمدنهم الشهير واستنبطوا الفلسفة والمنطق وغيرها ونضجت علومهم والشرق قد تعطل من تمدنه فاشتغل السوريون في نقل تلك العلوم الى اللغة الفارسية والسريانية في عهد دولة الفرس الساسانية . ولما ظهر الاسلام ونشأ التمدن الاسلامي فالسوريون هم الذين نقلوا علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم الى العربية . وهذا هو شأنهم اليوم في نقل العلوم والاشتغال بها فلا غرو اذا اصبحت معرفة اللغات ملكة فيهم حتى يكتسب السوري اللغة بمدة لا يستطيع سواهُ اكتسابها باضعاف تلك المدة . وهو مع ذلك يتقن التكلم بها ويتضلع في اساليبها نظماً ونثراً كانه من نوابغ اهلها

والشواهد على ذلك كثيرة اقربها عهداً منا رواية عنترة العبسي لشكري افندي غانم شقيق

المأسوف عليه خليل غانم الكاتب السياسي الحرّ (راجع ترجمة حاله في الهلال ٣ سنة ١٢) فانه نظمها في الفرنساوية نظماً اعترف الفرنساويون انه في الطبقة الاولى من الشعر الفرنساوي . وجاء القاهرة ومثلها في الاوبرا الخديوية تمثيلاً ادهش اهل العلم والادب من عارفي تلك اللغة على اختلاف النزعات والمذاهب ونال التفات الجناب العالي وانعامه حتى استقبله واكرمه وقلده الوسام المجيدي الثالث . وتغنت بذكره الصحافة المصرية على اختلاف لغاتها ونزعاتها فاطرت قريحته واثنت على براعته واحتفل السوريون باكرامه احتفالاً خصوصياً في فندق كونتيننتال مساء ١٤ يناير الماضي حضره نحو ثلاثمائة من علية القوم الافرنج والمصريين وفيهم ارباب المناصب ورجال الصحافة والمحامون والاطباء يتقدمهم فخري باشا ناظر المعارف وارتين باشا وكيلها والموسيو دلابولنيير معتمد دولة فرنسا وبوغوص باشا نوبار ومندوب من قبل الغازي مختار باشا ومعتمدوا اكثر الدول العظمى وشكور باشا وغيرهم

ولما تمّ عقد الاجتماع نحو الساعة الخامسة وأخذوا في مناولة الشاي والحلواء اقبل المحتفل بهناظم رواية عنترة وقرينته فصفق لهما الحضور واقبلوا عليهما يحيونهما ثم نهض شكور باشا فالقى خطاباً باللغة الفرنساوية استهله بذكر صاحب الالياذة لانه اول من احتفل الشرقيون باكرامه في حفلة عمومية على هذه الصورة . ثم اثنى على الموسيو غانم وذكر اعجابه بشعره الفرنساوي وهنأه بما أوتيه من القريحة الوقادة . وتلاه في الخطابة الموسيو ديروجه رئيس تحرير البيراميد . ثم نهض البستاني صاحب الالياذة وخطب في العربية فاسترعى الاسماع واستلفت القلوب والعقول . وتلاه رصيفنا خليل افندي المطران فانشد قصيدة مثل سائر منظوماته الوصفية المصرية . ثم خطب ايوب افندي كيد في الفرنساوية خطاباً بليغاً والموسيو كيد مشهور بتضلعه في هذه اللغة وبراعته في أساليبها نظماً ونثراً فضلاً عن الانكليزية . ثم تلاه عبد الفتاح افندي بيهم بقصيدة غراء . وبعده خطب داود بك عمون في الفرنساوية مرحباً بصديقه صاحب الحفلة فوصفه وصفاً كشف عن ادق شعور وارق احساس . واخيراً وقف الموسيو غانم والقى خطاباً في الفرنساوية تدفق فيه تدفق السيل فاثنى على المحتفلين فلم يزدهم الا اعجاباً ببراعته وقوة عارضته والسامعون يقطعون خطابه بالتصفيق والهتاف . ولما فرغ من الخطابة كلف صديقه مصطفى باشا كامل صاحب اللواء ان ينوب عنه بمخاطبة الحضور في اللغة العربية ولا غرو اذا أعجب السامعون بخطابه وهو نابغة خطباء مصر وقد زاد الخطاب رنة وتأثيراً انه جعل مداره الحث على اتحاد العناصر الشرقية المختلفة بعد

هذه النهضة وكان كلامه خاتمة تلك الحفلة • ووددنا لو اتسع المجال هنا لنشر ما تلي في ذلك الاجتماع من الخطب والقصائد لانها من خيرة المقال

وبالجملة فان الاحتفال بهذا النابغة دلَّ على منزلته في عالم الادب وعلى تكاتف السوريين في اكرام نوابغهم وعلى اريحية سائر ادباء القاهرة ووجهائها لاشتراكهم في هذا الاكرام • فقد كان المجتمعون على اختلاف عناصرهم ومشاربهم ومذاهبهم مشتركين في الشعائر كانهم من عنصر واحد • واكثرهم تلطفاً وتفضلاً اخواننا المصريون ولاسيما ارباب الصحف منهم فانهم جاملونا بمجاملة الكرام الفضلاء واشتركوا معنا في الاحساس اشتراك الخلاَّن الاصفياء ولا غرو فقد عدُّوا هذا الاحتفال لواحد منهم تجمعه واياهم الجامعة الشرقية العربية جزاهم الله خيراً



باب السؤال والاقتراح

تاريخ العالم وقاموس الاسلام

اقتراح آخر

(الاسكندرية) سليم افندي اسعد بمينا البصل

قرأت في الهلال الثالث من هذه السنة ما اقترحه صاحب السعادة ابراهيم باشا نجيب على حضرتكم بتأليف قاموس للاعلام الاسلامية تجرون في تمحيص حقائقه على نسق كتابكم تاريخ التمدن الاسلامي . وهو اقتراح جليل يدلُّ على غيرة هذا الوزير على اداب اللغة العربية لانها مفتقرة الى مثل هذا الكتاب . ولكنها اكثر افتقاراً الى كتاب آخر يحتاج اليه جمهور القراء — فقاموس الاسلام على جلالة قدره واهمية موضوعه انما يهمُّ فئة من خاصة قراء العربية وربما همَّ اهل الالسنة الاخرى كما همهم تاريخ التمدن واخذوا في نقله . ولكن الهلال أُنشئ لافادة جمهور العامة وفيهم المتعلم وغير المتعلم واكثرهم يتناولون معارفهم مما تنشره المجلات من المواضيع الادبية والتاريخية — فهؤلاء يا صاحب الهلال في حاجة الى تاريخ عام اكثر من حاجتهم الى

تاريخ خاص . وليس في اللغة العربية تاريخ عمومي وافٍ بالغرض المطلوب اما لاختصاره أو لخلوه من الخرائط والرسوم والاشكال اللازمة لايضاح الوقائع . فاقترحُ على حضرتكم باسم قراء الهلال تأليف تاريخ لدول العالم من أول عهد التمدن الى الآن على ان توضحوه بالخرائط التاريخية ورسوم اشهر الحوادث واعظم الرجال . مع ترتيبه وتبويبه على ما عودتمونا في سائر مؤلفاتكم . ثم بعد ذلك لا بأس من تأليف قاموس الاسلام وانما اقترح تقديم التاريخ العام لانه اساس سائر التواريخ كما تعلمون

﴿ الهلال ﴾ وجاءنا اقتراحان آخران في نفس هذا المعنى وان اختلفا عنه في اللفظ أحدهما من محمد افندي مصطفى بالسكة الحديدية بمصر والآخر من جرجي افندي الخوري في بيروت وسمعنا نحو ذلك شفاهاً من غير واحد . والجواب ان اشتغالنا بتأليف قاموس الاسلام لا يمنع الاشتغال بسواه لان تأليف هذا القاموس انما يستغرق ساعات تفرغنا من انشاء الهلال وملحقاته لما يقتضيه من التأني والصبر . وأما التاريخ العام على ما وصفه حضرة المقترح فنحن من جملة المشعرين بافتقار اللغة اليه . وكنا نتوقع ان يتولى تأليفه بعض كتابنا الافاضل فيسد هذه الثغرة في آداب اللغة العربية . فاذا لم يكن بدٌّ من ان نتولى ذلك بنفسنا اجابة لحضرات المقترحين فنرى ان نجعل هذا الكتاب أجزاء نلحقها بالهلال اما متفرقة يصدر منها شيءٌ مع كل جزء كما نفعل بروايات الهلال أو أجزاء كاملة تصدر في أواخر السنين كما نصدر تاريخ التمدن الاسلامي . ويقتضي ذلك طبعاً أن نزيد صفحات الهلال ونزيد قيمة الاشتراك بنسبة تلك الزيادة على أن يكون الشروع في ذلك من أول السنة الخامسة عشرة أي بعد بضعة أشهر . وبما أن هذا التغيير سيتناول زيادة بدل الاشتراك فلا بدَّ لنا من عرض هذا الرأي على حضرات المشتركين للنظر فيه ونعمل بما يراه الاكثرون

اسماعيل باشا الخديوي

﴿ المنصورة ﴾ شربيني افندي محمد بالخيارية

﴿ الهلال ﴾ ترون ترجمة اسماعيل باشا في الهلال الرابع من السنة الثالثة

الخطوط الحديدية في آسيا العثمانية

﴿ الاسكندرية ﴾ حسن افندي حمدي العامري

اطلعت على مقالتكم في الهلال الماضي عن الخطوط الحديدية في آسيا العثمانية وأعجبني ايضاحكم ذلك بالخارطة وقد وفيتم الكلام بشأن الخط الحجازي أما الخطوط الاخرى ولا سيما خط أسيا الصغرى الذي سيجعل خليج فارس يصب في الدردنيل فقد اختصرتم الكلام فيها فنرجو أن تزيدونا بياناً عن هذا المشروع الجليل وهل هو من المشروعات الحية التي يرجى استثمارها

﴿ الهلال ﴾ يظهر ان الثقة لاتزال ضعيفة في مشروعاتنا حتى عند أنفسنا . وقد بينا في الهلال الماضي أن القرائن والشواهد تدلّ على ان هذه المشروعات نافذة لا بد من استثمارها وان ظهر على الخارطة تعددها واشتباكها حتى يلتبس على غير العارف أمرها أو يظن في الرسم مبالغة . فان الاهتمام بانشاء السكك الحديدية في تلك البقعة من المملكة العثمانية قديم ولكل خط منها تاريخ لانشائه وشركة تتولى أمره وأكثر هذه الشركات تقبض من الدولة أموالاً تتساعد بها على انشاء تلك الخطوط أو على استثمارها بحيث لا يقلّ دخلها السنوي للكيلو متر الواحد عن عشرة آلاف الى عشرين ألف فرنك

وقد توجهت الانظار الى انشاء السكك الحديدية في أسيا الصغرى وسوريا منذ طمحت أنظار الدول الى الشرق لانهاضه أو ابتلاعه وأكثرهنّ سعياً في ذلك انكلترا بعد ان نصبت اعلامها في الهند وأصبحت تخاف ذهابها من أيديها على غرة فأخذت تهتم في ما يسهل عليها نجدة جندها الهندي اذا اقتضت الحالة . فاقترح بعض رجال سياستها سنة ١٨٥٠ انشاء خط حديدي من السويدية قرب اسكندرونة الى انطاكية فحلب فالموصل فبغداد فالبصرة فخليج فارس . واقترح غيره خطاً آخر يمتد من البوسفور الى الموصل بطريق سيواس وديار بكر ومن الموصل الى الخليج . واقترح بعض الروسيين انشاء خط من طرابلس الشام الى الخليج الفارسي بطريق

حلب فالموصل فبغداد الى الخليج

على ان هذه المشروعات ظلت حبرًا على ورق أو كلامًا طائرًا في الهواء . واما الشروع في العمل فعلاً فهو قديم أيضاً وأول امتياز أعطته الحكومة العثمانية في سبيله امتياز الخط الحديدي من أزمير الى آيدين سنة ١٨٥٦ (راجع الخارطة في الهلال الماضي) وقد تم بناؤه سنة ١٨٦٦ وامتد مؤخرًا الى دنايروارتفاعه هناك ٤٨٨ مترًا عن سطح البحر وله فروع الى تيره وسوكيا وتشيفربل وبوجه وسديكاني ودنزلي وطول هذا الخط وفروعه نحو ٥٠٠ كيلومتر . وفي سنة ١٨٦٦ ايضاً انتهى الخط من ازمير الى القصبة . وقد امتد مؤخرًا الى افيوم قاراحصار وله فرع الى سوما علو آخر محطة نحو ١,١١٠ أمتار عن سطح البحر . وفي سنة ١٨٧١ اخذوا في انشاء الخط بين مندانيا وبروصة لكنهم اضطروا الى ايقاف العمل لقلة النقود . واهتمت الحكومة العثمانية في اثناء ذلك بانشاء خط هو اساس الخط الكبير الذي مدّوه بعدئذ الى خليج فارس . وكان في بادي الرأي يمتد من اسكي دار (أو حيدر باشا) الى ازميد . وفي سنة ١٨٨٨ تشكلت شركة ألمانية طلبت من الباب العالي امتيازًا بمد هذا الخط الى انقرة بطريق اسكي شهر وطوله ٥٧٦ كيلومترًا ثم طلبوا مده الى بغداد بطريق سيواس . وفي اثناء ذلك انشيء خط من مرسين الى ادنة بطريق طرسوس لنقل البضائع والركاب بين هذين البلدين . ولما تخطط مشروع السكة الحديدية الكبرى الى بغداد صار هذا الخط فرعاً منها . ثم اعطت الحكومة امتيازًا بخط حديدي فرعي من انقره الى قيصرية ولكنهم لم يباشروا انشاءه بعد

وفي سنة ١٨٨٨ أيضاً تقرر انشاء السكة الحديدية من يافا الى القدس وفي سنة ١٨٩٠ تقرر انشاء خط بيروت الى دمشق بطريق رياق وخط من حيفا الى دمشق وآخر من دمشق الى المزيريب واخيرًا خط من حيفا الى السقا وآخر من رياق الى حماه فضلاً عن الخط الحجازي الممتد من دمشق الى مكة وقد بسطنا الكلام فيه بالهلال الماضي

وتقرر قطعياً الآن مد الخط الحديدي الاكبر من حيدر باشا تجاه الاستانة

الى خليج فارس بفرمان شاهاني صدر باسم شركة المانية فرنساوية اكثر اعضائها من الالمان على ان تنشئ هذا الخط وتستثمره في اثناء ٩٩ سنة . والفرمان المشار اليه يجعل حقها في هذا الخط من قونية الى خليج فارس فيمرّ باريكلي (وقد وصل الآن الى هناك) والطريق اليها سهل وأما بعدها فالارض وعرة كثيرة الجبال والاودية ولا سيما جبل طورس الى ادنة . ويعترضهم في شمالي الاسكندرونة جبل متصل بجبال سوريا فينشئون هناك فرعاً الى خليج اسكندرونة لتسهيل نقل المعدات اللازمة ويمد فرع آخر الى حلب ومنها الى خط سوريا : والطريق من ادنة الى الموصل على استقامة واحدة ومن الموصل يسير الخط محاذياً لدجلة فيتعرج بتعرجه الى بغداد ومنها الى البصرة ومن هناك يتفرع الى فرعين احدهما الى شط العرب والآخر الى الكويت

وفي عزم الشركة انشاء فروع أخرى لهذا الخط بعد الفراغ من انشائه . ويقولون انهم سيتمون انشاءه سنة ١٩١٠ ولا نظنهم يستطيعون ذلك وهم الى الآن لا يزالون عند اركلي شرقي ادنة أي انهم لم يتجاوزوا ربع الطريق . وفي كل حال فالعمل جارٍ بهمة ويقدرون نفقات هذا الخط حتى ينتهي بستمئة مليون فرنك (نحو ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه) وقد اختلف رجال الاعمال في تقدير مستقبل هذا الخط وتأثيره في السياسة أو التجارة مما لا محل لتفصيله . ولكن لا خلاف انه سيوطد العلائق بين الشرق والغرب ويسهل اسباب التجارة وغيرها من دعائم العمران بتقريب المسافة بين أوروبا والشرق الاقصى . فالبريد الآن ينتقل من لندن الى بومباي في ١٤ يوماً و١٦ ساعة فاذا حملوه على هذا الخط يصل باحد عشر يوماً . والسياح الذين يمرون بقناة السويس وعددهم نحو ٢٥٠,٠٠٠ نفس كل عام يفضلون طريق هذا الخط اقتصاداً في الوقت ووقاية من خطر البحر . واذا انشأوا جسراً على البوسفور كما يقولون زادت أسباب التقرب فالقطار يقلع من كالي على شاطئ خليج المانش فلا يقف الا عند شط العرب على ساحل خليج العجم

وقد جاء في صفحة ٢٤٣ من الهلال الماضي ان عدد الحجاج الى مكة ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس والصواب ٢٠٠,٠٠٠

باب الاخبار العلمية

السرطان والتربسين Trypsin

السرطان من الامراض العضالة التي لا يزال الطب قاصرًا عن معالجتها ولذلك فالاطباء اذا ظفروا بحادثة اخذوا في معالجتها على سبيل التجربة فاذا آنسوا نفعاً نشروه على الملأ ليتحققوا نفعه كما اتفق في معالجة الليدي مركريت مارتم احدى شريفات الانكليز اذ أُصيبت بالسرطان في بلعومها وشفيت بمنقوع البنفسج — وقد فصلنا ذلك في الهلال السابع من السنة الحادية عشرة

وقد انبأنا صديقنا الدكتور موصلي بك الجراح الشهير بالقاهرة انه عثر في بعض مطالعاته بالجرائد الطبية على حادثة سرطان شفيت بالتربسين بعد ان اعيى الاطباء علاجها — وذلك ان ضابطاً انكليزياً أُصيب بالسرطان فعالجه احد مهرة الجراحين في لندن بالاستئصال على جاري العادة فلم تنجح العملية واضطر الضابط الى الاستقالة من منصبه وملازمة منزله . واتفق انه سمع بعضهم يثني على فائدة التربسين في علاج السرطان فعمد الى التجربة وعالج نفسه فتحسنت صحته تحسناً بيناً وعاد الى الخروج من منزله وزيارة اصدقائه

ونشر الدكتور بيرد احد مشاهير الاطباء الانكليز مقالة في السرطان ذكر فيها نتائج ابحاثه الطويلة وتجاربه المتوالية في هذا الداء وخلاصتها ان السرطان يقبل الشفاء . وتعليل ذلك ان هذا الداء ناتج عن توقف النمو في الجسم او انحطاط القوى الحيوية وسبب هذا الانحطاط خلل في عمل البنكرياس (قسم من الامعاء) والبنكرياس يفرز عصارة عليها يتوقف قسم عظيم من عمل الهضم واهم ما في هذه العصارة مادة « التربسين » وقد لوحظ نقص هذه المادة او فقدها في المصابين بالسرطان

و وجد الدكتور شوما كنزي علاقة شديدة بين السرطان والبول السكري استنتج منها انه يجب توجيه الانظار الى البنكرياس في البحث عن علة السرطان وعلاجه . وعمد الى معالجة السرطان بالتربسين حقناً تحت الجلد ليعوض عن نقص هذه المادة في الجسم فوجد

تحسناً عظيماً وعمـل الدكتور بيرد على مجاراته في هذا الشان فعالج عدة مرضى بالحقن على هذه الصورة فأتى بالنتائج المدهشة فعسى ان يجرب اطباؤنا ذلك

معالجة السل بماء البحر

كتب الدكتور كوينتن من اكاذيمية باريس مقالة ضافية ذكر فيها تجاربهُ العديدة في معالجة السل بماء البحر الملح حقناً تحت الجلد اما وحده أو ممزوجاً بالماء المقطر وسمى هذا الدواء « المصل البحري » فكانت النتائج حسنة وانما اشترط في كل حال أن يؤخذ الماء من البحر لا ان يركب من الماء الاعتيادي والاملاح . وان يحمل من أواسط البحر بعيداً عن الشاطئ ليكون خالصاً من مقذوفات الانهار وفيها كثير من المواد القذرة السامة فتزيد الداء شدة . وأن يكون ذلك في الطقس الهادئ والماء صافٍ . وان لا يخزن في الآنية طويلاً بل يستعمل جديداً أولاً فأولاً واذا أريد مزجه بالماء الاعتيادي فيقتضي أن يكون الماء نقياً مقطراً ولا بد من ترشيح المزيج قبل الاستعمال

ومن غريب تأثير هذه الحقن انها تنهض القوى نحو ١٣ ساعة فيكون العليل في اثنائها منتعشاً ولكنه يشعر بعد الحقنة بساعة أو ساعتين أو اكثر أو أقل بانتفاض كانتفاض البرد ويعطش عطشاً شديداً وترتفع حرارته في اثناء اربع ساعات أو خمس ثم تنزل وتبقى اعتيادية ويفقد قابلية الطعام وتهيج معدته وقد يتقيأ . فيشير الدكتور كوينتن على العليل اذا اصابه العطش أن يشرب من لتر الى ثلاثة ليترات من الماء القراح . وقد يتخوف العليل من شدة هذه الاعراض ولكن النتيجة تزداد نفعاً كلما اشتدت . ومهما يكن من ضعف العليل وانحطاط قواه فلا خطر على حياته وقد يبقى في هذا الانزعاج ٢٤ ساعة أو اكثر . وفي الساعة السادسة والثلاثين يبدأ التحسن ويشعر الطبيب المعالج ان المريض يبعث من الموت . فتزول الاوجاع التي كان يشعر بها بعد الحقن وتعود القابلية بقوة وينهض المريض من الفراش بعد أن يكون قد لازمه عدة أسابيع ويمشي بنشاط ساعات متوالية ولا يتعب . وفي صباح

اليوم الخامس يحدث تغيير آخر فيعود المريض الى الانحطاط والضعف وهو الوقت الذي يجب أن يحتن به الحقنة الثانية وتراقب نتائجها مثل نتائج الحقنة الاولى ويعاد الحقن ثالثة وتظهر نتيجة هذا العلاج بالتدريج بعد كل حقنة · وقد أكد الدكتور كوينتن صاحب هذ الاكتشاف أنه اتى بفوائد ثابتة لا ريب فيها

✱ السكة الحديدية السودانية ✱ احتفلت حكومة السودان في ٢٧ يناير الماضي بافتتاح الخط الحديدي الجديد بين بربر وسواكن بحضور اللورد كرومر عميد دولة الانكليز والسير ونجت باشا حاكم السودان العام وجماعة من كبار موظفيه وبعض رجال مجلس شورى القوانين المصري ولم يحضره الجناب العالي ولا من ينوب عنه فأولت الصحف تخلف سموه عن تشريف هذا الاحتفال تأويلات كثيرة لا محل لها هنا · وانما يهمنا ان ندون فتح هذه السكة لان السودان دخل بعدها في طور جديد فانتقل من بين الصحاري المحرقة الى شاطئ البحر · وصارت حاصلاته تنقل في البحور العظمى كما تنقل حاصلات القطر المصري فبعد ان كانت تمرّ بوادي النيل وتنقل من قطار الى باخرة ومن باخرة الى قطار اصبحت تسير في القطار من الخرطوم توًا الى مينا السودان على شاطئ البحر الاحمر ويؤخذ من تقرير مدير عموم السكك الحديدية السودانية ان المسافة بين الخرطوم والبحر بطريق هذا الخط أقصر بتسعمائة ميل من طريق النيل القديمة · وطول الخط من ملتقى سلوم الى ميناء السودان أربعة وعشرون ميلاً مما يجعل طول الخط الاصلي ٣٣١ ميلاً وهناك ٢٥ ميلاً من المزلقانات

وقد بلغت نفقات انشاء الخط ١,٣٧٥,٧٠٠ جنيه وهذا المبلغ يشمل نفقات بناء الجسور وسواها مما لم يفرغ العمل منه بعد فمتوسط نفقة انشاء الميل الواحد من الخط الاصلي ٤,١٥٠ جنيهاً مصرياً · ابتدأ العمل في الخط الاصلي من طرفه في سواكن في أوغسطس سنة ١٩٠٤ وفتحت المواصلات بسكة الحديد ما بين النيل والبحر الاحمر في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٥ واحتفل في فتحه رسمياً في ٢٧ يناير الماضي كما تقدم

ويؤخذ من خطاب اللورد كرومر في ذلك الاحتفال ان مستقبل السودان سيكون مجيداً بما تنوي الحكومة انشاءه فيه من الخطوط الحديدية واعمال الري واليك عبارته في هذا الشان قال بعد الكلام عن فائدة هذه السكة « ولكن البلاد لا تنتفع بها حق الانتفاع الاَّ بعد عمل اعمال اخرى عظيمة بعضها قد ابتدأ فعلاً كالميناء الذي اخطب عليكم فيه اليوم فانه ابتدأ في الوجود الآن والرجاء انه لا تمضي شهور كثيرة قبل ان تفتح سكة الحديد من الكرمة الى

ابو حمد فيتم بها الاتصال بين مديرية دنقله الغنية والبحر . وستبتدىء عما قليل اعمال للري تخصب بها السهول المجاورة لكسلة بالري من مياه نهر القاش وسيبتدىء الحفر لبناء كبري على البحر الازرق والبحر الابيض عند الخرطوم والمهندسون يمسحون ويخططون الآن لانشاء سكة حديدية تصل السكة الحديدية الحالية بكسلة ولمد سكة حديدية على الضفة اليسرى من ضفتي البحر الازرق ولترويج صمغ كردوفان في اسواق ام درمان بمد سكة حديدية بينهما »

هذا ما قاله اللورد علانية على رؤوس الاشهاد وهو لا يقول حتى يسبق قوله الفعل كما هو مشهور

﴿ اطالة الحياة بالاستهواء الذاتي ﴾ تحير العلماء في البحث عما يطيل ايام الانسان في هذه الدنيا فنظر الاطباء فيها من وجه طبي فيسيولوجي فذهب بعضهم الى ان الحياة تطول بترتيب المعيشة والاعتدال في الملذات وذهب آخرون الى انها تطول بالابتعاد عن المسكرات وسائر المنبهات وقال غيرهم بالكف عن اكل اللحوم والاقتصار على النباتات. وقال آخرون بالرجوع الى العيشة البسيطة والسكنى في الخلاء ونحو ذلك . ولكن علماء النفس اليوم يقولون ان الحياة تطول بالايمان اي ان يقنع صاحبها نفسه ان حياته ستكون طويلة . ومن أدلتهم على ذلك ان للنفس أو العقل تأثيراً كبيراً على اعضاء الجسد والعلاقة بين الاعمال العقلية والوظائف البدنية ثابتة لا ريب فيها فالانسان قد يتغير لون شعره من السواد الى البياض في ليلة واحدة من شدة تأثير الحزن أو الخوف وقد تنسكب دموعه بمجرد تصوره أمراً يحزنه كما يفرز لعابه اذا تذكر طعاماً يحبه . ومن هذا القبيل احمرار الوجه خجلاً واصفراره وجلاً وخفقان القلب بغتة أو خوفاً . ومشهور ان الفرح يسهل الهضم والحزن يلبك المعدة وقس عليه سائر افعال العقل على الجسم . فعندهم ان الانسان اذا اعتقد انه سعيد وانه سيعمر طويلاً ساعده ذلك الاعتقاد على طول البقاء واستشهدوا بما يؤثر من هذا الشأن عن جماعة المعمرين الذين تجاوزت اعمارهم مئة سنة . فالبارون ولديك عاش ١٠٩ سنين وكان يعتقد من ايام شبابه الى آخر نسمة من حياته انه من طوال الاعمار فلما بلغ السنة الثانية بعد المئة من عمره أخذ في تأليف قاموس يستغرق ثلاثة مجلدات كبرى . والمدام

فيار دوت صديقة تورجنيف الشهيرة لاتزال تلقي دروساً في الموسيقى وقد بلغت الرابعة والثمانين والسيدة مرغريت نيت توفيت سنة ١٩٠٤ عن ١١١ عاماً ولم تبطل العمل الى آخر اسبوع من حياتها . ولو راجعنا تراجم المعمرين لرأيناهم ظلوا يعتقدون سلامة ابدانهم وبقاء شبابهم الى أواخر أيامهم . فيرى أصحاب هذا الرأي ان ذلك الاعتقاد أطال أعمارهم فينبغي أن نعتقد أو نقتنع من انفسنا بما يشبه الاستهواء المغنطيسي ان حياتنا طويلة وان هذا البدن الذي نخاف عليه من النسيم اللطيف يحتمل من الضربات والصدمات ما تنوء تحته الجبال ولا يزيدنا هذا الخوف الا قرباً من الموت فيجب أن نقلع عنه ولا ننظر في هذا الوجود الا من الجهة المفرحة و«نؤمن» اننا سنعيش طويلاً بصحة وعافية ومن يصعب عليه هذا الاعتقاد لتغلب السوداء على مزاجه فليعود نفسه عليه بالمزاولة والتكرار . وقد جرب الدكتور رينول ذلك في رجل يشكو من الهيبوخندريا فأشار عليه أن يكتب على حائط منزله كل ليلة هذه العبارة « انا سعيدٌ » ثم يذهب الى فراشه وهو يقنع نفسه انه سعيد فلم يمض بضعة أسابيع حتى تمكن هذا الاعتقاد فيه وذهبت سوداؤه . على ان التعاليم الدينية ترشدنا الى نفس هذه الغاية من طريق التقوى فتعلمنا ان الايمان يشفي الامراض ويأتي بالمعجزات ويبعث على السعادة في الدنيا والآخرة

﴿ القطر الحديدية فوق البحار ﴾ يبحث مجلس أعيان الانكليز اليوم في مشروع خط حديدي يسير في خليج المانش بين انكلترا وفرنسا . وليس المراد طبعاً أن يسير القطار على سطح الماء وانما المراد اصطناع بواخر تستقبل القطار من الشاطئ الواحد بما فيه من الركاب والبضائع وتنقله الى الشاطئ الآخر كما يفعلون في الانتقال بين الجزر الدنماركية وفي اميركا فان عدد هذه المعديات هناك ٧٨ معدية ولكنها صغيرة لا تصلح لخليج المانش . فقدروا النفقات اللازمة لمعدية تحمل القطار الحديدي بين انكلترا وفرنسا فبلغت ٨٥٠,٠٠٠ جنيه . فاذا تم هذا المشروع فالمسافر يركب القطار من لندن ولا ينزل من مقعده الى باريس أو ما بعدها الى آخر حدود أوربا . واذا صح انشاء جسر فوق البوسفور بعد نجاز السكة الحديدية في آسيا العثمانية فالراكب من لندن

يبقى في مركبته الى خليج فارس

﴿ المدافع والاوتوموبيل ﴾ كان المظنون ان نقل المدافع على مركبات تسير من نفسها (أوتوموبيل) بعيد المنال لان هذه المركبات لا يسهل سيرها الا على الطرق المرصوصة المسواة والمدافع يقتضي نقلها أحياناً في الجبال أو الاودية أو الطرق الوعرة فتوفق أحد النمساويين الى اختراع يسير به الاوتوموبيل في كل صوب وذلك أنه جعل للمركبة آلتين احداها تحرك العجلتين الاماميتين والاخرى تحرك العجلتين الخلفيتين — والعادة في الاوتوموبيل الاعتيادي أن آلته تحرك العجلتين الخلفيتين فقط . فهان عليهم تسييره في الارض الوعرة

﴿ غرائب الافلاك ﴾ قلنا في غير هذا المكان أن علماء الفلك يرون أن النظام الشمسي أي الشمس وسياراتها والارض في جملتها يجري معاً في فضاء هذا الكون نحو نقطة في ذلك الفضاء لم يستطع العلماء تعيينها بعد . على أن بعضهم يظنه سائراً نحو هركيلس في الشمال لانه يظهر للعين براقاً . وانما حملهم على الذهاب الى جري النظام الشمسي على هذه الصورة انهم علموا بالارصاد المتوالية أن الثوابت وان ظهرت ثابتة فيتضح عند التدقيق أنها متحركة والشمس في جملتها فقالوا أنها متحركة هي وسياراتها الى جهة لم يتحققوها . على أنهم قدروا سرعة هذا النظام في مسيره بنحو ١٤,٠٠٠,٠٠٠ ميل في الثانية . ومن أشهر الاجرام الشعرى وهي من أشد الكواكب نوراً ومع ذلك فانها تبعد عنا نحو ٤٩,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل فكأنه بعد غير متناه واذا فرضنا الشمس سائرة نحو هذا الكوكب فلا تصله الا بعد ١١٠,٠٠٠ سنة

﴿ عدد المواليد ﴾ لوحظ بالمراقبة والاحصاء أن التوليد يزداد على أثر المصائب والضربات عملاً بالناموس الطبيعي « بالضغط والمقاومة تظهر القوى الكامنة » فعدد المواليد في ايرلندا بلغ أعظم درجاته بعد القحط الذي أصاب تلك البلاد . وعدد الولادات في البنغال زاد نصف مليون ولادة سنة ١٨٩٩ على أثر المجاعة عما كان عليه في السنة السابقة . ووجدوا بين الوفيات والولادات نسبة متبادلة تزداد هذه بزيادة

ثالث . وكل بلد كثرت فيه الوفيات تكثر فيه الولادات . مثال ذلك أن معدل الولادات في ممالك أوربا كان سنة ١٨٧٦ نحو ٣٥،٣ في الالف والوفيات ٢٣،٨ في الالف فزيادة السكان نحو ١١،٦ في الالف . وفي سنة ١٩٠٣ هبط مقدار الولادات الى ٢٩،٨ وهبطت الوفيات الى ١٨،٤ فالزيادة ١١،٤ في الالف والولادات هبطت ١٥½ وزيادة السكان هبطت ¾ فقط

﴿ وفيات الاطفال ﴾ من المشهور ان العناية بالاطفال من حيث الطعام والكساء والنظافة تقلل الوفيات فيهم فما قولك بتكاثرها في أكثر الامم عناية في الاسباب الصحية — ان الوفيات في انكلترا تزداد كل سنة عما قبلها زيادة فاحشة فقد كانت في السنين العشر الاخيرة من القرن الماضي ١٥٤ في الالف أي يموت من كل الف مولود ١٥٤ طفلاً قبل تمام السنة الاولى من ولادته . وبلغ عدد الوفيات سنة ١٩٠٤ نحو ٢٢٩ في الالف — هذا هو معدل الوفيات على الاجمال أما عند التخصيص فقد وجدوا بعض الأمهات يموت نصف مواليدها قبل انقضاء السنة الاولى . وأغرب من ذلك أن ١٢ عائلة ولد فيهن ١١٧ طفلاً مات ٩٨ منهم في السنة الاولى . وقد اهتم الانكليز في البحث عن أسباب هذه الزيادة فتوصلوا الى أن السبب الرئيسي في ذلك فساد الاطعمة كالالبان القليلة الغذاء والاغذية الاصطناعية التي تباع في الاسواق فضلاً عن اشتغال الامهات عن العناية باطفالهن والقاء ذلك الى المراضع والمربيات . ويدل هذا على الاقل ان الانسان اذا حاد عن الخطة الطبيعية في أساليب الحياة نال العقاب الصارم فالاطفال يجب أن يغذوا بلبن أمهاتهم وان يربوا في أحضانهن واذا لم يكن ذلك ميسوراً فلا بدَّ من الانتباه الى الاخطار التي تتهدد حياتهم

﴿ الطبخ بالكهربائية ﴾ توصل المخترعون الى استخدام الكهربائية في الطبخ من زمن غير بعيد ولكن الشركات تهتم اليوم بتخفيض نفقات الكهربائية على الطالبين ولا تزال كثيرة لا يستطيع الانتفاع بها الا الاغنياء وربما توصلوا الى زيادة التخفيض حتى تشيع بين سائر طبقات الناس

﴿ أقوال بعض القدماء في المرأة ﴾ قال ترتوليان «المرأة باب جهنم» وقال القديس

برنار انها « آلة ابليس » وقال القديس انطونيوس انها « معمل أسلحة الشياطين وصوتها كفحيح الافاعي » وقال القديس بونافنتوري انها « عقرب متهيأة للدغ » أو هي نبال الشيطان » وقال ارميا انها « باب الجحيم وطريق الاثم وسم العقرب » وقال يوحنا الدمشقي انها « ابنة الغش وعدوة السلام » والقديس غريغوريوس قال انها « سامة كالصل وحقودة كالتنين » وقد تباحث اللاهوتيون طويلاً في هل للمرأة نفس . وكانت تعدُّ عند اكثر الامم القديمة من قبيل المتاع حتى في انكلترا الى أوائل القرن الماضي سنة ١٨١٤ فقد كان للرجل ان يبيع امرأته في المزاد العمومي — فاعتبر الفرق بين ذلك و بين ما هي عليه الآن من علوّ المنزلة ونفوذ الكلمة

﴿ مستخرجات البترول في العالم ﴾ وضعت مصلحة المساحة الجيولوجية في الولايات المتحدة احصاء جمعت فيه مستخرجات زيت البترول فيها وفي سائر ممالك العالم لسنة ١٩٠٤ فكان المجموع ٢٢٠,٦٦٢,٤٩٦ برميلاً على النسبة الآتية :

اسم المملكة	مقدار المستخرج بالبراميل	اسم المملكة	مقدار المستخرج بالبراميل
الولايات المتحدة	١١٧,٠٦٣,٤٢١	اليابان	١,٤١١,٩٧٥
روسيا	٧٨,٥٠٠,٩٠٥	المانيا	٦٣٧,٣٣٣
سومطرة وجاوى و بورنيو	٨,٠٠٨,٣٠٠	كندا	٤٩٢,٤٩٢
غاليسيا في المجر	٥,٩٤٧,٣٨٢	بيرو وجنوبي اميركا	٦٦,٢٠٠
رومانيا	٣,٥٧٢,٦٢٥	ايطاليا	٣٦,٤٠٠
الهند	٣,٣٨٥,٤٦٤	سائر الممالك	٤٠,٠٠٠
سكوتلاندا	١,٥٠٠,٠٠٠	المجموع	٢٢٠,٦٦٢,٤٩٦

فترى من ذلك ان ٥٣ في المئة من زيت البترول يستخرج من الولايات المتحدة و٣٥ في المئة من روسيا والباقي وهو ١٢ في المئة يستخرج من سائر ممالك العالم

﴿ الكستنا في كورسكا ﴾ ان ثمر الكستنا (أبو فروة) كثير في جزيرة كورسكا يتخذ الاهالي منه دقيقاً يصطنعون منه خبزاً لذيذاً

﴿ السم في مح البيض الاصفر ﴾ قدم الموسيو جيار الى اكاذيمة العلوم في باريس

مذكرة كتبها الموسيو لوازل عن نتيجة تجاربه في مح البيض الاصفر خلاصتها ان في مح بيض الدجاج والبط والسلحفاة مادة سامة اذا حقن بها في الاوردة أو تحت الجلد أو في المستقيم أماتت حالاً بتسميم المجموع العصبي المركزي . فاذا عولج مح بيض البط بماء مملح ثم أدخل في وريد أرنب بنسبة ٧ غرامات أو ثمانية في الكيلوغرام قتلها حالاً وكذلك اذا حقن في القولون بنسبة ٢٥ غراماً . ومح بيض الدجاج أقل سمية من هذا وأما بيض السلحفاة فأكثر سمية من كليهما لأن خمسة سنتيمترات مكعبة في المستقيم تكفي لقتل الارنب

﴿ معمل كروب ﴾ هو أشهر معامل الاسلحة في أوربا وفيه ٥٥,٨١٦ عاملاً وينفق كل عام ٨٧٤,٠٠٠ طن من الزيت و ٤٥٥,٠٠٠ طن من الفحم

﴿ الوسائل الصحية في الجيش الياباني ﴾ يحمل الجندي الياباني محفظة صغيرة فيها أهم العقاقير الطبية . وكان في أثناء الحرب الاخيرة يتناول كل يوم حبوباً تحتوي ٢٥ سنتيغراماً من الكريازوت للوقاية من الدوزنطاريا ويصطنعون من هذه الحبوب ٣,٠٠٠,٠٠٠ حبة كل يوم في طوكيو

﴿ الخط الحديدي الافريقي ﴾ يؤخذ من بعض المطالعات الاخيرة ان الهمة مبذولة في سرعة انجاز الخط الحديدي الموصل بين رأس الرجاء الصالح ومصر بهمة رئيس مهندسيه السير شارلس متكافي وذكروا انهم ينصبون من خطوطه نحو عشرة كيلومترات في ١٢ ساعة

﴿ آلة الطيران ﴾ لقد أتقنوا آلة الطيران وتمكنوا من تسييرها كما يسيرون البواخر في البحار . وممن اشتهروا باتقانها الموسيو فور وقد قطع بها خليج المانش مراراً وكان يروح ويعود سالماً على انه قاسى في بعض خطراته عذاباً شديداً من قوة الانواء فكان ينحرف عن الطريق رغم ارادته ثم يعود الى طريقه بعد هدوء الريح

﴿ مستخرجات النحاس في العالم ﴾ بلغ ما استخرجوه من مناجم النحاس سنة ١٨٩٤ نحو ٣٢٤,٠٠٠ طن وأخذ يتزايد بعد ذلك حتى بلغ في العام الماضي ٦١٣,٠٠٠ طن

﴿ فندق مؤلف من ٤٩ طبقة ﴾ يبنون في نيويورك قرب الافنيو السادس فندقاً مساحة أرضه ٣٠ متراً في ٢٥ سيكون مؤلفاً من ٤٩ طبقة ويسع ٢,٣٠٠ نفس

﴿ من لندن الى الاستانة بالاتوموبل ﴾ سافر الموسيو جفرسن على الاتوموبيل من لندن الى الاستانة فوصلها سالماً وقد قطع المانش في باخرة

﴿ وقاية زجاج القناديل من الكسر ﴾ ان انكسار زجاج القناديل من حرارة النور مما يهتم أرباب المنازل بشأنه وقد وصفوا لمنعه وصفات عديدة أفضلها أن تغلى الزجاجة في ماء مملح وتترك في ذلك الماء حتى تبرد تدريجاً فتكتسب قوة على مقاومة ما يطرأ عليها من أسباب الكسر

﴿ جائزة نوبل ﴾ ان اللجنة المكلفة بتقرير جوائز نوبل لمن يستحقها اجتمعت في ١٠ دسمبر الماضي في ستوكهولم وقررت جائزة العلوم الطبيعية للموسيو فيليب ليناز الاستاذ في مدرسة كيل لانه نشر فوائد ذات بال في تأثير النور البنفسجي والانابيب الشعرية والاشعة الكاتودية وغيرها . وجائزة الكيمياء الى الموسيو فون بايير مكافأة على ابحاثه في النيلة . وجائزة الطب للدكتور كوخ . وجائزة الادب للموسيو سنكيويسك الروائي البولوني الشهير . وجائزة السلام أعطيت الى البارونة ستنر

﴿ مستخرجات الحديد في العالم ﴾ بلغ مجموع ما استخرج من مناجم الحديد سنة ١٩٠٣ نحو ٩٩,٠٠٠,٠٠٠ طن ثلثها من الولايات المتحدة الاميركية وثلث الباقي من ألمانيا ولوكسمبرج و١٤ مليوناً من بريطانيا و ٨ ملايين من اسبانيا وستة ملايين من روسيا

﴿ مستخرجات الزئبق ﴾ وبلغت مستخرجات الزئبق لسنة ١٩٠٤ نحو ٤,٠٠٠ طن منها ١,٥٠٠ من الولايات المتحدة تليها أسبانيا فالنمسا فايطاليا

﴿ الحجاج سنة ١٩٠٥ ﴾ بلغ عدد الحجاج الذين نزلوا جدة في العام الماضي ٦٦,٥٠٠ نفس منهم ١٢,٨٠٠ من الهند الانكليزية وافغانستان و ٨,٨٠٠ من الهند الهولندية وخليج ملقا و ١٤,٠٠٠ من مصر و ١٤,٠٠٠ من المملكة العثمانية و ١٩,٦٠٠ من سائر الاقطار

مطبوعات جديدة

(مجلة الشتاء) هي مجلة ادبية علمية تاريخية فكاهية شعرية تظهر بمصر شتاء وتحتجب صيفاً لصاحبها ومحررها صاحب السعادة سليم عنحوري بك الشاعر الدمشقي الشهير بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً في العام • وهي اول مجلة تصدر على هذه الكيفية والسبب في ذلك ان عنحوري بك من عشاق الادب والشعر ومن اقدم المشتغلين بهما بيننا ليس على سبيل الاحتراف ولكنه طبع على الشعر واحب الادب ورأى في وقته فراغاً فاراد ان يشغله بالكتابة والنظم فيقضي اباته من لذة القلم ويخدم جمهور المطالعين • ولما كانت اشغاله المعاشية تستغرق فصل الصيف وتقتضي اقامته في دمشق فانشأ مجلة يصدرها في الشتاء بمصر ينشر بها مختارات من نثره ونظمه في ستة اجزاء شهرية بين اكتوبر ومارس من كل عام • وموصوفنا المشار اليه يمتاز عن معظم كتاب الصحف العربية بانه رافق هذه النهضة في ابانها وعاشر معظم نوابغها في الشام ومصر كالبستاني واليازجي والشدياق والافغاني والنقاش وأديب ونديم وغيرهم واشتغل بالصحافة في مصر على عهد اسماعيل فانشأ « مرآة الشرق » منذ ٢٧ سنة • وهو في اثناء هذه السنين وقبلها ينظم وينثر • وفي الجنان والجنة والتقدم ولسان الحال والمقتطف والهلال وغيرها من الجرائد والمجلات كثير من نظمه ونثره • فهو صحافيٌّ قديم حفظ تاريخ هذه النهضة في صدره لانه شاهد معظم حوادثها بنفسه ولذلك فانا نتوقع لمجلته رواجاً ونرجو منها نفعاً • وقد نبهنا في الجزء الاول منها الى ان المرحوم يوسف الخياط اشتغل بالتمثيل في مصر قبل المرحوم سليم النقاش فنشكره على ذلك ونرحب به وبمجلته

(الحقيقة) هي مجلة لبنانية تصدر في الاسكندرية مرتين في الشهر لمديرها نعيم افندي صوايا ومحررها يوسف افندي نكد في المدرسة الوطنية العالية في بعبدات المتن بلبنان بدل اشتراكها عشرة فرنكات في السنة فعسى ان يكون لها من اسمها نصيب

(الصائح) هي جريدة سياسية ادبية تصدر بمصر مرتين في الاسبوع لصاحبها محمد افندي علي نصوحي بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً بمصر وعشرون فرنكاً في الخارج وللعلماء بنصف القيمة • فنرجو الانتفاع بندائها في ما يأول الى المصلحة العامة

(الارشاد) جريدة سياسية ادبية اجتماعية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها علي افندي احمد الجرجاوي بدل اشتراكها ٧٠ غرشاً بمصر ومئة في الخارج فنأمل ان

تكون لقرائها حظ من عنوانها في ما ينفعهم

(الأمة) جريدة اجتماعية سياسية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها محمد افندي الشربتلي بدل اشتراكها ١٠٠ غرش في مصر و ٣٥ فرنكاً في الخارج فنرجو الاقبال عليها والانتفاع بها

(طبيب العائلة) هي المجلة الصحية الشهيرة التي انشأها الدكتور عبد منذ عشر سنين وبذل جهده في نشرها حتى اصبحت من اشهر المجلات العربية . ثم اشتغل عنها وعن الطب بادارة شركة الرهنيات العقارية فنقلها من يده الى يد زميله الدكتور خياط فاصبح الدكتور خياط صاحبها من اول هذه السنة وهي سنتها الحادية عشرة . وقد اخذ في زيادة اتقانها ومزاولة العناية في انتقاء مواضيعها . وفي اعتقادنا ان المجلات الصحية المفيدة لا ينبغي ان يخلو منها منزل نظراً لما تحويه من النصائح اللازمة للعائلات . وطبيب العائلة يصدر مرة في الشهر وبدل اشتراكه ثلاثون غرشاً في العام داخل القطر المصري و ٤٠ غرشاً في الخارج

(الاتحاد المصري) بلغت هذه الجريدة اول عامها السادس والعشرين في اوائل الشهر الماضي فاحتفلت بيوبيلها الفضي احتفالاً شائقاً حضره جمهور من علية القوم وارباب الصحف تليت فيه خطب اهنأوا بها حضرة روفائيل افندي مشاقة صاحب الاتحاد فنشاركهم في ذلك ويحق لزميلنا المشار اليه ان يجرّ ذيل الافتخار لتغلب جريدته على مشاق الصحافة العربية ٢٥ عاماً لان ذلك نادر فيها . ولم يبلغ هذا العمر من الصحف العربية في اربعة اقطار العالم الأ بضع عشرة صحيفة اكثرها في بيروت ثم مصر والاسكندرية واليك ما حضرنا من اسمائها مرتبة على الابجدية مع اعتبار البلاد التي نشأت فيها

اسم الجريدة او المجلة	منشأها	اسم الجريدة او المجلة	منشأها
البشير	بيروت	النشرة الاسبوعية	بيروت
ثمرات الفنون	«	الاهرام	الاسكندرية ثم نقل الى القاهرة
حديقة الاخبار	«	الاتحاد المصري	الاسكندرية
الطبيب	«	الفلاح	الاسكندرية ثم نقل الى القاهرة
لسان الحال	«	الوطن	مصر
المصباح	«	الوقائع المصرية	«
المقتطف	بيروت ثم نقل الى مصر	الرائد التونسي	تونس

تاريخ المورو وديانتهم وشريعتهم

المورو سكان جزائر فيلبين الاصليين وهم من الامم التي أيقظها الاسلام واظهرها في عالم الوجود . وكانوا قبله غريقين في الهمجية لا يعرفون من دنياهم غير ما يتنازعون عليه من اسباب المعائش بالغزو والنهب وما زالوا كذلك الى اواسط القرن الخامس عشر للميلاد فجاءهم الاسلام ومعه العلم والصناعة والتمدن فانشاوا حكومة واخذوا يدونون تاريخهم وآدابهم وسلاسل انسابهم في كتب يسمونها ترسلة ولعلها تحريف « سلسلة » يذكرون فيها تواريخ ملوكهم وشرائع حكوماتهم وكل ذلك بلغتهم الاصلية « المورو » . وظلت هذه الكتب محجوبة عن العالم المتمدن والناس يشتاقون الى معرفة احوال تلك الامة حتى تصدى لنشرها وطنينا الدكتور نجيب صليبي بعد ان اقام في جزائر فيلبين بضعة أعوام وتعلم لغة القوم واتقنها على عادة السوريين في اتقان اللغات حتى الف كتاباً لتعليمها ثم توفق الى الوقوف على تراسيل المورو فنقلها الى اللغة الانكليزية وعلق عليها شروحاً وايضاحات مفيدة وقد طبعتها الحكومة الاميركية على نفقتها باعتبار انها الجزء الأول من المجلد الرابع لابحاثها العلمية في تلك الجزائر . وللدكتور صليبي مقام رفيع لدى تلك الحكومة هناك وله مهارة في الطب فضلاً عن الادب ومن آثاره الجراحية انه فتح البطن في حادثة تيفوئيدية لبعض ضابطان الجيش الاميركي ونظف الامعاء في مواضع التقرح فشفي العليل بعد ان يئسوا من حياته وقد نشرنا تفصيل ذلك في الهلال الأول من السنة الثامنة فنثني على همته ونهنئه بما أوتيه من الذكاء وعلو الهمة

غرائب الاتفاق — صدر الجزء الثاني من هذه الرواية الشهيرة تعريب المرحوم شاكر شقير وقد طبعت طبعة ثانية بنفقة مطبعة المعارف . ويحتوي هذا الجزء على ٢٠٠ صفحة وثمنه ستة غروش ماعدا اجرة البريد . والرواية كلها اربعة اجزاء يمكن الاشتراك فيها بستة عشر غرشاً غير اربعة غروش اجرة البريد فنحث الادباء على اقتنائها لانها من خيرة الروايات الادبية وتطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال بمصر وسائر المكاتب الشهيرة

القلوب المتحدة في الولايات المتحدة — هي رواية واقعية تتضمن ما جرى للشيخ اسبيريدون نجا اللبناني والآنسة اليصابات فيلبس الاميركية من الاضطهاد والمشاق قبل زواجهما بقلم سليم افندي سركيس وقد صدرت الطبعة الثانية منها بمصر وتطلب من مجلة سركيس وفي مطالعتها فائدة وعبرة

اسرار ديوان التفتيش — هي رواية تاريخية غرامية يدل اسمها على موضوعها

ظهر القسم الاول منها و يشتمل على ست روايات وهي : سجين الشاتيلية و بنت الحرام والراهب القاتل وكنز اليهودي وفظائع المجلس والغرام القاتل وقد طبعت بنفقة المكتبة الشرقية وتطلب منها وثمنها ١٢ غرشاً

الامير الفتان وأهدتنا المكتبة الشرقية ايضاً رواية الامير الفتان او شهامة الرجال وخيانة النساء المعربة عن الافرنسية بقلم المرحوم شاكر شقير وقد طبعتها بنفقتها وهي تطلب منها وثمن النسخة ستة غروش

نتيجة الازهر ظهرت هذه النتيجة لسنة ١٣٢٤ هـ من حساب الشيخ محمد محمد عمر الاسطنهاوي الفلكي وفيها مقدمات فلكية تليها الروزنامة الهجرية وما يقابلها من التاريخين الافرنجي والقبطي وتطلب من الشيخ احمد علي المليجي الكتبي بمصر

الجواهر في الانشاء هو كتاب انشائي تأليف محمد افندي لبيب ناظر مدرسة الجمعية الخيرية بالمنيا جمع فيه مختارات من النظم والنثر من اقدم كتاب العربية وشعرائها الى ابناء هذا الزمان وضمنه مقالات مفيدة في العلم والادب وذيله بباب للمترادفات العربية مما يحتاج اليه المنشئون وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

جغرافية الكتاب المقدس يحتاج مطالعو التوراة والانجيل الى شروح تاريخية وجغرافية توضح مواضيعهما وللافرنج عناية كبيرة في ذلك وقد الفوا له القواميس المطولة اما في العربية فلم يقدم احد عليه الاَّ ما يمكن استخراجه من قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست من الفوائد التاريخية او الجغرافية . واول من الف كتاباً خاصاً بجغرافية الكتاب المقدس في العربية حضرة القس اسعد منصور في الناصرة استخرجه من بضعة عشر مؤلفاً من المطولات الجغرافية الانكليزية والتواريخ العربية ووضعه على اسلوب يسهل تناوله على طلبة المدارس والحقه بفهرس رتب فيه الاسماء الحديثة الواردة في الكتاب على حروف الهجاء وما يقابلها من الاسماء القديمة . وهو اول فهرس من نوعه يجعل لهذا الكتاب فائدة القاموس الجغرافي فنحث قراء الكتاب المقدس على اقتنائه وهو يطلب من القس صالح سابا في حيفا (سوريا) ومن مؤلفه في الناصرة وثمن النسخة فرنكان ونصف غير اجرة البريد و يسقط للمدارس ثلاثون في المئة

آفات المدنية الحاضرة هو كتاب ادبيٌّ اجتماعيٌّ صحي اخلاقي انتقادي لحضرة جرجي افندي نقولا باز ألفه اجابة لاقتراح جمعية شمس البر تأليفه بجائزة ينالها الفائز ففاز حضرته ونال الجائزة . ولا غرو فانه من الكتاب الذين عانوا هذه

الابحاث ونحوها من المواضيع الاجتماعية وله مقالات عديدة في الجرائد والمجلات ترمي الى الحث على الفضائل والتمسك باذيال الادب . والكتاب الذي نحن في صدده يبحث في آفات المدنية وهي : اهمال الدين وانتشار القمار والسكر والزنى والعزوبة والزواج المتأخر والعقم وضعف الالفة العائلية والبراز والانتحار والتدخين والمضاربة والاحتكار والاعتصاب والافلاس والغش والخداع والمجاملة والتشبه والزي والغي والمخاصرة والمرضعة والابانة والمشد والسهر والحسّر والسل والزهري وانقراض الطيور — يبحث في كل منها على حدة وابان اوجه الضرر ووسائل الوقاية . وقد صدر الكتاب برسوم رصفائنا اصحاب المقتطف لانهم تبرعوا بثمن ٣٥٥ نسخة منه تفرق في الذين يعجزون عن ابتياعه جزاهم الله خيراً . ونثني على حضرة المؤلف ونحث الادباء على مطالعة كتابه النفيس

✻ تاريخ القرآن والمصاحف ✻ هو كتاب ديني تاريخي لمؤلفه السيد موسى جار الله اوستوفدوني في بطرسبورج جعله عدة اجزاء صدر الجزء الاول منها في رسم القرآن وكتابته وسيوالي نشر ما يليه في حينه وهو يطلب من المطبعة الاسلامية في بطرسبورج

(عيد استقلال الدولة العثمانية) ذكرنا في صدر هذا الهلال عند الاشارة الى احتفال العثمانيين بعيد الاستقلال دوائهم انه اول احتفال لهذا العيد والمراد انه اول احتفال عمومي وأما تذكار العيد فقد بدأ به رصيفنا صاحب جريدة « ترك » منذ ثلاث سنوات وكان تذكاره قاصراً على اجتماع بعض الاصدقاء في جلسة خصوصية واما هذا العام فقد جعله صاحب العطوفة محمد عارف بك افندي احتفالاً عمومياً والتمس من الجناب العالي ان يدخله تحت رعايته فاجاب التماسه وكانت الجلسة حافلة — وستزداد ابهة ورونقاً بتوالي الاعوام

(وكالة الهلال في بيروت) نظراً لوفاة المأسوف عليه المرحوم خليل الخوري صاحب المكتبة الجامعة وكيل الهلال في بيروت فنرجو من حضرات المشتركين هناك اعتماد حضرة سليم بك نصر صاحب المكتبة الادبية في ما يتعلق بشؤون الوكالة . ولا يسعنا في هذا المقام الا اعلان ما خامر فؤادنا من الاسف على فقد الوكيل السابق لما بذله في مصلحة الهلال اثناء بضع عشرة سنة من العناية والرعاية بما عرف فيه من الهمة والمواظبة وصدق المعاملة فضلاً عما كان بيننا وبينه من صلات المودة رحمه الله رحمة واسعة وعزى ارملته وابنته وشقيقه وسائر أهله عزاء جميلاً على فقده

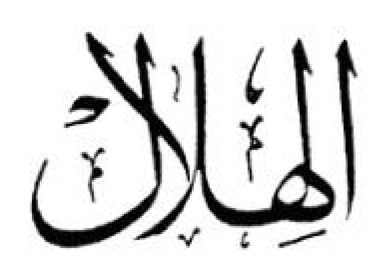


كريستيان التاسع ملك الدنيمارك

وامرأته




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الجزء السادس من السنة الرابعة عشرة

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٦ و ٦ محرم سنة ١٣٢٤



الدنمارك وملكها

مضى على الصحف بضعة اسابيع وهي تتداول أخبار ملك الدنيمارك المتوفى وابنه الذي خلفه وحفيده الذي تولى مملكة نروج بعد استقلالها عن اسوج . فرأينا ان نقول كلمة في في هذه الشؤون فنمهد الكلام بفذلكة عن الدنماركيين وحكومتهم ثم نتقدم الى وصف هذه العائلة على ما يأذن به المقام :

١ — الدنيماركيون

الدنيماركيون اقرب الى اهل اسوج ونروج في الاصل منهم الى سائر الامم ولكن مجاورتهم للجرمان واشتراك حكومة الامتين زمناً طويلاً بدلت في اطوارهم وعاداتهم فهم الآن اشبه الناس بسكان شمالي جرمانيا

وقد بقيت آثار الدنيماركين القدماء في العصر الظراني وعصر الشبه ومصنوعاتهم من البرونز حسنة الشكل جميلة الوضع متينته ولا ريب في ان القوط خالطوهم في الزمن الاول يوم كان الدنيماركيون كسائر قبائل التيوتون منقسمين الى طوائف صغيرة . ثم اخذت

هذه الطوائف تنضم الى قبائل بزعامة ملوك منها حتى جاء الزمان الذي صارت فيه الدنيمارك دولة واحدة ذات بأس وصولة حاربت الانكليز فغلبتهم واحتلت بلادهم وكان منها ملوك عليهم ودخلتها النصرانية نحو القرن الحادي عشر ولم تزهر فيها الا بعد زمن طويل ثم جاء الاصلاح فافلح فيها وعقب ذلك حروبها مع اسوج فعادت عليها بالخسائر العظيمة . وفي اوائل القرن التاسع عشر ضعف شأنها فاثارت الحرب على الانكليز لكن ولنتون ضرب عاصمتها كوبنهاغن باطلاقه القنابل عليها وسنة ١٨٠٧ غنم الانكليز اسطول الدنيمارك واوقعوا بهم فانفصلت نروج عنها ثم سلبتها بروسيا واستراليا مقاطعتي شلسويك وهولستين وكان الدنيماركيون قد اساؤا معاملة سكانها وهكذا ضعف شأن الدنيمارك السياسي لكنها نجحت في الصنائع والفنون

والدنيماركيون كسائر التيوتون بيض الوجوه شقر الشعور زرق العيون ربعات القامات وقد اعتاضوا عن ركوب البحار بالزراعة فهم فلاحون من الطبقة الاولى واميل الى خفة الروح والطرب من جيرانهم الجرمان ولعل ذلك ناتج عن معيشة اسلافهم الذين قضوا الحياة في ركوب الاخطار وسلك البحار وهم يميلون الى الازياء والعادات الفرنساوية ويكثرون من شرب المسكرات وقل من لا يتعاطاها بينهم

والشرفاء كثيرون في الدنيمارك وهم محترمون مبجلون وينتقل لقب الشرف بالارث الى جميع الاولاد وهذا مدعاة لكثرتهم على ان الفلاحين لا يشكون جوراً وهم في رغد ونعيم من الحياة والدنيماركيون يحترمون العلم ويجلون قدر اهله ومدارسهم من افضل مدارس اوربا وكلها تحت جامعة كوبنهاغن وقد نبغ فيهم كثيرون من مشاهير الكتبة والمولفين والموسيقيين

٢ — حكومة الدنيمارك

ان نظام حكومتها الحالي تأسس سنة ١٨٤٩ ثم تعدَّل غير مرة حتى استقرَّ على ما هو عليه سنة ١٨٦٦ وخلاصته ان قوة الاجراء منوطة بالملك ووزرائه والملك يجب ان يكون من الطائفة الانجيلية . واما سن القوانين وتعديلها فمن شأن نواب الامة مع مصادقة الملك . والنواب مجلسان الاول مجلس الاعيان وهو مؤلف من ٦٦ عضواً من اشراف المملكة ١٢ منهم يعينهم الملك في العضوية لطول الحياة والباقون تنتخبهم الامة كل ثماني سنوات . والثاني مجلس العموم وهو مؤلف من ١١٤ عضواً ينتخبون بالاكثرية لمدة ثلاث سنوات وكل عضو منهم ينوب عن ١٦,٠٠٠ نفس من مجموع الامة ويشترط ان يكون

الاعضاء من خيرة الناس استقامة وادباً وقد تجاوزوا الخامسة والعشرين من العمر . ولكل من نواب الامة على الاجمال راتب يقتضيه من الحكومة في اثناء العمل باعتبار عشرة فرنكات عن كل يوم غير نفقات الاسفار

ومساحة مملكة الدنيمارك الآن ١٥,٣٨٨ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٢,٥٠٠,٠٠٠ نفس اكثرهم من الجنس الاسكندينافي وسكان كوبنهاغن العاصمة ٣٧٨,٢٣٥ نفساً والصنائع الغالبة في الدنمارك الفلاحة فان نحو مليون من السكان يشتغلون فيها والباقون يعملون بسائر الحرف والاعمال على هذه الكيفية :

اعضاء الاسرة المالكة	١٨
عمال روحيون	١٢٨,٥٠٦
« السكك الحديدية وغيرها	٨٥,١٩٩
الفلاحون	٩٧١,٨٩٤
الصناع	٦٨٩,٨٣٢
التجار	٢٢٢,٥٠٣
عمال النقل بالبر	٣٣,٩٣٣
« « بالبحر	٣١,٩٤٣
المتمولون	٦٨,١٧٧
طبقات أخرى	٢٧٩,٠٠٠
	٢,٥٠٠,٠٠٠

كريستيان التاسع

ولد سنة ١٨١٨ وتولى سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩٠٦

كان الملك في الدنيمارك انتخابياً من قديم الزمان ففي أواسط القرن الخامس عشر انتخبت الامة كريستيان الاول كونت اولدنبرج فانحصر الملك في اسرته وتعاقب منها على الدنيمارك ١٦ ملكاً في اثناء اربعة قرون وانقطع نسل هذه الاسرة بوفاة ملكها الاخير فريدريك السابع المتوفي سنة ١٨٦٣ ولاعقب له . وكانت الدول العظمى قد خافت اضطراب حال الدنيمارك اذا توفي ملكها بلا وارث وهي تعدُّ بقاءها سالمة من مطامع الدول ضروريا لتوازن

القوى الدولية فعقدت مؤتمراً في مايو سنة ١٨٥٢ امضت فيه معاهدة تقضي بانتقال حق الملك بعد فريدريك المذكور الى البرنس كريستيان من عائلة شليسويغ هولستين سوندربرج غلوكسبرج وان ينتقل بعده الى ابنائه من امرأته البرنسيس لويس هسكسل ابنة اخت كريستيان الثامن ملك الدنمارك وان يسمى كريستيان التاسع . فهي اقرب الى حق الملك من زوجها ولكنها تنازلت له عنه وقد توفيت سنة ١٨٩٨

وتوفي فريدريك السابع في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٦٣ فخلفه كريستيان التاسع وعمره ٤٥ سنة وحكم نحو ٤٣ سنة فتوفي بالامس وسنه نحو ٨٨ سنة وقد خلف أولاداً واحفاداً وهو اكثر الملوك قرابة من الملوك بالمصاهرة كما يتضح من عدد اولاده واحفاده واصهاره

مات كريستيان المذكور عن ستة اولاد وهم :

(١) البرنس فريدريك ولي العهد (الملك الحالي) ولد سنة ١٨٤٣ وتزوج البرنسيس لويزا ابنة كارلوس الخامس عشر ملك اسوج ونروج . ومن اولاده هاكون السابع ملك نروج الجديد الآتي ذكره

(٢) البرنسيس الكسندرا المولودة سنة ١٨٤٤ وهي ملكة انكلترا الآن

(٣) البرنس وليم المولود سنة ١٨٤٥ وقد انتخب ملكاً على اليونان سنة ١٨٦٣ وتسمى جورجيوس الاول وتزوج سنة ١٨٦٨ الغراندوقة اولغا

(٤) البرنسيس ماري دغمار المولودة سنة ١٨٤٧ ارملة الامبراطور اسكندر الثالث قيصر الروس السابق وابنها قيصر الروس الحالي

(٥) البرنسيس تيرا المولودة سنة ١٨٥٣ وقد تزوجت سنة ١٨٧٨ بالبرنس ارنست اوغست دوق كمبرلاند

(٦) البرنس ولدمير المولود سنة ١٨٥٨ وتزوج سنة ١٨٨٥ بالبرنسيس ماري دورليان اكبر بنات دوق شارتر وله خمسة اولاد . فللملك كريستيان ستة اولاد كما رأيت و٣٢ حفيداً و٣٢ من ابناء الاحفاد . ومن اولاده ملكان هما جورج ملك اليونان وفريدريك الثامن ملك الدنمارك الحالي وملكتان الكسندرة ملكة الانكليز ودغمار قيصرة الروس السابقة . ومن احفاده ملكان نقولا الثاني قيصر الروس الحالي وهاكون السابع ملك نروج . ونظراً لكثرة مصاهرته لملوك اوربا سموه « حمو اوربا »

بدأ كريستيان التاسع حكمه بنزاع بينه وبين جرمانيا على مقاطعتي شليسوبغ وهولستين افضى الى حرب خرجت بها المقاطعتان من مملكته فشق ذلك عليه وتشاءم

الناس من حكمه وندم على قبوله مقاليد الملك · وكثيراً ما حدثته نفسه بالاستقالة ولكن امرأته كانت تشجعه وتمنيه فاطاعها حتى اصبح من اشهر ملوك اوربا وكانت من اهل الذكاء والتعقل والبر فحملته على كثير من المشروعات النافعة للمملكة ادبياً ومادياً — وكم من ام ولدت أمة وكم من امرأة احيت مملكة

وكان كريستيان التاسع طويل القامة جليل الطلعة وخصوصاً اذا ركب · وكان محبوباً محترماً لما تقدم من مصاهراته الملوكية مع صفاء سريرته وطيب عنصره والانكليز يحبونه على الخصوص لانه والد ملكتهم · وهو ميال من فطرته الى سذاجة المعيشة وقد ربى اولاده على هذا الخلق فتراهم يمرون بشوارع كوبنهاغن مشاة كانهم من افراد العامة حتى كريستيان نفسه فقد كان كثير الميل الى محادثة العامة من شعبه وملاطفتهم ويعد ذلك من اكبر البواعث ضعف روح الفوضوية بينهم على مع تمكنها من اكثر ممالك اوربا · ويمثل لك ذلك ما يروونه من اخباره مع شعبه ذكروا انه كان ذات يوم يتنزه كعادته في منتزه لنكليني فمرَّ بجماعة من الفعلة جالسين ساعة الراحة بعد الغداء يتباحثون في هل الملكية افضل من الجمهورية وقد انقسموا الى حزبين فوقع نظر احدهم على الملك فصاح « هذا هو الملك فلنسأله عن رأيه في ذلك » فوقف لهم مبتسماً فتجمهروا حوله وهم في حالهم من سذاجة الاثواب وقذارتها وعلى بعضها الطين وعلى البعض الآخر الزيت · وهذا يده سوداء من صدإ الحديد وصدرته مفتوحة وذاك بيده لقمة يضعها في فيه — وعرضوا عليه موضوع البحث فلم يسؤه ذلك بل سرَّه وثوقهم به الى هذا الحد فاخذ في بيان مبادىء الملكية والفرق بينها وبين الجمهورية يجادلوه فأصغى لاقوالهم ودافعهم بالحسنى حتى انتهى الجدال وهم مقتنعون ان الملكية احسن الحكومتين فعادوا الى عملهم ومشى الملك الى قصره ليقص الخبر على زوجته

كان ينهض باكرًا في الصباح وقد يراه الناس مع كلابه خارج القصر نحو الساعة الثامنة وهو بسيط في كل اسباب حياته ولا يزال على القاعدة القديمة في مناولة العشاء قبل الساعة السادسة بعد الظهر حتى في المآدب الملوكية فاذا ضافه ملك او نحوه فانه لا يؤخر العشاء عن الساعة السابعة · وهذه القاعدة من اهم اسباب طول حياته ويحكى انه لقي في كلا مبنبرج رجلاً يعرفه فسأله عن صحته فاجاب الرجل « الحمد لله مع شيخوختي فان صحتي جيدة » فاجابه الملك « اتشكو الشيخوخة وانا اكبر منك بخمس عشرة سنة وقد جئت في هذا الصباح ماشياً الى هذا المكان كما ترى » والمكان المشار اليه يبعد عن كوبنهاغن ثمانية اميال وقد تعود المسير في ذلك الطريق للتنزه فيعترض الفقراء طريقه يستعطونه فيفرغ جيوبه

عليهم • ومن ادلة ذلك ما ذكره بعض مترجميه عن التقائه في بعض اسفاره برجل من خاصته فدعاه الى مطعم لمناولة بعض المنعشات فلما همَّ الملك بالدفع وجد جيبه فارغاً ولحسن التوفيق كان ولي عهده قادماً فاسرع اليه وهمس في اذنه أن اعرني شيئاً من النقود فقد دعوت هذا الرجل ولم اجد معي ما ادفع عنه

وكان للملك كريستيان ولع بمداعبة الصغار وله معهم حوادث هي سمر الدنياركيين في مجالسهم وكثيرًا ما كانوا يشاهدونه راكبًا في مركبة بعض صغار العائلة والصغير يسوق المركبة وهو يلاعبه و يعبث به والغريب انه مع كبر سنه لم يفقد شيئًا من خفة الروح وانبساط النفس فلا تراه الا مبتسماً او مداعباً وله اعتقاد متين بمنفعة الرياضة البدنية على اختلاف طرقها وما زال الى آخر ايامه يجمع احفاده ويمرنهم على الحركات الرياضية بنفسه

وكان كريستيان التاسع قبل تسنمه ذروة الملك ضيق الحال قليل الدخل وكذلك كانت امرأته فكان اولادهما يخيطون اثوابهم بانفسهم وكانا يركبان مع اولادهم الستة في مركبة واحدة يتراكمون فيها وكان البرنس كريستيان يستعين على المعيشة بدروس يلقيها على بعض الاغنياء بفن الرسم

وكان يقيم شتاء في قصر امالنبورج بكوبنهاغن مع ولي عهده وعائلتيهما وهو عبارة عن عدة قصور متجاورة ونظرًا لميل الملك الى الرسم فترى القاعات مزدانة بالصور الجميلة والتماثيل من الآثار القديمة وانواع النقوش ولكل قاعة فرش يناسب المراد بها فضلاً عن رسوم من شغل يده او ايدي اولاده او احفاده ولهم قصور أخرى للفصول الاخرى وكلها متقنة

ولا بد قبل الفراغ من وصف ملك الدنيمارك ان نقول كلمة عن الملكة فقد ذكرنا ما كانت فيه من التعقل والذكاء وكان لها نفوذ كبير في البلاط حتى قال الدنياركيون انها هي الملك وليس زوجها و ينسبون كل خير جاءهم على يده الى ايعازها او مشورتها وهم يعدونها اماً لهم وقدوة في احوال معايشهم ولاسيما في تربية اولادهم لانها كانت مثالاً حسناً في تربية الاولاد على الآداب الصحيحة والترتيب في اسباب المعيشة

ولما توفيت سنة ١٨٩٨ اصبحت كنتها امرأة ولي العهد (الملكة الحالية) مطمح انظار اهل كوبنهاغن وهي محبوبة لوداعتها ولطفها وغيرتها وسيأتي ذكرها في الكلام على الملك الحالي



فريدريك الثامن
ملك الدنيمارك الحالي



الملكة لويزا
زوجته

فريدريك الثامن

ملك الدينمارك الحالي

هو ابن كريستيان التاسع المتقدم ذكره تولى عرش الدنيمارك يوم وفاة والده في ٢٩ ينابر الماضي وهو في الثالثة والستين من عمره لانه ولد في ٣ يونيو سنة ١٨٤٣ وتزوج في ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٩ بالبرنسيس لويزا بنت كارلوس الخامس عشر كما تقدم فولد لهُ منها ثمانية اولاد اكبرهم البرنس كرستيان فريدريك ولد سنة ١٨٧٠ وهو مشهور بطول قامتــه ومهارته في الشؤون الحربية ويليه البرنس كارل وهو ها كون السابع ملك نروج الحالي وسيأتي ذكره

واما فريدريك الثامن فمشهور بين الدنيماركيين انه مثل ابيه لطفاً ودعة واخلاصاً وفيه ميل شديد للاهتمام بالامور التعليمية وكثيراً ما كان يزور المدارس وهو ولي عهد ويتفقد احوالها وينشط اصحابها وهم يحتفلون بزيارته ويعرضون تلامذتهم ويمتحنونهم بين يديه وهو يسألهم بعض الاسئلة على ما يتراءى له . وذكروا من أدلة لطفه انه زار احدى مدارس البنات مرة فلما عرضوا البنات للامتحان تلعثمت احداهنَّ عن الجواب تهيباً من ولي العهد فاخذها بيده واجلسها على ركبته وجعل يخفف عنها حتى اطمأن قلبها واجابت احسن جواب فسألها الاستاذ لماذا لم تستطع الاجابة من قبل وكيف استطاعته الآن فقالت « لان ولي العهد وضع الجواب في أذني حرفاً حرفاً »

ها كون السابع

ملك نروج الحالي

هو حفيد المرحوم الملك كريستيان التاسع وابن فريدريك الثامن ملك الدنيمارك الحالي تولى عرش نروج على اثر انفصالها عن اسوج كما ذكرنا في غير هذا المكان وكان الانكليز اكثر الدول رغبة في تقليده هذا المنصب لما بينه وبين ملكهم من اسباب القربى لان السكندرة ملكة الانكليز عمته والبرنسس مود ابنتها زوجته فهو صهر ملك الانكليز وملك الانكليز صهر ابيه

والملك هاكون الآن في الثالثة والثلاثين من عمره وهو لطيف الطلعة شديد الوطاة وله ولع بالملاحة والحركات البحرية والنروجيون اهل ملاحه . يعرف اللغة النروجية

وله اطلاع على آدابها وتاريخ اهلها ولا يخفى ما في ذلك من اسباب التقارب بين الحاكم والمحكوم فانك تستأنس بولي الامر اذا خاطبك بلسانك وتنعطف اليه وتتفانى بخدمته فكيف اذا رأيته مطلعاً على تاريخ امتك ولغتك — واطلاع المرء على آداب امة يحبب اليه تلك الامة ولذلك فقد كان من سداد الرأي ان يختار الدول هذا الامير لحكومة نروج



الملك هاكون السابع وقرينته

تزوج هاكون السابع بالاميرة مود بنت الملك ادوارد منذ عشر سنوات (في ٢٢ يوليو سنة ١٨٩٦) على اثر مقابلة اتفقت لهما في الدنيمارك فتحابا وتزوجا و بينهما علاقة نسب قريبة كما لا يخفى . اما قرابة هاكون من سائر ملوك اوربا فان ملك الدنيمارك الحالي والده وملك اليونان عمه وملكة الانكليز وامبراطورة روسيا سابقاً عمتاه وقيصر الروس الحالي ابن عمته . فضلا عن اقربائه من الامراء والدوقات وغيرهم

والبرنسس مود ملكة نروج الحالية من احسن البنات تربية وذكاء وهي شديدة الحب

لزوجها ويقال انها احبت قبله رجلاً من اشراف الانكليز طمع بيدها ليتقرب من الاسرة المالكة فلم يتوفق الى ذلك. ولها عناية كبيرة في تدبير منزلها والانقطاع الى الشؤون الداخلية مثل سائر نساء الانكليز. ولها كون الآن غلام في الثانية من عمره هو ولي عهد نروج ويظن انه سيلقب هرالد الرابع

وللملك هاكون عناية ايضا بالفروسية والسباق والصيد على انهُ يمتاز عن سائر ابناء سنه من ملوك اوربا وامرائها بمهارته في الحركات البحرية فلا يعجزه ادارة السفن المدرعة او النسافة او الطرادة في الحرب او السلم على حد سواء ولذلك فيتوقع العارفون انه سيوجه عنايته الى الاسطول النروجي ويقويه ويزيد مدرعاته

وقد كتب عنه بعض زملائه الذين تخرجوا في البحرية معه انه كان شديد الرغبة فيها لا يبالي بما يقتضيه ذلك من التعب والسهر والبرد فكان في اثناء اسفاره يصلح ثيابه بيده فيرتق ما تفتق ويخيط ما تمزق ويعلق ما انقطع ويجلو سلاحه وينام كما ينام سائر البحرية في ارجوحة معلقة من طرفيها ووسادته صرة من ثيابه ويتغطى بملاءة من صوف يتقي بها البرد. وكان ينهض باكرًا مع سائر الرفاق لغسل السفينة فينقل الماء بالمواعين ويصبه او يعمل على التنظيف بالمكانس او العتل او غير ذلك وهو لا يزال غلامًا. ولا ريب ان معاناته هذه المشاق في صباه اكسبته اختبارًا جعله اكثر اهلية للقيام بمهام الملك الذي عهد اليه تدبيره

علم ابنك الصدق والصدق يعلمهُ كل فضيلة

كتبنا في هذا الموضوع غير مرة وبينا ان الصدق رأس الفضائل فمن توخاه نجا من كل رذيلة. وقد وقفنا الآن على حديث نبوي يؤيد ذلك فآثرنا نقله وهو: جاء رجلٌ الى النبي فاسلم ثم قال «يا رسول الله اني أوخذ من الذنوب بما ظهر وانا استتر بخلال اربع الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فايهن احببتَ تركتها سرًا» فقال «دع الكذب» فلما تولى الرجل من عنده همَّ بالزنا فقال «يسألني رسول الله فان جحدت نقضت ما جعلت لهُ وان اقررت حددت» فلم يزنِ ثم همَّ بالسرقة ثم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع الى النبي فقال «يا رسول الله قد تركتهنَّ جميعًا»



ملاتيوس دوماني

البطريرك الانطاكي وسائر المشرق للروم الارثوذكس

اصيبت الطائفة الارثوذكسية في سوريا بوفاة بطريركها الانطاكي المثلث الرحمة ملاتيوس دوماني في ٢٦ يناير الماضي · والحق يقال ان المصيبة شاملة ابناء هذه الطائفة حيثما حلّوا نظرًا لما كان عليهِ غبطته من طيب العنصر ومعرفة الواجب والغيرة على مصالح ابنائهِ فنتوسل اليهِ تعالى ان يعوضنا منهُ رجلاً ينهض بهذه الطائفة الى ما تقتضيه روح هذا العصر من مجاراة الطوائف الراقية باسباب العلم والتربية ولا سيما انشاء المدارس الكبرى والارثوذكسيون في سوريا اغنى سائر الطوائف وبين اغنيائها جماعة اشتهروا بالسخاء في سبيل الخير فما بالهم لا يسخون في سبيل العلم والتربية وهما خير البر واحسن الاحسان — واليك سيرة البطريرك الفقيد كما ترجمتها مجلة المحبة البيروتية قالت :

« هو ميخائيل بن موسى الدوماني الدمشقي وُلد في ٨ تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ في مدينة دمشق الشام ومنذ نعومة اظفارهِ ارتسمت على محياه سمات التقوى المتصلة اليهِ

وراثة والحائز عليها اكتساباً ولما ترعرع ادخلهُ والده في المدرسة الطائفية فاخذ منها مبادي اللغات العربية واليونانية والتركية والايطالية وظهرت فيها مواهبهُ وشاء الله ان يمدهُ امينًا على تعاليمه وراعيًا لخرافه فمال غبطته بكل عواطفه الى التوشح بالاسكيم الملائكي (الرهبانية) فتتلمذ في المدرسة الاكليريكية في دمشق التي كانت وقتئذ بادارة المطرَّب الذكر الخوري يوسف الحداد فاستنفد علوم تلك المدرسة واتشح بالاسكيم الملائكي سنة ١٨٥٧ ونال من غبطة السيد ايروثيوس البطريرك التفاتًا وعناية . فلما شخص غبطتهُ الى الاستانة (١٧ ايلول سنة ١٨٥٨) كان صاحب الترجمة من خواص حاشيته وهناك حلَّ في مقام جليل لدى البطاركة الاربعة الملتئمين وقتئذٍ لامور هامة حتى انهُ سيم من المطوَّب الذكر البطريرك الاورشليمي كيرلس شماسًا بارادة السيد ايروثيوس وذلك في احد العنصرة ال ٢٢ من ايار (مايو) سنة ١٨٦٠ وعاد مع معلمه الانطاكي سنة ١٨٦١ الى بيروت وكان السعيد الذكر ايروثيوس يقدر اتعاب صاحب الترجمة فاخذ يرقيه في درجات الكهنوت فلما ترملت ابرشية اللاذقية سنة ١٨٦٥ رشحه لرعايتها والقى الله في روح السادة مطارنة الكرسي الانطاكي وقتئذ فانتخبوه . وسيم مطرانًا في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٦٥ وقدم الى ابرشيته في ٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٦٦ واستلم مهام الابرشية فجمع اوقاف كنائس اللاذقية الى قلم واحد واسس فيها مدرسة للذكور يعلم فيها العربية والفرنساوية واليونانية وغيرها احيانًا وخصص واردات الاوقاف للمدرسة واعتنى بترميم الكنائس في المدينة والقرى وتعميرها فجدد سبع كنائس في الابرشية . وفي سنة ١٨٦٩ احسن اليه ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان بالوسام المجيدي من الطبقة الرابعة والملك جورج بوسام صليب المخلص الذهبي المختص بالكفالرية الملوكية

« وقد ترشح الى البطريركية في الانتخاب السابق سنة ١٨٩١ وبعد استقالة البطريرك اسبيريدون انتخب صاحب الترجمة قائمقامًا للبطريرك في ١٢ ايار سنة ١٨٩٨ وثبتت قائمقاميته بارتسام مبني على الارادة السنية بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٣١٤ وفي ١٥ نيسان (افريل) سنة ١٨٩٩ انتخب بطريركًا وفي ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) من السنة نفسها صدرت الارادة السنية بقبول الانتخاب والتصديق عليه وفي ٣١ الشهر المذكور سيم بحفلة نادرة المثال ومنذ انتخاب غبطته لسدة البطريركية اخذ يظهر مقاصده الخيرية السامية مداومًا تحريض الشعب على الطاعة والاخلاص للدولة العلية

وفي ٢٣ ايار (مايو) سنة ١٩٠٠ بدأ برحلته الاولى لتفقد شؤون الابرشيات الانطاكية

فسار توًا الى دير النبي ايلياس شويا فالثغر فاللاذقية فانطاكية وزار مؤخرًا ابرشيات حمص وحماه وطرابلس وقد خاف في جميع زياراته كثيرًا من الآثار الجليلة والاعمال الجيدة وقد نال عدة اوسمة من جلالة مولانا السلطان الاعظم وجلالة قيصر روسيا

« ومن مآثره الغراء ترميم الدار البطريركية وانشاء قاعة كبيرة للاستقبال وعدة غرف غيرها انفق عليها زهاء ثلاثة آلاف ليرة وملأ كراسي الابرشيات ببطارنة لائقين ورمم كنيسة القديسة كاترينا وانشأ كثيرًا من الانشاآت في دمشق وغيرها اخصها مدرسة البلمند الشهيرة وكان في عزمه اجراء امور كثيرة منها بناء الدار البطريركية في انطاكية التي صدرت بها الارادة السنية وله آثار كثيرة منها المكتبة التي انشأها وفيها الآن اكثر من اربعة آلاف كتاب ومنها السوق التي احدثها في انطاكية والسوق في دير مار جرجس الحميرا ومنها بنايات اخرى في دير البلمند عدا عن الكنائس والمدارس والجمعيات الخيرية التي يحول الآن ضيق المقام دون تعدادها » اه

تأسيس الدولة العثمانية

هذه قصيدة عامرة تلاها ناظمها حافظ افندي ابراهيم في الاحتفال الذي عقد في ٢٦ يناير الماضي لتذكار تأسيس الدولة العثمانية قال :

أيحصي معانيك القريض المهذب	على ان صدر الشعر لمدح ارحب
لقد مكن الرحمن في الارض دولة	لعثمان لا تعفو ولا تتشعب
بناها فظنتها الدراري منازلاً	لبدر الدجى تبنى وللسعد تنصب
وقام رجال بالامامة بعده	فزادوا على ذاك البناء وطنبوا
وردوا على الاسلام عهد شبابه	ومدوا له جاهًا يرجى ويرهب
أسود على البسفور تحمي عرينها	وترعى نيام الشرق والغرب يرقب
لها وثبات تحت ظل هلالها	كما مرَّ سهم أو كما انقض كوكب
اذا راعها مس من الضيم خلتها	كمن راعه بالمس سلك مكهرب
وان هزها ذاك الهلال لحادث	رأيت قضاء الله يمشي ويركب
اذا ضاعت الاحساب يومًا لمعرق	فعثمان خير الفاتحين لهم اب
وان تاه بالابناء والبأس والد	فأولى الورى بالتيه ذاك المعصب

فهذا سليمان وقانون عدله على صفحات الدهر بالتبر يكتب
وذاك الذي اجرى السفين على الثرى وسار له في البر والبحر مركب
على بابه العالي هناك تألفت سطور لاقلام الجلالة تنسب
هنا فاخفضوا الابصار عرش محمد هنا الفاتح الغازي الكمي المدرب
وما كان من عبد المجيد اذ احتمى باكنافه كوشوت والخطب غيهب
يناديهم اما نزيلي فدونه حياتي واما صارمي فمشطب
فان كانت الحسنى فاني سماؤها وان كانت الاخرى فشدوا وجربوا
كذلك كانوا يستقرون في الذرى واعداؤهم في الغرب تشقى وتنكب
فكم طلبوا منهم امانا فامنوا وامسى لهم في الشرق مسرى مسرب
فكان امان القوم والشرق مشرق فاضحى امتياز القوم والشرق مغرب
يقولون في هذي الربوع تعصب واي مكان ليس فيه تعصب
فياشرق ان الغرب ان لان او قسا ففيه من الصهباء طبع مذوب
تخف بأسها في الراس والراس يصطلي وخف ضعفها في الكاس والكاس تطرب
ويا غرب ان الدهر يطفو باهله ويطويه تيار القضاء فيرسب
اراك مقر الطامعين كأنما على كل عرش من عروشك اشعب

النهضة العلمية الاسلامية في روسيا

نشر المؤيد الاغر مقالة ضافية عن مسلمي روسيا بقلم احد فضلائها يؤخذ منها ان المسلمين هناك هبوا لانشاء الجرائد دفعة واحدة فبعدان كانت « ترجمان » جريدتهم الوحيدة انشأوا عشر جرائد ومجلات في عشرة اشهر وهذه اسماؤها واسماء اصحابها واماكن صدورها

اسماء الجرائد	المدن	اصحابها
الحياة	باكو	علي مردان
النور	بترسبرج	عطا الله بايزيدبف
المخبر	قزان	سيد الكين
الالفة	بترسبرج	عبد الرشيد ابراهيمف
الفكر	أورالسك	كامل تحفة الله
يلديز	قزان	احمد العصاوى
العصر الجديد	أورالسك	كامل المذكور
الارشاد	باكو	احمد بك آجايف
زاد الحرية	قزان	عبد الله آباناي
عالم النسوان	باغجه سراي	اسمعيل الفصفري

انساب العرب القدماء

رد على القائلين بالأمومة والطوتمية عند العرب الجاهلية

بيان

كتب الينا صديقنا الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الكبير في اثناء نقله كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة الانكليزية كتاباً هذا نصه :

« ان بين ما جاء في كلامكم عن انساب العرب وبين آراء المستشرقين في هذا الصدد بوناً عظيماً • ولو اطلعتم على كتاب الانساب والزواج عند العرب الجاهلية للاستاذ روبرتسن سميث (Kinship and Marriage in Early Arabia) لرأيتم بين المشهور عندنا والموضوع في كتابكم فرقاً بعيداً فان مسألة الامومة مثلاً قد دون فيها مجلدات كثيرة ذهب اكثر أصحابها الى أن العائلة القديمة ليس فيها أب معلوم انما ترأسها أمٌّ كثيرة الرجال • وحقُّ الابوة أمر مستحدث ادخاله عند العرب لم يسبق عهد النبي بكثير وانساب العرب كلها اكاذيب فان أسماء القبائل ليست اسماء رجال قد عاشوا كما يزعمون بل اكثرها يشبه المسمى طوتم (Totem) عند الامم المتوحشة أعني حيواناً ينتسبون اليه لجهلهم بترتيب الطبيعة فيصدر عن انتسابهم اليه سنن وقوانين لا تخفى آثار بعضها عند العرب الجاهلية »

هذا هو نصُّ كتاب الاستاذ فنظرنا فيه نظر الاعتبار اجلالاً لمقام صاحبه وبادرنا الى كتاب روبرتسن سميث المشار اليه فاذا هو يدخل في نيف وثلاثمائة صفحة فتصفحناه ملياً رغبة في الاطلاع على ذلك الرأي وتدبره لان مؤلفه من كبار المستشرقين وله في الشرق وآدابه ابحاث ومؤلفات ذات شأن ككتابه في اديان الساميين وغيره من المقالات الشائقة • فقرأنا الكتاب باخلاص وامعان لعلنا نقتنع بصحة هذا الرأي فنرجع اليه اذ لا غرض لنا بما نكتبه الا تقرير الحقيقة فهي ضالتنا المنشودة اذا ظفرنا بها وقفنا عندها صاغرين ولا يهمنا على يد من يكون ذلك • فتحققنا من مطالعة الكتاب ما عليه الرجل من العلم والفضل وسعة الاطلاع على آداب الشعوب السامية ولغاتها واديانها وتوسمنا من خلال أدلته وسبك عبارته حجة وقوة على الاقناع يندر مثلها بين أرباب

الاقلام ولولا ذلك ما استطاع مع ضعف المذهب الذي اخذ على نفسه اثباته ان يلاقي اصغاء من جلة العلماء المستشرقين وفي جملتهم صديقنا الاستاذ مرجليوث حتى ظهر اقتناعه بذلك في مقدمة كتابه الجليل الذي صدر بالامس في السيرة النبوية (Mohammed and the rise of Islam) على ان الاستاذ المشار اليه قد اسند الراي الى صاحبه ولم يتكلف نقده اعتماداً على ما اشتهر به صاحبه من سعة العلم ولا نخاله لو تكلف ذلك الا شاعراً بما شعرنا به من وهم صاحبه في تصوره على ما سنبيه في ما يلي • وقد نكون واهمين مثله لان العصمة لله وحده وانما اردنا ان نقول في هذا الموضوع كلمة نلقيها بين يدي العلماء المستشرقين ولا ندعي النجاة من الزلل بل يكفينا ان تربو مواضع الاصابة في اقوالنا على مواضع الخطأ وربما كان الامر بالعكس — على ان البحث لا يخلو من فائدة في كل حال

وبما انا سننشر هذه الرسالة باللغة العربية ايضاً ليطلع عليها جمهور القراء وفيهم من لا يزال خالي الذهن من الطوتم والامومة ونحوهما من الابحاث الجديدة التي قلما طرقها كتاب العربية فرأينا ان نصدر الكلام بتمهيد وجيز في المراد من هذه الالفاظ ثم نتقدم الى الموضوع

الطوتمية Totemism

عند القبائل المتوحشة الآن

(الطوتم) هو لفظ دخل اللغات الافرنجية في اواخر القرن الثامن عشر من لغة الاوجيبي من هنود اميركا ويراد به كائنات يحترمها بعض القبائل المتوحشة ويعتقد كل فرد من افراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوتمهُ وقد يكون الطوتم حيواناً او نباتاً او غير ذلك • وهو يحمي صاحبه وصاحبه يحترمه ويقدسه او يعبده واذا كان حيواناً لا يقدم على قتله او نباتاً فلا يقطعه او يأكله • وتختلف الطوتمية عن عبادة الحيوانات والنباتات الشائعة عند بعض تلك القبائل المعبر عنها بالديانة الفتشية ان هذه عبادة صنم بصورة حيوان وتلك تقديس نوع من انواع الحيوان او النبات او عبادته

والطوتم بالنظر الى مجموع القبائل ثلاث طبقات اولاً طوتم القبيلة وهو عام يشترك في احترامه كل افرادها ويتوارثونه • ثانياً طوتم الجنس وهو ما يختص باحترامه افراد احد الجنسين الذكور او الاناث فيكون خاصاً بنساء القبيلة او برجالها • ثالثاً الطوتم

الشخصي وهو ما يختص باحترامه الفرد الواحد ولا يرثه ابناؤه والاول احراها بالاعتبار وعليه نجعل مدار كلامنا

(طوتم القبيلة) هو حيوان او نبات او شيء آخر يشترك في تقديسه او عبادته افراد قبيلة من القبائل ويتسمون باسمه ويعتقدون انهُ جدُّهم الاعلى وانهم من دم واحد مرتبطون بعهود متبادلة ترجع الى ذلك الطوتم . وله عندهم اعتباران احدهما ديني والآخر اجتماعي فالديني يراد به ما بين الرجل وطوتمه من العلاقة المتبادلة الرجل يحترم الطوتم والطوتم يحميه ويحفظه . واما الاجتماعي فهو الحقوق المتبادلة بين افراد تلك القبيلة التي يجمعها اسم ذلك الطوتم بالنظر الى القبائل الاخرى المنسوبة الى طوتمات أخرى وقد يختلف الاعتباران في كثير من الاحوال

فالطوتم من الوجهة الدينية يعتبر ابًا للقبيلة وانها من نسله ولكل قبيلة حديث خرافي عن طوتمها يتناقلونه أبًا عن جد يغلب ان يكون مداره على كيفية انتقاله من الحيوانية او النباتية الى الانسانية . فمن قبائل الايروكوا من هنود اميركا قبيلة تعرف بقبيلة السلحفاة يعتقد اهلها انهم متسلسلون من سلحفاة سمينة استثقلت صدفتها فالقتها عن ظهرها ثم تحولت الى انسان ولد اولادًا . ومنهم قبيلة الحلزون (البزاقة) يعتقدون انهم متسلسلون من الحلزون وانثى الجند بادستر — وذلك ان حلزونًا ذكرًا خلع صدفته ونبت له يدان ورجلان ورأس وتحوّل الى رجل طويل القامة جميل الصورة فتزوج انثى الجندبادستر واولدها هذه القبيلة . وقس على ذلك قبائل تنسب الى البط او الأوز او غيرها من الطيور المائيـة . وفي سينغمبيا قبائل تنتسب الى وحيد القرن وفرس البحر او الى العقرب او الثعبان . فكلٌّ من هذه الحيوانات يعدُّ طوتمًا للقبيلة التي تسمى باسمهِ وهي تحترمهُ وتقدسهُ فلا تؤذيه ولا تقتلهُ . فقبيلة البط مثلاً لا تؤذي هذا الطير ولا تقتله الاَّ اذا عضَّ احدها الجوع فيأكل البطة وهو يأسف ويستغفر وكذلك اذا كان الطوتم نباتًا فانهم يحترمونه ويتجنبون ان يدوسوه او يأكلوه فمن كان طوتمه الذرة مثلاً فأكلها محرم عليه واذا كان الطوتم شجرة حرموا احراق عيدانها

ولا يقتصر احترامهم الطوتم على تحريم اكله او اذيته فان بعضهم يحرم لمسهُ او النظر اليه . فقبيلة الايل من قبائل الاوهاما لا تأكل لحم الايل ولا تمس ايلاً ذكرًا وقبيلة رأس الغزال لا تمسُّ جلد غزال قط وقد يحرمون التلفظ باسم الطوتم فاذا اضطروا الى ذكره عمدوا الى الكناية او الاشارة فمن هنود الدولاورس في اميركا قبيلة تنسب الى الذئب وأخرى الى السلحفاة وأخرى الى ديك الحبش فاذا اضطروا الى ذكر احدها كنوا عن الاول بالقدم

المستديرة وعن الثاني بالساحف وعن الثالث بغير الماضغ . والقبائل المذكورة تعرف بهذه الكنايات

واذا مات حيوان من نوع طوتم القبيلة احتفل اهلها بدفنه وحزنوا عليه حزنهم على واحد منهم فقبيلة البومة في ساموا اذا وجد احد رجالها بومة ميتة فانه يقعد الى جانبها ويأخذ في الندب والبكاء و يضرب جبينه بالحجارة حتى يدميه ثم يكفن البومة و يحملها الى المدفن كانها بعض افراد القبيلة . و يعتقدون ان من اهان الطوتم او اساء اليه يُصاب بالمصائب ويختلف اعتقادهم ذلك باختلاف القبائل او البلاد . فبعضهم يعتقدون ان من يأكل طوتمه تصبح نساء قبيلته عواقر وغيرهم يعتقدون انهم يصابون بالامراض او النكبات او نحو ذلك ويتوهم آخرون ان آكل طوتمه يجازى بالموت بان يقيم الطوتم في بدنه ولا يزال يأكل منه حتى يموت

و يؤمنون من الجهة الاخرى ان الطوتم لا يؤذي صاحبه فالذين طوتمهم الحية مثلاً لا يخافون لسعها وعندهم ان الحية لا تلسعهم وكذلك قبائل العقرب في سينغمبيا فهم على ثقة ان العقرب السامة تمر على جسم احدهم ولا تؤذيه . وقس على ذلك قبائل الذئاب ونحوها وكثيرًا ما يمتحنون بذلك قرابة من يدعي انتسابه الى احدها فمن زعم انه من قبيلة الثعبان اطلقوا عليه الثعبان فاذا لسعه قالوا انه مدعٍ كاذب وعلى هذا المبدا ينبذون كل من لا يراعي الطوتم جانبه و يتجنب اذيته

على انهم لا يكتفون من الطوتم ان يكف اذاه عن اصحابه او عباده ولكنهم يتوقعون ان يحسن اليهم و يدافع عنهم . فتعتقد قبيلة الذئاب ان الذئاب تدافع عنها في ساحة القتال و يتوهم اكثر اصحاب الطوتمية ان الطوتم ينذر اصحابه بالخطر قبل وقوعه بعلامات او رموز على نحو ما يعبر عنه بالفال او الطيرة

ومما يتقربون به الى الطوتم ابتغاء رضاه وحمايته ان يتشبهوا به فيقلدونه بشكله ومظهره و يلبسون جلده او قسماً من جلده او يتخذون جزءًا منه يعلقونهُ في اعناقهم او اذرعهم على نحو التعاويذ في الأمم الأخرى فلا يخلو فرد من تعويذة تدلُّ على علاقته بطوتمه

ومن عاداتهم الدالة على اعتبارهم انفسهم من نسل الطوتم ما يجرونه من الاحتفال عند الولادة او الزواج او الوفاة ونحوها من الاحوال . فقبيلة الغزال الاحمر مثلاً اذا ولد لهم طفل نقشوا ظهره بالحمرة واذا كان من قبيلة الذئب صاحت الولائد عند وضعه « قد وُلد لنا ذئبٌ صغير » و يخيطون بقميص الطفل قطعة من عين الذئب او قلبه . واذا تزوج واحد

من قبيلة الكلب الاحمر في جاوى دهنوا العروسين برماد عظام كلب احمر وقس على ذلك سائر القبائل بما ينتسبون اليه من انواع الطوتم ويحتفلون نحو هذه الاحتفالات عند الوفاة او الزواج

اما الطوتم الجنسي فيراد به اختصاص ذكور القبيلة او اناثها بطوتم خاص . فبعض القبائل في اوستراليا لذكورها طوتم ولاناثها طوتم آخر وكلاهما غير طوتم القبيلة وكذلك الطوتم الشخصي فان الرجل قد يكون له طوتم خاص به غير طوتم القبيلة وغير الطوتم الجنسي

اما طوتم القبيلة من الوجهة الاجتماعية فيراد به تعاقد اهل القبيلة فيما بينها باعتبار علاقتها بالقبائل الاخرى فاهل الطوتم الواحد يعدُّون اخوة واخوات يتعاونون في السراء والضراء بروابط هي اشدّ مما بين افراد العائلة الواحدة اليوم . فيتزوج الرجل بامرأة من غير قبيلته وطوتم غير طوتمه وربما نشأ الاولاد على طوتم آخر فاذا انتشبت حرب تعاون اهل الطوتم الواحد على اصحاب الطوتم الآخر فينفصل الرجل عن زوجته والولد عن ابيه او أمه

ومن شروط الطوتمية ان رجال الطوتم الواحد لا يتزوجون نساء من قبيلتهم ولا النساء برجال منها وهو ما يعبر عنه علماء العمران بالزواج الخارجي (Exogamy) و يعتقد اصحاب الطوتم ان التزاوج في نفس القبيلة مضرٌ بالصحة حتى ينخر العظام و يعاقبون من يقدم عليه بالموت او العذاب الأليم ولذلك فهم يتخذون نساء من القبائل الاخرى بالغزو او المراضاة او نحو ذلك والاولاد يرثون على الغالب طوتم امهاتهم فيكون النسب يتصل بينهم بالامهات وليس بالآباء كما هو المعهود بيننا

وقد تتفرع القبيلة الى بطون وافخاذ تنسب الى آباء من الحيوان او النبات بينها نسبة تفرعية مثل تفرع الحيوان الى الانواع وما تحتها من الفصائل والتباينات او بعلاقة أخرى بين طوتم القبيلة وطوتمات الفروع كأن يكون طوتم القبيلة حيواناً وطوتم فرعها نباتاً يأكله ذلك الحيوان مما لا سبيل الى بسطه

والطوتمية منتشرة الآن في العالم المتوحش فهي عامة بين قبائل اوستراليا وكثيرة الانتشار في شمالي اميركا وفي بناما والطوتم الشائع هناك « الببغاء » ولا تخلو اميركا الجنوبية من آثار الطوتمية على حدود كولمبيا وفنزويلا وفي جيانيا وبيرو . وللطوتمية شأن كبير في افريقيا فانها شائعة في سينغمبيا وبين قبائل البقالي على خط الاستواء وعلى شاطىء الذهب والاشانتي وبين الدامارية والبكوانية في جنوبي افريقيا وفي اماكن كثيرة من تلك القارة المظلمة . ولها آثار في مداغسكر وبعض جزر ملقا . اما في اسيا فلها اثر في اواسط الهند بين بعض قبائل البنغال غير الآريين وفي سيبيريا وبعض جهات الصين وجزائر المحيط —

واكثر هذه القبائل ادخلها العلماء في الطوطمية بالقياس التمثيلي لانها تقدس بعض الحيوانات او النباتات وان لم تتسمَّ باسمائها

﴿ الخلاصة ﴾ فالطوطمية تلخص في ما يأتي :

(١) انها شائعة الآن بين اكثر الامم اعراقاً في الوحشية

(٢) ان قوامها اتخاذ القبيلة حيواناً او نباتاً او شيئاً آخر من الكائنات المحسوسة ابًا لها تعتقد انها متسلسلة منه وتتسمى باسمه

(٣) ان كل قبيلة تقدس طوطمها او تعبده

(٤) تعتقد كل قبيلة ان طوطمها يحميها و يدافع عنها أو هو على الاقل لا يؤذيها وان كان الأذى طبعهُ

(٥) الزواج ممنوع بين اهل الطوطم الواحد واساس التناسل عندهم التزوج ببنات من اصحاب الطوطمات الاخرى (الاكسوجامي)

(٦) ان الابوَّة ضائعة عندهم ومرجع النسب الى الأم

(٧) لا عبرة عندهم بالعائلة وانما القرابة تنتهي الى الطوطم وأهل الطوطم الواحد اخوة واخوات يجمعهم دمٌ واحد

﴿ اصل هذا المذهب ﴾ ومذهب الطوطمية بالنظر الى نظام الاجتماع حديث اول من قاله الدكتور مكلينان الباحث الاجتماعي الانكليزي المتوفى سنة ١٨٨١ فانهُ الف في هذا الموضوع كتابهُ الزواج عند القدماء (Primitive Marriage) ونشره للمرة الاولى سنة ١٨٦٥ ثم كتب كتباً كثيرة في هذا الموضوع وما يتفرع عنه نشر فيها اصل مذهبه والقواعد التي بنى عليها رأيه في الطوطمية . ولم يكد ينشر رأيه حتى تصدى علماء الاجتماع لانتقاده وفي مقدمتهم الفيلسوف سبنسر والسير جون لبك العالم الاجتماعي الشهير ولا سيما الاول فانه افاض في نقد هذا المذهب بكتابه « أصول العمران » وكتاب « اصول التمدن » وغيرهما مما لا شأن لنا به وانما ننظر الآن في الامر من حيث ما يهمنا ونغض الطرف عن صحة هذا المذهب او فساده ونبحث في ما اراده الاستاذ روبرتسن سميث من تطبيقه على العرب قبل الاسلام

(رأي سميث في طوطمية العرب) يرى سميث ان العرب كانوا في اقدم ازمانهم ينتسبون الى آباء من الحيوانات أو النباتات كانوا يعبدونها أو يقدسونها ويتسمون باسمائها وكان شأنهم في الزواج والامومة وغيرها مثل شأن القبائل المتوحشة في اوستراليا واميركا

وافريقيا وان المشهور من انتساب العرب الى اسماعيل وقحطان من آباء التوراة وتسلسل القبائل على الصورة المعروفة انما هو حادث وضعه اهل الاغراض في زمن حديث لا يتجاوز القرن الاول للهجرة مبنياً على ديوان الامام عمر بن الخطاب من حيث حقوق المسلمين في العطاء بالنظر الى القبائل وانسابها (صفحة ٦ من كتابه)

ولتأييد هذا الرأي بدأ اولاً باثبات الامومة عند العرب فقال ان العرب في الزمن القديم لم يكن عندهم عائلة رئيسها الاب ولا كانت الانساب تتصل بالآباء بل كان الزواج عندهم نحو ما هو في بلاد تيبت اليوم ويعرف بالزواج التيبتي وذلك ان المرأة تتزوج برجلين فاكثر واولادها لا ينتسبون لاحدهم وانما ينتسبون الى القبيلة ويسمون بطوتمها كما تقدم • فعمد اولاً الى ايراد الادلة على اثبات الامومة وشيوعها عند العرب القدماء ولما ظن نفسه اثبتها عمد الى اثبات الطوتمية فبذل قصارى جهده في استخراج الادلة والشواهد مما سنفصله ونبين وجه الخطأ فيه

رباطة الجأش عند الموت

انفة عربية وشجاعة بدوية

ان هدبة بن خشرم العذري قتل زيادة بن زيد العذري في خلافة معاوية بن ابي سفيان فلما حملوه الى معاوية تقدم عبد الرحمن اخو زيادة المقتول فادعى عليه فقال معاوية لهدبة ماتقول قال أتحب ان يكون الجواب شعراً أم نثراً قال بل شعراً فانه امتع فقال هدبة

رمينا فرامينا فصادف سهمنا ... منية نفس في كتاب وفي قدر
وانت امير المؤمنين فما لنا ... وراءك من معدي ولاعنك من قصر
فان تك في اموالنا لا تضق بها ... ذراعاً وان صبراً فتصبر للصبر

فقال له معاوية اراك قد اقررت ياهدبة قال هو ذاك فقال له عبد الرحمن اقدني فكره ذلك معاوية وضن بهدبة على القتل • وكان ابن زيادة صغيراً فقال معاوية وما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك • ثم وجهه به الى المدينة فقال يحبس الى ان يبلغ ابن زيادة فبلغ ووالي المدينة سعيد بن العاص • ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فابى الا القود فلما خرج به ليقاد جعل ينشد الاشعار وامرأته تولول خلفه ومن قوله :

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا ابغي للشر والشر تاركي ... ولكن متى أحمل على الشر اركب
وحربني مولاي حتى خشيته ... متى مبحرك ابن عمك محرب

ثم نظر الى امرأته فدخلته غيرة وقد كان جدع انفه في حربهم فقال :

فان يك انفي بان منه جماله ... فما حسبي في الصالحين با جدعا
فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت تنوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت انفها وقالت اهذا فعل من له في الرجال حاجة ؟ فقال الآن طاب الموت ثم اقبل على ابويه فقال :

ابلياني اليوم صبراً منكما ... ان حزناً منكم اليوم لشر
ما نظن الموت الا هيناً ... انَّ بعد الموت دار المستقر

ثم قال :

أذا العرش اني عائذ بك مؤمن ... مقرٌّ بذلاتي اليك فقير
واني وان قالوا امير مسلط ... وحجاب ابواب لهن صرير
لأعلم ان الامر امرك ان تدن ... فربٌّ وان تغفر فانت غفور

ثم اقبل على ابن زيادة فقال اثبت قدميك واجد الضربة فاني ايتمتك صغيراً وارملت امك شابة . ويزعم بعض اهل الاخبار انه قال ما اجزع من الموت وآية ذلك اني اضرب برجلي اليسرى بعد القتل ثلثاً وهو باخل موضوع ولكنه سأل فك قيوده ففكت فقال

فان تقتلوني في الحديد فانني ... قتلت اخاكم مطلقاً لم يقيد

خضاب الشيب والصلع

قال محمود الوراق :

يا خاضب الشيب الذي ... في كل ثالثة يعود
ان النصول اذا بدا ... فكأنه شيبٌ جديد
ولهُ بديهة لوعة ... مكروهها ابداً عتيد
فدع المشيب كما ارا ... د فلن يعود كما تريد

وقال رؤبة في الصلع :

قد تركَ الدهر صفاتي صفصفا ... فصار رأسي جبهة الى القفا
كأنهُ قد كان ربعاً فعفا ... ءٍ وبضحي للمنايا هدفا

صحة العائلة

هل نذبح لنأكل ؟ كلا

بقلم نعمة افندي ايليا الصيدلي بدمنهور

٦ — شهادات العلماء والعظماء

بحث كثيرون من عظماء الفسيولوجيين واساتذة التشريح بحثاً مطولاً في هذا الموضوع فظهرت لهم حقائق راهنة فحكموا بلا تردد ان الانسان انما هو من اكلة الاثمار . قال اڤرالدهوم الجراح الاسكوتلاندي الشهير « لما كان الجنس البشري في حال الطهارة كان طعامه محصولات المملكة النباتية » وقال لينيوس « يستدلُّ من تركيب جسم الانسان بمقارنته باجسام باقي الحيوانات ان الاثمار والخضر الشهية للاكل هي انسب طعام له » وقال البارون كوفيه « يظهر من تركيب جسم الانسان ان طعامه الطبيعي الاثمار والجذور وانواع الخضر اللذيذة » وقد ايد الاستاذ لاورنس من انكلترا رأي كوفيه حيث قال « ان القائلين بان الانسان هو من رتبة متوسطة بين اكلة اللحوم واكلة الاعشاب انما اعتمدوا على الاختبار اكثر مما على تشريح المقابلة » . وقال الدكتور توماس بل أستاذ التشريح وامراض الاسنان في مستشفى جاي في لندن « كل ما يتعلق بتركيب الجسم البشري يبرهن على ان الانسان من اكلة الاثمار » وقال الدكتور كودر برنتون منذ زمن غير بعيد « ان الموت من التخدير بالكلوروفورم لا ينسب للمخدِّر نفسه بل لايقافه افراز سموم الانسجة فالموت انما هو نتيجة عمل السموم المذكورة » ثم قال « ان ذلك يندر حدوثه في الهند ولكنه يزداد في بريطانيا العظمى بازدياد اكل اللحوم . شاع استعمال هذا المخدر كثيراً في ايدنبرج فكثرت بالنتيجة حوادث الموت بسببه وازداد مرض النقرس بكثرة استعمال اللحوم لانها رخيصة »

وقال الدكتور هايج في كتابه « الحامض اليوريك يولد الامراض » في باب تأثير اكل اللحوم بالصحة انه قاسى آلاماً كثيرة من الصداع مع كثرة العلاجات التي استعملها ثم خطر له الامتناع عن اكل اللحوم فصل وكانت النتيجة جيدة جدًّا وهاك قولهُ بالحرف

الواحد • جرّبت انواعاً عديدة من الاطعمة فلم اجد تحسيناً ظاهراً الا بعد اكل الاطعمة النباتية فان آلامي خفت وادوار المرض ضعفت وتباعدت فبعد ان كانت تنتابني مرة في الاسبوع تناقصت الى مرة في الشهر ثم الى مرة في ثلاثة اشهر فستة فثمانية فسنة فسنة ونصف حتى ندر ان تحدث لي الام تذكر ثم درست تاريخ الصداع فاتضحت لي العلاقة القوية بينه وبين مرض النقرس فخطر لي الحامض اليوريك وقلت ربما يكون هو السم الذي ابحث عنه فلاحظت كميةُ وكمية اليوريا قبل حدوث الالم وفيه وبعده فوجدت علاقة خصوصية بين الصداع وافراز حامض اليوريك واكتشفت اكتشافين مهمين الاول انه اذا أخذ حامض اليوريك بطريق الفم فاذا وصل الى الدم يحفظ فيه بهيئة سائل حتى تتمكن الكلى من وقت كاف لاخراجه الى البول • والحامض اليوريك المفرز طبيعياً في البول يأتي من مصدرين (١) من الاطعمة النيتروجينية فيتكون داخل الجسم (٢) من اللحوم وخلاصاتها ومرقها والشاي والقهوة لانه يوجد فيها بكثرة وهذا يبين ان اللحوم تسبب الصداع بادخالها حامض اليوريك وبعض مواد من الفصيلة الزنثينية الى الجسم وقد يحدث الصداع ايضاً متى اكلت احدى تلك المواد • اما الاكتشاف الثاني فهو ان حامض اليوريك اذا تكاثر في الدم أثر به تأثيراً مهماً واحدث تغييرات عظيمة تظهر في الانيميا وغيرها من الامراض • وبالنظر الى الطعام اقول بالاختصار اننا راينا فيما مرّ ان الطعام الحيواني يزيد ادخال حامض اليوريك ويزيد توليده ويقلل املاحه من افرازه الى خارج الجسم • اما الاطعمة النباتية مع اشتراط قلة المواد الالبيومينية فانها تدخل قليلاً من حامض اليوريك وتقلل توليده وتزيد املاحه في افراز ما يدخل منه الى الجسم او يتكون فيه بكل سهولة فهي تعمل عكس عمل اللحوم تماماً •

لا يقصد الدكتور هايج بقوله طعام من الخضر ما كان من الخضر فقط بل كل طعام غير لحمي فيشتمل اذاً كل انواع الاثمار والحبوب والجذور وهي اذا عولجت جيداً كانت غذاءً طبيعياً صحياً لابل من احسن الاطعمة والذّها واخفها على المعدة وقد اخطأ كثيرون فهم كلمة « نباتيين » فتوهموهم اناساً يقتاتون بالخضر فقط والواقع ليس كذلك بل يقصد بها الذين يمتنعون منعاً كلياً عن اكل ما لا يؤكل الا بعد قتله • فطعام النباتي الحكيم يحتوي بالاكثر على الحبوب والاثمار واللبن والبيض ونحوها • وقال الاستاذ لاورنس « لا تشابه اسنان الانسان اسنان اكلة اللحوم بشيء وبالنظر الى الاسنان والفكين واعضاء الهضم يشابه الجسم البشري اجسام اكلة الاثمار كما مرّ » وقال الحبر

رتشارد اوفن « ان طعام الحشرات وذوات الاربع من الاثمار والحبوب وغيرها من النباتات الرخصة والمشابهة الكلية في تركيب اجسامها وجسم الانسان واضحة » . وقال بوشه « لقد صدق القائل ان الانسان من اكلة الاثمار لان كل مايعرف عن اسنانه واعضاء الهضم فيه يدل على ذلك » . وقال السر تشارلس بل « كل حقيقة تتعلق بترتيب جسم الانسان تدل على انه من اكلة الاثمار ويدلك على ذلك تكوين اسنانه واعضاء الهضم فيه وجلده وتركيب اعضائه بوجه الاجمال » وقال الدكتور يوسف درزويكي « لا شك بان الاثمار والخضر تنقي الدم اما اللحوم فتلهبه وتسبب امراضاً عديدة هي نتيجة التعدي على الشرائع الطبيعية والامر الالهي » وقال جوشيا اولدفيلد « اللحوم طعام غير طبيعي ولذلك فهي تولد امراضاً قوية كالسرطان والسل والحميات ودود الامعاء ونحوها تنتقل الى الانسان بسهولة وتنتشر انتشاراً سريعاً فلا عجب اذا قيل ان اللحوم من اسباب الامراض التي تميت تسعة وتسعين في المائة من البشر » وقال الدكتور مرسدن « اني اعتقد اعتقاداً اكيداً بان السل ينقل الى الانسان بلحوم الحيوانات المسلولة » وقال الدكتور فازرجل « كل الدماء التي سفكت في ايام نبوليون لا تعد شيئاً بالنسبة الى الوف الالوف من البشر الذين ينحدرون الى قبورهم قبل الاوان لثقتهم العمياء بفوائد مغلي اللحوم وعصاراتها » . وقال الدكتور ادون كوني « لا اعتقد ان اللحوم طعام ضروري للانسان لا باعتبار خصائصها الكيماوية ولا باعتبار وظائف البدن الفسيولوجية ولا أشك بان المصائب العظيمة والبلايا الكثيرة الناتجة عن عدم فحص الحيوانات التي تذبح فحصاً دقيقاً تاماً كلها ملقاة على عاتق اكل اللحوم فقط وهو وحده مسؤول عن الامراض الكثيرة التي تصيب البشر وغيرهم كالدوسنطاريا والشلل والتريخينيا والسل والجمرة والدمل الخبيث ونحوها مما يطول بنا المقام لذكره »

٧ — الطعام والفلسفة الادبية

لا نحتاج للبحث في هذا الباب الى براهين جديدة وحجج اقوى من التي ذكرت لان الاقدمين درسوه قبل التاريخ المسيحي بقرون عديدة فلم يقصر احد من المصلحين كبوذا وفيثاغورس معاً في فحص دقائقه فحصاً جيداً ولذلك فقد بذل كل منهم جهده واستعمل فصاحة لسانه وقوى عقله وما اعطي من الذكاء والفهم لارجاع الانسان الى طعامه الطبيعي البسيط . فضلاً عن ان كل مؤرخي الامم ينظرون الى الموضوع من وجهه

الثاني معولين الانظار الى « العصر الذهبي » حينما لم تكن الحيوانات تذبح لتؤكل بل كان الاخاء عمومياً بين كل المخلوقات الحية الحاسة كما قال الشاعر اللاتيني اوفد « لم يكن هكذا في العصر الذهبي حينما كان الانسان يقتات بالاثمار لا ينجس فمه باللحوم الدموية بل كانت الطيور تسرح بالفضاء والارانب تركض في الحقول والاسماك لا تخشى شبكة او صنارة بل كانت كل المخلوقات تعيش بسلام واخلاص »

✻ الكتاب الالهي واكل الخضر ✻ ان ما جاء في التوراة عن الطعام الاول للانسان يوافق تماماً تقاليد القدماء التي كانت شائعة بينهم . جاء في الاصحاح الاول من سفر التكوين عدد ٢٩ — ٣١ « وقال الله اني قد اعطيتكم كل بقل يبزر بزرًا على وجه الارض وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذرًا لكم يكون طعاماً وكل حيوان الارض وكل طير السماء وكل دبابة على وجه الارض فيها نفس حية اعطيت كل عشب اخضر طعاماً» . فما يصفه الخالق العظيم طعاماً الانسان بموجب الكتاب الالهي يتفق تماماً مع ما يذكره العلم عن طعام الانسان لدى البحث في تركيب جسمه واحتياجاته الفسيولوجية

✻ الاخوة بين المخلوقات ✻ ان اساس الحجج الادبية ضد اكل اللحوم هو ان الحيوانات السفلى تشابه الانسان بكونها مخلوقات مدركة ولكنه تعوّد ان ينظر اليها كأنها لا حياة لها فيعاملها كما يعامل الاخشاب او الحجارة او الاشجار ونحوها مما لا يعقل والغلط في ذلك ظاهر للعيان فالحيوانات مهما يكن من انحطاط رتبتها فهي لا تزال تعدُّ مخلوقات حية. وقد نسي الانسان او تناسى الشبه العظيم بينها و بينه فدماغها كدماغنا وعضلاتها كعضلاتنا وعظامها كعظامنا تهضم طعامها كما نهضم نحن طعامنا لها قلوب تضرب كقلوبنا واعصاب تشعر كاعصابنا ولها ادراك عجيب وشهيات خاضعة لذات المؤثرات التي تؤثر فينا فالثور او الخروف يسمع و ينظر و يشعر و يشم و يذوق حتى قيل انه يفكر ايضاً وان لم يكن كالانسان فالى درجة صغيرة والحمل الراقد في مربضه او الواثب في مرعاه يلتذ بحياته كالولد الصغير يثب في الحقول والغيطان وراء الطيور والحشرات . والحصان او الثور يقدر ان يتعلم ويتذكر ويحب ويبغض ويحزن ويفرح ويحتمل الاوجاع كالانسان . نعم ان دائرة حياته ليست عظيمة كالتي في الانسان ولكنها ليست قليلة القيمة لديه ولكن انحطاط المواهب في ذوات الاربع لايسوغ للانسان اخذ ذلك القليل الذي لها . وبالاجمال يقال ان الحيوانات السفلى هي اكثر حفظاً للامر الالهي والترتيب السماوي المعطى للانسان نفسه. الغورلا في الغابات تختار طعامها بالسليقة الطبيعية التي أوجدها فيها الخالق وهي سالكة

بموجب الشريعة المعطاة من الخالق عز وجل لادم في جنة عدن وكذلك الشمبازي والاوران اوتان فانهما اكثر حفظاً لناموس الطعام من الانسان المتمدن المتنور مع كل معارفه وسمو ادراكه . فيالضعف الانسان البشري

(لو كان الثور يتكلم هل كنا نذبحه لنأكله) الانعترف بان استعدادنا لاخذ حياة تلك المخلوقات واكل لحومها مبني على الحقيقة التي جاهر بها بلوطارخس منذ مئات من السنين اذ قال « فلو كان الحيوان الذي يساق للذبح يخاطب الجزار حينما يريد ذبحه محتجاً على ذلك الظلم البربري لاضطر الانسان ان ينحط دركات عديدة قبلما يتمم عمله الوحشي . يساق الخروف صامتاً الى الذبح ولكن الا تدل عيناه على الترجي لطلب الشفقة والرحمة ؟ الا يرتفع معاء العجل وخوار الثور وصوت الوز الخائف وصراخ مئات من المخلوقات الاخري التي ندعوها حيوانات عجماء مع ان الطبيعة خصت كلاً منها بنطق خاص بالاحتجاج القوي على الاعمال البربرية التي قادتنا اليها الغريزيات الطبيعية التي ورثناها عن اجدادنا المغرمين باكل اللحوم ؟ الا يدل اقتدارنا على اعدام تلك المخلوقات الحية البرية بجأش رابط ودفن جثتها في داخلنا كما تفعل وحوش البرية على ان الانسان المتوحش « القديم » يصرخ داخل قلوبنا للشر ؟ . ليس اكل اللحوم الا نتيجة حب الذات الذي قاد الانسان للاعتقاد بان كل الاشياء وجدت لمسراته وملذاته الجهنمية . يعترض البعض ان تلك المخلوقات السفلى اذا كانت لم توجد لتؤكل فما هو نفعها اذاً ؟ كأن الانسان متكفل بأكل كل ما لا يفهم المراد به وما لا يمكنه استخدامه ألم يخلق الله كل المخلوقات لتسير في سبيلها وعلى مسئوليتها ؟ خلقت على صورته فهي تجسم الفكر الالهي . او ليست كل المخلوقات الحية وغيرها ادلة على وجود الخالق ؟ ألم يخلقها الله ويعطها حقاً لتحيا وتتمتع بالصفات والخاصيات التي تميزها عن سائر الاشياء التي لا تعقل ؟

(الترتيب الالهي) ان الترتيب الالهي كما يظهر جليا بالطبيعة والوحي وتقاليد الاقدمين واختبار القسم الاعظم من الجنس البشري يجعل المملكة النباتية واسطة لجمع القوة وادخارها لانفاقها في ما تستعمله الحيوانات العاقلة التي تتألف منها المملكة الحيوانية . الواحد يجمع ويذخر والاخر ينفق ما قد جمع . يأكل الحيوان نباتاً لا يوجد الماً ولاحزناً ولاتعدياً ولا سرقة فلا يغلق النور عن اعين خلقت لتبصر فلا تنقطع الانغام الشجية عن اذان خلقت لتسمع ولا يعد ادنى فرح عن مخلوقات خلقها الله ان لم يكن على صورته ومثاله فعلى ما يقارب ذلك . فعلى الانسان الذي استنارت عيناه

بدرس الطبيعة ان يلتفت الى الملايين من المخلوقات التي صنعها الله لتشاركه بروحها ونسمة حياتها ويخجل من اعماله الوحشية ويتأثر من سهام الحزن والاوجاع التي تريشها الى قلب المخلوقات التي يذبحها . يصمت العجل الملقى تحت سكين الجزار ولكنه لا يألو جهداً عن كل واسطة لطلب الرحمة والشفقة . يربي الانسان مواشيه والطيور الاهلية ويعولها ويدللها وتلاعبها اولاده وهي تحرث حقله وتمل معه يداً ليد وتحن اليه وتوده مقابلة لمعروفه وما اعظم ثقتها به والامانة التي تخدمه بها ولما تأتي ايام الشر ايام القتل والذبح ينقلب ذلك الانسان على اصدقائه الواثقين به يذبح الخروف الذي لحس يديه مراراً ويقتل الثور الذي طالما حرث حقله فيمتلي الهواء صراخاً وعويلاً اصوات الرعب واليأس وترتوي الارض بالدم الحار وتغطى بالعظام والجثث . هل رأيت وحشاً على وجه الارض اتى باعظم من هذا ؟ اليس في الانسان روح لسفك الدم بهيئة رديئة جداً ؟ لماذا لا تصغي ايها الانسان المتمدن كما تدعي الى صوت ذلك الوثني الذي لم يكن يعرف الهاً اذ نادى قبل المسيح باجيال عديدة « من هو ذلك الشقي التعيس (وليكن ملعوناً) الذي حسد اولاً بساطة طعامنا فابتدأ بالولائم الدموية على المخلوقات غير الناطقة ثم حمل السيف لقتل انسان مثله ؟ لو استخدم السلاح القاطع لاعدام الحيوانات المفترسة لانها تتعدى على غيرها وتؤذي الانسان او تفترسه بمخالبها لكان له عذر امام الشرائع الطبيعية بالدفاع عن النفس غير انهُ ابتدأ بالولائم لاكل لحوم الحيوانات وقتلها ثم تقدمت الخطية فيه لقتل بني جنسه . للبشر سلطة تجيزها الشريعة لقتل قاتل الانسان ولكنها لا تتجاوز الى التعدي على حقوق الآخرين . لا تأخذ الحياة التي لا تقدر ان تعطيها لان لكل مخلوق حقاً بان يحيا . اقتل المضرة التي تخطى ؛ اذا ابقيت عليها هذا هو الحق المعطى لك وغذ الحياة باطعمة نباتية وتجنب أن تذوق الدم النجس المتجمد »

(من يد كل حيوان اطلب دمكم) يلجأ الذين تعودوا اكل اللحوم اذا اضطروا لقبول البراهين الصحية والادبية ضد عمل الانسان بذبحه واكله باقي الحيوانات دفاعاً عن قساوتهم البربرية قائلين جاء في الاصحاح التاسع من سفر التكوين لما خرج نوح من الفلك ان الله اعطاه امراً لذبح الحيوانات واكلها اذ قيل له عدد ٣ « كل دابة حية تكون لكم طعاما » وجواباً على ذلك نقول ان نوحا قد قيل له ليذبح ويأكل الحيوانات الحية اذا اراد ذلك ولكنه غاب عن انظارهم بان الكلام الذي خول نوحاً الاذن باعدام الحيوانات قد خول تلك المخلوقات نفسها بان تقتل نوحاً وكل نسله

وتأكلهم بقوله في ذات الاصحاح « من يد كل حيوان اطلب دمكم » الانسان يقدر اذا اراد ان يقتل المخلوقات الحية ويتخذها طعاما لنفسه ولكنه اذا عمل ذلك تكون حياته في خطر لان الوحوش التي كانت خاضعة له خضوعاً تاماً تقوم عليه متى امكنها وتفترسها كما يظهر من ذات الاصحاح . فمن هذا يظهر ان الانسان لم يدخل الخطية فقط الى العالم فاصبح مسؤولاً عن الاحزان والالام الناتجة عن تعديه الطبيعي والعقلي والادبي بل هو اول من وضع مثالاً لسفك الدم واكل اللحوم وجاء بالمخاصمات والمنازعات التي ازدادت كثيراً في الاعصر التالية وتعاظمت بين انسان وآخر وحيوان وآخر وبين الانسان وباقي الحيوانات . فاول واجبات الانسان اذاً وهو اول معتدٍ على الشريعة الالهية ان يفهم الشرور التي انتجها مثاله الرديء ويرجع عن طريق ضلاله فليتب مكفراً عن ذنوبه بالقريب العاجل . الم يات الوقت للنهوض من حال التوحش الذي سقطنا فيه بالوراثة الادبية والوسائل الصحية الفاسدة بفساد السليقة الطبيعية ؟ (البقية في الهلال القادم)

الكلب

للدكتور جورج تور عضو في جمعية اميركا واكاديمية نياغرا الطبيتين

٥ — انواعه

قسم بعضهم داء الكلب الى نوعين كلب شللي وكلب جنوني او تهييجي وهو تقسيم لا يعول عليه لان داء الكلب واحد ينقسم الى ادوار وقد تكون مدة الدور التهييجي قصيرة في بعض الحيوانات كالارانب مثلا وتكون طويلة في غيرها من الحيوانات القوية كالكلب والهر وتكون الاعراض شديدة ثم بعد ذلك ياتي دور الشلل . فالكلب الشللي هو بالحقيقة اسم وهمي لان الكلب ينتهي دائماً بالشلل وداء الكلب نوع واحد لا نوعان سواء في الحيوان والانسان واعراضه واحدة ولا عبرة في ما يظهر من شدة اعراض احد الادوار الثلاثة في بعض الحيوانات وضعفها في البعض الآخر او في الانسان لان ذلك ينتج عن اختلاف الامزجة والعوامل الخارجية فالنار مثلاً من طبعها احراق كل ما جاورها وانما يختلف مفعولها درجة باختلاف المواد التي تقع عليها فنكتفي بما تقدم من شرح اعراض هذا الداء في الحيوانات لانها هي التي تحدث في الانسان ايضاً ولنختم المقالة بتفصيل قسم من هذا الموضوع وهو الوقاية والعلاج

٦ — الوقاية

الوقاية خير من العلاج — وينطبق هذا القول على كل الامراض ولا سيما هذا الداء الفظيع الذي لا ينجع فيهِ علاجٌ ولا دواء · والوقاية على نوعين رئيسيين اولاً الوقاية من التعرض لهذا المرض ثانياً الوقاية من الوقوع فيه اذا عضهُ حيوان كلب · وهذا النوع من الوقاية يعدُّ من قبيل المعالجة · اما النوع الاول فنسميه الوقاية المتغية وهي تطلب من الحكومة ومن الافراد ايضاً اما ما يختص منها بالحكومة فهو:

(١) ان تبيح صيد الثعالب والذئاب بل تحرض الناس على صيدها

(٢) ان تأمر اصحاب الكلاب بكمّ كلابهم و يغرّم من خالف هذا النظام غرامة كبيرة

(٣) ان يخول البوليس سلطة مطلقة تمكنه من قتل الكلاب المتشردة

(٤) اذا اكثر الناس من اقتناء الكلاب فعلى الحكومة ان تضرب على اقتنائها ضريبة كبيرة تدفع سنوياً

(٥) على اصحاب الكلاب ان يضعوا في اعناق كلابهم اطواقاً فاذا ضل كلب ووجده البوليس لايقتله بل يضبطهُ ريثما يطلبهُ صاحبهُ فاذا كان الكلب بدون كمامة يغرم حينئذٍ صاحبهُ على تشرد كلبه

(٦) ان تتولى ادارة الصحة طبع اوراق توزعها على الناس سنوياً تنشر فيها اعراض الكلب في الحيوانات وطريقة الوقاية منهُ او ايوائها حتى لا تؤذي احداً

(٧) اذا وجد بعض الناس كلباً او حيواناً آخر كلباً يجب عليه ان يعلم البوليس بهِ

وكل هذه الاحتياطات قد اتخذتها دولة المانيا وعملت بها فتمت لها الوقاية من شر هذا الداء وانقطعت الاصابة بهِ بالكلية · اما الشعب فعليهم ان يساعدوا الحكومة في تنفيذ هذه التدابير

٧ — العلاج

العلاج في هذا الداء يوجه الى مقاومة السم الذي يدخل الجرح من عضة الحيوان الكلب وغايته الحقيقية اخراج السم حتى لا يختلط بدم الحيوان او الانسان المعضوض ويسري الى النخاع الشوكي والدماغ لانهُ اذا بلغ الى هناك ظهرت اعراض الداء بعد مدة كما بينا سابقاً فلا مفرَّ من الموت اذ لا يجدي الدواء نفعاً بل هم يصفون العقاقير المسكنة والمخففة للآلام تخفيفاً لعذاب الموت ولذلك فالمعالجة الاولى حين حصول العضة تعدُّ من

قبيل الوقاية وليست من قبيل العلاج لان المرض لا يكون قد حصل فعلاً بل غاية ماهناك ان السم دخل الجسم موضعياً ولا بد من استخراجه والطريقة القديمة من زمان سلس هي المعوّل عليها الآن ويجب اتباعها في كل الحوادث سواء كان ذلك في مستشفى اختصاصي للمعالجة بطريقة باستور ام لا

اما طريقة سلس فهي كما يأتي : اولاً يربط العضو المعضوض اذا امكن ربطه حالاً فوق العضة برباط متين حتى يمنع سريان الدم في ذلك العضو وان يفضع الجرح بضعاً واسعاً ويوضع فوقهُ كاسات الحجامة لسحب الدم بتفريغ الهواء ثم يكوى الجرح بالنار واذا لم يتيسر ذلك ووجد انسان ليس في فمه شق او جرح او قرحة فيمكنه ان يمصَّ الدم من الجرح بفمه ويبصقهُ ريثما يحضر الطبيب ويتولى امر المعالجة بما تدعو اليه الحالة فان كان ارسال المصاب الى مستشفى اختصاصي ميسوراً يجب ان يرسل حالاً بدون امهال وان تعذر ذلك فلا ارى خيراً من علاج علي بن العباس المجوسي نختم به هذه الرسالة واليك اهم ما جاء به قال : « ينبغي ان يعالج كل من عضه كلبٌ كلب بشق موضع العضة ويوسع الشق ويضع المحاجم عليه ويمص بها مصاً قوياً حتى يستفرغ منهُ دم كثير ثم يضع عليه المراهم المحرقة الأكالة » وهذه صفة مرهمه قال :

« يؤخذ من الزفت ثلث رطل ومن الخل الثقيل رطل ومن الجاوشير اوقية ومن القربيون نصف اوقية تحل الصمغ بالخل ويلزم الجرح منهُ فانهُ يمنع اندمال الجرح وان اخذت الثوم ودققته ناعماً وعجنته بسمن البقر وخل ووضعته على الجرح نفع وان كان المعضوض بدنهُ ليناً فينبغي ان يضمد الموضع بالساق والجرجير والبصل المطبوخ بالسمن او بالزيت المغسول ويضمد ايضاً بالثوم والبصل والملح المدقوق ناعماً ويخلط معهُ رماد خشب الكرم مجبولاً بالزيت ويلزمهُ الموضع فان هذه الادوية كلها تأكل فم القرحة وتوسعها وتجذب السم منها ولا تزال تفعل ذلك منذ اول يوم وقعت العضة اياماً متوالية قبل ان يعرض للعليل الخوف والفزع من الماء والألم وينبغي ان لا يدمل الجرح الى ان يمضي له اثنان واربعون يوماً ويسقى العليل مع ما وصفنا من استعمال المراهم والضمادات صفة دواء السرطان وذكر جالينوس انهُ قد جرب هذا الدواء فوجده نافعاً وانهُ لم يرَ من سقي هذا الدواء يعرض له الخوف من الماء واذا انت فعلت ذلك كلهُ ولم ترَ العليل يفزع من الماء فلا تغتر بذلك ولا تدمل الجرح دون ان تجرب العضة بما اصف لك . وهو انه تاخذ الجوز المدقوق ناعماً وتضمد به الجرح يوماً وليلة ثم تاخذه فتلقيه لديك او دجاجة فان اكلته ولم

تمت فان العليل قد يبرأ وامنت عليه الخوف من الماء فحينئذٍ كن على ثقة من ادمال الجرح وان مات الديك او الدجاجة فينبغي ان تعاود الاضمدة واعطِ العليل الترياق وغيره من الادوية المسهلة للسوداء و يكون غذاؤهُ لحوم الحملان والجداء والدجاج ومن الفواكه التين والجوز والعنب والزبيب الخراساني مع اللوز ومن الحلو الفالوذج والخبيص المعمول بالسكر ودهن اللوز ومن البقول النعنع والفوتلج الى ان تعلم ان بدنه قد نقي من السم وامنت عليهِ الخوف من الماء وذكر بعض الحكماء ان كبد الكلب الكلب اذا شويت واطعمت المعضوض نفعتهُ منفعة بينة » اه

هذا اهم ما اتصل بي من مطالعاتي عن هذا الداء من اقدم الازمنة الى الآن اردت نشرهُ في هلالكم فعسى ان يكون منه نفع للانسانية والسلام

محمد وظهور الاسلام

Mohammed and ths rise of Islam

للاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير

١ — كلمة في الشرق والمستشرقين

طلع التمدن الاسلامي في الشرق واهل الغرب غارقون في الاعصر المظلمة فلما نضج هذا التمدن في بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة وتماسَّ اهل البلدين على الحدود بينهما في الاندلس وصقلية وايطاليا ورأى الغربيون ما بلغ اليه المسلمون من العلم والفلسفة والابهة والحضارة وغيرها من اسباب العمران عمدوا الى الاقتداء بهم والاخذ عنهم فتعلموا لسانهم وقرأوا كتبهم ونقلوا علومهم — بدأوا بذلك من اواسط القرن العاشر للميلاد (نحو القرن الرابع للهجرة) والتمدن الاسلامي يومئذ على ارقى درجاته في الاندلس وقد أنشئت المدارس في طليطلة وقرطبة فتقاطر اليها الطلبة من الافرنج يتلقون العلم باللغة العربية كما نتلقاهُ نحن الآن باللغات الافرنجية . فلما اخذوا منها بنصيب عمدوا الى نقلها واقدم المقتبسين من علوم المسلمين الرهبان لانحصار العلم يومئذ في الاديار . واول من اشتهر بذلك منهم البابا سلفستر المتوفى سنة ١٠٠٣ للميلاد . قدم قرطبة في اواسط القرن العاشر قبل ان يتسنم عرش البابوية وكان اسمه جربرت فتلقى الرياضيات والفلك وغيرها واشتغل بسائر العلوم والف كتباً

كثيرة لا محل لتعدادها ويليه الراهب كراف هرمان فون فهرنجن المتوفى سنة ١٠٥٤ ثم قسطنطين الافريقي وغيرهما

فلما كانت الحروب الصليبية في اواخر القرن الحادي عشر واهتزت اعصاب العالم وتحاك القوم بالمسلمين في الشام ومصر وخالطوهم ورأوا علومهم وادابهم ومدارسهم وسائر اسباب تمدنهم زادت رغبتهم في نقل العلوم وكثر العاملون على تعلمها او نقلها ولا سيما الطبيعيات والطب والرياضيات والفلسفة فاخذوا ينقلونها الى اللاتينية لغة العلم في ذلك العصر — ومن اشهر المشتغلين بالنقل ادلاردوس باتونيانسس المتوفى في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد . ويوحنا اكريانوس ويوحنا اسبانوس وقد نقل هذا من العربية الى اللاتينية نحو عشرين مؤلفاً من كتب ابن سينا والفرغاني والطوسي والبلخي وماشاالله وغيرهم من فلاسفة المسلمين ونقلة العلم . ومنهم كونديسلافي رئيس لجنة المترجمين التي شكلها ريمون اسقف طليطلة لنقل العلم من العربية الى اللاتينية فنقلت بعض كتب ابن سينا والفارابي والغزالي . وتيبورتينس ترجم بعض كتب الحراني الكيماوي وغيره . وروبرتس ريتنس وهرمانوس دلماتا وغيرهما . ثم جيراردوس كريمونس المتوفى في اواخر القرن الثاني عشر وهو اكثر اهل ذلك العصر اشتغالاً في نقل كتب العلم من العربية الى اللاتينية — ذكروا انه نقل منها نيفاً وسبعين كتاباً في المنطق والهندسة والفلك والفلسفة والطبيعيات والكيمياء والطب وغيرها فكأنه نقل معظم كتب العلم مما ألفه اكبر علماء المسلمين وفلاسفتهم كابن سينا والفارابي والخوارزمي والرازي والكندي واولاد شاكر وابن الهيثم والزهري وما ترجمه اشهر تراجمة العلم في العصر العباسي كحنين وثابت وغيرهما من كتب ارسطو وجالينوس وابقراط وغيرهم . وقس على ذلك ما ترجمه غير جيراردوس المذكور في هذه المواضيع وغيرها وربما زاد عدد المترجمين من الافرنج في القرنين الثاني عشر والثالث عشر على بضعة وثلاثين رجلاً من اعاظم العلماء والتراجمة نقلوا كتب العلم والفلسفة من العربية الى اللاتينية كما نقلها المسلمون قبل ذلك ببضعة قرون من اليونانية الى العربية بنحو هذا العدد من المترجمين

على ان اشتغال الافرنج باللغة العربية على ما تقدم انما كان قاصراً على نقل العلوم الدخيلة وقلما تصدى احد منهم للعلوم الاسلامية او اداب اللغة العربية الاصلية . وكأنهم أجلوا ذلك حتى هضموا ما ترجموه وتمثل في اذهانهم . فلما تم لهم هضمه ونشأ تمدنهم الحديث بعد اختراع الطباعة واكتشاف العالم الجديد وانشاء المدارس العالية وغيرها

نظروا في الشرق وعلومه في اوائل القرن السابع عشر نظرة تختلف عن نظرتهم الاولى اختلافاً كلياً لانهم في الاولى اشتغلوا بعلوم المسلمين اشتغالهم بالضروري اللازم فاستضاؤا بها في خروجهم من ظلمة الاجيال الوسطى وهم يعدُّون اصحاب تلك العلوم اساتذه لهم يقتدون بهم في انشاء تمدنهم الحديث . اما نظرتهم الاخيرة فعلى الضد من ذلك لانهم كانوا قد تقدموا وتأخرنا وأينع تمدنهم وذبل تمدننا واستنارت عقولهم واظلمت عقولنا فاخذوا يبحثون بين انقاض تمدننا في ما بقي من رفات علومنا وادابنا ليدرسوا تاريخنا ويطلعوا على ما كان من نظام الاجتماع عند اسلافنا . فكانت نظرتهم الثانية تشمل البحث في تاريخ الشرق واخلاق الشرقيين والنظر في علومهم الدينية وآدابهم الاجتماعيــة ولا يتيسر لهم ذلك الا بالاطلاع على ما خلفه المسلمون من كتب الدين والتاريخ والادب . وكانت دول اوربا قد نهضت لاحياء لغاتها فاخـذوا في درس تلك الكتب او ترجمتها فكان اكثر ما نقلوه منها الى لغاتهم الحديثة الفرنساوية والايطالية والانكليزية والالمانية وغيرها وبعضه الى اللاتينية ونسب المشتغلون بذلك الى الشرق وهم المستشرقون

وينقسم اشتغالهم بالشرق وتاريخه وآدابه الى ثلاث درجات (١) نشر الكتب العربية بالطباعة او الاحتفاظ بها خطاً في المكاتب والمتاحف بعد ان كادت تذهب بها يد الزمان (٢) نقل بعض هذه الكتب الى السنتهم (٣) التاليف في تاريخنا وادابنا من عند انفسهم بعد درس تلك الكتب . واقدم ما اشتغلوا بطبعه وترجمته القرآن وسيرة النبي بدأوا بذلك من القرون الوسطى بقصد الطعن في الاسلام والمسلمين أثناء الحروب الصليبية فجاءت مؤلفاتهم الاولى محشوة بالمطاعن والمفتريات حتى اذا تمـدنوا وتعودوا البحث والتحقيق اصبحوا كلما تقدموا في معرفة تاريخ المسلمين تدرجوا في تقدير تمدنهم حق قدره . فلما اتسعت العلائق بين الشرق والغرب ونشرت كتب التاريخ والجغرافية والادب في العربية او ترجمت الى اللغات الافرنجية كابي الفداء والطبري وابن الاثير وابن خلكان ومعجم ياقوت وغيرها اصبح القوم على هدى في ما يكتبون

ويهمنا في هذا المقام مؤلفاتهم في السيرة النبوية فمن أقدم السير المبنية على البحث والتحقيق السيرة التي الفها السر وولتر رالي المتوفى سنة ١٦١٨ وما كتبه جبن المتوفى سنة ١٧٩٤ صاحب تاريخ المملكة الرومانية وغيرهما من اهل القرنين السابع عشر والثامن عشر ومرجعهم في ما كتبوه غالباً الى تاريخ ابي الفداء المنشور بينهم يومئذ اما في القرن التاسع عشر فاشتغل كبار المستشرقين من الالمان والهولنديين والفرنساويين والانكليز وغيرهم

في نشر كتب التاريخ والادب فكثرت المواد واتسعت طرق البحث . والفضل الاكبر في التنقيب عن تلك الكتب ونشرها والانتفاع بها يرجع الى وايل ووستنفيلد وسبرنجر الالمانيين وكوسين دي برسفال الفرنساوي والسير وليم مور الانكليزي وقد اشتغل سبرنجر ومور على الخصوص في السيرة النبوية فالف كل منهما كتاباً فيها

وبعد ظهور هاتين السيرتين اتسعت معارف المستشرقين في الاسلام والمسلمين بما نشر من الكتب العربية الاخرى فنبغت طبقة منهم في معرفة السيرة النبوية اشهرهم كولدزير وولهوسن ونولدكي الالمانيون فألفوا فيها كتباً اقرب الى الصواب والدقة مما تقدمها لانهم اطلعوا على مصادر عربية لم يطلع عليها اولئك

وبعد ظهور هذه المؤلفات نشرت كتب اخرى عربية سهلت اسباب البحث وبينها مؤلفات عظيمة الاهمية كتفسير الطبري الكبير وكتاب الطبقات لابن سعد كاتب الواقدي ولا يزال تحت الطبع وغيرها من الكتب والرسائل . فاطلع صديقنا الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الكبير على هذه الكتب فضلاً عما ظهر قبلها وقرأ ما الفه المستشرقون في الاسلام والمسلمين والآداب الاسلامية بالانكليزية والالمانية والفرنساوية وغيرها من لغات اوربا وتدبر ذلك كله وانعم النظر فيه بعد ان استخرج صحيحه من فاسده ثم الف كتاباً نفيساً في السيرة النبوية وظهور الاسلام اجابة لاقتراح ناشر سلسلة « ابطال الامم » — وهي مؤلفة من كتب يبحث كل منها في سيرة رجل عظيم . فنظراً لشهرة الاستاذ مرجليوث في تاريخ الاسلام اقترح عليه ان يؤلف كتاباً في سيرة النبي . فالف الكتاب الذي نحن في صدده بحث فيه بحثاً فلسفياً واجتماعياً في حال العرب قبل الاسلام والاسباب التي ساعدت على ظهور الدعوة الاسلامية الى وفاة النبي ملتزماً الاختصار عملاً باشارة المقترح لانه جعل لكتب السلسلة حجماً معيناً فاضطر الاستاذ الى اغفال بعض النصوص التي يمكن الاستغناء عن نشرها بالاشارة اليها لتراجع في اماكنها . ومع ذلك فقد بلغت صفحات الكتاب نحو خمسمائة صفحة فكم يكون فيها من الفوائد الهامة مع ما اشتهر به المؤلف من سعة العلم ودقة النظر مما عرفه قراء الهلال وما لم يعرفوه . فمثل هذا الكتاب لا ينبغي الاكتفاء بذكره وتقريظه بل يجب ان ننظر فيه نظر الانتقاد ونحن آتون على خلاصته فنقول :

٢ — سيرة النبي كما مثلها الاستاذ مرجليوث

صدَّر الكتاب بمقدمة تاريخية اجتماعية عن جزيرة العرب وخصوصاً مكة واهلها واصنامها جارى فيها بعض كبار المستشرقين القائلين بطوطمية العرب اي ان انسابهم المشهورة

انما وضعت بعد الاسلام وكانوا قبله ينتسبون الى آباء من الحيوانات. وانهم كانوا في جاهليتهم على غير المشهور عنهم من عزة النفس والانفة والاريحية وسرعة الخاطر حتى كان فيهم من يأكل لحوم الآدميين (صفحة ٢٣) وقد شبه آدابهم بآداب بعض هنود اميركا المتوحشين الذين ذكرهم بيكورث في كتابه (Autobiography) لا يفرقون بين الخير والشر فربما ضرب الرجل امرأته حتى يقتلها ووالدها حاضر فلا يبالي بقتلها وربما اعطاه ابنته الاخرى بدلاً منها كانها بعض ادوات المنزل. وانهم كانوا لا يميزون بين قتل الاقارب والاباعد وان عقد الزواج وحله كانا منوطين عندهم بالمرأة دون الرجل. وان البنت لم يكن لها شأن ودفنها ارغب الى اهلها من بقائها. وان معظمهم كانوا بعيدين عن عفة النفس والغيرة على العرض. وشبه الجاهلية من الجهة الاخرى بحال الافرنج في الاجيال الوسطى على عهد الاقطاع اذ كانت الاحكام فوضى يرجع الامر فيها الى صاحب الاقطاع. وانه لولا بعض الذين تنصروا من العرب لما عرفوا الابجدية ولا غيرها من مبادي الآداب وقس على ذلك مما يدل على سوء ظن الاستاذ في جاهلية العرب. وقد يعجب القاريء من ذهاب حضرته الى ذلك وفي كتب الادب والتاريخ عن مفاخر العرب وانفتهم واريحيتهم مالا يترك سبيلاً الى مثل هذا القول مع ما عرف به المؤلف من سعة العلم ولكنه اعتمد في ما ذكره من هذا القبيل على من تقدمه من المستشرقين القائلين بطوطمية العرب وقد شرعنا في بيان فساد اقوالهم في مكان آخر من هذا الهلال

ثم تقدم الى سيرة النبي فذكر ولادته وصبوته وانه كان عصبي المزاج تنتابه نوب الصرع وقد نشأ في كفالة جده عبد المطلب فلما مات كفله عمه ابو طالب وبحث بحثاً دقيقاً في تحقيق حوادث صبوته. وقال ان محمداً عاشر بعض النصارى واليهود فاستفاد منهم كثيراً من اقاصيص التوراة واقتبس بعض اساليب التعبير التي لم تكن في العربية مثل «ذاق الموت» و «نفخ في الصور» و «في آذانهم وقر» و «كبعد المشرق عن المغرب» ونحو ذلك. ويرى ان العرب كان لهم في تجسس الاخبار وسرعة نقلها طرق لم يتصل المتمدنون الى كشف سرها وان من اهم ما اعان محمداً على فوزه في دعوته انه كان نقاداً للرجال صادق الفراسة اذا لقي الرجل تصفح مناقبه واستطلع خفايا صدره وعرف كيف يجتذبه اليه. ثم ذكر زواجه بخديجة وما كان من ثروتها وما رافق ذلك من الحوادث الى اظهار دعوته وهو في الاربعين من عمره. ويرى صديقنا الاستاذ ان محمداً انما أخر اظهارها الى ذلك الحين حتى يجوز له الحضور في دار الندوة تجتمع جلة قريش ولم يكونوا يقبلون فيها الا الذين تجاوزوا

سن الاربعين (صفحة ٧٢) وان الذي بعثه على القيام بهذه الدعوة انه رأى الاذهان معدَّة لها فاخذ يدبر الوسائل و يترقب الفرص حتى بلغ هذا السن فهمَّ باظهارها ثم رأى من الحكمة وسداد الرأي ان يتكتم . وانهُ نظر في تعاليم النصارى واليهود فاخرج منها مالا يسلم بهِ العقل وكان « الله » احد آلهة الكعبة قبل الاسلام فوفقهُ مع اله اليهود والنصارى وجعلهما واحداً ورسم لنفسه خطة يدعو الناس بها الى ما رآه الاقرب الى الصواب بعد ان اقنع نفسه بصحته . واعترف المؤلف مع ذلك انهُ يجهل السبب الذي حمل محمداً على القيام بهذا العمل الخطير مع ما يعترضهُ من العقبات (صفحة ٨٠)

وقد توسمنا من خلال اقواله ان صاحب الرسالة انما قام بالدعوة رغبة في الدنيا — وهذا لا نوافقه عليهِ لان من يتدبر الاحوال التي ظهرت الدعوة فيها وما قاساه صاحبها في سبيلها من الاضطهاد والعذاب وماحمل نفسهُ من الخطر من اجلها على حين انه كان مرعي الجانب بدونها يعلم انهُ انما كابد ذلك لاعتقادهِ صدق رسالته وان الله بعثهُ بشيراً ونذيراً فكان يقول هذا القول و يدعو الناس اليهِ عن اعتقاد متين تحمل من اجل الثبات عليهِ عذاباً وخطراً — ويمتنع العجب حينئذ من سبب اقدامه على هذا الخطر العظيم على ما بيناه في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

وقرأنا لحضرة المؤلف تعليلاً لاصل لفظ « مسلم » او « الحنيف » يقضي باشتقاق لفظ مسلم من اسم مسلمة نبي بني حنيفة ولكنهُ لم يقطع بذلك . وذكر ان العرب لم يكونوا يعرفون عن طائفة الحنفاء الا ان ابراهيم الخليل كان واحداً منهم قال : ولما كان لفظ حنيف معناه في السريانية « الوثني » وفي العبرانية « المنافق » فلم يبالِ المسلمون بتحليله وان « المسلم » معناه في الاصل « الخائن » وان المسلمين حولوه الى معنى التسليم المشهور اليوم . فنستأذن صديقنا في ملاحظة على هذا التخريج : اما لفظ الحنيف فلا يعقل ان يختارها العرب اسماً للمسلم ولا يكون لها معنى غير « المنافق او الوثني » والواقع ان معناها في العبرانية ايضاً « المرتد » فيصح ان يكون المراد بها المرتد الى دين الاسلام اي الراجع اليهِ ولذلك رأيت هذه اللفظة ترد غالباً ملحقة بلفظ « مسلم » كقوله « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً » واذا وردت وحدها فلفظ « مسلم » مقدرٌ بعدها — اما « مسلم » فلا نعلم لها معنى « الخيانة » وهب انها تدلُّ ايضا على الخائن فلا ينبغي ان نختار هذا المعنى دون سائر المعاني فهي صيغة عربية صريحة من « اسلم » اي انقاد ومعنى الاسلام الانقياد الى الدين والمسلم المنقاد لدين الاسلام او المتبع لهُ . واذا قال ان هذا المعنى حدث بعد الاسلام فنرجع معه الى معنى

هذه اللفظة في اخوات العربية . فالمادة الاصلية « سلم » لما في العبرانية والسريانية نحو معانيها العربيـة . واما لفظ « مسلم » = תּ ד = فمعناه في العـبرانية رفيق او صاحب وفي السريانية مناسب او موافق وقد ورد في التوراة (اشعيا ص ٤٢ ع ١٩) لقباً لليهود الاتقياء — ولا عبرة في اختلاف حركات بعض حروفه في العبرانية عما في لفظه العربي . فيكون « المسلم » بمعنى لفظ « الصاحب » من اصحاب النبي وفي الواقع ان اللفظين كانا في اول الاسلام مترادفين

ثم تقدم حضرة المؤلف الى ذكر الوسائل التي استعان بها محمد في تأييد مشروعه فقال أنه انشأ جمعية سرية واستخدم فراسته في انتقاد الرجال فاختار ابا بكر صديقاً له لما تفرسه فيه من الميل الى التدين والانقياد الى من يثق به انقياداً اعمى حتى يستهلك في سبيله فاسرَّ اليه دعوته فقبلها واعتقد صحتها واخذ على عاتقه نشرها ويسهل على الانسان ان يدعو الناس الى غيره اكثر من ان يدعوهم الى نفسه . فاستخدمه النبي لهذه الغاية بمهارة ودراية جديرتين بكبار الرجال ثم انضم اليهما بضعة من اهل مكة وفيهم خديجة وزيد ابن ثابت وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان والزبير وطلحة وسعد وغيرهم فكانوا يجتمعون سرًّا للصلاة وتلاوة بعض الآيات في بيت الارقم المخزومي واسلم في اثناء ذلك ايضاً بعض العبيد والموالي ومنهم بلال الحبشي وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر الروميان وحاطب بن بلتعة ويظن انه من نصاري الحيرة

قال المؤلف وكانوا يجتمعون سرًّا على نحو الاجتماعات الماسونية — وفي المسارة حياة ثانية يتمتع بها الناس غير الحياة الاولى — ولا بدَّ للجمعية السرية من رموز يتعارف بها اعضاؤها فيظن حضرته ان قولهم « السلام عليكم » احد تلك الرموز . فتكاثر المسلمون على هذه الصورة واشتدت سواعدهم وتهيأوا للثبات ونشر الدعوة وعددهم نحو المائة وتعود محمد معاملتهم ودرس اخلاقهم وقد ساعده هذا الدرس على اكتساب قلوب القبائل لأنهم كانوا اخلاطاً من امم شتى وفيهم امثلة من معظم الطبقات التي دخلت الاسلام بعدئذ . حتى اذا رأى الدعوة قد آن اظهارها وهمَّ بذلك اضطهده اهل مكة وقاوموه بالتأنيب ثم هددوه بالقتل فالتجأ الى عمه ابي طالب فكفله ومنعه والقرشيون يخابرونه في تسليمه او اطلاقه وهو يأبى عليهم ذلك والمسلمون يسعون في بث الدعوى ومحمد يباحث اهل مكة ويبرهن لهم صحة دعوته وفساد عبادتهم . ويتخلل ذلك ما كان من نزول الآيات في تلك الاثناء وقدردَّ حضرته على الذين انتقدوا تكرار بعضها ان التكرار

مقصود لان العظماء اذا ارادوا تنفيذ امر أو نشر رأي عمدوا الى تكرار ذكره — كذلك كان يفعل نابليون وغيره

ولما اشتدت وطأة القرشيين وضاق المسلمون ذرعاً عن مقاومتهم فرّوا الى الحبشة والتجأوا الى النجاشي وقد ذكر المؤلف لهذا الالتجاء سبباً سياسياً عللّه تعليلاً حسناً فقال ان الاحباش كانوا لا يزالون ناقمين على اهل مكة منذ جاؤا لفتحها بقيادة ابرهة الاشرم في عام الفيل وعجزوا عنه فرجعوا خاسرين وخبر ذلك الرجوع كان شائعاً في مكة لا يخفى على احد من اهلها • فلما تضايق المسلمون ومحمد في كفالة عمه لا خوف عليه واصحابه في خطر أشار عليهم بالالتجاء الى النجاشي ملك الحبشة لانه اقرب لهم ديناً وشريكهم في النقمة على القرشيين — وربما خطر له ان يستنصره لعله ينجده بجيش يقهرهم به ويؤيد الدين • فاخذ المسلمون بالمهاجرة الى الحبشة تدريجاً من السنة الخامسة للدعوة حتى بلغ عددهم ٨٣ عائلة في جملتهم عثمان بن عفان وجعفر بن ابي طالب وغيرهما من كبار الصحابة • وحاول المكيون ايقافهم فلم يظفروا فاوفدوا الى النجاشي رجلين هما عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص فسارا اليه بالهدايا وسألاه ردّ أولئك الهاربين فاستقدم المسلمين لينظر في دعواهم فاخبروه انهم قاموا بدين جديد فسأل عن فحواه فتلا عليه جعفر بن ابي طالب القسم الاول من سورة مريم وفيه حديث زكريا وولادة عيسى مما يطابق تعاليم الانجيل • فاعجب النجاشي بذلك حتى دمعت عيناه ونظر الى الوفد وقال اري القوم على هدى وانتم على ضلال فرجع الرجلان خائبين • ويظن حضرة الاستاذ ان المسلمين حرضوا النجاشي على نصرتهم بجيش يفتح مكة ويبطل عبادة الاوثان من الكعبة وذكروه بما كان للاحباش من السلطة على اليمن من عهد غير بعيد • ولكنهُ كان في حرب على حدود بلاده فاجل الامر حتى يفرغ منها فلما فرغ لم تبق حاجة الى التجنيد — فتعليل هذه الحوادث وتخريجها على هذه الصورة يجلو عن البصيرة كثيراً من الشكوك التي تخامر ذهن المطالع من غير المسلمين اذا قرأ كتب السير المتعلقة بهذا الموضوع

ثم بحث الاستاذ في سبب اسلام عمر بن الخطاب وبين رغبة محمد في اكتسابه لما توسمه فيه من المناقب اللازمة لتأييد دعوته بما فطر عليه من انقياد الرجال • وذكر خبره مع اخته وهي تقرأ القرآن الى آخر الحديث • وعلل سرعة انقلابه من اضطهادها وضربها الى مجاراتها والمبادرة الى اعتناق الاسلام بانهُ تأثر من رؤيتها مجروحة بسبب قسوته

وتسرعه فاحب ان يكفر عن ذلك فاظهر اعجابه بالقرآن واسلم — وهذا لا ينطبق على ما اشتهر به ذلك الرجل العظيم من صدق الاسلام وشدة الغيرة عليه الى آخر نسمة من حياته والاظهر عندنا انهُ اسلم عن تأثر صحيح

فاشتد ساعد المسلمين بعمر فازداد القرشيون نقمة عليهم ولم يروا سبيلاً الى اذيتهم فاتفقوا على حرمانهم من معاملتهم فكتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على بني هاشم جميعاً — لانهم رهط النبي — على ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم . ففرَّ الهاشميون الى شعب ابي طالب واقاموا هناك سنتين او ثلاثاً لا يصل اليهم شيء الاَّ سرًّا . ويظن الاستاذ ان امتداح النجاشي مذهب المسلمين قوَّى قلوبهم واقعد القرشيين عن الفتك بهم

ثم تكلم عن نقض الصحيفة وعللها بان المهاجرين طال مقامهم في الحبشة فملوا الغربة ونهيب القرشيون من نجدة الاحباش وكان المسلمون من الجهة الاخرى لا يثقون بنجاح تلك النجدة وان نجحت فنتاجها للاحباش . فتصالح الفريقان على ان يكف محمد عن الطعن في آلهة الكعبة ويحسن القول باللات والعزى فيعترف القرشيون بالهه « الله » فآل ذلك الى ما ذكروه من حديث الغرانيق والرجوع عنه وعاد المهاجرون الى مكة . وأفاض المؤلف في ايراد الادلة على صحة تعليله مما لا محل لهُ هنا ومهما يكن من امره فانه يدل على علم واسع وبحث طويل

ومات في اثناء ذلك ابو طالب وخديجة في سنة واحدة فقوي القرشيون بموت ابي طالب وعملوا على اذية المسلمين . وذكر المؤلف اكثار النبي من الازواج بعد وفاة خديجة وخالف المستشرقين الذين ينسبون اكثاره منهن الى مجرد حبه للنساء واسنده الى رغبته في الابناء واكتساب الاحزاب قال : ولما كانت المرأة اكثر تعلقاً بمنزلها من الرجل فموت خديجة هوَّن الهجرة على النبي

ثم تقدم الى الكلام عن الهجرة الى المدينة وقبل الشروع في ذلك ذكر المدينة ووصف سكانها من الاوس والخزرج واليهود وطبقاتهم و بين علائقهم الاجتماعية وانهم كانوا يومئذ متنافرين على اثر يوم بعاث الذي انتصر فيه الأوس على الخزرج بمساعدة اليهود . فالغالب في اعتقاده ان اول من اجاب دعوة النبي من اهل المدينة الخزرج ليستنجدوا المسلمين على اعدائهم الاوس (صفحة ١٩٦) وقد قام في اذهانهم ان اليهود انما انتصروا بمساعدة الههم وهو اله محمد ايضاً . فلما لقوا محمداً في مكة ايام الموسم ودعاهم الى الله اعتبروا انهُ يدعوهم الى

الاله الذي نصر اعداءهم في يوم بعاث فبايعوه بيعة العقبة الاولى ثم الثانية . ولما رأوا مايقاسيه من اضطهاد اهله دعوه الى بلدهم على ان ينصروه . فهاجر الى المدينة مع اصحابه واقام اولاً في بيت خالد بن زيد الخزرجي — الى آخر ماقاله . وهو تعليل معقول ولكننا نرى للعصبية دخلاً كبيراً في نصرة الخزرج للنبي لانهم اخواله (راجع تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٦ ج ٤)

واما اليهود فلما رأوا قرب دعوته من دينهم وهم الى ذلك الحين ينتظرون مجيء المسيح ارتاحوا اليه وسمعوه يذكرهم بالحسنى فاحسنوا الظن به وخصوصاً لانه جعل قبلة الصلاة في اول الامر نحو هيكلهم (المسجد الاقصى) وبالغ في مراعاة جانبهم حتى كان اذا مرت به جنازة يهودية وقف لها هو واصحابه حتى تتوارى . واذا دعاه احدهم الى طعام اجاب دعوته ولو كان طعامه من خبز الشعير . وكان اليهود من الجهة الاخرى اذا احتاج المسلمون الى المال اقرضوهم اياه وتساهلوا في اقتضائه

ثم تكلم عن تنظيم الاحوال في المدينة ومؤاخاة المسلمين وبناء المسجد ونحو ذلك حتى تغير النبي على اليهود . وسبب تغيره ان اليهود كانوا يتوقعون ان يأتي النبي المنتظر من فلسطين ويكون عارفاً العبرانية وان وجوده يبعث على السلام . فلما رأوا ما يخالف ذلك انقلبوا عليه واخذوا يسعون في نقض دعوته بالكتابة والخطابة فاحتدم الجدال بينهم وبين المسلمين وامسكوا عن اقراضهم المال . فعمد النبي الى مناوأتهم فبدأ بتحويل القبلة الى الكعبة فعظم ذلك عليهم وازدادوا تباعداً فعزم على ابادتهم والتخلص منهم ومنع اصحابه من التشبه بهم في شيء من اعمالهم

ثم ذكر الغزوات فافاض في بيان الاسباب التي دعت الى واقعة بدر الكبرى ومنها ان المسلمين اصابهم ضيق وسدت دونهم سبل الرزق حتى اضطروا الى احتراف الصنائع الصغرى فلم تغن عنهم شيئاً وضيق اليهود عليهم ابواب الاقتراض فعمدوا الى الغزو على عادة العرب في ذلك العصر . وقد عدّ المؤلف ذلك من قبيل اللصوصية (صفحة ٢٣٨) وليس الامر كذلك لان الغزو يومئذٍ كان متعارفاً مألوفاً لا يعدّ مرتكبه سارقاً . ثم فصّل واقعة بدر وذكر من اسباب فوز المسلمين (١) انتظامهم في ساحة الحرب صفوفاً مثل انتظامهم للصلاة (٢) شجاعة علي وشدّة حمزة (٣) خطأ الاعداء في تقدير عدد المسلمين تقدروهم باكثر مما كانوا فسبق الى قلوبهم الخوف منهم — وقد اصاب بقوله ان انتصارهم في هذه الواقعة هو السبب في تأييد سلطتهم

وبعد ان تكلم عن واقعة أحد وما تبعها عاد الى ابادة اليهود فبيّن ما بذله المسلمون

في هذا السبيل من الاسباب حتى تخلصوا منهم ويتخلل ذلك واقعة الخندق وغيرها مما يطول شرحه · ولما تخلصوا من اليهود اقدموا على فتح مكة فذكر الحوادث التي تقدمت الفتح ثم اتى على ما دبروه لفتحها وكيف دخلوها ظافرين وما كان من تأثير ذلك على القبائل الى آخر الحوادث التي حدثت في حياة النبي بتفصيل وتعليل لا يترك ان سبيلا لمستزيد · وقد توخى تقرير الحقيقة كما تمثلت له بالبحث والاستقراء ولم يلتفت الى ما قاله زيد او عبيد من الطاعنين في الاسلام او المدافعين عنه وترى الاخلاص ظاهرًا في كل فقرة من فقرات الكتاب

على ان ما خالفنا حضرته فيه مما ذكرناه ومالم نذكره لا يقلل شيئًا من قدر هذا المؤلف النفيس فانهُ من افضل ماكُتب في هذا الموضوع دقة وتحريًا وتنقيبًا وله فيهِ آراء لم يسبقهُ اليها احد ولذلك فاننا نتوقع ان يقدّره كبار المستشرقين حق قدره و ينزلوه في المنزلة التي تليق به

وعبارة الكتاب بليغة عالية مع الايجاز ودقة التعبير · وقد طبع المؤلف على ملكة الانشاء حتى كثيرًا ما اعجبنا بلاغته العربية فلا غرو اذا كان بليغًا في الانكليزية

وفي الكتاب فضلاً عن الفوائد التاريخية كثير من الابحاث العمرانية والسياسية · ولم يذكر رجلاً او امرأة ممن صاحب النبي او حاربه الا وصفهُ وصفًا يمثله للقارىء تمثيلاً واضحًا بظواهره ومناقبه · وقد اوضح حوادث التاريخ بثلاث خارطات واحدة لجزيرة العرب على الاجمال والثانية للحجاز على الخصوص والثالثة لمدينة مكة نفسها فضلاً عن رسوم كثيرة للكعبة وبئر زمزم والحجر الاسود والمسجد الاقصى وجدة واطلال اكسوم الحبشية ومصوع ومنظر مكة وغيرها واشكال تمثل عادات اهل البادية وصور نقود وغير ذلك · فيجدر بعارفي اللغة الانكليزية مطالعة هذا الكتاب وهو يطلب من محل اولاد بوتمن وهذا عنوانهم :

Messrs G. P. Putman's sons, 24 Bedford Street Strand, London.

كسوف الشمس

في صباح يوم الاثنين ١٤ يناير سنة ١٩٠٧ الموافق ليلة الاثنين ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٤ هجرية تنكسف الشمس كسوفًا كليًا يشاهد جزئيًا في مصر القاهرة وتمكث الشمس منكسفة بعد شروقها نحو ٤٤ دقيقة و٢٧ ثانية ومدة الكسوف كله ساعة و٤٢ دقيقة و٥ ثوانٍ والجزء المنكسف من قرص الشمس يبلغ ١٨,٥٠ اصبع باعتبار ان قطرها ١٢ اصبعًا

مطبوعات جديدة

﴿ التدبير المنزلي ﴾ هو كتاب مدرسي تأليف فرنسيس افندي مخائيل لتعليم التدبير المنزلي في مدارس البنات وهو من العلوم الضرورية في العالم المتمدن لاتخلو مدرسة من تعليمه ولاغرو فهو كما عرَّفه حضرة المؤلف « علم تعرف منه الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وولده وخدمه وموضوعه احوال الاهل والخدم وغايته انتظام احوال الانسان في منزله من صحة واقتصاد وتدبير ومأكل وملبس وسكنى ليتمكن من كسب السعادة العاجلة والآجلة »

وقد اخذت المدارس الشرقية في تعليم التدبير المنزلي ولاسيما الراقية منها · والكتاب الذي نحن في صدده اوفى كتاب مدرسي في هذا الموضوع · قسمه المؤلف الى فصول تكلم فيها عما يجب على الفتاة معرفته من احوال المنزل الصحية والاقتصادية والتهذيبية والاجتماعية فبحث في السكنى وقيمة الايجار · وفي الاثاث والزخارف وتنظيف المنزل واحوال الخدم وتنظيف الفرش وانتقاء الاطعمة ومياه الشرب والنقول وفي الهضم والاستحمام والنظافة وحفظ الاطعمة والملبوسات وتصليحها والغسيل والمكوى والخياطة والتفصيل وتمريض المرضى ومداركة بعض الامراض بالاسعافات الوقتية وآداب المعاشرة وتربية الاطفال وفي الزوج والزوجة وترتيب موائد الولائم · ومقتطفات من الطبخ والحلوى وغيرها مما لا ينبغي ان تجهله فتاة من اهل هذا العصر · وقد قسم كلاً من هذه الفصول الى فقرات رتبها ترتيباً يسهل على المطالع فهمها وحفظها · وقد طبع الكتاب بنفقة شقيقنا ابراهيم زيدان طبعاً متقناً في زهاء ٢٠٠ صفحة على ورق جميل متين · و يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعة غروش واجرة البريد نصف غرش و يترك للمدارس ٢٥ في المئة من الثمن · فنحث مدارس البنات في الشرق العربي على تعليم هذا العلم فانه من ضروريات هذه النهضة

﴿ عين بعين ﴾ هي رواية غرامية اجتماعية لمؤلفها نقولا افندي الحداد الكاتب الشاعر المعروف وقد وصف موضوعها بقوله « تطرف الانسان في الارتقاء بالنسبة الى سائر المخلوقات حتى ترك بينه و بين ارقى العجماوات مدى واسعاً ونرى الطبع البشري يتطرف ايضاً في جميع مجاريه · يقولون ان تنازع البقاء عام لجميع الاحياء تحقيق ما يقولون ولكن هذا التنازع لم يبق في الاجتماع الانساني تنازعاً للبقاء كما هو في العالم الحيواني بل اصبح تنازعاً للشهوات لسبب ما اشرنا اليه من تطرف الطبع البشري · فبينما ترى الاعجم ينازع الاعجم طعامه ليحفظ بقاءه اذ ترى الانسان ينازع الانسان حياته ليتنعم و يتلذذ لا ليحفظ

بقاءه فقط . وفي هذه الرواية يتجلى لك الانسان متطرفاً في الشر والخير فبين ترى شخصاً يضحي عدوّاً من الناس على مذبح شهواته اذ ترى غيره يضحي نفسه لاجل الآخرين »

والذي نعرفه في صاحب هذه الرواية انهُ من اقدر كتاب العربية على تحليل العواطف البشرية الاجتماعية - يعرف ذلك كل من طالع كتابهُ « الحب والزواج » وكتابه « مناهج الحياة » فلا غرو اذا استحثثنا الادباء على مطالعة هذه الرواية . وهي الثانية من الروايات الشهيرة لصاحبها يعقوب افندي جمال . ولم نرَ لنا مندوحة مع اعجابنا بالرواية وكاتبها عن استغراب الخطة التي اتخذها في تأليفها لانهُ شرقي يكتب للشرقيين بلغتهم ومع ذلك فقد جعل حوادث الرواية افرنجية حدثت في بلاد افرنجية ورجالها من الافرنج فما كان اجدره ان يجعل حوادثها شرقية في بلاد شرقية فيضم الى فوائدها الاخلاقية فوائد اجتماعية او تاريخية فنتقدم اليهِ ان يتوخى ذلك في ما يكتبه من الروايات بعد الآن

✵ انفس الاعلاق في مكارم الاخلاق ✵ هو كتاب تهذيبي اخلاقي جمعهُ ورتبهُ عبد العزيز افندي صبري نجل عمدة الخياربة قسمه الى ابواب جمع في الباب الاول شذرات من مكارم الاخلاق وفي الثاني احسن الوصايا وارفع المزايا وانفس الاعلاق وفي الثالث منتخبات من الامثال الحكمية وجمع في الباب الرابع ما عربه عن غير العربية من الاقاصيص الادبية عن اعاظم ادباء فرنسا مثل بوالو وجان جاك روسو وراسين ولامارتين وغيرهم . فجاء كتاباً حاوياً زبدة الحكم والآداب مما يدلُّ على رغبة مؤلفه في محاسن الاخلاق فنثني على آدابه ونحث القراء على مطالعة كتابهِ

✵ مبادي القراءة الايطالية ✵ هو كتاب تعليمي الفهُ حضرة عبود افندي ابي راشد ترجمان قنصلاتو ايطاليا في بيروت لمن يريد تعلم اللغة الايطالية من ابناء اللغة العربية فبدأ بالقراءة البسيطة من المقاطع الصغرى فما بعدها الى تركيب الجمل الكبرى وتدرج في ترجمة ذلك وترتيبه على نحو طريقة اوانديرف المتبعة في تعلم اللغات باوروبا مع ملاحظة خصائص اللغة العربية . وقد اطلعت حكومة ايطاليا على هذا المؤلف وعرفت قدره وفائدته فاعتمدت عليه في مدارسها بالاقطار الخارجية حتى نفدت طبعتهُ الاولى فاعاد المؤلف طبعه ثانية ووعد ان يلحقه باجزاء اخر لتعليم الصفوف العالية فنشكره على هذه الخدمة لان الكتب المسهلة لتعليم اللغة الايطالية قليلة عندنا ونحث المدارس العربية التي تعلم هذه اللغة ان تعتمد عليه لانه سهل الاسلوب قريب المنال وهو يطلب من

(المنبر) هي جريدة عمومية تبحث في كل موضوع تصدر في نيويورك باميركا مرة في الاسبوع لمديرها ومحررها عيد افندي ميخائيل ذيبه بدل اشتراكها ٤ ريالات اميركانية في اميركا الشمالية والوسطى و ٢٥ فرنكاً في الخارج فنرجو لها النجاح والثبات

(مجلة المجلات العربية) عادت هذه المجلة النفيسة الى الظهور بعد احتجابها مدة بذل صاحبها عزتلو محمود حسيب بك في اثنائها غاية الجهد في زيادة اتقانها فصدر الجزء الاول من السنة السادسة رافلاً بالمقالات الشائقة والمواضيع المصورة فضلاً عن الفوائد الصحية والصناعية والزراعية والادبية وغيرها . فنهنئ رصيفنا حسيب بك بذلك ونحث الادباء على مطالعتها

(مجلة جمعية الملاجىء العباسية) صدرت هذه المجلة منذ خمس سنوات وكان اسمها « مجلة جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية » ففي اول سنتها السادسة اضيف اليه اسم جمعية الملاجىء العباسية فصارت مجلة الجمعيتين معاً او صارتا جمعية واحدة خيرية لمساعدة الايتام والفقراء والعجزة . والمجلة دينية علمية ادبية تهذيبية يحررها نخبة من العلماء والكتاب وتعطى مجاناً لاعضاء الجمعية وبدل اشتراكها للسواهم ٣٠ غرشاً بمصر وعشرة فرنكات في الخارج فنحث الادباء على تنشيطها لان غرضها خيري محض . ونثني على القائمين بهذا العمل الخيري ولا سيما صاحب السعادة حماده باشا رئيس هذه الجمعية المشهور بمساعيه الخيرية وتأليف القلوب في نصرة الضعفاء جزاه الله خيراً

(المصور) عادت جريدة المصور الى الصدور بعد ان احتجبت عن قرائها زمناً ولم يعقد صاحبها خليل افندي زينية النية على اصدارها الا وهو على ثقة من الثبات فيه وعقد مع ادارة الاهرام اتفاقاً يجعل المصور لمشتركي تلك الجريدة شبه هدية . وبدل الاشتراك ٦٥ غرشاً في مصر و ٢٠ فرنكاً في الخارج فمن كان مشتركاً في الاهرام يكون اشتراك المصور له ٤٠ غرشاً في مصر و ١٥ فرنكاً في الخارج وهو تساهل حسن وزميلنا زينيه افندي كاتب مشهور لا يحتاج الى تعريف فنرجو للمصور النجاح

(الاخاء) وعادت الى الظهور ايضاً مجلة الآخاء لصاحبها حضرة محمود افندي كامل كاشف فصدر الجزء الاول من السنة الرابعة وفيه فضلاً عن المقدمة مقالة في الوعد واخرى في ضعف الارادة ومقالات وشذرات في الرفق والشحاذة والشحاذين وفائدة الصعلوك وغيرها فنتمنى لها الثبات

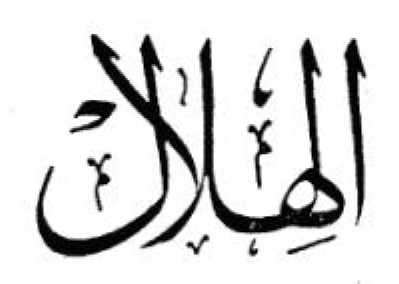
(كتاب الخير والشر) هي رواية حسنة تأليف اسكندر دوماس الكاتب الفرنساوي الشهير نقلها الى العربية حضرة محمد افندي وجيه وحسين افندي الجمل بعبارة فصيحة رشيقة مع تصرف ادبي وسمياها « كتاب الخير والشر او رواية كاترينا بلوم » ارادا بها خدمة هذه النهضة الادبية وكلاهما من ادبائها النشيطين فنحث القراء على مطالعتها لما فيها من الموعظة الحسنة والعبرة البالغة وهي مطبوعة طبعاً متقناً على ورق جميل وتطلب من احد المؤلفين ومن المكاتب الشهيرة وثمن النسخة ستة غروش واجرة البريد غرش

✻ مجلة الحكمة ✻ هي من المجلات الطبية الدالة على تيقظ اصحابها وعلمهم ورغبتهم في نشر الفوائد فان رصيفنا الدكتور عبد العزيز افندي نظمي صاحب هذه المجلة لم يدخر وسعاً في تحسينها وترقيتها منذ نشاتها فلما دخلت سنتها الثانية ادخل فيها اصلاحاً كثيراً و بالغ في انتقاء المواضيع الصحية المفيدة مما يهم العائلات ولا سيما في ما يتعلق بتربية الاطفال ففي الجزء الاول من السنة الثانية مقالة في هذا الموضوع موضحة باشكال كثيرة نقلها من كتاب له تحت الطبع فضلاً عن مقالات اخرى في قصر النظر وعلاج النزلات الشعبية وغيرها فنثني على حضرة الدكتور لما يبذله في خدمة اللغة واهلها ونحث العائلات على اقتناء الحكمة فانها ضالة المؤمن يأخذها اني وجدها

(المعرض الوطني العثماني اللبناني) اطلعنا على تقويم هذا المعرض وهو يحتوي على نتائج ابحاث اللجنة وتقريرها واسماء العارضين والممتازين منهم فانشرح صدرنا لما رأيناه فيه من دلائل الرقي الصناعي في لبنان وسوريا ولا سيما الصنائع الرفيعة كالتطريز وشغل الابرة والرسم وقد كان للمرأة السبق في اكثرها • وفي التقويم المذكور تفصيل يلذ للشرقي الاطلاع عليه فمن أراد ذلك فليطلبهُ من مجلة النور في لبنان

(الكهنوت) هو كتاب ديني تأليف يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية وقد عني بنشره حضرة الاب الخوري قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص وجعلهُ تقدمة لسيادة المطران يوسف دوماني مطران طرابلس وما يليها للروم الكاثوليك وهو يبحث في الكهنوت من الوجهة الدينية ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ثمانية غروش واجرة البريد نصف غرش

(تاريخ حياة مارمينا العجائبي) هو تاريخ هذا الشهيد منقولاً من اقوال اباء الكنيسة القبطية الارثوذكسية وقد طبع بنفقة الجمعية القبطية الخيرية الارثوذكسية ويطلب من مركزها في دسوق وثمن النسخة خمسة غروش غير اجرة البريد



الجزء السابع من السنة الرابعة عشرة

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ و ٧ صفر سنة ١٣٢٤



ابراهيم بك المويلحي

الكاتب السياسي والمنشئ الصحافي

ولد سنة ١٢٦٢ هـ وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ

يتصل نسبه ببيت من البيوتات الكريمة التي ظهرت بمصر بعد الانقلاب السياسي في اول القرن الماضي وكان جده السيد ابراهيم المويلحي في اول امره كاتبا للمرحوم حبيب افندي كخيا المغفور له محمد علي باشا الكبير ثم ارتقى كما ارتقى سواه من ذوي المواهب في مثل حال مصر في دورها الانتقالي من عصر الامراء المماليك الى عصر التمدن الحديث اذ هددتها مطامع الدول وحام حولها طلاب السيادة من الوزراء والقواد فتسابقت العقول واختلفت الاغراض ففاز كل بما بلغ اليه امكانه وساقته اليه فطرته. فارتقى بعضهم الى منصات الحكم واثرى آخرون بالتجارة او الزراعة او الصناعة او غيرها. فكان للسيد ابراهيم المويلحي جد المترجم حظ كبير من ذلك الارتقاء. ومع انغماس اهل ذلك الانقلاب بالمطامع السياسية والمكاسب المالية واشتغالهم بالملاذ والملاهي لتسلط الجهل على معظمهم فالسيد ابراهيم كان محباً للادب

لا يخلو مجلسه من الادباء والشعراء يطارحهم ويذاكرهم . وقد أدّى لمحمد علي في اوائل ولايته خدماً جليلة حفظها له البيت الخديوي فانتفع بها المترجم في حال ضيقه كما سترى

ولد صاحب الترجمة في اوائل سنة ١٢٦٢ هـ في بيت وجاهة وعزّ وكان والده مشهوراً بصناعة الحرير نسيج مصر وله فيها بيت تجاري كبير فجمع ثروة طائلة . ونشأ ابراهيم في سعة ورغد وهو يتهيأ للعمل في تجارة والده ولكنهُ كان مولعاً بالادب والشعر من حداثته ـ ورث ذلك من جدّهِ . ولم يخطر له ولا لوالدهِ انه سيجعل الادب مهنته وهي يومئذ مهنة الفقراء . . . ولكن الاقدار ساقته الى الاشتغال بها في كهولته فكان من اعظم نوابغها

ظلّ ابراهيم في حجر والده آمناً سعيداً حتى توفي الوالد سنة ١٢٨٢ هـ والمترجم في العشرين من عمره فتولى تجارة ابيهِ وقبض على ثروتهِ وجرى على خطته في العمل حيناً فازداد تقدماً . وكانت مضاربات البورصة حديثة العهد في هذا القطر وقد تحدث الناس بمعجزاتها وبهروا من سرعة الاثراء بها وكان ابراهيم طلاباً للعلى فلم يكتفِ بما بين يديهِ من الرزق الواسع وحدثتهُ نفسهُ ان يطلب الزيادة بالمضاربة . فضارب وهو يكسب تارة فيطمع بالمزيد ويخسر أُخرى فيطلب التعويض على نحو ما نشاهدهُ الآن مع ما يعلمهُ الاكثرون من عواقبها الوخيمة . فما زال المترجم يتدرج في المضاربة حتى استنزفت ثروته واثقلتهُ بالديون

على ان فروغ يده من المال لم يذهب بما نشأ عليهِ من العز والانفة ولا ضاعت مآثر جدّه لدى البيت الخديوي . فنظر اسماعيل باشا الخديوي يومئذ الى هذا البيت نظر الانعطاف ـ وكان اسماعيل اذا اعطى اغنى . فوهبه هبات الملوك فوفى الديون ووسع التجارة . ثم انعم اليه بالرتبة الثانية وعينه عضواً في مجلس الاستئناف وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ وانعم على اخيهِ عبد السلام باشا بتلك الرتبة ايضاً . وابقاه في مزاولة التجارة محافظة على ذلك المعهد التجاري . وتأييداً لذلك اصدر اوامره لجميع من في قصوره من النساء ان يعدلن عن لبس الانسجة الافرنجية الى الانسجة المصرية من صنع هذا البيت وان لا يدخل في تشريفات السيدات سيدة لابسة غير هذه الانسجة . وامر باصطناع كمية عظيمة منها لارسالها الى معرض فينا في تلك الايام

وما زال المترجم في وظيفته بمجلس الاستئناف حتى افضت رئاسته الى المرحوم حيدر باشا يكن فوقع بينهما شقاق انتهى باستقالة المترجم ولكن عناية الخديوي اسماعيل ما زالت شاملة لهُ فامر باعطائه مصلحة تمغة المشغولات والمنسوجات على سبيل الالتزام . واتفق في اثناء ذلك سقوط وزارة نوبار باشا المختلطة التي كان فيها عضوان اجنبيان وخلفتها وزارة

شريف باشا المعروفة بالوزارة الوطنية وهموا بانشاء اللائحة الوطنية لتأسيس مبادىء الحكومة الدستورية . فانتدب المترجم للاشتغال في ذلك مع المرحوم السيدعلي البكري . ثم صدر الامر بتعيينه سكرتيرًا للمرحوم راغب باشا ناظر المالية . ولم يتولَّ هذه الوظائف الأَّ لما ظهر من نجابته وسداد رأيه

على ان ميلهُ الى الادب والشعر كان ينمو فيه بين مشاغل السياسة والادارة فاتفق مع المرحوم عارف باشا احد اعضاء مجلس الاحكام بمصر وصاحب المآثر الكبرى في نشر الكتب على تاسيس جمعية عرفت بجمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة وتسهيل اقتنائها وانشأ هو مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ لطبع تلك الكتب وهي من اقدم المطابع المصرية . على ان الجمعية كانت تطبع كتبها ايضاً في مطابع أُخرى وخصوصاً المطبعة الوهبية — ولهذه الجمعية شأن كبير في تاريخ هذه النهضة لانها نشرت كثيرًا من الكتب المهمة كتاج العروس واسد الغابة ورسائل بديع الزمان وسلوك المالك والف باء وغيرها من كتب التاريخ والادب والفقه

اما صاحب الترجمة ففي السنة التالية لانشاء مطبعته اتحد مع محمد عثمان بك جلال لانشاء جريدة عربية ولم يكن من الجرائد العربية بمصر يومئذٍ الاَّ الجريدة الرسمية وجريدة وادي النيل فنال رخصة لجريدة سماها «نزهة الافكار» ولكنه لم يصدر منها الأَّ عددين ثم حالت العوائق دون اصدارها ويقال عن السبب في ذلك ان المرحوم شاهين باشا اظهر لاسماعيل باشا تخوفهُ من انها تثير الافكار وتبعث على الفتن فصدر الامر بالغائها وظلت المطبعة تشتغل بطبع الكتب لجمعية المعارف وغيرها وقد طبع فيها كتباً على نفقته

فترى المترجم رحمه الله قد تقلب في اعمال مختلفة بين تجارة وخدمة في الحكومة وانشاء المطابع والجرائد ونشر الكتب وغيرها وهو دون الثلاثين من العمر ولم ينل كل مرامه من واحدمنها مع اقتداره وذكائه ولعل السبب في ذلك لجاجته في استثمار عمله قبل ان ينضج وعدم ثباته في خطة واحدة لانه لو ثبت في التجارة مثلاً ولم يرغب عنها في خدمة الحكومة لكانت تجارته من اوسع التجارات او لو ثبت في الخدمة ولم يعدل عنها الى الصحافة والطباعة لكان من اكبر اصحاب المناصب ولو ثبت في الصحافة الى الآن لكانت صحيفتهُ من اكبر الصحف واهمها . ولكنه لم يكن يستقرُّ على حال — والاذكياء الذين لا يثبتون في عمل انما يكون سبب تقلبهم الرغبة في النجاح السريع يريدون الطلوع الى الأَوج دفعة واحدة . فاذا استبطأُوا الوصول الى قمة النجاح في عمل تركوه وانتقلوا الى سواه فيأول ذلك في الاكثرين

الى ضياع العمر في بناء القصور بالهواء ولو ثبتوا في عمل واحد مهما يكن نوعه لكفاهم مؤونة الشكوى من معاكسات الزمان

على ان المترجم لم يشك ضيماً لانه كان مرعي الجانب . وما زال الخديوي اسماعيل يذكر صدق خدمته له فلما حدث التغيير في منصب الخديوية سنة ١٢٩٦ وأبعد الخديوي الى أوربا واستقر في ايطاليا استقدم المترجم اليه فجاءه واقام في معيته بضع سنوات كان في اثنائها كاتب يده (سكرتيره العربي) يكتب عنه الرسائل الى الملوك والامراء . ولم يكن ذلك ليمنعه من العمل لنفسه فانشأ في اثناء اقامته باوربا عدة جرائد كجريدة الاتحاد وجريدة الانباء ولم يثبت في واحدة منها أو لعله كان ينشئها لغرض موقت فاذا ناله عطلها . وقال المؤيد انه اشترك مع المرحوم السيد جمال الدين الافغاني في تحرير « العروة الوثقى »

وفي سنة ١٣٠٣ هـ ذهب الى الاستانة على اثر انشائه تلك الجرائد فاكرم السلطان وفادته وعينه عضواً في مجلس المعارف وناظرها يومئذ منيف باشا العالم الشهير فقدر الرجل حق قدره وقربه منه وعوّل عليه في كثير من شؤون النظارة . و بعد ان اقام في هذا المنصب نحو عشر سنوات عاد الى مصر وعاد الى الاشتغال بالكتابة وقد نضجت مواهبه الانشائية واكتسب ملكة الصحافة لطول ممارسته اياها مع ما اختبره بنفسه في اثناء اسفاره ومخالطته كبار رجال السياسة واطلاعه على مخبآت الامور . فعمد اولاً الى مراسلة الجرائد بمقالات جامعة بين السياسة والادب وقواعد العمران اشهرها ما جمع على حدة في كتاب « ماهنالك » ثم انشأ جريدة مصباح الشرق الاسبوعية وهو يتردد في خلال ذلك الى الاستانة و يعود منها مشمولاً بالنعم السلطانية من العطايا والرتب حتى بلغ الرتبة الاولى من الصنف الاول وما زال عاملاً في خدمة الصحافة العربية مخلصاً للبيت الخديوي شديد التعلق بمرضاة الجناب العالي وسموّه يخصه بالمنح والمنن حتى توفاه الله في ٢٩ يناير الماضي وهو في الثانية والستين من عمره

☆ صفاته ☆ كان ربع القامة ممتلىء الجسم حسن الملامح كما ترى رسمه في صدر هذا الهلال . وكان حلو الحديث لطيف النادرة سريع الخاطر حسن الاسلوب نابغة في الانشاء الصحافي وفي الطبقة الاولى بين كتاب السياسة رشاقة ومتانة واسلوباً مع ميل الى النقد والمداعبة ولا يخلو نقده من لذع او قرص لا يراعي في ذلك صديقاً ولا قريباً حتى قيل « لم ينج من قوارص قلمه الا الذي لم يعرفه » وقد انتقدوا عليه تقلبه في خطته وذلك تابع لتقلبه في سائر احوال معائشه لما قدمناه من تردده في اعماله حتى قضى العمر في

التنقل من عمل الى آخر · وضاعت الفائدة التي كان يرجى استثمارها من مواهبه لانهُ كان نادرة في الذكاء وحدة الذهن والاقتدار على تفهم الامور والاحاطة بخفاياها وكشف غوامضها — فلو رافقهُ الثبات في المبادىء والاعمال لكان من هذا الرجل غير ما كان

وهاك مثالاً من انشائهِ رحمه الله يصف موكب صلاة الجمعة في الاستانة قال :

« ما قيصرُ في موكب انتصارهِ ولا الاسكندر في يوم افتخارهِ استغفر الله بل ما سعد نادماً من القادسية ولا المعتصم قافلاً من عمورية املأ للقلوب مهابة ولا للعيون بهاء من رؤية جلالة السلطان يوم الجمعة في موكبهِ

« في يوم الجمعة قبل الظهر بساعتين ترد العساكر رجالاً وفرساناً من اطراف الاستانة الى بشكطاش عشرة آلاف أو يزيدون فينتظرون في طريق السراي السلطانية صدور الارادة السنية بتعيين المسجد · وهي عادة جارية الى اليوم وان كان المسجد الحميدي قد اختصَّ بصلاة جلالته دون سواهُ · فاذا صدرت الارادة اجتمعت العساكر في ساحة المسجد امام باب السراي واصطفت صفوفاً مضاعفة بعضها وراء بعض · وفي هذه الاثناء تتسابق مركبات المشيرين والوزراء والمشائخ والاجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من عائلة قومهم الوافدين على الاستانة في قاعة الجيب الهمايوني المطلة على تلك الساحة التي لا تسمع السامع فيها قولاً ولا صهيلاً الا صليل الاسياف وترديد الانفاس هيبة واجلالاً وانتظاراً واستقبالاً لاشراق نور الحضرة السلطانية · فاذا حان وقت الصلاة اشرقت المركبة السلطانية المذهبة كالشمس ضياءً من مطلع السراي تحمل الامام نائب الرسول صلى الله عليه وسلم ويجلس امامه الغازي عثمان باشا · والمشيرون وكبار رجال المابين يحافون من حول المركبة مشاةً خشع الابصار ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الامامية وهم في غير هذه الساعة اكاسرة الزمان وقياصرة الرومان كبراً وجبروتاً وكلهم في امواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ بالالباب · حتى ان الناظر ليكاد يوالي الحمد لله تباعاً على ما منحهُ للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الامة والملة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين — لولا ما يعتريهِ من الاشتباه فيهم والنيشان عنوانٌ كتبتهُ الدولة ووضعتهُ على صدر حامله شهادةً منها للناس ببيان ما هو مكنون وراءهُ من فضائل الغيرة والحمية · فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون في القلب كانت كبائع يغشُّ الناس بوضعهِ على زجاجة الخل عنوان ماء الورد . . » الخ

انساب العرب القدماء

ردّ على القائلين بالامومة والطوتمية عند العرب الجاهلية

٢ — العرب القدماء وانسابهم واخبارهم

وقبل التقدم الى البحث في ادلة الاستاذ مميث نقول كلمة اجمالية في العرب وانسابهم ورواياتهم تمهيداً للبحث :

ان من يطالع رأي صاحب طوتمية العرب ومن يقول قوله من المستشرقين يدرك لأول وهلة انهم انما حملهم على ذلك امران الاول ضعف ثقتهم باقوال مؤرخي العرب وبما حفظ من خرافاتهم القديمة والثاني نهوض اهل القرن الماضي لتحدي ما ثبت من مذهب الارتقاء في قواعد العمران لان شيوع هذا المذهب في اواسط ذلك القرن حمل ادباء الافرنج على رد كل شيء الى اسباب طبيعية كما فعل سبنسر في رد العبادات واكثر العادات الى مثل هذه الاسباب . وهكذا اراد صاحب طوتمية العرب فانه لما اطلع على ما كتبه مكلينان عن الطوتم في القبائل المتوحشة — وهو مستشرق مطلع على اخبار العرب مسيء الظن في جاهليتهم يحتقر اقوال رواتهم ونسابيهم — ورأى بين اسماء آباء القبائل والبطون مايشبه اسماء الحيوانات سبق الى وهمه انها من آثار الطوتمية عندهم . فوضع هذا الحكم نصب عينيه واخذ على نفسه ان يبرهنه . ولما كانت الطوتمية مبنية على الامومة عمد الى اثبات هذه فاتى بادلة ضعيفة تجاوز بها حد التكلف واستشهد بنوادر من اخبار العرب فجعل الشاذ قاعدة واغفل القواعد العامة الثابتة التي اجمع عليها النسابون والرواة مما يخالف اصول البحث . وهذا غريب من عالم اطلع على اخبار الامم وخرافاتهم وعلم ان التاريخ القديم اكثره مأخوذ من الخرافات المأثورة عن الاسلاف يمحصونها من الاكاذيب ويستخرجون صحيحها من فاسدها فلا يحتقرون خرافة ولا ينكرون قولاً . فان ما في الياذة هوميروس من اخبار الآلهة وخرافاتهم لم يمنع العلماء من تمحيصها والتمييز بين التاريخ والدين والخرافة فيها . ويقال نحو ذلك عن اخبار الهنود القدماء منذ نزل جماعة الآريين الى بلاد الهند على ما هو مدون في كتبهم السنسكريتية . وهكذا ينبغي ان يقال في خرافات العرب من اخبار عاد وثمود وطسم وجديس واخبار سيل العرم ونحوها . فانها مع بعدها عن

مألوفنا لا تخلو من حقائق تاريخية ذات بال قد كشف الزمان صدق كثير منها فناتي بشذرات من ذلك على سبيل المثال :

عاد وثمود

ان اعرق خرافات العرب في القدم وابعدها عن المألوف اخبار القبائل البائدة . وما زال الباحثون الى عهد غير بعيد يعدُّونها من الخرافات الموضوعة قبيل الاسلام وظنها آخرون لبعض الامم الاخرى وقد حفظها العرب ونسبوها لانفسهم . ثم تبين لهم انها لا تخلو من حقيقة ثابتة لما وجدوه من ذكرها في كتب مؤرخي اليونان او جغرافييهم القدماء كاسترابون وبطليموس وغيرهما . واهمُّ القبائل البائدة عاد وثمود . اما عاد فقد كان المظنون انها لم تذكر في كتب اليونان لانهم لم يعثروا بين اسماء قبائل العرب على لفظ يشبهها ولكننا بيَّنَّا في مقالة لنا بهذا الموضوع (الهلال ٢٣ سنة ٦) انهم ذكروها باسم « عاد ارم » فكتبوها Adramitae تمييزًا لها عن حضرموت واسمها عندهم Xatramotitae ورجحنا هناك انها وقبيلة هدورام المذكورة في التوراة بين العرب القاطنين بلاد اليمن قبيلةٌ واحدة

اما ثمود فقد ذكرت مرارًا في كتب اليونان والرومان وعثروا على آثارها في اعالي الحجاز وحلوا بعض ما نقش على احجارها وكانوا مع ذلك يحسبون تاريخها لا يتجاوز في القدم ما وراء تاريخ الميلاد الا قليلاً حتى عثر النقابون على ذكرها في انقاض اشور حوالي القرن الثامن قبل الميلاد[1] في عرض اخبار الحروب والفتوح مما يدلُّ على ان تلك القبيلة كانت ذات شان في هذا العهد . وقس على ذلك سائر اخبار القبائل البائدة مما ضاع خبره لتقادم عهده او اشتبه اسمه عند اليونان بالتصحيف او نحوه كما اصاب قبيلة « جديس » فان اليونان كتبوها Jolisitai والغالب في اصلها على اعتقادنا Jodisitai بابدال الدال لامًا وهما متشابهان في اللغة اليونانية فاللام تكتب هكذا Λ والدال هكذا Δ وقس عليه

ناهيك بما يؤيد اخبار العرب وانسابهم من نصوص التوراة وما عثروا و يعثرون عليه في آثار اليمن وغيرها

النسابون العرب

اذا كان هذا شان خرافات العرب القديمة فكيف باخبارهم المدونة في الكتب مما اجمع عليه النسابون في صدر الاسلام والرواة يومئذ لا يقبلون رواية الاَّ بعد تحققها بالاسناد الصحيح لما تعوَّدوهُ من تحقيق الاحاديث النبوية أو نحوها من الاخبار الدينية في ذلك

---

(1) Glaser Sk. der Geschichte und Geographie Arabiens II. 259

العصر . فالعرب يعدُّون من اكثر الامم تحقيقاً في الرواية واكثرهم تدقيقاً في حفظ ما يروونهُ ولاسيما في صدر الاسلام لاعتمادهم على الذاكرة واغفالهم الكتابة لاسباب بيناها في الجزء الثالث من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي

ولا ننكر ما يتخلل تلك الروايات من الامور الموضوعة او المختلف فيها او غير المعقولة ولكن لا يعقل ان تكون كلها موضوعة اذ لا يتأتى التواطؤ الى هـذا الحد . وان جاز لنا تصديق هذا التواطؤ لم يكن لنا بدٌ من السؤال عن الزمن الذي حصل فيه قبل الاسلام أو بعدهُ ؟ فاذا قيل قبل الاسلام .فما الذي دعا الى حصوله ولا نعلم سبباً يدعو الى ذلك ولانظن صاحب طوتمية العرب يعلم . واذا قيل بعد الاسلام وهو رأيهُ — فقد زعم ان النسابين وضعوا الانساب في صدر الاسلام فقسموها الى قحطانية وعدنانية وقسموا كلاً منها الى فروع . وان الغرض من هذا التقسيم بيان حقوق القبائل بالنظر الى العطاء الذي فرضهُ عمر — فكيف يجوز ذلك وهذه اشعار العرب الجاهلية واقوالهم وامثالهم واخبارهم شاهدة بمحافظتهم على النسب وعنايتهم بالرجوع الى اجدادهم من قحطان وعدنان ؟ بل كيف يقال هذا والاسلام من ظهوره الى انتشاره مبني على النسب القحطاني والعدناني والخلفاء يحرضون المسلمين على حفظ انسابهم والتدقيق فيها . ومن اقوال عمر بن الخطاب « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا »[1] فهل يصحُّ ذلك والعرب قبائل طوتمية لا رابطة بينها ولا نسب ؟

واذا افترضنا صحتهُ وان النسابين وضعوا هذه الانساب في اول الاسلام للعطاء فكيف ترضى القبائل التي ابعدها النسابون عن النسب النبوي فقلَّ عطاؤُها او ضعفت حقوقها وكيف لا تحتجُّ على ذلك بل كيف لا يشمُّ رائحة ذلك الاحتجاج من كلام المؤرخين ؟ على ان تواطؤ النسابين على الوضع بعيد الامكان لانهم لم يأتوا بشيء من عند انفسهم وانما كانوا يطوفون البادية ينقلون النسب عن السنة الحفاظ ويدونونهُ او يحفظونهُ . وقد يجمع النسابة اخباره من اهل نجد والحجاز واليمن بالسؤال من الثقات في تلك الاصقاع المتباعدة الاطراف فهل يمكن تواطؤهم على ذلك ؟

الشعوبية وانساب العرب

واذا سلمنا بامكانه وان العرب لم يبدوا معارضة احتراماً للخليفة او خوفاً منه فكيف سكت الشعوبية ولا سيما الفرس عن هذا الاختلاف مع ما يفاخرهم به العرب من شرف

---

(١) ابن خلدون ١٠٩ ج ١

النسب العربي والشعوبية يبحثون عن حجة يضعون بها من شرف العرب المتصل اليهم من انتسابهم الى اسماعيل وقحطان — وقد تجرأ الفرس في صدر الاسلام حتى نسبوا العرب الى الوحشية وقالوا « انهم كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض فرجالهم موثقون في حلق الاسر ونساؤهم سبايا مردفات على حقائب الابل » [١] ولم يطعن احد منهم بنسبهم تلميحاً ولا تصريحاً ولو استطاعوا ذلك لكان فيه اقوى انتقام لهم . ولا يقال انهم سكتوا عنه اهمالاً او انهم لم ينتبهوا له فقد طعنوا في اختلاف العرب بالنسب وفي استلحاقهم الادعياء ونحو ذلك مما يتعلق بالانساب — قال بجير يعير العرب باستلحاق الادعياء

زعمتم بان الهند اولاد خندف وبينكم قربى وبين البرابر
وديلم من نسل ابن ضبة باسل وبرجان من اولاد عمرو بن عامر
بنو الاصفر الاملاك اكرم منكم وأولى بقربانا ملوك الاكابر
أتطمع في صهري دعياً مجاهراً ولم تر ستراً من دعي مجاهر
وتشتم لؤماً رهطه وقبيله وتمدح جهلاً طاهراً وابن طاهر [٢]

ومع ذلك لم يتعرضوا لصحة انسابهم أو فسادها . وامة الفرس بلغت أوج تمدنها قبل الاسلام بقرون وكان العرب ينزحون اليهم ويقيمون بينهم وجرى لهم معهم حروب ومناقشات قبل الاسلام وقد استولى الفرس على اليمن واقاموا بين ظهراني العرب وعاشروهم وخالطوهم قبيل الاسلام — فهم اولى الناس بمعرفة احوالهم في جاهليتهم فلو وجدوا في ضبط انسابهم شكاً ما سكتوا عنه وقد بدأوا بالنقمة عليهم من اوائل القرن الاول للهجرة . واغرب من ذلك ان النسابين انفسهم كان اكثرهم من العجم فهل يضعون شيئاً يكون سلاحاً عليهم في ايدي اعدائهم ؟

اختلاف بعض الانساب

فكل ما لدينا من اخبار العرب يرجع الى ترتيب النسب على ما ذكروه في كتبهم أو رووه في اشعارهم وليس عندنا ما يخالف ذلك الترتيب نصاً ولا اشارة فكيف يجوز لنا نقضه ؟ ولا عبرة في ما ذكره صاحبنا من اختلاف النسابين في نسبة بعض القبائل الى قحطان أو عدنان أو الى قيس او كلب أو نحو ذلك لان النسب كما قدمنا منقول في الاصل عن افواه الناس على اختلاف الاصقاع — والانسان عنوان الخطاء . ولا يخلوان بكون ديوان عمر

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٣٥ ج ٤ (٢) العقد الفريد ٧١ ج ٢

ابن الخطاب وفرض العطاء على النسب أوجب بعض التشويش وانتماء بعض البطون الى غير قبائلها والنسابون المحققون يبينون الصحيح من الفاسد على ما يبلغ اليه امكانهم · ولكن وجود هذا الاختلاف لا يدلُّ على فساد النسب من اساسه كما ان اختلاف الرواة في تفاصيل احدى الوقائع التاريخية لا يدلُّ على انها لم تقع · فلو اختلف جماعة في فتح عمرو ابن العاص مصر فقال احدهم انهُ فتحها صلحاً وقال آخرون انه فتحها عنوة وقال غيرهم انهُ جاءها باربعة آلاف مقاتل وقال آخرون بل جاءها بعشرة آلاف واختلف آخرون في هل جاءها العرب على الخيل أو على الابل — فهل يدلُّ ذلك على ان مصر لم تفتح واذا قال ذلك قائل الا ننسبهُ الى الشذوذ في احكامه ؟

على ان اختلاف النسابين قد يكون سببهُ تشابه القبائل بالاسماء لفظاً واختلافها معنىً وهذا كثيرٌ في انسابهم قد وضع لهُ النسابون كتباً مستقلة ككتاب مختلف القبائل ومؤتلفها لابي جعفر محمد بن حبيب المتوفى في أواسط القرن الثالث للهجرة وقد طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٠ ولو راجعت معجمات القبائل لرأيت عدة منها باسم واحد بعضها من قحطان والبعض الآخر من عدنان وفيها بطون من اليمنية وبطون من القيسية : فبنو اسد بطن من الازد من كهلان من القحطانية وبنو اسد ايضاً بطن من قضاعة من حمير وبنو الاوس بطن من الازد من القحطانية وبنو الاوس بطن من العدنانية وبنو الحرث عدة بطون من قبائل مختلفة وبنو بكر عدة بطون بعضها من العدنانية والبعض الآخر من القحطانية وبنو تغلب حي من وائل بن ربيعة من العدنانية وبنو تغلب بطن من قضاعة من القحطانية · وبنو تميم من طابخة من العدنانية وبنو تميم بطن من هذيل من العدنانية · وبنو ثعلبة بضعة عشر بطناً من قبائل مختلفة [1] ومثلهم بنو ربيعة وبنو سليم وبنو عامر وبنو عدي وبنو كعب وغيرهم · فالاسم الواحد تشترك فيه عدة بطون ترجع الى اصول مختلفة · وقد وجدوا بطوناً كثيرة باسم بني امية ففي قريش امية بن عبد شمس بن عبد مناف وفي اياد بن نزار أمية بن حذافة وفي الانصار امية بن زيد بن مالك من الأوس وفي طي أمية بن عدي بن كنانة بن مالك وفي قضاعة أمية بن عصبة بن هصيص وقس عليه

وقد تتشابهُ اسماء القبائل صورةً وتختلف لفظاً ومعنى مثل جسَّاس بسين مشددة وجساس بسين مخففة واكثر ما يكون الاشتباه في الاسماء المتشابهة بصور الحروف مع غض الطرف عن النقط وقد كان ذلك سبباً كبيرًا للالتباس قبل الاسلام وفي صدره · ففي

(١) نهاية الارب في قبائل العرب (خط)

مذحج عنس بالنون ابن مالك بن ادد وفي غطفان عبس بالباء ابن بغيض وفي الازد عبس بالباء ابن هوازن بن اسلم . وقس عليه عنزة فانها بهذا اللفظ في ربيعة وهي عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار . وفي خزاعة عيرة بالياء و يقال ايضاً عنز وفي الازد عنترة بن عمرو ابن عوف بن عدي بن الازد وفيها ايضاً عبرة بالباء اما مضمومة العين او مفتوحتها ومنها غيرة بالغين والياء باختلاف الحركات . ومن هذا القبيل عنز من ربيعة وعنز من ربيعة ايضاً ومثلها غبر وقس على ذلك اجرم واخزم واحرم وكل منها من اصل غير اصل الآخرين[1]

فهذه الاختلافات بالصورة واللفظ اوجبت بعض الالتباس في انساب القبائل .

ويقال نحو ذلك في قلة عدد الآباء بالنظر الى الزمن فقد يكون سببه ضياع بعض الاجداد لنسيان اوغيره او اعتبار الجد قبيلة برأسها وليس رجلاً فرداً كما هو المظنون في بعض اجداد اليهود اباء التوراة . وهذا ايضاً من الادلة على قدم الانساب من عهد الجاهلية اذ لو وضعها واضع بعد ذلك لاتقن صناعة التزويز واكثر من الاباء حتى لا يبقى مكان لظهور التزييف ولكن النسابين لم يأتوا بشيء من عند انفسهم وانما نقلوا ما كان شائعاً على السنة العرب محفوظاً في اذهانهم على علاته

وزد على ذلك ان من القواعد الاساسية في تمييز الحقوق « ان الاصل براءة الذمة » فالاصل في انساب العرب ان تعتبر كما وصلت الينا ولا يجوز لنا الاعتراض عليها او نقضها الاَّ بما لا يقل ثقة عن النصوص الصريحة والقرائن الثابتة بالتواتر او نحوه . اما الاعتماد على الاقوال النادرة او الرجوع الى شوارد الاخبار واتخاذ الشواذ قواعد فلا يصح الاعتماد عليه او هو استقراء ناقص بل هو ليس من الاستقراء في شي وانما هو من قبيل التحكم على خلاف القاعدة المتبعة في البحث والنقد . والاقرب الى الصواب في اثبات قضية ان نتدرج فيها من الجزئيات الى الكليات فمتى ثبتت الجزئيات ثبتت الكليات واما صاحبنا فانه افترض القضية الكلية وحاول اثباتها فلم يعدم من الحوادث المبعثرة من اخبار العرب ما تخذه اساساً يبني عليه بناء ضعيفاً يظهر ببراعته كانه صحيح

فالاستاذ روبرتسن سميث صاحب طوتمية العرب اطلع على رأي مكلينان في طوتمية هنود اوستراليا واميركا ونحوها ورأى لبعض قبائل العرب اسماء حيوانية ووجد النسابين مختلفين في اصول بعض القبائل فتبادر الى ذهنه انها بقايا الطوتم كما قدمنا فوضع القضية الكلية « ان العرب كانوا من اصحاب الطوتم » ثم اخذ يبحث في كتبهم عما يؤيد هذا

(١) مختلف القبائل ومؤتلفها

القول ولا يخفى عليك ما هنالك من النوادر الشاذة والحوادث المتضاربة فاختار ما ظنه يؤيد قوله واغفل الباقي • فلو كان السير على هذه الخطة في الاستدلال والبرهان جائزاً لما اعجزنا اثبات اي قضية فرضناها مهما يكن من غرابتها — فلو اردنا الذهاب الى ان المرأة في الجاهلية كانت مطلقة الحرية ذات شأن في الهيأة الاجتماعية مثل شأنها في اميركا اليوم لما عدمنا من اخبار العرب ما يسند هذا القول • وكذلك لو قلنا انها كانت تعامل عندهم معاملة البهائم فانا نجد ما يماشي زعمنا • ولكن القاعدة في مثل هذا البحث ان ينظر في مجمل الادلة ويؤخذ الراجح بالاجماع او الاغلبية ولم يجمع العرب في اخبارهم او خرافاتهم او اشعارهم او تواريخهم او عاداتهم على شيء مثل اجماعهم على تلك الانساب افننكرها بمجرد الظن ؟ وهل يزال اليقين بالشك — ثم نلتفت الى رأي ليس في اخبار العرب ولا في تواريخهم ولا تواريخ سائر الامم السامية ما تشم رائحته منه

ثم ان تلك الانساب وصلت الينا بالتسلسل من النسابين الى المؤرخين على اختلاف اماكنهم وعصورهم وهي مع ذلك مطابقة في اكثر رواياتها فكيف تتفق هذه المطابقة ان لم يكن اصلها صحيحاً • وان قيل ان ذلك الاصل وضع بعد الاسلام فلا بدّ من ان يكون واضعه رجلاً ذا سلطان فمن هو هذا يا ترى ؟ وكيف يخفى خبره مع كثرة اعداء العرب في ذلك العصر

والصحيح ان النسب قديم عند العرب مثل قدمه عند سائر الامم السامية والعرب اشد تمسكاً به لبداوتهم وتنقلهم مع فراغ ايديهم من جامعة أخرى يرجعون اليها • وقد بالغوا في المحافظة على الانساب حتى حفظوا انساب خيولهم الى اجيال كثيرة فلحقوها بما اشتهر منها في اللحاق او السباق من خيل الجياد كأعوج والوجيه ولاحق والغراب واليحموم[1] • ولو راجعت ما وصل الينا من اخبار النسابين لعجبت بعنايتهم في حفظ الانساب وتدقيقهم في ضبطها • وكان احدهم اذا نسب واحداً تتبع نسبه من ابيه الى رهطه فالفصيلة حتى يصل الى القبيلة او بالعكس من القبيلة الى الفرد

الشعوب السامية

وقد ذهب صاحب طوتمية العرب في مقدمة كتابه « اديان الساميين » وفي كتاب « انساب العرب » الذي نحن في صدده (صفحة ١٧٨) ان الساميين نشأوا اولاً في جزيرة العرب ثم تفرعوا فخرج العبرانيون والاراميون منها وعمروا ما حولها من البلاد

---

(١) الكامل للمبرد ٤٥٤

وظلّ العرب فيها على بداوتهم فكان ينبغي ان تكون الطوتمية عندهما كما هي عند العرب . ولكنهُ لم يقل ذلك واذا قاله فلا نظنه يتوفق الى ما يسند قوله ولو بالظاهر مثل توفقهِ في طوتمية العرب لان اليهود قلما تسموا باسماء الحيوانات لبعدهم عن البداوة الخشنة فلا يجد بين اسماء القبائل ما يساعدهُ على هذا الزعم . وهب انه توفق الى بعض الاسماء كما توفق الاستاذ كوك في مقالة نشرها بالمجلة الاسرائيلية الانكليزية منذ عامين[1] مثل كالب و يعقوب وعورب — فهي اسماء اشخاص لا اسماء قبائل ولا يصح الرجوع اليها في اثبات الطوتمية

على انهُ لو ترك الافتراض والظن ونظر في الامر على بساطته لرأى هذه الامم السامية تتشابه في امر حقيقي واضح لا التباس فيه وهو الانتساب الى آباء التوراة وانتساب العرب الى اسماعيل وقحطان ثابت مما جاء في التوراة من انساب الامم اذ يظهر للمتأمل ان انساب العرب فرع من انساب الساميين وقد حقق ذلك واثبته جورج رولنسن في كتابه اصل الامم[2] وادوار كلازر في كتابه تاريخ العرب وجغرافيتهم[3] ولنا مقالة في انساب العرب منشورة في الهلال العشرين من السنة الخامسة بينا فيها انساب القبائل البائدة فضلاً عن القبائل الباقية بالاسناد الى التوراة ومؤرخي العرب والتوفيق بينهما و بين الآثار الاكتشافية ونصوص مؤرخي اليونان

فالنسب العربي ثابت بثبوت انساب التوراة مع اعتبار ما يراه اهل النقد من الباحثين ان اسماء بعض الآباء الأولين يراد بها القبائل لا الاشخاص فاذا نقضنا هذه لم يبق بيدنا شيء . وهل يجوز ان نغفل هذه الانساب الثابتة بتوالي القرون ونرجع الى رأي لا اساس له في كتب المشارقة ولا اشارة اليه في خرافاتهم ولا عاداتهم ولا اديانهم ولا شيء من آثارهم ?

ومما لا يحسن الاغضاء عنهُ ان العرب لا يصح قياسهم في احوالهم وانسابهم باصحاب الطوتم من الامم المتوحشة من هنود اوستراليا واميركا وزنوج افريقيا لان العرب من ارقى الامم عقلاً ونفساً وهم اهل تمدن قديم مثل تمدن ارقى الشعوب القديمة وقد ذهب بعض الباحثين في آثار اليمن وحضرموت ان التمدن العربي القديم اصل التمدن المصري القديم اي ان الفراعنة اخذوا تمدنهم من بلاد اليمن — ومهما يكن من منزلة هذا القول من الصحة فانهُ يدلُّ على

(1) The Jewish Quarterly Review
(2) Rawlinson's Origin of Nations 228
(3) Glaser Gesch. & Geogr. Arabiens II. 266 & 424

اعراق العرب في المدنية منذ آلاف من السنين · دع عنك ارتقاء لغتهم في تركيبها والفاظها وهو يشهد بارتقاء عقول اصحابها من اقدم ازمنة التاريخ وقبله فهل يعقل ان يتخذوا آباء من النبات او الحيوان كما يفعل اعرق الامم وحشية اليوم ؟ على ان القول بالطوتمية بحد ذاتها من الغرابة بحيث يصعب علينا تصديق وجودها في الامم المتوحشة ونخشى ان يكون القول بها مبنياً على الاستقراء الناقص · ولنتقدم الآن الى النظر في ادلة صاحبنا فننظر في ما يختص منها بالامومة ثم ما بناه عليها من الطوتمية عند العرب فنقول : (ستأتي البقية)

كتاب كليلة ودمنة

تاريخه وترجماته

تمهيد

لكل شيء تاريخ حتى النبات والجماد فاذا مررت بشجرة في صحراء لم يمرّ بها احدٌ قبلك ورأيت في ساقها اعوجاجاً وفي اغصانها انحرافاً او رأيت في قاعدتها نخراً او تجويفاً او نحو ذلك مما يصيب النبات من آثار العوامل الجوية وتحرش الطيور والحشرات علمت ما قاسته تلك الشجرة من مصادمة الرياح العاصفة والصواعق المنقضة وما انتابها من مخالب الكواسر وقوادم الحشرات — وهو تاريخها · واذا كنت عالماً بنواميس النبات لم يعجزك تعيين زمن بعض تلك النوازل بالشهر او العام · وقد يقع نظرك هناك على حصاة ملساء فتدلك القواعد الجيولوجية على ما مرّ بها من الكوارث والطوارىء منذ آلاف من السنين — فاذا كان ذلك شأن ما ليس للانسان دخل فيهِ فكيف في ما كان من صنع يده وقد نفخ فيه من روحه ورصعه بشيء من جمال ذوقه كالابنية والمسلاّت وسائر المنحوتات والمصنوعات مما تراه في المتاحف والمعارض فان لكل من تلك الآثار تاريخاً منذ خرج من ايدي صانعيهِ الى ان ظفر بهِ المنقبون وتاريخاً آخر منذ اكتشافهِ الى الآن

واجدر اعمال الانسان بالبقاء والتناقل حتى يطول تاريخها ما كان من ثمرة العقل ونتيجة عمل الفكرة مما يتعلق بمصالح الناس ولاسيما في اخراهم كالشرائع الدينية والتعاليم الاخلاقية التي تحفظ في الكتب فتتوالى عليها القرون وهي باقية بقاء الجبال الاّ ما قد تقتضيه نواميس العمران من الارتقاء · ولذلك رأيت لكل من كتب الشرائع تاريخاً طويلاً بين نقل وشرح

وترجمة وتعديل . اعتبر ذلك في التوراة وما مرّت به من الاطوار منذ كتبت بالعبرانية وجمعت حتى ترجمت الى اليونانية فالسريانية فاللاتينية فالعربية فالى سائر لغات العالم وما تخلل ذلك من الشروح والتعاليق . وانظر الى الانجيل والقرآن وكتب سائر الاديان الكبرى كالبرهمية والبوذية والزردشتية وغيرها فان لكل منها تاريخاً

ويلي كتب الدين بالنظر الى طول البقاء والانتشار كتب الادب والاخلاق شعراً او نثراً بخلاف كتب العلم الطبيعي فانها تنتقض بكرور الايام . اما تلك فقلما يعتورها تغيير لان طبائع البشر ولاسيما احساسهم النفساني لا يزال كما كان من أول عهد العمران . اقرأ ما يقوله هوميروس او امرؤ القيس او غيرهما من قدماء الشعراء في وصف العواطف البشرية او الانفعالات النفسية فتراهم يعبرون عن عواطفك ويدلون على احساسك . ولهذا السبب حفظ الناس تلك الاقوال وتداولوها وتناقلوها على تفاوت في ذلك يختلف باختلاف منزلتها من البلاغة والسهولة والفائدة وغيرها فعاش بعضها قروناً عديدة وترجم الى لغات كثيرة فعاصر الدول القديمة والحديثة على اختلاف اطوار تمدنها وذهبت الدول وتبدلت العصور ولا تزال هي حية الى الآن

ومن اقدم كتب الادب واكثرها تداولاً وانتشاراً على اختلاف النزعات واللغات كتاب كليلة ودمنة فلا غرو اذا خصصنا للكلام فيه فصلاً برأسه لما ستراه من اهميته وفضل صاحبه وغرابة تاريخه — وقد كتب في هذا الباب غير واحد من العلماء المستشرقين اشهرهم البارون دي ساسي الفرنساوي وبنفي ونولدكي الالمانيان وكيث فالكونر الانكليزي فاستعنا بارائهم وثمار ابحاثهم في ما نحن فيه فنقول :

١ — تاليف هذا الكتاب في اللغة السنسكريتية

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا انه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فاراد بيدبا اصلاحه وتدريبه فالف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الارواح . والمظنون ان معظم ما يتناقله الناس من امثال هذه الاقاصيص اصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء ويقال ان بيدبا اول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه . وترجع مواضيع النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج اليه

الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمام ووخامة خاتمة الاشرار ومنافع الاصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على ارباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس و يرقي العواطف وضمنهُ حكايات يتفرع بعضها من بعض ترجع الى ١٢ باباً وهي :

(١) باب الاسد والثور
(٢) « الحمامة المطوقة
(٣) « البوم والغربان
(٤) « القرد والغيلم
(٥) « الناسك وابن عرس
(٦) « الجرذ والسنور
(٧) « الملك والطائر فنزه
(٨) « الاسد وابن آوى والناسك
(٩) « اللبوة والاسوار والشعبر
(١٠) « ايلاذ وبلاذ وايرخت
(١١) « السائح والصائغ
(١٢) « ابن الملك واصحابه

هذه هي ابواب كتاب كليلة ودمنة عند منشأهِ في اللغة السنسكريتية ثم اخذ الناس في نقله والزيادة فيه — فنقل الى اللغة التيبتية والفارسية ومن هذه الى العربية . ونقل من العربية الى معظم لغات العالم المتمدن حتى الفارسية والهندية فانهم نقلوه اليهما من اللغة العربية كما سيجيء

وقد نهض اهل النقد والبحث من العلماء المستشرقين في هذا العصر للتنقيب عن النسخة السنكسريتية الاصلية فلم يعثروا عليها ولكنهم وقفوا على ابواب منها متفرقة في كتب الهند القديمة ولا سيما المهابهاراتا والبانشاتانترا والهيتوباديسا — فوجدوا الابواب الخمسة الاولى من باب الاسد والثور الى باب الناسك وابن عرس في كتاب البانشاتانترا ومعناه الكتب الخمسة والثلاثة التالية وجدوها في كتاب المهابهاراتا ووقفوا على فصلين آخرين في الهيتوباديسا — ولذلك يظن الاستاذ بنفي صاحب البحث في هذا الشأن ان هذه الابواب لما ترجمها برزويه الى الفارسية القديمة لم تكن مجموعة في كتاب واحد واذا كان

مؤلفها واحداً كما زعموا فانها تشتتت بعد ذلك ودخلت في خلال كتب أخرى فلما نقلها برزويه جعلها كتاباً واحداً عرف بهذا الاسم

٢ — الترجمة التيبتية

هي اول الترجمات واقدمها ولكنهم لم يعثروا الاّ على قسم منها اكتشفه انطون شفنر — ولا بدّ من ترجمات أخرى تناقلتها الامم المجاورة للهند في الشمال وقد ضاعت بكرور الاعوام

٣ — الترجمة الفهلوية اي الفارسية القديمة

ظلّ هذا الكتاب محفوظاً في خزائن ملوك الهند يحرصون عليه حرصهم على اثمن الكنوز لا يسمحون لسواهم بالاطلاع عليه غير ما تقدم من نقله الى التيبتية حتى القرن السادس للميلاد لما افضى عرش فارس الى كسرى انوشروان وكان محباً لاسباب الاصلاح واخذ في نقل العلم والادب فبلغه خبر هذا الكتاب فاستشار خاصته في رجل يبعث به لهذه المهمة يكون عارفاً باللسانين السنسكريتي والفارسي مع علم وفلسفة فاختاروا له طبيباً فيلسوفاً اسمه برزويه بن ازهر فامرّ اليه أمر الكتاب وحرضه على نقله ونقل ما يتيسر من علوم الهند التي ليس في اللغة الفارسية شيء منها وامدّه بما يحتاج اليه في سبيل ذلك الغرض . فسار برزويه بعشرين جراباً من المال كل جراب فيه عشرة آلاف دينار حتى قدم بلاد الهند فجعل يجالس الحكماء و يسأل خواص الملك وجلساءه من العلماء والفلاسفة و يوهمهم انه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلم والادب وانهُ محتاج الى معونتهم . ولم يزل كذلك وهو يبحث سرّاً عن مكان ذلك الكتاب في خبر طويل استخدم فيه دهاءه ودرايته حتى ظفر بالكتاب ونقله من اللسان الهندي السنسكريتي الى اللسان الفارسي وهو يومئذ الفهلوي ونقل غيره من كتب العلم وعاد الى انوشروان فاجازه بالاموال والبسه التاج واجلسه على سريره تشريفاً له وزيادة في اجلاله . وقد صدّر برزويه ترجمته بفصل سموه باب برزويه لبزرجمهر بن البختكان ذكر فيه سيرته وحكاية ذهابه بامر كسرى لنقل هذا الكتاب من الهند . ومن النسخة الفهلوية المذكورة نقلت الترجمتان السريانية الاولى والعربية

٤ — الترجمة السريانية الاولى

سميناها الأولى تمييزاً لها عن ترجمة أخرى سيأتي ذكرها . وكان المظنون قبلاً ان النسخة العربية هي أول ما نقل من الفهلوية ولكنهم عثروا على نسخة سريانية تحققوا من قرائن مختلفة وشواهد عديدة انها نقلت من الفهلوية رأساً بُعيد ذهاب برزويه لنقلها من السنسكريتية

ذكر عبديشوع اسقف نصيبين في قائمة كتب السريانية رجلاً اسمه « بود » قال انهُ كان من اهل العلم وانهُ الف كتباً ضد المانية والمارقونية وكانت لهُ رئاسة على نصارى الهند وفارس نحو سنة ٥٧٠ م الى ان قال « وهو الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة الى السريانية » وقد ضبط بود اسم هذا الكتاب على غير المعروف عندنا فسماه « قَليلَج ودَمنَج » وذلك على ما يظهر اقرب الى الاصل الفهلوي · ولو بقيت النسخة الفهلوية الى الآن لرأينا اسمها اقرب الى لفظه السرياني مما الى العربي · لان اصل لفظه في السنسكريتية « كراتكا ودمنا كا » فالغالب ان برزويه نقلها الى الفهلوية بلفظ ينتهي في آخره بالجيم فحفظهُ المترجم السرياني واطلقهُ المترجم العربي على عادة العرب في نقل بعض الالفاظ الفارسية التي تنتهي بهذا الحرف · وقد عثروا على نسخة من الترجمة السريانية الأولى ونشروها مع ترجمتها الالمانية في ليبسيك سنة ١٨٧٦ وهي مؤلفة من عشرة ابواب فقط

٥ — الترجمة العربية

هي اهمُّ ترجمات هذا الكتاب لانها حفظتهُ وكانت واسطة نقله الى سائر اللغات الحية · نقله الى العربية عبد الله بن المقفع كاتب ابي جعفر المنصور العباسي وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من اساليبها لانها لغته ولغة آبائه · وكان يعرف اللغتين الفهلوية واليونانية وقد نشأ بالبصرة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء فبرع في اللغة العربية وآدابها وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية · فلما اقدم على نقل كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية الى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة · وقد تحداها من جاء بعده لانه اقدم من حفظ انشاؤه في المواضيع الادبية باللغة العربية (توفي في اواسط القرن الثاني للهجرة)

صدَّر ابن المقفع تلك الترجمة بفصل سماه « عرض الكتاب » وصف به الكتاب وبين فضل العقل والعلم واوضحه بالامثال والحكايات على اسلوب الكتاب الاصلي وافاض في التحريض على مطالعته وتفهمه · فلما اطلع عليه العرب أعجبوا به واخذوا يتدارسونهُ ويتناقلونهُ وكأن علماء اللغة الفارسية حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فاقدم غيره على نقله ثانية من الفهلوية الى العربية · واقدم من فعل ذلك عبدالله بن هلال الاهوازي نقله ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ ﻫ واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلاً لحفظه فنظمه سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد المذكور فلما وقف عليه اجازهُ بالف دينار · وتصدى غيره لمعارضته فصنف سهل بن هرون للمأمون كتاباً عارض فيه

كتاب كليلة ودمنه في ابوابهِ وامثالهِ · على ان هذه الكتب ذهبت كلها ولم يبق الاّ ترجمة ابن المقفع التي هي بين ايدينا وقد تعدَّلت بتوالي الازمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت ابوابها ٢١ باباً بعضها هندي الاصل والبعض الآخر فارسي والآخر عربي · فالابواب الهندية ١٢ قد ذكرناها في ما تقدم والفارسية ثلاثة وهي مقدمة برزويه التي اشرنا اليها وباب بعثة برزويه وباب ملك الجرذان · وهناك ستة ابواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية وهي مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن امر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين · وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

واول من نشر هذه الترجمة او شيئاً منها المستشرق شولتنس الهولندي سنة ١٧٨٦ نشر منها باب الاسد والثعلب · اما نشرها كاملة فاول من اقدم عليه البارون سلفستر دي ساسي المستشرق الفرنساوي الشهير فطبعها في باريس سنة ١٨١٦ وارفقها بفصل في اصل الكتاب وما نقل عنه الى اللغات الاخرى · ثم طبع طبعات كثيرة في مصر اقدمها طبعة بولاق سنة ١٢٤٩ ﻫ ثم سنة ١٢٨٥ وطبعة وادي سنة ١٢٩٧ ﻫ وغيرها · وكلها منقولة عن طبعة دي ساسي المتقدم ذكرها وطبع ايضاً في الهند والعراق والشام وفي بلاد الروس · واكمل هذه الطبعات واضبطها طبعة المأسوف عليه الشيخ خليل اليازجي فقد نشرها في بيروت سنة ١٨٨٨ وصدرها بمقدمة في بيان ما تمتاز به طبعتهُ عن سواها فذكر انهُ وفق الى الظفر بنسخة من هذا الكتاب قد خطت منذ ثلاثمئة سنة فوجد بينها وبين طبعة مصر فروقاً كثيرة من زيادة أو اختلاف فنظر فيها وفي طبعة دي ساسي وجمع النسخ الثلاث وطبق بينها واستخرج من ذلك نسخة اصلحها ونقحها وهذبها وضبطها بالشكل الكامل ونشرها وقد اعيد طبعها مراراً وهي تعلم في المدارس لاكتساب ملكة الانشاء · وآخر ما ظهر من طبعات كليلة ودمنة العربية طبعة مزينة بالرسوم أصلحها وعلق حواشيها احمد افندي حسن طباره محرر جريدة ثمرات الفنون في بيروت وهي مضبوطة بالشكل الكامل وفيها ٨٦ صورة

٦ — الترجمات المنقولة من النسخة العربية

ضاعت الترجمة الفهلوية وتبعثر الاصل السنسكريتي واختفت الترجمة السريانية الاولى وبعدت النسخة التيبتية عن العالم المتمدن فلم يبق بين ايدي الناس الاّ الترجمة العربية

فلما نضج التمدن الاسلامي وتحاكت الامم بالمسلمين واخذوا ينقلون علومهم وآدابهم كان هذا الكتاب في جملة ما نقلوه الى السنتهم وبلغ عدد الترجمات التي نقلت رأساً من العربية عشرًا وهي (١) السريانية (الثانية) نحو القرن العاشر للميلاد (٢) اليونانية سنة ١٠٨٠ (٣) الفارسية سنة ١١٢٠ (٤) العبرانية الاولى (٥) العبرانية الثانية في القرن الثالث عشر (٦) اللاتينية في ذلك القرن (٧) الاسبانية سنة ١٢٥١ (٨) الملقبة (٩) الانكليزية سنة ١٨١٩ (١٠) الروسية سنة ١٨٨٩ وتفرع من بعض هذه الترجمات ترجمات أخرى الى الفرنساوية والايطالية والسلافونية والتركية والالمانية والانكليزية والدنماركية والهولندية وغيرها حتى بلغت عدد الترجمات جميعاً بضعاً وعشرين ترجمة ترجع بامرها الى العربية اما مباشرة أو بواسطة لغة اخرى واليك البيان :

(١) الترجمة السريانية الثانية — هي غير الترجمة الاولى المنقولة عن الفهلوية سنة ٥٧٠ م اما هذه فقد نقلت عن العربية بين القرن الثامن والقرن الثالث عشر للميلاد. نقلها كاهن مسيحي لم يعرف اسمهُ ولا السنة التي ترجمها فيها . وقد نقل هذه الترجمة الى اللغة الانكليزية المستشرق كيث فالكونر ونشرها سنة ١٨٨٥ وصدرها بمقدمة مسهبة في تاريخ هذا الكتاب وترجماته

(٢) الترجمة اليونانية — نقلها عن العربية سمعان بن شيت نحو سنة ١٠٨٠ م وكانت ضائعة فعثر عليها الاب بطرس بوسينوس اليسوعي في اثناء بحثه عن أوراق فيها تاريخ ميشال باليولوغوس فوجدها في مكتبة ليو ألاتيوس وترجمها الى اللاتينية ثم نشرت الترجمة اليونانية سنة ١٦٩٧ عن نسخة اخرى وجدوها في همبورج نشرها ستارك مع ترجمة لاتينية جديدة لاعتباره ترجمة بوسينوس مغلوطة وقد طبعت غير مرة وتفرع منها ترجمتان الايطالية والسلافونية

فالترجمة الايطالية تعرف بالقديمة تمييزًا لها عن الترجمات الحديثة وقد نشرت في فرارا سنة ١٥٨٣ ثم في بولونيا سنة ١٨٧٢ والترجمة السلافونية تعرف بالترجمة الروسية القديمة تمييزًا لها عن الترجمة الروسية الحديثة نشرت في بطرسبورج سنة ١٨٧٧

(٣) الترجمة الفارسية الحديثة — وفي الفارسية عدة ترجمات من كليلة ودمنة مرجعها كلها الى النسخة العربية واقدم من عزم على ترجمتها الى الفارسية الحديثة ابو الحسن نصر ابن احمد الساماني في اواسط القرن الثالث للهجرة امر احد العلماء بنقلها من العربية الى الفارسية فنقلها ثم نظمها شاعره بالفارسية ولا نعلم مصير هذه الترجمة وانما ذكرها صاحب

كشف الظنون · واما الترجمات الباقية فاقدمها نقل ابي المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحميد بامر ابي المظفر بهرام شاه بن مسعود الغزنوي المتوفى سنة ١١٥١ للميلاد واول من نبه اليهادي ساسي واشار الى وجودها مخطوطة في مكتبة باريس وسماها نسخة نصر الله وكتب فيها مقالة انتقادية اثبت انها ترجمت حوالي سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م) ولم تطبع بعد

وجدّد هذه الترجمة ولخصها وهذبها حسين بن علي الواعظ الكاشفي وصدرها بتذكرة في تاريخ الكتاب وتعرف نسخته في اوربا بترجمة « انوار السهيلي » نسبة الى الامير السهيلي من امراء سلطان يقرا في اواخر القرن الخامس عشر للميلاد وفي هذه الترجمة قصص لا توجد في الاصل العربي · ثم جدد هذه الترجمة في اواخر القرن السادس عشر ابو الفضل بن مبارك في نسخة عرفت باسم « عيار دانش » ولم تنشر

☀ الترجمة التركية ☀ وعن نسخة انوار السهيلي الفارسية نقلت النسخة التركية المعروفة بهمايون نامه نقلها علي بن صالح الرومي المعروف بعلي جلبي والملقب بعبد الواسع عيسى استاذ الفقه في مدرسة ادرنه على عهد السلطان سليمان القانوني (سنة ١٥٢٠—١٥٦٦) وقد اشتهرت هذه الترجمة بنقلها الى اللغتين الفرنساوية والاسبانية · اما الفرنساوية فبدأ بها غالان واتمها كاردون وطبعت في باريس سنة ١٧٢٤ واما الاسبانية فنشرت سنة ١٦٥٢ — ١٦٥٨

(٤ و ٥) الترجمة العبرانية ☀ في العبرانية ترجمتان نقلتا من العربية رأساً تنسب احداها الى يوئيل وقد نقلها جون كابوا الى اللاتينية سنة ١٢٧٠ م وعرفت ترجمته باسم Directorium Humanae Vitae ومنها نقل كتاب كليلة ودمنة الى معظم لغات اوربا الحديثة · فالترجمة العبرانية المذكورة عظيمة الاهمية في تاريخ هذا الكتاب ولكنهم لم يقفوا على تاريخ ترجمتها · على انها لا ينبغي ان تعدّ احدث من سنة ١٢٥٠ وقد عثروا على نسخة وحيدة لها في مكتبة باريس فوصفها دي ساسي مطولاً في مفكراته عن المخطوطات · ونشر نيو باور قسماً منها مع ترجمة المانية في مجلة الشرق والغرب · ونشر النسخة برمتها يوسف ديرنبرج في باريس سنة ١٨٨١ مع ترجمة فرنساوية قابلها بالترجمة اللاتينية

واما الترجمة العبرانية الأخرى فهي محفوظة في مكتبة كمبريدج نقلها من العربية يعقوب ابن العازر احد كتاب القرن الثالث عشر وهو صاحب المعجم العبراني الشهير باسم « سفر هشالم » وهي كاملة تقريباً وقد نشرها ديرنبرج مع النسخة الاخرى وعلق عليها بعض الملاحظات والانتقادات

☀ ترجمات اللغات الحديثة ☀ والنسخة اللاتينية المتقدم ذكرها نشرت في اواخر

القرن الخامس عشر واخيراً سنة ١٨٨٤ وقد نقلت الى معظم لغات اوربا فنقلها غراف البهرت دي ورتنبرج سنة ١٤٨٠ الى الالمانية ونقلها جرماني آخر الى الاسبانية في سنة ١٤٩٣ ونقلها دوني الى الايطالية نحو سنة ١٥٥٢ ومنها نسخة في مكتبة كمبريدج . ومن النسخة الجرمانية نقلت الى الدنماركية سنة ١٦١٨ والى الهولندية سنة ١٦٢٣ ومن نسخة دوني الايطالية المذكورة نقلت الى الانكليزية بقلم السير توماس نورث ونشرت سنة ١٥٧٠ وسنة ١٦٠١ ومن الاسبانية نقلت الى الايطاليـة ايضاً سنة ١٥٤٨ ونقل هذه الترجمة الى الفرنساوية جبرائيل كوتيه وطبعت في ليدن سنة ١٥٥٦ ونقلت الى هذه اللغات ترجمات أُخرى في ازمنة أُخرى لا فائدة من ذكرها

(٦) الترجمة اللاتينية الشعرية — وهناك ترجمة لاتينية شعرية يظن انها نقلت عن العربية نحو القرن الثالث عشر وتعرف باسم Baldo's Alter Aesopus

(٧) الترجمة الاسبانية القديمة — وقد نقلها الاسبان رأساً من العربية في اثناء نقلهم غيرها من اداب العرب في اواسط القرن الثالث عشر وهي غير النسخة الاسبانيـة التي تقدم ذكرها. ومن الترجمة الاسبانية القديمة نقلت ترجمة لاتينية أُخرى عرفت باسم «نسخة ريموند» ذكرها دي ساسي في جملة مخطوطات مكتبة باريس يؤخذ من مقدمتها ان ريموند بزيار الطبيب نقلها بايعاز الملكة حنه دي نافار من الاسبانية الى اللاتينيـة سنة ١٣١٣ وقدمها اليها

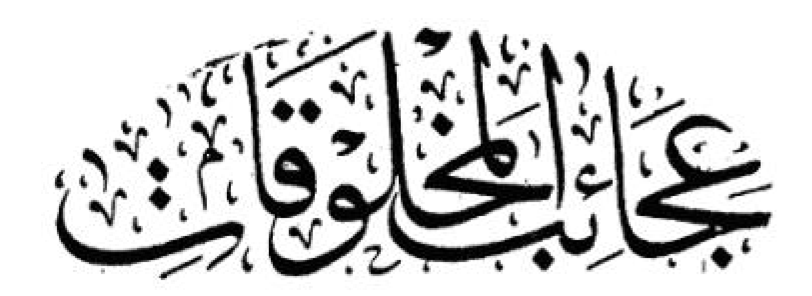
(٨) الترجمة الانكليزية — وهذه الترجمة نقلت عن العربية رأساً نقلها القس ويندهام ناتشبول ونشرت في اوكسفورد سنة ١٨١٩ ثم اعاد طبعها الاستاذ ادوار فانديك في العام الماضي ليفرقها في تلامذته

(٩) الترجمة الروسية الحديثة — وهي آخر ما نقل من الترجمات الافرنجية رأساً عن العربية نقلها مخائيل عطايا ونشرت في موسكو سنة ١٨٨٩

(١٠) الترجمة المندية الملقية . وفي جامعة ليدن ترجمة ملقية منقولة عن العربية

هـذه اهم الترجمات التي نقل اليها هذا الكتاب الجليل ومصدرها النسخة العربية التي نقلها ابن المقفع في اواسط القرن الثاني للهجرة كما رأيت . وهناك شذرات من ترجمات اخرى جاء ذكرها في بعض النصوص كالترجمة الحبشية والارمنية وترجمة أُخرى لاتينية وغيرها

وفي الصفحة التالية جدول فيه نسبة ترجمات هذا الكتاب بعضها الى بعض من تصنيفه بالسنكريتية الى الآن



البغمة Pygmies

هو لفظ يوناني الاصل معناه « طول ما بين اصل الاصابع والمرفق » و يراد به امة من الاقزام ذكرها القدماء واختلفوا في وصفها وهم بين مصدق ومكذب اقدمهم هوميروس فقد ذكرها في النشيد الثالث من الالياذة في اثناء وصفه براز منيلاوس وفاريس اذ انتظم الجيشان للقتال واليك نظم ذلك في الالياذة العربية :

نظم القواد مرى الجند   بمجا الجيشين عن الحدِ
زحف الطروادة عن بعد   بصديد عال مشتدِ
ودوي يقصف كالرعدِ
كالرهو اذا اشتد المطرُ   والقرُّ مواطنهُ يذرُ
في الجو تعجُّ له زمرُ   فوق الاقيانس تنتشرُ
للبغمة محكمة الحشدِ

وقال صاحب الالياذة العربية في تفسير لفظ البغمة « وفي قوله للبغمة اشارة الى اعتقادهم وجود امة من الاقزام بهذا الاسم لا يربو طول الواحد منها على ذراع كانوا يقولون بوجودها في بلاد اثراقة » اه

واختلف المؤرخون القدماء في تعريف هذه الامة وتعيين مكانها فقال بعضهم انها تقطن في اقاصي الجنوب وراء الاوقيانوس حيث يكثر الغرانيق فينقض على رجالها و يؤذيهم

اما هيرودوتس الرحالة الشهير فقد ذكر جيلاً من الناس قصار القامة يقيمون في اواسط افريقيا — قال ذلك عرضاً في اثناء كلامه عن شمالي افريقيا وصحراء ليبيا و ينابيع النيل على لسان خمسة فتيان من الناسمونة سكان سيرنة قرب خليج قابس اختاروهم بالاقتراع وارسلوهم للبحث عما في بادية ليبيا (الصحراء الافريقية الكبرى) قال هيرودوتس « فالفتيان الخمسة المذكورون ارسلهم اصحابهم وقد زوَّدوهم شيئاً كثيراً من الطعام والماء فدخلوا اولاً

بلاداً ماهولة ثم بلاداً فيها الوحوش الضارية بكثرة ثم تقدموا غرباً يتبطنون القفار حتى رأوا بعد سير طويل في الرمال بقعة شجراء فدخلوها واكلوا من ثمارها وبينما هم باكلون انقضت عليهم جماعة من الناس قصار القامات واخذوهم جبراً وساروا بهم في اماكن كثيرة المناقع و بعد ان اجتازوها وصلوا الى بلد كل اهله سود البشرة واجسامهم صغيرة كالاولين وكان يشق البلد نهر كبير فيه تماسيح وهو يجري من الغرب الى الشرق »

ومع هذا الوصف الصريح ما زال المؤرخون مرتابين في وجود هؤلاء الاقزام ولذلك رأيت اكثرهم اذا ذكر البغمة انكرهم وعدَّ القول بهم خرافة كما فعل استرابون او تحذر من اعتقاده صحة وجودهم · وزعم آخرون ان البغمة يقطنون اواسط الهند قال كتيسياس في وصفهم « انهم قبح الوجوه سود البشرة لا يزيد طول احدهم على ذراعين · طوال الشعر حتى يكتسوا بلحاهم فيغنيهم ذلك عن الثياب ولهم مهارة في رمي النبال يصطادون بها الذئاب والثعالب والنسور والعقبان يتكلمون لغة سائر الهنود وفيهم انفة ونخوة وماشيتهم صغيرة الحجم مثلهم » فهذه الامة اذا صح وجودها فهي غير التي ارادها هيرودوتس · واما هذه فقد ورد ذكرها في كتب العرب ايضاً قال القزويني في جملة كلامه عن الامم العجيبة الاشكال « ومنها امة في بعض جزائر الزنج قاماتهم قدر ذراع واكثرهم عور وعورهم لمحاربة الغرانيق تاتيهم وتحاربهم كل سنة فيقتل منهم ماشاء الله » فيظهر ان القزويني نقل ذلك عن قدماء اليونان

فلما اقبل التمدن الحديث باكتشافاته الجغرافية في اواسط افريقيا اكتشف بعض اهل الرحلة قبائل من السودان قصار القامة ذكروا انهم يجلسون بين يدي ملكهم وظهورهم اليه وقال آخرون ان في اواسط افريقيا قطراً كبيراً كل اهله قزم لا شغل لهم غير قتل الفيلة · وقال ستانلي يصف غابات ايتوري في الكنغو « واليها (الى الغابات) يلجأ جماعات من الاقزام لهم رغبة في القتال ومهارة في الاحتيال » لكنه لم يقل انه شاهدهم او خالطهم · واول من درس احوالهم ووصفهم السير هري جونستون على اثر عودته من رحلته الشهيرة وسماهم « اوكابي » فلم يكتف علماء الانسان بالسماع فاحبوا مشاهدة اولئك الناس عياناً فاستحثوا الكولونل هريسون على ذلك في اثناء رحلته في العام قبل الماضي فذهب الى غابة من بلاد امبوتي على نهر الايتوري فقضى فيها بضعة اشهر يترقب الفرص و يتخذ الوسائل حتى تمكن من القبض على اربعة رجال وامرأتين من امة الاوكابي ترى رسومهم في الصفحة التالية ومعهم زنجي هو المترجم بينهم و بين الكولونيل هريسون · ومهما يكن من اختلاف

الامم او الوصف فيغلب على الظن أن الاوكابي بقية تلك الامة التي ذكرها التاريخ



اربعة رجال وامرأتان من البغمة الاقزام ومعهم الترجمان

وقد قاسى هريسون مشقات جسيمة في نقل هؤلاء الستة من اواسط افريقيا الى لندرن فمرُّوا بالخرطوم ومنها الى القاهرة قضوا في ذلك عدة اسابيع قامت في اثنائها جمعيات الدفاع عن الانسان في انكلترا تعترض على اخراج اولئك الناس من اوطانهم قسراً فاضطر الكولونيل هريسون ان يبرهن للورد كرومر وللحكومة الانكليزية ان هؤلاء الاقزام انما صحبوه باختيارهم . ولما وصلوا الى لندرا اقدم علماء الانسان على تفحص احوالهم ودرس طبائعهم وهي لا تخرج عما نشره السير هري جونستون سنة ١٩٠٢ وخلاصة ذلك ان قاماتهم معدل طولها في الرجال ٤ اقدام وستة قراريط وفي النساء ٤ اقدام وقيراط واطول رجل فيهم لا يزيد طوله على خمسة اقدام اي نحو متر ونصف ووجدوا بين نسائهم من لا يزيد طولها على متر

وليس ذلك القصر عن شذوذ في الخلق وانما هو طبيعة من طبائع تلك القبائل وهي تعرف ايضاً بقبائل امبوتي او بامبوتي او وامبوتي وتمتاز عن سائر امم افريقيا بقصر القامة وبشكل الانف والشفة العليا قال السير جونستون « ان العظم الانفي فيهم يكاد يكون اثرياً ومع ذلك فقاعدة الانف عريضة جداً والمناخير منتفخة و بارزة . واما الشفة العليا فانها اكثر

نتوءا وطولاً واكثر هبوطاً مما في شفاه سائر الزنوج واما الملامح الاخرى فالذقن قطير والعنق مندمج مع قصر حتى يخيل للناظر ان الرأس متصل بالصدر مباشرة · والساقان قصيرتان لكنهما عبلتان والقدمان كبيرتان مع انحراف للداخل والشعر صوفي القوام قصير اسود مع ميل الى الحمرة وكذلك الجلد فانه ليس حالكاً كما في سائر الزنوج · واطول ما شاهده هريسون من لحاهم لا يزيد طولها على ١٥ سنتيمترًا ولكن بعض العربان اخبره انه يعرف غير واحد منهم يزيد طول لحيته على نصف متر واما سائر سطح الجسد فيكسوه زغب رفيع كثيرًا ما نشاهده في اولادنا وهم اطفال فاذا شبوا تحوّل الى شعر · واما في هؤلاء البغمة فيبقى الشعر زغباً لكنه يكتسب بتقدم العمر حمرة ويغزر خصوصاً على صدور الرجال »

واما اخلاقهم فاولها الشجاعة بلا تعدٍ ومع ذلك فقد ذكر الكولونيل هريسون ان جماعة منهم سطوا على قافلة بجيكية فقتلوا ١٧ من رجالها وسلبوا ما تحمله من السلع ونحوها · ولكنهم اشد وطأة على جيرانهم الزنوج اذا تعدَّوا على حدودهم او آذوهم في شيء من اموالهم فانهم يختفون بين الاشجار الغضة التي لا تنفذ فيها الشمس في رابعة النهار فيتربصون واقواسهم موتورة في ايديهم يراقبون اعداءهم ولا يهابون احدًا حتى الافيال الهائجة فانهم يهاجمونها ويصطادونها · وهم رحَّل لا يقيمون في بيت ولا مضرب يقتاتون بما يصطادونه من الحيوان و بالاثمار البرية · وادوات الطبخ عندهم قدور من التراب يعالجون فيها فريستهم بلا سلخ ويأكلون الجلد قبل اللحم ويقرضون اطراف العظام باسنانهم · وهم عراة لا يلبسون ثوباً من نسيج او جلد الا الذين يخالطون القبائل المجاورة فان نساءهم يأتزرن بورق الشجر ويتزينَّ بازهار يغرسنها في ثقوب لهنَّ بالشفة العليا

وهم مجردون من كل شعور ديني فلا يؤمنون بالله ولا يعتقدون بشيء من الارواح فاذا بلغ احدهم الى التاسعة من العمر تزوَّج امرأة أو عدَّة نساء · ويندر ان يعيش احدهم اكثر من اربعين سنة · و « ثمن » المرأة عندهم يختلف من عشرة نبال الى ١٥ نبلاً ولا تنتقل العروس الى بيت زوجها الا بعد ان تخلف لابيها شيئاً من الاسلحة وهي ربائبهم وآنيتهم واذا ولد لاحدهم بنت تذمر وعدَّ ولادتها مصيبة

ويرى الكولونل هريسون ان هذه الامة آخذة في الانقراض لما تقاسيه من عوارض الاقليم فان الشتاء عندهم ثمانية اشهر يهطل المطر في اثنائها مدرارًا حتى تفيض الارض ويصير ترابها وحلاً · ولذلك فان علل الحلق متفشية فيهم لا ينجو منها احد · فكأن الطبيعة قد اذنت بانقراضهم ولكل امة اجل

ومن غريب امر هذه الامة انها لا تتكلم لغة خاصة بها مثل سائر قبائل الزنوج في افريقيا وانما يقتبسون الفاظهم من لغات الامم المجاورة فيؤلفون منها لغة شبهها الكولونل هريسون باللغة الهندستانية من حيث تألفها من عدة لغات او لعلها اقرب شبهاً باللغة المالطية. واليك امثلة من لفظها. فالماء عندهم يسمى «ماني» وهو لفظ عربي الاصل والقوس اسمها «تزيبا» والجرس «ليكليكلي» وهو حكاية صوت دقه. واسم القرن «ماليدي» والرقص «اوهبلي» والتدخين «مارياباا» وقس عليه

فالامة التي ذكرها هوميروس وهيرودوتس وانكرها استرابون واختلف آخرون في وصفها منذ مئات من السنين قد اكتشفها اهل هذا القرن ونقلوا نموذجاً منها الى اعظم مدائن العالم ولله في خلقه شؤون

تزوير التحف القديمة

كثر اتجار الناس بالتحف القديمة كالاحجار المنقوشة والكتب المخطوطة ونحوها من آثار مصر وبابل واشور وفينيقية وغيرها وتعاظمت اثمان تلك العاديات وزادت رغبة الناس في اقتنائها بزيادة الثروة وارتقاء الاذواق بالعلم وسعة الاطلاع فانشأوا لها المتاحف العامة والخاصة في سائر انحاء العالم المتمدن. فآل طمع بعض الناس الى الاحتيال في كسب المال بتزوير بعض الآثار الثمينة او انتحال آثار زعموا اكتشافها واتقنوا التزوير حتى خدعوا اكبر علماء الآثار في اكبر المدن المتمدنة فكيف بسائر الناس الذين لا يعرفون قيمة ما يبتاعونه من الآثار الا بالايمان. فينبغي الحذر من الوقوع في مثل هذه الاشراك ولاسيما في مصر فان هذا الداء فاش فيها لكثرة الواردين اليها من السياح وفيهم جماعة من اهل الثروة الراغبون في اقتناء الآثار فكثيراً ما شاهدنا الباعة يحملون اصناماً من الخزف او احجاراً ملونة عليها نقوش او نقوداً او حيواناً او غير ذلك يزعمون انها مستخرجة من المدافن القديمة وما هي الا من صنع ايديهم ولبعضهم اتاتين لاصطناع امثال هذه الاصنام وشبهها فلابد من الحذر والانتباه لان تلك الحيل قد تنطلي على علماء الآثار

ومن امثلة ما ذكروه من التزويرات الشهيرة التي كادت تنطلي على اولئك العلماء ان بعض كبار المزورين حمل الى احد المتاحف الكبرى صنماً صغيراً مصنوعاً من الخشب صنعاً متقناً بما يطابق الآثار المصرية زعم انه عثر عليه في بعض المدافن القديمة بصعيد مصر

فتناوله اصحاب التحف وقد اعجبوا بدقة صنعه وسألوا صاحبه عن قيمته فطلب ثمناً غالياً جداً فاستمهلوه لاتمام البحث واخذوا في درسه وكادوا يقرون على ابتياعه فاتفق مرور احد علماء النبات المشهورين فدخل المتحف للفرجة فدعاه مديره لمشاهدة ذلك الصنم استلفاتاً لاعجابه فما عتم ان نظر اليه وتأمله حتى ابتسم وقال « انه جميل الصنعة ولكنه يدلُّ ايضاً على علاقة قديمة بين وادي النيل والعالم الجديد » فاستغرب المدير قوله واستوضحه فقال « لان هذا الصنم مصنوع من خشب لم يعرفه العالم قبل اكتشاف اميركا فاذا صح انه من آثار الفراعنة كان دليلاً على علائق كانت بينهم وبين اهل تلك القارة من ذلك العهد القديم ٠٠٠! » ثم ثبت بالبحث ان ذلك الصنم مزوَّر

واطلعنا في مجلة المشرق (عدد ٤ و ٥ سنة ٩) على مقالة ضافية للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرس الكتابات القديمة في المكتب الشرقي ذكر فيها تزويرات عديدة في آثار فينيقية واشور وبابل ومصر وغيرها جديرة بالمطالعة ننقل منها تزويرين مهمين لرجل اسمهُ شابيرا لايخلو ذكرها من عبرة وفائدة وهاك نصها :

١ ☼ الخزفيات الموابية ☼ انتشرت سنة ١٨٧٢ في لندن صورٌ ملوَّنة رسمها اثريان انكليزيان اسمهما كندر ودرايك وكانت تمثل ٢٠٠ قطعة من جملة خزفيات وجداها في ايدي جماعة من الباعة زعموا انهم اكتشفوها في بلاد مواب في عبر الاردن . وهذه الصوَر كانت مختلفة جداً بينها الآنية والاسلحة والصفائح والتماثيل الروحانية الغريبة الشكل في هيئة الكراكوز . وكان هذه الاعمال خشبية غليظة كأنها تدلُّ على تمدن قديم بادت آثارهُ وكان يزيدها غرابة كتابات عديدة بعضها نائتة وبعضها محفورة تشبه الكتابات الفينيقية وتقرب من خط نصب مشا الشهير الذي كان سبق اكتشافهُ في بلاد مواب

وحدث ان المسيو كرمون غانو مرَّ وقتئذ في لندن وعاين الصور المذكورة فقضى بعد الفحص بانها اعمال مصنوعة لا صحة لها . لكن حكمهُ لم يؤثر شيئاً في رأي الانكليزيين كندر ودرايك وانما زاد مديري المتحف البريطاني وبعض علماء الانكليز ريباً في صحة هذه العاديات الغريبة فاخذوا حذرهم منها

ولم يمرَّ على ذلك بضعة اسابيع حتى وصلت الخزفيات نفسها بعدد ١٧٠٠ الى برلين حيث كان عوَّل على بيع هذه الكنوز الثمينة صاحبها المسيو شابيرا . وكان مولد المذكور في القدس الشريف وهو يهودي النحلة لكنهُ انتحل الدين البروتستاني وانحاز بعد ذلك الى الجنسية الالمانية . وكان المسيو شابيرا يزعم انَّ هذه الدُمى تمثل اصنام بني مواب التي تكرَّر

ذكرها في الكتاب المقدس

فانتدب ذوو الامر عالماً شهيراً من الالمان اسمهُ شلوتمان ليفحص هذه العاديات ويبدي فيها حكمهُ . فما كان منهُ بعد ايام الا ان قضى بصحتها واتى لتأييد قوله بشواهد اقنعت رجال الدولة الالمانية فاشتروها كلها وعرضوها في متحف العاديات اما ثمنها الذي دفعوهُ في حقها فكان يبلغ ٧٥,٠٠٠ فرنك من مال الخزنة الامبراطورية . وهو لعمري ثمنٌ بخس اذ لم يتجاوز حق كل قطعة خمسين فرنكاً !

وبعد ذلك باشهر قليلة نال المسيو كلرمون غانو من الدولة الفرنساوية بان ترسلهُ الى القدس الشريف لمهمة علمية فقدم المدينة في اواخر سنة ١٨٧٣ وهو يفكر في فكرهِ البحث عن الخزفيات لعلهُ يتبين صحتها او يتوصل الى معرفة مصطنعيها . فبينما كان يتشاغل بمهمتهِ وهو يجول القدس وضواحيهُ ممتطياً جوادهُ الابيض جعل يترصدُ الصنعة ويتعرَّف بالفخارين ويلقي عليهم الاسئلة محترزاً فما لبث بعد ايام أن اطلع على السرّ الدفين واكتشف ارباب تلك الخزفيات المزوَّرة . فتحقق انَّ نقاش تلك التصاوير الغريبة انما هو رجلٌ يدعى سليم القاري كان عرفهُ سابقاً لما توفق الى اكتشاف نصب الملك مشا وكان سليم هذا يأخذ التراب اللازم لعملهِ من احد الفخارين ويستعين بهِ ليخرط آنيتهُ المصنوعة ثم كانا يطليان هذه المصنوعات بدهون كما رأيا في آثار خزفية قديمة ثمَّ يجعلانها في افران لتصلب وتيبس . وكان لهما خادم صغير يدعى حسان يساعدهما في العمل وينقل هذه الخزفيات حاميةً الى بيت معلمهِ بعد الغروب فتدخل في جملة الآثار الموابية التي يزعم اصحابها المدلسون انها من ثلاثة آلاف سنة بنيف . والذي اوقف المسيو كلرمون غانو على كل هذه الاسرار هو الغلام الصغير حسان الذي وصف العملية كلها للمسيو كلرمون غانو وافادهُ عن كل تفاصيلها

فاسرع المسيو كلرمون غانو الى اشاعة هذه الاسرار . فلما بلغت كتاباتهُ الى المانية قام العلماء لها وقعدوا . فكان منهم من يكذّب ومنهم من يرتاب وكتب البعض فصولاً نبذوا فيها بالشتم والسبّ المسيو كلرمون غانو ونسبوهُ الى الاغراض المستهجنة . ثمَّ عين الالمان لجنةً في القدس لاستنطاق سليم القاري ومساعديه الذين انكروا التزوير وكذلك الغلام الصغير علم ما سيلحق بهِ من العقاب اذا ما اقرَّ بذنبهِ فزعم انَّ قولهُ لمسيو كلرمون غانو كان زوراً ليتخلص من الحاحاتهِ وعنتهِ . فكانت نتيجة هذا البحث انَّ الآلهة الموابية آثار قديمة وليست بمصنوعة حديثاً

لكنَّ انتصار الكذب لا يدوم . فان العلماء الاثبات في المانية اخذوا يشكون في

صحة هذه العاديات ومن جملتهم العالمان الشهيران كوتش (Kautsch) وسوتسين (Socin) وكان الذي دعا هذين العالمين الى الريب اوّلاً صور هذه الآثار وكلها في الغرابة بمكان وبينها من الادوات التي لم يعهد الاثريون شبهها كغليون الالهة عشتروت والنقط الرمزية السبع وبعض التصاوير المشوّهة المستقبحة . وثانياً صعوبة قراءة الكتابات التي خطت على تلك الاصنام فانّ كلها كانت مستغلقة لا يستخلص منها معنىً مقبول لكن هذين العالمين توقفا عن بتّ الحكم في صحة تلك المآثر . اما الذي كشف اللثام عن وجه الحقيقة فهو المستشرق نلدكه الشهير فانه بين باصرح الدلائل ان الخزفيات الموابية مصنوعات حديثة لا تستحق الاعتبار فكان حكمهُ ضربةً لازبة على تلك العاديات الموهومة . وفي ١٦ آذار من السنة ١٨٧٦ قام المسيو ممسن الكاتب المبرز في مجلس المبعوثين وأبدى اسفهُ على ابتياع تلك الخزفيات ووجه الملامة الى الذين اوقعوا مواطنيهِ في هذهِ الوهدة وجعلوا علماء المانية عرضاً للتهكم والسخرية . وكان كلام المسيو ممسن مسك الختام لتلك الدعوى الشهيرة

٢ ✻ سفر التوراة لشابيرا ✻ الخدعة السروجية الثانية تمت ايضاً على يد اليهودي شابيرا الذي بعد حبوط آماله من الخزفيات الموابية توصل الى ان يزكى نفسهُ من كل تهمة فأقنع الالمانيين بانه خُدع كغيرهِ من العلماء فقبلوا عذرهُ وضربوا الصفح عنه لابل جازوهُ بادخالهِ في الجنسية الالمانية

بقي شابيرا سنين طويلةً ريثما خمدت تلك الحركة وسكنت الالسنة عن امر الخزفيات الموابية وهو يترقب فرصة جديدة ليلقي شبكته ويصطاد صيداً رابحاً . فلما كان شهر تموز من السنة سنة ١٨٨٥ ظهر في بعض جرائد انكلترة خبرٌ عجيب دوت له القلوب . وهو وجود نسخة اصلية من التوراة يرتقي عهدها الى ٢٧ او ٢٨ قرناً من زمن ملك الموابيين مشا . وكانت قمطرة هذا الكنز الفريد قد أُودعت في لندن في المتحف البريطاني وانتدبوا لفحصها احد كبار العلماء الخبيرين باللغة العبرانية وهو الدكتور كنسبورغ (Dr. Ginsburg) قبل ان يدفعوا ثمن هذه اليتيمة لصاحبها الذي كان يطلب في حقها مليوناً من الجنيهات الانكليزية فقط !!!

اما تاريخ هذا السفر النفيس فكان يزعم صاحبه انه اكتشف في مغارة مجاورة لمدينة أرويير القديمة في « وادي موجب » وهو ملفوف ومحنط على طريقة قدماء المصريين . وكانت الاضبارة تتركب من ١٥ او ١٦ درجاً عرضُ الدرج ثلاثة اباهم ونصف انكليزية يختلف

طولها بين ستة الى سبعة ايام · وكان الدرج من الجلد المعتق المخرَّق يدلّ على قدم عهده · اما الكتابة فكانت مخطوطة بالقلم على هيئة الجداول العمودية في عدد ٤٠ جدولاً ويتراوح كل جدول بين عشرة اسطر الى ١٢ سطراً · وكان الخط ناعماً وسطوره مرصوصة غير سوية كاد الزمان يمحوه لقدمهِ · اما صورة الحروف فكانت على شكل « نصب مشا » السابق ذكره · اما مضمون الكتاب فكان مقاطيع من سفر موسى المعروف بتثنية الاشتراع مع وصايا الله العشر فيها روايات تخالف نوعاً نصوص التوراة · ولما كان الناس في الانتظار كاد صبرهم يغلب لشوقهم الى معرفة هذا السفر الجليل الذي عقدوا عليه اكبر الآمال اسرع الدكتور كنسبرغ فقدَّم لهم عجالةً استنسخها من بعض فصولهِ ونشرها بالطبع

وكان الدكتور المؤما اليهِ يقضي الايام الطوال في فك اسرار ذلك الكتاب محتجباً في بعض المخادع السرية وبصحبتهِ شابيرا · فبينا كان كلاهما منقطعاً الى هذا الشغل الشاغل اذ حضر على بغتة المسيو كلرمون غانو مبعوثاً من وزارة معارف الدولة الفرنسوية التي كان عرض عليها شكوكهُ في صحة التوراة الجديدة وطلب منها ان ترسله رسمياً للبحث عن صدق هذا الاكتشاف · فلما دخل على الدكتور كنسبرغ وجد امامه بعض قطع من التوراة العادية وهو يدرسها وبجانبهِ النصاب اليهودي · فطلب باسم الدولة الفرنسوية ان يسمح له بدرس ذلك الاثر الفريد لكنَّ شابيرا لما رأى العلامة الفرنسوي مقبلاً انخلع قلبه وعلم انَّ حيله لا تعمل فيهِ اذا تمكن من فحص الكتاب · ومن ثمَّ جعل يقوم ويقعد ويحتجّ بألف حجة ليمنع المسيو كارمون غانو من نظر تلك الطرفة الاثيرة التي كان يؤمل منها ثروة كل حياته · وفي آخر الامر وعده ناظر المتحف البريطاني بانه لا يطلع على السفر احداً قبل ان ينتهي من فحصهِ الدكتور كونسبرغ

فكاد المسيو كارمون غانو ان يعود بصفقة الخاسر لكنهُ وجد في المتحف البريطاني قطعتين صغيرتين من التوراة المذكورة عرضتا في جملة عاديات المتحف البريطاني لفرجة الزوَّار فاخذ يمعن النظر فيهما ويقابلهما بما رآه على مكتب الدكتور كونسبرغ عند دخوله عليهِ وكان طبع في ذاكرتهِ صور تلك المقاطيع · ولم يزل يتحرَّى تلك النتف القليلة حتى بان لهُ تحت الرغوة اللبن الصريح ووجد ما في الزوايا من الخبايا وعلم ان التوراة خدعة تولاَّها ذلك الثعلب اليهودي شابيرى

فقدَّر مسيو كارمون غانو انَّ اديم تلك التوراة مقدود من بعض نسخ الكتاب المقدَّس التي يتداولها يهود فلسطين منذ ٢٠٠ او ٣٠٠ سنة وان شابيرا اخذ اطرافها الخالية من الكتابة

وغمسها في محلول من الزيت والخمر ليزيد بذلك عتقها ثم عمد الى تلك القطع فخرزها بعضها ببعض وكتب عليها فصولاً من كتاب تثنية الاشتراع احد اسفار التوراة بحرف شبيه بنصب مشا الشهير . لكنهُ اخذ السفر المذكور ونظمهُ على طريقة جديدة اخترعها ظهرت لهُ اقرب من اقوال المنتقدين في عصرنا

وبيانًا لتقديرهِ هذا استلفت المسيو كلرمون غانو انظار العلماء الى بعض خطوط التسطير التي كان سطرها كتبة التوراة التي قدّت منها هذه السيور الجلدية عند كتابتهم لها منذ قرنين او ثالثة فهذه السطور كانت تظهر على هوامش المقاطيع المقدودة بيد شابيرا لنسخ توراته . وقد سبق ان شابيرا كان جمع بين هذه القطع وخاطها عند كتابتهِ عليها الا انه كان يظهر للمتأمل ان بعض الاطراف المقصوصة حديثًا اجدّ قطعًا واحدث قصاً من الاطراف التي لم يقصها المقصان

فتأكد المسيو كلرمون غانو بان هذه القوس من تلك النبعة وارسل الى جريدة التيمس فصلا في ذلك يكشف فيه الغش والافك فتنبه الدكتور كونسبرغ الى الخديعة واسرع الى نشر نتيجة بحثه دون ان يشير الى ما قرأه في التيمس مصرحا بان التوراة مزوَّرة . وكان الدكتور قضى ٢٠ يوما في تعب ونصب والغالب على ظنه ان الكتاب قديم صحيح

اما شابيرا فما كاد يطلع على اسطر التيمس حتى «شمع الخيط» خفيةً وبلغ بعد قليل بلاد هولندة . لكن حبوط آماله من تلك القنيصة التي كان يترقبها بعد الجدّ والجهد اثر في دماغه فأصيب بضرب من الجنون وشاع بعد اشهر قليلة انهُ مات منتحرا

(انتهى من المشرق حرفياً)

الكذَّاب لا يسود

قال الثعالبي في لطائف المعارف : ما رأينا شيئاً يمنع من السؤدد الاَّ وجدناه في سيد من السادة واول ذلك الحداثة وقد ساد ابو جهل قريشاً وما طرَّ شاربهُ ودخل دار الندوة وما استوت لحيتهُ ثم البخل وقد ساد ابو سفيان وكان بخيلاً . والظالم لا يسود وقد ساد حذيفة بن بدر وكان اظلم من حية والاحمق لا يسود وقد ساد عيينة بن حصن وكان احمق . ولا يعرف في العرب والعجم كذَّاب ساد

العلم الانكليزي — جاء صفحة ٣٦٧ سطر ١١ من الهلال الماضي « الله واهليني » صوابهُ « الله وحقي »

باب السؤال والاقتراح

تاريخ التمدن الاسلامي

(زحلة لبنان) عيسى افندي اسكندر المعلوف

تقدمني كبار العلماء الوطنيين والمستشرقين الاعلام فأثنوا على مباحثكم الشائقة في الروايات والتاريخ مما يتعلق بالاسلام فشاركتهم مع تقصيري عنهم بالثناء على اهتمامكم بالبحث والتنقيب في تاريخ أمة أحييتم مآثرها بكتاباتكم التي نرى منها كل يوم شيئاً جديداً مفيداً

ولما كنت مولعاً بمثل هذه المباحث ولا سيما ما يتعلق منها بآداب اللغة العربية طالعت الاجزاء الاربعة من هذا التاريخ النفيس مراراً وأعجبت اعجاب غيري بما تتجشمونهُ في مباحثكم من السهر والمطالعة الكثيرة تبسطاً في الموضوع وتقصياً في البحث وتعمقاً في التحقيق فضلاً عن الفلسفة في الابحاث التي هي من أهم أعمال المؤرخين والانتقاد الصحيح على غير تشيع ولا تشف وهو من أركان العلم في عصرنا فجزاكم الله خيراً

وقد سنح لي في اثناء مطالعتي افكار لم أشأ ان أبقيها في النفس فجئت أعرضها على صفحات هلالكم الاغر لعلكم تتكرمون بنشرها وافادتي عما ربما وهمت فيه ولكم الفضل

(١) انني بعد مراجعة المصادر التي اخذتم عنها بعض مواضيع الكتاب رأيت عدد الكتب التي نقلتم عنها في الاجزاء الاربعة المطبوعة أكثر من مائة ولكنها تشوش اذهان الذين لم يطلعوا عليها كلها أو بالاحرى الذين لم يعرفوا اختلاف طبعاتها ونسخها حتى أنهم حسبوا الكتاب الواحد اثنين مثل استشهادكم باليعقوبي في محل وفي كتاب البلدان في آخر وبالعكس اي ربما عدوا الكتابين واحداً مثل قولكم العقد الفريد تارة والعقد الفريد للملك السعيد أخرى الى غير ذلك مما كرر مثل الخطط التوفيقية طوراً وعلي باشا مبارك تارة والبيان والتبيين في جزء والبيان في آخر • وشعراء السريان ثم شعراء السريان

للقرداحي ورسائل شبلي في اللغة الهندستانية ثم الشقائق النعمانية • والانسكلوبيذية ثم دائرة المعارف البريطانية • والمعارف لابن قتيبة والمعارف ومثل ابن عساكر نسخة كريم وابن عساكر خط مما لا يلتبس على مثلكم ممن عرفوا كل هذه المؤلفات

فلهذا نقترح على جنابكم اذا شئتم تذييل الجزء الاخير الذي يصدر في هذا العام بفهرس لجميع المؤلفات التي نقلتم عنها أو طالعتموها كما ذكرتم في مقدمات الاجزاء المطبوعة مقتصرين في الاقل على ذكر اسم الكتاب ومؤلفه ومحل طبعه وتاريخ الطبع أيضاً مع الاشارة الى ان المؤلف توفي مثلاً في سنة كذا أو في قرن كذا • ولا سيما وصف المخطوطات وكتب المستشرقين اذ لا يخفى ما في هذا من الفائدة التي تكون خير خاتمة للكتاب ولعلكم تسترسلون الى ذكر مآخذ الجزء الاول فتتم الفائدة

(٢) نقترح ايضاً وضع فهرس في آخر الاجزاء على حروف المعجم يتناول جميع مباحث الكتاب ويسهل على المطالع مراجعة ما يطلبه وهي فائدة أخرى لا تقلُّ عن الاولى مقاماً وحبذا لو وضعتم فهرساً للمدن والبلدان ووفقتم بين اسمائها ومواقعها قديماً وحديثاً كما يفعل المستشرقون في كثير من كتبهم

(٣) أراكم اغفلتم عند ذكر التواقيع في الجزء الاول صفحة ١٩٣ والثالث صفحة ٨٢ تواقيع الاندلس وليتكم اوردتم واحداً منها مثل توقيع عبد الرحمن بن الحكم الى بعض عماله وقد سأله عملاً رفيعاً لم يكن من شاكلته « من لم يصب وجه مطلبه كان الحرمان أولى به »

(٤) اسندتم في الجزء الاول صفحة ١٩٥ التوقيع المشهور « لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت » لجعفر بن يحيى البرمكي ثم اسندتموهُ في الجزء الثالث صفحة ٨٢ لعمر بن عبد العزيز الاموي نقلاً عن المسعودي فاي الروايتين أصح

(٥) قرأت في الجزء الثالث صفحة ١١١ ما محصله ان الصولي الف كتاباً في اشعار خلفاء بني العباس فحسدهم خلفاء بني امية بالاندلس وكان هم الحكم من يؤلف له كتاباً في شعراء الخلفاء من بني أمية ولم تزيدوا على ذلك وهو منقول عن نفح الطيب للمقري ولكنني وقفت في مطالعاتي على ان هذا الكتاب الفه للمستنصر بالله الاندلسي ابو محمد والد الفقيه يونس بن عبد الله بن معتب قاضي الجماعة بقرطبة كما ذكر ذلك الفتح ابن خاقان في كتابه مطمح الانفس ومسرح اهل التأنس في ملح اهل الاندلس [1] ولعل

(١) راجع كتاب مطمح الانفس المطبوع بالاستانة العلية في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ صفحة ٥٩ ومؤلفه الفتح بن خاقان من علماء القرن السادس للهجرة

الكتاب فقد فلم يشر المقري اليه

كنا نود اطلاقكم عنان القلم في كثير من الابحاث ولا سيما في ما يتعلق منها بالاندلس التي استبحر سكانها بالعمران وكانت آدابهم راقية في معارج العلاء ولكن احالتكم ايانا على تخصيصكم هذه المباحث لكتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) الذي تعانون وضعه يعللنا بالاستفادة قريباً من هذه المباحث التي يشقُّ على غيركم الاجادة فيها ولعلكم تجعلونه تتمة الهلال في السنة القادمة — هذا ما تطفلت به الآن للاستفادة من ابحاثكم والله يتولى اعمالكم بهدايته

✻ الهلال ✻ نشكركم على حسن ظنكم بنا ونثني على رغبتكم في احياء آداب اللغة العربية . اما المصادر التي رجعنا اليها في تاليف تاريخ التمدن الاسلامي فقد عزمنا منذ شرعنا في تاليفه ان ناتي على ذكرها في الجزء الاخير من الكتاب المذكور مع الاشارة الى الطبعة ومكانها واسم المؤلف وسنة وفاته . وكذلك الفهرس الابجدي لمباحث الكتاب

اما توقيعات الخلفاء فانما اوردنا منها انموذجاً ولم نتعمد الاتيان عليها كلها ولو اردنا ذلك للأنا بضع عشرة صحيفة بتوقيعات الخلفاء والامراء والوزراء والسلاطين في الدول الاسلامية فضلاً عن توقيعات ملوك الفرس ووزرائهم

واما توقيع « كثر شاكوك وقل شاكروك الخ » فقد نقلناه في الجزء الاول عن العقد الفريد صفحة ١٨٣ ج ٢ وهو ينسبه الى جعفر البرمكي ونقلناه في الجزء الثاني عن المسعودي وهو يعزيه الى عمر بن عبد العزيز وكلا الكتابين ثقة فيحتمل ان يتفق الاثنان على توقيع واحد او يكون جعفر قد اقتبسه من عمر

واما ما ذكرناه عن كتاب اشعار خلفاء بني امية فهو الصحيح ولا خلاف بينهُ وبين ما ذكره الفتح بن خاقان لان الحكم هو المستنصر بالله نفسهُ وكان يعرف باحد الاسمين او بكليهما معاً وهو الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله تولى الاندلس سنة ٣٥٠ وتوفي سنة ٣٦٦ هـ ولم يغفل صاحب نفح الطيب اسم مؤلف الكتاب فقد ذكر انهُ ابو محمد والد يونس بن عبدالله بن مغيث (وليس معتب) وانما اقتصرنا من خبره هناك على ما يهمُّ تاريخ التمدن وتركنا سائره لكتاب آداب اللغة العربية وهو الكتاب الذي وعدنا بتاليفه منذ أعوام ونحن عازمون على الشروع بنشره بعد الفراغ من تاريخ التمدن الاسلامي فنصدر الجزء الاول منهُ في آخر السنة الخامسة عشرة من الهلال وبالله التوفيق

واحة سيوة

ورحلة الجناب العالي اليها

(الاسكندرية) حسن افندي حسني المخزومي

قرأنا في الصحف المصرية عن رحلة الجناب العالي في الصحراء الغربية الى واحة سيوة على عربة تجرها الافراس فاحببنا معرفة هذه الواحة والاطلاع على تاريخها وسائر احوالها ولا تحيلونا على الاهلة الماضية • ونرجو بيان الطريق الذي سار سموه فيه

(الهلال) الواحة بقعة من الارض خصبة محاطة بصحراء مقفرة كالجزيرة في البحر • وفي الصحراء غربي وادي النيل واحات كثيرة تابعة للحكومة المصرية منها واحة سيوة وهي واقعة غربي الدلتا على مسافة عشرة ايام من الاسكندرية تابعة في احكامها لمديرية البحيرة • وهي عبارة عن غوطة طولها ستة اميال وعرضها خمسة تكتنفها الاكام من كل الجهات فتظهر لمن يشرف عليها كانها بئر عميقة • وفيها الاشجار والاغراس من النخيل والزيتون والرمان والعنب وغيرها مما يستغرب وجوده في وسط تلك الصحراء • وفي منتصف الواحة قلعة قديمة لم يبق منها الا السور مستطيل الشكل مبني من الحجر والطين له اربعة ابواب يحيط به مسطح يسطحون عليه الزيتون والرمان لتجفيفهما • وتخترقه قناة يجري فيها الماء عذباً يتفجر بالاصل من عين يقال لها عين الخدم • وفي داخل السور ابنية قليلة في جملتها ضريح على اسم سيدي سليمان

ومدينة سيوة قسمان احدهما واقع شرقي السور ويقال له الشرقي والآخر واقع غربي السور ويقال لهُ الغربي ويشاهد في جنوبي السور قرية صغيرة هي اطلال سيوة القديمة قبل الفتح المصري • والقسم الشرقي حيان يسميان السبوخة وأوغرمي بينهما ارض زراعية فيها بساتين وينابيع وعدد بيوتها جميعاً الف بيت وعدد بيوت القسم الغربي خمسمائة

واصل تربة سيوة رملية لكنها لكثرة المياه أصبحت خصبة ويقدرون الارض الزراعية فيها بالف فدان يزرعون فيها الحبوب كالقمح والذرة والشعير والفاكهة والخضار والاشجار واكثرها من النخيل فان فيها نحو ١٥٠,٠٠٠ نخلة والبلح السيوي مشهور بحلاوته

أما الحيوانات الداجنة فقليلة جدًّا لايكاد يزيد ما فيها من ذلك على خمسين رأس بقر و٢٠٠ حمار و ٥٠ حصاناً وبعض الكلاب والقطط لان فقراءهم يأكلونها اما الطيور الداجنة فلا يخلو منها بيت

وهواؤها رديء فتكثر الحميات فيها صيفاً و يكثر فتكها بالغرباء اكثر مما بالاهلين لانهم قد تعودوها فاذا اصابتهم الحمى لا يتخذون دواء لدفعها لئلا تغضب فتنتقم منهم ! .. على ان الاطباء لا وجود لهم في سيوة فينوب عنهم الحلاقون والدجالون الا طبيب المركز

وعدد سكان سيوة نحو ستة آلاف نفس اكثرهم من الفقراء وديانتهم الاسلام وهم فريقان احدهما ينتمي للطريقة السنوسية نسبة الى زعيمها « السيد محمد السنوسي » الذي كان يقيم في واحة جغبوب شمالي سيوة ثم انتقل الى الكفرة واهل هذا الفريق يسكنون القسم الغربي من سيوة والفريق الآخر ينتمي الى الطريقة المدنية نسبة الى زعيمها السيد محمد الظافر المدني نزيل الاستانة العلية وهم سكان القسم الشرقي

وبين الفريقين منافسة قديمة حدث بينهما بسببها مشاجرات متوالية لا تزال الى الآن فكثيرًا مايقوم الفريق الواحد على الآخر بالسلاح والنبابيت حتى يشتد اللجاج فيعمد شيخ من كبار مشايخهم الى القرآن الشريف فيعلقه في عنقه و يدخل بين الفريقين ومعه بعض الاتباع ينادون « جاءكم كتاب الله » فيكفون عن القتال ويتحاكمون الى مجلس ملي مؤلف من كبار الفريقين فيحكم بينهم وترجع الاحكام اخيرًا الى مديرية البحيرة و ينوب عن الحكومة المصرية في سيوة مأمور مركز ووكيله وقاض وبعض الكتّاب والعساكر

اما اهل سيوة الاصليون فانهم كثيرو المشابهة باهل المغرب بملامحهم واخلاقهم وازيائهم وعاداتهم من الطعام والشراب لكنهم يتكلمون لغة خاصة بهم غير العربية واكثر تجارتهم من التمر والزيتون والزبيب فيفد تجار الاسكندرية اليهم في ايام المواسم كل عام يحملون الاقمشة والبضائع و يعودون بالتمر والزيتون والزبيب

اما رحلة الجناب الخديوي اليها بالمركبة فهي فريدة في بابها لانهُ ركب اليها في عربة تجرها ثلاثة من جياد الخيل وركب رجال معيته على الخيول أو الهجن . فسافر سموّهُ من المنتزه في ١٠ فبراير الماضي على القطار الحديدي الى سيدي عبد الرحمن مسافة ١٣١ كيلومترًا ثم ركب الاتوموبيل الى جهة الكنائس نحو ٨٠ كيلومترًا حيث كانت الحملة المعدة لخدمة سموّه في انتظاره باحمالها وخيولها وهجانها . وفي ١٢ فبراير برح نقطة الكنائس باكرًا على المركبة تجرها ثلاثة [illegible] الزمن تقطع بها ٥٠ كيلومترًا الى مرسى مطروح فاستراح يومين [illegible] نحو الجنوب [illegible] فبلغ الركب في ١٦ منه في « البئر الحلوة » [illegible] والانخفاض الى [illegible] زراعية مكسوة بالمراعي تتخللها مضارب [illegible] فيها ولا

نبات . فقطع سموُّه تلك المسافة على المركبة في اربعة ايام . وثاني يوم وصوله ركب مركبتهُ مع بعض الحاشية الكريمة وكوكبة من الحرس ويمم المدينة وكان اعيانها في انتظار تشريفه فاستقبلوه والناس مصطفون ألوفاً يهللون و يكبرون ويدعون بطول بقائهِ فتفقد سموُّه احوال ذلك المركز وموظفيه ومزارعه فقضى في ذلك بضعة ايام حتى اقلع عن تلك الواحة في ٢٦ فبراير عائداً الى مرمى مطروح فوصلها في ٣ مارس ووصل في مساء ٦ منه الى المنتزه العامر سالماً معافىً وتدلُّ هذه الرحلة على همة شماء ورغبة في تفقد احوال الرعية واستطلاع مابعد منها وما قرب — رافقه التوفيق في كل طريق



باب المراسلات

الرضاعة

في الطب والاسلام

حضرة صاحب الهلال

نشرنا في هلال ديسمبر الماضي رداً على حضرة العالم الفاضل صاحب جريدة (نير آصفي) التي تصدر في (امرتسار الهند) أبنا فيهِ ان الرضاع في الطب والاسلام واحدٌ . ولم نقصد في كلامنا غير ردّ خطأ المنتقد وتطبيق الآية على القوانين الطبية مستندين بذلك الى تفاسير المحققين من ائمة الدين الاسلامي

ويظهر ان الاسلوب الذي اتخذناه في شرح آية الرضاعة قد وقع موقعاً حسناً في قلوب العقلاء من الطائفة الاسلامية في هذا القطر فجاءنا بعد نشر تلك الكلمة كتابٌ من حضرة صاحب التوقيع قال فيه :

« جناب الدكتور اسكندر الجريديني طبيب العيون بطنطا

« بعد اهداء مايليق اطلعت على كتابتكم في هلال ديسمبر الجاري فشكرت اخلاقكم وحسن اسلوبكم عما ينصه القرآن الشريف ولكن جئت بهذه الوريقة لاقول لكم ان الرضاع في الاسلام هو هو في القانون الطبي . ولكن الناظر الى قوله تعالى (حولين

القاب الشعراء

اليك اشهر الشعراء الذين اخذت القابهم من بعض اقوالهم
عن لطائف المعارف

(المرقش) اسمه عوف بن سعد بن مالك ولقب بذلك لقوله :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقشَ في ظهرِ الاديمِ قلم

(الممزّق) هو شأس بن نهار العبديّ لقب لقوله :

فان كنت مأ كولاً فكن خيرا آكل والاّ فادركني ولما امزّق

(المخرّق) واسمه عباد لقب بذلك لقوله :

انا المخرق اعراض اللئام كما كان الممزّق اعراض اللئام أبي

(المتلمس) هو جرير بن عبد المسيح الضبعي لقب بذلك لقوله :

فهذا اوان العرض حيّ ذبابه زنابيره والازرق المتلمس

(النابغة) هو زياد بن معاوية الذبياني لقب بالنابغة لقوله :

وحلّت في بني القين بن جسرٍ وقد نبغت لنا منهم شؤون

(أفنون) هو صريم بن معشر التغلبي لقب بذلك لقوله :

منيتنا الودّ يامضنون مضنونا أزماننا ان للشبان أفنونا

(تابط شرًّا) هو ثابت بن جابر لقب بذلك لقوله :

تابط شرًّا ثم راح او اغتدى

(اعصر) هو منبه بن سعد لقب بذلك لقوله :

قالت اميمة ما لرأسك بعدما افد المشيب اتى بلون منكرِ

أُميم انّ اباك غيَّر لونه مرُّ الليالي واختلاف الاعصرِ

(المستوغر) هو عمر بن ربيعة بن كعب لقب بذلك لقوله :

ينشُّ الماء في الربلات منها نشيش الرضف في اللبن الوغير

(الاسعر) هو مرثد بن ابى حمران الجعفي لقب بذلك لقوله :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك لئن انا لم اسعر عليهم وأُثقب

(طرفة) هو عمر بن عبد لقب بطرفة لقوله :

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطّرفا ولا اميريكما بالدار ان وقفا

(المسيَّب) هو زهير بن علس لقب بذلك لقوله :

اذا سركم ان لا يؤوب اليكم غرارٌ فقولوا للمسيب يسرح

(عوَيف القوافي) هو عويف بن معاوية بن عقبة لقب بذلك لقوله :

سا كذب من قد كان يزعم انني اذا قلت قولاً لا اجيد القوافيا

(المزرّد) هو يزيد بن ضرار اخو الشماخ لقب بذلك لقوله :

فقلت تزرّدها ضرار فانني لدرد الموالي في السنين مزردُ

(البعيث) هو خداش بن بشير لقب بذلك لقوله :

تبعَّث مني ما تبعث بعد ما أُمرّت قواي واستمرّ عزمي

(ذو الرُّمة) هو غيلان بن عقبة لقب بذلك لقوله :

اشعث باقي رمَّة التقليد

(جران العود) هو المستورد العقيلي لقب بذلك لقوله لامراتيه :

خذا حذاراً ياطلتيَّ فانني رايت جران العود قدكاد يصلح

(القطاميّ) هو عمر بن شتيم لقب بذلك لقوله :

يحطُّهنَّ جانبا فجانبا حط القطاميّ قطاً قواربا

(موسى شهوت) مولى قريش لقب بذلك لقوله ليزيد بن معاوية :

انت منا وليس خالك منا يا مضيع الصلاة للشهوات

(العجاج) هو عبد الله بن رؤبة لقب بذلك لقوله :

حتى يعج ثخناً من عججا

(الرُّقيات) هو عبدالله بن قيس نسب الى الرقيات لانه كان ينشب بثلث نسوة من قريش اسم كل منهن رقية ويقال بل لقوله :

رقية لا رقية لا رقية ايها الرجل

(الاخضر) هو الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب لقب بذلك لقوله :

وانا الاخضر من يعرفني اخضر الجلدة من بيت العرب

(عائد الكلب) هو مصعب بن عبد الله الزبيري لقب بذلك لقوله :

مالي مرضت فلم يعدني عائدٌ منكم ويمرض كلبكم فاعود

(صريع الغواني) هو مسلم بن الوليد الانصاري لقبه الرشيد بذلك لقوله :

هل العيش الا ان تروح مع الصبى وتغدو صريع الكاس والاعين النجل

(غبار العسكر) هو مروان الاصغر ابو السمط لقب بذلك لقوله :

لما سئلت عن المشيب اجبتهم هذا غبارٌ من غبار العسكر

(مقبّل الريح) لقب بذلك لقوله :

ياهندما تأمرين في رجل قد اشتفى من فؤاده الكمد
هبت شمال فقيل من بلد انت به طاب ذلك البلد
فقبّل الريح من صبابته ماقبّل الريح قبله احد

لبن الام ولبن المرضع

كلما تقدَّم الطب وارتقت الابحاث الطبية واتسع اختبار الاطباء تقرَّر في اذهان العقلاء ان افضل الوسائل لحفظ الصحة والوقاية من المرض ان يسالم الانسان الطبيعة ويسايرها ويعمل بقوانينها على بساطتها قبل ما احدثهُ هذا التمدن من بواعث الراحة والتفنن الممقوت في اسباب الرفاه . فالسكنى في الخلاء خيرٌ من السكنى في المدن والطعام البسيط خيرٌ من الطعام المركب واللباس الساذج الواسع خيرٌ من اللباس الضيق المزخرف والمشي على الاقدام خيرٌ من ركوب المركبات وقس على ذلك كل ما غيَّره التمدن الحديث من اساليب الحياة . فترانا كلما بعدنا عن مقتضيات الطبيعة زدنا شقاء ومرضاً وبلاء . ويصدق ذلك على الخصوص في اغفال الامهات ارضاع اولادهنَّ وترك ذلك للمراضع أو للخدم يرضعون الطفل بالآلة (الرضّاعة) رغبة في التفرغ للقصف والبذخ ومجالس الانس أو التماساً للراحة في اثناء الليل فلا يقلقهن صياح الطفل يطلب الرضاع

وقد اهتم علماء العمران والاطباء في درس هذا الموضوع لان الاطفال جراثيم الامة فاذا كانوا اقوياء قويت واذا ضعفوا ضعفت فوجدوا بالاستقراء الطويل والبحث الدقيق ان الامة التي يربو اطفالها في حجور امهاتهم ويرضعون من ألبانهنَّ اصح ابداناً واقوى عقولاً من الآخرين . وقد عني اطباء المانيا بتمحص هذا الامر جيداً في بلادهم فوجدوا معدَّل وفيات الاطفال الذين يغتذون بغير لبن امهاتهم نحو عشرين ضعف الذين يغتذون بألبانهنَّ — وهو فرق فاحش . ويؤخذ من بعض الاحصاآت في نروج ان مقاومة الامراض تقوى في العائلات التي يربو اطفالها في احضان امهاتهم . ومن حسن حظ هذه الامة ان العادة (الموضة) عندهم اليوم ان ترضع الام طفلها بنفسها وتتفاخر الامهات بذلك

من ذلك عمد احدهما الى الثياب المبتلة التي خلعها ابني فلفها بالمنطقة وشدها الى السارية . وبالاجمال فقد عاملنا هؤلاء الناس معاملة الاصدقاء الغيورين . فبتُّ تلك الليلة وهم هنا واصبحت فرأيت الرجل راكباً عمود مقدم السفينة كما يركب الجواد ويداه فوق حاجبيه يتفحص الافق ويستطلع حال البحر فخطر لي حينئذٍ انهُ من رؤساء القرصان يبحث عن غنيمة أخرى . وفي الصباح التالي أفقتُ واذا اولئك الاضياف قد فارقونا فسررنا بفراقهم . وما كدنا نفرح حتى رأيناهم عادوا الى الركوب في سفينتنا وخدمتنا وهم انما يخدمون انفسهم بمراقبة الافق يبحثون عن غنيمة . فمللت الصبر على ذلك فعزمت على التخلص منهم بالقبض على زعيمهم صاحب الرجل الحديدية فبعثت ابني يستقدمهُ وكأنهم شعروا بغرضي ففارقونا الى الابد . »

هذه خلاصة ما حكاه القبطان وهو يقسم ان كل حرف منهُ صحيح ولا غرابة في ذلك لان القرصان قد يعيشون في البحر اياماً يترصدون فرائسهم . ولو لم تدون هذه الحادثة حال حدوثها وتطبع وتنشر بل ظلت شائعة على الالسنة لنمت مع الزمان وتجسمت حوادثها واشبهت حوادث السندباد . اذ لابد لهذه من اصل حقيقي نحو ما تقدم من رحلة يوهنسن وقد انماها الزمان وجسمها

مطبوعات جديدة

قاموس ابكاريوس هو قاموس انكليزي عربي للمرحوم يوحنا ابكاريوس احد وجهاء بيروت وادبائها وصاحب كتاب قطف الزهور في تاريخ الدهور . الفه منذ نيف وعشرين سنة فظهرت طبعته الاولى في بيروت سنة ١٨٨٢ وهو اول معجم من نوعه صدر في الشرق ولم يبقَ احد ممن تعلم اللغة الانكليزية بمصر والشام في الربع الاخير من القرن الماضي الا استفاد منه . فنفدت هذه الطبعة في بضع عشرة سنة فاعيد طبعه ثانية . حتى اذا نفدت الطبعة الثانية عني نجلهُ الدكتور يوسف ابكاريوس المتخرج من مدارس انكلترا بتنقيحه والزيادة فيه حتى يوافق حاجة العصر . فادخل فيهِ كثيراً من الموضوعات الحديثة للعلوم والفنون كالطب والكيمياء والطبيعيات وغيرها وكل ماهو بمثابة المفردات من أساليب التعبير الخاصة باهل ذلك اللسان وتوسع في ترجمة سائر المفردات وضبط معانيها فزادت

صفحاته نحو ٣٠٠ صفحة . وفي ذيله ملحق لمختصرات اصطلاحية مرتبة على حروف المعجم وملحق آخر في العلامات التجارية والفلكية وغيرها مما لا غنى عنه في درس اللغة الانكليزية . وقد ضبطت الفاظه بنبراتها على الاصطلاح الانكليزي واعيد طبعه ثالثة في المطبعة الاميركانية ببيروت طبعاً متقناً وقف عليه الدكتور فرنكلن هسكنس فدخل في ١٠٦٣ صفحة كبيرة . وانتقي منه الكلمات الاكثر استعمالاً مما يفتقر اليه تلامذة المدارس جعلها طبعة مختصرة . وثمن النسخة المطوَّلة مئة وخمسة عشر غرشاً مصرياً والمختصرة ستون غرشاً غير اجرة البريد وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر

❊ دليل الحيران الى لغة عرب السودان ❊ هو معجم لغوي اصطلاحي فريدٌ في بابهِ الفهُ حضرة البكباشي امري مساعد مدير المخابرات في الجيش المصري ضمنه اكثر الالفاظ المصطلح عليها في الحربية المصرية ومكاتب الحكومة السودانية والكلمات المستعملة في لغة عرب السودان العامية . دعاه الى ذلك شعوره بشدة الحاجة اليهِ للموظفين الانكليز في الحكومة السودانية مما لا يغنيهم عنهُ المعجمات المتداولة لان بعضها مسبوك في قالب عربي فصيح وبعضها في قالب اللغة العامية السورية أو المصرية وليس في واحد منها شيءٌ من اللغة السودانية . لان هذه اللغة مع كونها عربية لها اصطلاحات مستقلة بنفسها يجهلها الاساتذة الذين يستعين بهم الانكليز في تعلم اللغة العربية . وقد صدَّر الكتاب بمقدمة بين فيها الغرض من تأليفه وذكر المصطلحات اللفظية التي عوَّل عليها فيه وضمنها كثيراً من الفوائد اللغوية قابل فيها بين العامي والفصيح . ويلي المقدمة القاموس مرتباً على الابجدية الانكليزية وبجانب اللفظة الانكليزية معناها العربي السوداني ثم لفظ المعنى العربي باحرف انكليزية . ويلي القاموس ملحقات في اسماء الالوان والايام والاشهر والاصوات التي تساق بها الدواب وتفسيرها ومعاني الرتب والالقاب والوظائف العسكرية والمدنية وما يقابلها بالانكليزية واجزاء الساقية وما يتعلق بها والاوزان والمقاييس وتعيين مقاديرها . واخيراً امثلة من مراسلات او حكايات بلغة السودان وبجانبها تفسيرها ولفظها . وفي الخاتمة امثلة من الاغاني السودانية وتفسيرها ولفظها وبالجملة فان الكتاب جزيل الفائدة لمن يعامل السودانيين أو يحب الاطلاع على لغتهم واصطلاحاتهم . وهو يدخل في نحو ٤٥٠ صفحة كبيرة ويطلب من مكتب المخابرات بمصر والخرطوم وثمنهُ ستون غرشاً مصرياً غير اجرة البريد

❊ بحر الآداب ❊ لحضرة الاخ بلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير بمصر عناية كبرى بخدمة اللغة العربية من الوجهة المدرسية بما يؤلفه من الكتب التهذيبية

القراءة والنحو والانشاء في سلاسل تتدرج حلقاتها من البسيط الى المركب مما يسهل الفهم والحفظ على طلاب هذه الفنون . وبين يدينا القسم الاول من الجزء الخامس لكتاب بحر الآداب وموضوعه الانشاء واساليبه والحث على اتقانه وامثلة من جيده — وقد اعجبنا من تعريفه الانشاء قوله :

« لا شك ان حالة الكاتب والمصوّر في اشغالها واحدة فان هذا يرسم بنقاشه ما يكتبه ذاك بقلمه وكلاهما يستعين بما يعلمه وينظره ويسمعه ويتخيله ويتأثر به مراعياً احوال معاصريه وآدابهم واخلاقهم واذواقهم وحاجاتهم فلذا يفرق بين شعراء الجاهلية والاسلام وبين كُتّاب الدولة العباسية وكتّابنا وبين أدباء الشرق والغرب وبين حملة الاقلام في كل زمان ومكان كما يفرق بين المصوّرين واعمالهم فيقال تصوير نهضة سنة ١٤٥٣ وتصوير القرن السابع عشر مثلاً . وكذا بين مصوري ايطاليا واسبانيا وفرنسا وانجلترا وغيرهم . وينبني على ما تقدم انهُ لا ينبغي ان تكون خطة كتابنا في الانشاء كخطة الاقدمين لما تبدّل من متن الهيئة الاجتماعية وتوفر من اسباب الرفاهية وتمهد من طرق المواصلة ووسائل العمران اذ لنا علومنا وآدابنا واخلاقنا واذواقنا وحاجاتنا وكانت لهم علومهم وآدابهم الى غير ذلك من الامور التي نتباين فيها كل التباين حتى ان اهالي تلك الاعصر الخالية لو رجعوا الى ازمنتنا لا نكروا الارض ومن عليها واعتقدوا ان ما يشاهدونه ليس من مبتكرات الانسان بل يكادوا يعرفون شيئاً مما عرفوه قبلاً . فيجب على كل كاتب ان يستنفد وسعه في جعل كتابته مطابقة لما يناسب ايامنا لا لما كان يناسب ايام آبائنا مفرغاً افكاره في قوالبهم اللفظية التي نستأنسها الآن رافضاً ما تمجهُ نفوسنا مستعيراً من اللغات الاجنبية الالفاظ التي ليس لها مرادف في العربية كالتلغراف والفنوغراف اقتداء بقدماء العرب في نقلهم كثيراً من المفردات الى لغتهم كالاستبرق والاسقف والإنجيل وغيرها . وبذلك تحيا لغتنا الشريفة وتتسع دائرتها وتصعد في درجات الترقي وتجاري بقية اللغات التي لا يألو علماؤها جهداً في تسهيلها وتحسينها وتوصيلها الى الاوج الاسمى من الكمال » اه

وفي الكتاب فصول جزيلة الفائدة في اختيار الالفاظ وفي اركان الانشاء اي الافتتاح والتخلص والختام . وباب في العقل والعلم وفي وجوه تحسين الكلام ضمنه فصولا كثيرة ثم باب في تاريخ اللغة العربية ومختارات من خطب البلغاء واشعارهم ومراسلاتهم في الجاهلية والاسلام مما يحسن تحديه والنسج على منواله

✻ سفينة النجاة وباب القراءة ✻ وللاخ بلاج كتاب في النحو سماه سفينة النجاة

في أربعة اجزاء وضعه على اسلوب حديث يسهل فهم هذا العلم على تلامذة المدارس بتدريجهم فيه تدريجاً حسناً ومما يدل على رواج هذا الكتاب انه طبع مراراً وطبعاته جميلة والمثل مضبوطة بالحركات . وللاخ بلاج سلسلة أخرى لتعليم القراءة على اسلوب جديد قرن فيه حروف الطبع وحروف الخط ليتعلم الطالب قراءة الطبع والخط معاً . ولا يستخفن احد بكتب الهجاء فهي عظيمة الاهمية في الحياة المدرسية لانها الاساس الذي يقام عليه التعليم فينبغي ان يكون الاساس صحيحاً ليكون البناء ثابتاً ولهذا السبب يجب ان يكون معلمو الهجاء من اهل الفهم والعلم يحسنون ضبط الالفاظ ونطقها اذ يصعب على التلامذة لو حفظوا لفظاً مغلوطاً وهم اطفال ان يصلحوه وهم شبان . فنثني على الاخ بلاج ونرجو الانتفاع بمؤلفاته

✻ مجلة الشتاء ✻ ظهر الجزء الرابع من مجلة الشتاء لرصيفنا صاحب السعادة حليم بك عنحوري وهو الجزء الاخير من عامها الاول صدر هو والثالث في حجم مضاعف للتعويض عن الجزئين الخامس والسادس تتمة هذا العام . وودعتنا الرصيفة على ان تعود الينا في بدء الشتاء الآتي من اول نوفمبر فتصدر منها ستة اجزاء في ستة اشهر . فنحن في انتظار عودتها لانها احسن فصول مصر الشتاء . على ان مالاقته هذه المجلة من احتفاء الادباء واقبال المطالعين يبشرنا بمستقبل لها مجيد . ومن يطالع ما صدر منها الى الآن ير النمو ظاهراً فيها فان في الجزء الثالث مقالة شائقة في السلاملك وفي الرابع مقالة ضافية في حالة البدو الحاضرة تدلان على علم واسع وبحث دقيق وهما فريدتان في بابهما فنرجو لرضيفتنا دوام الارتقاء

✻ تقويم المؤيد ✻ ظهر هذا التقويم الشهير لسنة ١٣٢٤ لمؤلفه محمد افندي مسعود محرر في جريدة المؤيد وقد ادخل فيه تحسيناً كبيراً جرياً على سنة الارتقاء فبلغت صفحاته نيفاً وار بعمائة صفحة متوسطة الحجم صغيرة الحرف وفيه مئات بل الوف من الفوائد الادبية والتاريخية والعلمية والطبية والاجتماعية والاقتصادية وكثير من الرسوم والاشكال . وآثار العناية والاجتهاد ظاهر في كل صفحة من صفحاته . وهو مجلد بجلد متين لين بحجم لطيف يسهل نقله واستخدامه وثمن النسخة خمسة غروش واجرة البريد غرش ونصف ويطلب من مكتبة الهلال وسائر المكاتب الشهيرة

نرجو من حضرات المشتركين اعتماد زكي افندي فهمي وكيلاً للهلال في مديريات المنوفية والشرقية والدقهلية والمحافظات والوجه القبلي بوصولات مطبوعة وممضاة من مدير الهلال



الجزء الثامن من السنة الرابعة عشرة

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٦ و ٧ ربيع سنة ١٣٢٤

النهضة المالية المصرية

وهمية هي ام حقيقية ؟

١ — تمهيد

كتبنا في الهلال الخامس من السنة الثالثة عشرة مقالة ضافية في تاريخ النهضة المالية بمصرا من زمن محمد علي الى الآن زراعياً وتجارياً وادارياً . ثم رأينا الناس يبحثون في حقيقتها و يتساءلون عن مصيرها . ومرجع هذه الثروة في هذه النهضة الى ارتفاع اثمان الاطيان الزراعية في القرى وارض البناء في المدن . فبعد ان كان صاحب مئة فدان من الاطيان الزراعية او عشرة آلاف متر من ارض البناء تقدَّر ثروته ببضع مئات من الجنيهات اصبح قادراً على بيعها بعشرة آلاف او ١٥ الف جنيه . لان الفدان الذي كان منذعشرين سنة يساوي عشرين جنيهاً او ثلاثين ارتفع سعره اليوم الى مئة او مئة وخمسين وارض القاهرة بعد ان كان مترها بجنيه صار بعشرة جنيهات او عشرين جنيهاً او خمسين . وبعض الارضين في ضواحي هذه المدينة اعطيت منذ عشرين سنة مجاناً او بيعت بالفدادين فلم يزد ثمن المتر على بضعة غروش وهو يباع الآن بعشرة جنيهات الى خمسين جنيهاً . فهذا الارتفاع الفاحش اوجب ارتياب الناس في بقائهِ فمن قائل انهُ من قبيل المضاربة

باسعار البورصة فلا يلبث ان ينقهقر و يعود على الناس بالافلاس لتورط اصحاب الاموال بالانفاق مما بين ايديهم لتوهمهم ان ثروتهم حقيقية وما هي كذلك . وقائل ان هذه الاثمان مؤسسة على قواعد اقتصادية صحيحة والقولان مبنيان على التخمين او قياس التمثيل . فرأينا ان نقول في هذا الموضوع كلمة نسندها الى القواعد الاقتصادية والنواميس الاجتماعية ونؤيدها بالاحصاآت الرسمية ليكون الحكم فيها قريباً من الصواب على قدر الامكان — وتمهيداً لذلك نقول :

النقود والثروة

جرت العادة ان نسمي مبلغ النقود الذي ندفعهُ بدلاً من بعض الامتعة او الاطعمة ثمناً لذلك المتاع او الطعام . فاذا استطعنا الحصول على رطل من السمن بغرش فالغرش هو ثمن ذلك الرطل . فالنقود بهذا الاعتبار ممثلة للثروة او مقوّمة لها وليست هي الثروة بعينها . وما ثروة الرجل الاّ ما في حوزته من الامتعة والمرافق واسباب المعائش واما النقود فنقوّم تلك الثروة بها عند الحاجة . ويؤيد ذلك الفرق بين قيمة الشيء وثمنه فثمن الشيء ما يعطى من النقود بدلاً منهُ اما قيمته فهي ما يستبدل بهِ من سائر الاشياء غير النقود . والثمن يختلف مقداره باختلاف كثرة النقود او قلتها . فاذا نقص الذهب في بلدٍ لسبب من الاسباب حتى صار الى نصف ما كان عليه مع بقاء سائر الاشياء على حالها لم يعد يمكننا ابتياع تلك الاشياء الاّ بنصف اثمانها — وهو هبوط الاسعار . و يعكس ذلك لو تضاعف مقدار الذهب مع بقاء سائر الاشياء على حالها فانها تباع حينئذ بضعفي ثمنها السابق — وهو ارتفاع الاسعار

وقد يشكل على الانسان تعليل النسبة المتبادلة بين كمية الذهب وصعود الاسعار او هبوطها . وان كانت تلك النسبة ثابتة واقعية يؤيدها الاختبار وتدلُّ عليها الاحصاآت التجارية والمالية في كل زمان ومكان . كأن موجودات البلد التي تنقل بالبيع والشراء تعادل قيمة النقود الموجودة في ذلك البلد — اي توازنها قوةً وان لم تساوها قيمةً . ونظراً لاتساع العلائق التجارية بين الامم وسهولة الانتقال بين البلاد اصبح العالم المتمدن من هذه الحيثية بلداً واحداً فموجوداته من امتعة واطعمة ومساكن وملابس وسائر المرافق تعادل ما فيه من النقود وخصوصاً الذهب . فاذا تضاعف مقداره تضاعفت الاثمان والشيء الذي كان يباع بجنيه يباع بجنيهين او اكثر مع بقاء النسبة بين سائر الاشياء على حالها . والسبب في ذلك ان الذهب الذي يستخرجونهُ من المناجم يتحوّل معظمهُ الى نقود

فكلما كثر الذهب المستخرج كثرت النقود وغلت اثمان الاشياء او قلّت قيمة الذهب لحفظ الموازنة · ومعنى ذلك ان الناس اذا علموا بمنجم للذهب جديد تسارعوا الى استخراجه فينفقون ما يستخرجونهُ اولاً في حاجياتهم المعاشية فاذا كثر الذهب عندهم لا تنفعهم كثرته الا اذا استبدلوه بما يستثمرونه من ضروب التجارة او الصناعة او الزراعة · فهب ان احدهم احب الاشتغال بالزراعة فلا يتأتى لهُ ذلك الأ بابتياع العقار وصاحب العقار لا يبيع ارضهُ الاّ اذا رأي بيعها أربح لهُ من استغلالها · فاذا كانت غلتهُ منها الف جنيه في العام وكان معدَّل ربح الاموال في ذلك الحين خمسة في المئة فتكون تلك الارض تساوي عشرين الف جنيه فيطلب بها ثلاثين الفاً والشاري يقبل بهذه القيمة اذا علم ان الغلة الف جنيه اذ يكون ربح ماله ثلاثة وثلث في المائة وذلك خيرٌ لهُ من ابقائه في صندوقهِ او اختزانه في البنوك الكبرى وهي لا تعطيه الاّ اثنين في المئة أو اقل · فضلاً عما يرجوه من زيادة الغلة بالاجتهاد

وهكذا يقال في البائع فانه لما يذهب لابتياع ارض اخرى لاينالها الا بزيادة في قيمتها · واعتبر ذلك في من يستخدم ذهبه في التجارة فانهُ لا يفلح الاّ اذا رضي بالقليل من الربح فاذا كان سواه يربح عشرة في المئة فهو يكتفي بخمسة أوستة فترى ألف الشركات الكبيرة التي يقنعها الربح القليل وتستخدم الكتاب والحساب وغيرهم بالاجور الباهظة ترغيباً لهم في خدمتها · ويقال نحو ذلك في من يستخدم امواله بالصناعة فينشئ المعامل ويبذل الاجور الكبيرة للصناع فتكثر الاموال في الاسواق واذا كثرت توسع الناس في الانفاق على حاجياتهم واكثروا من طلب الكماليات فتتداول الاموال بينهم على اختلاف طبقاتهم ويعمُّ الغلاء سائر الاشياء · وقس على ذلك سائر ما ينجم عن زيادة الذهب من ارتفاع الاسعار

كثرة الذهب في العالم

وهذا هو الواقع فعلاً في بلاد المتمدنين على اثر اكتشاف المناجم الجديدة في اميركا واوستراليا وافريقيا حتى تضاعف مقدار الذهب عندهم عدة مرات · وقد اخذ في الزيادة منذ اكتشاف اميركا وكانت النقود المتداولة في اوربا قبل ذلك الاكتشاف على تقدير الموسيو ارنونة مدير دار الضرب في باريس لا تزيد كميتها على ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فكأن موجودات العالم التي يصح بيعها يومئذ كانت تعادل هذا المبلغ · ثم تكاثر الذهب بما استخرجوه من مناجم تلك القارة الجديدة ومن غيرها حتى بلغ مقدار المستخرج منهُ في

اواسط القرن الماضي ٣٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة . وبلغ مقداره في أواخر ذلك القرن ٤٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة . وأصبح سنة ١٩٠٣ نحو ٤٧,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . وبلغ مقداره في العام الماضي ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه اكثره من الترانسفال واميركا واوستراليا وهو يتزايد في كل عام . ويقدرون النقود المتداولة بين ايدي الناس الآن بنحو ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه غير النقود الورق . وكانت منذ عشرين سنة نحو نصف هذا المقدار . فزيادة الف مليون جنيه في الاسواق جديرة بان ترتفع بها اسعار الاشياء ارتفاعاً يختلف باختلاف الامم والبلاد . فتكاثر الاغنياء اصحاب عشرات الملايين من الجنيهات وزادت ثروة البعض على مئة مليون جنيه مما لم يكن يحلم به الناس منذ عشرين اوثلاثين سنة على ان صاحب المليون اليوم لا تقدر ثروته باكثر من ثروة صاحب نصف المليون منذ عشرين سنة

هذا ما يقال بالنظر الى تكاثر الذهب في اوربا واميركا على الاجمال — بقي علينا النظر في تكاثره ورخصه بمصر ولذلك اسباب محلية غير الاسباب العامة على ما نبينه

٢ — اسباب كثرة الذهب في مصر

الثروة الزراعية

مصر مشهورة بالخصب والثروة من قديم الزمان ومن امثالهم القديمة « من دخل مصر ولم يستغنِ فلا اغناه الله » وانما كانت ثروتها يومئذ لملوكها وحكامها واهل النفوذ والدالة من وجهائها على عادة اهل التمدن القديم . واما سائر الناس فيغلب فيهم الفقر . اما اليوم وقد اقتدت مصر بالممالك المتمدنة وجرت في نظامها وسائر شؤونها على قواعد الاقتصاد الصحيحة فاخذت الثروة تتفرق في الناس على نسبة مواهبهم وهممهم . ومصر بلاد زراعية واكثر ثروتها مما تنبته الارض وعليه تتوقف سعادتها وشقاؤها وهي علة تكاثر الذهب لهذا العهد واليك اهم الاسباب التي دعت الى تكاثره :

(١) انتقال ملكية الاطيان من الافراد الى العموم : لان غلتها كانت قبلاً لافراد قليلين هم اصحاب الارضين وسائر الناس خول لهم او اكرة في مزارعهم . وربما بلغت ثروة المالك مئة الف فدان او مئتين او خمسمئة الف فدان أو اكثر وألوف من العامة يتضورون جوعاً اذا شاء اعالهم كرماً منه او شاء اغفلهم وليس من يطالبه . وما زال ذلك

شأنهم الى عهد غير بعيد . فلما نشر لواء العدالة في أواخر القرن الماضي وعرف الناس مالهم وماعليهم وانتشرت المبادىء الاقتصادية أخذت الاطيان تتحوَّل ملكيتها من كبار المتمولين الوارثين الى الفلاحين البائسين . فبعد ان كان عدد المالكين لا يزيد على بضعة آلاف أصبح في العام الماضي ١,٠٨٣,٠٠٠ معظمهم من الوطنيين منهم ٩٣٢,٠٠٠ يملك احدهم خمسة افدنة فما دونها ونحو ٨٠,٠٠٠ يملكون ما بين خمسة افدنة وعشرة . ولما كان المالكون من الوجهاء والامراء لم يكن لهم عناية في استثمار الارض لسعة املاكهم وكثرة اموالهم فينزهون انفسهم عن الاهتمام بذلك فلما صارت الى الافراد وتفرقت في المزارعين واكثرهم من اصحاب الفدان والفدانين الى الخمسة فالعشرة اصبح همُّ الفلاح تكثير غلته بما يبلغ اليه امكانه من الوسائل . فاثر ذلك في زيادة الغلة على العموم

(٢) زيادة مساحة الارض الزراعية — كانت مساحة الارض الزراعية في أواخر القرن الماضي نحو ٤,٨٠٠,٠٠٠ فدان فأخذت تتزايد بوسائل الري كبناء الجسور وحفر الترع وانشاء الخزانات والقناطر حتى أصبحت في العام الماضي ٧,٣٤٠,٠٠٠ فدان تدفع الضرائب ونحو مليون فدان لم يربط عليها ضريبة . فكأن الارض الزراعية زادت في العشر السنوات الاخيرة نحو ٢,٧٠٠,٠٠٠ فدان تفرقت في الاهالي واكتسب الناس ريعها او هم يتوقعون الكسب منها قريباً

(٣) زيادة الغلة — كان الفلاحون قديماً يجرون في زرع الارض على ما اختبروه من الطرق القديمة اما الآن فهم يتحدَّثون الوسائل العلمية في اسمادها فضلاً عن مهارتهم واختبارهم وتوفر اسباب الري لديهم فاخذ مقدار المحصول في النمو عاماً فعاماً — وهاك جدولاً عن محصول الفدان الواحد من اهم غلات هذا القطر باعتبار السنين مستخرجاً من مصلحة الاراضي الاميرية :

سنة	قمح بالاردب	شعير بالاردب	فول بالاردب	قطن بالقنطار
١٨٨٠	٣'١٢	٢'١٦	٢'١٨	٣'٠١
١٨٨٥	٢'٢١	٢'٠٢	٢'٠٤	٢'١٨
١٨٩٠	٤'٠٦	٤'٠٧	٣'٠٧	٣'٩٧
١٨٩٥	٥'٠٠	٤'١٢	٢'١٨	٥'٢١
١٩٠٠	٥'٠٤	٣'٠٨	٣'٢٣	٤'٤٥
١٩٠٣	٥'٢٣	٤'٠٨	٤'٠٤	٥'١٥

ولا يزال التحسين مستمراً لان طرق الري لم تبلغ الغاية المطلوبة والاسمدة الصناعية لم يشع استخدامها بعد

(٤) ارتفاع اسعار القطن — واتفق لحسن الحظ احتياج العالم الى القطن في السنين الاخيرة حتى صرح بعضهم في المؤتمر الذي انعقد مؤخراً في منشستر ان الاسواق في حاجة الى القطن شديدة وانهُ لو زادت غلته ٢,٠٠٠,٠٠٠ بالة كل سنة على عشر سنوات لما وفت بالحاجة المطلوبة [١]. والقطن المصري ممتاز باسعاره و يقدرون متوسط ثمن القنطار منه في الاعوام الاخيرة بمئتين وخمسين غرشاً

(٥) زيادة المساحة المزروعة قطناً — لما زادت الاطيان الزراعية في القطر المصري وارتفعت اسعار القطن بذل الفلاحون جهدهم ووجهوا عنايتهم الى زرعه فزادت مزارع القطن اكثر من زيادة مزارع سائر الغلال ويتضح ذلك من الجدول الآتي عن الافدنة التي كانت تزرع قطناً في السنين العشر الاخيرة : [٢]

سنة	الافدنة المزروعة قطناً
١٨٩٤	٩٦٥,٥٤٥
١٨٩٥	٩٩٧,٧٣٥
١٨٩٦	١,٠٥٠,٧٤٩
١٨٩٧	١,١٢٨,٨٠٤
١٨٩٨	١,١٢١,٢٦١
١٨٩٩	١,١٥٣,٣٠٦
١٩٠٠	١,٢٣٠,٣٢٠
١٩٠١	١,٢٤٩,٨٨٤
١٩٠٢	١,٢٧٥,٦٨٠
١٩٠٣	١,٣٣٢,٥١٠
١٩٠٤	١,٤٣٦,٧٠٨

فترى زراعة القطن قد زادت في هذه المدة نحو ٥٠٠,٠٠٠ فدان فزادت غلتهُ على هذه النسبة و بعد ان كانت ٤,٦٠٠,٠٠٠ قنطار اربت على ٦,٠٠٠,٠٠٠ قنطار

(١) تقرير الدكتور عيد عن الثروة العقارية المصرية (٢) كتاب الاطيان والضرائب

(٦) تناقص الشراقي — ان انتظام اعمال الري وخصوصاً بعد انشاء خزان اصوان وقناطر اسيوط واصلاح القناطر الخيرية وغيرها قلل مساحة الارض التي لا يدركها الماء في بعض فصول السنة بما يعبرون عنه بالشراقي · وهذا جدول عن مساحة الاطيان الشراقي في المدة الاخيرة ليتضح التحسين في ريها [1]

سنة	الفدادين الشراقي
١٨٧٧	٧٥٣,٩٩٢
١٨٨٨	٢٦٩,١١٠
١٨٩٩	١٨٨,١٣٧
١٩٠٢	١٢٨,٦٦٣
١٩٠٤	٤٦,٨٧١

(٧) انشاء المصارف وتعديل الضرائب وابطال العونة وانشاء السكك الحديدية الزراعية — كل ذلك خفف النفقات على الفلاحين وسهل عليهم نقل الغلة فساعد على زيادة الثروة

(٨) تخفيض معدل الفائدة على الاموال : كان الفلاح اذا احتاج الى مال استقرضه بالربا الفاحش بين ١٢ و ٣٠ في المئة او اكثر كما هو مشهور فاصبح بعد انشاء الشركات والبنوك الاهلية والزراعية لتسليف النقود لا تزيد الفوائد على سبعة في المئة

الشركات الجديدة

فلهذه الاسباب زادت الثروة المصرية في السنوات العشر الاخيرة عما كانت عليه قبلها نحو ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ اجنيه تفرقت في اواسط الناس · وعلم اصحاب الاموال في اوربا بما تخرجه ارض وادي النيل من الخيرات والذهب عندهم كثير للاسباب التي قدمناها ومعظمه لا يكسبهم اكثر من ٣ في المئة وانهم اذا اشتروا به ارضاً زراعية اكسبهم ٦ او ٧ او ٨ في المئة فاشتغل رجال الاعمال بتشكيل الشركات المالية لبيع الاطيان او استغلالها او اصلاحها او غير ذلك من ضروب المتاجرة بالاراضي الزراعية او البناء حتى بلغ عدد الشركات التي انشئت في القطر المصري لهذا الغرض نيفاً وعشرين شركة اكثرها انشيء في العامين الماضيين وهذه اسماؤها وتاريخ انشائها ومراكز اداراتها ورؤوس اموالها :

(١) تقرير نظارة الاشغال سنة ١٩٠٤



اسم الشركة	سنة تاسيسها	مركز ادارتها	رأس مالها بالجنيه	موضوعها
شركة العقارات المصرية	١٨٨٤	اسكندرية	٢٠٠,٠٠٠	استثمار املاك هذه الشركة
« ابو قير	١٨٨٧	لندن	٣٠٠,٠٠٠	نزح بحيرة ابي قير وبيع الاطيان او ايجارها
« عقارات الابرهمية	١٨٩٤	اسكندرية	١١٢,٠٠٢	بناء بيوت السكن
« « المصرية	١٨٩٦	مصر	٢٩٠,٠٠٠	شراء الاراضي وبيعها
« اراضي المدن	١٨٩٧	اسكندرية	٢٠,٠٠٠	لبناء بيوت السكن
الشركة البلجيكية المصرية	١٨٩٩	بروكسل	١٢٠,٠٠٠	اصلاح ارض البناء حول الازبكية
« الانكليزية المصرية	١٩٠٠	لندن	٥٠٠,٠٠٠	استثمار الاطيان
شركة العقارات المصرية	« «	مصر	٢٤٠,٠٠٠	شراء الاطيان وبيعها الخ بمصر والسودان
الشركة العقارية	١ ٩ ١	اسكندرية	٤٤٠,٠٠٠	بيع الاراضي وشرائها
شركة شابا	١٩٠٣	لندن	٤٠,٠٠٠	بيع الاطيان الزراعية وتاجيرها
« وردان	« «	مصر	١٠,٠٠٠	لاصلاح اراضي وردان
« غربي مصر	١٩٠٤	لندن	٥٠٠,٠٠٠	ترقية بعض الاراضي الميرية
« اراضي الدلتا	« «	«	١٠٠,٠٠٠	شراء الاراضي وايجارها
« اراضي النيل	« «	اسكندرية	٣٠٠,٠٠٠	شراء الاراضي واصلاحها الخ
« وادي كوم امبو	« «	مصر	٣٠٠,٠٠٠	اصلاح اراضي ذلك البلد
« الابنية	١٩٠٥	اسكندرية	١٠٠,٠٠٠	شراء الاراضي والمنازل وتصليحها
« تقسيم الاراضي	« «	مصر	٥٠٠,٠٠٠	شراء الاراضي بمصر والسودان وتصليحها
« ارض البناء	« «	اسكندرية	١٥٠,٠٠٠	« الابنية او اراضي للبناء
« الاقاليم المصرية	« «	لندن	٥٠٠,٠٠٠	« الاراضي واصلاحها وبيعها
« التحسين المصرية	« «	مصر	١٠٠,٠٠٠	الاشتغال بالاراضي العقارية
« الاراضي المصرية	« «	لندن	٢٠٠,٠٠٠	« « «
« الاتجار بالاراضي	« «	اسكندرية	١٠٠,٠٠٠	شراء الاراضي وتصليحها

اسم الشركة	سنة تاسيسها	مركز ادارتها	رأس مالها بالجنيه	موضوعها
شركة ارض الجزيرة	١٩٠٥	لندن	٤٠٠,٠٠٠	الانتفاع بارض الجزيرة
« شمالي مصر	« «	«	٢٣٠,٠٠٠	شراء الاراضي واصلاحها
«المشروعات العقارية	« «	اسكندرية	٣٠٠,٠٠٠	« « «
« ارض الشيخ فضل	« «	مصر	٢٠٠,٠٠٠	اصلاح هذه الاراضي
« الاتحاد العقاري	« «	اسكندرية	٥٠٠,٠٠٠	الاتجار بالعقارات

غير الشركات المالية (البنوكة) التي تتعاطى الصرافة وتسليف النقود للمزارعين وغيرهم وهي عديدة واموالها كثيرة نذكر اشهر ما انشيء منها في اثناء هذه النهضة وهي :

اسم البنك	سنة تأسيسه	مركز ادارته	رأس ماله بالجنيه
البنك الزراعي المصري	١٩٠٢	القاهرة	٥,٠٠٠,٠٠٠
صندوق الرهنيات المصري	١٩٠٣	انفرس	٢٠٠,٠٠٠
البنك الاهلي المصري	١٨٩٨	القاهرة	٢,٥٠٠,٠٠٠
بنك اثينا	١٨٩٤	اثينا	٨٠٠,٠٠٠

فرأس مال هذه الشركات والمصارف وغيرها مما لم نذكره يزيد مجموعه على خمسة عشر مليون جنيه اكثرها من متمولي اوربا ينبغي اضافتها الى مادخل مصر من الذهب · وقد ساعد على زيادة حركة الاعمال في الوطنيين انفسهم تنبههم للسعي في العمل بعد ارتقاء عقولهم بالعلم واقتدائهم بمن خالطهم من الجالية اهل النشاط والسعي

٣ – ارتفاع الاسعار

فلاغرو بعد ذلك اذا تكاثرت الاموال في ايدي الناس · وتكاثر ما يدعو الى الانفاق في كثير من المرافق الكمالية مما لم يكن الناس يلتفتون اليه في حال الضيق · وكثرة الانفاق تدعو الى ارتفاع اثمان المآكل والامتعة وغلاء اجور المساكن وغيرها مما كنا نستغربهُ — ولم يبق باعث على الاستغراب بعد ما بسطناه

عدد السكان

ومما زاد اسباب الغلاء زيادة عدد السكان بتوالي الاعوام · فبعد ان كان سكان مصر في اول القرن الماضي ٢,٤٦٠,٢٠٠ نفس اصبحوا في الاحصاء الاخير لسنة ١٨٩٧ نحو ٩,٧٣٥,٤٠٠ وهم اليوم يناهزون ١٣,٠٠٠,٠٠٠ واليك نسبة تزايدهم باعتبار السنين :

سنة	عدد السكان	متوسط زيادة المئة في السنة
١٨٠٠	٢,٤٦٠,٢٠٠	
١٨٢١	٢,٥٣٦,٣٠٠	٠٠،١٥
١٨٤٦	٤,٤٧٦,٤٤٠	٣،١٤٠
١٨٨٢	٦,٨١٣,٩١٩	١،٤٤
١٨٩٧	٩,٧٣٤,٤٠٠	٢،٧٦

فالاحصاآت الثلاثة الاولى تقريبية لانها مبنية على التقدير الاجمالي واما الرابع والخامس فانهما مبنيان على التعداد الرسمي . وبالقياس على ما ظهر من متوسط الزيادة السنوية في المئة بينهما اي ٢،٧٦ في المئة سنوياً يكون اهل القطر قد زادوا في السنين التسع الاخيرة بعد الاحصاء الاخير اي من سنة ١٨٩٧ — ١٩٠٦ نحو ٢,٤١٨,٠٠٠ نفس . ولكننا اذا اعتبرنا تزايد المهاجرة في هذه المدة عن المدة السابقة وما اثرته الوسائط الصحية من زيادة المواليد على الوفيات عما كانت عليه قبلاً جاز لنا ان نجعل الزيادة السنوية ثلاثة ونصف في المئة على الاقل . وعليه فلا نبالغ اذا قدرنا عدد سكان القطر المصري اليوم بنحو ١٢,٨٠٠,٠٠٠ نفس . فزيادة السكان على هذه الصورة تزيد حركة الاعمال وتساعد على ارتفاع الاسعار ولا سيما بعد ان زادت احتياجات الناس الشخصية والمنزلية بارتقاء الهيأة الاجتماعية وتفشي التقليد للعادات الافرنجية والرغبة في العيش الرغد ببناء القصور واقتناء الرياش الفاخر واصناف المركبات البخارية والكهربائية ونحو ذلك

فاذا تقرر ان هذا الغلاء طبيعيّ للاسباب التي قدمناها وجب ان يكون شاملاً كل ما يباع ويشرى وفي جملة ذلك الاطيان وارض البناء . اما الاطيان فهي السابقة الى الغلاء لان الثروة بدأت منها وقد تسابق اصحاب الاموال الى استثمارها وهم لم يفعلوا ذلك احتياطاً او طيشاً وانما بنوه على شروط الاقتصاد . والعمدة في حكمنا هنا على اصحاب الاموال الذين يشترون الارض ليستغلوها فهؤلاء لا يدفعون اموالهم الاّ وهم على يقين مما سيعود عليهم من الربح ويكتفون باقل مما يرضاه صاحب الفدادين القليلة لان هذا ربما لا يرضيه اقل من ربح ثمانية في المئة او عشرة اما اولئك فيكفيهم خمسة في المئة او اقل منها . والاطيان الزراعية تعطي ستة او سبعة في المائة حتى الآن فهي لا تزال تقبل الزيادة في اثمانها حتى ينقص معدّل ربحها عن الخمسة وهو الربح الذي بنت الحكومة عليه تقرير

الضرائب لسنة ١٨٩٦ فانها فرضت الضريبة ٢٨،٦٤ في المئة من قيمة ايجار الطين باعتبار انها خمسة في المئة من ثمنه

٤ – غلاء ارض البناء

عمران المدن

اما الابنية فأصحاب الاموال يقنعون من ريعها بأربعة في المئة وهو اعلى ريع يرجوه المتمولون في البلاد المتمدنة من اجور ابنيتهم حيثما كانت · واما عندنا فقد تضاعفت اجور المنازل في المدن الكبرى في جملة الغلاء العام لتزاحم الاقدام بمن نزل فيها من الغرباء أو قدم اليها من اهل الارياف الموسرين التماساً للرفاهية وبسطة العيش بعد ان زادت ثروتهم بزيادة غلات مزارعهم · ناهيك بانتشار التهذيب وارتقاء الناس في اذواقهم وزيادة عنايتهم في صحتهم فاصبحوا يلتمسون السكنى في الاحياء الصحية بضواحي المدن فتهافت طلاب المنازل الواقعة في تلك الضواحي وغلت أجورها حتى أصبح ريعها نحو ١٥ أو عشرين أو ثلاثين في المئة من ثمنها الاصلي فاسرع اصحاب الاموال الى ابتياعها باضعاف اثمانها ولا لايزالون يزيدون في تلك الاثمان حتى يتناقص الريع الى أربعة في المئة

واتفق ان جماعة من الناس كانوا قد ابتاعوا بقاعاً من الارض في ضواحي المدن الكبرى بالفدان للزراعة فلما زاد عمران تلك المدن وتكاثر أهلها امتدت ابنيتها الى تلك البقاع فبيعت بالقراريط فربح القرش مئة غرش أو مئات · فكان لهذه الارباح الفاحشة رنة في آذان الناس فتهافتوا على ابتياع الارض قطعاً صغيرة من اصحاب تلك الفدادين طمعاً بالربح الفاحش بارتفاع الاسعار قياساً على ما شاهدوه — وسهل لهم هؤلاء البيع بالتقسيط ونحوه وظلت الاسعار ترتفع والناس يربحون ويزدادون رغبة في هذه التجارة ولا يزالون في ذلك الى الآن وقد انقطع بعضهم لها وترك تجارته او صناعته واستخدم رأسماله في شراء الارض ويعهاومن لم يكن له مال استدان او باع ما عنده من مصاغ او نحوه لئلا تفوته الفرصة للمتاجرة بارض البناء · واكثرهم يشتغلون في ذلك للمضاربة وقلَّ من يبتاع ارضاً ليبني فيها منزلاً لسكناه وانما هو يتوقع ان يبيعها لسواه باغلى مما اشتراها · وقد مضى على هذه المضاربة بضع سنين ولم نسمع ان واحداً اشترى ارضاً الا باعها وربح بها واكثرهم ربح ضعفي الثمن اوعدة اضعافه

ومع ذلك فهم يتساءلون عن مصير هذه الاسعار وهل هذه الاثمان حقيقية او وهمية لان اكثر ما يضاربون فيه من الارض واقع في ضواحي المدن ولا يزال بوراً · فذهب

بعضهم الى ان تلك الضواحي لاتلبث ان تعمر و يسكنها الناس و يعتاش اصحابها من اجور ابنيتها وذهب آخرون الى ان عمرانها بعيد لقلة الناس ولا يعمرها الا اضعاف سكان تلك المدن مما لا يرجى الوصول اليه الا بعد عشرات من السنين . وهذا ما اردنا تمحيصه و بيان حقيقته بالاعتماد على نواميس العمران وقواعد الاجتماع ومراجعة الاحصاآت وسنجعل مدار بحثنا على القاهرة عاصمة هذه الديار . ونقدم الكلام بتمهيد في مساحتها وتاريخ عمرانها منذ بناها القائد جوهر الى الآن

القاهرة المعزية

نريد بالقاهرة المعزّية المدينة التي بناها القائد جوهر مولى المعزّ لدين الله الفاطمي على أثر فتح مصر في اواسط القرن الرابع للهجرة . فقد انشأها وجعلها معقلاً للجند على عادة الفاتحين في ذلك العهد وكانت عاصمة الديار المصرية يومئذ مدينة الفسطاط (بين القاهرة ومصر القديمة الآن) فلما جاء جوهر بجنده سنة ٣٥٧ هـ نزل شماليها في البقعة التي فيها اليوم الجامع الازهر وبيت القاضي وشارع النحاسين وخان الخليلي وما جاورها من المنازل والاسواق بين جبل المقطم والخليج الذي ردموه اليوم واجروا فوقه قطر الترامواي بين جنوبي القاهرة وشماليها . وكانت تلك البقعة لما عسكر فيها جوهر رمالاً يمرّ بها المسافر من الفسطاط الى المطرية . فلما فتح الفسطاط بنى في تلك البقعة مدينة سماها القاهرة المعزّية نسبة الى مولاه وجعل حولها سورًا . وكانت مربعة الشكل تقريباً يحدّها من الشرق الجبل ومن الغرب الخليج وطول هذا الحد ١٫٢٠٠ متر يسير فيه السور بموازاة الخليج وعلى بعد ٣٠ مترًا منه نحو الشرق . ومن الشمال خط يمتد من الخليج قرب باب الشعرية الآن على موازاة سكة مرجوش الى الجبل وطوله ١٫١٠٠ متر . ومن الجنوب خط نحو هذا الطول يبدأ بباب الخلق عند التقاء الخليج بشارع محمد علي الآن قرب محافظة مصر و يسير شرقًا الى الجبل . ومساحة هذه المدينة بين هذه الحدود ٣٤٠ فدانًا او ١٫٤٢٨٫٠٠٠ متر مربع بنى فيها قصرًا سماه القصر الكبير الشرقي شغل خمس هذه المساحة وشغل ما بقي بالجامع الازهر والقصر الغربي ومساكن الجند والاسطبلات ونحوها . وقد دللنا على مكانها في الخارطة ببقعة منقطة . وظلت الاسواق واماكن البيع والشراء ومساكن الاهالي في مدينة الفسطاط . اما الارض خارج هذه المدينة حيث الآن الفجالة والظاهر والمهمشة والعباسية والازبكية والتوفيقية والاسماعيلية و بولاق فكان اكثرها بساتين ومزارع و بركًا

ولم تتسع القاهرة في اثناء مدة الفاطميين الا قليلاً فصارت مساحتها على عهد امير الجيوش

في اواخر القرن الخامس للهجرة ١,٦٨٠,٠٠٠ متر حتى اذا دالت هذه الدولة ودخلت مصر في حوزة الايوبيين وتملكها السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ اباح للناس سكنى القاهرة وبنى القلعة في سفح المقطم له ولجنده يعتصم بها من اعدائه لانه كان يخاف الشيعة الفاطمية على ملكه . فاقدم الناس على بناء المنازل جنوبا خارج القاهرة بينها و بين الفسطاط وغربا بينها و بين النيل وامر ببناء سور كبير يحيط بها و بالقلعة و بالفسطاط جميعا اكمله من جاء بعده فبلغ طوله نحو ٢٤,٠٠٠ متر في شكل كثير الاضلاع و بلغت مساحة القاهرة فيه ١,٩٤٨ فدانا او ٨,١٦١,٦٠٠ متر مربع

وتولى بعد الايوبيين السلاطين المماليك وتغير شكل القاهرة في ايامهم ثم نقصت مساحتها واستنزف عمرانها في ايام الامراء المماليك ولكنها عادت في زمن الاسرة المحمدية العلوية الى النهوض فبلغت مساحتها في اواخر ايام محمد علي باشا ٩,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع وحدودها من الشرق الجبل المقطم ومن الغرب شارع باب الحديد وشارع عابدين بخط منحرف نحو باب اللوق ثم يعود الخط شرقا الى قرب عابدين و يسير جنوبا حتى يقطع الخليج قرب باب غيط العدة ومن هناك الى باب السيدة زينب . وكان يحدها من الشمال شارع النجالة وما بعده شرقا الى باب الشعرية فباب النصر وباب الفتوح الى الجبل . ويحدها من الجنوب خط ممتد من باب السيدة زينب فباب طولون الى باب القرافة — وقد دللنا على مكانها في الخارطة بخطوط متقاطعة والقاهرة المعزية من جملتها

واتسعت مساحتها في عهد الخديوين بعد محمد علي حتى صارت سنة ١٨٨ قبيل الحوادث العرابية ١٢,١٨٠,٠٠٠ متر . واسرعت في الاتساع بعد الاحتلال الانكليزي حتى صارت مساحتها الآن اكثر من ستة اضعافها قبله واكثر من خمسين ضعفها لما بناها القائد جوهر بما دخل في حدودها من الضواحي العامرة عاما بعد عام

حدود القاهرة ومساحتها الآن

اصدرت الحكومة المصرية امرا عاليا حددت به القاهرة في ١١ يونيو سنة ١٨٨٤ اومرا آخر في ٥ ابريل سنة ١٨٩٧ ويهمنا هذا الاخير لانها بلغت فيه منتهى سعتها الرسمية وهاك فحوى الامر المذكور : (انظر الى الخارطة في صدر هذا الهلال)

(١) يحد القاهرة من الغرب خط ممتد من قرية دير الطين في الجنوب الى فم الترعة الشبراوية في الشمال طوله ١٤ كيلومترا و يدخل فيه جزيرة الروضة وجزيرة مصر

(٢) يحدها من الشرق الجنوبي خط مستقيم ممتد من دير الطين الى سراي المجاذيب

في العباسية طوله ١١ كيلومترًا ونصف كيلو متر

(٣) خط آخر يمتد من السراي المذكورة الى ناحية المطرية طوله خمسة كيلومترات

(٤) يحدها من الشمال الترعة الشبراوية من فمها على النيل الى مسير خمسة كيلو مترات ونصف كيلو متر شرقًا فشمالاً

(٥) خط آخر من المطرية عند انتهاء خط سراي المجاذيب الى منتهى خط الترعة الشبراوية وطول هـذا الخط خمسة كيلومترات

وقد رسمنا هذه الحـدود على الخارطة بخطوط منقطعة

واخبرنا الموسيو ريبول مدير مصلحة التنظيم ان الحكومة الآن تعتبر مساحة القاهرة اوسع من ذلك . فلما طلبت شركة الغاز منذ بضعة اشهر بيان حدود المدينة جعلت حدها الغربي الاهرام والشمالي بلدة شبرا ومنها خط يسير شرقًا الى المرج ومن هناك على خط السويس الحديدي وهو حدها الشرقي ومنه الى المقطم وراء القلعة الى دير الطين ومن دير الطين الى الاهرام بدون ان تدخل الجيزة في حدودها . ولكن الحكومة لم تعتبر هذه الحدود رسمية ولا اصدرت بها امرًا عاليًا . ولذلك فيكون بحثنا في القاهرة التي حددها الامر العالي سنة ١٨٩٧ على ما تراه مرسومًا في الخارطة . والبقعة الواقعة ضمن هذه الحدود مساحتها ٧٥,٦٩١,٨٠٠ متر مربع

وقد علمنا من الموسيو ريبول المشار اليه ان مساحة القسم المشغول بالابنية منها نحو ٣,٠٠٠ هكتار والهكتار ١٠,٠٠٠ متر مربع فمجموع ذلك ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع ويدخل فيه مصر القديمة وبولاق والعباسية والظاهر وشارع شبرا الى قرب المدرسة التوفيقية كما ترى في الخارطة . وقد دللنا على هذا القسم بخطوط عرضية متوازية والقاهرة الاصلية داخلة في جملتها

ويؤخذ من تقرير ديوان الاشغال لسنه ١٩٠٤ ان مجموع مسطحات الشوارع التي تتخلل ابنية المدينة في تلك المساحة ٢,٨٧٢,٨٣٤ مترًا مربعًا فاذا اضيف اليها مسطحات الحدائق العمومية والساحات والميادين والاقنية وغيرها بلغ مجموع ذلك نحو ٥,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع والباقي وهو ١٥,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع هو المشغول بالابنية العامرة

وايضاحًا لما تدرجت فيه القاهرة من الارتقاء في مساحتها باختلاف العصور نورد ذلك متناسقًا في جدول :

	مساحتها بالامتار المربعة
القاهرة المعزية لما بناها القائد جوهر نحو سنة ٣٦٠ هـ	١,٤٢٨,٠٠
« بعد ان وسعها امير الجيوش نحو سنة ٤٨٠ هـ	١,٦٨٠,٠٠٠
« في الدولة الايوبية بعد سنة ٥٦٧ هـ	٨,١٦١,٦٠٠
« في ايام محمد علي باشا سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٤٠)	٩,٠٠٠,٠٠٠
« « توفيق باشا سنة ١٨٨٠	١٢,١٨٠,٠٠٠
« اليوم سنة ١٩٠٦	٧٥,٦٩١,٨٠٠

فاذا اعملت الفكرة في تفاوت سرعة الارتقاء باختلاف العصور علمت ان المدن لا تعمر الاَّ في ظل العدل والامن — اعتبر ذلك بما كان من سرعة ارتقائها في عهد الدولتين الفاطمية والايوبية حتى بلغت ستة اضعافها في قرنين وبعض القرن ولم يظهر ذلك في الدولة الفاطمية لرغبة خلفائها في استبقاء القاهرة معقلاً لهم ولرجالهم فانصرف العمران الى الفسطاط . ولم تزد مساحة القاهرة في اثناء سلطة المماليك وامرائهم الاَّ الثمن فقط في نحو سبعمئة سنة الاَّ ما كان من اتساعها الموقت في عهد بعض السلاطين العظام .
وانظر كيف اسرع عمرانها في العهد الاخير حتى بلغت الى ستة اضعافها في بضع وعشرين سنة

عدد الابنية في القاهرة

وعدد الابنية في المدينة تابع طبعاً لمقدار اتساعها وعمرانها وكما تدرجت هذه العاصمة بالاتساع تدرجت ايضاً بالعمران ولكنهم لم يكونوا يحصون عدد الابنية قبل اواسط القرن الماضي . واقدم احصاء وقفنا عليه دوَّنهُ الدكتور كلوت بك في كتابه عن مصر [1] سنة ١٨٤٠ فذكر ان عدد ابنية القاهرة نحو ٣٠,٠٠٠ بيت ولعلهُ عدَّ الدكاكين والمخازن منازل مستقلة على اصطلاحهم يومئذ فانهم ما زالوا يفعلون ذلك الى احصاء سنة ١٨٩٧ فاخذوا من ذلك الحين يعتبرون المنزل البناء القائم بنفسه بما فيه من الدكاكين ونحوها
ويلي احصاء كلوت بك احصاء ذكره علي باشا مبارك [2] في خططهِ وقد استخرجه من دفاتر البلدية لسنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٢ م) فبلغ مجموع المساكن واماكن التجارة ٥٠,٤٥٣ بناء هذا تفصيلها :

(١) Aperçu général sur l'Egypte, I. 204

(١) الخطط التوفيقية ٩٤ ج ١

عددها	انواع الابنية	عددها	انواع الابنية
٢٦,٥٦٣	منازل	١٥٩	افران
١٢,٣٩٠	دكاكين	٢٩٣	وكايل موزعة في الاخطاط
٥٢٨	رباع	٨٣	قيعان لنسيج الحرير
٤٤١	مصابغ نيلة وملونات	٣٢٩	قيعان ارضي
٩٥٥	حواصل	٣,٨٧٨	عشش
٣٨٤	طواحين خيالي	١٠٠	زرائب بهائم
٦٦٣	حيشان سكن شغالة	١٠٢	مغالق خشب
٣,٥٢٥	معامل فول ومقالى حمص وجيارات وورش عربيات ومسابك زهر ومناخات جمال ومدقات الخ	١٦	لوكاندات للافرنج
		٤٤	وابورات طحين
		٥٠,٤٥٣	الجملة

وترى من هذا التفصيل ان الدكاكين ونحوها معدودة ابنية مستقلة فاذا اخرجناها من المجموع كان عدد الابنية نحو ٣٨,٠٠٠ بناء وهو قدر معقول بالقياس على نسبة العمران تلك السنة الى ما كان قبلها وما صار اليه بعدها . وعلى هذا القياس لا يزيد عدد الابنية في ايام كلوت بك على ٢٥,٠٠٠ بناء . اما احصاء سنة ١٨٩٧ فهو اكثر دقة وتفصيلاً من كل ما سبقه لان الابنية محصاة فيه بحسب اقسام المدينة

وقد اتحفنا حضرة سليم بك باخوس ناظر ادارة الاموال المقررة باحصاء عدد الابنية في القاهرة وسهّل علينا استخراج كثير من الفوائد المتعلقة بمساحة القاهرة وابنيتها واقسامها فبلغ مجموع الابنية الى اواسط نوفمبر الماضي ٦٦,٩٢٧ منزلاً والمنزل البيت القائم بنفسه وقد يكون مؤلفاً من عدة طبقات وفيه الحوانيت او المخازن . ومن هذا العدد نحو ٤٠,٠٠٠ منزل تدفع الضرائب المقررة والباقية معفاة من الضرائب وهي (١) المنازل التي يقل ايجارها عن ٥٠٠ غرش في السنة (٢) اماكن العبادة كالجوامع والكنائس (٣) العشش التي لا تؤجر (٤) ابنية الحكومة (٥) ابنية القنصلاتات . وفي الصفحة التالية تفصيل احصاء الابنية الذي تكرم به علينا باخوس بك باعتبار الاقسام وبجانبه احصاء سنة ١٨٩٧ ويلي ذلك مقدار الزيادة في كل قسم منها وترى تلك الزيادة عامة في اقسامها على تفاوت في مقدارها واكثرها نموًّا قسم الدرب الاحمر والسيدة زينب وبولاق واقلها قسم شبرا والوايلي كما ترى في الجدول :

اقسام القاهرة	سنة ١٩٠٥	سنة ١٨٩٧	مقدار الزيادة
الازبكية	٣,٧١٠	٣,٠٤٥	٦٦٥
شبرا	٤,٥٨٤	٤,٣٩٤	١٩٠
بولاق	٩,٧٣٤	٧,١٢٩	٢,٦٠٥
السيدة زينب	٧,٠٠٨	٤,٧٤٨	٢,٢٦٠
عابدين	٤,٤٣٧	٣,٨٨٠	٥٥٧
مصر القديمة	٤,٩٤٩	٣,٥٠٤	١,٤٤٥
الدرب الاحمر	٧,١٠٦	٤,٠١١	٣,٠٩٥
الوايلي	٤,٦٧٧	٤,٢١٧	٤٦٠
الخليفة	٦,٢٩٩	٤,٦٢٤	١,٦٧٥
الموسكي	٢,٤٦١	١,٨٣٨	٦٢٣
باب الشعرية	٦,١٧٧	٤,٥٥٥	١,٦٢٢
الجمالية	٥,٧٨٥	٤,٥٠٧	١,٢٧٨
	٦٦,٩٢٧	٥٠,٤٥٢	١٦,٤٧٥

فاذا نظرنا في ما تقدم من الاحصاآت رأينا عدد المباني ارتقى ارتقاء طبيعياً تدريجياً على هذه الصورة :

السنة	عدد الابنية	معدل الزيادة في السنة	يلحق المئة بالسنة
١٨٤٠	٢٥,٠٠٠		
١٨٧٢	٣٨,٠٠٠	٤٠٦	١،٦٠
١٨٩٧	٥٠,٤٥٢	٤٩٧	١،٣٠
١٩٠٥	٦٦,٩٢٧	١٧٩١	٣،٣٥

عدد السكان في القاهرة

فترى من ذلك أن عدد الابنية يزداد نمواً كل سنة عما قبلها ولاسيما في السنين العشر الاخيرة. ولايكون هذا الحكم صحيحاً الاّ اذا أيده نموّ السكان على نحو هذه النسبة واليك احصاء اهل القاهرة من اول القرن الماضي الى اليوم:

السنة	عدد الانفس	مقدار الزيادة	يلحق المئة في السنة
١٨٠٠ [١]	٢٦٠,٠٠٠		
١٨٤٠ [٢]	٣٠٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٠،٣٨
١٨٧٢ [٣]	٣٤٩,٨٨٣	٤٩,٨٨٣	٠،٥٢
١٨٨٢ [٤]	٣٧٤,٨٣٨	٢٤,٩٥٥	٠،٧١
١٨٩٧ [٥]	٥٦٥,١٨٧	١٩٠,٣٤٩	٣،٤٠

اما احصاء هذه السنة فلا سبيل اليه لان الحكومة لم تبدأ به بعد ولكننا نقدره بالقياس على ما ظهر لنا من الزيادة السنوية للمدة الماضية مع اعتبار بعض الاحوال . فقد رأيت ان معدَّل الزيادة السنوية تدرَّج في المدات الاربع من ٣٨، في اول القرن الماضي الى ٣،٤٠ في المئة للمدة من ١٨٨٢ — ١٨٩٧ واذا جرينا على هذه النسبة في ما بعد ذلك اي بين ١٨٩٧ و١٩٠٦ فلا يصح ان تكون الزيادة السنوية اقل من ستة في المئة لما امتازت به هذه المدة من كثرة المهاجرين واتقان الوسائل الصحية لان سكان المدن يختلف متوسط زيادتهم باختلاف تلك المدن ويختلف في المدينة الواحدة باختلاف ادوار عمرانها . واذا راجعنا احصاآت سكان المدن الكبرى رأينا مدينة نيو يورك من اقربها شبهاً بالقاهرة من حيث كثرة النازحين وسرعة النمو . وكان معدَّل الزيادة السنوية في سكانها من سنة ١٨٦٠ الى ١٨٩٠ لا يزيد على ٣ في المئة فصار بين هذه السنة وسنة ١٩٠٠ نحو ٥،٦ في المئة وبلغ في السنوات الثلاث الاخيرة اي من ١٩٠٠ — ١٩٠٣ نحو ١١ في المئة . فلا عجب اذا جعلنا زيادة سكان القاهرة ستة في المئة . وعلى ذلك يكون مجموع الزيادة في السنين التسع الاخيرة نحو ٣٠٥,٣٥٠ وباضافتها الى التعداد المشار اليه يكون مجموع ذلك ٨٧٠,٥٣٧ ولا نظننا نبالغ اذا قدَّرنا سكان القاهرة الآن بتسعمئة الف نفس

نسبة الابنية الى ما تشغله من الارض

قد رأيت ان عدد الابنية في القاهرة الآن نقلاً عن سجلات ادارة الاموال المقررة نحو ٦٧,٠٠٠ منزل وان مساحة الارض المبنية على تقدير مصلحة التنظيم ١٥,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع . وقد يتبادر الى الذهن اننا اذا قسمنا عدد الامتار على عدد المنازل حصلت لنا المساحة

---

(١) احصاء الحملة الفرنساوية (٢) كلوت بك (٣) علي باشا مبارك
(٤) احصاء الحكومة العام (٥) احصاء الحكومة العام

التي يشغلها كل منزل ولو فعلنا ذلك لاخطأنا . لان الابنية التي احصتها ادارة الاموال المقررة يدخل فيها كل بناء ضمن حدود القاهرة من دير الطين الى الترعة الشبراوية والمطرية ومن الجبل الى النيل . واما المساحة التي قدرتها مصلحة التنظيم فلا تتجاوز مصر القديمة جنوباً والظاهر والعباسية وأوائل شبرا شمالاً . فالابنية القائمة في المهمشة والدمرداش وكبري القبة وسراي القبة والزيتون والمطرية وشبرا وهي معظم ابنية قسم الوايلي وقسم شبرا يجب إخراجها من العدد المذكور

وقد رأيت ان مجموع ابنية هذين القسمين ٩,٢٦١ منزلاً لا يدخل منها في حدود التنظيم اكثر من النصف فاذا اخرجنا ٤,٥٠٠ من مجموع العدد كانت الابنية الواقعة في المساحة المنظمة نحو ٦٢,٥٠٠ منزل وبقسمة تلك المساحة عليها اي $\frac{١٥,٠٠٠,٠٠٠}{١١,٥٠٠}$ يلحق المنزل الواحد ٢٤٠ متراً مربعاً وهو متوسط ما يشغله البناء الواحد في داخل القاهرة

نسبة الابنية الى السكان

قد تقدم في تقديرنا سكان القاهرة الآن انهم نحو ٩٠٠,٠٠٠ نفس وقد يخيل للقارىء اننا بقسمة هذا العدد على عدد الابنية نعرف ما يلحق كل بناء ولكن جانباً كبيراً من هذه الابنية لا يسكنه الناس وانما هم يقضون فيه بعض اوقاتهم كالجوامع والكنائس والزوايا والمدارس والاضرحة ونظارات الحكومة وسائر الابنية العمومية كالمتحف المصري والمكتبة الخديوية والاوبرا وصندوق الدين والقراقولات وغيرها مما لا يبيت به الناس . ويدخل في ذلك كثير من مكاتب الشركات او البنوكة وقسم كبير منها في حي الاسماعيلية . وليس ذلك بالقدر الذي يستخف به لان في القاهرة نحو ٢٧٠ جامعاً و ٢٥٠ ضريحاً و ٢٢٥ زاوية وقس عليها . وربما بلغ مجموع هذه الابنية نحو ٧,٠٠٠ بناء فيبقى من الابنية نحو ٦٠,٠٠٠ منزل اذا قسمنا عليها عدد السكان لحق الواحد منها ١٥ نفساً ومعظم المنازل مبني من ثلاث طبقات وبعضها من ٤ أو ٥ طبقات ويندر البيت المؤلف من طبقتين

الارض الباقية في القاهرة بلا بناء

هذا هو اهم اجزاء الموضوع الذي نحن فيه بالنظر الى ما اردنا بيانه في هذه المقالة اي ما هو مصير الاراضي التي يتسابق الناس الى المزايدة في اثمانها وهي لا تزال غفلاً من البناء فهل يرجى تعميرها في وقت مناسب لما يتوقعونهُ من الكسب ام يطول بقاؤها بوراً حتى يملّ الناس الانتظار فتهبط الاثمان وينقلب هذا الغنى فقراً ؟ — ولا يتيسر الجواب على

ذلك جواباً دقيقاً الا بعد معرفة مقدار المساحة الباقية من القاهرة والنظر في كم يلزم لتعميرها من الناس . وهل يتم ذلك في المدة المناسبة

قد تبين في ما تقدم ان مساحة القاهرة اليوم ٧٥,٦٩١,٨٠٠ متر مربع يخرج منها اولاً مساحة الارض المبنية في المدينة المركزية وشوارعها وساحاتها وهي ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ متر . فيبقى ٥٥,٦٩١,٨٠٠ متر يخرج منها ما لا غنى عنه من الشوارع والساحات والميادين والحدائق وغير ذلك من المنافع العمومية — وقد رأيت هذه المنافع بلغت ربع مساحة القاهرة المركزية والمباني فيها متلازة وشوارعها اضيق كثيراً من الشوارع المخططة للضواحي غير ما في الضواحي من البقاع المشغولة بالترع والسكك الحديدية والميادين الكبرى والبساتين الواسعة مما لا مثيل له في اواسط المدينة فلا نظننا نبعد عن الصواب اذا قدرنا هذه المنافع كلها بثلاثين في المئة من المساحة الاصلية اي ١٦,٧٠٧,٥٤٠ متراً فيكون الباقي ٣٨,٩٨٤,٢٦٠ متراً أو قل ٣٩,٠٠٠,٠٠٠ متر يخرج منها البقاع التي لا يرجى بناؤها و بعضها مجاور للجبل ومنها المدافن والقرافة والامام الشافعي وقبور الخلفاء وما يجاور تلك الاماكن الجبلية مما لا يؤمل عمرانه . ونقدر هذه المسافات كلها بنحو ٩,٠٠٠,٠٠٠ متر فيكون الباقي الذي لا بد من عمرانه ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ متر - فكم يلزم من المنازل لتعمير هذه المساحة ؟

وقبل الجواب على ذلك ينبغي لنا النظر في ما هو قائم هناك من الابنية الآن لنقيس عليها شكلاً ومساحة . فنرى أن اكثرها قصور حولها الحدائق اشبه بما يسميه الافرنج Villa وهي تبنى في الغالب من طبقة واحدة قائمة على عقد أو ردم . وتختلف مساحة هذه القصور وحدائقها من ٥٠٠ متر الى الفين او ثلاثة آلاف او خمسة . فلا نبعد عن الحقيقة اذ قدّرنا متوسط مساحة البيت الواحد الف متر مربع . وعليه فلا يتم عمران تلك البقاع الا ببناء ٣٠,٠٠٠ منزل . منها الآن ٤,٥٠٠ قد تقدم انها دخلت في التعداد الاخير . فلا نزال في حاجة الى ٢٥,٥٠٠ بيت فاذا قدرنا لسكنى البيت الواحد بالقياس على ما هو جار هناك سبعة انفس كان مجموع ما يلزم لتعمير سائر ما بقي من ضواحي القاهرة ١٧٨,٥٠٠ نفس او قل ٢٠٠,٠٠٠ فاذا فرضنا زيادة السكان باقية على النسبة التي قدرناها للمدة الأخيرة أي ستة في المئة كل سنة اجتمع هذا العدد في اقل من اربع سنوات . وعليه فلا تمضي بضع سنوات حتى تمتلىء ضواحي القاهرة بالبيوت والقصور والشوارع والحدائق و يصير عدد سكان العاصمة جميعاً نحو ١,١٠٠,٠٠٠ نفس وعدد ابنيتها

٩٢,٤٢٧ بناء ومساحتها ٧٥,٦٩١,٨٠٠ متر مربع ٠ ومتوسط المساحة التي يشغلها المنزل الواحد حينئذ نحو ٨١٨ مترًا ومعدل السكان في كل بيت ١١٠٩ ويلحق كل واحد من السكان ٦٨٠٨ المتر من الارض٠ فتكون القاهرة اقرب المدن من هذا القبيل الى لندن عاصمة انكلترا لان الميل المربع من مساحتها يشغله ٣٨,٧٧٣ نفساً فيلحق الواحد منهم نحو ٦٦٠٧ المتر٠ واما برلين ففي الميل المربع منها ضعفا ما في لندن أو ٧٥,٥٥٣ نفساً فيلحق الواحد نحو ٣٤٠٢٥ من المتر المربع ٠ ومساحة نيويورك ٣٢٦ ميلاً مربعاً وعدد سكانها اليوم نحو ٤,٦٠٠,٠٠٠ فيلحق الواحد منهم ١٨٣ مترًا مربعاً ٠ والاستانة في الميل المربع منها ٨٠٠ نفس فيلحق النفس من سكانها ٣,٢٣٦ مترًا مربعاً ٠ فالقاهرة متوسطة في الازدحام بين امهات المدائن في اوربا واميركا

واما ما وراء حدود القاهرة من البقاع المعروضة للبيع في جهات الجيزة الى الاهرام وما بعد المطرية الى المرج فربما احتاجت في تعميرها الى اربع سنوات أُخر أو خمس أو ست سنوات وعليه فلا يمضي عشر سنين أو ١٢ سنة حتى تعمر القاهرة وضواحيها ويصير عدد سكانها نحو مليون ونصف مليون ويكون تعداد القطر المصري كله قد تجاوز ١٥ مليوناً

ومما يحسن التنبيه اليه في هذا المقام ان عمران المدن الكبرى لا يستلزم ازدحام الناس فيها على نسبة واحدة في كل اجزائها ٠ وانما يتزاحمون في اماكن العمل والاسواق الكبرى ويقلُّ الزحام في الارباض والضواحي على نسبة البعد عن تلك الاسواق٠ فقد رأيت في ما تقدم ان الواحد من اهل لندن يلحقه من مساحة تلك المدينة العظمى مثل ما يلحق احد سكان القاهرة ٠ وقد يستغرب القارىء ذلك لاول وهلة لما هو مشهور من ضخامة ابنية لندن وتعدد طبقاتها وتزاحم السكان في تلك الطبقات ٠ ثم لا يلبث استغرابهُ ان يزول اذا علم تفاوت الزحام في تلك المدينة بتفاوت البعد عن اماكن العمل ٠ ففي اطرافها البعيدة لا يشغل الفدان اكثر من خمسة انفس فيلحق الواحد نحو ٨٠٠ متر مربع ٠ وتتدرج في الازدحام حتى يلحق الواحد من سكان الاسواق ٢٠ مترًا و يبلغ الازدحام معظمه في اسواقها باثناء النهار فيلحق الواحد من المارة او الوقوف اربعة امتار وبعض المتر

ومما يلاحظ في نمو المدن الكبرى واتساع مساحتها ان العمران يتدرج في الانتقال من مركزها القديم الى ضواحيها الجديدة كأن الناس يطلبون البقاع الرحبة لانشاء المنازل الفسيحة او اقامة الابنية الضخمة لما يحدث فيها من البيوت التجارية الكبرى مما لا تتسع لهُ الشوارع والابنية في الاحياء القديمة ٠ فضلاً عن رغبة الناس في البقاع الصحية المطلقة الهواء٠ و يتضح

ذلك جلياً بمراجعة ما اصاب لندن في نموها اثناء القرن الماضي كما ترى في الجدول الآتي :

السنة	سكان لندن الاصلية	سكانها مع ضواحيها
١٨٠١	١٥٦,٨٥٩	٨٦٤,٣٤٥
١٨١١	١٢٠,٩٠٩	١,٠٠٩,٥٤٦
١٨٢١	١٢٥,٤٣٤	١,٢٢٥,٦٩٤
١٨٣١	١٢٥,٥٧٤	١,٤٧٤,٠٦٩
١٨٤١	١٢٥,٠٠٨	١,٨٧٣,٦٧٦
١٨٥١	١٢٢,٤٤٠	٢,٣٦٢,٢٣٦
١٨٦١	١١٢,٠٦٣	٢,٨٠٣,٠٣٤
١٨٧١	٧٤,٨٩٧	٣,٢٥١,٠٨٤
١٨٨١	٥٠,٦٥٦	٣,٨٣٤,١٩٤
١٨٩١	٣٧,٦٩٤	٤,٢٣١,٤٣١
١٩٠١	٣٠,٠٠٠	٤,٥٣٦,٥٤١

ويوافق ذلك ما نشاهده في القاهرة فان العمارة قد اخذت في الانتقال الى ضواحيها في الاسماعيلية والازبكية والتوفيقية والفجالة وغيرها — سنة الله في خلقه

وسنتكلم في الهلال القادم عما عساه ان يكون من امر هذه الثروة في المستقبل

داء السل

تاريخه واسبابه والوقاية منه وعلاجه

لا مشاحة ان الصحة الجيدة افضل ما في هذه الدنيا وكنوز العالم لا توازيها وعليه نرى الانسان على تفاوت درجاته في الارتقاء يخشى الوقوع في الامراض حتى كان القدماء يفضلون موت ضعيفي البنية على حياتهم طبقاً للسنة الطبيعية « بقاء الانسب »

فاليونان مثلاً كانوا يعتبرون النسل للوطن فكانوا يعرضون اطفالهم واولادهم للعوامل الطبيعية فاذا تغلبوا عليها عاشوا سليمين فينفعون الوطن ويموت ضعيفو البنية من

شدة تأثير تلك العوامل فيفرح والدوهم بموتهم لاعتقادهم انهُ خير لهم من حياة لافائدة منها للوطن

ولكن هذه العادة تغيرت بعد ظهور الديانة المسيحية وانتشار تعاليمها الآمرة بالشفقة والرحمة. ولنا بقصة السامري الذي وقع بين يدي اللصوص احسن مثال . ومن ثمار تلك التعاليم الآن تخفيف اوجاع المرضى والعناية بهم واطالة ايامهم فتأسست لذلك الجمعيات وانشئت المستشفيات والملاجيء . ويسرنا ان نرى حكومة هذا القطر السعيد مهتمة بامر المستشفيات لمداواة الفقراء وان نرى عناية فضلاء بيروت باعالة اهل الفاقة وتخفيف آلامهم فأنشأوا المستشفى الوطني الوحيد في ولاية سورية اعني بهِ مستشفى القديس جاورجيوس حيث يعالج الفقراء فيه مجاناً على اختلاف مذاهبهم . فالى مثل هذا المشروع نوجه التفات اغنيائنا ونقترح عليهم ان يضيفوا الى المستشفيات في هذا القطر وفي سورية مستشفى خاصاً بداء السل كما تفعل حكومات اوروبا واميركا وكما يفعل الاغنياء المحسنون في تلك البلاد لانهم تحققوا بالاختبار ان هذه المستشفيات من اكبر العوامل في منع انتشار هذا الداء وشفاء الكثيرين من المصابين بهِ فعسى ان لا تحرم بلادنا هذه الامنية النافعة

تاريخه

كان السلُّ معروفاً منذ عرف الطب وقد عرفهُ اسكيلاب وذكره أبقراط وجالينوس والرازي وابن سينا وغيرهم من اطباء الاعصر الغابرة . ولكنه كان نادر الوجود وقد تزايد كثيراً وانتشر بانتشار المدنية حتي اصبح من الاخطار العظيمة التي تهدد الجنس البشري بالانقراض . ولذلك ترى الامم المرتقيـة كلما ازدادت رقياً ازدادت عنايةً باتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة هذا الداء ومنع انتشاره وقد الفوا لذلك الجمعيات وجمعوا الاموال والحكومات تشجعهم بما لديها من الوسائط . ولو اردنا سرد هذه الجمعيات وما نالته من التعضيد لضاق بنا المقام . الا اني اذكر حادثة قريبة العهد وذلك اني قرأت في احدى المجلات الطبية الاميركية منذ ثلاث او اربع سنوات ان ملك الانكليز انشأ جمعيـة خصوصية لمقاومة داء السل في بلاده جعلها تحت رعايته

واظنهُ رئيسها الشرفي وعين جائزة مالية لمن يكتب احسن مقالة في الوقاية من داء السل وأحسن طرق علاجه فنال الجائزة احد اطباء بلاده . فهل لنا من سمو اميرنا المحبوب ان ينفح هذا القطر السعيد بهذه الامنية فيأمر بتشكيل جمعية من رجال القطر المصري تكون غايتها اتخاذ التدابير اللازمة لمقاومة داء السل . وهل لاطبائنا وأعياننا ان يؤلفوا هذه الجمعية ويشرفوها برعاية الجناب العالي ورئاسته فيضيفوا الى مبراتهم العديدة مبرة أخرى يكسبون بها فخرًا وأجرًا

تسميته

سمي هذا الداء قديماً بالسل اشارة الى الهزال الذي يصيب العليل ويعرف هذا المرض عند الافرنج باسماء يوافق معناها معنى الاسم العربي وأنواع هذا المرض عديدة لم يتمكن القدماء من معرفتها تماماً ولكن اطباء اليوم قد عرفوها حقّ المعرفة بفضل ماوصل اليه علم الطب من الترقي بالاكتشافات الحديثة ولا سيما الميكرسكوب فانه اوصل البكتيريولوجيا الى درجة من الاتقان لم يكن يحلم بها الاولون

فبواسطة الميكروسكوب اكتشفوا على جرثومة مرض السل فحيثما وجدت هذه الجرثومة أو الميكروب المدعو باشلس السل كان ذلك الموضع مصاباً بمرض السل ولو كان ذلك على سطح الجلد في الذراع او الرجل او الوجه فاذا وجدوا هناك قرحة فيها باشلس السل اعتبروا الموضع مسلولاً وهكذا لوكان في العظم او في الاحشاء البطنية او الصدرية . ويستعمل الاطباء في مثل هذه الحال اسماء يعرفون منها المرض الموضعي . فالسل الجلدي يسمونهُ لوبس والسل الرئوي يقال له فتيسس Phthisis الخ . فضلاً عن اسماء اخر يعبرون بها عن حالة سير المرض كالسل المزمن البطيء والسل الحاد المستعجل الا ان السل مهما تعددت انواعه واختلف تقسيمه فانه واحدٌ وانما يختلف سيره ونتائجهُ باختلاف محل الاصابة والمزاج والاقاليم والمعيشة . وقد توجد قرحة سلية على وجه رجلٍ فيعدي بها صاحباً له في رئته . اي ان السل الجلدي قد ينتج عنه عدوى بالسل الرئوي

اسبابه

اما الاسباب فهي عديدة ومتنوعة تنقسم الى قسمين رئيسيين اسباب محركة واسباب معدّة . والسبب المحرك هو الباشلس السلي والعدوى به تحدث على طرق عديدة اهمها (١) الوارثة من الوالدين وهذه نادرة الوقوع حتى انكر كثيرون من الاطباء صحتها ولكنني اعتقد امكان حدوث السل بالوراثة فيرث الولد المرض من احد ابويه ويظهر الميكروب في جسمه بالارث (٢) قد تتصل العدوى بواسطة الهواء وهذه اكثر حدوثاً من الطرق الاخرى . لان المصاب بالسل اذا سعل وبصق في الشوارع او غيرها وشفته ملانة من باشلس السل فمتى جفت البصقة يتطاير منها الوف من ذلك الباشلس في الهواء فيستنشقها المارة فمن كان مستعداً للمرض يصاب به (٣) قد تحدث العدوى بواسطة الطعام والشراب اذا اكل المرء لبناً (حليب) اولحم حيوان مصاب بداء السل وكان جسم الاكل مستعدّاً له فيصاب به (٤) اماكن الفحشاء فانها كثيراً ما تكون واسطة لانتشار العدوى بداء السل كما تنشر داء الزهرى وغيره من البلايا والامراض الوخيمة وقد يمكننا ان نتوسع في تعداد الاسباب التي يدخل باشلس السل بها الجسم الانساني ولكن الطرق المتقدمة هي الرئيسية

والاسباب المعدّة للمرض كثيرة ايضاً اهمها (١) السكن في الاماكن القذرة المظلمة والرطبة قرب المستنقعات (٢) الوارثة اى ان الولد يرث ضعف البنية والاستعداد للمرض من والديه بغير ان يرث منهم المرض فيولد وجسمه قابل للعدوى وهذا هو الرأى الشائع الآن من قبيل الوراثة عند اكثر الاطباء (٣) السل والعمر : وجدوا بالاختبار والمراقبة ان الناس يصابون بالسل على تفاوت اعمارهم فهو لا يرحم شاباً ولا يشفق على رضيع اوشيخ هرم ولكنه يشتد غالباً بالذين عمرهم مابين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثون (٤) المهن والصنائع التي من شانها الانحباس عن الهواء النقي والتعرض للغبار والاحتجاب عن نور الشمس حيث يفسد الهواء وتكثر الرطوبة (٥) الاصابة بالنزلات الصدرية والالتهابات الرئوية (٦) الامراض التي تضعف البنية (٧) الامزجة وهيئة البنية اي شكلها وتركيبها فقد لوحظ ان ضيق الصدور وطويلي الاعناق ومرتفعي

رفشي الكتفين واصحاب المزاج الاسكروفيولي اللمفاوي واصحاب المزاج الدموي ذوي البشرة الناصعة البياض والشعر الذهبي يكونون اكثر تعرضاً للاصابة بهذا المرض من سواهم

اعراضه : اما اعراض مرض السل الرئوي في بداية الاصابة فلا تخفى معرفتها على الطبيب المدقق اما اذا أزمن وتمكن من الرئة فاعراضه تظهر حتى يعرفها العامة بسهولة فلا حاجة الى الاطالة في تعدادها . واما الاعراض الاولية في بداءة المرض فيعرفها الاطباء ويعسر على العامة ادراكها فنضرب صفحاً عن ذكرها وننتقل الى ما هو اكبر اهمية وأكثر فائدة وهو الكلام عن الوقاية والعلاج

الوقاية

فالوقاية على نوعين رئيسين وقاية خصوصية ووقاية عمومية . والوقاية العمومية تقوم بملافاة الاسباب المعدة للمرض (وقد تقدم ذكرها) مع الاعتناء بالقواعد الصحية كالنظافة وانتظام المعيشة وعدم الافراط في الشهوات الحيوانية والامتناع عن العادات المضعفة كالقمار والسهر الطويل وغيرها

والوقاية الخصوصية على ثلاثة أنواع (اولاً) الاحتياطات التي يجب على الحكومة اتخاذها (ثانياً) الاحتياطات الواجبة على المستعدين للمرض (ثالثاً) الاحتياطات التي على المصابين به

فالاحتياطات المطلوبة من الحكومة هي (١) انشاء المستشفيات الاختصاصية لمعالجة المصابين بداء السل تحت ادارة الحكومة او يتعاون اهل البر والاحسان على انشائها وادارتها بأوامر الحكومة ومساعدتها (٢) ان تحظر الحكومة على الناس البصاق في المحلات العمومية كالقهوات والمنتزهات وعربات النقل كالترامواي وعربات السكك الحديدية ومحطاتها وقاعات الانتظار واللوكندات والمطاعم العمومية والكنائس والمدارس والمراسح والجوامع بان تطبع اوراقاً باحرف كبيرة واضحة تقرأ عن بعد هذا معناها « ممنوع البصق في هذا المكان » وتلصق هذه الاوراق معرضة لانظار الناس حيث لاتختفي عن ابصارهم (٣) ان تخول البوليس سلطة القبض على من يخالف ذلك وتغرمه بمبلغ من المال ولوكان طفيفاً (٤) ان تطبع الحكومة أو ادارة

الصحة أوراقاً تبين بها الخطر الذي يهدد الجنس البشري من داء السل وكيفية انتشار العدوى بالسعال والبصاق وتذكر طرق الوقاية وتوزع هذه الاوراق في الاحياء المزدحمة وفي المحلات العمومية حيناً بعد حين

اما المستعدون لقبول السل فعليهم ان يراعوا الشروط الآتية (١) الاعتناء التام بالنظافة البيتية والبدنية (٢) تناول المأكولات المغذية من نبات ولحم ولا نعني بالمأكولات المغذية التأنق في الطعام والاكثار من اللحوم وانما نريد الاعتدال في الاطعمة مع البساطة في تناولها والاعتناء في انتقائها وطبخها . واهم المأكولات البسيطة المغذية اللبن الحليب والبيض والجبن والسمك واللحوم والزبدة والسمن والزيت وكل الحبوب والاثمار والخضر والبقول فانها مفيدة ومغذية اذا لم يكثر الانسان من تعداد الاصناف دفعة واحدة (٣) الابتعاد عن الصنائع او المهن التي تعرضه لاستنشاق الهواء الفاسد والغبار (٤) اجتناب كل الاسباب المعدة للمرض وقد تقدم ذكرها وعليه خصوصاً ان يجتنب السهر الطويل والمسكر والميسر وان يعف في المطالب النفسانية ويحترس من الاسباب التي تتعب العقل والجسد (٥) اغتنام الفرص الممكنة للتمتع بالهواء النقي المطلق وتعريض جسمه لنور الشمس (٦) ممارسة الرياضة البدنية غير المنهكة للقوى ويجب على الخصوص ممارسة التنفس العميق لا اقل من ثلاث مرات في النهار . وأحسن الطرق لاتقان ذلك ان يقف الانسان عاري الصدر امام المرآة منتصباً ويطبق فمه ويستنشق الهواء متتابعاً من انفه ويلاحظ ارتفاع صدره في المرآة فيرفع ذراعيه فوق رأسه بسرعة مثل سرعة ارتفاع الصدر وقت التنفس . فاذا ابتدأ بالزفير (اخراج النفس) فليخرجه ببطء كما استنشقه فيأخذ الصدر بالانخفاض فيجب ان تنخفض الذراعان معه ويعاد التنفس على هذه الصورة مراراً مع التوفيق بين ارتفاع الصدر وارتفاع الذراعين في الشهيق وانخفاضها في الزفير — يمارس ذلك عشر دقائق امام المرآة بغرفة نظيفة الهواء ويكرره حتى يتقنه فلا تبقى حاجة الى المرآة فيمارسه على هذه الكيفية في البرية وبين الاشجار فتتضاعف المنفعة (٧) الاستحمام بالماء البارد مسحاً بالاسفنجة او رشاً بالدوش او صباً بالحمام او سباحة في

البحر ولاسيا البحر المالح فان الاستحمام فيه من افضل الوسائط لتقوية البنية ووقاية البدن من العدوى . ولا بد قبل اختيار احدى هذه الطرق من استشارة الطبيب وهو يشير باحداها بعد الفحص الطبي اذ يطلع على حالة قلب الانسان من الضعف والقوة وحال رئتيه (٨) على المستعدين لهذا الداء وهم الذين يموت بعض آبائهم به ان يعرضوا أنفسهم للكشف الطبي مرة كل ثلاثة اشهر على الاقل وان كان هناك داعٍ فكل شهر مرة وان يصغوا الى ارشادات الطبيب

أما الوسائل التي يجب أن يعمل بها المصابون فتقسم الى ثلاثة اقسام : الاحتياطات الشخصية والاحتياطات الخارجية والاحتياطات الداخلية

فالاحتياطات الشخصية هي :

(١) لبس الفنالا الصوفية مباشرة على الجلد ويلبس فوقها ثياباً خفيفة ولا يستحسن الاكثار من الثياب لان ذلك مضرٌ بالصحة

(٢) الانتباه في أحوال المعيشة للاحتياطات المفيدة التي يطالب بها المستعدون لقبول المرض وقد تقدم ذكرها

(٣) يجب على المصاب أن لا يشرك معه أحداً في طعامه أي لا يأكل مع أحد من صحن واحد ولا يستعمل أدوات الطعام والشراب التي يستعملها سواه بل يكون له أدوات خاصة به

(٤) أن يخصص كل ما يحتاج اليه في معيشته وخدمته ولا يسمح لاحد أن يستعمل شيئاً من ذلك

أما الاحتياطات التي يجب على العليل اتخاذها خارج البيث فهي (١) ملاحظة الاحتياطات التى تطلب من المستعدين لقبول المرض (٢) ملاحظة كل ما تقدم تحت الاحتياطات الشخصية (٣) اذا كان العليل قادراً على التجول في الاسواق وزيارة الاقارب والاصدقاء فعليه أن يحمل في جيبه مناديل من الورق الناعم فاذا اضطر الى السعال والبصق فليبصق في واحد منها ثم يحرقه بالنار . أو أن يضع ذلك المنديل في كيس مشرب بمحلول السليماني — واذكر ان في أوروبا وأميركا مباصق

تحمل في الجيب لهذه الغاية — فاذا كان العليل حريصاً في هذا الامر وامتنع عن استعمال الادوات العمومية فلا خطر من زياراته

والاحتياطات الداخلية هي التي يجب اتخاذها ضمن البيت أهمها (١) مراعاة سائر الاحتياطات الشخصية كما تقدم (٢) تعيين غرفة نوم خاصة بالعليل لا ينام معهُ فيها أحدٌ الاّ اذا اضطر لمن يخدمه في الليل فيعين لهُ شخص عمره فوق الخامسة والثلاثين لان الاجسام تقل قابلتها للعدوى بعد هذا السن (٣) يجب أن تكون الغرفة المخصصة للمريض كبيرة ومعرضة لنور الشمس مطلقة الهواء وتفتح نوافذها (الشبابيك) طول الليل والنهار صيفاً وشتاء ويتقي العليل البرد بالغطاء (٤) على العليل أن لا يبصق الا في مباصق فيها محلول السليماني أو الكلس الحراق (٥) يجب ان تكون النظافة البيتية والبدنية في غاية الاتقان وأن تكون المعيشة منتظمة هادئة والمأكولات مغذية سهلة الهضم (٦) يستحسن وضع كمية كبيرة من الكلس الحراق تحت سرير المريض (٧) توضع افرازات المريض ومبرزاته في محلول من الكلس الحراق تحفظ ربع ساعة قبل ان تلقى في المحلات المعتادة (٨) تغسل ثياب المريض وكل ما يلزم لخدمته على حدة ويحفظ في مكان على حدة (٩) على العائلة أن تنفذ ارشادات الطبيب المعالج بكل اخلاص واعتناء

العلاج

يقال اذا كثرت الادوية لداء فليس لذلك الداء دواء وهذا القول ينطبق كل الانطباق على السل لانهم عالجوه من أقدم الازمنة الى الآن باكثر الادوية المعروفة من الفصاد الى الحقن بالمصل وشرب لبن الحمير والخيل ولم يحصلوا على النتيجة المطلوبة فيصح القول حقيقة ان السل داء لا دواء له الا ان الابحاث والتجارب العلمية لم تقنط من السعي في مقاومته وشفائه فكانت النتيجة حسنة فتمكن أطباء اليوم من شفاء المصابين اذا كانت اصابتهم حديثة أو من اطالة حياتهم وتخفيف آلامهم اذا كانت الاصابة قديمة مستفحلة وكفى بذلك خدمة للانسانية وباعثاً على الامل بحسن النتيجة في المستقبل الى ان يشاء الله فيفتح على الاطباء بدواء شاف. وآخر ما

افتحوه من منافذ الآمال في هذا الشأن التجارب العظيمة التي يجريها جهابذة العلماء والاطباء كبهرنج وخلافه في كل أقطار المعمور تحت رعاية حكوماتهم وسخاء أهل البر من بني جنسهم . ولما كان الرأي المعقول لايحرم نصيرًا في هذه الايام رأينا ان نذكر رأينا الخاص من حيثية العلاج الذي نعتقده مفيدًا في داء السل — ذلك أننا لاحظنا بنوع خاص في اثناء عشر سنين مارسنا فيها مهنة الطب ان داء الروماتزم وداء السل لايجتمعان في انسان واحد وبعبارة أخرى أن المسلول مهما تعرض للاسباب التي تولد داء الروماتزم فلا يصاب به . ولم أر امرءًا مصابًا بالروماتزم أصيب بداء السل واجتمعت في أميركا بصديقي الدكتور لانكن واعلنت له ملاحظتي فاخبرني انه انتبه لها أيضًا وانه لم يشاهد حادثة من هذا القبيل في طول مدة ممارسته الطب أي نحو ٣٠ سنة فنستنتج من ذلك انه قد يكون في جسم المصابين بالروماتزم مادة خصوصية تقيهم شر الاصابة بداء السل وقد يمكن استحضار هذه المادة او استخراجها من المصاب واستخدامها في معالجة هذا الداء . وقد عزمنا منذ مجيئنا الى المنصورة ان نجرب ذلك متى جاءنا مريض بداء الروماتزم الحاد على سلامة جسمه من داء الزهري ورضي ان نستخرج من مفاصله المتورمة بداء بالروماتزم مصلاً نحقن به المسلول مرارًا متوالية ونراقب النتيجة . ولكننا لم نتوفق الى اخراج هذا الفكر الى حيز العمل بعد اذ لم يتيسر لنا اقناع احد المريضين فرأيت ان اعلن هذا الفكر لحضرات الاطباء عسى ان يطلع عليه من يهمه هذا البحث فيتمكن من تجربته فيكون منه نفع للانسانية

اما العلاج المعول عليه الآن فقاصرٌ على الوسائط الهيجينية الطبيعية ومرجعها الى المعيشة ليلاً ونهارًا في الهواء النقي مع الاعتناء في امر النظافة البدنية والبيئية وتناول الاطعمة الجيدة المغذية مع معاطاة الادوية المقوية للجسم والهضم وكل هذا يجب ان يجري تحت مراقبة الطبيب المعالج والسلام

(المنصوره) الدكتور جرجي نور

عضو في جمعية نيويورك واكادمية نياغرا الطبيتين

انساب العرب القدماء

ردٌّ على القائلين بالامومة والطوتمية عند العرب الجاهلية

٣ — الأمومة عند العرب

الامومة على الاجمال

الامومة الانتساب الى الام ويراد بها انتساب اهل القبيلة او الامة الى امهاتهم بدلاً من آبائهم فيقال فلان بن فلانة كما يقال في الابوة فلان بن فلان والامومة من الابحاث التي حدثت في أواسط القرن الماضي بعد شيوع مذهب الارتقاء واول من استلفت الانظار اليها عالم الماني اسمهُ باخوفن في كتاب نشره سنة ١٨٦١ فاهتم بهِ علماء العمران لاختلافه عما تعودوه من نظام العائلة المألوف . ومرجع بحثه ان الامومة سابقة في تاريخ العائلة للابوة فعنده ان الزواج كان عند الاقدمين فوضوياً بلا شرط وهو زواج المشاركة . فاذا ولدت بعض النساء غلاماً لا يمكن تعيين والده وهو ملازم امه للرضاع فينتسب اليها ويعرف بها فيصير الانتساب الى الامهات قاعدة عامة فأصبح للمرأة المقام الاول في الحياة الاجتماعية وهي صاحبة النفوذ كما هو حال الرجل اليوم

ثم ظهر كتاب مكلينان الانكليزي في الزواج عند القدماء Primitive Marriage نشره سنة ١٨٦٥ فذهب في الامومة مذهباً جعل اساسه الزواج الخارجي اي تزوُّج الرجال بنات من غير قبيلتهم بالغزو لقلة البنات عندهم بالوأد (على زعمه) فنشأ عن ذلك في اعتقاده زيادة عدد الرجال فاضطر كل جماعة منهم الى الاكتفاء بامرأة واحدة وهو تعدد الازواج وانحصر النسب في الام وعلت منزلتها . وهو قول ضعيف الاسناد متناقض المعنى — كيف يمكن حفظ النسب بالامهات وكل منهن مجلوبة من الخارج ولها نسب خاص ؟ على ان مذهب مكلينان في اصل العائلة ما لبث ان سقط بما كتبه فيهِ المنتقدون وخصوصاً مورجن العالم الاميركاني صاحب كتاب نظام الاجتماع عند القدماء فقد برهن ان الزواج الداخلي لا ينافي الامومة . وكتب في الامومة ونظام العائلة غير واحد من علماء الاجتماع الالمان والفرنساويين والانكليز والروس وغيرهم مثل باجيهوت ودارغون واميرا

وويلكن وستارك و بريد وجيرو وسميث ووسترمارك وغيرهم مما يطول بنا تعداده فنكتفي بآخر من خاض هذا العباب الاستاذ و يلكن المستشرق في كلية ليدن فانه وضع كتاباً في الامومة عند العرب على الخصوص كتبه بعد مطالعة كتاب الاستاذ روبرتسن سميث في طوتمية العرب فوافقه من وجوه وانتقده من وجوه ولكنه يرى رأيه في ان الامومة كانت سائدة عند العرب قبل الاسلام وان الانساب التي يتناقل العرب اخبارها موضوعة . واستشهد بقول نولدكي المستشرق الالماني الشهير في هذا الشأن وخلاصة قوله ان الانساب العربية وضعها ابن الكلبي وغيره بعد الاسلام لفقوها تلفيقاً (1) وهو قول قد بيَّنا بعده عن الامكان وستأتي تتمة الكلام

ولو اردنا الاتيان على اقوال الباحثين في هذا الموضوع لضاق بنا المقام فنتقدم الى النظر في ادلة سميث التي نحن في صددها ومن قال قولهُ :

ادلتهم على امومة العرب

ليس في ادلة سميث ولا غيره على الامومة عند العرب قول صريح او دليل ثابت وانما هي قرائن او اشارات لو ثبتت امومة العرب لكانت مؤيدة لها لا ان تكون هي وحدها دليلاً عليها . فانتساب بعض القبائل او البطون او العشائر الى امهاتهم وتأنيث اسماء القبائل واشتقاق لفظ الامة من الام واطلاق لفظ الخال على اهل الام جميعاً وامتلاك بعض النساء عصمتهن بالطلاق وغير ذلك مما عوَّل عليه صاحبنا في اثبات قوله على ماسنبينه — فهذه كلها اذا فرضنا ثبوتها لايجوز اتخاذها دليلاً على ان العرب كانوا ينتسبون الى امهاتهم او ان اساس العائلة عندهم المرأة . لان وجود هذه الاحوال في جاهلية العرب لا ينافي انتسابهم الى آبائهم بل هي تعدُّ من قبيل الشواذ او انها وقعت على سبيل الاتفاق . ولو جاز لنا ان نجعل الشواذ قواعد لفسدت احكامنا وضللنا في اقوالنا وعقائدنا . فالثابت منذ قرون عديدة ان العرب وغيرهم من الشعوب السامية كان نظام الاجتماع عندهم كما هو الآن اي ان الرجل رأس العائلة وهو سيدها و يؤيد ذلك لفظ «البعل» للزوج والسيد جميعاً . ناهيك بشهادة التوراة فانها مع قدم عهدها لم يرد في نص من نصوصها فقرة تشير الى الامومة او تدلُّ على وجودها او اثر شيوعها عند الساميين او غيرهم ولو على سبيل النقد او النهي او الاصلاح . ولا ورد شيء من ذلك في القرآن ولا شوهد منقوشاً على الآثار في مملكة من ممالك الشرق قديماً ولا حديثاً بل كل ما جاءنا من هذه السبيل يؤكد سيادة الابوة عند

---

(1) Zeitsch. der Deutch. Morg. Gesl. Bd. XVII. 707

الساميين . ولو افترضنا وجودها لاقتضى ان يكون ذلك قبل اسفار موسى بمدة لا نعلم مقدارها لان هذه الاسفار لما كتبت لم يكن للامومة اثر على الاطلاق . بل ينبغي ان تكون قد امحت آثارها قبل موسى بعدة قرون لان شريعة حمورابي التي اكتشفوا نصها مؤخرًا دونت نحو القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد (١) وكل ما جاء فيها عن الزواج والطلاق ونحوهما يدلُّ على ان نظام العائلة كان في عصر حمورابي نحو ماهو عليهِ الآن — الرجل رب العائلة . وليس في نص من نصوص شريعته اوموادها لفظ او عبارة او قرينة تدلُّ على وجود الامومة تصريحاً ولا تلميحاً . ولا اطلعنا على ذكر الامومة او الاشارة اليها في كتاب من الكتب القديمة المتصلة بالخرافات مع ما تتضمنه من اقاصيص الآلهة ونحوها . ولا اكتشف المكتشفون على نقش من نقوش الاطلال فيهِ اقل اشارة الى ذلك — فكيف يجوز القول بوجودها والاستناد في اثباتها الى بعض القرائن الضعيفة

قول استرابون

والظاهر ان القائلين بالامومة عند العرب نبههم اليها ما طالعوه في كتب السياح عن وجود زواج المشاركة عند بعض القبائل المتوحشة بين هنود اميركا واوستراليا وفي تيبت ونحوها وان العرب الجاهلية كان عندهم نوع من هذا الزواج فذهبوا الى شيوعها قبل الاسلام وخصوصاً بعد ان قرأوا ما قالهُ الرحالة استرابون عن الزواج عند العرب في عصره أي نحو القرن الاول قبل الميلاد . فقد جاء في الكتاب السادس عشر من رحلته ما ترجمتهُ : « والزواج عندهم مشترك بين الاخوة فللاخوة جميعاً امرأة واحدة والذي يدخل منهم اليها أولاً يترك عصاه بالباب واما الليل فهو خاص باكبرهم وقد يأتون امهاتهم والزناة يعاقبون بالقتل وهم الذين يتزوجون من غير قبيلتهم » (٢) فقد يتبادر الى ذهن المطالع لاول وهلة ان هذه الفقرة تؤيد الامومة وليس الامر كذلك لان هذه القصة انما تشير الى اشتراك الاخوة في الزواج بامرأة واحدة وليس اهل العشيرة جميعاً فهي تدلُّ على وجود العائلة واستقلالها مما يخالف شروط الامومة . وتشير ايضاً الى تحريم الزواج الخارجي وهو من اسس الامومة عند اصحابنا . ويقول استرابون ان العرب كانوا يعاقبون مرتكبهُ بالقتل

وهب ان نص هذه الحكاية لايخالف ما يريدونهُ بالامومة فتكون الامومة شائعة عند العرب حوالي تاريخ الميلاد . وقد تقدم قول الاستاذ سميث ان العرب والعبران والاراميين

(١) الهلال سنة ١٣ (٢) Strabon, Trad. A. Tardieu, Livre XVI. 25

كانوا في اقدم ازمانهم عائشين معاً في جزيرة العرب ثم خرج العبرانيون والاراميون وظل العرب مكانهم · وبينّا قبلاً ان العبرانيين لا ذكر لهذا الزواج عندهم على الاطلاق ولا سمعنا بمثله عند الاراميين واغفال حمورابي ذكره في نصوص شريعته يدلُّ على انهُ لم يكن معروفاً في عصره بين النهرين او ما يجاورها · فكيف نصدق وجوده عند العرب نحو تاريخ الميلاد · فالارجح عندنا ان يكون استرابون قدشاهدحادثة من هذا النوع عند بعض الناس فاطلقها على سائر العرب · او سمعها من بعض الرواة فصدقها لغرابتها فاوردها على علاتها كما يفعل كثيرون من امثاله الذين يرحلون الى بلاد الشرق فيعولون في وصف اهلهِ وعاداتهم على ما يلقيه اليهم بعض التراجمة او عابري السبيل بما فيه من المبالغة او الاختلاق وهم ارغب في نشر الغريب استجلاباً لاعجاب قرائهم كما حدث في الاجيال الوسطى وما بعدها على اثر انتشار الاسلام

ومع اشتغال الافرنج بنقل العلم عن الكتب العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد واختلاطهم بالمسلمين في قرطبة وطليطلة وغيرها فقد ظلوا يجهلون تهجئة اسم النبي فيكتبونهُ تارة مفمت Mophomet وآونة بفمت Bophomet وحيناً بافون Bafon وكانوا يظنون محمداً صنماً يعبده المسلمون حتى بولوجيوس احد كهنة قرطبة العلماء مع مخالطته المسلمين في تلك العاصمة فقد كتب عن الاسلام مفتريات لا اصل لها في كتبهم ولا في تعاليمهم · كقولهمثلاً ان النبي اعلن اصحابه ان الملائكة ستحملهُ الى السماء بعد موته بثلاثة ايام — زعم انهُ نقل ذلك من مسودات لاتينية عثر عليها في بمبلونة · فقس عليهِ ما قد يختلقهُ غير العارفين كما حدث ويحدث كل يوم الى عهد غير بعيد · حتى الذين يقيمون بين اظهرنا اعواماً فقد ينقلون عنا الاكاذيب التي ما انزل الله بها من سلطان وربما رأوا حادثة غريبة ارتكبها بعض الناس عن جهل او اتفاق فيعدونها من القواعد المرعية عند سائر افراد الامة · وبين يدينا رحلات عديدة كتبت ونشرت في اثناء القرنين الماضيين عن سوريا ومصر وفيها من المفتريات ما لا اصل لهُ الاَّ في ذهن الكاتب او ملقنه · ولو لا انتشار الطباعة وخروج الناس الى نور العلم وتصحيح تلك المفتريات لرسخ في اذهان اهل الغرب ان الشرقي يكدن امرأته للحراثة وانهُ يزرع القوارما (اللحم المقلي) وهو يعتقد انه سيستغل خرفاناً ويزرع الفحم ليستغل عبيداً — فكيف في عصر استرابون منذ نيف وتسعة عشر قرناً وهو يكتب عن قوم لا يعرف اسانهم ولا اقام بينهم ؟ ويؤيد ذلك ان تتمة قولهِ في هذا الموضوع تدلُّ على انهُ اورده على سبيل الحكاية ولم يغفل الاشارة الى ضعف اسناده بقوله يزعمون

(On dit) فلا عبرة في ما ذكره استرابون بالنظر الى الامومة وهو بظاهره اصرح ادلة صاحب طوتمية العرب· واما سائر ادلته فانما هي قرائن ضعيفة لا يصح الاعتماد عليها · وحتى لا يقال اننا لم ننصفه نأتي بتلك الادلة وننظر في كل منها على حدة وهي :

١ — الانتساب الى الامهات (صفحة ٢٧ و٣٠ من كتابه)

كقولهم بنو خندف و بنو ظاعنة وكلاهما اسم امراة نسبت القبيلة اليها — ولو نقبنا بين المئات من اسماء القبائل والبطون والافخاذ ماوجدنا بينها من ينسب الى امهم الأ بضعة قليلة · فاي غرابة في ذلك وبين العائلات اليوم نحو عشرة في المئة ينسبون الى الامهات كآل ظريفة وآل نقلا وآل نور وآل نائلة وآل ماريه وقس عليه اهل اللغات الاخرى · فهل يجوز الذهاب الى ان هذه الاسماء من آثار الامومة عند اسلافنا ؟ ام نأتي على تعليلها من الطريق الاقرب وهو ان بعض هذه العائلات نسبت الى امرأة هي جدتهم العليا لان جدهم مات وهي كفلتهم وربتهم فعرفوا باسمها · وقد يكون الاب مجهولاً لحصول الحمل من السفاح مما يحدث في الجاهلية وغيرها فيولد الولد لا يعرف ابوه فينسبونه الى امه كما وقع لزياد بن ابيه الصحابي الداهية فقد كان يعرف باسم امه سمية فيقال زياد بن سمية ولولا استلحاق معاوية اياه بنسبه لعرف اعقابه بآل سمية ولو تقادم عهد هذه العائلة ونُسي خبر امها لاضافها صاحبنا الى اسماء امهات القبائل وعدها من بقايا الامومة

ويكثر الانتساب الى الامهات على الخصوص في الامم التي يتزوج رجالها امرأتين فاكثر فيولد للرجل ولدان من والدتين يسميهما باسم واحد فينسب كلٌ منهما الى امه فضلاً عن انتسابه لابيه تمييزاً لهُ عن ابن الام الاخرى وقد يشتهر بنسبته الى امه دون ابيه وامثلة ذلك كثيرة قبل الاسلام وبعده · فقد كان لعليّ بن ابي طالب غير امراة ولد لهُ منهنَّ عدة اولاد من جملتهم ثلاثة كل منهم اسمه محمد فنسب احدهم محمد الاكبر الى امه خولة بنت جعفر من بني حنيفة فسمَّاه محمد ابن الحنفية فلو عاش هذا في الجاهلية لعرف اعقابه ببني الحنفية بطن من هاشم او من قريش كما عرف بنو العدوية نسبة الى امهم من قبيلة عدي

وقد يشتهر الرجل باسم امه وان لم يكن له سمي من اخوته وانما يقع ذلك لشهرة والدته · فمحمد الامين بن هرون الرشيد اشتهر بابن زبيدة لفضل امه على سائر امهات الخلفاء وشهرتها وقس عليه · فهل يجوز ان تؤخذ هذه الحوادث ادلة على الامومة ؟ و زد على ذلك ان القبائل العربية التي تنسب الى امرأة ترجع اخيراً الى النسب الابوي وهو العام الشامل · فبنو ظاعنة مثلاً نسبوا الى امهم ظاعنة وهم ينتسبون ايضاً الى ابيهم فيقال لهم بنو ثعلبة بن

مراد بن أد . و بنو خندف هم ايضاً بنو الياس بن مضر وقد نسبوا الى امهم امرأة الياس واسمها خندف . وبنو طهية نسبوا الى امهم وهم بنو سود بن مالك وقس عليه[1]

٢ — تانيث اسماء القبائل (صفحة ٢٨)

اي ان العرب تقول جاءت مضر وسطت قيس الخ ولا يقولون جاء مضر وسطا قيس — فلا ندري العلاقة بين تأنيث الاسم والامومة والتأنيث والتذكير في العربية لا قياس لها ولو صحت الامومة لما ضرّها ان تكون اسماء القبائل مذكرة كما ان تأنيثها لا يثبت وجود الامومة . على ان لتأنيث القبائل سبباً مبنياً على قاعدة من قواعد اللغة وهو تقدير لفظ « القبيلة » قبل كل اسم فقولنا « مضر » يراد به « قبيلة مضر » وقولنا « قيس » يراد به « قبيلة قيس » فالتأنيث للفظ القبيلة المحذوف . والحكمة في ذلك دفع الالتباس بين ان يكون المراد بالفاعل رجلاً اسمهُ قيس او مضر او القبيلة . فاذا كان الفعل مؤنثاً انصرف الذهن الى القبيلة . وعلى هذا المبدأ يؤنثون اسماء المدن وان لم يكن لفظها مؤنثاً فنقول فتحت بغداد وعمرت مصر او الشام بتقدير لفظ « مدينة » . ونحن نقول اليوم روت المقطم وذكرت المؤيد وقالت الهلال فنؤنث الفعل والفاعل مذكر لفظاً ومعنى وانما نقدر قبلهُ كلمة الصحيفة او المجلة

٣ — التعبير عن القرابة بالبطن (صفحة ٢٨)

فيزعم ان تسمية القبيلة بالبطن يؤيد اعتماد العرب على قرابة الام والواقع ان البطن فرع من فروع القبيلة على سبيل التشعب كالشجرة وانما جعلوا اسماءها شبيهة باسماء اجزاء البدن بالنظر الى علاقتها بعضها ببعض او تفرعها بعضها عن بعض . فالمجموع الاكبر عندهم « الحي » كناية عن الانسان كله ويراد به الجماعة المتنازلون بربع . وهو ينقسم الى « الشعوب » اي الفروع والشعبان النصفان كانهم ارادوا انقسام الجسم الى شطرين متساويين ايمن وايسر . و يليها « القبائل » وهي قطع عظم الرأس المشعوب بعضها من بعض . ثم « العمارة » كناية عن الصدر ثم « البطن » و بعده « الفخذ » واخيراً « الفصائل » . فترى استخدام البطن للقبيلة او بعض فروعها لا علاقة له بالامومة وانما هو فرع من فروع النسب لما يقابله من اعضاء الجسد . واذا عدلنا عن هذا التعليل واعتبرنا كل اسم مستقلاً وقبلنا التعليل الذي تبادر الى ذهن حضرته لاقتضى ان يدلوا بالبطن على العائلة التي هي من بطن واحد ولكنهم يريدون به القبيل المؤلف من عائلات

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٣٥

٤ — اشتقاق لفظ الامة من الام

وهو عنده دليل على ان الاصل في النسب الام وخصوصاً لان الام في العبرانية تدلّ على القبيلة او الجماعة (صفحة ٢٨) ولكن هذا التعبير انما هو من قبيل المجاز مما لا يخفى على العارف بأساليب اللغة العربية كقولهم أم القرى وأم المدائن والامهات للعناصر وعندهم الام الاصل فامُّ كل شيء اصلهُ وعمادهُ وكل شيء انضمت اليه اشياء فهو أمٌّ لها . والاصل في هذه المعاني اتباع الاطفال أمهم لانها هي المكلفة بتربيتهم في طفوليتهم فيتبعونها وينقادون لامرها لا لأنها اصل النسب . ولهذا السبب قالوا ام الكتاب اصله وام القرى مكة وأم الدنيا مصر لكثرة اهلها . واما اشتقاق الأمّة من الام فيعلل بنفس هذه الكيفية لاستعارة الامومة للرئاسة او من التوليد لظهور ذلك في النساء دون الرجال لان المرأة تضع النسل وهي تتولى الحضانة والتربية . فاذا ذكرنا الولادة سبق الى اذهاننا الام ولذلك غلب التعبير عن القرابة بعضو التوليد بالنساء كالبطن او الرحم وليس لان الام اصل القرابة . ولو تتبعت معاني ما يقابل لفظ الأمّة في سائر اللغات لرايت لها نفس هذا المعنى فلفظ Nation في اللغات الافرنجية معناه الامة وهو مشتق من فعل في اللاتينية بمعنى « ولد » والانكليز يقولون Motherland ويريدون بها وطن الابوين مع ان اللفظ يقتضي ان تكون وطن الام فقط . فعلى تعليل صاحبنا تكون هذه اللفظة دليلاً على شيوع الامومة عند الانكليز الآن !

٥ — الخال والعم والكنة

وذلك ان لفظ « الخال » بالعربية لا يراد به اخو الام على الخصوص ولكنه يطلق على كل رجل من اهلها . وكذلك لفظ « العم » وان هذه اللفظة أصل معناها « الشعب » وذلك هو مؤداها في العبرانية الى الآن . وعليه فلا تكون عند العرب عائلة خصوصية (صفحة ٢٥٨) وانما الولد يكون ابن الجماعة او القبيلة على ما تقتضيه الامومة او الطوتمية — وهو قول غريب اذا صح الاعتماد عليه تشوّشت احكامنا في انساب الانكليز والفرنساويين وغيرهم لانك ترى عندهم نفس هذا الاطلاق او الاشتراك فلفظ Cousin في لسانهم يدلّ على كل قرابة عصبية ابعد من الاخوّة فهو ابن العم وابنة العم وابن العمّة وابنة العمة وابن الخال وابنة الخال وابن الخالة وابنة الخالة وابن ابن العم وابن ابن الخال الخ ... مما لا مثيل له في العربية . والاصل فيه ابن الخالة لانه منحوت من Consobrinus في اللاتينية اي ابن اخت الام — فهل يفيدنا اطلاقه على كل الاقرباء

ان الاصل في القرابة الام ؟ وقس على ذلك لفظ Uncle في الانكليزية وما يقابلها في اللغات الافرنجية الاخرى فانها تدل على العم او الخال واصلها Avunculus في اللاتينية ومعناها الخال ثم اطلقت على العم • والحقيقة ان لا عبرة في هذا الاختلاف بالنظر الى الامومة فان اللغات تختلف في طرق الدلالة بما لا قياس له وخصوصاً من حيث درجات القرابة • ففي بعض اللغات لفظٌ يدلُّ على قرابة لا يعبر عنها في لغة اخرى الا بعدة الفاظ : فالصهر في العربية لا يمكن التعبير عنه في اللغة الانكليزية الاَّ بثلاثة الفاظ Brother-in-law وكذلك الحمو فهو عندهم Father-in-law والجدُّ يعبر عنه في اللغة الانكليزية بلفظين Grand father وكذلك حفيد Grand son وبعكس ذلك لفظ Nephew في الانكليزية فلا يمكن التعبير عنهُ في العربية الا بلفظين ابن الاخ أو ابن الاخت ومثلها Niece بنت الاخ او بنت الاخت — فدلالة كل من هذين اللفظين على اولاد الاخ والاخت معاً قد يتخذها اصحاب راي الامومة من جملة الادلة عليها !

ولفظ « الكنة » في العربية يراد به في اللغات السامية الكنة والزوجة على السواء فاستدل صاحبنا بذلك على ان الرجل كان يتزوج كنته (اي امراة ابنه اوامراة اخيه) فلا رابط للزواج بين الرجل وامراته (صفحة ١٣٦) والجواب على ذلك يدخل في ما تقدم بيانه من اختلاف معاني الالفاظ توسعاً ومجازاً • ومثلها لفظ « صهر » يراد بها زوج بنت الرجل وزوج اخته ويراد بالصهر ايضاً القرابة على العموم والاصهار اهل بيت المراة • ومنهم من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعاً فهل يصح الاعتماد على مثل هذا التوسع في اثبات مبداء او رأي ؟

٦ — زواج المتعة

وهو الزواج الوقتي اي ان يعقد الرجل على امراة عقد زواج الى اجل مسمى فمتى انقضى الاجل بطل الزواج • فيرى صاحبنا ان هذا الزواج كان شائعاً عند ظهور الاسلام وهو بحسبه يؤيد رايهُ في الامومة وهي تقتضي اباحة نساء القبيلة لاهل القبيلة بلا عقد ولا شرط والمتعة لا تكون بدون عقد فهي تناقض ما اراد اثباته • فالمتعة ضرب من ضروب الزواج التي كانت شائعة في الجاهلية وكلها تنفي الامومة لان الرجل فيها صاحب السيادة وصاحب العصمة

٧ — الوأد

يرى صاحب طوتمية العرب ان شيوع الواد في الجاهلية قلل البنات فاضطروا الى الاشتراك في النساء فكان يشترك عدة رجال في امراة واحدة يستولدونها ويكون الانتساب اليها (صفحة ٣٠) — وقد بالغ بعض الباحثين في مسألة الوأد وتوهموها عادة شائعة في بلاد العرب كلها والناقد يرى انها كانت منحصرة في مكان معين وزمان معين تحت احوال مخصوصة والاَّ فلا يعقل ان يعمد الناس الى دفن بناتهم ثم يضطرون الى المشاركة في الازواج وفي طاقتهم ان يتخلصوا من ذلك الضيق — وقد ذهب بعضهم ان العرب كانوا يئدون بناتهم خوف الفقر وهم في حلٍ من هذا الفقر لو استبقوهن على قلة البنات لما يجدون من اقبال الازواج عليهن بالمهر والهدايا — وقال آخرون انهم كانوا يئدونهن خوف العار واذا صحت الامومة لم يكن ثمت عار يخافه الآباء · وخوفهم العار على بناتهم دلالة على الغيرة وهي لا تكون في زواج المشاركة وفي الحالين فان دليله في الواد ساقط

٨ — العصمة في يد المرأة

وقد اتخذ امتلاك بعض نساء الجاهلية عصمتهن في الزواج والطلاق دليلاً على سيادة الامومة وان المرأة هي رئيسة العائلة — فما اغرب هذا الاستنتاج وما انقص هذا الاستقراء — ان المرأة في الجاهلية لم تكن عصمتها في يدها الاَّ في احوال مخصوصة وحوادث نادرة فهل نجعل الشاذ قاعدة نبني عليهِ والنادر قياساً نقيس بهِ · واما القاعدة في زواجهم فهي ان تكون العصمة في يد الرجل · وهب انها في يد المرأة فلا تكون الاَّ بعقد مقيد بشروط وقوانين وليس على سبيل الاباحة والاشتراك كما يريدون بالامومة · وقس على ذلك سائر أدلتهِ لاثبات الامومة فان مرجعها الى تأويل الالفاظ او الاعتماد على الاستقراء الناقص كقوله (صفحة ١١٨) ان الأب معناه المربي وكاستخراجه الحي من حواء (صفحة ١٧٧) وذكره القرابة بالرضاعة او المؤاكلة (صفحة ١٤٨) وتأويل لفظ آحاب الى اخ اب ونحو ذلك مما يقاس في رده بما قدمناه

الخلاصة

فالقول بشيوع الامومة في العرب الجاهلية لا يستطاع اثباته بالقرائن الضعيفة لان اليقين لا يزال بالشك — الاَّ اذا جاز الاعتماد على الشاذ النادر واغفال القواعد العامة · فقد رأيت في شروط الامومة ان يكون الزواج من الخارج بالغزو او السبي لان بنات القبيلة في

زعمهم تقل بالوأد او بغيره وان تكون المرأة زوجاً لعدة رجال معاً واولادها ينسبون اليها — فلم نفهم كيف يكون الزواج بالغزو وكيف يمكن الرجوع بالانساب في القبيلة الواحدة الى الام ولماذا تقل البنات حتى تضطر القبيلة ان تغزو غيرها للحصول على النساء والقاعدة الطبيعية في تاريخ الانسان بادواره الاولى ان يكون النساء اكثر من الرجال لتعرض هؤلاء للقتل ونحوه بالغزو والسطو والاولى ان يكثر النساء حتى يتزوج الرجل عدة منهن . على ان الحصول على النساء بالغزو يبعث على الرجوع الى النسب الابوي لان الآباء يبقون في القبيلة ويشبه ذلك ما كان من كثرة السبايا والجواري في صدر الاسلام فانهن تكاثرن حتى اختص الرجل بعشرة او عشرات منهن وظل النسب في الرجال — ولا يمكن غير ذلك كما يظهر للمتأمل . ولو فرض ان النساء يحاربن القبائل للحصول على الازواج بالسبي لكان ذلك اقرب الى حفظ النسب فيهن اي الانتساب اليهن او الى قبيلتهن

فالقول بتسلط الامومة على الاجمال يفتقر الى اثبات او تعديل لان وجودها على هذه الكيفية غير معقول ولا يوافق قواعد العمران او هو لا يوافقها على الاقل عند العرب لان القاعدة في الزواج عندهم وعند سائر الساميين ان تكون داخل القبيلة واذا جنح احدهم الى الخارج فلسبب طاري . — هذا هو حالهم في اقدم ما نعلمه من اخبارهم في التوراة وغيرها والعربي يسمي امرأته ابنة عمه وان لم تكن كذلك لان الغالب في الزواج عندهم ان يكون بين ابناء العم على تفاوت درجات العمومة . واليهود اكثر الامم محافظة على انسابهم ويمنعون الزواج من غير قبائلهم ويعاقبون من يخرج عن ذلك عقاباً صارماً واذا تزوج اسرائيلي بغير اسرائيلية فزواجه سفاح ويسمون المولود من ذلك الزواج « نغلاً » كما يسميه العرب « هجيناً » اي لئيماً فكيف نزعم مع ذلك ان العرب القدماء كانوا يتزوجون من الخارج بالغزو واذا فرضنا انهم كانوا كذلك فمتى انتقل الزواج الى الداخل وكيف انتقلت الامومة الى الابوة او البعولة ومتى ؟ كلها مسائل مبهمة لا يمكن الجواب عليها واصحاب مذهب الامومة انفسهم يعترفون بعجزهم عن ذلك مما اغنانا عن الذهاب اليه . ومن يطالع تاريخ الزواج من اول احوال العمران الى الآن لا يرى فيه الا ما ينقض الامومة

وسيأتي الكلام على نقض ادلته على الطوطمية عند العرب

صحة العائلة

هل نذبح لنأكل ؟ كلاّ

بقلم نعمة افندي ايليا الصيدلي بدمنهور

خاتمة الكلام في هذا الموضوع

اثبت الطب والفسيولوجيا والتاريخ والاختبار والعلماء والعظماء قديماً وحديثاً ان الانسان ليس من اكلة اللحم وانه تعوّدها اكلها لفساد طبيعته فجرّ على نفسه اسقاماً قد كان في غنى عنها وان اللحوم سموم تضر بجسمه وعقله وآدابه اضراراً ظاهرة لا ينكرها الا محبو الجيف .

بقي علينا ان نقدم ملاحظات لا تخلو من فائدة لمن يتأكدون ضرر اللحوم و يودون التخلص منها ولكنهم يتساءلون عن كيفية الغلبة على عادة ورثوها عن الآباء والجدود منذ آلاف من السنين لاسيما وان كثيرين قبلهم جربوا ابطالها ولم ينجحوا . ففشلُ الذين ارادوا ترك اللحوم لا ينسب لنقص في مبادئ النباتيين بل لعدم معرفتهم اصناف الاطعمة التي يجب عليهم الاغتذاء بها فيجدر بي ان اقدم في ختام مقالتي هـذه بعض النصائح التي تأكد نفعها :

اولا — انقطع عن اللحوم دفعة واحدة لا تدريجاً — اذ قد ثبت ادبياً وفسيولوجياً بان اللحوم مضرة واستعمالها خطأ والاحرى بالانسان ان يبتعد عن الخطأ مهما كان نوعه حال معرفته به اما الابتعاد تدريجاً فمبدأ فاسد وكلما اسرع الانسان بترك الخطأ وتمسك بالصواب عظم انتفاعهُ وامن الرجوع الى الخطإ وقد استقرى بعض الاطباء ذلك فوجدوا اكثر من ١٥ — ٢٠ الفاً من اكلة اللحوم لما علموا فضائل مبادي النباتيين تركوا اللحوم بدون ادنى تردد دفعة واحدة ولم يحدث لاحدهم ضرر

ثانياً — تعلم اختيار الغذاء اللازم — لحوم البقر والضان والطيور ونحوها تحتوي على كثير من المواد الازوتية فاذا تعودها الانسان تولد فيه ميل خاص للاطعمة النشائية ولا سيما الخضر كالبطاطس ونحوها مما يحتوي على قليل من المواد الازوتية ويكثر فيه النشاء لموازنة غذاء الجسم فاذا تعود الانسان اكل طعام مركب من اللحوم وغيرها واحب ترك

اللحوم بدون تغيير في كيفية استحضار الطعام الباقي لاقى اتعاباً جمة لنقص المواد الازوتية عن درجتها الاولى في طعامه السابق . ان كثيرين تركوا اللحوم واستعاضوا عنها بالحبوب ولا سيما الشوفان والبرغل والحلويات والعسل والسكر ولكن عملهم هذا ضد ناموس الطعام الفسيولوجي فاصابهم ضرر كثير لان اللحوم من وجه صحي اقل ضرراً من الزبدة والحلويات ممزوجة مع الخضر والاثمار والمملكة النباتية مملوءة بالاطعمة التي تعوض عن اللحوم وتبغضها الى الآكل ويكتسب الجسم منها غذاء صحياً كاملاً . فمنها الجوز بانواعه واللوز والبندق ونحوها مما يحتوي على كثير من المواد الازوتية والعناصر الكربونية بهيئة دهن سهل الهضم كثيراً وكذلك اللوبيا والفاصوليا والفول والحمص والعدس فانها كثيرة المواد الازوتية فيجب اضافتها الى الطعام اذا اريد ترك اللحوم . والفول السوداني اقرب شبهاً للخضر ويماثل الجوز في تركيبه لان فيه كثيراً من الدهن والمواد الازوتية فهو غذاء نافع اذا طبخ جيداً ويعوض عن اللحوم تعويضاً حسناً ويمكن تناوله مع الاثمار والحبوب

ثالثاً — اهتم باخذ كمية كافية من الدهن — ان الذين يعمدون الى ترك اللحوم ولا يأكلون الاسماك او الطيور ولا اللبن والزبدة والجبن لانها من اصل حيواني يتضايقون كثيراً فعلى هؤلاء ان يكثروا من اكل الجوز للتعويض عن الدهن الذي ينقصهم لان الدهن كثير في الجوز وسهل الهضم وان يأكلوا الزيتون المستوي لان الاخضر مضرٌّ وزيته عديم النفع اما المستوي فانه يمضغ بسهولة ويتحول الى مستحلب لذيذ الطعم . اما الزيوت والادهان على حدة كزيت الزيتون والقطن فمع انها من اصل نباتي لكنهم لم يتأكدوا نفعها في الطعام اذ لا يمكن تمثيلها الاَّ بعد استحلابها وبما ان السوائل الفعالة في المعدة مدة الهضم لا تؤثر فيها فلا يمكن امتصاصها لانها لا تمتزج بعناصر الطعام بل تبقى عائمة على سطحها فتكسو جدران المعدة ودقائق الطعام بطبقة منها فيعجز اللعاب او العصير المعدي عن التأثير عليها فتفسد عمل الهضم وتضر بالجسم اضراراً بليغة كما قلنا في الكلام على الغذاء والاطعمة في هلال السنة الماضية . ان من يترك اللحوم يشعر بشهية قوية للطعام عدة ايام ينسبونها للتغيير الجديد فلا يعود الآكل يشعر بالشبع الذي يعقب اكل اللحوم ولكن تلك الشهية تزول رويداً رويداً اذ تتعود المعدة على طعامها الجديد . وقد تنسب زيادة الشهية وطلب الطعام الكثير الى تحسن الهضم والتمثيل فتصير اقدر منها قبلاً على قبول الطعام وتمثيله

رابعاً — لا تكثروا اكل اللبن والسكر والحلويات والاطعمة اللينة وانتبه لمزج الاطعمة لان الانسان اذا اقتصر على اكل الحبوب او الاثمار او الجوز لا يحتاج الى مزجها لانها

طعامه الطبيعي وتمتزج سوية مدة الهضم بكميات متناسبة ولكنهُ متى اضاف اليها الخضر فمن الحكمة في اكثر الحوادث اجتناب اكل الاثمار معها في علقة واحدة لان مزج الاثمار باللبن والخضر مضر ويفضل الطعام الجامد على اللبن السائل لانه يفتقر الى مضغ جيد · وقد اخترع النباتيون كثيرًا من تراكيب الاطعمة لمساعدة الراغبين في ترك اللحوم · فالجوز بتحضير بسيط يصير صالحًا للهضم حتى للذين تعوَّدوا اكله بحاله الطبيعي · وكذلك اللوز فاذا قشر ونشف وحمص ودق ثم مزج بكمية قليلة من الماء فانه يؤكل عوضًا عن الزبدة او بكمية كبيرة فيؤكل كالكريم او اللبن · ولا يسع المقام ذكر الاطعمة الكثيرة التي استحضروها وانت بالفوائد المطلوبة للتعويض عن اللحوم ولكن لهم كتبًا خاصة بهذا الموضوع تبحث في انواع الاطعمة وكيفية طبخها باثمان بخسة جدًا · ولهم مجلات شهرية واسبوعية تخصص فصلاً في كل عدد لبعض انواع الطعام وتطلب من :

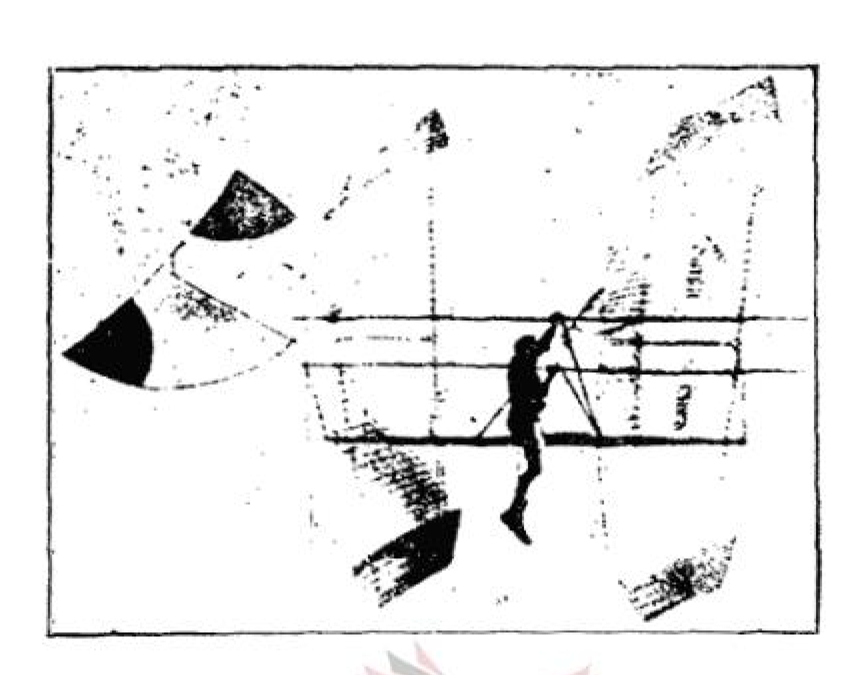
The Sanitas nut food. co Battle Creek, mich. 61 Washington St. u. s. a.

مركبة سانتا كلارا الهوائية

احدث الاختراعات الهوائية واغربها

كتبنا في الهلال غير مرة عن عناية أهل اوربا واميركا في اصطناع السفن الهوائية للسفر في الفضاء كما تسافر السفن البحرية في الماء بحيث تكون قيادة السفينة في يد الربان يديرها كيف شاء · وذكرنا غير اختراع من هذا القبيل وآخر تلك الاختراعات واغربها مركبة مونتغمري احد اساتذة مدرسة كلارا في اميركا وهو من غواة البحث في الميكانيكيات ولهُ تجارب عديدة في التلغراف بلا سلك وغيره · وقد قضى نيفًا وعشرين سنة يبحث ويجرب في المركبة الهوائية حتى توفق بالامس الى اصطناع الآلة التي نحن في صددها وسماها «سانتا كلارا» باسم المدرسة وقد جربها فيها في مشهد حافل حضرهُ الوف من الناس بمناسبة احتفال تلك المدرسة بعيد تأسيسها فدهشوا لما شاهدوه من غريب امرها

اما الآلة فعبارة عن منطاد (بالون) اعتيادي وآلة مؤلفة من الاشرعة والاعمدة · فالمنطاد للصعود في الهواء والآلة لادارته وتوجيهه · وهي عبارة عن اطار من خشب اميركاني صلب مرن مشدودة جوانبه بعضها الى بعض باوتار متينة مما يستخدمونه في البيانو · وعلى طرفي الاطار شراعان كبيران طول كل منهما سبعة امتار وعشرين سنتيمترًا بعرض نحو مترين بحيث



مركبة سانتا كلارا الهوائية

تكون مساحته نحو ١٧ متراً مربعاً والشراع شلجمي الشكل مصنوع من اسلاك مرنة مغطاة بنسيج رفيع متين . والشراعان متصلان بالاطار من الجانبين اتصالاً قويا . وهناك شراع ثالث شكله مستدير في نصف دائرة يشبه دفة السفينة متصل بالاطار من الوراء يدور على قضيب من الحديد عند الحاجة . ووزن الآلة بجملتها لا يزيد على ١٩ كيلو غراماً وتحمل رجلاً وزنه سبعون كيلوغراماً . وقد تركبت هذه الاشرعة وشدت بعضها الى بعض بالاسلاك على كيفية يسهل معها تحريكها من وسط الاطار حيث يجلس ربانها على احد عمودي الاطار في مجلس ضيق يركبهُ ركوباً و يرسل ساقيه مدلاتين في الهواء كما ترى في الشكل . فالجالس هناك يقبض على الاعمدة والاسلاك ويحركها فيديربها الآلة صعوداً ونزولاً الى الامام او الخلف كما يشاء

ومن عظيم مزايا هذا الاختراع ان الربان اذا كان في اعالي الجوّ وخاف خطراً من اتصاله بالبالون حلَّ الحبل الموصل بينهما وادار الشراع حتى يتوازن ثم ينزل الى الارض نزولاً بطيئاً بل هو ينزل حيثما شاء على الشارع او السطح في البر او البحر بلا خطر عليه ولا مشقة

والمخترع لا يركب هذه السفينة بنفسه ولكنهُ درب عليها رجلاً خفيف الوزن قوي

العضل شديد القلب — ولا يركب هذا المركب الخشن الا المجازفون لان حياة الراكب يهددها عدة اخطار فهو اولاً تحت رحمة الريح الحاملة للمنطاد فاذا سالمته ظل في خطر من ضيق مجلسه وارجله سابحة في الهواء . واذا قطع الحبل بينه وبين المنطاد اصبح كريشة في مهب الريح ليس بينه وبين الموت الا ما يقبض عليه من اجزاء الاطار وربما خانته يده وأساء ادارته ففسدت الموازنة فيهوي الى الاسفل وقد يموت قبل وصوله الى الارض

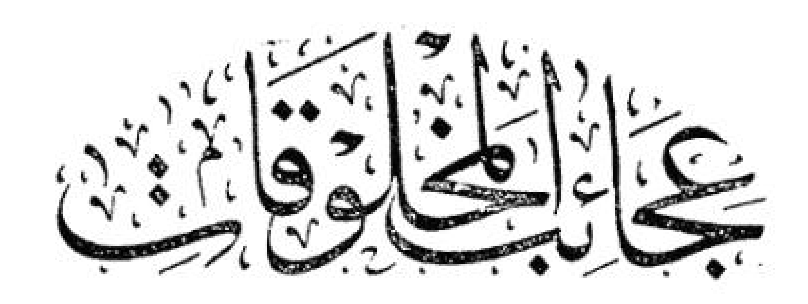
فالاستاذ مونتغمري اختار لسفينته رباناً شديد العضل قوي القلب اختبره غير مرة وتحقق لياقته . فلما ارادوا تجربة ذلك على مشهد من الناس يوم الاحتفال وكان الجو صافياً والنسيم يهب عليلاً فملأوا المنطاد هواء حارًا والمركبة مشدودة اليهِ وهو مشدود الى الارض . فلما امتلأ وتهيأ للصعود ركب الربان على الاطار واشار فحلوا الحبال فانطلق المنطاد وتلك الآلة او السفينة معلقة به والربان راكب على الاطار ورجلاه مدلاتان . فصعد المنطاد في الجو والناس ينظرون اليه وقلوبهم تخفق خوفاً عليه وهو يبعد ويتصاغر حتى كاد يغيب عن ابصارهم ولم يعودوا يستطيعون ادراك اشاراته . حتى اذا صار على علو ١،٢٠٠ متر حلّ الآلة من المنطاد فانفردت ورآها الناس تتحرك نازلة على غير نظام — قطعت نحو ثلاثين متراً على هذه الصورة ثم توازنت واصبح الربان يديرها كما يشاء الى الامام او الوراء ذات اليمين او ذات اليسار او كما يأمره صاحب الاختراع واخيراً عين له مكاناً ينزل فيه كأنه طائر والشراعان جناحاه والدفة ذنبه

فالاختراع عظيم الاهمية ولا يزال صاحبه عاملاً على اتقانه حتى يسهل استخدامه في الاسفار الجوية ويقل خطره ويعوض عن الانسان في تحريكه بآلة كهربائية او بخارية واذا حدث شيء من هذا القبيل نشرناه

وصف حمامة

قال بدر الدين الذهبي

وتنبهت ذات الجناح بسحرة ... بالواديين فنبهت أشواقي
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن ... يعقوب والالحان عن اسحق
قامت تطارحني الغرام جهالة ... من دون صحبي بالحمى ورفاقي
انى تباريني جوى وصبابة ... وكآبة وأسى وفيض مآقي
وأنا الذي املي الهوى من خاطري ... وهي التي تملي من الاوراق



القرد «امبراطور»

ذكرنا في الهلال الثامن من السنة الحادية عشرة قرداً من نوع الشمبانزي في المتحف البريطاني قلنا انه ارقى القردة واقربها الى الانسان ووقفنا الآن على خبر قرد اكثر غرابة من ذاك وهو من جنس الشمبانزي ايضاً اشتراه بعض الاميركان عن ظهر باخرة كانت راسية في نيويورك منذ بضعة اشهر وعمره ثلاث سنوات وادخله في عائلته وسماه «امبراطور» وجعله لعبة لطفلة له اختصت بملاعبته . ونظراً لما آنسه فيه من الذكاء والتعقل اخذ في تعليمه وتثقيفه فنبغ نبوغاً لم يعهد مثله في غير الآدميين وساعده على ذلك معاشرة الطفلة التي ذكرناها فاخذ يقلدها بكل حركاتها حتى انتصاب القامة والمشي على القدمين . فاصبح يمشي مثلها ويأكل مثلها فيجلس على المائدة ويتناول طعامه بالشوكة والسكينة ويمشط شعره بالمشط والفرشاة امام المرآة ويلبس ثياب الاطفال ويلاعب صاحبته ويداعبها فيختطف مثلاً لعبة من لعبها فاذا رآها غضبت اعادها اليها واسترضاها . على انهُ قلما يحتاج الى توبيخ اوقصاص لدماثة اخلاقه ولين عريكته كانهُ يعلم ما يغيظ رفيقته وهو يحبها ولا يريد اذيتها فيبذل جهده في ارضائها

يفهم اللغة الانكليزية فقط فاذا طلبتَ اليه امراً فعلهُ واذا انجزهُ اجابة طلبك صوتَ كأنه يخاطبك بلسان لا تفهمه وان يكن صوته غثياً . واذا ابطأَ في تنفيذ امرك فلا يحتاج في تحريضه على الطاعة الى اكثر من رفع الصوت قليلاً

واحسن ساعات «الامبراطور» ما يقضيه منها مع رفيقته الطفلة فهو عند ذلك طفل مثلها يحبها محبة حقيقية ويحن اليها وربما عبث بها فاختطف لعبها فاذا رآها غضبت اعادها اليها وربَتَ لها وقبلها . واذا بكت مسح دموعها بيديه او تناول منديله الصغير من جيبه ومسح به عينيها — تعلم ذلك من والدتها لانه رآها مرة تفعل ذلك فقلدها به . وهو يتناول الشاي معها بادب وترتيب لا يقل عما يفعله طفل آدمي في مثل سنه . اذا كان جائعاً قد

يسبقها الى قطع الخبز ولكنه لا يلبث ان يلتقط السكر بالملقط الخاص بذلك ويضعه بجانب فنجانها وينظر اليها كانهُ يقول لها « الى كم قطعة محتاجين يا عزيزتي » وكثيراً ما يأخذ بعض الحلوى من صحنه فيضعه في صحنها وهو يصوت وحركاته تدل على انهُ يبالغ في اكرامها



ومن الطف اوقاته ساعة اللعب بالكرة مع صاحبته والطف منها تحاسدهما على لعبة يتسابقان اليها . واتفق مرة أنه رأى في يدها لعبة من الكاوتشوك بشكل جندي ملون الثياب وكانت تبخل عليه بملاعبتها فكان يستغفلها اذا ادارت ظهرها ويعبث باللعبة كانه يحاول اذيتها فاذا التفتت اليه ترك اللعبة وتظاهر بالهدوء والسكينة

وهو كبير الاذنين بارزهما على زاوية قائمة كبير الفم متسع الشفة العليا افطس الانف كثيراً عيناه براقتان تدلان على الذكاء وحب الاستطلاع فاذا نظر اليك حسبته يتفحص ملامحك او يتفرس فيك لامر رابهُ منك . واذا سلمت عليه مدَّ يده اليك وسلم كما يسلم الاطفال الخرس واذا لاعبه زائر استأنس به واخذ في مداعبته بذكاء وفطنة كانه لا يكتفي بما يرضى به سائر العجماوات من الملذات البدنية فيقلد الانسان بالتماس الملاذ الادبية او المعنوية

وذكر مكاتب جريدة الجورنال الاميركانية في باريس انه ذهب لمقابلة « جلالة الامبراطور » مقابلة صحافية (انترفيو) فوجده نائماً لا عن كسل ولكن الطفولية تتطلب النوم الطويل فاضطر للانتظار ريثما يفيق الامبراطور · فلم يمض زمن قصير حتى افاق من رقاده وجعل يتثاءب ويتمطى ويفرك عينيه ثم نهض الى (غرفة التواليت) واخذ في تمشيط شعره والمرآة امامه يصاح من شأنه عليها، وانما يسوءه الاستحمام لا رغبةً عن النظافة ولكنه يكره الماء البارد فلا يطيل حمامه — فنهض سريعاً وتنشف وعمد الى الفرشاة بيمناه والمرآة بيسراه وأصلح شعره ثم أتوه بالثياب ففرح لرؤيتها فرحاً عظيماً كما يفعل الاطفال في مثل هذه الحال — قال الكاتب · وبعد ان فرغ من اللبس أتوه بالطعام فشرب فنجان اللبن بسرعة واقبل على صحن التفاح فاخذ السكين وجعل يقطع التفاحة اربع قطع ويأكلها قطعة قطعة بعد ان يقسمها بالشوكة والسكينة بترتيب ونظافة ثم تناوله صاحبه وجعل يلاعبه واخذوا يتناقلونه من يد الى اخرى وكنت قد اعددت آلة التصوير الفوتوغرافية لأصوره فلما رآها بيدي وسمع طقطقتها استلفت صوتها انتباهه لكنه لم يرعبه وقد اتعبني في ايقافه هادئاً ريثما اصوره ولا غرو فان ذلك شان الاطفال من بني الانسان ايضاً · فصورته على اشكال شتى واقفاً والقبعة على راسه وجالساً والمرآة بيده وصورته وبين يديه كتاب يقلب صفحاته يتفرج على ما فيه من الصور لانه كان يلتذ بذلك كثيراً فلما هممت بالخروج اشرت اليه اشارة الوداع فوقف واشار بيديه معاً كانه يقول مع السلامة·

فاذا كان هذا ذكاء « الامبراطور » وهو في الثالثة من عمره ولم يعاشر الانسان و يقلده الا بضعة اشهر فكيف اذا بلغ العاشرة وهو يتعلم و يتثقف ؟

وصف الليل

قال بشار بن برد

خليليَّ ما بال الدجى لا يزحزح ... وما بال ضوء الشمس لا يتوضح
أضلَّ النهار المستنير طريقه ... أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال السراج الوراق

يا ليل هل ضلَّ الصباح فما اهتدى ... للشرق أم سدت عليه طريقه
وهل الكواكب سيرت أم سمرت ... أم عاق كل مسير عيوقه

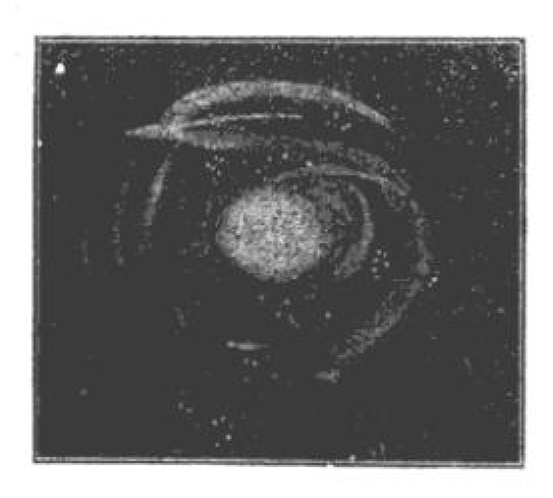
البراكين واسبابها

ومنافعها

هاج بركان فيزوف في هذه الاثناء وتوالت اخبار الزلازل في سان فرنسيسكو وغيرها في اميركا وتناقلت الصحف ما نتج عن ذلك من المخاوف والخسائر فكتب الينا غير واحد يسألنا عن اسباب البراكين والزلازل · وسبق اننا كتبنا عن ذلك مرارًا في سني الهلال الماضية فرأينا ان نأتي بما يهمنا منهُ في هذا المقام اجابة لاقتراحهم

١ — كيف تكونت العوالم

آخر ما وصل اليه العلماء في اصل تكون الاجرام رأيٌ يقال لهُ الرأي السديمي نسبة الى السديم وهو غاز حام منير من شدة الحرارة · وخلاصة هذا الرأي ان النظام الشمسي وهو الشمس وسياراتها واقمارها كانت في أول امرها سديمًا في غاية اللطافة منتشرًا في بعض جوانب الفضاء · ومعلومٌ ان الجسم الحامي اذا مكث في الفضاء شعت حرارته الى ما حوله · فأخذت حرارة السديم تشعُّ الى الفضاء المحيط به · وكلما شعت حرارة الجسم زادت كثافته فاذا كان غازًا تحوَّل الى سائل ثم الى جامد · فلما شعت حرارة السديم تكاثفت اجزاؤُهُ وكانت عناصر بسيطة لشدة الحرارة — لان لكل مركب درجة من الحرارة يتركب عليها فاذا زادت انحلَّ



سديم فرساوس

فلما اخذت حرارة السديم بالهبوط اخذت العناصر تتألف وتتركب ثم تتكاثف

المركبات فتصير كتلاً على اشكال مختلفة سابحة في مابقي من عناصر السديم او مركباته غازاً بما يشبه الغيم السابح في الهواء او خاثر اللبن في مصله

فكأن السديم اصبح في تلك الحالة كتلاً متكاثفة سابحة في غاز . والجاذبية تدعو تلك الكتل الى التقارب . فاذا كانت تامة الاستدارة سارت في تقاربها بخطوط مستقيمة ولكنهم فرضوا انها غير منتظمة الشكل وان الغاز الذي يكتنفها يعترض سيرها فتسير في خطوط منحنية .. ويدعو عدم انتظام شكلها الى مضاعفة ذلك الانحناء حتى تدور حول مراكزها على اشكال لولبية فتدور كل كتلة على نفسها وحول رفيقاتها على ما يقتضيه مركز كل منها وحجمها وشكلها

ويغلب في مثل هذه الحال ان لا تكون تلك الكتل متوازنة متناسبة فينتج عن ذلك ان تتخذ مركزاً عاماً تدور حوله على ابعاد تختلف باختلاف ثقل كل كتلة وكثافتها . وهي في اثناء ذلك تجتمع وتتكاثف وتضم اليها الكتل الصغيرة التي قد تكون سابحة حولها . وبالجملة فان السديم يتحول بعضه الى جزء ثابت والبعض الآخر الى اجرام تدور حول ذلك الجزء ثم تبرد تلك الاجرام بتوالي الازمان فتمر في سن الشباب فالكهولة فالشيخوخة فالهرم — قالوا وعلى هذا المبدأ تكون النظام الشمسي وكان غازاً حامياً فتكاثف الى كتلة مركزية هي الشمس والكتل تدور حولها هي السيارات ومنها الارض

٢ — اسباب البراكين

لما تحول سديم النظام الشمسي الى كتل دارت على نفسها وحول مركزها وهي السيارات تدور حول الشمس وكانت تلك السيارات في اول الامر غازاً او ضباباً واخذ كل منها يتكاثف بالاشعاع من حرارته في الفضاء والارض في جملتها . فما زالت كتلة الارض تبرد حتى تحول ضبابها الى سائل ثم الى جامد ولم يكن ذلك التحول واحداً في كل اجزائها لاختلاف خصائص موادها وتفاوت الدرجات التي تجمد او تسيل او تتبخر عليها . وتوالى على الارض ادوار تكوّن في اثنائها حلقة انفصلت من حولها فتكون منها القمر ودار حول الارض . وانتابتها احوال أُخر لا يهمنا ذكرها في هذا المقام

واول جزء برد من الارض سطحها لانه الجزء المعرض منها للفضاء فتشع حرارته باسرع من حرارة سائر الاجزاء . وجعلت تلك القشرة تزداد سماكة بتوالي الازمان وتواصل الاشعاع . والاجسام بتحولها من سائل الى جامد تتقلص فتقلصت قشرة الارض فتشققت وحصل من تشققها انخفاضات وارتفاعات هي الجبال والاودية . وما زالت تشع من حرارتها

حتى برد وسطها وما حولهُ وكان الماء محيطاً بها اولاً على هيئة بخار ثم برد وتكاثف ونزل عليها ماء وطلب المنخفضات فتكونت البحار · كل ذلك وباطن الارض شديد الحرارة جدًا لامتناع الاشعاع بسبب سماكة قشرتها · وكانوا يظنون باطن الارض سائلاً لتقديرهم حرارتهُ على درجة كافية لصهر اصلب المعادن — علموا ذلك من ازدياد حرارة الارض بازدياد العمق فكلما تعمقنا في قشرة الارض رأينا الحرارة تتزايد حتى تبلغ درجة تصهر بها اصلب المعادن او المركبات المعروفة — ثم برهن آخرون ان باطن الارض صلب لامتناع صهره بما يعلوهُ من الضغط بثقل قشرة الارض — لان درجة صهر المعادن تزداد بازدياد الضغط فوق المعدن فالماء مثلاً يغلي على درجة مئة سنتكراد عند سطح البحر فاذا جعلنا عليهِ ثقلاً محكماً اقتضى لغليانهِ اضعاف تلك الدرجة بنسبة مقدار الضغط · وهكذا الحال في باطن الارض فان حرارته تكفي لصهر معادنه ولكن ضغط قشرة الارض يمنع ذوبانها فاذا حدث ما يرفع ذلك الضغط عنها ولو قليلاً تحولت بغتة الى سائل وبخار ودفعت القشرة من فوقها بعنف وانبعثت من جوف الارض نارًا ودخانًا — وهذه هي البراكين

أما رفع ذلك الضغط فتختلف اسبابه كثيرًا واشهر تلك الاسباب تسرب بعض مياه البحر بدخولها في شقوق الارض العميقة فيرتفع بعض الضغط بمرونة البخار عما تحت القشرة فيتحول ذلك الجزء بغتة الى سائل وبخار يقذف ما في طريقه من القشرة ويحصل البركان · او ان ماء المطر ينحدر في شقوق الارض فيخترقها فربما بلغ مكانًا على عمق فتحول بخارًا بغتة فيحصل الانفجار وهو البركان · وقد كان ذلك كثيرًا في اول أدوار الارض ثم جعل يقل رويدًا رويدًا

وعلى تفاعل حرارة باطن الارض ايضاً تتوقف الزلازل وما الزلازل بالحقيقة الاَّ براكين منتشرة · وعلى هذا المبدا ايضاً تغور بعض الجزر بالبحر وتظهر جزر جديدة وبه ترتفع السهول وتهبط الجبال · واذا كان الهبوط سريعاً انقلب الجبل به انقلاباً هائلاً وقد تكون مساحة البركان كبيرة وانفجاره عنيفاً فيزلزل ما حولهُ من الارض زلزالاً قوياً فتتهدم المنازل وتتقصف الاشجار ونحوها

والبركان عبارة عن جبل مخروطي الشكل يشبه الهرم في قمته فوهة كاسية تنبعث منه مقذوفات جوفهِ بعضها بخار والبعض الآخر سائل والآخر جامد · اما البخار فهو مواد غازية وبخارية هي في الغالب اول مقذوفات البركان وفيها بخار الماء وابخرة اخر وغازات مختلفة بعضها سام مميت · واما السائل فهو مواد مصهورة بالحرارة يسمونها (Lava) لانها تجمد

وتتصلب وقد تسيل على سطح الارض قبل تصلبها فتكون طبقة من حجر يختلف تركيبهُ باختلاف البقاع ولكن لها صفة مشتركة بينها جميعاً . واما المواد الجامدة فهي قطع من احجار او معادن تصعد في فوهة البركان بقوة البخار المقذوف وقد يكون في جملة ذلك رماد اوغبار يتلبَّد في الجو حتى يحجب اشعة الشمس عن ذلك المكان اياماً

والبراكين لاتزال كثيرة في الارض ولكن معظمها اصبح هامداً بارداً وبعضها لا يزال عاملاً والبعض الآخر كامناً . فيقسمون البراكين بهذا الاعتبار الى ثلاثة اقسام براكين عاملة وهي التي لاتزال تخرج النار من افواهها الى الآن في اوقات معينة اوغير معينة . وبراكين هامدة وهي التي بردت ولم يعد لها عمل . وبراكين كامنة وهي التي تكمن زمناً طويلاً ثم تعود الى العمل . على ان الحد الفاصل بين هذه الاقسام غير واضح لان بعض البراكين المعتبرة هامدة لا يبعد انها بعد ان مرَّت عليها قرون متطاولة في حالة السكون تعود الى العمل . كما حصل ببركان فيزوف الشهير قرب نابلي فان الناس كانوا لا يعرفونهُ الاَّ هامداً وقد نمت على سطوحه وجوانبه الغابات واوت اليهِ الذئاب والاسود وغيرها وما زال كذلك الى القرن الاول للميلاد . ففي خريف سنة ٧٩ ارعد جوفهُ وانفجر بغتة وتطاير نصف سطحه في الفضاء وتساقطت اجزاؤهُ على الارض فطمرت مدينتين كانتا من اجمل مدن الرومان وهما بومبي وهركلانوم . وما زالت بومبي تحت ذلك الردم الى اجل قريب فكشفوا عن انقاضها وفيها خرائب الهياكل والمراسح والقصور والجسور والاصنام وقد اثر في بعضها الماء وفي البعض الآخر التراب . ووجدوا بيوتاً طُمرت من سطوحها ولم يدخلها تراب فمات اهلها وبعضهم على المائدة والبعض الآخر في المطبخ . وكشفوا بيوتاً اخر اهلها في حفلة عرس او مأتم اوغير ذلك

وما زال بركان فيزوف في مصاف البراكين العاملة الى الآن ولا يزال الناس يسمعون همهمة جوفه كاسد يتحفز للوثوب . وبعد كل قرن او بضعة قرون ينفجر ويتصاعد رماده وبخاره ومقذوفاته كما حدث بالامس حتى خاف الناس على البلاد المجاورة لهُ ثم هدأ ولم يحدث ضرراً يذكر

وفي الارض بقاع تكثر فيها البراكين دون البقاع الاخرى . فهي كثيرة على شواطيء البحور الكبرى خصوصاً اذا كانت تلك الشواطيء في سفوح الجبال العالية . وتكثر البراكين ايضاً في اواسط تلك البحور فان معظم جزر المحيط والاتلانتيكي جبال بركانية ارتفعت بفعل البراكين . حتى جزائر المرجان فان المرجان بني فيها على قمم جبال بركانية . وبالجملة فان

البراكين يغلب تكونها على شواطيء البحور او في اواسطها واذا حدثت في البر فلا بد من ان يكون في جوارها بحيرة او نحوها . وتتعدد البراكين ايضاً في الاماكن التي تكثر فيها الجزر اما خطاً واحداً او جزراً مجتمعة على غير نظام كالارخبيل الملقي في الهند وسلسلة جزائر الهند الغربية ومنها جزائر الانتيل وفيها جزيرة مرتينيك التي تخربت منذ بضع سنين

٣ — فوائد البراكين

فالبراكين تدمر المدن وتقلب الجبال وتجفف البحور وتغرق السهول ولكنها لا تخلو من فائدة فهي معمل كيماوي لاصطناع الحجارة الكريمة لان مناجم الالماس في جنوبي افريقيا انما هي براكين قديمة وكذلك المناجم الاخرى في البلاد الاخرى . فالبراكين تحوّل الفحم الى الماس وتحوّل الصوان او السلكا (وهي الرمل) الى ضروب من الحجارة الكريمة كاليشب والاماثيت ونحوها . وتحول الالومينيا وهي الدلغان الى ياقوت وزمرد — فالفحم والصوان والدلغان ليست من المواد النادرة بل هي تحت اقدامنا و بين ايدينا ولا قيمة لها فمتى عولجت بنيران البراكين وضغطها تكيفت بلوراتها على اشكالها المعروفة فتصير جواهر ثمينة . ولا تقتصر فائدة البراكين على استحضار الحجارة الكريمة ولكنها علة ما يتخلل اخاديد الصخور من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والبزموث والزئبق وغيرها من المعادن

الوصايا العشر لطلاب النجاح

الف المستر كيري احد ادباء الانكليز كتاباً موضوعهُ سرُّ النجاح ضمَّنه وصايا مختصرة سماها الوصايا العشر تمثلاً بوصايا التوراة اما وصاياهُ فهي .

١ دقق النظر في كل جزء من اجزاء عملك

٢ اعمله حالاً

٣ امضِ عملك بعزيمة فاذا علمت انك اخطأت لا تستنكف من الرجوع الى الصواب

٤ كن صادقاً اميناً

٥ ادفع ماعليك من الدين حالاً

٦ لا تحتفظ بالاصحاب الذين لا ينفعون

٧ اجتنب المشروبات القوية

٨ لا تعوّل على الصدفة او النصيب

٩ كن لطيفاً مع كل انسان

١٠ كن ثابتاً ولا يضعف عزمك

مطبوعات جديدة

﴿ ترجمة الرافعي ﴾ هو كتاب في ترجمة حياة المرحوم الشيخ عبد القادر الرافعي الفاروقي الحنفي شيخ السادة الحنفية ومفتي الديار المصرية الفه نجله حضرة الشيخ محمد رشيد الرافعي وذيله باقوال الجرائد ومراثي العلماء والادباء في الاقطار العربية مما يدل على مكان الفقيد عند اهل العلم والادب والدين وقد رأينا في ترجمة حاله ووصف خلاله ومناقبه ما يندر مثاله و يصح ان يكون قدوة لاهل الطرائق والفقهاء فنحث هؤلاء على مطالعته وهو يطلب من حضرة المؤلف بمصر

﴿ أنفس الآثار في أشهر الامصار ﴾ هو كتاب جمع مقتطفات من رسائل كتبها يوسف افندي اليان سركيس الدمشقي الى اخيه خليل افندي في بيروت على اثر رحلته من القسطنطينية الى رومية في اثناء ارتقاء قداسة البابا الحالي كرسي البابوية وفيه وصف ذينك البلدين وما في الطريق بينهما من المعابد والقصور والمتاحف والمعارض والآثار في بلاد اليونان والرومان . فوصف ازمير وما فيها ثم الاكروبول في اثينا وافاض في تاريخ تلك الآثار الى حالها اليوم ومنها الى نابولي فوصف بركان فيزوف وصف مشاهد حتى اتى رومية فتوسع في وصفها ووصف حفلة التتويج وغير ذلك في نحو ١٧٠ صفحة وفيها تسعة رسوم تمثل اهم تلك المشاهد مطبوعة طبعاً متقناً و يطلب الكتاب من المكاتب الشهيرة في سوريا ومصر وثمن النسخة نصف ريال واجرة البريد غرشان

﴿ لاجل النيل ﴾ هي رسالة لحضرة صالح افندي حمدي حماد ضمنها الروايات الشهيرة الاهلية المختصة بفيضان النيل والتنبوء عنه وتطلب من مؤلفها بمصر

﴿ التطبيقات العربية ﴾ هو كتاب مدرسي الفه حضرة الشيخ ابراهيم عبد الخالق مدرس اللغة العربيـة بكلية الفرير بمصر طبقه على الكتاب الرابع من الدروس النحوية لتلامذة المدارس الثانوية حسب التغيير الأخير الذي أدخلته نظارة المعارف العمومية في بروجرامها الجديد . وهو مقسوم الى فصول كل فصل منها درس مذيل بأسئلة تمرينية فنحث اساتذة المدارس على النظر فيه لانه من احسن كتب التعليم وهو يطلب من المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٣ غروش واجرة البريد نصف غرش

﴿ زراعة القطن ﴾ هي رسالة في زراعة القطن في القطر المصري تأليف جبران افندي واصف جرجس من متخرجي المدرسة الزراعية الخديوية وفيها فوائد ثمينة عن تنوع

الابزار واختلاف طبائع الارض وتفاوت الاقاليم وما يترتب على ذلك من تباين اساليب الزراعة والري واتقاء الآفات الزراعية كالدودة والندوة وغير ذلك فنحث المزارعين على مطالعتها وهي تطلب من حضرة المؤلف

New Geography هو كتاب مدرسي لتعليم الجغرافية باللغة الانكليزية الفهُ حضرة احمد افندي حافظ على اسلوب موافق لبروغرام المدارس المصرية وفيه تفصيل مهم عن مصر والسودان بناء على التقارير الرسمية . وقد نفدت طبعتهُ الاولى فاعيد طبعه ثانية بعد تنقيحهِ والزيادة فيه فيجدر بالمدارس التي تعلم الجغرافية باللغة الانكليزية ان تعوّل عليهِ فانهُ من خيرة الكتب في هذا الموضوع ترتيبًا ودقة وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش واجرة البريد غرش

Handbook of Spelling هو كتاب لتعليم القراءة الانكليزية وفيه قواعد اللفظ على ترتيب يسهل حفظهُ وضبطهُ وقواعد للاملاء على اسلوب مدرسي بما يقتضيه ذلك من الامثلة والترجمة تأليف حضرة سليمان افندي زكي مدرس اللغة الانكليزية في مدرسة عباس وثمن النسخة ثلاثة غروش واجرة البوسطة نصف غرش ويطلب من مكتبة الهلال

الساحر الخالد هي الرواية الاربعون من روايات مسامرات الشعب معربة من الانكليزية بقلم حضرة محمد افندي لطفي جمعة المحرر بجريدة الظاهر ولم يذكر اسم مؤلفها — ومسامرات الشعب مشروع ادبي فكاهي لصاحبه خليل بك صادق وقد اشتهر برواياته المشوقة الخالية من كل ما يخجل العذراء لانهُ اختار لها نخبة من ادباء الكتاب والمعربين ولذلك فقد تسارع محبو الروايات على الاشتراك فيها . والمشترك يتناول ٢٤ رواية في العام صفحات كل منها نحو ٢٠٠ صفحة وبدل الاشتراك ثلاثون غرشًا بمصر و٤٠ في الخارج

غرائب الاتفاق ظهر الجزء الثالث من هذه الرواية النفيسة تعريب المرحوم شاكر شقير اللبناني الكاتب الشاعر المشهور وقد طبعت ثانية في مطبعة المعارف وتطلب من مكتبتها ومكتبة الهلال وثمن هذا الجزء ٦ غروش واجرة البريد غرش ونصف

البعث هي رواية اخلاقية اجتماعية غرامية ادبية تأليف الكونت طولستوي الفيلسوف الروسي الشهير وقد عربها عن الانكليزية حضرة رشيد افندي الحداد وطبعت بنفقة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وتطلب منها وثمن النسخة ثمانية غروش مصرية

✻ الحاخام اسحق · م ✻ هي رواية تاريخيـة دينية تتضمن حادثة وقعت سنة ١٨٩٧ في القسطنطينية و بلاد اليونان ومغزاها ايضاح النبوات الواردة في التوراة عن السيد المسيح وتطبيقها على تاريخ حياته تأليف الاستاذ نقولا امبرازي في اثينا وقد نقلها الى العربية حضرة الخوري يوحنا حزبون بطنطا وتطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش واجرة البريد غرش

✻ نزهة العاشق الولهان ✻ صدرت الطبعة الخامسة من هذا الكتاب في الاغاني والاناشيد والالحان لجامعهِ منصور افندي عبد المتعال وقد نقحهُ وادخل فيهِ اغاني جديدة وهو يطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش صاغ

✻ البائنة (الدوطة) ✻ هو موضوع أدبي اجتماعي في الدوطة واصلها وتاريخها وسبب ظهورها وشروطها عند اليونان والرومان واحكامها قديماً وحديثاً الى هـذه الايام وهو بحث جديد في اللغة العربية فنحث الادباء على مطالعته فان الدوطة أصبحت من الامور الهامة بعد دخولنا في عصر التمدن الحديث

✻ حديث الزرقاوي أو ليلة في الفلك ✻ هو كتاب فلكي تأليف حضرة الشيخ احمـد موسى الزرقاوي الفلكي صاحب نتيجة العمر ومحرر النتيجة السنوية ضمنهُ فصولاً في تاريخ علم الفلك وفي هيأة الارض والبراهين على كرويتها وفي الافلاك وسياراتها وكسوف الشمس وخسوف القمر وفصلاً في انطفاء الشمس وانتهاء العالم وخاتمة في الكواكب الثابتة في نحو اربعين صفحة كبيرة و يطلب من حضرة المؤلف

✻ خير الدين ✻ هي مجلة اسلامية عمومية مصوَّرة تصدر في تونس مرة في الشهر لصاحبها الشيخ محمد الجمايلي مدير جريدة الصواب بدل اشتراكها سبعة فرنكات في مملكة تونس وعشرة في الجزائر و١٢ فرنكا في سائر الممالك · وقد صدر الجزء الاول منها بصورة سمو محمد الهادي باشا باي تونس ثم صورة الوزير خير الدين باشا التونسي تليها ترجمتهُ مطولة فنرجو لهذه المجلة الثبات والانتشار

✻ الرفيق ✻ في الهند نهضة علمية بدأت من عهد غير بعيد فظهرت فيها عدة مجلات في وقت قصير ذكرناها في الهلال وآخرها مجلة الرفيق هذه وهي هندية اسلامية تصدر في رانكون الهند باللغة الاوردية (الهندستانية) مرة في الشهر لمنشئها الشيخ عبدالسلام رفيقي وتبحث في ما يهمُّ مسلمي الهند من المواضيع التاريخية والادبيـة والاجتماعية فنحث عارفي هذا اللسان على مطالعتها

✻ المجلة العثمانية ✻ هي مجلة أدبية علمية تصدر في مصر مرتين في الشهر لصاحبها فتحي افندي عزمي ويشترك في تحريرها نخبة من افاضل الكتاب بدل اشتراكها خمسون غرشاً في القطر المصري و ٦٥ غرشاً خارجه نتمنى لها الثبات في خدمة هذه اللغة

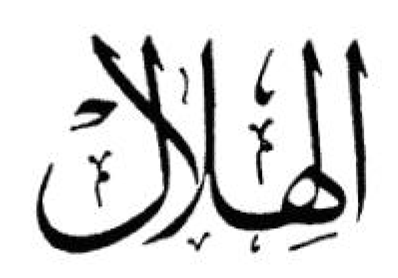
✻ الخلاصة الحكمية في المملكة النباتية ✻ هي رسالة في الفوائد الحكمية الصناعية التي يمكن تحصيلها من البقول والاثمار والاشجار غير فوائدها الغذائية المشهورة تأليف متياس افندي ابراهيم سعد بالطرانة وفيها كثير من الشؤون المنزلية والصحية التي يحتاج الى معرفتها ارباب المنازل

✻ الروزنامة التونسية لسنة ١٣٢٤ ﻫ ✻ ظهرت هذه الروزنامة لهذه السنة وهي سنتها السادسة لمؤلفها السيد محمد بن الخوجه وهي أول تقويم عربي ظهر لمملكة تونس مطولاً وافياً على هذه الصورة . ويقسم الى ستة اقسام فلكي وتاريخي وادبي وسياسي واداري وتجاري وتحت كل من هذه الاقسام فصول وشذرات بين تاريخ وادب وسياسة وعلم وغير ذلك مما يلذ ويفيد في نيف واربعمائة صفحة كبيرة مع كثير من صور الملوك والامراء والعلماء في القارات الاربع واسماء حكام تونس وموظفيها واداراتها ومصالحها وكتابها وجرائدها واحصاء سكانها وجنودها وجوامعها ومدارسها وكل ما يتعلق بها . وفي صدر كل فصل فذلكة تاريخية مهمة . ولو اردنا ذكر رؤوس المواضيع لضاق عنها المكان فنقول على الاجمال ان هذا التقويم فريد في بابه يمثل لك مملكة تونس كما هي ويدلك على اسماء حكامها واعيانها وتجارها واماكنهم . ويطلب من مؤلفه في تونس . وثمن النسخة خمسة فرنكات واجرة البريد فرنك وجملة ذلك بالعملة المصرية ٢٤ غرشاً فنثني على مؤلفه ثناء طيباً وليس للراغبين في معرفة احوال تونس وهيأتها الاجتماعية وسائر شؤونها بد من اقتنائه

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩٠٦ - ١٩٠٧

توالت علينا كتب القراء في طلب هذه القائمة وهي تحت الطبع فنخبر حضراتهم انها ستصدر في اواسط هذا الشهر وترسل مجاناً لمن يطلبها



الجزء التاسع من السنة الرابعة عشرة

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ و ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٤



النهضة الطبية المصرية

في القرن التاسع عشر

ان وفاة المرحوم الدكتور حسن باشا محمود بالامس ومراجعة ترجمة حياته اذكرتنا النهضة الطبية الاخيرة في القرن الماضي وما مرت به من الادوار فرأينا أن نقول كلمة في هذا الشأن نتطرق منها الى ترجمته :

الطب قبل هذه النهضة

كانت الديار المصرية الى آخر القرن الثامن عشر في حوزة الامراء المماليك ولا يخفى عليك ما كان من امرهم في دولتهم واماتة العلم والصناعة واستنزاف اموال الناس حتى لقد كان القطر يئن من عتوهم ولم يكن للعلم باب يدخل منه او تربة ينمو فيها وخصوصاً علم الطب فانهُ كان من جملة العلوم الداثرة . وكان الاطباء في الغالب من جالية بلاد المغرب يطببون بالحجامة والكي والفصد وغيرهما مما

لا يزال جارياً في اماكن كثيرة من هذه الديار وامثالها من بلاد المشرق

اما المدارس الطبيـة فلم يكن لها صورة في اذهان أولئك الحكام او رعاياهم على ان بعض الاطباء المغاربة كانوا يلقون دروساً من تلقاء انفسهم على من يرغب في تلك الصناعة من اهل البلاد او غيرهم والغالب في القائها بالبيمارستان المنصوري بشارع النحاسين او في احد اروقة الجامع الازهر او في بيوت أولئك الاطباء . واما كتب التعليم فكانت من مؤلفات الاعصر الاسلامية كعصر العباسيين او الفاطميين او غيرهما ولذلك كان طبُّ القرن الثامن عشر مثل طب القرون الاسلامية الاولى

وما زالت حال الطب في هذه الديار على ما تقدم الى زمن الحملة الفرنساوية التي اغار بها نابوليون بونابرت على هذا القطر سنة ١٧٩٨ م فدخلت الجنود الفرنساوية مصر وأوغلوا في مدنها . وكان في جملة تلك الحملة جماعة من العلماء الذين اشتهروا في العلم ولا تزال اسماؤهم ذائعة في سائر انحاء العالم جاء بهم بونابرت اتماماً لمعدات الاستعمار ظناً منه بطول مكثه واستعماره هذه الديار . وقد بحثت هذه الجمعية في الآثار المصرية وتربة البلاد وحللوها ودرسوا طبائع الحيوان والنبات فيها وكان في عزمهم ان ينشروا لواء العلم بين اهلها لو لم تفاجئهم طوارىء الحدثان بالانسحاب الى ديارهم بعد ثلاث سنوات من احتلالهم (سنة ١٨٠١ م) ولم يتموا شيئاً مما كانوا شرعوا فيه في الادارة أو العلم او الصناعة . ولكنهم تركوا آثاراً من التمدن الحديث كانت بمنزلة جراثيم ضعيفة لو طال الامد عليها كامنةً لعفت آثارها وبادت . ولكن الله قيض لها المغفور له محمد علي باشا فلما قبض على أزمة الادارة والسياسة ودانت له الرقاب أخـذ في تنظيم الاحوال واحياء المعالم المصرية رغبة في انشاء دولة عربية وقد علم ان الوسيلة الوحيدة لنجاح الامة انما هي العلم والصناعة وحسن الادارة . أما العلم فلم يكن له مندوحة عن استخراجه من معدنه فاستقدم رجالاً من اهل العلم والصناعة في أوربا وأوفد جماعة أذكياء شبان هذا القطر يتلقنون العلوم عن أهلها حتى يعودوا ويبثوها أبناء جلدتهم وكان ذلك اول أمر « الارساليات » العلمية

الارساليات العلمية

واصل الارساليات العلمية ان عالماً فرنساوياً اسمهُ الموسيو جومار كان في جملة العلماء الذين رافقوا الحملة الفرنساوية فلما اخفق الفرنساويون وعادت مصر الى الدولة العثمانية ثم افضت حكومتها الى محمد علي باشا جد العائلة الخديوية كان للفرنساويين سبيل للمداخلة في شؤونها اكثر من سائر الامم الاوربية وكان محمد علي كثير الاعتماد عليهم في ما ينوي اجراءهُ من الاصلاح ونحوه مما يوافق غرضهُ ولذلك رأيت اكثر الذين أخذوا بيده في هذا العمل من الفرنساويين كالجنرال سيف الذي نظم لهُ الجندية وصار بعدئذ سليمان باشا وكلوت بك الذي نظم له المدرسة الطبية ومهد الطريق للاصلاحات الصحية وغيرها . وكان الذين دلوه عليهم واشاروا باستخدامهم بعض وجهاء الفرنساويين المقيمين بمصر . ومن جملة الفرنساويين الذين استعان بهم محمد علي الموسيو جومار فانهُ قدم مصر سنة ١٨٢٦ ووسط قنصل فرنسا لدى محمد علي باشا بارسال نجباء التلامذة المصريين بعد ان يتلقوا مبادئ العلم في مدارس مصر الى باريس ليتخرجوا في العلوم والمعارف العالية ويعودوا بها الى هذا القطر ينشرونها بين اهله . فأجاب محمد علي اقتراحه واعدَّ ذلك منة لهُ فعهد اليه بمائة من نجباء الشبان على ان يتولى الذهاب بهم الى فرنسا يتعلمون فيها على نفقة الحكومة المصرية — وهذا مبدأ الارساليات المصرية الى اوربا . وما زال جومار المذكور وليَّ هذه الارساليات حتى توفي ثم صارت الحكومة ترسل التلامذة لتلقي العلم في غير فرنسا ايضاً

ولا ريب ان هذه الارساليات عادت على القطر المصري بالفائدة العلمية والادبية فنبغ من المصريين جماعة كبيرة من الاطباء والعلماء اشتغلوا بنقل العلم من الفرنساوية الى العربية وتولى بعضهم اكبر مناصب الحكومة واهم مصالح الدولة مثل شريف باشا رئيس الوزارة المصرية وعلي باشا مبارك ناظر المعارف ومظهر باشا والدكتور محمد علي باشا الحكيم ناظر المدرسة الطبية ومراد حلمي باشا وعلي باشا ابراهيم وشافعي بك ورفاعه بك مؤسس مدرسة الالسن والسيد احمد الرشيدي

والسيد حسن الهيهاوي وغيرهم . فكانوا ينقلون العلم الى مصر وصبغته فرنساوية وينقلون معهم الآداب الفرنساوية والعادات الفرنساوية . والذين كانوا يتلقون العلم في المدرسة الطبية المصرية لم يكن لهم غنى في اوائل القرن الماضي عن الذهاب الى فرنسا لتقديم الامتحان التماساً لثقة الحكومة بعلمهم . واول من ارسل لهذه الغاية ١٢ شاباً من نجباء التلامذة اخذهم كلوت بك الى باريس مع الموسيو جومار وتشكلت هناك لجنة امتحنتهم باللغة الفرنساوية وكانوا قد تعلموها في اثناء دراسة الطب فعادوا فائزين

وكان لهؤلاء الشبان تأثير عظيم في النهضة الطبية المصرية لانهم تعلموا الطب باللغة العربية وكان الاساتذة يترجمون لهم كتبهُ في اثناء التدريس وهم يتحققون معانيها العربية ومصطلحاتها الوضعية من كتب الطب العربية القديمة فلم تذهب منهم ملكة اللسان العربي . فلما ألفوا أو ترجموا جاءت كتبهم قريبة من اسلوب هذا اللسان وكان عليها معوّل السوريين في نهضتهم الاخيرة فاستعانوا بها في اقتباس كثير من المصطلحات الطبية العربية ولا تزال مؤلفات تلك الطبقة من الاطباء المصريين في المقام الاول بين مؤلفات الطب الحديثة بمصر مع اعتبار ما طرأ على الصناعة نفسها من التعديل

ولما توالت الارساليات وصار التلامذة يدرسون العلم في اوربا ضاعت ملكة الانشاء العربي منهم واصبحوا لا يستطيعون التفاهم العلمي الا باللغة التي تلقوا العلم فيها الفرنساوية او الالمانية فكيف اذا أرادوا التأليف ؟ فجاءت مؤلفاتهم في الطب ابعد عن الذوق العربي وذهبت العناية في درس اساليب اللغة العربية فأصبح اكثر المؤلفين لا يحسنون الانشاء فجعلوا يترجمون او يلخصون عن الفرنساوية والالمانية ويعهدون بتصليح العبارة الى بعض المشائخ الازهريين وهؤلاء لا يفهمون التراكيب الطبية فكان تصليحهم يزيد العبارة ضعفاً فلما ظهرت تلك الكتب في عالم المطبوعات كان تأثيرها في تنشيط النهضة العربية قليلاً

فلما تمكن الاحتلال الانكليزي تحولت الانظار عن الارساليات الطبية لما

بذلته الحكومة من ترقية فن الطب في المدرسة المصرية باختيار احسن الكتب واستحضار أمهر الاساتذة فأغناهم ذلك عن تعليم التلامذة في مدارس أوربا ولكنهُ لم يعوض شيئاً مما اضاعه الاسلاف من اسباب هذه النهضة لانهم جعلوا التعليم في المدرسة الطبية باللغة الانكليزية فكان ذلك ضربة قاضية على نهضتنا العربية من الوجه الطبية ولم يعد يظهر من كتب الطب في اللسان العربي الا ما كان من قبيل الوصايا الصحية لفائدة العامة . واما علم الطب فلم يبق لهُ محلٌ في اداب اللغة العربية لقلة الحاجة الى التأليف فيه

فكأن النهضة الطبية العربية في القرن الماضي مرت بثلاثة ادوار : الاول زمن محمد علي وكانت صبغتها فيه عربية تبشر برجوع هذا العلم الى هـذا اللسان . والثاني وهو الاوسط من زمن سعيد باشا الى الاحتلال وهو عربي ضعيف . والثالث بعد تمكن الاحتلال وهو انكليزيٌّ . ومع ان هذا الاخير أرقى أدوار الطب بمصر من حيث الكتب والمعلمين فهو أحط ادواره من حيث النهضة العربية الأخيرة وبعد ان كنا نشكو ضعف المؤلفات العربية في الطب صرنا نشكو موتها

حسن باشا محمود
ولد سنة ١٨٤٧ وتوفي سنة ١٩٠٦

هو من اهل الدور الثاني للنهضة الطبية الاخيرة باعتبار ما قدمناهُ من تفاوتهم في اسلوب التأليف واختلافهم في المصادر التي تلقوا العلم عنها . نبغ من بين العامة وارتقى بجده واجتهاده حتى صار من ارقى طبقات الخاصة علماً ووجاهة . ونبوغ العامة الى طبقة الخاصة يكثر على الخصوص في اثناء الانتقال من عصر الى آخر او من دولة الى أخرى اذ تصبح السعادة فوضى يتنازع الناس على اغتنامها فينالون منها على مقادير قوام وحظوظهم

ولد حسن باشا محمود في قرية صغيرة على طريق الاهرام يقال لها الطالبية وتلقى مبادي العلم في المدرسة الحربية حتى اذاآن زمن الارسالية العلمية لعام سنة ١٨٦٢ بعد وفاة الموسيو جومار كما قدمنا ارسلوها الى المانيا وكان صاحب الترجمة في جملة اعضائها النفقه في الطب فأقاموا حيناً في مونيخ يتعلمون بالالمانيـة ثم اتموا دروسهم في

فرنسا لاسباب اوجبت ذلك الانتقال . فعاد صاحب الترجمة الى مصر سنة ١٨٧٠ وبيده الدبلوما الطبية فعينته الحكومة المصرية استاذاً للتشريح في مدرسة القصر العيني ثم تولي تدريس علوم أخرى وراتبه يزداد والانعام تتوالى عليه وكان راغباً في الشهرة فانتظم عضواً في جمعيتين قبل رجوعه من باريس فلما صار استاذاً في مدرسة قصر العيني انتدبته الاكاذمية الطبية البرازيلية لعضويتها وعين عضواً في عدة مؤتمرات طبية وتقلب في مناصب كثيرة بدوائر الامراء وفي المعية السنية وفي مصلحة الصحة والمدرسة الطبية . وما زال يرتقي في ذلك حتى تولى ادارة مجلس الصحة ثم رئاسة مدرسة الطب وكان كثير التفكر في العمل والسعي في التقدم . ومن مساعيه انه انشأ مجمعاً طبياً بمصر لم يطل عمره كثيراً

وكان مع ذلك كثير الاشتغال في الكتابة والتأليف وله مقالات طبية وعلمية تناقلتها الجرائد والمجلات وتباحثت بها الاندية والجمعيات . اما مؤلفاته فاكثرها منقول او ملخص عن الالمانية ولكنه كان كثيراً مايبث آراءه واختباراته فيها . اولها كتاب الفه في الفرنساوية قبل رجوعه من باريس موضوعه « داء الفقاع » اتى فيه على تاريخ هذا الداء من اول عهد الطب الى الآن وذكر رأيه في كثير من أبوابه وكان له وقع حسن عند اطباء الافرنج

واكثر ما ألفه من الكتب بعد ذلك منشور بمصر في العربية ككتاب الفوائد الطبية في الامراض الجلدية ذكر فيه كثيراً من الامراض الجلدية الشائعة في القطر المصري وكتاب الخلاصة الطبية في الامراض الباطنية . وكتاب البواسير ومعالجتها . وتحفة السامع والقاري في داء الطاعون البقري الساري . والف رسائل في حمى الدنج وحمامات حلوان والكوليرا والنزلة الوافدة ومقالات كثيرة نشر أهمها في المقتطف منها مقالة ضافية في النباتات المصرية ومقالات في الزراعة بوادي النيل والحشيش والدمل المصري والتراخوما والسل غير ما نشر من قلمه في المجلات الطبية بمصر وغيرها

وبالجملة فقد كان رحمه الله عاملاً نشيطاً مجتهداً مع رقة طباعه وسهولة اخلاقه ورغبته في خدمة وطنه بما يبلغ اليه امكانه

انساب العرب القدماء

ردّ على القائلين بالامومة والطوتمية عند العرب الجاهلية

٤ — الطوتمية عند العرب

واذا نقض القول بالامومة عند العرب نقض معه القول بالطوتمية عندهم لانها اساسها واول شروطها ومع ذلك فاننا ننظر في ادلة صاحبنا من حيث الطوتمية على حدة فنذكر شروط الطوتم كما فسّره هو ثم ننظر في تطبيقها على احوال العرب

فالطوتمية يشترط فيها « ان يتفق اهل القبيلة الواحدة على حيوانٍ او نباتٍ او كائنٍ آخر يعتقدون انه جدّهم الأعلى يتسمون باسمه ويعبدونه أو يقدسونه » فهل ينطبق ذلك على أحوال العرب الجاهلية انطباقاً كلياً او جزئياً ؟ ولكي ينجلي الموضوع ويتضح البرهان نحلّ القضية الى اجزائها الاصلية — وعليه فالطوتمية تقتضي : —

اولاً ان يتفق اهل القبيلة على حيوان او نبات يعتقدون انهُ جدهم الأعلى

ثانياً ان يتسموا باسمه او ينتسبوا اليه

ثالثاً ان يعبدوه أو يقدسوه

ولا تثبت الطوتمية مالم تجتمع هذه المقدمات الثلاث عند العرب · ولكنك اذا بحثت في اخبارهم قديمها وحديثها من الخرافات والحقائق الثابت منها وغير الثابت وفي ماروراه غير العرب عن احوالهم القديمة في كتب اليونان والرومان فضلاً عن التوراة · وما قرىء من اخبارهم على آثار اشور وآثار ثمود وآثار اليمن وحضرموت ما توفّقت الى العثور على ما يشير الى وجودها · واذا درست احوال العرب الآن في الصحاري والمدن والاودية والجبال لاتجد بينهم قبيلة ولا بطناً ولا رجلاً يعتقد انهُ متسلسل من اسد او ثور او ثعلب او جميزة او وردة· ومهما اجهدت نفسك في التنقيب والمراجعة والتأويل فانك لاتجد اثرًا لهذا الاعتقاد على الاطلاق ولو على سبيل الخرافة او في معرض التكذيب او الطعن — فالمقدمة الاولى سقطت

اما الثانية فبعضها صحيح اي ان بعض القبائل تسمّى باسماء الحيوانات كبني أسد وبني النمر وبني كلب ونحوها ولكنها لا تعتقد ان اولئك الاجداد حيوانات بل هي تعدّهم اناساً لهم انساب متصلة بالآباء الاولين

والمقدمة الثالثة ظاهرها صحيح و باطنها فاسد لان بعض قبائل العرب كانت تعبد آلهة على شكل الحيوانات مثل عبادة سائر الامم الوثنية القديمة في مصر واشور وفينيقية ممن كانوا يعبدون اصناماً يمثلون بها القوى العلوية — لا أنها تعبد حيوانًا خاصاً تقدسهُ وتجتنب أذيته وتعتقد انهُ جدها كما يفعل اصحاب الطوتم . فبنو أسد مثلاً يتسمون باسم الاسد ولكنهم لا يعتقدون انه جدهم ولا يقدسون الاسد أو يعبدونهُ واذا عرض لهم الاسد قتلوه . وقد يكون معبودهم من الحيوانات بشكل نسر أو فرس او غيرهما من الاصنام الحيوانية . وشرط الطوتمية انما هو ان يعتقد بنو اسد ان الاسد جدهم وان يقدسوا كل اسد او يعبدوه اي لا يؤذوه . و بنو ثور يجب ان يعتقدوا ان الثور جدهم وان يعبدوا الثيران او يقدسوها ولا يذبحوها او يؤذوها . و بنو جراد حقهم ان يعتقدوا تسلسلهم من الجراد و يقدسوه ولا يأكلوه كما رأيت في ما تقدم من شروط الطوتمية عند الامم المتوحشة اليوم. ولا يكفي ان تسمى القبيلة باسم الثور مثلاً وتقدس الجراد او تتسمى باسم الاسد وتقدس الفرس . ولو فرض واتفق لقبيلة ان تسمى بحيوانٍ وتقدسهُ او تعبده فليست من الطوتمية في شيء لان الشرط الاول ان تعتقد تسلسلها عنهُ . وهذه الشروط الثلاثة لم يتفق وجودها في قبيلة من قبائل العرب ولا في بطن من بطونها ولا في فصيلة ولا فرد من افرادها ولو على سبيل الخرافة او الاكذوبة . حتى اجتماع الشرطين الاخيرين فانهُ متعذر اذ ليس بين قبائل العرب قبيلة تسمى باسم حيوان وتعبدهُ ولا يكفي ان تعبد صنماً بشكل ذلك الحيوان بل الشرط ان تقدس جنس هذا الحيوان وتتجنب اذيتهُ كما كان المصريون يقدسون الهر او الجعلان . والعرب لا يقدسون حيوانًا الاّ نادرًا وفي احوال مخصوصة . على ان صاحبنا لم يتفق لهُ مع ما اجهد نفسه وتوسع في برهانه من التأويل والتفسير ان يأتي بدليل على ان قبيلة من القبائل المسماة باسماء حيوانية كانت تعبد صنماً بشكل الحيوان الذي تتسمى بهِ وان كان توفقه الى ذلك لا ينفعهُ شيئاً لان المطلوب ان القبيلة التي تتسمى باسم حيوان يجب ان تقدس جنس ذلك الحيوان لا صنماً بشكله

فمذهب الطوتمية عند العرب ساقط بسقوط الامومة ثم هو ساقط ايضاً لبعد احوال العرب عن شروط الطوتمية كما رأيت — ومع ذلك فلا ينبغي لنا الاغضاء عن الادلة التي اعتمد عليها صاحب طوتمية العرب في اثبات هذا الرأي وسبب ذهابه اليهِ مع غرابته فنقول

٥ — ادلته على طوطمية العرب

ان من يطالع تلك الادلة في كتابه يتضح له من مجملها انه لما اطلع على احوال الطوطمية عند القبائل المتوحشة كما ذكرها مكلينان وغيره — وهو مستشرق يعرف احوال العرب الجاهلية وقبائلها وانسابها ومعبوداتها ورأى بعض القبائل أو البطون تسمى باسماء حيوانية . وكان العلماء يومئذ مولعين بالحقائق الطبيعية على مذهب الارتقاء يشتغلون يردّ كل الحوادث اليه كما قدمنا . ورأى النسابين العرب مختلفين في تحقيق انساب بعض القبائل فتبادر الى ذهنه ان اسماء هذه القبائل من بقايا الطوطمية عند العرب . فأخذ يفتش عن شروطها الاخرى فرأى بعض القبائل تعبد اصناماً بشكل بعض الحيوانات فتمكن ذلك الرأي من ذهنه ونسي ان الشرط ليس عبادة صنم حيواني الشكل وانما المراد تقديس صنف من الحيوانات اسمه كاسم القبيلة . اولعله انتبه لذلك وظن نفسه قادراً على الاتيان بحادثة يمكن تأويلها او قرينة يستدلّ بها على شيء واخبار العرب كثيرة وفيها الغث والسمين والناقض والمنقوض وهو قويّ الحجة لطيف الاسلوب فتوفق الى ادلة توهم غير المتأمل انه اصاب بها المرمى وهو بعيد عنه كما سترى . واليك ادلته وبيان فسادها :

تسمية القبائل باسماء حيوانية (صفحة ١٨٨)

ليس بين ادلته على الطوطمية ما يصح اعتباره من قبيل القول الصريح الا اسماء القبائل وان كانت هذه الاسماء لا تكفي وحدها لاثبات رأيه لاسباب تقدم بيانها . ولكنه يحتج بان تسميتها باسماء حيوانات ليست من قبيل العبث ولابدّ لذلك من سبب . فعلينا ان ندفع حجته بان هذه التسميات طبيعية لا غرابة فيها

ان صاحبنا الاستاذ اورد من اسماء القبائل كل ما يشتم منه رائحة الحيوانية ولم يزد عدد ما اورده منها على ثلاثين اسماً بعضها قبائل وبعضها عمائر وبعضها بطون أو فصائل وهي :

بنو اسد	بنو جعدة	بنو ضب	بنو فهد
« بدن	« جعل	« ضبيعة	« كلب
« بكر	« حداء	« عضل	« نعامة
« بهثة	« حمامة	« عنز	« نمر
« ثعلب	« حنش	« غراب	« وبر
« ثور	« دؤيل	« فهد	« هوزن

بنو جحش	بنو دب	بنو قرد	بنو يربوع
« جراد	« ذئب	« قنفد	

ولو عددنا اسماء القبائل العربية وفروعها من العمائر والبطون والافخاذ والفصائل لزادت على بضع مئات وربما ناهزت الالف فلو كانت التسمية طوتمية لوجب ان يزيد عدد القبائل الطوتمية على سائرها . ثم ان بعض ما اورده من الاسماء له غير معنى الحيوانية ولكنه اختار الحيوانية ليزيد اسباب رهانه . فبكرٌ مثلاً تفسر بولد الناقة ولكن لها معنى « العذراء » و « اول كل شيء » والسحابة والكرم اول حمله وغير ذلك . على اننا لو رجحنا معناها الاول اي ولد الناقة لما كان في التسمية شيء من الطوتمية لان العرب لو جاز ان يتسموا بحيوان ويعبدوه لكان « الجمل » او « البعير » اولى من سواه نظراً لاضطرارهم اليهِ وقدم عهده عندهم وليس من القبائل ما يسمى بهِ الاَّ بكر هذا وهو اقرب ان يكون لقباً لقب بهِ رجلٌ فتى نشيط كأنهُ ولد الناقة . و « البهثة » البقرة الوحشية وابن الزناء . و « الجعدة » الانثى من اولاد الضان والمرأة التي في شعرها جعودة فلماذا لا يكون المراد بها المعنى الثاني لولم يسبق الى ذهنه الطوتمية . و « العضل » الجرذ ولكنهُ ايضاً يدلُّ بكسر العين على الداهية من الرجال او القبيح منهم فلماذا لايكون المراد احد هذين المعنيين . و « القهد » نوع من ضان الحجاز ولكنهُ يدل ايضاً على الرجل الابيض اللون نقيه . وقس على ذلك — فالقبائل التي تثبت تسميتها باسماء الحيوانات لا تزيد على بضعة وعشرين قبيلة او فرع قبيلة

فاتفاق هذا العدد القليل بين مئات من الاسماء لايصح عزوه الى الطوتمية فان الناس ما برحوا منذ القدم يتسمون باسماء الحيوانات او يتلقبون بها ثم يذهب الاسم ويبقى اللقب كما بيناه

التسمية

ان لاسماء الاعلام تاريخاً طويلاً في علم العمران وهي تختلف صورة ومعنى باختلاف الاعصر وباختلاف الامم . فكل امة تختلف التسمية فيها عما في سواها وتختلف في الامة الواحدة باختلاف ادوار تمدنها . على انها في كل حال تقتبس مما يقع في النفس موقع الاعتبار من الكائنات على اختلاف طبقاتها فتختار من اسمائها ما يلائم عاداتها ومعتقداتها . فاذا تديَّنت انتسبت الى الاله او الآلهة سواءٌ كانت تلك الآلهة اجراماً سماوية او حيوانات او اصناماً او غير ذلك . اما قبل التدين او في حال البداوة الخشنة فالغالب ان يختار الناس لابنائهم اسماء ما يعجبون به او يخافونهُ من الاجسام الطبيعية ولا سيما الحيوانات على ما يتوسمونه

في المولود من القوة او الشجاعة او الدهاء او الدعة او الخوف . فيختارون لهُ اسم حيوان فيه مثل هذه الطباع فيسمون الرجل الشجاع بالاسد والسريع الوثوب بالنمر ويسمون الفتاة اللطيفة بالغزال او الحمامة . وقد جرى على ذلك معظم الام القديمة في كل انحاء العالم ولا سيما الام الحربية او اهل البداوة والغزو الذين يعيشون في البراري يرحلون من نجع الى آخر والحيوانات عشراؤهم كما كان شأن العرب في ايام جاهليتهم . فقد كانوا يعيشون بين الحيوانات حتى درسوا طبائعها ووصفوا كلاً منها بوصف خاص فاذا ولد لهم ولدٌ هان عليهم تشبيهه بواحد منها بشكله او طباعه ويسمونهُ بهِ .

وليس هذا خاصاً بالعرب بل هو يتناول سائر اهل البادية او من جرى مجراهم قبل تعلقهم بالدين . فاليهود كانوا في اوائل ادوارهم يجرون في التسمية على هذا النمط ولذلك رأيت بين اسمائهم القديمة كثيراً من اسماء الحيوانات كقولهم دبورا (نحلة) وأربه (اسد) ويونا (حمامة) وراحيل (نعجة) وشوال (ثعلب) وكالب (كلب) وديشان (غزال) او اسماء الاجرام السماوية مثل حودش (الهلال) . ومن الاوصاف الطبيعية اشحور (اسود) وابدوم (احمر) وعيسو (كثير الشعر) وكوره (شجاع) . وقس على ذلك سائر الام القديمة ولاسيما قبل تدينها . فقدماء الانكليز كانوا يتسمون بأسماء الحيوانات ايضاً ومن اسمائهم القديمة Ethelwolf (الذئب الشريف او ذئب الحرث) وقد تسموا بالاوصاف الطبيعية كالابيض والاسمر والطويل والقصير . ثم تدرجوا الى الصنائع كالحداد والنجار والنقاش والسروجي . وانما يهمنا في هذا المقام الاسماء الحيوانية وهذه لم تخلُ امة من التسمية بها على تفاوت في ذلك بتفاوت احوالهم من البداوة والحضارة ولا يزال عند الام المتمدنة حتى الآن عدد كبير منها او ما يقابلها من اسماء الكائنات الطبيعية كالحجارة والاشجار واليك امثلة من ذلك :

فمن الاسماء اليونانية والرومانية :

كالاسد او الاسد	Leonidas
اسد الغاب	Napoleon
صخر	Peter
محب الخيل	Philip
غزال	Darcas
اسد	Leo

ومن الاسماء الجرمانية والسكسونية والتيوتونية :

النسر او قوي كالنسر	Arnold
الحجر الشريف	Athelston
الذئب او قوي كالذئب	Bernard
العقاب او قوي كالعقاب	Bertram
الخنزير البري	Everard
نعجة	Giles
عقاب	Ingram
اسد	Leonder
كالاسد او كالعقاب	Leonard
خروف	Oven
ذئب المنازل	Randal
الذئب المشهور	Rodolph
الحية الشريفة	Ethelnid

ومن الاسماء الفارسية القديمة :

شيركوه	اسد الجبل
بير او ببر	الاسد
جمشيد	وجه الشمس
اردشير	الاسد الغضوب
بلاش	نوع من النمر
تيمورغ	السمك الفضي
زرسب	الجواد المذهب
بهرام	المريخ
الضحاك	الثعبان

فنرى مما تقدم ان التسمية بالاسماء الحيوانيـة من القواعد الطبيعية المرعية عند سائر الامم وربما كان العرب اكثر تمسكاً بها لما تقتضيه بداوتهم وخشونتهم ولذلك كثرت عندهم

الاسماء المتعلقة بالحروب ايضاً كحرب ونصر وسعد وعدوان وعبس واشجع وسهم وصخر ونحوها — قيل لابي الدقيش الاعرابي « لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم باحسنها نحو مرزوق ورباح » فقال « انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا » [1]

على ان المتعبدين من العرب الاصنام كانوا يتسمون عبيداً لها كعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وعبد سعد وعبد تيم وغيرها . ولما اسلموا كثرت اسماؤهم المنسوبة لله او بعض صفاته كعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الاحد وعبد الصمد . وذلك شأن الامم المتدينة في كل مكان وزمان فالاشوريون كانوا يتسمون بالنسبة الى آلهتهم مثل « تغلاتنين » عبد الاله تنين و « متاغل نبو » عابد نبو وكذلك البابليون فانهم يضيفون اسماءهم الى الهتهم « بل » او « نبو » فيقولون « بل ابني » بل صنعني و « نبو نصر » اي نبو ينصر و « عبد نبو » اي عبد الاله نبو و « نبو بالوزور » نبو يحمي ابني [2] وكذلك اليونان بعد تنصرهم ومن اسمائهم « ثيودسيوس » عطية الله و « ثيودورس » عبد الله وغيرهما

فتسمية العرب الجاهلية رجالهم باسماء الحيوانات امر طبيعي يؤيده تصغير تلك الاسماء للتحبب كقولهم ذؤيب واسيد وكليب ونحو ذلك مما لا يفسر الا اذا كانت تلك الاسماء القاباً للناس . وظل العرب على ذلك في بداوتهم حتى تدينوا وتسموا بالاسماء الدينية كما تقدم . ولما تمدنوا تسموا باسماء الصنائع كالنحاس والصيدلاني والكحال والنجار والاسطرلابي ولما ضعفت عصبية النسب عندهم تسموا بالنسبة الى البلاد كالدمشقي والبغدادي والبصري والبخاري والنيسابوري وغيرها — فبقاء بضعة وعشرين من القبائل القديمة على اسماء الحيوانات ليس امراً غريباً

قال الجاحظ في كتاب الحيوان « والعرب انما كانت تسمي بكلب وحمار وحجر وجعل وحنظلة وقرد على التفاؤل بذلك . وكان الرجل اذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل فان سمع انساناً يقول حجرا او رأى حجراً سمى ابنه به وتفاءل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر وانه يحطم ما لقي وكذلك اذا سمع انساناً يقول ذئب او رأى ذئباً تاول فيه الفطنة والمكر والكسب وان كان حماراً تاول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد وان كان كلباً تاول فيه الحراسة واليقظة وبعد الصوت والكسب . ولذلك صور عبيد الله بن زياد في دهليزه كلباً وكبشاً واسداً وقال كلب نابح وكبش ناطح واسد كالح فتطير على

(١) الدميري ٢٤٢ ج ٢

(2) Rowlinson's Ancient Monarchies II. 539 & III. 527

ذلك فطارت عليه »

التلقيب

هذا على فرض انها اسماء سمي بها آباء تلك القبائل ولكن كثيراً منها كان في الاصل لقباً ألحق بالاسم الأصلي ثم ذهب الاسم وبقي اللقب مما يقع دائماً وخصوصاً عند العرب لانهم مفطورون على التلقيب والتكنية ويتضح لك ذلك من مراجعة معجماتهم فانك ترى للاسد مئات من الاسماء اكثرها القاب لقبوه بها ثم صارت اسماء وكذلك الديك والغراب والفرس والبعير والذئب والحية والجراد وغيرها من حيواناتهم غير اسماء الاصلحة ناهيك بالمترادفات من اسماء الشمس والمطر والبحر والبئر واللبن والعسل والخمر والنار . ومن الالقاب كالطول والقصر والشجاعة والجبن والكرم والبخل والحمق ونحوها [1] ولكل منها مئة او مئات من المترادفات واكثرها القاب او كنايات تدل على ميل العرب الى التلقيب والتكنية من فطرتهم

وكانوا يضربون الامثال غالباً بالبهائم فلا يكادون يذمون او يمدحون الا بذلك لانهم جعلوا مساكنهم بين السباع والاحناش والحشرات واستعملوا التمثيل بها لما ألفوه من طباعها وخصوصاً القبائل العدنانية لسكناهم في صحاري نجد والحجاز وبلادهم اكثر وعورة وخشونة من القحطانية ولذلك كانت اسماء الحيوانات اكثر في قبائلهم مما في القبائل القحطانية . وقد درسوا تلك الطبائع بالمزاولة واختصوا كل حيوان بطبيعة نسبوها اليه كالروغان للثعلب والشجاعة للاسد والصبر للحمار والامانة للكلب والغضب للنمر والثقل مع الخساسة للفيل ونحو ذلك وصاروا يعوضون عن الالقاب باسماء تلك الحيوانات فبدلاً من قولهم « شجاع » يقولون « اسد » وبدلاً من صبور يقولون « حمار » ويكنون عن المراوغ بالثعلب واذا ارادوا ان يقولوا غضب فلان قالوا « تنمّر »

وكانوا من الجهة الاخرى يلقبون الحيوانات باسماء الناس او كناهم فالفيل كنيته ابو الحجاج والاسد ابو الحارث والذئب ابو جعدة والدب ابو رباح والخنزير ابو قادم ويقال ابو عقبة والثعلب ابو الحصين والكلب ابو خالد وابو ناصح عند بعضهم . والسنور ابو خراش ويقال ابو غزوان والغزال ابو الحسين والجمل ابو صفوان ويقال ابو ايوب وابو مزاحم والثور ابو حاتم والكبش ابو المطرف والنمر ابو وثاب والفهد ابو قرة والفرس ابو طالب والبرذون ابو مضاء والبغل ابو المختار والحمار ابو زياد . وعندهم ام حبين الجرادة وام عوف الحمامة

(١) لطائف اللغة العربية

وام مهدي الدجاجة وام حفص الهدهد وابو الميت الجعالة وابو المرأة القملة وام عقبة الحية وام يقظان العقرب وقس عليه

وكان التلقيب عاماً في الشعوب السامية اعتبر ذلك بما جاء في التوراة عن تلقيب يعقوب لأولاده لما جمعهم في آخر ايامه فعبر عن اوصاف بعضهم باسماء الحيوانات فسمى يهوذا شبل اسد ويساكر حماراً ودان ثعباناً ونفتالي ايلة و بنيامين ذئباً . وترى امثال هذا التلقيب في اماكن كثيرة من التوراة . ويدل ذلك على شيوع التلقب عند الساميين قديماً ثم قل عند العبران والسريان لما سكنوا المدن واخلدوا الى السكون وظل عند العرب لبقائهم على البداوة . وما زال ذلك شأنهم الى صدر الاسلام وما بعده ولا تزال بعض اسماء الحيوانات تستخدم للتكنية الى اليوم وقد تنوسي معناها الاصلي كالقرم للسيد العظيم ومعناه في الاصل « الفحل » وكذلك « الرت » للباسل وهي اسم للخنزير و « الاصيد » للملك وهو البعير . على انهم كثيراً ما كانوا يلقبون باعضاء الحيوانات المفترسة كالناب والانف والقرن فانها من القاب الشجاعة والقوة عندهم [1] ومن عادات العرب اذا مات لاحدهم اولاد وخاف انقطاع ذريته ان يسمي اولاده باسماء الحيوانات المفترسة كالذئب والنمر وغيرهما ولا تزال هذه العادة جارية في سوريا الى اليوم

فترى ان التلقيب بالحيوانات كان شائعاً عند العرب قبل الاسلام على انهم ساروا عليه بعد الاسلام فسموا حمزة عم النبي « أسد الله » او « أسد رسول الله » وكذلك علي ابن ابي طالب لشجاعتهما [2] وقد سموا مروان بن محمد بالحمار لصبره . ويكون التلقيب للمدح كما رأيت او للذم كتسميتهم عثمان بن عفان « نعثل » وهو ذكر الضباع وتسمية عبدالملك ابن مروان « ابا ذبان » لبخره و « رشح الحجر » لبخله [3] وتلقيب بني عمرو بن عمر افواه الكلاب لبخر افواههم

ومن ادلة رغبتهم في التلقيب انهم يلقبون الرجل ببيت شعر نظمه او لفظ قاله او حادثة جرت معه مما لا ضابط له فالمرقش الشاعر اصل اسمه عوف بن سعد فنسي الاسم وبقي اللقب والمتلمس اسمه جرير بن عبد المسيح والنابغة اسمه زياد بن معاوية وكذلك المخرق وتأبط شراً واعصر والمستوغر وغيرهم ممن ذهبت اسماؤهم وبقيت القابهم — فماذا يمنع حدوث ذلك قبل التاريخ فيلقب ابو القبيلة بما يناسب خلة من خلاله مدحاً او ذماً ثم يتناسى الاسم

(١) الالياذة العربية (المقدمة) (٢) والافرنج يلقبون غوستافوس ادلفوس ملك اسوج بأسد الشمال (٣) المعارف ١٣١

ويبقى اللقب وفي اخبار العرب امثلة كثيرة من هذا النوع فقيس عيلان اصل اسمه قمقة ولكنهُ اشتهر بلقبه وكذلك قريش وغيره · وقد يكون للتلقيب سبب متصل بحادثة فعنزة أبو القبيلة المعروفة سمي بذلك لانه قتل رجلاً بعنزة واصل اسمه عامر · والحطائر سمي بذلك لان المنذر بن امرىء القيس كان جمع اسارى بكر في الحظائر ليحرقهم فكلمهُ فيهم فشفعهُ واصل اسمه كعب والزبرقان سمي بهذا الاسم لجماله وسمي القمر ايضاً وكلاهما غير اسمه ولا يعرف الآن بهما · وقصي اصل اسمه زيد وعبد المطلب اسمه عامر وكلاهما يعرف باللقب فقط · وقد يكون اللقب اسم حيوان او لقباً من القابه مثل جساس اسم الرجل المشهور فمعناه في اللغة الاسد المؤثر في الفريسة ببراثنهِ واصل اسمه عمرو بن مرة البكري وقس على ذلك القاب الخلفاء بعد الاسلام فان اكثرهم يعرف بلقبه كالفاروق والصديق والمنصور والرشيد والمأمون وغيرهم

فاذا اعتبرنا شيوع التسمية باسماء الحيوانات او التلقيب بها وامكان بقائها وذهاب الاسماء الاصلية مع ميل العرب من فطرتهم الى ذلك فوجود بضعة وعشرين اسماً حيوانيا بين مئات من اسماء القبائل لا يعدُّ شيئاً غريباً

التلقيب بصيغة الجمع

على اننا رأينا صاحب طوتمية العرب يعلق اهمية كبرى على تسمية بعض القبائل بجمع اسماء الحيوانات مثل الانمار والكلاب والاراقم والضباب فعندهُ ان وجود هذه الاسماء بصيغة الجمع لا ينطبق على تفسيرنا من حيث تلقيب اب القبيلة بلقب يبقى ويذهب اسمه الاصلي ويرى ان هذه الصيغة دليلٌ قويٌّ على الطوتمية لان ابناء قبيلة النمر يعدُّون انماراً وابناء قبيلة كلب يعدون كلاباً على مقتضى شروط الطوتمية

والجواب على ذلك ان التلقيب بصيغة الجمع للقبيلة كان شائعاً عند العرب مثل شيوع التلقيب بصيغة المفرد للفرد · وكانوا يلقبون القبيلة بصفة عامة تشترك فيها او يغلب شيوعها بين افرادها كالكرم والبخل والحلم والغدر ونحو ذلك · فلما انتشر الاسلام وضعوا لاهل الاقاليم اوصافاً يمتاز بها بعضهم عن بعض

فمن امثلة اوصاف القبائل في صدر الاسلام ان معاوية سأل دغفلاً النسابة ما تقول في بني عامر بن صعصعة قال اعناق ظباء واعجاز نساء · وقال فما تقول في بني اسد قال عافة قافة فصحاء كافة · قال فما تقول في بني تميم قال حجر خشن ان صادفته آذاك وان تركته اعفاك · قال فما تقول في خزاعة قال جوع واحاديث قال فما تقول في اليمن قال سيود

ايوك . ومن هذا القبيل ان الحجاج سأل ابن القرية عن قبائل العرب فوصف كلاً منها بما امتازت بهِ وليس في وصفه مجون قال :

قريش	اعظم القبائل احلاماً واكرمها مقاماً
بنو عامر	اطولها رماحاً واكرمها صباحاً
بنو سليم	اعظمها مجالس واكرمها محابس
ثقيف	اكرمها جدوداً واكثرها وفودا
بنو زبيد	الزمها للرايات وادركها للثارات
قضاعة	اعظمها اخطاراً واعظمها نجارا وابعدها آثارا

وهكذا حتى اتي على معظم القبائل ثم وصف الاقاليم مما لا محل لهُ هنا

وعلى هذا النمط كانوا يلقبونهم باسماء حيوانات يغلب في طباعها الخلة التي اشتهرت تلك القبيلة بها وقد يذهب الاسم الاصلي ويبقى اللقب وحده وتعرف القبيلة بهِ كما حدث بالانمار فانها قبيلة من نزار لقبت بذلك لاشتهار اهلها بالقنص كانهم انمار في الوثوب على الفريسة قال النابغة من معلقته :

اهوى لهُ قانص يسعى باكلبه عاري الاشاجع من قناص انمار [1]

وكذلك الاراقم قبيلة من بني تغلب لقبوا بذلك لان عيونهم شبهت بعيون الحيات الاراقم فعرفوا بهذا الاسم [2] والعنابس اي الاسود لقبوا بذلك لشجاعتهم . وقد يطلق لقب واحد على غير رجل او غير قبيلة وتعرف كل قبيلة باسمها الاصلي كالاراقم المتقدم ذكرها فانها لقب لجشم ومالك وعمرو وثعلبة والحرث ومعاوية بني بكر بن حبيب من تغلب [3]

وليس تلقيب القبائل على هذه الصورة خاصاً بالعرب الجاهلية بل هو شائع في عرب هذه الايام . واشهر ما تداولته الالسن من هذا القبيل تلقيب النقاش لاهل لبنان في اواسط القرن الماضي اذ ارسلتهُ الدولة العثمانية لمسح لبنان واحصاء سكانه وكان ظريفاً وفيهِ دعابة فكان اذا نزل القرية او البلد لقب اهله باول تشبيه يتبادر الى ذهنهُ عند اقباله على ذلك البلد — واليك القاب بعض اهل القرى من اقاليم الغرب واكثرها اسماء حيوانات بصيغة الجمع

(١) جمهرة اشعار العرب ٥٤ (٢) الكامل للمبرد ١٢٧ (٣) المعارف ٣٢

اسم البلد	لقب اهله
اهل جباع	الشواح
« بيحة	التور
« بعذران	الثعالب
« المختارة	الذئاب
« عين قنية	الشواح
« عماطور	الديوك المزهرة
« المزرعة	البقر
« عينبال	الجحاش
« بعقلين	الغنم
« جديدة الشوف	الكلاب (١)

ولا هو خاص بالعرب بل يتداول بعض الامم المتمدنة فعند الاميركان في الولايات المتحدة لاهل كل ولاية لقب خاص على هذه الصورة:

اسم الولاية	لقب اهلها
Illinois	Luchers
Missouri	Pibers
Oragon	Webfoot
Ohio	Buckeye
Indiana	Hoosiers
New England	States Yankees
Albama	Yellow Limnor
Wisconsin	Badger

وجملة القول ان تسمية بعض القبائل باسماء حيوانية افرادًا او جمعًا لا اهمية لها في ما نحن فيه لانهُ عاديٌّ وطبيعيٌّ في الاجيال القديمة والحديثة . وبالطبع لم تبق اهمية لما ذكروه من عبادة الحيوانات التي كانت شائعة في الجاهلية وان كانت في الحقيقة ليست من

(١) هلال صفحة ٥٠٩ سنة ١٣

قبيل عبادة الحيوانات الطوتمية بل هي عبادة اصنام اقلها بشكل بعض الحيوانات واكثرها باشكال أخرى فهي من قبيل عبادة الاوثان وليست من الطوتمية في شيء لان اهل الطوتم لا يعبدون صنماً بشكل الحيوان بل يعبدون الحيوان نفسه ويقدسونه ويتجنبون اذاه كما تقدم وليس عند العرب شيء من ذلك — على اننا نقول كلمة في اصنام العرب لا تخلو من فائدة :

اصنام العرب

من المشهور ان العرب وسائر الامم السامية اهل توحيد من فطرتهم واذا عبدوا صنماً فيغلب ان يكون ذلك الصنم دخيلاً عندهم ويصدق ذلك على العرب بنوع خاص لتوسطهم بين الامم الوثنية القديمة فقد كانوا في عهد جاهليتهم محاطين بالفراعنة في مصر والفينيقيين في الشام والاشوريين في العراق والاحباش في الحبشة . وكانت جزيرتهم طريق اهل الهند في التجارة الى مصر والشام . وكانوا اذا ذهبوا الى بلد مما يجاورهم للتجارة او للغزو ورأوا اهل ذلك البلد يعبدون صنماً يعتقدون فيه الكرامة حملوه معهم في رجوعهم ونصبوه في الكعبة او غيرها من مجتمعاتهم . واذا مرت بهم قافلة هندية ومعهم صنم يعبدونه في اثناء اسفارهم فربما أعجب العرب فاخذوه منهم أو اصطنعوا صنماً على مثاله . ولم يصل الينا من اخبار هذه الاصنام الأ نتف مشتتة يمكن الاستدلال بها على غيرها

واشهر من نقل الاصنام الى مكة في عهد الجاهلية رجل يسمونه عمر و بن لحي ذكروا انه غاب على مكة وأخرج منها جرهماً وتولى سدانتها وكان كاهناً فحمل اليها الاصنام من الآفاق فنقل هبل واساف ونائلة من البلقاء [1] ونقل ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر من ساحل جدة [2] واختصت كل قبيلة من القبائل المشهورة يومئذ بواحد منها فاصبح ود لقبيلة كلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير . وكان ودّ على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر . ولو جمعت اصنام العرب لزاد عددها على مئة صنم ليس منها على صور الحيوانات الأ بضعة قليلة جدًّا . على انها اذا كثرت فقلما تؤيد برهاناً للاسباب التي قدمناها ولانها دخيلة كما رأيت — ولا نقول ذلك اعتماداً على رواية العرب فقط لان صاحبنا الاستاذ لا يثق من اقوالهم الا بما يؤيد برهانه ولكننا ننظر في هذه الاصنام نظراً تحليلياً عسانا ان نتوصل الى نتيجة فنقول :

(١) ابن هشام ٢٧ ج ١ (٢) ياقوت ٩١٤ ج ٤

(هبل) هو اكبر اصنامهم ويسمونه الصنم الاكبر وذكروا انه كان مصنوعاً من نحاس وقيل من قوارير اي زجاج على هيأة رجل ضخم وكانوا يذبحون له ويستخيرونه في اسفارهم وحروبهم وسائر اعمالهم · ويظهر لنا ان هذا الصنم من آلهة الفينيقيين او الكنعانيين والادلة على ذلك :

اولاً — قول العرب انهُ جاءهم من مواب بارض البلقاء حمله اليهم عمرو بن لحي الذي ذكرناه

ثانياً — ان لفظ هُبل لا اشتقاق لهُ في العربية من معناه فهو غير مشتق من لفظ عربي وعندنا انهُ عبراني او فينيقي اصله « هَبعَل » הבעל وهو اسم اكبر اصنام الفينيقيين او الكنعانيين ومن جاورهم من امم الشام كالموابيين والمديانيين والبابليين والليبيين · وكان للفينيقيين عشرات من الالهة يميزون منها الهين احدهما ذكر والآخر انثى ويسمون المذكر هبعل » والانثى « عشروت » ومعنى « بعل » في لسانهم السيد والاله والهاء في العبرانية اداة التعريف مثل « أل » العربية · فباضافة هذه الاداة الى بعل يريدون الاله الاكبر · والظاهر ان عمراً المذكور لما قدم مواب اعجبته عبادة الموابيين لهذا الصنم وكانوا يستمطرونه ويستنصرونه فحمله الى مكة باسمه العبراني « هبعل » واما العين الزائدة فيسهل اهمالها بالتخفيف ثم ضياعها بالاستعمال وخصوصاً في لفظ « بعل » لان الكلدانيين كانوا يلفظونه « بل » باهمال العين وهو اسم هذا الاله عندهم · وربما كان الموابيون يلفظونها « هبل » فنقلها عمرو بن لحي كما كان يسمعها

ثالثاً — ان اساليب عبادة العرب هبل تشبه اساليب عبادة الموابيين هبعل · فقد كان الموابيون ينصبون هذا الصنم على التلال المرتفعة او سقوف البيوت ويذبحون له الذبائح من الحيوانات والآدميين ويحرقون له المحرقات ويستخيرونه ويفضلونه على سائر آلهتهم وكذلك كان يفعل العرب لهبل · وكما ان هبعل اكبر اصنام الموابيين ومن جرى مجراهم فهبل اكبر اصنام العرب وكانوا ينصبونه فوق الكعبة

﴿ اساف ونائلة ﴾ ذكروا انهما صنمان الأول على صورة رجل والثاني على صورة امرأة حملهما عمرو بن لحي ايضاً من البلقاء فوضعهما على بئر زمزم بالكعبة ثم وضع احدهما على الصفا والآخر على المروة فربما كان هذان وهبل مثلثاً وثنياً والمثلثات الوثنية كانت شائعة عند الوثنيين في الازمنة القديمة · والغالب في هذه المثلثات ان يكون كل منها مؤلفاً من رجل وامرأة وغلام · وامثلة هذه المثلثات كثيرة عند المصريين القدماء والكلدانيين وغيرهم

❋ يغوث ❋ جاء في تفسير الزمخشري انه على صورة اسد وان عمرو بن لحي نقله من جدة على ساحل البحر الى مكة . فاذا كان مجلوبًا من الخارج فالغالب انه من الحبشة او مصر لان جدة محطة المسافر من احداها الى الحجاز . وقد وجدنا بين آلهة المصريين صنماً على صورة اسد او لبوءة يسمونه « تفنوت » ولا يخفى ما بين هذه اللفظة ولفظ يغوث من المشاكلة الصورية اذا اعتبرنا ان العرب كانوا يكتبون بلا نقط فاذا كتبوا « يغوث » التبس عليهم بين ان نقرأ يغوث او تغنوت او تعوث وكثيرًا ما وقع لهم ذلك حتى بعد تدوين التاريخ في ابان التمدن الاسلامي فامبراطور الروم الذي حاربه هرون الرشيد يسميه بعض المؤرخين يعفور والبعض الآخر نعفور والآخر نقفور وهو الصواب لان اسمه الروماني nicephorus الا يعقل ان يحدث مثل هذا الالتباس في عصر الجاهلية ؟ وعلى هذا المبدأ تحوَّل اسم قايين الى قابيل وشاول الى طالوت وجليات الى جالوت وقورح الى قارون

❋ ود ❋ وهذا الصنم قد وصفه ياقوت في معجمه فقال « انه على تمثال رجل كاعظم ما يكون من الرجال قد دبر عليه اي نقش عليه حلتان متزر بحلة ومرتد بحلة عليه سيف وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء وجعبة فيها سهام » فما اشبه هذا الوصف بوصف ملك من ملوك الفراعنة ذاهب للحرب على مركبته . وهو يشبه الهًا فينيقياً اسمه اشبو[1] او سبس اله مصري . ولا يمكننا الجزم في ذلك وانما يظهر من وصفه انه اله غريب

وقس على ذلك سائر الاصنام وان كنا لا نطمع بردّها كلها الى اصولها ولا ان يكون كلامنا فيها يقينياً او قطعياً وانما هو من قبيل الترجيح وهذا يكفي في هذا المقام

الثأر والعائلة والحلف

ورأينا صاحب طوتمية العرب قد علق اهمية كبرى على اجتماع العرب للمطالبة بالثأر باسم القبيلة فعندهُ ان ذلك من بقايا الطوتمية لان القبيلة كانت قديماً اذا قتل احد افرادها اشتركت كلها في المطالبة بدمه لانها تطالب بحق الاله الذي هو جدّها الاعلى (صفحة ٥٣ و٥٦) وان العرب ليس عندهم عائلة وانما آخر انسابهم الحي (صفحة ٢٣) ولا حاجة بنا الى التطويل في بيان فساد هذا التأويل بعد ان ظهر فساد المقدمات الاخرى . فالطلب بالثأر باسم القبيلة طبيعي في امم البادية وضروري لحفظ جامعة النسب ولولاها لم يكن لتلك الجامعة معنى ولكن صاحبنا اجهد نفسه كثيرًا في التفسير والتعليل للتوفيق بين

(١) بغية الطالبين ١٦٠

المطالبة بالثار عند العرب ومطالبة اصحاب الطوتم بحق جدهم الاعلى . وهيهات ان يتأتى له ذلك الا اذا ثبتت الطوتمية عند العرب فيكن تفسير الثار بما فسره لا ان يكون هو من ادلة تلك الطوتمية يستعان به في ثباتها

واما عدم وجود العائلة عند العرب فالقول به غريب وانكار العائلة عند العرب يقرب من انكار البديهيات او هو انكار ضوء الشمس في رابعة النهار . واغرب من ذلك استدلاله على طوتمية العرب بما يحدث عندهم من الترابط او التعاون بواسطة الحلف ونحوه فالتحالف قاعدة سياسية لا تزال جارية الى الآن عند ارقى الامم المتمدنة وانما يختلف عن الحلف عند قبائل العرب كما تختلف بداوة هؤلاء عن حضارة اولئك

خاتمة

ونختم المقال بكلمة في الطوتمية نفسها فنقول انها ليست من الامور الثابتة علمياً حتى عند القبائل المتوحشة الآن لان كثيرين من فلاسفة العمران ينكرونها وقد كتب في نقدها غير واحد منهم وخصوصاً سبنسر الفيلسوف الشهير وهو اوثق الثقات في علم الاجتماع البشري فقد جاء في كتابه « اصول العمران » ما معناه « يظهر لي ان اصل القول بالطوتمية خطأ في تفسير الالقاب والكنى اي ان المتوحشين كانوا يسمون انفسهم باسماء بعض الحيوانات او غيرها من الكائنات الطبيعية على سبيل التلقيب ثم تشابهت هذه الاسماء على ابنائهم فظنوا تلك الحيوانات آباءهم حقيقة فعبدوها او قدسوها »

على ان القول بالطوتمية يخالف كثيراً من قواعد العمران الثابتة التي يؤيدها الاستقراء والمشاهدة كالمشهور في اصل عبادة السلف وعبادة الاجرام وكيف تدرج الانسان في كل منهما . ناهيك بمخالفة الطوتمية للحكم العقلي فكيف يخطر للانسان ان يعتقد تسلسله من ثعبان او خنفسة او بصلة او نحو ذلك ؟ فالطوتمية من الآراء العلمية الضعيفة المبنية على الاستقراء الناقص وهي تحتاج الى تمحيص ونقد.

فاذا اعتبرت سقوط الادلة على الامومة عند العرب كان القول بالطوتمية عندهم ساقطاً على ان الطوتمية نفسها قد اتضح سقوطها عندهم بقطع النظر عن الامومة لما تقدم من فساد آراء القائلين بها فكيف اذا تبين لنا ان الطوتمية بحد ذاتها من الآراء العلمية الحديثة التي تفتقر الى نقد وتمحيص ؟



(انتهى)

النهضة المالية المصرية

وهمية هي ام حقيقية ؟

٥ — رأى اللورد كرومر فيها

بحثنا في الهلال الماضي بحثاً اجتماعياً مالياً في ثروة هذا القطر فبيّنا اسباب كثرة الذهب في اوربا وفي مصر وما ترتب على ذلك من غلاء الاطيان الزراعية في القرى وارض البناء في المدن وابدنا اقوالنا بالاحصاآت الرسمية والقواعد الاجتماعية . وخلاصة رأينا في ذلك ان هذه الثروة حقيقية راهنة ليست من قبيل المضاربة كما يتوهم غير الباحث . وبعد صدور الهلال بيومين ظهر تقرير اللورد كرومر عن المالية والادارة والحالة العمومية بمصر لسنة ١٩٠٥ وفيه باب خاص للبحث في الامور الاقتصادية استغرق مثل المكان الذي استغرقه بحثنا في الهلال ويسرّنا ان رأيه في هذه الثروة وافق رأينا فيها وان اختلفنا في الطريق المؤدي الى تلك النتيجة — شأن البحث عن الحقيقة في كل زمان ومكان فقد تختلف طرق الباحثين عنها وتتفاوت سرعتهم اليها ولكنهم يتلاقون اخيراً عندها

ونظراً لمقام فخامة اللورد في هذا الموضوع وثقة الناس بسعة علمه في تفاصيله فانهم يكتفون بكلمة منه في ترجيح صحة هذه الثروة لا يكلفونه على ذلك برهاناً ولا دليلاً . لعلمه بهذه الثقة وحذراً من تورط الناس في البيع والشراء اعتماداً على رأيه فقد جال في الموضوع باحتراس ودقة وقسم الكلام فيه الى فصول ذكر في الفصل الاول منها خلاصة رأيه في تاريخ هذه النهضة وبيّن في الفصول التالية تأثير كل مصدر من مصادر الثروة على حدة واهمها القطن والخضر والازهار والاثمار والسكر والتجارة والجمارك وحركة النقود الذهب والورق والتعدين ومصايد الاسماك والبنك الزراعي وصناديق التوفير وغيرها ولو أردنا نقلها لضاق عنها المقام فنقتصر على الفصل الاول وفيه خلاصة رأيه في ذلك قال :

« يلوح لي ان ارتفاع اسعار الاطيان اليوم هذا الارتفاع العظيم وتهافت الناس على تثمير اموالهم في الشركات التي تنشأ على اختلاف انواعها والافلاس الذي حدث حديثاً متعلقاً بصناعة السكر والاحوال الملابسة لذلك ايضاً — كل هذا اثار الريب والشبهات في النفوس بان الاشغال التي تجري في بر مصر الآن غير قائمة على اساس صحيح متين بوجه العموم بل

ينتظر ان تنقهقر قريباً و يحدث رد فعل عواقبهُ وخيمة واضرارهُ عظيمة . ولا غرابة في تغلُّب هذه الريب على النفوس فقد انتقلت مصر من الفقر الى الغنى انتقالاً لم يكد يسبق لهُ نظير في السرعة . والناس يصعب عليهم طبعاً ان يصدقوا ان البلاد التي كانت حكومتها منذ اعوام قلائل على شفا اليأس من الافلاس وكانت مضغة في الافواه لسوء ادارتها تنقلب بغتةً الى بلاد ذات حكومة حسنة الانتظام محترمة للقوانين قادرة على ايفاء ما يستحق عليها من الديون وتصير بلاداً تثمر الاموال فيها بلا خطر اعظم من الخطر على تثميرها في البلدان التي ادركت ماهي عليهِ من انتظام الادارة واحترام القانون والمقدرة على ايفاء الديون بالصبر والتأني شيئاً فشيئاً . ومتى كان الناس على هذا الاعتقاد اعتقدوا لاقل سبب ان ما يرونهُ من يسر الحال ونماء الاشغال في بر مصر الآن يشبه الفطر في طبعهِ فينمو حالاً و يذوي ويموت سريعاً كما ذكر في التواريخ كثيراً لانهُ ناتج عن اسباب عرضية وقتية فمتى زالت زال لا محالة

« وقد اطلت التأمل والتفكير في هذا الامر طبعاً ولكني ابيت ان ابدي رأياً باتاً فيهِ لئلاً يحدث امر ليس بمنظور يبطل النتائج التي استنتجها ولاني وان كنت لا اريد ان اثبط عزائم المشتغلين بالتجارة حسب الاصول الجائزة في بلاد مصر فلست اريد ايضاً ان المضاربَ والسمسر بالشركات على خلاف الاصول يتناولان اقوالي ويؤولانها طبقاً لما يوافق اغراضهما

« فاذا تقرر ذلك في الاذهان اقول : اني على قدر ما يتيسر لي الانباء بالمستقبل لست اجد اساساً صحيحاً للظنون التي اشرت اليها آنفاً . لا اقصد بذلك انهُ اذا امنت مصر تقلبات السياسة الاوربية التي تؤثر في احوالها والتي لا دخل لها في كلامي هنا لم تحدث حوادث محلية فيها مما يلقي الاضطراب الوقتي في امورها . فانهُ مع كل التحذير الذي يحذر بهِ المصريون لا تزول من مصر التزيينات الغرارة التي تضل الناس كما انها لا تزول من غيرها من البلدان بل لا بد ان يظل المسمسرون بالشركات على خلاف الاصول ينصبون الحبائل لاقتناص اموال القاصدين تثمير اموالهم بالحلال . وكذلك اسعار اسهم بعض الشركات تعلو وتتعاظم حتى تتجاوز الحد ثم تهبط فيخسر المضاربون الرقيقو الحاشية بهبوطها و يتضايقون . ويمكن ان تُحمل النقود من القطر فتشتد الازمة فيهِ و يصح ان يقال ان مصر مارَّة في مثل هذه الازمة الآن . وكذلك يمكن ان زراعة قصب السكر تفضي الى خطر وضرر فانهُ لم يقرّ الرأي حتى الآن على ما اذا كان يمكن زرع القصب واستخراج السكر منهُ بربح في بر مصر او لا . فاذا كان القرار سلباً فلابد من حدوث ارتباك كثير ومشقة في الحصول على النقود حتى يتيسر للاطيان التي تزرع قصب السكر الآن ان تزرع غيره . ولا

يخفى ايضاً ان غنى مصر متوقف معظمهُ على القطن وذلك لا يخلو من خطر عظيم لا سيما وان محصول القطن مائل الى النقص في كميته والانحطاط في جودته وعادات اهل القطر ودرجة العلوم والمعارف عندهم تزيد الصعوبة في استعمالهم العلاج الذي يصفهُ رجال العلم لاتقاء النقص والانحطاط في المحصول · ولكنا متى حسبنا حساب هذه الامور واستثنيناها هي ونظائرها لم ارَ شيئاً يرجح حدوث ما يوقف نماء البلاد وسيرها في سبيل التقدم والارتقاء · وانا ابني حكمي هذا على حقيقة واسعة الاركان وهي ان الاسباب العظمى التي ينسب اليها هذا النماء والازدياد الحديث الحقيق بالاعتبار ليست باسباب عرضية لا تدوم الاَّ الى حين بل هي اسباب ثابتة دائمة · وانهُ اذا سلك كل المتولين تدبير الامور في مصر سبيل الفطنة والحكمة وحافظوا على هذا المبدإِ القويم وهو ان لا تجتمع وظائف الحكومة وترقية الاشغال التجارية في اشخاص بعينهم و بادروا الى دفع الاضرار التي تنتج عن الجري على اساليب زراعية غير صحيحة — اذا فعلوا ذلك زال الخوف من سقوط مصر بعد قيامها وانتكاسها بعد تعافيها · هذا وغنى مصر تضرب بهِ الامثال من قديم الزمان ومع كل ما قيل عن ذلك لا اظن ان الناس ادركوا قيمة المزايا الطبيعية التي تمتاز بها هذه البلاد حق ادراكها بل ربما نسوا انهُ لم يتيسر لها في كل ما مرَّ بها من الزمان ان تظهر قوتها على الانبات والانتاج بمساعدة من البشر الاَّ في الربع الاخير من القرن الماضي · فلذلك فاجأهم تقدمها الماضي مفاجأة وصعب عليهم ان يصدقوا ان نموها هذا نمو صحي · ولكننا اذا تدبرنا تاريخها في الماضي وظروفها في الحال والحالة الفريدة التي هي عليها لم نجد في ذلك موجباً للاستغراب والدهشة

« واری ان اذكر قراء هذا التقرير بكون مصر فريدة لانظير لها ولو اقتضى ذلك ان اعيد ذكر امور معلومة ومبتذلة · فبلاد مصر هي البلاد الزراعية التي لا تعتمد على المطر لارواء ارضها بل ترويها من نهر طائع لمشيئة اهلها و يمكن ان تزداد طاعته لمشيئتهم بصرف المال عليه · فلا مبالغة اذا قلت انهُ يمكن ان تصير يوماً بمأمن من القيظ والشرق و بالتالي من المجاعة وبمأمن من الغرق ايضاً

« وتربة مصر هي الابليز (الطمي) الذي رسب من مياه النيل على توالي الاحقاب وقواتها على الانبات والانتاج لا تحصى كما قال السرجون بورنغ في تقريرهُ عن مصر وكريت منذ نحو ستين سنة · فحيثما رشت الارض بماء النيل اسرعت فانبتت النبات الجميل ولذلك لا تجد الحكومة فيها قضايا اقتصادية لا تكاد تقبل الحل كازدحام البلاد بسكان عائشين على شفا الجوع كما تجد الحكومة في بلاد الهند · ثم ان عدد سكانها لا يزيد عنها بل

لا يكاد يكفيها وهو آخذ في الازدياد . فقد كان في قديم الزمان ٨,٠٠٠,٠٠٠ نفس على ما يقال ولما تسلط الترك على البلاد قلّ عددهم الى ما بين ١/٢ ٢ مليون و ٣ ملايين ثم بلغ عددهم ٦,٨١٤,٠٠٠ نفس في احصاء سنة ١٨٨٢ وبلغ ٩,٧٣٤,٠٠٠ نفس في احصاء ١٨٩٧ ولا ريب انهُ سيزيد كثيرًا عن ذلك ايضًا في الاحصاء الذي سيؤخذ سنة ١٩٠٧

« وهواء مصر معتدل ولكن خصب تربتها واعتدال هوائها لم يحدثا فيها ما يحدث في البلدان التي خصتها الطبيعة بمزايا حرم غيرها منها واعني بذلك انها لم تخمد نار الجد والكد في اهلها بل ان اهلها قوم نشيطون مشهورون بكدهم واجتهادهم ثم ان نهرها يسهل المواصلات فيها ويفتح للتجارة سبيلاً طبيعيًّا الى اواسط افريقية وتنشأ الطرق والسكك الحديدية فيها بلا مشقة عظيمة

« وهي في غنى عن استخدام عدد عظيم من ذكورها البالغين في ما لا يجني بل ان قوتها قائمة بضعفها ولذلك لا تجند جيشًا عظيمًا بل تجند الآن ١٣ الف نفس فقط من ذكورها البالغين وعددهم ٤,٨٨٤,٠٠٠ نفس ولذا لا تثقل النفقات البحرية والبرية كاهلها كغيرها من البلدان ففي سنة ١٩٠٤ بلغ ما انفقتهُ دولة بريطانيا العظمى على جيشها وبحريتها ٥٥ في المئة من نفقاتها كلها وما انفقتهُ دولة المانيا ٣٣ في المئة ودولة فرنسا ٢٨ في المئة وايطاليا ٢١ في المئة والنمسا ١٢ في المئة واما مصر فلم تكد تنفق ٧ في المئة من نفقاتها على جيشها فقط اذ لا بحرية لها

« ولست اعلم غير امر واحد تمتاز به البلدان الاخرى على مصر من هذا القبيل وهو ان فوائد ديونها بلغت ٤١ في المئة من نفقاتها سنة ١٩٠٤ ومن جملة تلك الفوائد مال الويركو لتركيا وهذا يأخذه حاملو القراطيس العثمانية . اما بريطانيا العظمى فبلغت فوائد ديونها ١٨ في المئة والمانيا ٥ في المئة وفرنسا ٣٤ في المئة وايطاليا ٢٦ في المئة والنمسا والمجر ٢١ في المئة في تلك السنة . غير ان هذا الحمل قد خف عن عاتق مصر بمقدار ٨٩٠,٠٠٠ جنيه في الثلاث والعشرين سنة الماضية . وقد ثبت بالاختبار في العشرين سنة الماضية انهُ يسهل على مصر حمل هذا العبء بالجري على سياسة مالية سديدة والتزام جانب الاقتصاد في نفقات الحكومة فان متوسط المال الاميري على كل راس من السكان انخفض الى ١٦ شلنًا وبنسين سنة ١٩٠٢ بعد ما كان جنيهًا وشلنًا و ١/١٢ بنسة سنة ١٨٨٢

« واخيرًا ان حكومة مصر اصبحت في يسر واقتدارها على ابقاء ما يستحق عليها اضحى

مؤسساً على أساس وطيد فلا يكاد يخشى عليها من حدوث حوادث تلقبها في العسر بعد هذا اليسر

« فهل من بلاد تضارع مصر في هذه المزايا الطبيعية والعرضية التي تاول الى تحصيل الثروة وحفظها لا اظن ان بلاداً تضارعها في ذلك . ولهذا اقول انهُ متى ادرك الناس قدر هذه المزايا حق الادراك وفكروا في مقدار المساعدة التي يمكن اهل العلم ان يساعدوا بها الطبيعة الآن على زيادة خصب البلاد وتوفير ثروتها لم يستغربوا انتقال مصر من الفقر الى الغنى دفعة واحدة اذا سمحت لها الفرصة لذلك

« هذا ومع كل ماهو معلوم عن تاريخ مصر في الماضي وعن امورها في الحال فلستُ اظن ان احداً ادرك شدة احتياجها الى تجديد قوتها الآن في هذا العهد وحسبنا لبيان ذلك الرجوع الى عهد محمد علي في النصف الاول من القرن الماضي . فمحمد علي مثال لاحسن حاكم شرقي مستبد بحكمهِ واسمهُ محترم عند المصريين وحقهُ ان يكون كذلك لانه قدَّ مصر من احشاء السلطنة العثمانية واسس العائلة الخديوية وجعل البلاد شبه بلاد مستقلة بامورها فعمل بذلك عملاً تمهيدياً لاغنى عنه على الراجح لخير مصر في المستقبل . ولا مشاحة في انهُ كان رجلاً شديد العزيمة قوي الخلق والارادة عظيم المواهب العقلية وان مقاصدهُ كانت حسنة ايضاً فقصد ان ينقل الى مصر بعضاً من خصائص التمدن الغربي وفاز بذلك من اوجه ولكن كانت تعوزهُ المعرفة اللازمة لتنفيذ الاصلاح تمام التنفيذ بالحكمة والدراية فانهُ اولاً لم يكن يحسن اختيار عماله فبات مقصداً للافاقين من الاوربيين وثانياً انهُ كان شديد العجلة في الامور . وثالثاً انهُ ارتكب الخطاء القتّال في حصر كل السلطة والقوة بيدهِ وعدم تركهِ حق امتلاك العقار او الحرية في الاعمال للناس . قال السرجون بورنغ الذي كان من معاصريهِ ومن المحبين لهُ يصف نظام حكمهِ :

(لا ريب عندي ان الايرادات تزداد بزيادة الحرية في الجني والاستغلال لان الحاجيات باتت بهذا النظام عرضة لتقلبات كثيرة على غير طائل حتى صار يصعب على المرء ان يشتري الزيت والصابون والبن ونحوه ولو بالنقد . ثم ان الفلاح الذي لايبيع حاصلاته الاَّ بالسعر الذي تدفعهُ الحكومة وهو سعر واطيء على الدوام كثيرا ما يضطر ان يعود فيشتريها منها بالسعر الذي تبيعها به وهو سعر عالٍ على الدوام وكثيراً مالا يتيسر له شراؤُها مع ذلك مهما دفع بها . فبافقار الفلاح على هذا الوجه تفتقر الحكومة نفسها لانه يتأخر عن دفع الضرائب ويهمل زرع أرضه ثم يتركها فتفضي قلة زرعها الى قلة ايرادات الخزينة

منها) · انتهى كلام بورنغ

« فبالنظام المتقدم ذكره لم يتيسر انماء مصادر الثروة الطبيعية في البلاد ولا ترقيتها · اما كون البلاد لم تصب بضرر دائم من هذا النظام فالسبب فيه هو عين السبب الذي منع الخراب التام عن البلاد التي هاجت فيها حروب الاعصار الوسطى في اوربا نعم انه اخر تقدم البلاد زمناً ولكن الثروة التي كانت تحصل فيها لولاه كانت كلها تقريباً من الحاصلات الزراعية وهذه يستهلكها الاهالي في سنة او سنتين على الحالين

« على ان محمد علي منعته الحكمة عن استدانة المال واما اسمعيل باشا فقد كان حكمه في الظاهر مطابقاً للتمدن اكثر من حكم اسلافه لكنه اضرّ البلاد اكثر مما اضرها حكم جميع الذين تقدموه لانه لجأ الى استدانة المال من اوربا فحمّل مصر مئة مليون جنيه من الدين في ثلاث عشرة سنة · واضر بذلك اهل عصره في زمانهم والقى حملاً ثقيلاً على عاتق ذريتهم بعدهم

« ولو دام نظام حكومته طويلا لجرّ على مصر مصائب وشروراً لا يكفي ربع قرن لانقاذها منها بل لا بد لذلك من ازمان متطاولة ولكن زمان خلاصها حان لحسن حظها لما جلس المرحوم توفيق باشا على اريكة الخديوية سنة ١٨٧٩ وخصوصاً لما احتلت الحامية البريطانية البلاد سنة ١٨٨٢ فكانت مصر حينئذٍ خير عليل عالجه طبيب اذ لا يبرح من الاذهان انه لولا قدرة هذه البلاد على الانتاج والاغلال الى حد يفوق المعتاد ولولا ما اتصف به اهلها من الكد والاجتهاد لكانت المساعدة التي اداها النظار المستنيرو العقول والموظفون الاكفاء الذين خدموا حكومة مصر في الخمس والعشرين سنة الماضية تبقى عقيمة ولا تكاد تنتج نتيجة ولكانت مساعي الماليين والمهندسين والمشرعين منهم تذهب سدًى تقريباً

« ولا حرج عليّ اذا قلت انه لو بقي فعل الهيئة الحاكمة سلبياً محضاً اعني انها لو اقتصرت على كسر القيود التي قيدت بها حرية الاهالي كلهم في الماضي ولو قصرت افعالها على وظائف الحكومة فقط دون سواها لكان ذلك وحده يفضي الى تقدم البلاد في اليسر والثروة اذ عدم فعلها شيئاً كان خيراً للبلاد من الافعال الضارة التي فعلها الحكام السابقون · فكيف اذا اضفنا الى ذلك اتباعها سياسة مالية سديدة المبادي صحيحة الغايات واستخدامها رجالاً من احذق الاوربيين وابرعهم في اصلاح الري وتحسينه وتوجيهها معارف الغربيين كل جهة لاصلاح الادارة وتحسينها · لا جرم انه لا يبقى بعد اعتبارنا ذلك كله وجه لاستغراب تقدم مصر الذي ادهش العالم بسرعته

«اما الحقائق المتعلقة بتقدم مصر فلا اطيل الكلام فيها وانما اقول ان ايراد مصر السنوي زاد في الخمس وعشرين سنة الماضية زيادة مطردة حتى بلغ ١٤,٠٠٠,٠٠٠ ج ٠م بعد ما كان ٩,٠٠٠,٠٠٠ ج ٠م وذلك مع تخفيض الضرائب تخفيضاً عظيماً ٠ ان مجموع قيمة وارداتها وصادرتها كان ١٩,٥٠٠,٠٠٠ ج ٠م سنة ١٨٨٠ فزاد حتى بلغ نحو ٤٢,٠٠٠,٠٠٠ ج ٠م وان مساحة اراضيها الزراعية زادت ١,٠٠٠,٠٠٠ فدان ومحصول القطن كان نحو ٢,٢٥٠,٠٠٠ قنطار سنة ١٨٨٠ فصار يبلغ الآن من ٦,٠٠٠,٠٠٠ الى ٦,٥٠٠,٠٠٠ قنطار»
(انتهى كلام اللورد)[1]

٦ — ماذا عسى ان يكون من امرها

بقي علينا النظر في مصير هذه الثروة وماذا عسى ان يكون من امرها هل تثبت طويلاً ام لا تلبث ان تذهب ضياعاً كأن اصحابها في حلم ? ويكفي في الجواب على ذلك ان نعيد النظر في اساسها فاذا رأيناه متيناً ثابتاً علمنا بثباتها والعكس بالعكس ٠ وقد رأيت مما فصلناه في الهلال الماضي ان اساس هذه الثروة كثرة الذهب وسبب كثرته تقدم الزراعة وكثرة الغلة على العموم والقطن على الخصوص وارتفاع اسعار القطن ٠ وسبب تقدم الزراعة وكثرة الغلة تحسين وسائل الري وتسهيل استثمار الارضين بنشر لواء العدل والحق والحرية — فكل ما يقف في سبيل هذه الامور يعيق مجرى الثروة ويضرُّ بها و يزداد ضرره كلما اشتدت الصدمة فيقوى رد الفعل فاذا شبهنا هذه النهضة بجواد راكض رأينا الضرر العائد عليه من الوقوف في سبيله يتعاظم بتعاظم سرعته لاشتداد الصدمة عليه

فالثروة العقارية لا تزال جارية في مجراها الى الامام الاَّ اذا اعترض سيرها ما يعرج بها عن وجهتها و يكون ذلك اما باسباب ادارية او زراعية او صحية او اجتماعية أو تجارية ٠ فالاسباب الادارية يخشى منها على ذهاب الامن والعدل بانقلاب سياسي نعوذ بالله منهُ وقرائن الاحوال تدل على بعدهِ ٠ والاسباب الزراعية أن يصاب القطر بعوارض تطرأ على القطن كالدودة فتذهب بغلتهِ بضعة اعوام متوالية أو ان يقصر النيل عن ري الارض أو يضعف القطن المصري او تقل الحاجة اليهِ مع اشتغال مصر بهِ عن سواه من الغلال

واما الاسباب الصحية فهي ان يصاب القطر بمرض وافد يقتل معظم رجالهِ و يشغل

(١) عن تقرير اللورد كرومر ترجمة المقطم

الباقين عن العمل . والاسباب الاجتماعية ريد بها انغماس الناس في الاسراف فوق طاقتهم واما الاسباب التجارية فهي التورط في المضاربة كما سيجيء

الاسباب الادارية والزراعية

وقد بحث جناب اللورد كرومر في ذلك لكنه اقتصر على ذكر السببين الاداري والزراعي وعبر عن الاول بزوال المراقبة الاوربية زوالاً فجائياً وعن الثاني بحال القطن وزرعه واجاب على ذلك بقوله :

« اما الحوادث التي يمكن ان توقف هذا النمو فهي : اولاً زوال المراقبة الاوربية زوالا تاماً فجائياً او الاسراع في انشاء مجالس مصرية ارقى مما يقبله طبع المصريين الآن وذلك يمكن ان يكون وخيم العواقب اذ يترجح بعده الرجوع الى سوء الادارة التي كانت البلاد تئن منه في الماضي . على اني لا ارى وجهاً للخوف من وقوع محذور من هذين المحذورين الى يسهل علي في ما يختص بمستقبل مصر القريب ان انبيء بان نظام احكامها الحالي لا يغير تغييراً جوهرياً واما في ما يختص بمستقبلها البعيد فلست استطيع الانباء بما يكون ولكنني اقول انه لن يسمح برجوعها الى حالتها الاولى مطلقاً نظراً الى ما للاوروبيين وللوطنيين من المصالح العظيمة فيها

« وربما كان اعظم خطر على مصر ما ذكرته من انها تعتمد على محصول واحد فقط وهو محصول القطن . فاتقاء لازدياد الشر من هذا الخطر يجب بذل الجهد في دوام زرع قصب السكر . والمأمول ان عدد الذين يزرعون الحبوب يزداد ايضاً بعد ارتفاع اسعار المأكولات التي ترد المقادير العظيمة منها من الخارج . ووجه الخطر من الاعتماد على محصول القطن وحده انه يمكن ان يصاب بآفة تتلفه كما اتلفت الآفة المعروفة بالفيلكسرا الكرم في فرنسا . والقطن الاميركي عرضة لمثل هذا الخطر ايضاً وليس في العالم بلاد يكون معظم اعتمادها على حاصلاتها الزراعية الا وتكون عرضة لمثل هذه الاخطار . وزد على ما تقدم ان القطن يمكن ان تقل جودته ويحط نوعه انحطاطاً دائماً كما ذكرت في ما مر والفدان يمكن ان يقل جناه ايضاً . وكل ما يقال عن هذه الامور — واخرها امر جلل يشغل البال — ان الحكومة استعانت باعظم الوسائط العلمية وغيرها لاتقاء هذه الشرور . وقد شرحت في محل آخر من هذا التقرير ما الذي تفعله من هذا القبيل . ثم ان سعر القطن يمكن ان يهبط كثيرا وهبوطه وصعوده امران لا بد منهما مادام الطلب عليه والموجود منه يتفاوتان وما دامت المضاربة تؤثر تأثيرها فيه ولكنني لا ارى سبباً يدل على ان محصول القطن سيزيد عن

« مقطوعية » العالم بل احسب خوف الذين يتخوفون احياناً من ان زرعه في السودان يضر بمصر اوهاماً واضغاث احلام » انتهى

نقول : ويدخل في الاسباب الزراعية التي يخشى منها على هذه الثروة تقصير النيل عن ري الارض وهو من الاسباب القديمة التي كثيراً ما اوقعت مصر في وهدة الخراب . ونحن في مأمن منها والحمد لله بما بنته الحكومة من القناطر والجسور وما احتفرته من الترع ولا سيما خزان اصوان وما تنوي انشاءه من وسائل الري في المستقبل

ولم يذكر جناب اللورد غير السببين الاداري والزراعي ولعله اقتصر عليهما مراعاة لموقفه السياسي فنزيد على ذلك النظر في الاسباب الاخرى مما قد يطرأ من العوامل قياساً على الاعصر الماضية واعتباراً بالقواعد الاجتماعية التجارية . وينقسم نظرنا في هذه الاسباب الى ثلاثة اقسام الصحية والاجتماعية والتجارية

الاسباب الصحية

نعني بها الاوبئة الوافدة وخصوصاً الطاعون فانه اخرب مصر وافقرها من اهلها مراراً وفي تاريخ مصر حوادث تقشعر من هولها الابدان حصد الطاعون فيها الارواح حصداً بالالوف ومئات الالوف . اشهرها ما اصاب هذا القطر في عهد الامراء المماليك فكان الوباء يتردد عليه كل بضع سنوات يرافقه القحط فلا يبقي ولا يذر كالطاعون الذي ألمَّ بمصر سنة ١٠٢٧ هـ ورافقه قحط اليم خربت به البلاد واقام اربعة أشهر حتى بلغ عدد الوفيات فيه ٦٠٠,٠٠٠ نفس اكثرهم من الشبان بين سن ١٥ و ٢٥ عاماً . وفي سنة ١٠٣٥ هـ وفد الطاعون فقتل ٣٠٠,٠٠٠ نفس من القاهرة وحدها ! والباشا يقبض على التركات . وفي سنة ١٠٥٠ هـ حدث طاعون لم يسمع بمثله قبله ابتدأ في بولاق ثم ظهر في القاهرة وبلغ عدد الذين ماتوا وصلي عليهم ٩٠٠,٠٠٠ نفس وخرب به ٢٣٠ بلدة في الوجه البحري . واغرب منه طاعون سنة ١٢٠٥ ويعرف بطاعون اسماعيل بك ذكروا انه كان يموت به كل يوم الف نفس في القاهرة وحدها وتغيرت الاحكام اربع مرات في يوم واحد فكان يتعين الحاكم منهم فيموت من يومه فيتعين بدله فيموت وهكذا . ومن جملة من ماتوا فيه اسماعيل بك واهل بيته وذريته واتباعه حتى خلا منزله من الناس . فقس عليه ما كان يعقب ذلك ويتخلله من القحط والغلاء لفساد الاحكام . واذا اعتبرت مقدار ما يبيد به من الانفس هان عليك تصور اسباب الخراب وقلة السكان في ذلك العهد . فبعد ان كانوا ثمانية ملايين اصبحوا بعد مئتي سنة نحو مليونين واعتبر كيف عاد

عددهم الى النمو في القرن الماضي حتى تضاعف عدة مرات في اقل من مئة سنة ولا سيما بعد الاحتلال اذ انتظمت الامور على قواعد ثابتة سياسياً وادارياً واقتصادياً وصحياً . فالخوف من فتك الاوبئة اصبح بعيداً ولا سيما بعد ان عرفت خصائص المكروبات وكيفية انتقال العدوى . وهذا داء الطاعون يطرق وادي النيل كل عام فيقف عند حدّ لا يتعداه ولا يخشى ان يتعداه باذن الله

الاسباب الاجتماعية

اما الاسباب الاجتماعية فنعني بها تورط الناس في الاسراف والانغماس في اسباب الترف والقصف فوق ما تحتمله اموالهم ولا سيما قبل نضج هذه الثروة ورسوخها في البلاد . على ان الاسراف هو العلة الطبيعية لزوال الثروة في كل العصور اذا تجاوز حدّه ورافقه طارئ فجائيٌّ من حرب او نكبة أخرى تغلّ بها الايدي وتتوقف حركة العمل . اما الاسراف المعتدل وهو التوسع في النفقة فانه لازم في ابان الثروة بل هو من القواعد الطبيعية لتوزيعها في الناس على اختلاف طبقاتهم والاسراف بحد نفسه لا يعد من اسباب الخراب الا اذا باغته ضيق ماليٌّ ولا سيما من المضاربة كما سترى

الاسباب التجارية واطوار الثروة

و يراد بها ما يطرأ على شؤون التجارة من الازمات المالية وهي اما فجائية او تدريجية فالفجائية تحدث لسبب طاري* كالاوبئة والحروب والزلازل ونحوها . واما الازمات التي تاتي تدريجًا فيقال لها الدورية لانها تنتاب البلاد بسير طبيعي يتسرب الى ثروة الامة او المملكة مثل تسرب الأمراض الى الابدان . وقد قسموا سيرها الى ثلاثة أطوار (١) طور الاستعداد او الحضانة (٢) طور الاتساع او البلوغ (٣) طور التبديد او السقوط

ففي الطور الاول تكون الاشغال في نمو وحركة والتجارة في صحة وعافية والمكاسب كبيرة صحيحة فتكثر الاموال في ايدي الناس . ويقع ذلك غالبًا على اثر فتح او احتلال او انتقال من عصر الى عصر او اكتشاف بلد أو منجم او تجديد العلائق التجارية مع بلاد جديدة او انشاء مدينة لغرض سياسي او نحو ذلك . وقد عرف الناس هذه النتائج فتنبهوا لمقدماتها فاذا علموا باحتلال او افتتاح أو اكتشاف اسرعوا الى ابتياع العقارات وفتح المتاجر رغبة في ما يتوقعونهُ من النهضة المالية على أثر ذلك . وقد يخيب املهم كما اصاب الوافدين على قبرص عند احتلال الانكليز منذ بضع وعشرين سنة فتسابقوا الى اقتناء المزارع والقرى فخاب فألهم لان انكلترا لم تعمل على ترقية تلك الجزيرة يومئذ . ويقال نحو ذلك في ما اصاب

الذين تهافتوا على ابتياع العقارات في ايطاليا على اثر فوز الملك عمانوئيل في اعماله . اما القاعدة فهي ان الثروة تنمو غالبًا بعد الفتح او الاحتلال او الاكتشاف او نحو ذلك

فالاموال التي تتوفر بين ايدي الناس في تلك النهضة يودعونها أولاً في المصارف ثم يستعملونها في الاعمال الكبرى مما لم يكن ميسورًا من قبل . لان صاحب الاموال المخزونة في المصارف لايقتضي عليها الا ٢ او ٣ في المئة فاذا رأى مشروعًا يكسبهُ ٤ او ٥ أطمعتهُ نفسهُ باستخدامها في ذلك المشروع . فيتسابق أصحاب الاموال الى تأليف الشركات لانشاء المشروعات . وتختلف هذه المشروعات باختلاف طبائع البلاد ومعارف اهلها فاذا كانوا في بلاد تجارية او صناعية جعلوا مشروعاتهم من هذا القبيل فيؤلفون الشركات التجارية او الصناعية و ينشئون خطوطًا حديدية او بواخر بحرية و يسهلون اسباب التجارة او الصناعة بالمعامل او نحوها . واذا كانوا في بلاد زراعية استخدموا اموالهم في مشروعات عقارية كما حدث في مصر لهذا العهد فيتهافت الناس على الاشتراك فيها و يبذلون الاموال في ابتياع الاسهم وهنا يبدأ الطور الثاني

وهو عبارة عن اتساع تلك الثروة باستخدامها واستثمارها فتنزل اسهم الشركات في الاسواق وتأخذ في الارتفاع والناس يكسبون الاموال و يزدادون رغبة في ابتياعها وتزداد المكاسب بازدياد الطلب و يزداد الطلب بازدياد المكاسب . لان الشاري على ثقة انه سيكسب اذا باع فيهرع طلاب الثروة على اختلاف طبقاتهم الى المضاربة ولا يزالون يحولون اموالهم من العقار والبضائع والمعامل الى الاسهم حتى تستغرق معظم ما يملكون وتتحول التجارة الى مضاربة محضة وتتصاعد اسعار الاسهم الى اضعاف قيمها الحقيقية

والذين يكسبون بالمضاربة يستخدمون بعض اموالهم في مشروعات ينشئونها لانفسهم يصدرون لها اسهمًا ينزلونها الى السوق ويكون حظها مثل حظ سواها من الصعود والهبوط . وينفقون البعض الآخر في اسباب الرخاء فيقتنون الرياش الفاخر والالبسة الثمينة ويبتاعون المركبات ويبذلون المال في بناء القصور والتفنن في سائر اسباب النعيم فترتفع اسعار السلع وتكثر ارباح الباعة فيتكاتف الصناع على انشاء المعامل والمتاجر فيكثر الطلب على العمال والكتاب فترتفع اجورهم فيكثرون من النفقة في سبيل التنعم فينشأ من ضروب التجارة ما لا يكون في غير ايام الرخاء والبذخ فينغمس الناس في الثروة و يصبح همهم التأنق في كل شيء فيتعودون كثرة النفقة وارتفاع الاسعار و ينسون قواعد الاقتصاد فيبتاعون سلعًا لايحتاجون اليها يبذلون فيها اضعاف اثمانها مغالاة في البذخ والترف

فاذا كانت الثروة قائمة على قواعد اقتصادية صحيحة وكان الانفاق من كسب حقيقي فارتفاع الاسعار يزيد اسباب الثروة لا يقللها • اما اذا كانت تلك الثروة قائمة على مجرد « الثقة » وكانت حركة السوق مبنية على المضاربة وقد تصاعدت أسعار الاسهم الى درجة فاحشة حتى تورط الناس ولم يكتفوا بالمضاربة. باموالهم فاخذوا يضاربون بما يستدينونه من المصارف المالية (البنوك) وهذه انما تسلفهم الاموال ثقة بهم وهم يبذرون ما يقع لهم من المكاسب على غير هدى ولا يزالون في امان ما دامت المصارف واثقة بهم • ودوام ذلك محال لان اسعار الاسهم لا يمكن استمرارها في الصعود • فيأتي يوم يتساءل المضاربون فيه « هل ما ندفعه من المال يساوي ما نأخذه من الاسهم ؟ » وهذا السؤال هو مفتاح الشكوك واول ابواب السقوط ونقطة الانتقال الى الطور الثالث من اطوار الثروة • وينبه الناس الى ذلك غالباً طارئ طبيعي من قحط او نحوه • وقد يكفي توقف حركة التجارة ولو قليلاً لسبب سياسي او اداري او صحي • فلا يزال القوم آمنين يضاربون بالمبالغ الباهظة طالما كانت آمالهم في الصعود وطيدة فاذا خامرهم شك خارت عزائمهم وخافوا الافلاس فيعمدون الى بيع ما في ايديهم فيكثر البائعون فتسرع الاسعار في الهبوط اضعاف سرعتها في الصعود ولا يجسر احد على الابتياع لضياع الثقة • — وكيف يبتاعون وهم لا يعلمون الحد الذي سيقف الهبوط عنده ؟ فالمقيدون بعقود على مبالغ معينة قبل الهبوط لا مهرب لهم من القيام بما عليهم فيبيعون بالثمن الممكن وقد يكون اقل كثيراً مما اشتروا به فيبدأ الافلاس في البيوت المالية المؤسسة على المضاربة ولا رأس مال لها غير الثقة فتسقط طبعاً بمجرد ذهاب تلك الثقة • ثم يتدرج الافلاس الى سائر البيوتات المالية على تفاوت رؤوس أموالها لارتباطها بعضها ببعض ارتباط سلسلة متداخلة الحلقات فاذا انكسرت حلقة انفرطت كلها • وكما كانت الثقة علة حياتها تصبح الشكوك علة سقوطها • ولا يستطيع الوقوف بين يدي تلك العاصفة الا القليلون • ونظراً لترابط الممالك من هذا القبيل فاذا اصيبت مملكة بازمة مالية اصاب سائر الممالك شيء منها

المضاربات والثروة

تلك هي الاطوار الطبيعية التي تمرّ الثروة فيها من ظهورها الى زوالها • ويعترض سيرها أحوال كثيرة تختلف باختلاف العصور وباختلاف طبائع البلاد واحوال الامم اما على الاجمال فهي شاملة سائر الممالك المتمدنة • وقد عني الباحثون في تقدير عمر الثروة من ظهورها الى زوالها بالقياس على ما شاهدوه من امثالها فكانت النتيجة ان الاطوار

الثلاثة تستغرق من عشر سنين الى عشرين سنة ينقضي نصفها في طور الاستعداد وربعها في الامتداد والتوسع والربع الاخر في التبديد والسقوط ويؤيد ذلك احصاء الازمات المالية التي أصابت العالم المتمدن في القرن الماضي وما قبله . وهاك احصاء اعمارها باستخراج المدة بين كل أزمة والتي قبلها واكثرها ابتدأ في انكلترا وامتد منها الى سواها من الممالك في اوربا واميركا

		المدة بين الازمتين	
ازمة سنة	١٧٦٣	٠٠	٠
« «	١٧٨٣	٢٠	سنة
« «	١٧٩٧	١٤	«
« «	١٧٢٥	٢٧	«
« «	١٨٣٧	١٢	«
« «	١٨٤٧	١٠	سنين
« «	١٨٥٧	١٠	«
« «	١٨٦٦	٠٩	«

ولكل من هذه الازمات تاريخ يؤيد القواعد التي قدمناها فيمكن الرجوع اليه في التنبوء عما عساه ان يكون من مستقبل ثروتنا والتاريخ يعيد نفسه . فيقال بالاجمال اننا في اول الطور الثاني من اطوار الثروة والناس مشتغلون في تأليف الشركات وانشاء المشروعات والمضاربون يتسابقون الى ابتياع الاسهم — فلو كانت مصر بلاداً تجارية ومعوَّل العمل فيها على الثقة التجارية وتورط الناس في المضاربة على ما قدمناه وطرأ ما يوقف الحركة من الاسباب السياسية او الحربية او نحوها لتبددت هذه الثروة ولكنها زراعية وثروتها مؤسسة على نهضة مالية عقارية ثابتة فاذا حوَّلوها الى اسهم وازلوها في البورصة الحقوا بها ضرراً عظيماً قد يؤول الى ضيق مالي لا يخشى على الثروة منه الا اذا رافقه قحط او وباء او غيرهما من الاسباب الأخرى

فالثروة المصرية لا خوف عليها حتى من المضاربة فهي لا تبددها وان كانت تضرُّها على اننا لا نزال في اول هذه النهضة والاموال آخذة في الزيادة والقطن المصرى الذي هو اساس هذه الثروة لا غنى عنه في اسواق العالم وغلته آخذة في النمو بزيادة تحسين الري

كما قدمنا فلا خوف عليها

ويعترض بعضهم على صحة هذه الثروة بما على بعض المالكين من الديون وانهم قد يعجزون عن وفاء الدين فتباع اطيانهم ويعودون الى الفقر . والجواب على ذلك ان هذا الدين لو كان على شكل الديون القديمة بالفوائد الفاحشة لصح القول بخطره . ولكن معدل الفائدة الآن اقل من ستة في المئة والمصارف المالية لا تدين المالك الا ما يساوي ثلثي قيمة اطيانه باقل تقدير يقدرونه لها . فاذا بلغت الغلة ستة في المئة ظل الثلث له ولكنها تكون اكثر من ذلك لا سيما اذا كان المالك يستثمر ارضه بنفسه كما يفعل صغار المالكين وهم السواد الاعظم . ويؤيد هذا القول تناقص حوادث نزع الملكية في الاعوام الاخيرة وهي قديمة في وادي النيل . وكل مصرف مالي او بيت تجاري تأخر له مال عند احد اصحاب العقارات وضع يده على عقاره ونزع ملكيته في مقابل دينه . فاخذت هذه الحوادث تتناقص منذ عشر سنوات حتى الغيت جلسات قضايا نزع الملكية في السنة الماضية في انحاء المحاكم القضائية بالنظر الى قلتها وليس بين يدي القضاة منها الآن الا ٧٥ قضية [1]

وجملة القول ان الثروة المصرية الاخيرة لا خوف عليها بل هي لا تزال في اوائلها لان الاطيان الزراعية التي هي اساسها لا تزال تقبل الزيادة في اثمانها حتى تقل غلتها عن خمسة في المئة من الثمن واكثرها تغل اكثر من ذلك

ارض البناء

وثروة ارض البناء تابعة لثروة الاطيان الزراعية كما قدمنا ولكن لها شأناً خاصاً لا بد من النظر فيه على حدة . فاثمان الاطيان الزراعية كادت تبلغ حدها او هي بالغته قريباً اما ارض البناء فلا تزال تقبل الزيادة بالقياس على المشهور من القواعد الاقتصادية في استثمار الاموال بالبلاد التي سبقتنا في معارج المدنية . فاصحاب الابنية في مدائن اوربا غاية ما يرجونه من ريع املاكهم لا يزيد على ٤ في المئة واكثرها تغل ٣ في المئة — واي بناء في القاهرة يقل ريعه عن ستة في المئة ؟ وفيها ما يزيد ريعه على ثمانية او عشرة والاجور تتزايد والثمن تابع لها . وزيادة الاجور ثابتة لانها من جملة اسباب الغلاء العام وقد بينا في الهلال الماضي انه طبيعي ثابت لانه مبني على زيادة الثروة وتوفر الذهب في ايدي الناس وليس من قبيل ما كان يقع في الاعصر الماضية من الغلاء في صنف من اصناف التجارة من قحط او خزن او احتكار . واجور المنازل مع ما بلغت اليه من الغلاء في

(١) تقرير الدكتور عبد عن الثروة العقارية المصرية

القاهرة والاسكندرية لا يزال كثير منها قابلاً للزيادة · ويختلف الحكم في ذلك باختلاف الاحياء لتفاوت اجورها بتفاوت طبقات سكانها واختلاف الغرض من سكناها

ولنجعل القاهرة مثلاً نقيس عليه فهي تقسم باعتبار ابنيتها الى الاسواق .والقصور · والاسواق في اواسط المدينة كالموسكي والسكة الجديدة والحمزاوي والازبكية وشارع محمد علي وشارع كلوت بك وبعض الاسماعيلية والتوفيقية والفجالة وما بين ذلك وفيها المخازن والمكاتب للاشغال والتجارة · والقصور في اطراف المدينة كالفجالة والظاهر والعباسية وشبرا والاسماعيلية والتوفيقية واحياء الدواوين وما جاورها مما لا يمكن تحديده· على ان الاسواق فيها كثير من منازل السكن والاطراف فيها كثير من المخازن ومكاتب الاشغال · فيقال بالاجمال ان اماكن الاشغال لا تزال اجورها رخيصة ولا سيما في الاسواق العامرة واغلاها الآن في الموسكي والاسماعيلية والازبكية ولا تزال مع ذلك ارخص كثيراً من اجور المخازن في المدائن الكبرى في اوربا · ولا نخطىء اذا قسنا القاهرة بباريس ولندن ومنشستر مع التفاوت العظيم بينها وبين القاهرة في درجات العمران لاننا ننظر في ذلك باعتبار اسعار سائر المرافق · فاذا كانت اثمان المآكل والملابس في القاهرة مثل اثمانها في باريس او لندن فلماذا لا تكون اجور مخازنها متقاربة ان لم تكن متساوية ؟ ومهما يقال في اختلاف الاحوال العمرانية بين البلدين فالاسواق العامرة في تلك المدائن لا تزال اجور مخازنها اضعاف اجور مخازن اعمر اسواق القاهرة · فالمخزن في منشستر مثلاً الذي مساحته اربعة امتار في اربعة تختلف اجرته من ٢٠٠ الى الف جنيه في السنة فاذا اعتبرنا هذا المخزن في اعمر اسواق المدينة واجرته ٧٠٠ جنيه في السنة وفرضنا انهم يؤجرون ما يبنى فوق المخزن من الطبقات بثلاثمئة جنيه كان ريع تلك المساحة من الارض الف جنيه في السنة فيلحق المتر الواحد ٦٤ جنيهاً من الريع فاذا قدرنا ذلك الريع ٤ في المئة من ثمن العقار على تعديلهم كان المتر الواحد يساوي ١,٦٠٠ جنيه · واغلى ما بيع من الارضين في القاهرة لم تزد قيمة المتر منه على مئة جنيه او قل ١٥٠ جنيهاً · فلا تزال ارض البناء في منشستر اغلى من ارض القاهرة بعشرة اضعاف· فاذا اعتبرنا عمرانها يساوي خمسة اضعاف عمران مدينتنا فاثمان ارضنا لا تزال قابلة الزيادة الى ضعفيها على الاقل · وقد أخبرنا صديق خبير باحوال المساكن في الاستانة ان اجورها في غلطة لا تزال اغلى من اجور ارقى منازل الاسماعيلية

وقد يشق على الناس تصديق ما قدرناه من مستقبل الاسعار لانهم لم يتعودوا مثله

هنا فضلاً عن سرعة الصعود فاذا علموا ان ذلك عاديٌّ في تاريخ العمران وان نيويورك ثانية مدائن العالم عمراناً وسكاناً بيعت ارضها في اول أمرها بريالات قليلة ذهبت دهشتهم من بيع الفدادين الزراعية بمصر بالامتار للبناء . واذا قالوا ان نيويورك لم تبلغ ذلك الاَّ ببضعة قرون قلنا وهذه يوهانسبرج اسرعت في عمرانها سرعة البرق ولعلهم ينسبون ذلك الى مناجم الذهب التي فيها فنأتيهم بمثل قريب العهد يشبه ما نحن فيه — ذلك ان مدينة بومباي فرضة الهند الانكليزية الآن كانت منذ بضع وثلاثين سنة بلدة صغيرة لا أهمية لها ولا قيمة لارضها فاحبت الحكومة الانكليزية جعلها ميناء تجارياً تحول اليه التجارة بدلاً من مدراس فرغب الناس في البناء وتسارعوا الى استعمار الاحياء وانشاء الاسواق والقصور فلم تمض عشرون سنة حتى بيع المتر في الاحياء العامرة بمئة وخمسين جنيهاً او اكثر ولا تزال آخذة في الزيادة

أما منازل السكن في القاهرة فهي على الاجمال قابلة للزيادة في أجورها واثمانها ولكن تلك الزيادة تقل كما بعدت المنازل عن اواسط المدينة وبالطبع تكون على اقلها في الضواحي البعيدة مما لا يسعنا تعيينه مع اعتبار ما يحدث من انتقال العمارة من حي الى حي لاسباب معلومة او غير معلومة

اسعار النقود

ونختم بحثنا بكلمة في النقود واختلاف اثمانها باختلاف العصور لا تخلو من فائدة ونحصر كلامنا في مصر لاننا فيها وهي موضوع هذه المقالة : كانت المعاملة بمصر عند الفتح الاسلامي بالدرهم وهو وزن درهم من الفضة والدينار وهو مثقال من الذهب وكان الدينار يبدل بعشرة دراهم . ثم تكاثرت الفضة فصار الدينار يساوي ١٢ درهماً في ايام بني امية و ١٥ درهماً في اوائل بني العباس ثم زادت قيمته الى ٢٠ درهماً او ٢٥ او ٣٠ باختلاف الاحوال . فلما كانت الحروب الصليبية واختلط الافرنج بالمسلمين دخل البلاد الاسلامية كثير من النقود الافرنجية وحدثت نقود ذهبية جديدة كالبندقي والمجر والبنتو وزر محبوب وهو الدينار والجنيه العثماني والافرنجي والمصري وغيرها وكلها من الذهب . اما النقود الفضية فابدلت دراهمها بالانصاف وهي البارات . وكانت المبيعات الصغرى تقدر بالانصاف والكبرى بالبندقي او الزر محبوب او غيرهما من النقود الذهبية . في آخر القرن الثاني عشر للهجرة كان الدينار يساوي ١١٠ انصاف والبندقي ٢٢٥ نصفاً والبنتو ٤٠٠ نصف وكانت الانصاف تقل قيمتها بتوالي الاعوام مع بقاء قيمة الذهب على حالها تقريباً

فالدينار كان يساوي سنة ١١٩٣هـ ١١٠ انصاف مثلاً فصار يبدل بعد عشر سنين بنحو ١٥٠ نصفاً وهكذا. وكانت اسعار الاشياء التي تقدر بالانصاف ترتفع كل سنة عما قبلها ارتفاعاً تدريجياً ولم يكن ارتفاعها من توفر الثروة مثل اسعار اليوم وانما كان سببه تلاعب رجال الحكومة بالنقود الفضية وغشها فاذا رخصت تلك النقود ظهرت المبيعات غالية . وهاك مثالاً على ذلك باثمان أهم المأكولات من اول القرن الثالث عشر للهجرة الى سنة ١٢١٩ هـ باعتبار الانصاف عن كل رطل :

سنة	اللبن	الضاني	الصابون	المسلي	القمح بالاردب
١٢٠٤	٣٦	٧½	١٤	١٨	٢٠٠
١٢٠٩	٣٨	٨	١٨	٢٠	٤٠٠
١٢١٦	٥٠	٨½	١٨	٢٥	٨٠٠
١٢١٩	٧٠	٠٠	٢٤	٣٦	١٦٠٠

فيتبادر الى الذهن لأول وهلة ان الغلاء سائر على سنة طبيعية بالتدريج والواقع ان الاشياء لم ترتفع اسعارها الأ بالنظر الى الفضة اما بالنظر الى الذهب فظلت باقية على حالها تقريباً . وكثيراً ما كان اولو الامر والاغنياء يربحون الاموال الكثيرة من تبديل النقود فلما استتب الامر لمحمد علي شاع استعمال الغرش وهو المالي الاصل وكان سنة ١٢٣٠ هـ يساوي ٤٠ نصفاً . ثم اصاب الغروش بتوالي الاعوام مااصاب الأنصاف على الكيفية المبينة في الجدول الآتي وهي اسعار النقود الذهبية يومئذ بالغروش المصرية من سنة ١٢٥٠ الى ١٢٨٦ هـ

سنة	الجنيه الافرنجي	الجنيه المصري	البينتو	المجر	الجنيه المجيدي	البدقي
١٢٥٠	٥٢			٤٤		٤٥
١٢٥٦	١٠٠	١٠٣		٤٧		٤٩
١٢٦١	١٠٣	١٠٥	٧٧	٤٧		٥٠
١٢٧٠	١١٤	١١٧	٩٠	٥٤	١٠٥	٥٦
١٢٧٧	١٤٧	١٥٠	١١٦	٧٦	١٣١	٧٢
١٢٨٥	١٩٢	١٩٧	١٥٢	٩١	١٧٢	
١٢٨٦	١٩٩	٢٠٣	١٥٨	٩٥	١٧٩	

فترى من ذلك ان الغرش نزل سعره الى النصف و باعتبار الجنيه الافرنجي الى الربع في ٣٥ سنة. وكانت الحكومة المصرية قد اخذت في تنظيم شؤونها التجارية على عهد اسماعيل باشا فرأت اختلاف اسعار النقود على هـذه الصورة لا يرجى معهُ نجاح فأصدرت سنة ١٢٨٦ هـ تعريفة للنقود جعلت المعاملة فيها على المناصفة . فالجنيه الافرنجي كانت قيمتهُ ١٩٩ غرشاً فجعلتها ½٩٩ والمصري كان ٢٠٣ غروش فجعلت قيمتهُ ½١٠١ غرش وقس على ذلك . ثم تنوعت الاسعار قليلاً حتى وقفت على قيمها المشهورة حتى الآن — وهذا هو اصل المعاملة التعريفة والصاغ في مصر



باب السؤال والاقتراح

غرائب التنويم المغنطيسي

(دنيدان . زيلاندا) حنا افندي منصور الفخري

زار هذه المدينة جماعة يطوفون البلاد باصناف من الالعاب الغريبة ومعهم الافيال والقردة والانمار والضباع والاسود والطيور على اشكالها يعرضونها للفرجة . ويهمنا من ذلك كله ما شاهدناه من غرائب التنويم المغنطيسي مما لم نسمع له مثيل ونطلب منكم تعليله

لما وصل أولئك الجماعة الى هذه المدينة نصبوا فسطاطاً كبيراً في خارجها لعبوا فيه العاباً مدهشة نذكر بعضها على سبيل المثال — منها ان صاحب هذا الجوق واسمه الاستاذ بونر نوَّم رجلاً من رفاقه اسمه المستر وليم فاظهر في نومهِ من كشف المخبآت ما اذهل الناس وأوجب ارتيابهم في ما يظهر من مهارته حتى اتهموه بالتواطؤ مع أناس يساعدونه على كشفها فطلب اليهم بونر ان يجربوا ذلك بانفسهم

فتألفت لجنة من أعيان المدينة وادبائها عينهم المجلس البلدي رسمياً وساروا الى الجوق بالفسطاط المذكور بعد ان اتفقوا سرًّا على ان يخبئوا شيئاً في مكان بوسط المدينة لايعلم به أحد سواهم . وانقسموا شطرين شطر بقي في الفسطاط يراقبون أهل الجوق لئلاَّ يأتيهم مخبر يطلعهم على سر تلك المخبأة والشطر الآخر ركبوا عربة واخترقوا المدينة في طرق متعرجة يصعب على غير أهل البلاد سلوكها فضلاً عما في الطريق من الارتفاعات والانخفاضات حتى وصلوا الى دكان ترجلوا عنده وداروا من ورائه فخبأوا في حفرة هناك سكيناً صغيرًا وعادوا الى الفسطاط واجتمعوا بسائر اعضاء اللجنة وطلبوا الى صاحب الجوق أن ينوم المستر وليم ويأمره بكشف ذلك المخبأ . فنومه التنويم المغنطيسي المعلوم وربط عينيه بعصابة تغشي بصره حتى لا يرى شيئاً واركبه العربة التي ذهب اعضاء اللجنة فيها لاخفاء السكين وسلم اليه الصروع والكرباج واجلس أعضاء اللجنة المذكورة في العربة من الوراء . وأتى بسلك طويل من النحاس ربطهُ من طرفيه بمعصمي وليم النائم وأرسل اواسطهُ الى داخل العربة وأمر أعضاء اللجنة الجالسين هناك ان يقبضوا عليه بايديهم ويوجهوا افكارهم جميعاً الى الجهة التي خبأوا فيها ذلك السكين والح عليهم ان لا يحولوا أفكارهم عن ذلك المكان . ثم ركب بونز بجانب وليم واخذ هذا يسوق الخيل كانه مفتح العينين ولا تسل عن الازدحام في شوارع المدينة وعلى أسطحة المنازل لان الناس كانوا على موعد لمشاهدة هذه التجربة من قبل حتى تلامذة المدارس فقد أخرجهم الاساتذة صفوفاً ليشهدوا ذلك الامر الغريب . أما العربة فاخترقت شوارع المدينة وهي تخرج من أحدها الى الآخر والنائم يسوق الجوادين وهو مقفل العينين بدقة قد يعجز عنها أحذق السواق ولكنه تعب من الاجهاد حتى اغمي عليه فايقظوه وانعشوه وعاد الى عمله حتى اذا وصل امام الدكان المشار اليه أوقف العربة ونزل ويداه مشدودتان بالسلك كما تقدم وأعضاء اللجنة قابضون على ذلك السلك فنزلوا معه طبعاً فدار من وراء الدكان وصعد الى المكان الذي فيه السكين فاستخرجه على مشهد من الناس وانا في جملتهم وعاد الى الفسطاط

واخبرني الاستاذ بونر المذكور بما هو اغرب من ذلك – قال انه ينوم المستر وليم ويدفنهُ في قبر عمقه ستة اقدام فيمكث هناك بضعة ايام لا يأكل ولا يشرب وانما يرسلون اليه الهواء بانبوب رفيع ثم يوقظهُ ولا بأس عليه . واكد لي انهُ جرب ذلك في ملبورن (اوستراليا) بين يدي لجنة الفتها ادارة البلدية من علماء المدينة واطبائها ووجهائها فنوَّم المستر وليم ودفنهُ في حفرة عمقها ستة اقدام في الساعة العاشرة من مساء يوم الاثنين فظل نائماً هناك الى العاشرة من مساء السبت اي مدة ١٢٠ ساعة . وعينت اللجنة رجالاً يخفرون النائم خوفاً من ان يأتيهُ احد بطعام او شراب . وقد سألتهُ عن اطول مدة نامها المستر وليم فقال ١٤ يوماً قضاها في القبر بلا اكل ولا شرب ولكنه خرج منها منزعجاً واقسم ان لا يعود الى مثلها – ذلك ما قصهُ عليَّ الاستاذ بونر ولم اشاهده ولكنني شهدت نوم وليم في هذه المدينة ٩٦ ساعة ولما جاءت اللجنة لاخراجه من قبره ليلة السبت كنت من جملة الحضور فاخرجوه وحملوه حتى وضعوه على طاولة في وسط المربع وجاء الاستاذ بونر وايقظه من نومه والناس ينظرون . وقد شاهدت من غرائب هذا المنوم ما يضيق عنهُ المقام فاكتفي بما ذكرته وارجو ان تعللوه لنا فانه ادهشنا وخصوصاً كشف المخبأ لان ذلك اذا كان ممكناً هان على الحكومات كشف السرقات وامثالها من الجرائم الخفية

﴿ الهلال ﴾ للمنومين غرائب كثيرة تظهر لأول وهلة من خوارق الطبيعة حتى يعمد الناس الى تكذيبها او يعللونها بتواطوء اصحابها مع آخرين يساعدونهم على استطلاع اسرار الناس او باستخدامهم رموزاً واشارات يتفاهمون بها والناس لا يعرفونها فتنطلي عليهم الحيلة و يعدون اعمالهم من خوارق الطبيعة . ولا يبعد ان يحتال بعضهم هذه الحيلة في خداع الناس ولكن للتنويم قوة على كشف امور قد تظهر غريبة فاذا علمنا تعليلها رأيناها بسيطة معقولة – وقد جاء القاهرة في الاعوام الاخيرة غير واحد من هؤلاء المنومين وادهش الناس باعماله فتحدثوا بمعجزاته وهم بين مصدق ومكذب ومن اقدرهم على ذلك رجل اسمهُ لافونتين جاء القاهرة مؤخراً ومعهُ امرأة ينومها و يكلفها استطلاع افكار الحاضرين وما يجول في خواطرهم وهي تجيبه بما يذهل العقول

فتنوقلت اخباره في الاندية والمجتمعات والسامعون يستغربون . وكتب الينا غير واحد بشأنه وسألونا رأينا في مايظهر من معجزات اعماله فذهبنا لمشاهدته بنفسنا لنكون على بصيرة في مانقوله . فلم نرَ في اعماله عملاً لايعلل بالمعروف من نواميس التنويم المغنطيسي

وخلاصة ذلك ان الرجل كان ينوم تلك المرأة وهي واقفة على المرسح ثم يشد عينيها برباط كثيف يغطي معظم وجهها ويتركها هناك وينزل الى مابين المتفرجين وهم جلوس صفوفاً على المقاعد او في اللوجات وربما زاد عددهم على بضع مئين . فيسأل جهاراً عمن يريد ان يجرب النائمة . فيمد بعضهم الى كتاب او جريدة ويشير الى الموسيو لافونتين باصبعه على سطر او بضعة اسطر يريد ان تقرأها له النائمة فيتناول الرجل الكتاب ويصفق فتسرع المرأة وهي مغمضة العينين وتنزل على عدة درجات الى مابين المتفرجين والكل سكوت ولا تزال تمشي حتى تصل الى لافونتين فيدفع اليها الكتاب مطبقاً فتفتحه وتقلب صفحاته حتى تصل الى الاسطر المطلوبة فتقرأها بصوت عالٍ . وقد تكررت هذه التجربة على اشكال كثيرة واساليب مختلفة بحيث انتفت كل شبهة بالتواطوء او نحوه . من امثلة ذلك ان بعض الحضور من الجالسين في اطراف المرسح كان يسرّ الى الموسيو لافونتين انه يريد ان تنزل هذه المرأة حتى تنقل قبعة فلان الجالس على مقعد من المقاعد اليمنى وتضعها على رأس فلان في مكان بين المقاعد اليسرى وقد يكون ذلك الطلب مما يوجب ارتباكاً لرجل مفتح العينين نير البصيرة . فلا يحتاج الموسيو لافونتين في تنفيذ ذلك الا الى صفقة يصفقها وهو بعيد منفرد والناس يرونه فتنزل المرأة وتفعل ما أمرت به وقد جرب ذلك كثيرون من أصدقائنا الذين لانرتاب بعدم تواطوءهم . وعمدنا اخيراً ان نجرب ذلك بنفسنا فدعونا المنوم الينا واستخرجنا من جيبنا محفظة فيها تذاكر الزيارة باسمنا وفي جملتها تذكرة عليها اسم مستشرق روسي مكتوب باللغة الروسية واحرفها تختلف عن الاحرف الافرنجية المشهورة . فقلت للرجل سراً « اني اريد منها ان تستخرج هذه المحفظة من جيبي وتتناول منها هذه التذكرة وتضعها في جيب صديقي هذا » واشرت الى رفيق

صحبني تلك الليلة الى هناك وكان جالساً بجانبي فامره الموسيو لافونتين ان ينتقل الى الطرف الآخر من المرسح ليزداد الطلب صعوبة ففعل . ثم مضى المنوم الى مكان آخر وصفق فنزلت المرأة وهي مشدودة العينين كما تقدم حتى وصلت الى الممشى بين صفي المقاعد ومشت فيه مسرعة فلما بلغت المقعد الذي كنا فيه وقفت بغتة وتحولت نحوي وتجاوزت بضعة رجال كانوا قبلي حتى وصلت اليَّ فمدت يدها الى جيبي فاستخرجت المحفظة وتناولت منها تلك التذكرة دون سائر التذاكر واعادت المحفظة اليَّ ثم مشت بالتذكرة الى حيث كان صديقي جالساً وجعلتها في جيبه . فصفق لها الناس ثم طلب المنوم منها ان تقرأ تلك التذكرة فقرأتها قراءة افرنجي لا يعرف الاحرف الروسية

ثم امتحن الناس مقدرتها على كشف الغوامض على طرق شتى منها ان لافونتين كان يأتي الى احد الحضور فيسأله همساً عن اسمه ومسقط رأسه وسنة ولادته ونحو ذلك ثم يقف ويصفق فتتلو المرأة الاسماء والاعداد كأنها مكتوبة امامها باحرف ضخمة . وكان بين الحاضرين جماعة من غير الافرنج واسماؤهم يصعب على الافرنجي التلفظ بها فكانت تلفظها مكسرة

فمن يشاهد هذه الحوادث وهو لا يعلم نواميس التنويم المغنطيسي علله بالتواطوء او الشعوذة فاذا علم أن للمنوم سلطاناً على المنوم يطيعه في كل شيء بمجرد اصدار أمره له ويكفي ان يكون اصدار ذلك الامر بمجرد الادارة وعلى مسافة عدة أمتار . فاذا نومه وأمره ان يقول كذا وكذا قاله حرفياً او كلفه قراءة سطر من كتاب أو جريدة قرأه بشرط ان يكون الآمر عارفاً ذلك لان النائم يقرأ ما في ذهن منومه فاذا كان المنوِّم لا يعلم ما يريد الطالب قراءته او كشفه يستحيل على النائم معرفته ولذلك كان الموسيو لافونتين الواسطة بين السائلين والنائمة ينقل افكارهم اليها بمجرد ارادته وسلطته بدون ان يحرك شفة او يبدي اشارة — فاذا راجعت ماذكرناه من الامثلة رأيتها تعلل بهذا المبدأ على أهون سبيل و يعلل به اكثر ما يجريه المنومون من هذا القبيل

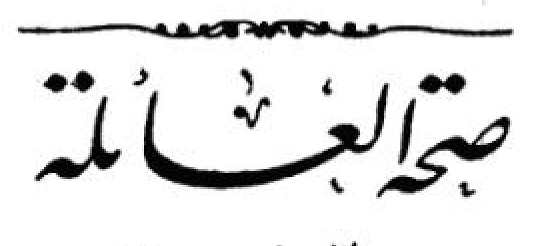
أما ما ذكرتموه عن المستر وليم وكشف ذلك المخبأ على مسافة بعيدة فلا يعلل بهذه الحقيقة لان الاستاذ بونر المنوِّم لم يكن عالماً بمكان الخبأة فلم يكن في امكانه

ان ينقله الى المستر وليم او يهديه اليه بمجرد ارادته أو سلطته . وانما هو يعلل بقراءة الافكار وهي من المواهب التي يختص بها بعض الناس وتقوى فيهم بالمزاولة والظاهر ان التنويم المغنطيسي يقويها . ومن امثلتها انك اذا وضعت يدك في يد صاحب هذه القوة وحصرت فكرك في موضوع أو كلمة او رقم فان ذلك ينتقل الى فكره و يقوله لك . وقد تحدث على أسلوب آخر لا يظهر للفكر دخل فيه بل هو عبارة عن انتقال حركة العضلات من شخص آخر وان كان الفكر يقودها فيهتدي الآخر الى ما في فكر الأول ويصل الى المراد وهو لا يعلم . وهي تحتاج الى دقة الشعور وصفاء الذهن . ونعرف صديقاً كان يقرأ الافكار على هذه الصورة وهو في الثانية عشرة من عمره فاذا خبأت شيئاً في مكان وجئت اليه فغمضت عينيه بمنديل فانهُ يمسك بيدك ولا يكلفك الا ان تظل مفكرًا في ما خبأته ولا يزال يسير بك من غرفة الى أخرى حتى يصل الى المخبإ فيستخرجه ولو كان في صندوق او حفرة وهو مغمض العينين . وقد جربنا ذلك مرارا به و بسواه من قراء الافكار ويشترط في كل مرة ان يمسك القارىء يد المقروء فكره . كأن تأثير ذلك الفكر يسير سيرًا كهربائياً فيتصل من دماغ الواحد الى الآخر فيدركه العقل او ان اتجاه فكر الواحد نحو الشيء المخبأ يحرك الآخر وهو لا يدري

فالمستر وليم انما دله على السكين المخبأ السلك النحاسي المشدود الى رسغيه لأن اتجاه أفكار القابضين عليه نحو الجهة التي خبأوا السكين فيها كان يقود السائق اليها وهم لا يشعرون . لانك اذا وجهت فكرك الى جهة و بين يديك رجل يمشي وانت تريد ان يذهب الى تلك الجهة فعضلاتك تتجه الى هناك وانت لا تدري . فاذا كنت قابضاً على يد ذلك الرجل او على سلك متصل بيده أثر اتجاه افكارك على عضلاته فاذا كان دقيق الاحساس احس انك سائر به الى تلك الجهة . فكيف اذا كان المفكرون عدة أشخاص يوجهون افكارهم الى جهة واحدة ؟

وأما النوم العميق عدة أيام فمعقول وليس هو من خوارق الطبيعة لان بعض الحيوانات تنام فصلاً بطوله . فاذا سكنت القوى وابطأت الوظائف الحيوية بحيث

تقل المواد الدائرة امكن البقاء عدة أيام بلا طعام ولا شراب . وفي كل حال فهو من جملة غرائب التنويم المغنطيسي كان النائم يطيع منوّمه حتى في وظائف اعضائه الحيوية



مدمن اللحم كمدمن الخمر

عمر بن الخطاب

نشرنا في أهلة هذه السنة مقالات متسلسلة في « هل نذبح لنأ كل » بين فيها كاتبها ضرر اكل اللحوم وان طعام الانسان الطبيعي الاثمار والخضار وانهُ لجأ الى الاطعمة اللحمية مبالغة في الشره . واتى بتفصيل كثير مما يذهب اليهِ النباتيون اليوم من المغالاة في ذم اللحوم على غير المألوف عند القراء . ولذلك كتب الينا جماعة يستغربون تلك الآراء وينسبون قائلها الى المغالاة ويسألوننا الصواب من ذلك لئلاَّ تكون من قبيل المذاهب التي يتعصب لها اصحابها لغرض ديني او أدبي

اما كون الانسان من اكلة الاثمار والخضار فهو الارجح عند الباحثين في طبائع البشر وقد قضى دهرًا طويلاً لا يأكل سواها ثم اكل اللحوم واستلذها فادمنها كما ادمن كثيرًا من العادات التي ليست من طبعهِ في الاصل وانما عمد اليها توسعًا في الملذات الحيوانية فخالف سائر الحيوانات فيها كما خالفها في استخدام قواه العاقلة حتى اخترق بها السماوات والارضين واستطلع اسرار الطبيعة وكشف غوامضها . فالرجوع في اساليب معيشتهِ الى ما كان عليه في اصل فطرته صوابٌ ولكنهُ صعب شاق ويكاد يكون محالاً الاَّ في القليل النادر . لانهُ قضى على هذه العادات قرونًا متطاولة يتوارثها اعقابه جيلاً بعد جيل حتى صارت طبيعةً يصعب اقلاعهُ عنها . والانسان اذا تعود سماً توارث اجداده تناولهُ عدة اعقاب لا يخلو عدولهُ عنهُ من الخطر على حياتهِ او صحته فكيف الاطعمة اللحمية وقد زاول معاطاتها آلافاً من السنين

المراد بنشر آراء النباتيين في تقبيح اللحوم ليس منع الناس من اكلها ولكن المراد تعديل آرائهم في منافعها لانهم يتوهمون ان الانسان اذا لم يأكل لحماً فهو لم يأكل شيئاً كأن الخضر والاثمار والحبوب ليست من الاطعمة المغذية وانما يمد اليها الفقراء لعجزهم عن ابتياع اللحوم — والحقيقة ان الاطعمة غير اللحمية أنفع للابدان من الاغذية اللحمية اوقل انها لازمان على السواء . فيكفي من مبالغة النباتيين في تقبيح اللحوم ان يعتدل الناس في اطعمتهم . واذا مضى على احدهم يومان لم يأكل فيهما لحماً لا يأسف على فقره او قصر يده بل يعدّ نفسه متمتعاً بلوازم العيش مثل تمتع اكلة اللحوم على الاقل . فاذا لم يتيسر لك ان تجعل على مائدتك طبقاً من اللحم المشوي او المقلي فوق الوان الطعام الاعتيادية لاتحزن بل افرح لانك خففت عن نفسك ولم يقل شيء من الغذاء الذي تحتاج اليه اعضاؤك

فالاصوب في هذا الشأن ان يقلل الناس اكل اللحوم ما استطاعوا ولا حاجة الى ابطاله وربما كان في ابطاله ضررٌ لتمكن العادة في النفوس . وقد كان من اعتقاد العقلاء منذ القدم ان الاكثار من اكل اللحوم مضرٌ فلما لم يمتنع الناس عنها لتغلب الشهوة على طباعهم جعلوا ابطالها فرضاً دينياً في بعض المذاهب النصرانية وغيرها وعدَّ آخرون ادمان اللحم من قبيل ادمان المسكر ومن اقوال عمر بن الخطاب المأثورة « مدمن اللحم كمدمن الخمر »

قانون صحة الاسنان

ان تأنق هذا الجيل في المآكل والاكثار من الوانها والتفنن في معالجتها مع تناول المشروبات الروحية والسوائل الحارة كالشاي والقهوة والمياه المثلجة وغير ذلك جعل ضعف الاسنان عاماً في الناس على اختلاف أجناسهم وأعمارهم و بدأوا يشعرون بأهمية الاسنان في صحة الابدان ويتساءلون عن أفضل وسائل الوقاية لها . وهاك ما ذكره الدكتور علي بك البقلي الطبيب الاختصاصي لامراض الاسنان والفم في كتاب له ظهر بالامس قال :

(حالة الفم الطبيعية) حينما يكون الانسان متمتعاً بصحته وفمه واسنانه سليمة فهو تام الصحة ومن كان بهذا الحال لا يكون فمه في حاجة الى الاعتناء الزائد بل تجب النظافة فقط ولكن كثيرًا ما نرى أُناساً ذوي أسنان جميلة يفقدونها بمغالاتهم في تنظيفها لرغبتهم العظمى في حفظها فيستعملون الدلك بكل أنواعه فينتج عن ذلك تخدش اللثة وانكماشها عن السن وتصاب بالالتهابات ويعتري الاسنان تزعزع في أصولها وتآكل في سطحها . كل هذا نتيجة المغالاة في الاعتناء بها مع ان قانون صحة الاسنان الحقيقي لا يدع للانسان مجالاً لمثل هذه المغالاة وانما يوجب على المرء أن يستعمل الاشياء التي تمنع الاسباب المرضية بكل بساطة

(الغذاء) وللغذاء تأثير على الفم والاسنان خصوصاً في الاطفال فينبغي التيقظ لهم لان شرب الالبان يسبب أمراضاً فمية من الالتهابات القشطية وغيرها . ومن المعلوم أيضاً أنه برسوب بقايا اللبن بين الاسنان يتكون حمض هو حمض اللبنيك له دور مهم في تكوين التسويس السني

ومن أحسن العادات خلط اللبن بقليل من ماء فيشي أو ماء بي كربونات الصودا لجعله قلويًا ويستحسن غسل الفم في هذه الاحوال بمحلول قلوي مثل الغراغر المركبة من كلورات البوتاسا وخلافها

أما الكبار الذين احتموا بالاقتصار على الغذاء المؤلف من الالبان لسبب ما فترى اسنانهم تتسوس وتتزعزع ولثتهم تلتهب اذا لم يعتنوا بها ولذلك أسباب منها تكون الاحماض الناتجة عن اللبن فيجب في هذه الاحوال غسل الفم دائماً بغراغر قلوية مثل البوتاسا وكربونات الصودا وغيرهما . ومعلوم أن متبع الحمية لا يمضغ اطعمة جامدة فينجم عن ذلك تكون أشياء يجب نزعها بواسطة الفرشة وتعتبر الفرشة في هذه الحالة مكنسة تزيح هذه المواد ومن الواجب استعمالها يومياً . وبما ان الغذاء يؤلف عادة من اللحوم فاذا بقيت فضلاتها في الفم كانت تلك الفضلات سبباً للتسويس والتهاب الغشاء المخاطي . فمن الواجب المبادرة الى ازالة هذه الفضلات بتسليك الاسنان تسليكاً بسيطاً عند الحاجة الى ذلك فقط مع غسل

الفم بعد كل طعام . وينبغي الاقلال من تناول الاشياء المملحة والمخللة والامتناع عن أكل الاثمار غير الناضجة لاحتوائها على حمض الليمون وننصح بعدم الاكثار من اكل الحلوى . ولا تفوتنا الاشارة الى أن المشروبات الروحية تؤثر تأثيراً عظيماً لان الكحول يكون حمض الخليك الذي يهيج الغشاء المخاطي ويحدث فيه الالتهاب . ويجب أن يكون ماء الشرب نقياً لان الضرر من الماء غير النقي أمر معلوم

﴿ الحرارة ﴾ ان الغذاء الجامد أو السائل الشديد الحرارة له تأثير على الاسنان السليمة وان كانت تقوى على احتمال حرارة مرتفعة بدون تألم . ومن المعلوم أن للبرودة تأثيراً أيضاً كما يجري عند تناول المثلجات وما شاكلها . ومتى كانت السن منخورة وساكنة فبمجرد وصول هذه المبردات اليها تهيج وتصير مؤلمة . ومن هذا يعلم أن شدة الحرارة او البرودة تؤثر تأثيراً مضراً على الاسنان وربما تنتج عن ذلك التهابات سمحاقية

﴿ الاجسام الغريبة ﴾ كثيراً ما تعطي الامهات لاطفالهن أشياء عظمية أو معدنية مستديرة ليعضوا عليها وهذا مضر جداً لان هذه الاشياء تكون دائماً قذرة وتسبب خدوشاً على اللثة تصير بها اللثة عرضة للتقيح

وبما ان استعمال الثدي الصناعي لا يستغنى عنه في بعض الاحيان فحينئذ يجب ملاحظة نظافته جيداً كما أن ثدي المرضع لا بد من غسله كل يوم بالصابون مرتين أو ثلاثاً على الاقل حتى لا تبقى به تكوينات لبنية تسبب التهابات فمية . ومن الواجب منع الاطفال الكبار من تكسير بزور الاثمار اذ قد يؤدي الى كسر السن كما انه يجب أيضاً منعهم من اللعب بالملاعق وما شابهها

ومن أقبح العادات تسليك الاسنان عند عدم الحاجة اليه وانما التسليك حينما يكون في الاسنان أشياء يجب نزعها فان كثرة التسليك تحدث خدوشاً تفتح باباً لولوج جراثيم الامراض فضلاً عن أنه اذا كسرت قطعة من الاشياء المستخدمة للتسليك بين الاسنان أو بقيت منها بقايا أدت الى التهاب في يصعب تشخيصه لعدم الاهتداء الى سببه بسهولة وكذلك استعمال الفرش الصلبة الشعر كثيراً والمسحوقات

غير الناعمة جيداً وخصوصاً التي لاتحوي مواد مطهرة كافية فربما انحشرت أجزاء صغيرة منها بين اللثة والسن فتكون سبباً لاحداث الضرر . ولا تنسى التبغ فانه يعتبر جسماً غريباً يدخل الفم لان قطعه الصغيرة قد تدخل الفم مع الدخان فتبقي بين الاسنان واللثة . على أن التدخين ذاته مهيج للثة و يسبب التهاباً غشائياً تقرحياً بسيطاً يسمى التقرح الغشائي لفم المدخن . وهذا عدا تأثير المبسم (انبوب التدخين) على الاسنان فان بعض المدخنين يعض عليه أثناء التدخين و بتكرار ذلك يكون سبباً لتأكل سطح الاسنان و بعضهم يعض عليه بشدة فتتساقط اجزاء من الاسنان ذاتها . ولاستعمال التبغ مضغاً (المضغة) تأثير على الاسنان هو عين التأثير الذي يحدث من تناول الاشياء السكرية فيه لوجود مادة سكرية يتكون منها حمض الخليك

﴿ الاعتناء اليومي بالفم والاسنان ﴾ أهم عامل في تنظيف الاسنان والفم هو الفرشة التي يتسنى بها تنظيف الاسنان وازالة ما عليها من المواد الغريبة . وانتقاء الفرشة أمر مهم واستعمال الفرشة الصلبة ربما نتج عنه ضرر واستعمال الفرشة اللينة ربما لايأتي بالفائدة المطلوبة لانه عند بعض الناس يجب استعمال الفرشة ذات الشعر الصلب وعند الآخرين يجب استعمال الفرشة ذات الشعر اللين حسب حالة الاسنان واللثة وهذا مما يجب تركه للطبيب وهو يشير بنوع الفرشة النافع

اذا تقرر ما يلزم في انتقاء الفرشة فما علينا الا أن نشير بما يقتضي مباشرته يومياً حتى يمكن حفظ الاسنان و وقايتها بقدر ما يصل اليه الامكان فنقول :

عند النهوض من النوم وغسل الوجه يمسح الانسان أسنانه بالفرشة المغموسة بقليل من المسحوق الخاص بجلاء الاسنان . وكيفية الاستعمال هو دلك الاسنان بالفرشة من الخارج ومن الداخل دلكاً جيداً ثم المضمضة بقليل من الماء النقي أو المخلوط بمحلول حمض البوريك لازالة الاوساخ التي خلفتها الفرشة فيتطهر الفم وهذا أمر سهل يستطيع كل انسان اجراؤه وفائدته لاتقتصر على تنظيف الاسنان والفم فقط بل تزيل ما يجتمع هناك من المواد العفنة التي لو أهملت تضر بالصحة اذ تدخل

المعدة مع الغذاء فضلاً عن أنها تسبب رائحة كريهة للفم . ويغلب ان يكون الفم كريه الرائحة قليلاً وقت النهوض من النوم لمضي عدة ساعات بدون تنظيفه وتطهيره فتمسح الاسنان صباحاً وتمضمض قليلاً بالمحلول المشار اليه فتصير لامعة ذات لون جميل ويشعر الانسان بخفة ولطافة في فمه . وهذه النظافة العمومية لا تكفي وحدها لوقاية الاسنان والفم بل يجب غسل الفم جيداً بالصابون او بقليل من الماء المعطر بروح النعناع أثر كل أكل مع ازالة مايشعر بوجوده بين اسنانه من الفضلات ويخرجه بكل اعتناء لئلاً يجرح اللثة

ويجب ايقاف التسليك على أثر خروج هذه الفضلات ويستحسن دلك الاسنان بالفرشة قبل النوم وفي الصباح حتى يزول ما يكون في الفم وعلى الاسنان فينام الانسان وهي في نظافة تامة . ولا يخفي أنه في كل يوم وليلة تمر على الفم مواد شحمية تتخلل الاغذية فكما يهتم الانسان بازالة هذه المواد عن يديه بغسلها بعد الاكل بالصابون كذلك يتحتم عليه ازالة هذه المواد الشحمية وسواها من الفم والاسنان بغسلها جيداً بالصابون وما أجمل العادة الشرقية القاضية بوجوب غسل اليدين والفم بالصابون على أثر تناول كل طعام

وهناك مركبات سائلة لتطهير الفم والاسنان تفيد جداً ولكن لا يقدر عليها الا ذوو اليسار . على ان محلول حمض البوريك يكفي للقيام بالغرض المطلوب عند الفقراء (انتهى)



ظهرت قائمة هذه المكتبة لسنة ١٩٠٧ — ١٩٠٦ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

﴿ اختراعات مطلوبة ﴾ يبحث اهل العالم المتمدن اليوم عن عدة اختراعات يرون الصناعة والتجارة في حاجة اليها فمن توفق الى واحد منها ربح الملايين وفتح ابواب الكسب للآخرين . واهم هذه الاختراعات أولاً : مركبٌ يقوم مقام الكاوتشوك لان هذه المادة لاتزال غلتها على ما هي وطلبها يزداد كل يوم بما تستهلكه عجلات المركبات والاتومويل ونحوها من المخترعات الحديثة وما ينفقونه منهُ في اصطناع الاسلاك التلغرافية البحرية وهو القسم الاعظم لان سلكاً منها يمدُّ بين اوربا واميركا يستهلك نحو ٥٠٠ طن من احسن انواع الكاوتشوك الوارد من سنقافورة غير ما ينفق منه في اصطناع الالعاب ونحوها . (٢) مادة تقوم مقام الزجاج او تكيفهُ حتى يتصلب ويكون فيه مرونة لتبنى به المنازل وترصف الشوارع . (٣) استخراج القوة الكهربائية من الفحم الحجري رأساً . (٤) طريقة للانتفاع بحركة المد والجزر بنفقة أقل مما ينفق عليها اليوم

مطبوعات جديدة

الموسيقي الشرقي

تأليف كامل افندي الخلعي

الموسيقى من الفنون الجميلة التي يسميها العرب « الآداب الرفيعة » وهي من جملة ما نقلوه عن القدماء من العلوم والفنون . اما قبل الاسلام فقد كان لهم من الالحان ما يوافق سذاجتهم ولما تمدنوا أخذوا الانغام عن الفرس والهند والروم . ثم اشتغل المسلمون بنقل العلوم الدخيلة فكان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند فتناولها المسلمون ودرسوها واصبحت الموسيقى علماً عندهم باصول وقد جمعوا بين الحان اليونان والهنود والفرس والعرب فالفوا من ذلك علماً خاصاً بالتمدن الاسلامي بلغ درجة حسنة من الاتقان . فالفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلاً عما استنبطوه من الالحان او اخترعوه من الآلات . وكان للخلفاء عناية كبرى في الغناء يبذلون الاموال في سبيل تنشيطه كما هو

مشهور وكانوا يشترطون في المغني ان يكون حافظاً للاشعار والنوادر يحسن النحو والاعراب فكان المغنون في الدولة العباسية من اهل الادب فادخلوا في فن الموسيقى الحاناً لم تكن من قبل وفيها ما لم يسبق له مثيل في تأثيره . ذكروا منها الحاناً لا يقدر الشبعان الممتلئ على غنائها ولا سقاء يحمل قربة على الترنم بها وأخرى لا يقدر المتكئ ان يغنيها حتى يقعد مستوفزاً ولا القاعد حتى يقوم

فلما دالت دولة التمدن الاسلامي وذوت علومه وآدابه كان في جملة ماضاع منها كتب الموسيقى الا بعض ما للفارابي وعبد المؤمن ومقالات مشتتة في كتب الفلسفة او الغناء كرسائل اخوان الصفاء وكتاب الاغاني وغيرهما . وعاد هـذا الفن الى اهله في فارس وتحولت مصطلحاته من العربية الى الفارسية وصار فارسياً في الحانه وقواعده واسمائه وكل شيء فيه . ثم عاد العرب فاخذوه عنهم ثانية مع بعض التغيير والتبديل وما خالطه من الحان الامم الاخرى التي عاشرها العرب في العصور الاسلامية الوسطى وأصبح قاصراً على الغناء قلما ينظر فيه الا من حيث الانغام المطربة

اما المؤلفات الموسيقية في هذه النهضة فاسبق اهل هذا العصر اليها محمد بن اسماعيل المعروف بشهاب الدين المتوفى سنة ١٨٥٧ الف كتاباً سماه سفينة الملك ونفيسة الفلك في فن الموسيقي وقد طبع بمصر في ٥٠٠ صفحة . ومنهم الشيخ عثمان الجندي شاعر العائلة الخديوية صاحب رسالة روض المسرات ثم المرحوم الدكتور مخائيل مشاقة الدمشقي وقد طبعت رسالته في العربية وترجمت الى الانكليزية وعليها كان معتمد المستشرقين في البحث عن احوال الموسيقى العربية . ولم يكتب في هذا الفن بعد ذلك الا مقالات قليلة حتى ظهر الكتاب الذي نحن في صدده لمؤلفه كامل افندي الخلعي ألفه على نسق جديد بعد ان انفق ١٥ عاماً في درس هذا الفن فعرف كلياته وجزئياته واطلع على قوانين الموسيقى الافرنجية ووفق الالحان العربية والنوطة الافرنجية على اسلوب جميل . فصدَّر الكتاب بمقدمة في الموسيقى وما قيل فيها وفي تأثيرها وفصول في الصوت وتولده والفرق بين درجاته وطبقاته ونواميس انتشاره وانتقاله وصوَّر الاجهزة المعدة لمد الاهتزازات الصوتية وذكر ما يوافق الاصوات من الاشربة وانواعها . وفصل في النغمات ودرجاتها ومصطلحاتها ومعانيها واوضح ذلك بالجداول والرسوم بدقة وايضاح . ثم شرح كل نغم على حدة شرحاً يدلُّ على ما قاساه من الجهد في تفهم تلك المصطلحات وتدبرها وترتيبها وتبويبها وكنا نقرأ تلك الالفاظ في كتاب الاغاني وغيره فلا نفهم لها معنى فأوضح مؤلف « الموسيقى الشرقي »

معناها وعمد الى آلات الطرب فوصفها وصور اشكالها وكيفية استعمالها ولا سيما العود والقانون والكمنجة والناي والدف وغيرها ورسوم المشهورين في الضرب عليها اليوم . ثم افاض في الواحدة المنظوم عليها الاوزان العربية واساسها التك والتم وفصل الكلام في ذلك حتى لم يترك حاجة في نفس المطالع . والحق ذلك بفصول في آداب المغني والسامع ومباحث ضرورية عمومية في التعليم وكيفيته وطرق الغناء في مصر وبدائع من الموشحات العربية والحانها . وذيل الكتاب بتراجم مشاهير المغنين الموسيقيين واضاف اليهِ تلحينين عربيين مما اخترعته قريحته ووقعها على النوطة الافرنجية . فجاء كتاباً في نيف ومائتي صفحة مزدوجة مطبوعة طبعاً متقناً على ورق صقيل متين وفيه الجداول والرسوم والاشكال بغاية الاتقان . وقد جعله هدية الى صاحب المعطوفة ادريس بك راغب اعترافاً بفضله في تنشيط الادب والادباء . فنثني على حضرة المؤلف لخدمته النافعة التي سيبقى ذكرها ما بقيت اداب هذا اللسان . والكتاب يباع في المكاتب الشهيرة وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد ثلاثة غروش

﴿ تربية النفس بالنفس ﴾ هو خطاب صحي تهذيبي القاه حضرة الدكتور محمود لبيب محرم بك في نادي المدارس العليا بالقاهرة بجلسة حافلة عقدت في ١١ مايو الماضي بين فيه ان سبل العلم والادب الصحيحة واحدة وانتقد الطريقة الشائعة في تربية الاطفال جسداً وعقلاً واشار بتربية الابدان قبل العقول مع ما يجب توخيه في التربية على اختلاف ادوارها مما نحن في حاجة اليهِ ويجدر بالآباء الاطلاع عليه . والخطاب مطبوع ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة غرش واجرة البريد ربع غرش

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

والهلال الاخير من هذه السنة

سيصدر الهلال العاشر من هذا العام في اوائل يوليو القادم وفيه تتمة رواية « العباسة اخت الرشيد » وفهرس السنة الرابعة عشر والجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامي وموضوعه نظام الاجتماع والآداب الاجتماعية وحضارة المملكة وابهة الدولة وهو آخر اجزاء هذا الكتاب . وسيرسل الهلال المذكور وملحقه الى المشتركين الذين سددوا ما عليهم لادارة الهلال على جاري العادة في كل عام ولا يرسل الى سواهم



الجزء العاشر من الرابعة عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ و ٩ جمادي الاولى سنة ١٣٢٤



حميد بن محمد المرجبي

فاتح الكونغو

لم يتعود قراء هذا الزمان الاطلاع على اخبار الهمم العالية والنفوس الكبيرة وظهور نوابغ القواد ورجال الدهاء الا بين اهل الغرب . و يعجبهم على الخصوص اذا قرأوا عن قائد او وزير او ملك نبغ من بين العامة وتسنم عرش السيادة بجده وسعيه . ولكن بين اهل الشرق اليوم نوابغ لا تقل نفوسهم كبرًا ولا هممهم سموًّا عن أولئك فقد ينبغون في اواسط اسيا وافريقيا و يأتون بمعجزات السياسة والدهاء والقيادة ولا نعرف اخبارهم . واليك ترجمة رجل منهم ولد في الفقر والضنك وارتقى بهمته وسعيه حتى قاد الالوف وفتح البلاد — نعني به حميد ابن محمد بن جمعة المرجبي الملقب بتيبو تيب فاتح الكونغو باواسط افريقيا وقد بعث الينا برسمه وترجمة حاله حضرة الشيخ ناصر بن سليمان بن ناصر اللمكي ساكن زنجبار فاثبتناهما مع الثناء على غيرته في نشر مآثر الشرقيين قال :

تمهيد

كانت الاقطار الزنجبارية ملكاً للبرتغال كما لا يخفى على ذوي الالمام بالتاريخ فلما اراد العرب تخليص هذه الاقطار من يد الافرنج بقوة سلطانهم سيف بن سلطان اليعربي جهزوا جيشاً من بلاد عمان مؤلفاً من قبائل شتى من العرب وفيهم القبائل المراجبة . فبرح هذا الجيش مسقط في سفن شراعية فوصل الى ممبسة سنة ١٦٦٥ مسيحية وهناك جرت بينهم وبين البرتغال وقائع كثيرة قضى الله بعدها بانجلاء البرتغال من تلك الاقطار واستلم العرب ازمة الملك . ولما رجع السلطان الى مسقط أحب بعض اصحابه الاقامة في تلك الاقطار فاقاموا وفيهم عائلات من قبائل الحواثم والنباهنة واليعاربة والمراجبة واتخذ كل فريق منهم المناخ الموافق له ولا تزال هذه القبائل باقية هناك الى الآن . ولكن رجالها لا يتكلمون الا اللغة الزنجبارية وانما حفظوا اسم القبيلة فقط . فالمراجبة اختاروا قرية بجنوب دار السلام اسمها مبوماجي مناخاً لهم ولا يزالون فيها الى اليوم

ثم آل امر تلك الاقطار مع توالي الزمن الى الانحطاط حتى جاءها سعيد ابن سلطان الازدي جد العائلة المالكة الآن في زنجبار وعمان فاخذت في التقدم وفتحت أبواب التجارة وجعلت عاصمة المملكة جزيرة زنجبار ثم رحل اليها العرب من عمان كما رحل اليها قبائل البراري والافرنج

ترجمة حاله

في هذه الجزيرة ولد صاحب الترجمة وهو حميد بن محمد بن جمعة المرجبي في سنة ١٢٤٨ هجرية وقد نشأ في عصر مظلم وبلاد مظلمة . ولم ير بين يديه الا اقواماً لباسهم الجهل وطعامهم الفقر خالين من كل فضيلة مترديين بكل رذيلة لا يميزون بين الخير والشر . ولما بلغ السنة الخامسة من العمر اجتهد والده بتعليمه القراءة والكتابة وكتاب الله فأخذ منه بالقسط الاوفر في اقرب وقت ثم مكث في حالة الفقر عدة سنوات كانه على النار اذ كان يشعر في نفسه بشيء يستحثه على طلب العلى وهو لا يدري بأية وسيلة يسمو اليها واتفق أن والده سافر الى داخل البلاد لطلب الرزق وترك ولده في زنجبار فالولد لم يقر له قرار لانه رأى في نفسه ضيقاً شديداً لم يعلم له سبباً — ذلك هو دأب عظماء الرجال يحسون بالكبرياء والعظمة وهم في المهد . فاذا أتيحت لاحدهم الوسائط لقضاء مراده وجد لذلك طريقاً يسهل عليه الامر او استعمل الحيلة والمال لبلوغ اربه ولكن المترجم لم يجد لنيل بغيته طريقاً مع مطالبة نفسه بها وظل كذلك حتى تطرق الى قلبه اليأس فاخذ في طلب

ما يسد رمقه به

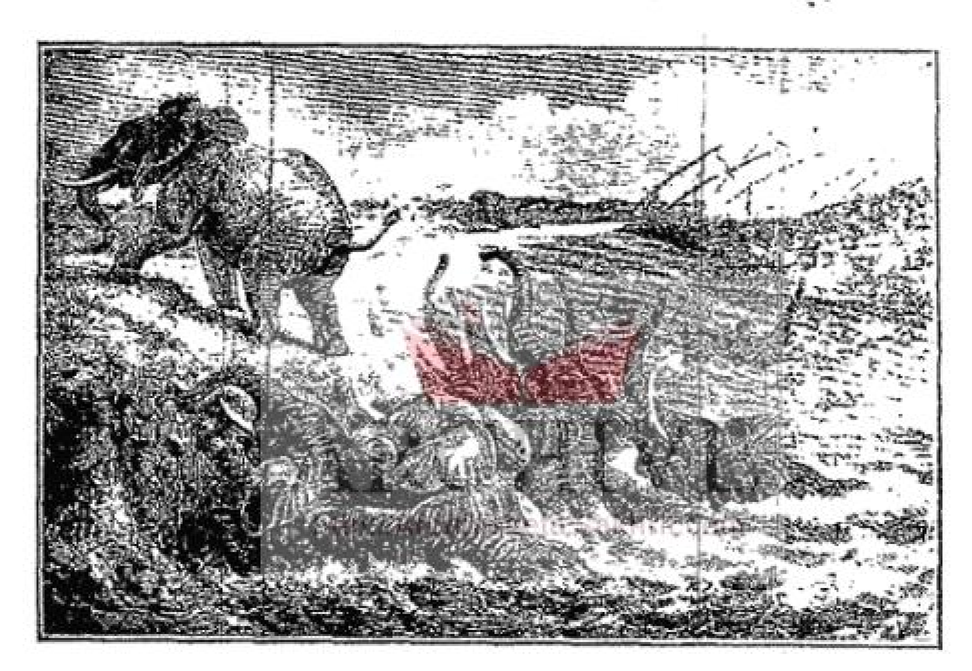
ولما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة اقترض اثني عشر ريالاً اشترى بها ملحاً سافر به الى دار السلام ومنها الى داخل البلاد للاتجار ولبث شهوراً يتردد في بيع الملح وقد ذاق حلاوة الجد والاجتهاد وكانت أسفاره لاتزيد عن مسير يومين أو ثلاثة ثم طال سفره شيئاً فشيئاً واطمأن اليه التجار باموالهم فاتجر في الثياب والمأكولات والكونشوك وغيرها حتى اجتمع عنده شيء يسير من المال . ثم بلغهُ ان والده وصل الى مدينة تبوره وتزوَّج بابنة سلطان الانيموز (قبيلة من الزنوج لا يختتنون وهم كثيرو العدد) فشمر عن ساعد الجد وعزم على اللحاق به في تلك البلاد فسافر من باجمويو وبعد مسير ثمانين يوماً في البراري والقفار وصل الى مدينة تبوره فوجدها كبيرة وفيها من العرب نحو خمسمائة نفس وجملة سكانها اربعون ألفاً ثم واجه السلطان وهو صهر والده فلقي منه اكراماً واهدى اليه عاجاً وقربه منه فقوي نفوذه لديه وبقي هناك متاجراً

ثم حصل خلاف بين صهر والده وسلطان آخر من سلاطين الزنوج فتحاربا مدة وخرج حميد بن محمد لنجدة صهر والده ببعض الزنوج والمماليك فدخل بلاد العدوّ ليلاً واحرقها واستباحها قتلاً وسلباً وجمع الكثير من العاج واستتب امره في تلك البلاد حتى صارت ملكاً له وأطاع اهلها امره . ولما عاد الى والده منصوراً اخذ ما كان معه من العاج وقفل راجعاً الى زنجبار فحظي بمقابلة سلطانها يومئذ ماجد بن سعيد بن سلطان ثم باع ما معه من العاج ووفى ما عليه من الديون واخذ في تجهيز ما يحتاج اليهِ في سفره فلما تم ما اراد تجهيزه عمد الى السفر

نشأته السياسية

لقي حميد في هذه النشأة من المصاعب والمشاغب ما تشيب لهُ الولدان لانه كان يسافر الى مكان لم تطأهُ اقدام اسلافه ولكنهُ لم يتهيب من ذلك بل كان يسافر والسعد حليفه والعناية تساعده والاجتهاد نصيره على المصائب . برح زنجبار ومعه من الثياب والخرز والبارود والرصاص ما قيمته تسعون الف ريال حتى وصل باجمويو ثم برحها في سنة ١٢٧٩ هجرية وبعد مضي ١٥ يوماً من سفره قطع اللصوص الطريق عليه وارادوا نهب ما معهُ فدافعهم لكنهم اخذوا بعض امواله فلم يرهبه ذلك وقد اصابت رجاله الشمس . فمكثوا ٥ ايام يشربون بول الدواب ثم اصابهم طاعون فمات منهم خمسمائة رجل ولم يجد من يحمل الخمسمائة حمل التي كانوا يحملونها فتركها ومضى الى حال سبيله وسار مجداً حتى وصل تبوره وقد انهكه

التعب ومعه نصف امواله فتاجر به سنتين ثم مضى الى البلاد التي كان قد اخذها قبلا فوجد سلطانها استنجد بسلطان آخر فحاربهما فانكسر شر انكسار وضل عن الطريق وتشتت اصحابه من الهزيمة فوصل تبوره مقهورًا مدحورًا ثم برحها الى اوجيجي فربح منها اموالاً طائلة وركب في بحيرة تنكنيكه هو واصحابه فوصل الى الجانب الثاني منها سنة ١٢٨٤ هجرية فمكث هناك نحو سنة ونصف سنة بين الزنوج وقد خاف أن يسافر الى الكونغو لقلة معداته فعاد الى الوجيجي ومنها الى تبوره سنة ١٢٨٦



الافيال في اواسط افريقيا

وبعد سنة وصلهم الخبر بوفاة سلطان زنجبار ماجد بن سعيد وتعيين اخيه برغش ابن سعيد مكانهُ فكتب حميد بن محمد لسلطان زنجبار كتابًا يهنئه بالملك ويطلب منه بارودًا ثم سافر لمحاربة السلطان المغتصب للبلاد التي كان قد اخذها فوصل اليه فوجده متحصنًا في مدينته فحاصره ستة اشهر ولم يقدر عليه فجمع اصحابه وحفروا قناة حولوا اليها النهر الذي يشرب اهل تلك المدينة منه فانقطع الماء عن المحصورين فأسلم السلطان نفسه بشرط ان يسلم ماله لحميد بن محمد ويكون خاضعًا لامره فرضي السلطان وقويت شوكة حميد وهابهُ الاهالي فرجع والسلطان معه . وقبل وصوله الى تبوره جاءهُ احد اصحابه بكتاب من سلطان زنجبار برغش بن سعيد يخبرهُ انه ارسل اليه الفي رطل من البارود فلما وصلتهُ عزم على السفر الى اوجيجي فاخذ امواله وارسل العاج الى تبوره ليبيعوه ويبتاعوا لهُ بثمنه

الثياب فنزل اوجيجي واقام فيها حتى وصلته البضائع فقطع بحيرة تنكنيكه في اواخر سنة ١٢٨٧ وسار قاطعاً البراري بين همجية الزنوج وانياب الضواري يتلقى الاهوال مرة بالعطايا وتارة بالسيف والنصر حليفه والشهرة تتقدمه فترتعد الملوك خوفاً منه فيصالح المطيعين ويحارب العاصين ولم يشغله هذا عن البيع والشراء من العاج والثياب . ثم اتجه جنوباً وعاد الى الشمال الغربي فوصل الى نهر الكونغو عند المدينة التي يسمونها (ستانلي فولس) ولبث فيها مدة يلتمس الراحة . ولما عزم على السفر في نهر الكونغو بلغه ان احد سلاطين الزنوج قطع عليه السبيل ليأخذ امواله فتركها في تلك المدينة وجهز جيشاً من رعاياه ومماليكه قدر ٣٠,٠٠٠ نفس وامرهم بالسير الى الشرق فالشمال ليأتوا العدو من ورائه وجهز جيشاً آخر وسيره على شاطيء الكونغو بحذاء قوارب وعددها ٤٠٠ قارب . فاستمر السير شهرين كان في خلالهما يبيع و يشتري وبعد هذه المدة التقى به العدو وكان شديداً عزيز الجانب والجيش الذي بعثه المترجم في البراري لم يصل بعد فانكسر حميد شر انكسار وغنم العدو القوارب واستولى على شيء كثير من ماله وبعد ١٤ يوماً من الهزيمة وفد الجيش فعاد به الى عدوه وهجم عليه فتحارب الفريقان ثلاثة اشهر انجلت عن قتل السلطان واستيلاء حميد ابن محمد على املاكه . واقام هناك مدة رتب فيها جيشه على اربعة اقسام . قسم مؤلف من ٢٠,٠٠٠ نفس انفذه في الطريق الذي جاء منه ليصلوا الى ستانلي فولس و يخبروا اهله واصحابه بالنصر و يحفظوا الاموال التي له هناك و يذهبوا معها الى الشرق حتى يبلغوا وسط المنيما في مكان عينه لهم . وقسم مثل الاول عدة وعدداً سيره من المكان الذي هو فيه الى الجنوب الشرقي ليدعوا الناس لطاعته ثم يتحولون الى المحل الذي عينه للقسم الاول وقسم مؤلف من ٢٠,٠٠٠ نفس امرهم بالبقاء في ذلك المكان وخرج بمن معه وهم ٦٠,٠٠٠ نفس لمحاربة قبائل نيام نيام

ومن ينظر في هذه السياسة ينذهل لصدورها من رجل لم يتعلم فنون الحرب ولم يدخل مدرسة حربية وقد اتخذ نقطاً عسكرية لحفظ خطوط الرجعة . اما الجيش الذي كان يقوده بنفسه فوصل الى قبائل نيام نيام وحاربهم وانتصر عليهم واخذ اموالهم وسبى اولادهم ثم اتجه نحو الشرق فالجنوب فوصل الى النقطة التي عينها لاصحابه فوجدهم سبقوه ولم يلق في طريقه هذه المرة حرباً فاستتب الامن وامنت السبل قليلاً . وادركه العرب من اصحابه وانفتحت طرق التجارة الى باجويو فكثرت مداخيل زنجبار

وقد يقول القاريء كيف يمكن لحميد بن محمد ان يجيش مائة الف وكيف كان يطعمهم

ويكسوهم فنقول انهُ لا محل للدهشة لان الثوب الذي قيمته فرنك في زنجبار كان يباع هناك في ذلك الزمان بالف رطل من الارز . ثم ان الاهالي كانوا يحبون متابعته ليغنموا عند انكسار العدوّ . ولما استتب الامن عاد باموالهِ و بعض جوار يه ومماليكه الى زنجبار تاركاً ولاية الامر لاخوته وصحبه . وفي عودته هذه عبر بحيرة تكنيكه في السفن الشراعيــة . واتصل به في اوجيجي نعي والده محمد بن جمعه فبكى عليه وحزن لانه لم يجن شيئاً من ثمار أعمال ابنه ومرَّ على تبورة فوجد ارملة والده وصهره فأقام عندهما زمناً ريثما استراح من عناء السفر ثم واصل السير حتى دخل دار السلام وقبل وصوله اليها لقيه في الطريق اخوه من امه محمد بن مسعود الوردي وارسل سلطان زنجبار السيد برغش رجلاً يسلم عليه من قبلهِ ويهنئه بما ناله من النعمة والشهرة وكتب اليه كتاباً هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من برغش بن سعيد

الى حضرة الشيخ الافخم المحب المحترم حميد بن محمد بن جمعه المرجبي سلمه الله تعالى وبعد السلام عليك اخبرني المحب ابن مسعود بانك واصل الينا قريباً فوجبت علينا التهنئة لك وارسلنا هذا الكتاب للسلام عليك والسلام »



الاخطار في اواسط افريقيا

وصل حميد بن محمد دار السلام ومعهُ ٧٠،٠٠٠ رطل من العاج وغيره من انواع التجارة فسافر الى زنجبار بحراً فوصلها في اوائل سنة ١٢٩٤ هجرية وباع ما كان معــه من

العاج وغيره فاجتمع عنده مبلغ ٣٠,٠٠٠ جنيه صافية بلا ديون

ثم تجهز للسفر ثانية فاشترى بضائع كثيرة خرج بها من زنجبار سنة ١٢٩٦ الى باجوميو ومنها الى داخل البلاد يقتحم الاخطار والمفاوز . وبعد عشرة اشهر وصل الى البلاد التي اتخذها عاصمة له فوجد الامر على غير ما كان يعهده اذ شاهد التجارة كثيرة والارزاق واسعة والتجار من الافرنج والهنود والعرب عديدين . اما اهل البلاد فكانوا على ما تركهم من السذاجة والجهل وكان الامن متزعزعاً فتكبد مشاق جسيمة في محاربتهم ومضت ايامه في الحروب ولكنها لم تشغله عن التجارة بل كانت هي تجارته الرابحة لانه كان يكسب منها اموالاً طائلة غير العاج والعبيد والغنم وكان جميع ما يحصله يرسله الى زنجبار لوكيله ويطلب منه البضاعة الصالحة للزنوج

فلما توفر عنده المال والرقيق عاد الى زنجبار سنة ١٣٠٠ هـ وباع ما جلبه من البضائع فيها واشتري ما اراده ثم برحها سنة ١٣٠٢ قاصداً الجهات الداخليـة ولسنا نذكر هنا جميع ما أصابه في طريقهِ من الحرب والجوع والعطش وما لقيه من اللصوص والوحوش وانما نقول انه وجد هناك عند وصوله هذه المرة رجلاً بلجيكيا قنصلاً لدولتهِ وكان الخطر محدقاً به لانه طلب من سيف بن حميد بن محمد ان يأتيهُ بجميع العاج الموجود هناك ليكتب عليه اسم الدولة البلجيكية فقبض عليه سيف وارسل به الى سردار الجيش راشد ابن محمد فحكم عليه بضرب خمسين جلدة وحبس سنتين ولولا وصول حميد بن محمد في تلك الايام لنال البلجيكي جزاء شديداً . وكان البلجيكيون قبل ذلك يهاجمون العرب مراراً فيصدهم هؤلاء ويقتلون منهم كثيرين . وربما يسأل القارىء عن الرجال الذين كانوا ينصرون البلجيك اذ كان جميع الزنوج رعايا العرب فالجواب ان العرب كانت لهم عادة يكرهها الزنوج وهي انهم كانوا يحملون اولاد الزنوج يبيعونهم في زنجبار . فلما دخل الافرنج تلك الديار خدعوا الزنوج وزخرفوا لهم القول بأنهم سيحررونهم ويعملون كيت وكيت من الخير وما زالوا بهم حتى استمالوهم واستعانوا بهم على محاربة العرب . ولم تخف على حميد بن محمد هذه الحيلة فكان دائماً يعرض عن محاربة الافرنج ويعدهم خيراً وكان يقول «دخلت هذه البلاد صغيراً فقيراً وملكت هذه الرقاب جميعها ولم يكن لدي مال ولا سلاح فهل أقوى بهم على الافرنج»

وكان يكلم اولاده دائماً بهذا المعنى ويحذرهم من غدر الزنوج . ولما باع تجارته هناك رجع الى زنجبار فوصلها سنة ١٣٠٤ هجرية فوجد الانكليز له بالمرصاد وقد اخبره قنصل الانكليز بما تم عليه الاتفاق وان البلجيك سيدخلون الكونغو ونصحه بعدم معارضتهم وانهم

لا يريدون سوى التجارة وانه سيكون كسابق امره مطلق الحرية وتدفع دولة البلجيك له مقابل تجارتها ٦٥ جنيهاً شهرياً فأبى اولاً فقال له قنصل الانكليز ان انكلترا تعهدت بمساعدة البلجيك وانه اذا اصرَّ على ابائه فأول شيء تفعله هو منعه عن السفر مرة أخرى

فلم يجد بدًّا من القبول وعندئذ قيل له ان اي شيء يطلبه من انكلترا يعطى له وتحقق امانيه فيه فطلب من القنصل تحميل عبيده من باجمويو الى زنجبار وكان الانكليز متشددين في منع بيع الرقيق وتحميله ولكنهم اذنوا له بذلك لحاجه كانت في نفوسهم فحمل حميد بن محمد سبعمائة عبد من باجمويو الى زنجبار ثم وصلت الاخبار من الكونغو ان البلجيك هجموا على العرب مرارًا فصدوا عنهم وان العرب اخرجوا جميع الافرنج من تلك البلاد فلم يبق بها بلجيكي ولا ألماني وكما اراد البلجيك المسير اليهم التقوا بهم على ضفاف نهر الكونغو ورموهم بالرصاص فشق هذا الخبر على الانكليز وطلبوا من حميد بن محمد ان يعجل بالسفر الى الكونغو ومعه المعتمدان الانكليزي والبلجيكي فسافروا سنة ١٣٠٥ في باخرة عن طريق رأس الرجاء الصالح فوصلوا الى مدينة الكاب ومنها الى بناتا عند مصب نهر الكونغو ثم سارت الباخرة في النهر ٤ ساعات توقفت بسبب الشلالات فركبوا الفلك وساروا بها شهرين حتى وصلوا الى مدينة ستانلي فولس . ولما اطل العرب على هذه الفلك ورأوا فيها الافرنج رموهم برصاص البنادق فاشاروا اليهم انهم ليسوا محاربين فلم يقبلوا واخيرًا رمى حميد بن محمد نفسه في النهر فلما رأوه عرفوه وامسكوا عن اطلاق البنادق ونزل هو والافرنج الذين معه وبوأ لهم مكانًا وامنهم وبواسطته تم الاتفاق بين العرب والافرنج . وفي غضون ذلك انتهم الاخبار بوفاة برغش بن سعيد سلطان زنجبار وارتقاء خليفة بن سعيد سلطانًا مكانه فمكث حميد يتاجر بتاله الى سنة ١٣٠٧ ثم عقد النية على الرجوع الى زنجبار فسافر وبعد مسير عشرة ايام اتاه الخبر بوفاة خليفة بن سعيد وولاية علي بن سعيد مكانه فواصل السير حتى بلغ تبوره وفيها اصيب بمرض فتاخر هناك وبعد شهرين وصل اليه ولداه سيف وثابت فوجداه مريضاً فكانا قاصدين الكونغو فامرهما بالسفر اليها ومكث هو في تبوره سنة حتى اذا عوفي من مرضه برحها الى زنجبار فبلغها سنة ١٣٠٩ وبعد ان صفا الجوّ للبلجيك هجموا على العرب مرارًا فصدوا عنهم وطلبوا منهم ان يسافروا جميعاً الى زنجبار فابوا ولما اعيت البلجيك الحيلة خدعوا الزنوج وزخرفوا لهم القول فانفضوا عن العرب وانحازوا الى البلجيك ثم هجموا على العرب فهزموهم وغنموا اموالهم وقتل سيف بن حميد وهرب ثابت اخوه ومحمد بن سعيد وغيره واستولى البلجيك على اموال حميد بن محمد ويقدرونها

بمائة الف جنيه وكان حميد بن محمد يتمثل دائماً بقول الشاعر :

ومن يفعل المعروف مع غير اهله   يلاقي كما لاقى مجير ام عامر

حيث ذهبت امواله وقتل ولده جزاء احسانه الى البلجيك

وفي سنة ١٣١١ وصلت اخبار الهزيمة الى زنجبار ووصل ثابت واخوته وانفار من العرب اليها اما بقية اولاد محمد بن سعيد فاسرهم البلجيك و بقوا في اسرهم الى ١٣٢١ حيث اطلقوا سراحهم وسمحوا لهم بالعودة الى زنجبار فبلغوها في حال يرثى لها وهكذا انتهت دولة العرب في افريقية الوسطى وتقلص ظل ملكهم منها وكانت نهاية امرهم انهم عاشوا في زنجبار فقراء

لكل اجل كتاب

لما وصل حميد بن محمد الى زنجبار سنة ١٣٠٩ حسب ثروته فوجدها نيفاً ومائة الف جنيه الا ان وكيله الذي كان في زنجبار تحيل عليه وقدم واخر في دفاتره فاختلس من تلك الثروة نحو ٣٠,٠٠٠ جنيه و ٢٠,٠٠٠ جنيه كانت في يد هندي اعطيت اليه للتجارة فذهبت ولم يحصل الا على ٤٠٠٠ و ٧٠٠٠ جنيه اعطاها محمد بن خلفان الذي ادعى الشركة في في ملكه وحكمت له محكمة دار السلام بدفع هذا المبلغ ونحو ١٦,٠٠٠ جنيه دفعت الى المحامين عنه في دعاويه حينما اراد الدفاع عن نفسه في امر الشركة وغيرها من الدعاوي وكان دائماً يقول « ذهب ربع ملكي في افواه المحامين »

والذي بقي عنده اشترى به بيوتاً و بساتين فعاش من ريعها · وفي سنة ١٣١٠ توفي سلطان زنجبار علي بن سعيد وعين حمد بن ثويني مكانه فنال منه رتبة · وفي سنة ١٣١٤ توفي حمد بن ثويني وهبت ثورة في البلاد فاطلقت الانكليز القنابل على القصر السلطاني ثم عين حمود بن محمد بن سعيد سلطاناً وفي سنة ١٣٢٠ توفي السيد حمود بن حمد فخلفه ابنه علي ابن حمود وهو السلطان الحالي ادام الله ملكه · مضى هذا الزمان وحمد بن حميد بين الدعاوى والشكاوي وفي شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٢ اصابه مرض الاستسقاء ثم عوفي منه ولكن صحته بقيت ضعيفة فاشتد به الألم حتى كانت الساعة الخامسة من ليلة الاربعاء عاشر ربيع الثاني (١٤ يونيو) قبضه الله اليه وما شاع هذا الخبر حتى توافدت الجموع الى منزله وفي مقدمتهم قنصل جنرال امريكا ونيس قنصلها وتتابعت الجموع وسار في جنازته اناس كثيرون وفي الصباح جاء قنصل جنرال الانكليز وقنصل الالمان وغيرهما من معتمدي

الدول وتجار الاجانب واعيان العرب والهنود والزنوج لتعزية اهله ونقل البرق خبر وفاته الى العالم المتمدن فأتت جرائده مملوءة بالكلام عن سيرته

الشعر المنثور

او الوزن والتقفية في الشعر العربي

حضرة صاحب الهلال

نشرتم في العدد الثاني من هلال هذه السنة مثالاً للشعر المنثور بقلم صديقي المتفنن امين افندي ريحاني اللبناني واردفتم ذلك بمقالة من الشعر الموزون غير المقفى في العدد الرابع بقلم الفاضل بولس افندي شحاده وكلاهما قد اجادا في ما أتيا به من الاسلوب الحديث الذي رأيتم العربية محتاجة اليه • ولي كلمة في هذا البحث جئت اعرضها الآن على القراء الكرام لعلها تروق في اعينهم فاقول :

لاخفاء ان الشعر لا يقوم بالوزن والتقفية وليس تحديد العرب اياه بهذين الا ذهاباً الى جهة اللفظ وبقي الغرض المهم من وراء ذلك وهو المعنى • فاننا كثيراً ما نجد نثراً توفرت فيه شروط الشعر من نباهة الاغراض ودقة المعاني ورقة الالفاظ ومتانة التركيب وحسن التخيل وصحة البيان فكان ابلغ من الشعر وأوقع منه في النفوس وهكذا الحال في الشعر الذي خلا من الاساليب المشار اليها فانه احط منزلة من النثر

ولقد اجاد الفيلسوف ارسطو الشهير بقوله « ان الشعر يبقى شعراً ولو كان بلا وزن » ولكن ابن خلدون رمى المشارقة بوصمة هذه الاساليب واستعمالها في المخاطبات السلطانية بقوله « وقد استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الاغراض وصار هذا المنثور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترق الا في الوزن » الى آخر كلامه في مقدمته

ولكننا نعلم من قديم الاساليب الشعرية في النثر العربي ما كان مثل دعاء النابغة للنعمان ابن المنذر ووصف حرملة للاسد ولا بأس من ايراد فقرة من كلامه قال :

« واقبل ابو الحارث من اجمته يتطالع في مشيته • كانه مجنون او في هجار • بصدره نحيط وللبلاعمه غطيط • ولطرفه وميض • ولارساغه نقيض • كأنما يخبط هشيما • او يطأ صريما • واذا هامة كالمجن • وخد كالمسن • وعينان سجراوان • كأنهما

سراجان يتقدان • وكف شثنة البراثن • الى مخالب كالمحاجن • فضرب بيده فارهج • وكشر فافرج • عن انياب كالمعاول • مصقولة • غير مفلولة • ثم اقعى فاقشعر • ثم مثل فاكفهر • ثم تجهم فازبأرّ ... الخ »

وقال تأبط شرّاً لخاله الشنفرى الاكبر لما سأله عن قتيل قتلهُ كيف كانت قصته فقال : « الجمته عضباً • فسالت نفسه سكباً »

وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي : « لله در بني سليم ما احسن في الهيجاء لقاءها واكرم في اللزبات عطاءها • واثبت في المكرمات بقاءها »

ومن اصرح الامثلة ما يروى ان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري دخل على ابيه يبكي وهو طفل : فقال له ما يبكيك فقال « لسعني طائر كانه ملتف في بردي حبرة » وعنى بذلك الزنبور

فقال حسان : « يا بنيّ قلت الشعر وربّ الكعبة »

وكثرت هذه الاساليب عند المتأخرين مثل قول عبد الحميد الكاتب « ان القلم شجرة ثمرتها الاوراق والفكر بحر لؤلؤهُ الحكمة »

ونظر ابو تمام الشاعر الى سليمان بن وهب وقد كتب كتاباً فقال « كلامك ذوب شعري »

وروى الحسن بن مخلد قال : انشدنا ابراهيم بن العباس لخاله العباس بن الاحنف :

ان قال لم يفعل وان سيل لم يبذل وان عوتب لم يعتبِ
صبٌّ بعصياني ولو قال لي لا تشرب البارد لم اشربِ

ثم قال : « هذا الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير العزيز الشبيه المطمع الممتنع البعيد مع قربه الصعب في سهولته » قال الحسن فجعلنا نقول هذا الكلام احسن من شعره

وعندنا كثير من هذه الامثلة كالمقامات والقطع النثرية ولكن من اكثرها شبهاً بالشعر ثلاثون مقالة لابن حبيب الحلبي المتوفى (سنة ٧٧٩ هـ — ١٣٧٧ م) ضمنها كتاب (نسيم الصبا) ورصعها بالاشعار الرقيقة

واقرب ذلك من الشعر البنود الخمسة التي وضعها ابن معتوق الموسوي توفى ١٠٨٧هـ ١٦٧٦ م) في آخر ديوانه وهي تكاد تحاكي الشعر بتقطيعها واساليبها واليك منها البند الثاني وهو « خالق اضحك في قدرته البرق • فابدى شنب اللمع وابكى مقل الودق •

فابكي درر الدمع فاحيي نقع الارض • فانبتن دنانير بهار حملتها قضب الشذور ....
اذا ما انفتحت كالمقل الرمد • من الشهد • بكت في درر الطل واشكال واجناس من الزهر والوان • ونسرين وفيروزج ريحان • واجفان لحين شخصت في حدق العسجد من نرجسها الغض وافواه اقاح بسمت عن شنب الدر • واسنان من الطلع وقامات من البان وساقات انابيب زجاج حملت من ورق الورد بمرجان وعقيان • ونارنج باشجار تضاهي اكر النار • وتفاح كوجنات عذارى شربت من راح • ورمان باغصان • ترى الاعين اذبان • نهوداً رفعت فوق خدود رقصت في حلل السندس • والروض كمي تحله الاطلس والآس له عذار في عارضه الاخضر • والزنبق قد صفف اعلام بني الابيض والنور به احدق في جند بني الاصفر • والشيح بها عنبر انواب صبا الريح • وليل الشجر المقمر في نور وفي الزبد • كانفاس حبيب حمل الورد على الخد • اذا بلله الطل روى عن شمل الند • فلا يعجزه ضد • ولا يشبهه ندٌّ • تعالى الصمد الفرد • كريم سبقت رحمته السخط له الحمد على الصحة والسقم • وفي العسر واليسر • وفي القوة والضعف مدى الدهر • وما سار شذا الزهر • على الريح مساءً نهاراً اهـ»

ومن هذا القبيل معاني الشعر المنثورة ومعظمها في كتاب نثر النظم للثعالبي والوشي المرقوم في حل المنظوم لابن الاثير وفي مثله للنابلسي امثلة منها ايضاً

اما قيد الشعر بالوزن والقافية فقد رأى الاندلسيون بعد استبحارهم في العمران فدحه لاقصمه فاخترعوا فن الموشحات الذي ينسب الى مقدم بن معافر الفريري منهم وتصرفوا بانواعها تصرفاً تجاوز المئات عداً لم يشتهر بين ايدينا من امثلتها الا عشرات اشهرها الموشحات السبع وطريقتها معروفة • فحبذا لو تصرفنا نحن بها تصرفهم بحيث نحل بعض القيود او معظمها مما يذهب بالمعنى او يقيد افكار الناظم فيكثر عندنا الشعر القصصي الذي نرى لغتنا بحاجة اليه

وقد فعل بعض معاصرينا مثل ذلك فان المرحوم رزق الله حسون الحلبي في كتابه (اشعر الشعر) حل قيود القوافي واطلق قلمه من بعض التزاماتها فجال فكره بالمعاني دون اعنات واعمال روية والمرحوم شاكر شقير اللبناني رثى المأسوف عليه سام دي بسترس بقصيدة ذات ٦٥ بيتاً غير قوافيها وابحرها دون تقيد وختمها بقوله معتذراً :

قد برت قوافي الشعر عن تأبينه والفكر صار للاضطراب يفرق

واذا تفنن شاعر في مثل ما يرثى السليم به شفاه المنطق

ولهذا ارى ان العدول عن الوزن والتقفية رأساً غير طبيعي لما يقتضيه الانتقال والتطوُّر من التدريج تعويداً للاذهان وتمريناً للاسماع التي الفت الاوزان والقوافي • فحبذا لو سلكنا اولاً طريقة بين طريقتي الاديبين اى ان ننسج الكلام مرسلاً او مسجعاً ولكنه مرصع بابيات من الشعر ليتردَّد الذهن بين حالة الشعر الموزون المقفى وغير الموزون منه مقفى كان او غير مقفى ولئلاً يكون كلامي دعوى بغير بيِّنة اعرض على الادباء مثالاً من هذا النوع من مقدمة لخطاب في الموسيقى القيته في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان) في شهر تموز سنة ١٩٠٤ بعنوان « الهواء والصوت » وهاك بعضهُ :

حييّت وحييت ايها الجسم اللطيف المحدق بالكرة الارضية · الذي زعم الاولون انك مبعث الارواح البشرية • فانتهى مذهبهم الى شاعر سيف الدولة · فردَّد الرواة قوله :

تبخل ايدينـا بأرواحنا   على زمانٍ هنَّ من كسبه
فهذه الارواح من جوّهِ   وهذه الاجساد من تربهِ

انت الداخل الى الانف والفم بالاستنشاق فتمر بالقصبة الى الرئتين وتقتبلانك بحركة اشبه بحركة المنفخ · فتنتشر في خلاياها نيث ما تحمله من الاكسجين في الدم لتنقيته · ثم تخرج منها مثقلاً بالحامض الكربوني وغيره الى المملكة النباتية حيث تستبدله بالاكسجين ثم تعاود عملك هذا بين تصويب وتصعيد · يارسول المملكتين النباتية والحيوانية انك كالنحلة تتشاغل بنقل الأري الى خلاياها لتصنع منــه عسلاً وتداب في العمل بياض نهارها · وانت تشتغل سواد الليل ايضاً فما احراك ان تكون مضرب الامثال للنشيط الذي لا يكلُّ من العمل

انت اذا اهتزت دقائق الاجسام تنقل اهتزازها الى محارة الاذن الخارجة فتقتبلك في مخادع تعاريجها وتدخلك بنظام الى صماخها فتقرع الطبلة فتذهب تلك الاهتزازات في غيابة التيه حتى تنقر العصب السمعي فيشعر الدماغ بما كنت ناقله اليهِ من اصوات وكلمات كانك السلك البرقي في نقل الاخبار · وكأن الاذن الفنوغراف في سرعة تلقيها · ولذلك سماها العرب قمع الفؤاد .

انت الذي تخرج عند الانفعال او الارادة مندفعاً من الرئتين بالعمل الآلي الجسمي ماراً في القصبة الى ان تصل الحنجرة فتحرك وتريها الصادقين كما تحرك اوتار العود بالنقر فتخرج الاصوات رخيمة او غير رخيمة بحسب ما في ذينك الوترين من التنظيم او التشويش فتبسط النفس او تقبضها · تلابس الاجسام وتتخللها في حين ان الشمس ترتدُّ عنها · ولذلك

قال المنازي في الظلال . وكفى به من مثال :

تصدُّ الشمس انى واجهتنا فتحجبها وتأذن للنسيم

بل انت الذي تشاهد الناس ولا يشاهدونك . وتجاريهم في عدوهم ولا يجارونك . بل انت الذي لا تصطاد في قفص . ولا يمكن ان تفوتك فرصة من الفرص

انت مرآة السماء والارض . تعكس صورها على صقيل صفحاتك . ومطرب الرياض ترقص اعطاف الاغصان وتصفق اكف الانهار على نغماتك

مرّ النسيم على الرياض مسلما سحرًا فردَّ هزارها مترنما

وحنى اليه الدهر مفرق رأسه ادبًا ولو ملك الكلام تكلما

كم انسللتَ وسط المياه بخرير لطيف . ومررت بين الاغصان والاوراق بصفير وحفيف . وجريت فوق الماء تسمع كلامه . فتقطب وجهه منك حتى اشبه اللامه . وكأني بالشاعر يستشف اسرارك . ويقول ناشراً اخبارك :

وتحدث الماء الزلال مع الحصى فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى

فكأن فوق الماء وشياً ظاهراً وكأن تحت الماء درًّا مضمرا

انت المغني في البادية الحارة كأن دقائق رملها اوتارك . والحر موقع الحائك والصحراء عودك الذي تتاه به اوطارك . الصافر في مراجل الآلات البخارية بصوت مخيف . الحافُّ في قطاراتها بلحن لطيف . المسمع من ثبج الامواج ما تنفطر لهوله القلوب . المتصادم في الجو بهزيم رعد تنقضُّ منه صواعق الكروب . القاصف في افواه المدافع بضغطك فتقذف من بطونها الكرات المصطكة عند التقاء الاسلحة بصليل تخرُّ له الهامات . المخرج من نفس الحزين زفراتٍ تذيب من القلوب الحبات . والمنفس كرب المتألم بالتنهدات . الحارُّ في حناجر الابواق . بين ايقاع واتساق . والنافخ في صدر البيانو وما شاكله باشارات الاصابع . فتشنف بانواع تلك الالحان هذه المسامع . الرانُّ في تجاويف الاجراس والجلاجل . المدير بحركتك الدائمة الآلات والمعامل . فكم فتحت المياه بزند منخاتك . وحفظت الدم في الجسم بضغطاتك . ولكم مررت بين الأوراق والاقلام . بصرير تنفتح له ابواب الافهام . فقال الزمخشري مفاخرًا . وكفى بما قاله فخرًا :

وصرير أقلامي على اوراقها اشهى من الدوكاء للعشاقِ

وألذُّ من نقر الفتاة لدفها نقري لالقي الرمل عن اوراقي

انك تحمل البخار المائي على اجنحتك مادام لطيفًا . وتبقى على ولائه ولو صار سحابًا كثيفًا . فاذا زاد ثقلاً مجّنه لطاقتك وارسلته مطرًا ساكبًا . او بردًا حاصبًا . انت ملعب الحشرات . ومسرح النيرات . ومربع الاصوات . وانت الذي في لطفه يضرب المثل . وفي كفه نرى الشمس كالمرآة في كف الاشل . كما قال ابن ساره . وفي قوله الطف اشارة :

والشمس في كف الهواء تجنجل يتوقد الهندي من فولاذه
ان قابلت مرآة رأيك ابصرت منها شبيهاً في يدي انقاذه

بل انت المحيط الفسيح الذي تمخر فيه بواخر المناطيد . وتخوض عبابه اشرعة الطيور بكل عزم شديد . بل انت ملوّن قبة الجلد بألوان الحدائق الزاهرة . وكلا اللونين ترتاح اليهما الباصرة :

وقد حكت الارض السماء بلونها فلم أرَ في التشبيه ايهما مما
تخضرتها كالجوّ في حسن لونه وانوارها تحكي لعينيك انجما

ففي لوحك يظهر السراب خادع الظمآن . وعلى لوحك تنطبع قوس قزح بابدع الالوان

وكأن قوس الغيم جنك مذهب وكأنما قطر الحيا اوتاره

وعلى صفحاتك تظهر إلهة الجمال مادةً اناملها الوردية لتفتح ابواب النهار . فيسطع الفجر بألوانه الجميلة بين شقيق وزعفران وبهار :

والجوّ في صفو الهواء موردٌ مثل المدامة في الزجاج تشعشع

ثم تعقبها إلهة المساء على مركبتها النارية مادةً اناملها المخضبة لتقفل باب الضياء . فتفتح للظلام ابوابًا يظهر من خلالها جمال الشفق بابهى سناء . فيخجل النهار من جمالها الفتان . و يتوارى بشخصه عن العيان :

اطلعت خجلته في خده شفقًا في فلق تحت غسق

انت زينت نحور الازهار بعقود الندى . ونقعت بها للشمس حرّ الصدى :

والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض الاّ من كؤوس الشقيق

وانت بددت فضلات الكؤوس رشاشات . وافعمت انف الكون بالروائح العطرات :

واذا رميت بفضل كاسك في الهوى عادت عليك من العقيق عقودا
يا صاحب العودين لا تهملهما حرّك لنا عودًا وحرّق عودا

ولكم اندلع بك لسان اللهيب فاخرج زفيرًا والتهم الحطب . وكم انفلتت من الكؤوس فرصعتها بدرّ الحبب :

واذا ما رمت ترمي شهباً فامزج الكاس بماء السحب

وارم شيطان هموم خطرت برجوم من نجوم الحبب

ولكم صافحت الاغصان • فجردتها من قلائد العقيان • وكتبت على المياه الاسطار• فانحنت لقراءتها الاشجار :

والطل في سلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحه النسيم فيسقطُ

والطير تقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقط

انت طبيب المرضى ونديم الاصحاء ولذلك قال فيك شيشرون شيخ الخطباء : « الهواء في اثينا جيد وهو علة نشاط السكان ولكنه في ثيبة ثقيل ولعله السبب في بلادة بني تلك الاوطان »

وانت الذي كانت الاعرابية تخرج اليه ولدها كل صباح فتقف على رابية وتصيح بهم اي صياح « تنشقوا هذا النسيم قبل ان تقوم الناس فتكدر صفوه بتوالي الانفاس »

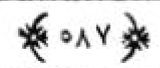
يغني المزاج عن العلاج نسيمه باللطف بين هبوبه وركوده

بل انت اب لابن الطود المعروف بالصدى الذي بنى على مبدإه ديونيسيوس سجناً به اعتدى • فاكتشف اسرار المسجونين بردّ صدى اقوالهم ووقف على مكنون مقاصدهم وخفي آمالهم بل انت الخارج من آلة السمكة الموسيقية الحانا تطرب لها حيوانات البحر وتصيخ آذانا بل انت الجمع الاضداد من تتروجين يطفئ، واوكسجين ذي ايقاد • والملقح الاشجار بنقل البذار • والقائد السفن نفخاً في اشرعتها • والرامي بها في جوف البحار تشرب كأس منيتها • بل انت الزامر في انابيب الشجرة المغنية فتخرج الحانا تلقنها الطيور • فترقص بلاد السودان على نغمتها بطرب وسرور

بل لولاك وانت الكرة المحدقة بنا لامتدت الينا اشعة الشمس بدون مانع • فكان ظهور الانوار واختفاؤها فجأة غير نافع

بل انت روح هذا الكون العظيم وجمال هذا الخلق الوسيم • مدت فيك اسلاك التلغراف كأنها تنقل نبضات فؤادك ونطقت السنة التليفون تترجم عن ودادك • وكأن مجموعها الشرايين والاوردة في الذهاب والاياب • وحسبك بنقل اشارات مركوني فخراً بين الصحاب

ألغز فيك الجرماني بقوله « ما شيء يمرّ على وجه الشمس ولا يلقي على الارض ظلاً » والفارسي بقوله « ما طائر يسير بلا رجل ولا جناح مستقلاً » • والافريقي بقوله « ما شيء يطير الى الابد • ولا يستقرّ في بلد » وعبيد بن الابرص العربي بقوله :



ما القاطعاتُ لارضٍ لا انيس لها تأتي سراعاً وما يرجعن انكاسا

فاذا قاطعت الدنيا لمحة طرف قامت وقعدت · واذا اعرضت عن مخلوقاتها لحظة اضطربت وارتعدت · واذا هببتَ اعصاراً · اقتلعتَ اشجاراً · واثرت بحاراً · وأنبت اضراراً واذا لطفت كثيراً اضقت الأنفاس وارعفت الانوف · فسبحان من جمع فيك الفوائد والحتوف

فانت الذي نحبه ونخشاه · ونبغضه ونهواه · نحبك اذا كنت مطرباً شجياً · متناسقاً طلياً · مفيداً نقياً وتخشاك عند ما تنقل الجراثيم القتالة · وتحمل على اجنحتك مسببات الوبالة

نبغضك عند ما تثير في وجوهنا الغبار المطبق · ونهواك لما ترفرف على اجنحة المراوح في الحرّ المحرق · فانت العدوّ والصديق · واللائم والرفيق · ولكن حسناتك اوفر من سيئاتك · ومنافعك اغزر من مضراتك :

نريد مهذباً لا عيب فيهِ وهل عود يفوح بلا دخان

ونرى القائل لم ينصفك بهذا النظام · بل خالف ما عرفهُ من خفتك الانام · وهو :

ثقلت زجاجات اتتنا فرغاً حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت ان تطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالارواح

بل انت مسرّح النبات شعر الطبيعة · بكفك اللطيفة البديعة :

وتُرخي علينا للغصون ذوائبٌ تسرّحها كف النسيم بلا مشط

بل انت روح الموسيقى ومكيف الغناء · انت هو المادّة المعروفة بالهواء · التي ظنها الاولون من العناصر · وراها المتأخرون مزيجاً بديع المآثر :

كأنك من كل النفوس مركّبٌ فانت الى كل الانام حبيب

فالكم طرتَ بالنفوس على تموّجات رخيم الاصوات · وانتقلت بها الى عالم السموات · فانت الحبيب الذي لا يغيب :

تراهُ ان غاب عني كلّ جارحةٍ في كلّ معنىً رقيقٍ رائقٍ بهج

في نغمة العود والناي الرخيم اذا تآلفا بين الحان من الهزج

(زحلة لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

مدرس آداب اللغة العربية بالكلية الشرقية

باب السؤال والاقتراح

مساكن البشر

(القاهرة) مصطفى افندي محمد المغربي

كيف توصل الانسان الى بناء المنازل

(الهلال) توصل اليها بطبيعة العمران على ما اقتضته احواله فشعر اولاً بحاجته الى ملجإ يقيه حمارة القيظ صيفاً وصبارة البرد شتاءً وكان يرتعد لقصف الرعد وهبوب الريح ويخاف ونوب الوحوش الكاسرة فلجأ اولاً الى اظلال الاشجار فاتخذها مبيتاً له . فكان اذا سمع قصف الرعد مثلاً ظنه هاجماً يريد افتراسهُ فيسرع الى شجرة يستظل بها او صخر يختبيء وراءه فان رأى شبحاً بعيداً ظنه وحشاً مفترساً فيتسلق الشجرة يستتر بين اغصانها مذعوراً وعيناه شاخصتان الى ما حوله لئلا يذهب فريسة الوحوش . فرأى مقامه بين الاغصان قد عصمه من الضواري ولكنه لا يقيه المطر والريح فتفنن في بناء هذا المأوى متمثلاً بالطير في بناء عشه فجعل يرتب الاغصان على شكل جدران تساعده في دفع تلك المضرات . وربما كان ذلك غالباً في الاصقاع الخصبة ذات الاشجار اما سكان البلاد الجرداء فاضطروا اولاً للالتجاء الى الصخور ثم ما لبثوا ان اهتدوا الى الكهوف والمغاير الطبيعية لانها اكثر مناعة واقوى على دفع طوارق الطبيعة فاتخذوها مأوى يقيمون فيها ليلاً فاذا طلع الفجر خرجوا يطلبون الغذاء . ولا يزال كثير من الكهوف القديمة باقياً الى يومنا هذا وفيها آثار الآدميين وادواتهم تدل على سكناهم تلك الاماكن دهوراً

على ان الانسان قادر بفطرته على الاختراع والاستنباط فيما تسوقه اليه ضرورة معيشته وهو مطبوع على التقليد والاقتداء فلما رأى الكهوف سكنها ثم لما سكن ارضاً لا كهوف فيها قلد الطبيعة فنحت الكهوف وبنى البيوت بالعصي والاغصان يقلد الطيور ببناء اعشاشها ولا تكاد ترى امة نشأت في بلاد جرداء الا اتخذت الكهوف والمغاير مأوى ويؤيد ذلك ما رواه مؤرخو المسلمين عن قبيلة ثمود فقد ذكروا انهم كانوا يختون بيوتهم

في الصخور بين الحجاز والشام وان صاحب الشريعة الاسلامية بينما كان عائداً من غزوة تبوك مرّ بها فنهى عن دخولها . وقد عثر الباحثون على آثار تلك المنازل وما نقش عليها من الرسوم والحروف . وفي انحاء الصعيد المصري كثير من امثال هذه المغائر كان يتخذها المصريون مدافن وقد سكنوا بعضها

وربما اراد الانسان تقليد الطيور في بناء اعشاشها فغرس أعمدة على شكل دائرة وملأ ما بينها بالاغصان ثم رأى اوراق الشجر تتساقط اذا جفت فغطاها بتراب مجبول بالماء تشبهاً ببعض اصناف الطير فصار ذلك البناء كوخاً . والغالب ان يبنيه على شكل مخروطي او هرمي لاستغنائه في ذلك عن السقوف

وابسط ما خطر للانسان في بناء المنازل بالاحجار انه حمل بضعة احجار ضخمة او دحرجها وجمعها فرتبها على شكل مربع او ما يشبهه ثم جاء ببعض الاعمدة والاغصان او جزوع الشجر لجعلها سقفاً او استعان بجيرانه وابناء قبيلته على رفع صخر كبير اقامه مقام السقف ولا يستطيع ذلك منهم الا شيخ القبيلة او كبير العائلة ولو أبيح لنا تصور قرية أولئك القوم في عالم الوهم لرأيناها عبارة عن عشرات من الاكواخ المبنية بالاغصان والاعمدة على اشكال مخروطية او هرمية او موشورية اشبه شكلاً ببعض الخيم البدوية وفي وسطها بيت قائم من الصخور . وفي اطلال بعض جهات أوربا وغيرها ابنية يتألف الواحد منها من خمسة احجار اربعة للجدران وحجر للسقف وابنية مستديرة الشكل مؤلفة من الاحجار الضخمة سقوفها احجار مثلها وقد عثروا على مثل هذه الابنية في بعض انحاء الهند واميركا وافريقيا وبلاد العرب وفي أكثر الآثار القديمة السابقة لزمن التاريخ على ان بعض قبائل الهند لا تزال حتى الآن تقيم في مثل هذه الابنية تأييداً لقدم او تذكاراً لعهد

كل ذلك والانسان لم يهتدِ الى نحت الحجارة او اصطناع القرميد . على انه لما اهتدى اليهما بنى اولاً البيوت الهرمية الشكل كالاهرام المصرية وما شاكلها وفي بعض اصقاع أوربا آثار لابنية قديمة العهد اشبه شكلاً بالاكواخ المصرية مصنوعة من الطين او منه ومن الحجر والاغصان او ما شاكل ذلك سقوفها مستديرة او مخروطية

اما اصطناع القرميد ونحت الحجارة على الاشكال المعروفة فقديم جداً لم يدركه التاريخ وبعض الآثار المصرية الباقية الى هذا العهد في انحاء الصعيد قد مرّ عليها آلاف من السنين وبعضها من ابدع ما صنعته يد الانسان

فيستنتج مما يقدم اجمالاً ان الانسان تدرّج في صناعة البناء من تقليد الطبيعة في نحت الكهوف وتقليد الطيور في اصطناع الاكواخ الى اقامة الجدران من الصخور الضخمة على غير انتظام ثم بنى الجدران المنتظمة على اشكالها البسيطة واخيراً توصل الى بناء الاشكال الكروية كالاقواس والقناطر وسائر الاشكال الهندسية في البناء ونحت التماثيل المشابهة لبعض انواع الحيوان كالاسود واعظم ما بقي منها تمثال ابي الهول القائم بجانب اهرام الجيزة وهو تمثال اسد براس انسان نحتته العائلة المصرية الثالثة وهو اقدم التماثيل المعروفة واضخمها

واخذت صناعة البناء تتسع وتتفرع تبعاً لاحوال العمران حتى تعددت انواعها ولكل نوع منها نمط خاص كالنمط المصري والاشوري والعبراني واليوناني والرّوماني والبزانطي والقوطي والكلتي والعربي وغيرها



عيدان الكبريت

(الاسكندرية) السعد افندي سليم

من هو مصطنع عيدان الكبريت ومتى كان ذلك وكيف توصل الانسان اليه

(الهلال) ان النار من اهم ما يحتاج اليها الانسان في احوال حياته لاننا بدونها لا نقدر على عمل ومع ذلك فقد قلَّ من بحث عن اصل اختراعها او عن مخترعها . على ان الذين بحثوا في ذلك لم يستطيعوا الوقوف على حقيقة ولكنهم علموا ان الانسان توصل الى اشعال النار اولاً بواسطة الفرك اذ علم بالاختبار البسيط ان الفرك يولد الحرارة فما زال يتدرّج حتى وصل الى ايقاد النار به ولا يزال بعض الامم المتوحشة يولدون النار بالفرك الى الآن ثم توصل الانسان الى توليد الشرر بالزناد وهو عبارة عن ضرب الفولاذ على الصوان فيتولد من تلك الصدمة شرارة تشعل بعض المواد السريعة الاشتعال كالصوفان او نحوه والزناد مستعمل عند اهل البادية الى اليوم . وقد اتخذ الانسان اساليب اخرى من هذا القبيل ترجع الى مبدإ واحد

اما عيدان الكبريت فهي حديثة العهد اخترعها رجل اسمه (ووكر) من اهل ستوكتن في انكلترا سنة ١٨٢٩ ولكنها لم تستعمل الا سنة ١٨٣٤ واول معمل تأسس لاصطناعها

اليوم . لان أقدم قطعة كانت موجودة قبلها انما هي من القرن السابع . وأما فائدتها الخطية فتنحصر في كونها هي القطعة الوحيدة من ذلك العهد المنقوشة بكتابة نسخية اذ أن الكتابة الكوفية مازالت تكتب على الآثار الى أواسط القرن السادس

« ولاجل التثبت من ان هذه المقلمة صنعت على أيام الامام الغزالي خطر ببالي لاول وهلة أن أعمل ما يعمله « أرباب الخبرة » في مضاهاة الخطوط فأخذت أقارن الكتابة المنقوشة على المقلمة بأقدم الكتابات النسخية الموجودة بدار الآثار ومن المقارنة تحققت تمام الشبه بين أشكال حروف الكلمات المنقوشة على المقلمة وفي أحد الالواح الرخامية لدينا . وثبت عندي ان أوضاع الكلمات المكررة في الاثرين متحدة في الرسم ولم أكتف بذلك بل ضاهيت نقوش المقلمة على نقوش الكتب الخطية المحفوظة في المكتبة الخديوية التي يرجع تاريخها الى القرن الخامس الهجري فتأكدت من التشابه التام

« وقد اعترض عليَّ بعضهم وقال ما المانع من أن تكون هذه المقلمة صنعت بعد عصر الغزالي بقرنين أو ثلاثة وأهديت لمكتبته فأجبت على هذا الاعتراض بأن المكتبات انما تهدى اليها الكتب والكرات السماوية ونحوها من الآلات ذوات القيمة العلمية لا المقلمة والدواة اللتان هما من الادوات التى تهدى للاشخاص يستعملونها وفضلاً عن ذلك فلو كانت هذه المقلمة أهديت الى المكتبة بعد موت صاحبها لكتب عليها « لخزانة المرحوم الغزالي » كما نشاهد ذلك على بعض الادوات التى تهدى بعد وفاة المهدي اليهم وأمثلته كثيرة في دار الآثار » اه

الشعر الوصفي

في اللغة العربية

الوصف في الشعر العربي قليل واكثر من اجاد فيه الاندلسيون فنظموا في وصف الابنية والقصور ومن احسن شعراء الاندلس وصفاً عبد الجبار بن حمديس فقد نظم في وصف دار المنصور بن الاعلى في بجاية عدة قصائد منها قصيدة وصف بها بركة عليها اشجار

من ذهب وفضة ترمي فروعها في الماء وذكر أسوداً على حافاتها تقذف المياه من افواهها على ما ذكرناهُ في الجزء الخامس من تاريخ التمدن وانما اردنا نشر القصيدة كاملة هنا لانها من احسن القصائد الوصفية قال :

وضراغم سكنت عرين رياسة ... تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى انضار جسومها ... وأذاب في افواهها البلورا
أسد كان سكونها متحرك ... في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكانما ... اقعت على ادبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها ... نارا والسنها اللواحس نورا
فكأنما سلّت سيوف جداول ... ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكانما نسج النسيم لمائه ... درعا فقدّر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها ... عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى ... سحر يؤثر في النهى تاثيرا
قد صوبحت اغصانها فكانما ... قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكانما تأبى لواقع طيرها ... ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى اقدامها ... ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فان شدت ... جعلت تغرّد بالمياه صفيرا
وكانما في كل غصن فضة ... لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها ... فوق الزبرجد لؤلؤاً منثورا
ضحكت محاسنه اليك كانما ... جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصفح الابواب تبرًا نظروا ... بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت ... تلك النهود من الجنان صدورا
خلعت عليه غلائلاً ووشيه ... شمس تردّ الطرف عنه حسيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفه ... ابصرت روضاً في السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي ... حامت لتبني في ذراه وكورا
وضعت به صناعها اقلامها ... فأرتك كل طريدة تصويرا
وكانما للشمس فيه ليقة ... مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكانما اللازورد فيه مخرم ... بالخط في ورق السماء سطورا

وكانما وشوا عليه ملاءة ... تركوا مكان وشاحها مقصورا

وله قصيدة في وصف بركة تجري اليها المياه في شاذروان من افواه طيور وزرافات واسود قال منها :

والماء منه سبائك من فضة ... ذابت على درجات شاذروان
وكانما سيف هناك مشطب ... القته يوم الحرب كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجباً ... من دوحة نبتت من العقيان
عجباً لها تسقي الرياض ينابعا ... نبعت من الثمرات والاغصان
خصت بطائرة على فنن لها ... حسنت فافرد حسنها من ثان
قس الطيور الخاشعات بلاغة ... وفصاحة من منطق وبيان
فاذا اتيح لها الكلام تكلمت ... بخرير ماء دائم الهملان
وكأن صانعها استبد بصنعة ... فخر الجماد بها على الحيوان
اوفت على حوض لها فكانها ... منها على العجب العجاب رواني
وكأنها ظنت حلاوة مائها ... شهداً فذاقته بكل لسان
وزرافة في الجوف من انبوبها ... ماء يريك الجري في الطيران
مركوزة كالرمح حيث ترى له ... من طعنة الحلق انعطاف سنان
وكأنها ترمي السماء ببندق ... مستنبط من لؤلؤ وجمان
لو عاد ذاك الماء نفطاً احرقت ... في الجو منه قميص كل عنان
في بركة قامت على حافاتها ... اسد تذل لعزة السلطان
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها ... فلذاك انتزعت من الابدان
وكان برد الماء منها مطفئ ... ناراً مضرمة من العدوان
وكانما الحيات من افواهها ... يطرحن انفسهن في الغدران
وكانما الحيتان اذ لم تخشها ... اخذت من المنصور عقد امان

وللحاجب جعفر المصحفي في وصف سفرجلة قوله :

ومصفرة تختال في ثوب نرجس ... وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه ... ولون محب حلة السقم مكتسي
فصفرتها من صفرتي مستعارة ... وانفاسها في الطيب انفاس مؤنسي
وكان لها ثوب من الزغب اغبر ... على جسم مصفر من التبر املس

فلما استتمت في القضيب شبابها وحاكت لها الاوراق اثواب سندس
مددت يدي باللطف ابغي اجتناءها لاجعلها ريحانتي وسط مجلسي
فبزت يدي غصباً لها ثوب جسمها واعريتها باللطف من كل ملبس
ولما تعرت في يدي من برودها ولم تبق الا في غلالة نرجس
ذكرت لها من لا ابوح بذكره فأذبلها في الكف حرّ التنفس

جمعية زهرة الاحسان في بيروت

مثال لما تستطيعه المرأة الشرقية من الخدمة العامة

احتفلت هذه الجمعية في ٢٢ ابريل الماضي بيوبيلها الفضي لمضي ٢٥ عاماً على تأسيسها احتفالاً شائقاً شهده الوجهاء وخطب فيه الخطباء فذكروا حسنات هذا المشروع وما نجم عنه من الفوائد واثنوا على مؤسسيه والقائمين بهِ ولا نرى خيراً في الثناء على هؤلاء الفضلاء من ان ننشر خلاصة تاريخ هذه الجمعية من تقرير لحضرة الآنسة حنينة نسيم طراد عن اللجنة والمدرسة لخصته جريدة المحبة · وفي ذلك قدوة لمحبي المشروعات الخيرية خدمةً لبني الانسان فيظهر للملاء ان المرأة الشرقية قادرة على القيام بامثال هذه المشروعات مما ينقضي بهِ الوقت بما يلذ وينفع بدلاً من قتله بالبطالة او المقامرة — قالت :

« تأسست لجنة زهرة الاحسان في ٢٧ نيسان (افريل) سنة ١٨٨٠ وكانت الداعية الاولى الى تأسيسها الزاهدة مريم جهشان ما لبثت ان ابدت فكرها هذا الى السيدة املي سرسق حتى استحسنته ودعت فريقاً من اوانس الثغر فالفن لجنة وقررن وجوب انشاء مدرسة لتعليم فقيرات الملة · واذ رأين ان المال قوام كل الاعمال بدأن بجمع الصدقات من المحسنين وقد بلغ ما جمعنه في العام الاول ستين الف غرش وفي نهاية عامهن هذا اصدرت اللجنة تقويماً عن خلاصة اعمالها السنوية ودخلها ومصاريفها · ومن هذا العام يبدأ تاريخ نشأتها الحقيقي · ومما يسطر بمداد السرور أن من الاعضاء المؤسسات اربعاً يشهدن اليوم مع باقي الاعضاء هذا الاحتفال الرائع بعد مثابرتهن في خدمة الانسانية ٢٥ سنة دون انقطاع نذكر اسمائهن تيمناً وهن : السيدة املي سرسق والاخت مريم جهشان والسيدة حلا فرنيني والسيدة فريدة غرزوزي

« واخذت صدقات المحسنين تتوارد على اللجنة ودخلها يزداد عاماً بعد عام حتى بلغت الى

سنة ١٨٩٠ زهاء مئة وعشرين الفاً والى عام ١٩٠٠ نحو مئة وثمانين الفاً والى عام ١٩٠٥ ما يقارب المئتي الف · ومورد هذا الدخل من الاشتراكات والصدقات واجرة التعليم من البنات الموسرات واليانصيب وتمثيل الروايات الادبية المحضة واجرة خياطة واشغال يدوية · وهكذا كانت تزداد النفقات السنوية بازدياد الواردات وتوسيع دائرة الاعمال ولكنها كانت ترصد كل عام مبلغاً لتنفق من مجموعه على بناء هذه المدرسة القائمة امامكم اليوم بظل العرش الحميدي الانور وبقي في صندوقها من المال الاحتياطي الى عام ١٩٠٥ مبلغ ٦٢ الف غرش

«اما مدرستها فقد انشئت في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٠ وقبلت عدداً معلوماً من البنات اليتيمات لا يربو على عشرين منهن كانت نقيتهن ونكسوهن ونقدم لهن الكتب مجاناً · وقد رأت من المناسب أن نقبل عدداً من الموسرات اجابة لطلب الكثيرين فتركت مركزها الاول قرب كنيسة القديس مارون وانتقلت الى محل آخر بقرب حاووز (الدحديلة) وبقيت فيه بضع سنوات كان عدد الطلبات يزداد كل عام عما قبله حتى ضاق بهن المحل واضطرت اللجنة الى نقل مدرستها الى مكان آخر فسألت المثلث الرحمات المطران غغرئيل وكان يظهر لها كل عناية والتفات ان يسمح لها بارض من الموقوفات لبناء مدرسة خاصة تشبهاً بالمدارس الكبرى فاجاب طلبها ووهبها قطعة ارض مناسبة فاستبدلتها بقطعة غيرها حيث هي مدرستها الآن دفع ثمنها من صندوق وقف كنيسة القديس جاورجيوس وشرعت حالاً في بناء القسم السفلي من المدرسة ولما لم يكن لديها ما يكفي من المال توقفت مدة ريثما تيسر لها ان يواصلها المحسنون بالاعانات الكافية فاتمت مدرستها شيئاً فشيئاً حتى بلغت ما هي عليه من الكبر والترتيب

«وقد بلغ عدد الطالبات في هذه السنين الاخيرة نحو مئة وستين تلميذة من الموسرات وسبعين من يتيمات ومعوزات وعدد اللواتي انهين دروسهن فيها او قاربن الانتهاء واخذن الشهادات المدرسية بلغ ثلاثمائة وخمسين تلميذة منهن مئتان وستون موسرة وتسعون يتيمة ومعوزة · اما علومها فالعربية والافرنسية بفروعها والانكليزية اختياراً ومبادىء اللغتين اليونانية والروسية وبعض العلوم الرياضية والطبيعية والصحية والموسيقى والخياطة والتطريز والاشغال اليدوية بانواعها وتدبير المنزل واللغة الفرنساوية · ولبعض هذه العلوم معلمات تحضرهن اللجنة على نفقتها من أوربا من اللواتي توفرت فيهن الاداب والفضائل وتخرجن في المدارس العالية

« وقد بدا الاخت مريم جهشان تأسيس رهبنة عاملة تعزيزاً للمدرسة وتوفيراً لفوائدها ففاوضت في ذلك المثلث الرحمات المطران السابق فاستصوبه وسام اول راهبة له عام ١٨٩٧ وفي عامي ١٨٩٨ و ١٩٠٠ سام راهبتين ومنح الاخت مريم جهشان مع رئاسة المدرسة رئاسة الرهبنة ودعيت رهبنة القديسة كاترينا لنفع مدرسة زهرة الاحسان. وعام ١٩٠٣ سام سيادة الحبر الجليل مطراننا المحبوب راهبتين وفي العام الغابر سام سيادته ثلاث راهبات فصارت هذه الرهبنة مؤلفة اليوم من الرئيسة وثمان راهبات وخمس مبتدئات وكلهن قائمات بخدمة المدرسة افضل قيام

« ورأت اللجنة ان مدرستها كادت تضيق بالطالبات فقررت فصل اليتيمات عن الموسرات وخصصت لكل منهما محلاً خاصاً غير منفصل وابدت فكرها الى سيادة راعينا المفضال كيريوس كيرجراسموس وسألته ان يهبها قطعة ارض من وقف كنيسة القديس جاورجيوس مجاورة للمدرسة فوعدها خيرا

« وقد لاح منذ بضع سنوات لحضرة السيدة املي سرسق ان تضمن حياتها صانها الله لنفع المدرسة على مبلغ خمسة وعشرين الف فرنك لمدة عشرين سنة تدفع اقساطها من مالها الخاص واقتفت اثرها المشكور حضرة الاخت مريم جهشان وضمنت حياتها حفظها الله على مبلغ عشرة آلاف فرنك لمدة عشرين سنة. وقد بدا لحضرة الوجيه المحسن الغيور يوسف افندي سرسق وابنة اخيه السيدة املي ان يوقفا من مالهما الخاص ملكاً الى المدرسة للانتفاع بريعه . فوهبهما المثلث الرحمات المطران غفرئيل لهذه الغاية قطعة ارض مع الفرن الكائن في حي القديس نيقولاوس وبنيا دكاكين فيها ودارين علويين بلغت نفقتها مائة وثلاثين الف غرش وسجلت القطعة المذكورة مع البناء باسم المدرسة بحجة شرعية

« وقد عرفت هذه الفاضلة ضرورة وجود الاوقاف للمدرسة لحفظ كيانها في المستقبل تخصصت مبلغاً من مالها الخاص للشروع في بناء وقف لها غير ما ذكر ولما لم يتيسر لها وجود قطعة ارض موافقة ابقت المبلغ المذكور برسم البناء تحت الفائض وقد بلغ الى اليوم ثمانية وسبعين الف غرش

« وهذا ايها السيدات والسادة بيان ما تحويه المدرسة من عقار ونقود وغيرها :

(١) وقف الخواجه يوسف سرسق والسيدة املي جورج سرسق في حي القديس نيقولاوس البالغة قيمته كما ذكر مائة وثلاثين الف غرش

(٢) مبلغ ٦٢,٠٠٠ غرش نقود في صندوق اللجنة تحت الفائض

(٣) مبلغ ٢٥,٠٠٠ فرنك قيمة الضمان بأسم المدرسة من السيدة املي جورج سرسق

(٤) مبلغ عشرة آلاف فرنك قيمة الضمان بأسم المدرسة من الاخت مريم جهشان

(٥) مبلغ ٧٨,٠٠٠ غرش نقود عند السيدة املي جورج سرسق تحت الفائض وهو ما تبرعت به برسم بناء وقف الى المدرسة كما ذكر

(٦) مبلغ ٤٠٠ ليرة انكليزية موقوفة عن نفس المغفور له والمأسوف عليه جبران خليل سرسق برسم محل للعبادة في المدرسة وقد استحسن سيادة راعينا الجليل هذا الرأي و بمناسبة عيد اليوبيل قدم للمدرسة طقماً كاملاً لخدمة القداس من كاس وصينية و بيت قربان واواني فضية ومحلاة بالذهب وذلك عربون للكنيسة المنوي اقامتها

(٧) مائة ليرة تبرعت بها رئيسة اللجنة السيدة املي سرسق هدية يوبيل اللجنة والمدرسة

(٨) خمسة آلاف غرش تبرعت به السيدة حنة عقيلة خليل يوسف فريني واحدى اعضاء اللجنة وهو موقوف تحت طلب اللجنة عند الشروع في بناء قسم البنات اليتيمات » اه

السوري في البرازيل

لا شيء يدلّ على نشاط السوري واقدامه مثل تجشمه مشاق الاسفار للتجارة في بلاد بعيدة الشقة غريبة الدار تختلف عن بلاده عادة ومذهباً وخلقاً ولغة وقد يقطع اليها البرّ والبحر وهو لا يعرف لسان اهلها — و بعضهم يجهل القراءة والكتابة في لسانه . فلا يلبث ان يبيع و يشتري و يكسب و يثري او يذهب ضحية نشاطه وعلوّ همته . وقد نبه فكرنا الى ذلك كتاب الفه جرجي افندي توما الخوري سماه « الدليل الى البرازيل » نشر فيه رحلته الى تلك البلاد وذكر ما لاقاه في طريقه وافاض في ذكر حال السوريين بالبرازيل وما يقاسيه صغار الباعة في سبيل الكسب من المشاق والاخطار ولا سيما في اسفارهم البرية لبيع السلع على اهل القرى واليك قوله في هذا الشان :

« شخص احد الفلاسفة في خطابه ذلك التنين الهائل ذا السبعة الرؤوس المفعمة سماً زعافاً . والاتجار في تلك الصحاري الواسعة اشبه شيء بالتعرض لتلك الرؤوس السامة من حيث كمية المهالك وكيفيتها مما يعرض للتجار في طرقهم فان تخلص احدهم بحذقه ودرايته من الاول فقد لا ينجو من الثاني وان نجا من الستة فلا ينجو من السابع لانه شر منها كلها وهذه المهالك سبعة بعدد الرؤوس المذكورة وهي :

اولاً . قطاع الطرق في تلك الغابات والادغال فان قتل الانسان عندهم (بشخرة) وكثيرون لاقوا حتفهم فيها وذهب دمهم هدراً

ثانياً . وعورة الطرقات والتعرض لنفح البرد ولفح الحر فكم وكم من الذين اصيبوا بالرعن من شدة الحر

ثالثاً . الوحوش الضارية والافاعي الهائلة فانها تجعل النوم محرماً على العيون في تلك الفلوات السحيقة

رابعاً . ان الطمع يحمل بعض البرازيليين الذين يحلون الباعة عندهم على ان يفتكوا بهم ويسلبوهم دراهمهم وامتعتهم ويطرحوهم في الاودية

خامساً . ان الزنوج الوطنيين الذين يستأجرون لنقل البضاعة قدتسول لهم نفوسهم السوء فيثبون على البائع على غرةمنه فيقتلونه ويفوزون بماله او انه يغلظ لهم القول لمخالفتهم فيجندلونه صريعاً

سادساً . يحدث كثيراً ان الطريق التي يسير فيها البائع لاول مرة قد سار فيها غيره من قبله فاذا التقيا يبتدىء هذا بتقريعه فيحتدم الجدال بينهما حتى يفضي الامر الى وقوع احدهما قتيلاً

سابعاً . ان البائع يضطر الى فتح باب واسع للديون فاذا لم يفعل قد لا يبيع بمخرجه والربح يغز وبعد ان يبيع البضاعة لو سئل كم قبض من اثمانها لاجابنا الربع او اقل ثم يسعي في جمع الديون وهناك الشقاء بتمامه . . هناك يلزم الدائن حكمة سليمان وصبر ايوب ودهاء لقمان

يأتي احدى القرى فيسال عن (فلان) احد مدبونيه فيقال له رحل فيسال عن غيره فيقال له مسكين تجارته بالبن كانت خاسرة فيذهب اليه و يطالبه فان طالبه بلطف وكان هذا من الذين يرغبون في وفاء ما عليهم قال له « ايس لي الا كم رأس بقر وثمن الواحد من ٧٠٠ الى ٨٠٠ وهو لا يساوي اكثر من ٣٠٠ — ٤٠٠ غرش فيضطر ان يقبل و يبيع البقر بالاسعار المذكورة (مكسب جحي بالبيض) و يعطيه بالباقي صكاً

هذا اذا توفق اما اذا خانه الحظ وكان غريمه ممن يهضمون حقوق العباد فيغلظ له في الجواب وان راجعه بالمطالبة هدده بالقتل وان لم يكف عنه اعطاه ولكن من فم المسدس . . ويدعي بعدئذ انه قتله دفاعاً عن نفسه ولم نسمع بامضى من يد البرازيلي في القتل فهو اذا شهر المسدس فلا يعيده الا بعد قضاء الغرض ولا غرو فالبرازيليون اشتهروا بسفك الدماء او باصابة المرمى وكثيرون منهم يصوبون السهم او البندقية نحو احدى عيني الحيوان

فيصرعونه لكيلا يصاب جلده فيحط ثمنه . فتأمل !

واذا كنا قد ذكرنا هذه المخاطر فماذا نقول عن سفر الباعة في النهر اسابيع بل اشهراً عديدة وهم في كل لحظة عرضة للمتوحشين من الجانبين فان من هؤلاء خلقاً كثيرا يسكنون المغاور ويأكلون الحيوانات وعشب الارض شان وحوش البرية

اما الديون ففي تقييدها ما يضحك الثكلى واليك المثال

فان احد المهاجرين وشريكه يقيدان الديون وهكذا :

عند العبدة وصهرها ٤٠٠ غرش

على درب دوفينوا عند صاحب الدكان ١٥٠٠ غرش

وغيرهما كان يقيد هكذا :

عند بلي على بابها جرس	٢٥٠٠ غرش
عند المرا الحبلى	١٤٠٠ »
عند بلي عطريق البوندى	٦٥٠ »
عند ابو اللحية الطويلة	٣٤٠٠ »

(ملحة) . ان صاحب اللحية المذكورة ادرك كيفية تقييد القيمة عليه فذهب وحلق لحيته وجاء الى البائع طالباً منه ان يعلمه بماله عليه فقال له لا اعلم ان لي عندك دراهم فأجابه ا تذكر الاشياء التي اخذتها منك فقال نعم اذكرها ولكن هي على صاحب اللحية الطويلة فاغرب الرجل في الضحك وقال له انا هو صاحب اللحية الطويلة في الامس

وغيرهم كان يقيد الديون على باب الدكان باصطلاح غريب فيقيد المائة هكذا ٥ والالاف وقس عليهما في هذا الباب . فاتفق انه غير مكانه فبقيت الارقام المذكورة على الباب واختلف مرة هو واحد مديونيه على ٢,٥٠٠ غرش ولما لم يقنع بكلامه وبرهانه طلب اليه احضار الباب ليحبط عزمه اما هو فلم يبال باحبولته وذهب واشترى الباب الذي قيد عليه القيمة وحمله حتى كاد يتزق الى ان وصل به ولكن بحالة يرثى لها لان المسافة بضع ساعات فسمع به احد كبار الزراع ويسمى هناك (افزنديري) فسوى بينهما واخذ المصراع ليحفظه عنده اثراً ماثوراً لهذه الحادثة . اه

فهؤلاء مع سداجتهم وما يعترض سعيهم من العقبات يعود أغلبهم ظافرين غانمين . وقد افرد حضرة المؤلف باباً خصوصياً ذكر فيه نصائح حسنة يجدر بطلاب السفر الى البرازيل ان يتدبروها

مطبوعات جديدة

﴿المنبر﴾ من اظهر دلائل النمو والارتقاء ان يتفرع الحي النامي الى فروع تنفصل عن امها وتنمو مستقلة . والمنبر صحيفة سياسية يومية كان صاحباها محمد افندي مسعود واحمد افندي حافظ عوض يحرران جريدة المؤيد ثم خرجا منها للاستقلال بانشاء هذه الصحيفة بعد اختبار بضع عشرة سنة في الصحافة تحريرًا وادارة . ولذلك فاننا نرجو للمنبر رواجاً ووقعاً حسناً لما نعهده في صاحبيه من سعة الاطلاع فضلاً عن طول الاختبار . وبدل الاشتراك بمصر ١٥٠ غرشاً وفي الخارج خمسون فرنكاً

﴿الاقلام﴾ هي مجلة عمومية تصدر بمصر مرة في الشهر تبحث في كل فن ومطلب لمنشئيها جورج افندي طنوس ومحمود بك ابي حسين و يشترك في تحريرها نخبة من الشعراء والمنشئين . بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً في القطر المصري و١٥ فرنكاً في الخارج . وقد تصفحنا الجزء الاول فرأينا العناية والاجتهاد ظاهرين في كل صفحة منه فضلاً عما يتخلل ذلك من حسن الاختيار للمواضيع النثرية والشعرية مما يلذ ويفيد . فنتوقع للاقلام ثباتاً وانتشارًا لانها ملأت فراغاً في الصحافة كان معدًا لمثلها مع شدة افتقار هذه النهضة الى المجلات ولا سيما الادبية التهذيبية

﴿السل الرئوي﴾ هو كتاب في السل الرئوي وعلاجه والوقاية منه تأليف الدكتور خليل بك سعادة نزيل القاهرة ضمنه ابحاثاً مفيدة في اسباب هذا الداء وانتقال عدواه بين الناس عن طريق الطعام وغيره والتحوطات ضد الباشلوس . وبسط اعراضه وعلاماته على اختلاف اشكالها في تفاوت ادواره المزمنة والحادة وبيَّن سيره وانذاره ثم تقدم الى العلاج فذكر الاستشفاء بالهواء المطلق في المصاح او في منزل العليل والمعالجة بالعقاقير الدوائية ومعالجة الاعراض الخاصة وغير ذلك . وقد اسند اقواله الى فطاحل العلماء الذين عوَّل على آرائهم من انكليز وفرنساويين وألمان فذكر اسماءهم في هوامش الكتاب غير ما ذهب اليه من عند نفسه بعد طول اختباره . وقد عرفنا المؤلف كاتباً باحثاً وله مقالات كثيرة في العربية والانكليزية نشرت في المجلات والجرائد في الطب والادب والتاريخ وكتب نشرت على حدة منها رواية كيلوبطرا بالانكليزية ورواية في الثورة الروسية بالعربية وقد أجاد فيها — فكيف في ما يكتبه بالطب وهو مهنته التي زاولها

نيفاً وعشرين سنة والكتاب الذي نحن بصدده فريد في بابه وقد طبع بنفقة مطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها وثمن النسخة عشرة غروش غير اجرة البريد

﴿ غرائب الاتفاق ﴾ واهدتنا مطبعة المعارف المذكورة الجزء الرابع من رواية غرائب الاتفاق تعريب المرحوم شاكر شقير وهو كالاجزاء التي صدرت قبلهُ لطفاً وانسجاماً . والرواية من اشهر الروايات ويباع هذا الجزء بستة غروش وثمن الاجزاء الاربعة ٢٠ غرشاً

﴿ اثر حسن لفقيد الوطن ﴾ هو كتاب جمع ما قيل في المرحوم الدكتور سليمان افندي الخوري الحمصي من الرثاء والتأبين مع ترجمة حاله . نسّقه وضبطهُ رزق الله افندي نعمة الله عبود احد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بحمص سابقاً في نحو ٣٠٠ صفحة مصدرة برسم الفقيد رحمه الله فانهُ من اهل الجد والعمل وكان وجيهاً في قومه

﴿ الابداع في رسم اليراع ﴾ هو كتاب في فن الاملاء تأليف حضرة الشيخ محمد حسن نابل المرصفي احد مدرسي اللغة العربية بكلية القرير الكبرى . وضعهُ على آخر بروغرام قررته نظارة المعارف العمومية لتلامذة المدارس . والاملاء من الفنون الدقيقة ويفتقر في بعض احواله الى اعمال الفكرة كرسم الهمزة في وسط الكلمة وفي آخرها باختلاف حركاتها وحركة ما قبلها وما بعدها وكرسم الالف في الاواخر باعتبار اصلها هل تكتب بصورة الالف او بصورة الياء وشروط وصل الكلمات وفصلها ولا سيما حروف الجر والعطف وفي ما يجوز حذفهُ من الحروف والاحوال التي تقتضيه . وقد دقق حضرة المؤلف النظر في كل ذلك تدقيق باحث درس الموضوع وتفهمه . وذيل الكتاب بامثلة منقولة عن كتب الادب والاملاء . فنحث طلاب اللغة العربية على مطالعته وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان واجرة البريد نصف غرش

(ابدع ما نظم في الامثال والحكم) هو كتاب يدل اسمه على موضوعه تأليف يوسف افندي عبد الغني سنو الحسيني جمع فيه نخبة ما قيل نظماً او نثراً من الحكم والامثال مما جمع بين العبرة والفائدة واكثره مأخوذ من كتب خطية لم يسبق نشرها . ويتخلل الكتاب كثير من نظم حضرة المؤلف بما يناسب المقام او يشاكل المواضيع في اماكنها . فبلغت صفحاته نحو ٢٥٠ صفحة متوسطة الحجم مفعمة بالموعظة والحكمة ويباع في مكتبة البدائع وثمن النسخة اربعة غروش والبريد غرش

(انساب العرب القدماء) هو ردٌّ على القائلين بالاُمومة والطوطمية عند العرب الجاهلية تأليف منشىء الهلال نشرناهُ تباعاً في اهلة هذه السنة وقد طبعنا منه نسخاً على

حدة تطلب من ادارة الهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد نصف غرش

(الدليل الى البرازيل) هو كتاب ادبي اجتماعي انتقادي لمؤلفه جرجي افندي توما الخوري نشرنا مثالاً منه في هذا الهلال عند كلامنا عن السوري في البرازيل والكتاب كثير الفائدة على الخصوص لمن يطلب الذهاب الى تلك البلاد لانه ضمنه كثيراً من النصائح المفيدة وصور حال السوري في البرازيل تصويراً واضحاً استخدم فيه حرية فكرهِ ورشاقة قلمه

(البؤساء) هي رواية تمثيلية أخلاقية الفها في الاصل فيكتور هوغو الشاعر الفيلسوف الشهير ثم سبكها ابنه شارل هوغو في قالب تمثيلي فجعلها فاتحةً واربعة فصول وخاتمة وكلها في خمسة عشر منظراً • وعني بنقلها الى العربية حضرة عبد الحليم افندي دلاور وتحدى في انشائها عبارة معرب البؤساء الاولى حافظ افندي ابراهيم • و في شهرة البؤساء ومؤلفها ما يغني عن الأطناب في مدحها والاستحثاث على مطالعتها • وهي تطلب من ملتزم طبعها منصور افندي عبد المتعال بمصر وثمنها ثمانية غروش والبريد نصف غرش

(ابو سمرا غانم) هو كتاب حوى ترجمة ابي سمرا غانم اللحفدي احد ابطال لبنان ويتخلل ترجمته اهم الحوادث التي جرت في لبنان اثناء القرن الماضي لانه دخل في اكثرها • وقد عني بتأليف هذا الكتاب حضرة خليل افندي همام فائز وتوسع في ذكر حوادث الجبل بحيث يصح ان يسمى هذا الكتاب تاريخ لبنان الحديث وربما لخصنا شيئاً منهُ في فرصة أخرى ونشرناه في الهلال

(الحقيبة الزرقاء) هي رواية عصرية ادبية غرامية بقلم نقولا افندي حداد — لا ندري اذا كانت من تأليفه او هو نقلها من لغة اخرى لان قولهم «بقلم فلان» قد يراد به احد الوجهين • وان كان حداد افندي قد عوَّدنا التنصل من فضله في التأليف فيؤلف الرواية ويوهم القراء انه ترجمها اذ يجعل حوادثها في بلاد افرنجية ويسمي اشخاصها باسماء الافرنج كما فعل في رواية «عين بعين» فعساه ان يزيل مثل هذا الالتباس في ما سيتحف به القراء من نفثات يراعه • والرواية التي نحن في صددها غرامية ادبية متلاحقة الحوادث كثيرة التشويق للمطالعة حسنة المغزى جمعت بين اللذة والفائدة • فنحث القراء على مطالعتها وقد طبعت بنفقة مطبعة المعارف وتطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش صاغ واجرة البريد غرش

(The Pupil's Grammar) هو كتاب في نحو اللغة الانكليزية تأليف محمد افندي عبيد مدرس البيداجوجيا بكلية غوردون بالخرطوم ومحمد افندي رخا مدرس بمدرسة عابدين الاميرية • وضعاه على اسلوب يناسب طلاب هذه اللغة من المصريين وخصوصاً الذين يتقدمون للامتحان في المدارس الاميرية من اجل الشهادة الابتدائية • وقد طبع هذا الكتاب قبلاً فراجت طبعته الاولى فاعاد المؤلفان طبعه مع تنقيحه والزيادة فيه بعد اختبار حاجة التلامذة وسماع ملاحظات اساتذة هذه اللغة من ادباء الانكليز وغيرهم • فجاءت هذه الطبعة وافية بالغرض المقصود في زهاء ٢٠٠ صفحة متوسطة الحجم جميلة الطبع متينة الورق • وقد غلفاه بغلاف من القماش متين وجعلا ثمن النسخة ستة غروش بعد ان كانت في الطبعة الاولى ثمانية فنرجو له رواجاً حسناً

(الدليل الشرقي) هو كتاب اجتماعي فلسفي ديني تأليف حضرة جرجس افندي الخولي ضمنه كثيراً من الابحاث الفلسفية الدينية مما تلذ مطالعته لمحبي البحث في الدينيات وهو يطلب من حضرة المؤلف

(الثروة العقارية للقطر المصري) هو تقرير كتبه بالفرنساوية الدكتور الفريد عيد مدير صندوق الرهنيات العقارية المصرية ورفعه الى نظارة خارجية بلجيكا سنة ١٩٠٥ عن تقدير قيمة العقارات في القطر المصري من اطيان واملاك • وبين يدينا الترجمة العربية والمطلع على هذا التقرير يعجب بما حواه من الابحاث المفيدة الدالة على علم في القواعد الاجتماعية والقوانين المالية معدقة نظر في اسباب الاشياء ونتائجها ويجدر بمن يحب التوسع في درس النهضة المالية ان يطلع عليه

(مجلة السيدات والبنات) عادت هذه المجلة المفيدة الى الظهور بعد احتجابها حيناً والقراء يتشوقون اليها لاجتناء ما تحمله اليهم من الفوائد الاجتماعية والنصائح الصحية والمقالات التهذيبية والشذرات الادبية الفكاهية وغير ذلك من الشؤون النسائية والعائلية مدبجة ببراع صاحبتها السيدة روزا انطون وفي كل فقرة منها دليل على النباهة والذكاء وسلامة الذوق • والمجلة غزيرة الفائدة لا تستغني عن مطالعتها امهات هذا العصر ولا بناته • فنحث ارباب العائلات على اقتنائها فانها من خيرة ما تزدان به مكاتبهم وبدل اشتراكها ٥٠ غرشاً بمصر و ١٥ فرنكاً بالخارج

(الانسانية) هي جريدة دينية ادبية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومدير سياستها حضرة حسين افندي تيمور ومدير تحريرها محمد افندي الصادق عمران بدل

اشتراكها ثمانون غرشاً في القطر المصري و٢٥ فرنكاً بالخارج فنتمنى لها النجاح

﴿ احسن ما سمع ﴾ هو كتاب في الادب لابي منصور الثعالبي صاحب فقه باللغة المتوفى سنة ٤٢٩ هـ جمع فيه ابلغ ما قيل من الاشعار في الالهيات والنبويات والملوكيات والاخوانيات والادبيات والخمريات وفي الربيع وآثاره وفي الصيف والخريف والشتاء وفي الآثار العلوية وفي الدنيا والدهر والابنية والامكنة وفي الطعاميات والنساء والتشبيب والغزل على انواعه وغير ذلك وبينها كثيرٌ من نظم المؤلف · وكان هذا الكتاب ضائعاً لم يطبع حتى عثر حضرة محمد افندي صادق عنبر في دار الكتب الخديوية على نسخة منه سقيمة الخط مصحفة مشوشة فعمل على تصحيحها وضبطها بمراجعة امهات اللغة والادب حتى اتيح له ذلك فطبعها خدمة لآداب هذا اللسان جزاه الله خيراً · والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

﴿ نزهة العاشق الولهان ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في الاغاني والاناشيد والالحان لجامعه منصور افندي عبد المتعال وهو يطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعة غروش

﴿ نحن والرقي ﴾ هو كتاب اجتماعي تهذيبي تأليف حضرة صالح افندي حمدي حماد بحث فيه بحثاً فلسفياً في عناصر الامم على الاجمال والامة المصرية على الخصوص ونظر في مواضع الضعف منها وما احتوته من النقائص الادبية والعيوب العائلية والشؤون الصحية والاعمال المعاشية والصناعة والتجارة والعلم والدين والادب والفنون الجميلة ثم عمد الى البحث في بدء عهد الرقي الحديث في مصر وتاريخه وما يجوز تناوله من اسباب المدنية الحديثة وما يجب رفضه وبحث في الرقي والاسلام والموازنة بين عوامل الرقي وختم كلامه بخلاصة اجمالية · والكتاب خليق بان تتداوله ايدي الادباء على اختلاف طبقاتهم لما فيه من الفوائد الهامة لمداواة ما نحن فيه مداواة صحيحة آن للامة ان تبادر اليها · وثمنه خمسة غروش ويطلب من حضرة المؤلف

(تحرير مصر) هو كتاب سياسي في مبحثه اجتماعي في غايته نقله الى العربية حضرة محمد افندي لطفي جمعة احد محرري جريدة الظاهر وصدره بقول اللورد كرومر « ان حكم مصر بالمصريين هو الغرض الوحيد الذي يسعى اليه الاصلاح والمصلحون » وجعل الكتاب هدية الى الشعب المصري وفيه ابحاث كثيرة عن مصر وعلاقتها بسياسة

الدول المعاصرة ومطامع الطامعين فيها فنحث الادباء على مطالعته وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش

﴿ صحة الاسنان ﴾ هي رسالة في صحة الاسنان للدكتور فرج الله افندي حبيب طبيب الاسنان في المنصورة ضمنها اهم ما تحتاج اليه العائلة في وقاية الاسنان او معالجتها واوضح ذلك بالرسوم فنثني على حضرته لهذه الخدمة

﴿ غادة برلين ﴾ هي رواية ادبية تاريخية غرامية عصرية تأليف حضرة توفيق افندي مفرج ووقف على طبعها الياس افندي نقولا ضاهر مدير مكتبة جريدة لبنان وتطلب من حضرته وثمن النسخة ستة غروش

﴿ الحقيقة الباهرة في اسرار الشريعة الطاهرة ﴾ هو كتاب ديني اسلامي تأليف صاحب السماحة السيد محمد ابي الهدى افندي الصيادي الرفاعي موضوعه بيان السر الشرعي الذي يتعلق بالدين والرياسة وعناية الدين الاسلامي بالصناعة والتجارة وغيرها من عوامل المدنية . والسيد ابو الهدى من العلماء الاعلام وشهرته في العلوم الاسلامية على انواعها تغني عن الايضاح

﴿ عشيقات الملك فرنسوا الاول ﴾ هي قصة غرامية تتضمن سير غرام هذا الملك مع عشيقاته وتظهر شقاء الامم تحت احكام امثال هؤلاء الملوك يخلق بكل شرقي ان يطالعها ويعتبر بحوادثها وهي معربة بقلم ابراهيم افندي سليم نجار وتطلب من مطبعة المنار الاسلامي وثمن النسخة اربعة غروش والبريد نصف غرش

﴿ المنهل الصافي ﴾ هي مجلة ادبية علمية تهذيبية تصدر بمصر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد افندي نجيب الحارتي بدل اشتراكها ثلاثون غرشاً بمصر وعشرة فرنكات في الخارج فنتمنى ان يطول بقاؤها منهلاً للورّاد

﴿ نهضة الاخاء ﴾ مجلة اخوية ادبية تصدر تحت رعاية المحفل الاعلى لجمعية المساعي الخيرية الاسرائيلية مديرها ومحررها رحمين افندي فرجون بدل اشتراكها للاخوان عشرون غرشاً ولسواهم ٣٠ غرشاً وخارج القطر ٤٠ غرشاً

﴿ دعوة الحق ﴾ هي مجلة علمية اسلامية تصدر باللغة الفارسية في طهران لمديرها

حضرة الشيخ محمد علي بهجت دزفولي بدل اشتراكها في طهران تومان واحد وفي الخارج سبعة فرنكات

﴿ الرموز ﴾ هي مجلة اصلاحية تصويرية فكاهية تصدر في بونس ايرس ارجنتين ثلاث مرات في الشهر لصاحبها رشيد افندي الخوري بدل اشتراكها في الارجنتين عشرة ريالات وفي الخارج ٢٥ فرنكاً وهي مزينة بالرسوم الهزلية التي يراد بها الجد وستصدر اسبوعياً بعد قليل

﴿ حبيب الامة ﴾ هي جريدة سياسية اقتصادية علمية تصدر في تونس الغرب مرة في الاسبوع لمديرها حضرة عبد الرزاق افندي الغطاس بنهج القصبة بدل اشتراكها في الايالة التونسية عشرة فرنكات وفي خارجها ١٢ فرنكاً

﴿ برنامج اخوية القديس مارون ﴾ هو سفر كبير مؤلف من عدة اجزاء تأليف حضرة يوسف افندي خطار غانم رئيس اخوية القديس مارون وجمعية طوبيا البار ومنشىء غرفة القراءة ومكتبتها في بيروت . ظهر الجزء الثاني منه سنة ١٩٠٤ فقرظناه ووصفناه في الهلال الاول من السنة الثالثة عشرة . وكان الجزء الاول تحت الطبع ولا نعلم هل ظهر أم لا . وجاءنا الآن مثال من الجزئين الثالث والرابع على شكل بديع من نظافة الطبع ومتانة الورق مزيناً بالرسوم الجميلة والالوان الزاهية فنطلب اليه تعالى ان يأخذ بناصر حضرة المؤلف الى اتمام هذا العمل العظيم اذ يظهر بالقياس على مارأيناه منه انه سيكون من احسن ماتزدان به المكاتب

خاتمة السنة الرابعة عشرة

اجتاز الهلال والحمد لله سنته الرابعة عشرة وهو يدأب في خدمة اللغة وابنائها ويطبق ابحاثه ومواضيعه على ما يلائم اذواق قرائه ويوافق احتياجاتهم . على ان الهيأة الاجتماعية على اجمالها تقدمت من طبيعتها فتكاثر القراء واتسعت معارفهم وارتقت اذواقهم الى اضعاف ماكانوا عليه يوم ظهوره لتوفر اسباب المدنية واقبال الناشئة الشرقية على عوامل هذه النهضة